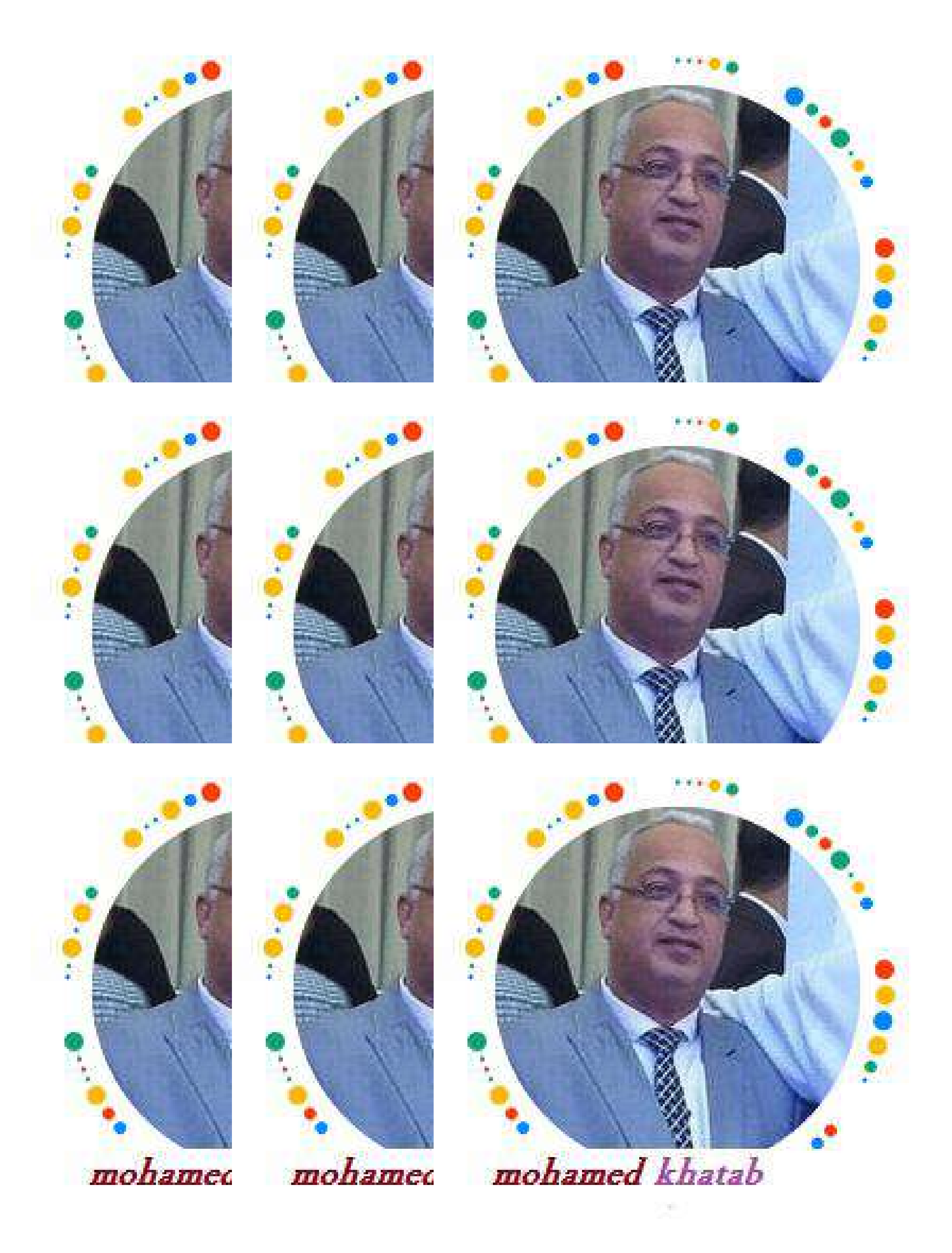
سليم حسن

موسوعة مصر القديمة

الجزء السادس عشر


mohamed khatab

موسوعة مصر القديمة (الجزء السادس عشر)

من عهد بطليموس الخامس إلى نهاية عهد بطليموس السابع
مع فصل في عبادة الحيوان في العهود المتأخرة

تأليف

سليم حسن



موسوعة مصر القديمة (الجزء السادس عشر)

سليم حسن

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ١٧٥٣ ٨٣٢٥٢٢ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: سيلڤيا فوزي

الترقيم الدولي: ٩٧٨ ١ ٥٢٧٣ ١٦٨٧ ٤

صدر هذا الكتاب عام ١٩٦٠.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠١٩.

المحتويات

تمهيد

تحدثنا في الجزء السابق من هذه الموسوعة عن أمجد عصر وصلت إليه البلاد المصرية في عهد ملوك البطالمة الأول؛ فقد بلغت أقصى مدى عزها وسلطانها في عهد «بطليموس الثاني» واستمرت تدرج في معارج السؤدد في الشرق حتى نهاية حكم العاهل العظيم «بطليموس الثالث» الذي كاد يسيطر على كل بلاد الشرق في باكورة حكمه لولا هبوب ثورة في أرض الكنانة أوقفت زحفه المظفر على أملاك السليوكيين؛ ومن أجل ذلك عاد إلى مصر فجأة ليطفئ نار هذه الثورة التي لم يكن يتوقع هبوبها، وعلى الرغم من الحروب المظفرة التي قام بها هذا العاهل على «أنتيوكوس الثالث» وما أظهره من نشاط علمي واجتماعي وديني في كل أنحاء البلاد؛ فإن بوادر الانحلال والانحدار والانقسام قد بدت تظهر في البلاد بسبب ما كان يكنه المصريون أهل البلاد من حقد وكراهية لأولئك الأجانب الذين سلطهم عليهم ملوك البطالمة فساموهم سوء العذاب بابتزاز الأموال وأعمال السخرة حتى طفح الكيل، ولم يبق في القوس منزع. وقد كان المصريون يتحينون الفرص للتخلص مما حاق بهم من ظلم وإجحاف.

والظاهر مما سبق أن نهاية عهد «بطليموس الثالث» كان بداية انحدار سلطان البطالمة نحو الهاوية التي أخذوا يتردون فيها رويدًا رويدًا حتى جاء يومهم الموعود، ولولا صلابة عود «بطليموس الثالث» وما أُوتيه من قوة شكيمةٍ وحسن سياسة لاشتدت المقاومة، وساءت الأحوال إلى أقبح مما كانت عليه؛ ومن أجل ذلك فإنه لم يَكَدْ يواري التراب رفات «بطليموس الثالث» هذا، حتى أخذت علامات الوهن والضعف تظهر في داخل مصر وخارجها، وبخاصة أنه قد تولى عرش البلاد بعده طفل صغير لا حول له ولا قوة وهو «بطليموس الرابع»، فطمع في ملكه ملوك البلاد الهيلانستيكية المجاورة، وفي نفس تلك

الفترة برزت روما في عالم سياسة الشرق، وادعت الوصاية على ملك مصر؛ فكانت حربًا على أعدائه، وحامية له.

ولقد كان من حسن حظ مصر وقتئذٍ أن ساعدتها الأحوال السياسية فصدت غزو «أنتيوكوس الثالث» عن مصر وهزمته هزيمة منكرة في موقعة «رفح» التي تُعتبر من المواقع الحاسمة في تاريخ الشرق القديم عامة وفي تاريخ مصر خاصة؛ فقد قضت على آمال «أنتيوكوس» وأطماعه في مصر، وأصبحت معرة له في كل الشرق، أما في مصر فقد جاءت نتيجة هذه الموقعة ذات حدين؛ وذلك لأنها قضت على خطر الغزو الأجنبي الذي كان يهدد كيان مصر كدولة مستقلة من جهة، ولكن من جهة أخرى أتاحت لأبناء البلاد المصريين الذين اشتركوا للمرة الأولى في عهد البطالمة في حروب مصر الخارجية أن يخرجوا من غمار هذه الموقعة ولواء النصر معقود فوق رءوسهم؛ ومن ثم أخذوا يحسون بمكانتهم في جيش البطالمة الذي كان يتألف حتى ذلك الوقت من جنود أجانب مرتزقة من الإغريق والمقدونيين، أضف إلى ذلك ما كان يقاسيه هؤلاء الجنود هم وأبناء جلدتهم من ظلم وخسف وسوء معاملة وامتهان في كل مرافق الحياة على أيدي الحكام الأجانب الذين كانوا يسيطرون على زمام الأمور في البلاد جميعًا.

وبهذه الأحاسيس والمشاعر أخذ الجنود المصريون الذين أسهموا في إحراز النصر في معركة «رفح» يقلبون ظهر المجن لحكام البلاد الأجانب، وبدأوا يدبرون الفتنة للتخلص من نير الحكم الأجنبي، وبخاصة عندما علموا أثناء موقعة «رفح» أن الجنود الإغريق قد برهنوا على خيانتهم وتخاذلهم. ومن الغريب أن رجال بلاط البطالمة كانوا يعرفون تمام المعرفة أن المواطنين المصريين كان لا يؤمن لهم جانب، ولا يمكن الاعتماد على إخلاصهم، غير أن مقتضيات الأحوال كانت قد اضطرتهم إلى أن يجندوهم في جيشهم العامل للمرة الأولى في تاريخ البطالمة، وكان في ذلك الطامة الكبرى على حكم البطالمة؛ فقد اندلعت نار الفتنة بين رجال الجيش المصري العائدين من ميدان القتال على الحكم البطلمي، وامتد لهيبها بين كل طبقات المصريين الذين كانوا ينتظرون هذه الفرصة ليخلصوا أنفسهم من ويلات الحكم الأجنبي ومَظَالِمِه التي أصبحت تزداد على مر الأيام، وكانت الأحوال مُهَيَّأَة لهم وقتئذ في الداخل والخارج؛ وذلك أن «بطليموس الرابع» في آخر أيامه كان قد أصبح رجلًا مسلوب الإرادة يعيش في عالمٍ سداهُ الفسق ولحمته الفجور، وتحيط به حاشية سلبته كل قوة وسلطان، وفي النهاية نسمع فجأة أن «بطليموس الرابع» وزوجه «أرسنوي» قد أُعْلِنَتْ وفاتهما، وأن «بطليموس الخامس» ابنهما قد تولى عرش البلاد وهو

لا يزال في طفولته عام ٢٠٥ق.م، وكان الوصي عليه أسرة «أجاتوكليس» التي ضربت المثل الأعلى في الفجور والظلم والخلاعة، وبخاصة أنها اتُّهمت بقتل الملكة «أرسنوي» زوج «بطليموس الرابع» مما أحفظ الشعب الإسكندري عليها، وكان أول عمل قام به الإسكندريون هو القضاء على هذه الأسرة بأبشع صورة تدل على منتهى التفنن في التنكيل والتعذيب.

ولما كانت البلاد المصرية وقتئذ مهددة بخطر غزو ملك سوريا «أنتيوكوس الثالث» فإن الإسكندريين نَصَّبُوا وصيًّا كانوا يثقون فيه يُدعى «تليبوليموس» وكانوا يظنون أنه كان رجل حرب وسياسة، غير أنه لم يلبث أن فُضح أمره، وتكشفت الأحوال عن أنه رجل فسق وخلاعة، وأنه ليس بالرجل الكفء لمواجهة الأحداث والمخاطر التي كانت تهدد البلاد في الداخل والخارج؛ ففي الداخل قام المصريون الوطنيون بثورة عارمة كانوا قد بدأوا بإشعالها في نهاية حكم «بطليموس الرابع» واستمروا في تغذيتها وتنظيم صفوفها حتى أصبحت شرًّا مستطيرًا على حكم البطالمة، وبخاصة عندما نعلم أن الثوار قد أقاموا لأنفسهم حكومة، ونصبوا عليها ملكًا يقودهم في ساحة القتال للقضاء على الاستعمار البطلمي الذي نزف دماء الأهلين.

وفي الخارج نجد أن «أنتيوكوس الثالث» ملك سوريا و«فيليب» ملك مقدونيا قد تآمرا سويًّا على تقسيم مصر وأملاكها، وفعلًا انقض «فيليب» على ممتلكات مصر المجاورة له؛ فاستولى على «تراقيا»، ثم توالت فتوحاته في بحر «إيجا» و«آسيا الصغرى»، وعلى أية حال كانت خسارة مصر عظيمة؛ إذ لم يَبْقَ تحت سلطانها في تلك اللحظة من أملاكها في «آسيا الصغرى» إلا «أفيسوس». أما «أنتيوكوس الثالث» فإنه بسبب سوء الأحوال في مصر كان في حلٍّ من مهاجمة «سوريا الجوفاء» والاستيلاء عليها، وفعلًا سار في زحفه حتى أصبح على أبواب أرض الكنانة، وقد عُزيت سرعة تقدمه إلى عدم كفاءة «تليبوليموس» ومجونه، فعزله أهل الإسكندرية، وولوا مكانه وصيين هما «أريستومين» قائد الحرس و«سكوبوس» رئيس القرصان الأتولي المنبت، وقد نجح الأخير في الاستيلاء على «سوريا الجوفاء» ثانية، غير أن «أنتيوكوس» لم يلبث أن استردها ثانية.

وكان من جراء ذلك أن قامت العداوة والبغضاء بين الوصيين، وانتهى الأمر بقتل «سكوبوس» الذي كان قد جمع ثروة طائلة مما أدى إلى إفلاس خزينة الدولة. وعلى أية حال نجد أن السلام قد خيم على ربوع الإسكندرية، وعندئذ انتهز «أريستومنيس» هذه الفرصة وأعلن بلوغ الملك سن الرشد، وكان قصده الأول تخليص «بطليموس الخامس» من نير الوصاية الرومانية.

وبعد ذلك تُوِّج «بطليموس الخامس» للمرة الأولى في العهد البطلمي فرعونًا على مصر على الطريقة المصرية القديمة، وكان الغرض الأول من هذا التتويج الفرعوني الصبغة هو إرضاء الشعب المصري الذي كان يتمسك بمصريته وقوميته طوال عهود تاريخية. وقد كان في تنفيذ هذا العمل الجليل إرضاء لرجال الدين بوجه خاص؛ لأنهم كانوا دائمًا المسيطرين على مشاعر الشعب وتوجيهه من الوجهة الدينية، وقد كان رجال بلاط الإسكندرية يبتغون من وراء ذلك إخماد نار الثورة التي كانت قد بدأت فعلًا في عهد «بطليموس الرابع»، غير أنه في هذه اللحظة تحدثنا الوثائق عن ظهور بطل مصري يُدعى «خرمخيس» في إقليم طيبة، أخذ يقود الثورة التي كانت من قبل قاصرة على الوجه البحري، وفي هذه الأثناء أخذ رجال البلاط الإسكندري يلعبون الدور الميكافيلي المشهور وهو فرق تسد بين كهنة الوجه القبلي وبين كهنة طيبة. وعلى أية حال تحدثنا الأخبار أن الملك حاصر الثوار في الوجه البحري في بلدة «ليكوبوليس» وقضى عليهم، وبعد ذلك أرسل جنودًا لقمع الثورة في الوجه القبلي، غير أن الملك لما رأى الأمور أخذت تتحرج في البلاد بدأ يستميل رجال الدين بوجه خاص؛ فأصدر المرسوم الشهير الآن بحجر رشيد في ٢٧ مارس عام ١٩٦ق.م، ونقرأ فيه أن الملك أغدق على الكهنة من الإنعامات والهبات وحبس الأوقاف على المعابد مما جعلهم ينحازون إلى جانبه؛ بل ويساعدونه عينًا جهارًا على الثوار. وهذا المرسوم فضلًا عما جاء فيه لإرضاء رجال الدين نجد فيه ما ينم عن ميل الملك وبلاطه لإرضاء الشعب؛ بتخفيف الضرائب، والعفو عن المذنبين، والنزول عن الضرائب المتأخرة، والاهتمام بالحيوانات المقدسة، وعبادة الآلهة، وإحياء الشعائر الدينية المصرية القديمة. وقد نُشر هذا المرسوم بلغات ثلاث، وهي: الهيروغليفية والديموطيقية واليونانية؛ لتكون فائدته وأخباره عامة بين الناس.

على أنه في الوقت الذي كانت تدور فيه رحى الحروب الداخلية في البلاد كانت علاقات مصر مع الممالك المجاورة لها على أسوأ ما يكون، وبخاصة مع «أنتيوكوس الثالث» فإنه كان يرغب في السيطرة على مصر لولا تدخل روما وقتئذٍ بعد انتصارها على «فيليب» ملك مقدونيا عدوها العتيد، وقد استسلم «أنتيوكوس» لإرادة «روما» التي كانت تريد وقتئذ من جانبها فرض وصايتها على مصر، وبخاصة عندما نعلم أنه قد حدثت فتنة في جيش «أنتيوكوس»، غير أن الأخير لم يلبث أن استرد ثقته بنفسه وتحالف مع «هنيبال» عدو روما اللدود، وأخذ يعمل على التحالف مع مصر من جديد عن طريق المصاهرة، وفعلًا زوج ابنته «كليوباترا» من «بطليموس الخامس» وبذلك زعم أن السلام سيسود بين الأسرتين، ويقصي نفوذ روما عن مصر.

وقد قدم «أنتيوكوس» مهرًا لابنته «سوريا الجوفاء» غير أن هذا المهر كان مثارًا للمناقشات والمخاصمات بين البلدين بسبب غموض الوثيقة الخاصة بهذا المهر، وقد تم هذا الزواج في شتاء عام ١٩٣–١٩٢ق.م في بلدة «رفح»، وقد دلت الحوادث على أن هذه المصاهرة لم تكن في صالح «أنتيوكوس» وأسرته، بل كانت على عكس المطلوب، وبخاصة عندما أرادت مصر الاستيلاء على «سوريا الجوفاء» مهر «كليوباترا» ابنة «أنتيوكوس». وفي تلك الفترة مات «أنتيوكوس الثالث» وتولى بعده ابنه «أنتيوكوس الرابع»، كما تُوفي «بطليموس الخامس» وتولى بعده «بطليموس السادس» وهو لا يزال طفلًا تحت وصاية الملكة «كليوباترا» عام ١٨٠ق.م، وقد آثرت الأخيرة مهادنة روما ومحالفتها والبقاء على الولاء لها؛ للمحافظة على ملك ابنها، مما برهن على بعد نظرها، وقد ظلت كذلك حتى حضرها الموت وهي لا تزال غضة الإهاب، وعلى أثر وفاة هذه الملكة وقع ابنها «بطليموس الصغير» في قبضة وصيين هما: الخصي «يولاوس» وعبد آخر يُدعى «لناوس» وهو من أصل سوري.

ومما يؤسف له أن هذين الوصيين قد عملا على تدريب الملك الصغير على أنواع الخلاعة والفجور، وبذلك خلا لهما الجو في حكم البلاد، وعلى أثر بلوغ «بطليموس السادس» السن القانونية أعلن الوصيان تقليده حكم البلاد كما أعلنا زواجه من أخته «كليوباترا» التي لُقِّبَت «كليوباترا الثانية»، وقد اتخذ هذان الوصيان هذه الخطوة تخلصًا من الوصاية الرومانية، وعلى أية حال لم يمض طويل زمن على هذا الزواج حتى قامت منازعات بين «بطليموس السادس» و«أنتيوكوس الرابع» على «سوريا الجوفاء» التي كانت مصر تعتبرها مهرًا لـ «كليوباترا الأولى»، وقد انتهى الأمر بقيام حرب انتهت بهزيمة مصر، واستيلاء «أنتيوكوس» عليها، وأعلن نفسه ملكًا عليها. غير أن أهالي الإسكندرية لم يرضوا بذلك، فولوا أخ الملك المخلوع وهو «بطليموس السابع» عرش الملك، وأعلنوا خلع «بطليموس السادس» وعدم الاعتراف بـ «أنتيوكوس»، ولما علم «أنتيوكوس الرابع» الذي كان وقتئذ في «منف» بالأحداث التي وقعت في الإسكندرية ثار ثائره، وأخذ يسير على حسب سياسة جديدة؛ فقد أعلن أنه يريد إعادة «بطليموس السادس» إلى عرشه؛ فحاصر مدينة الإسكندرية، وقد انتهى هذا الحصار بإعادة «بطليموس السادس» إلى عرش الملك، ثم غادر «أنتيوكوس» البلاد المصرية تاركًا حامية قوية في «بلوز»؛ ليبقى الباب مفتوحًا أمامه إذا حدثت أحداث جديدة تدعو إلى عودته.

وقد رأى «فيلومتور» أن من الخير له ولبلاده أن يتفق مع أخيه «بطليموس السابع»، وانتهى الأمر بأن حكما البلاد معًا، غير أن هذا الاتفاق الذي حدث بين الأخوين لم يُرضِ

«أنتيوكوس الرابع» فزحف بجيشه على مصر، وفرض شروطًا مجحفةً حدد لها موعدًا؛ ومن ثم استجارت مصر بجيرانها وبروما خاصة؛ فخضع «أنتيوكوس» لتهديدات مجلس الشيوخ.

غير أن دوام الوئام بين الأخوين لم يدم طويلًا، ومن ثم قامت الحروب والفتن بينهما، وامتد أجلها مدة طويلة إلى أن مات «بطليموس السادس» بعد أن ضم سوريا إلى مصر، وأصبحت مملكة واحدة لمدة من الزمن، وقد لعبت «روما» في خلال ذلك دورًا مشينًا بين الأخوين كان الغرض منه تمهيد السبيل للاستيلاء على مصر.

وعلى أية حال فإن عهد انفراد «بطليموس السابع إيرجيتيس» بالحكم بعد وفاة «بطليموس السادس» قد تميز بطابع جديد في حكم البلاد؛ إذ نجده بعد زواجه من أخته «كليوباترا الثانية» أشركها معه في حكم البلاد فعلًا، ولم يَمْضِ طويل زمن حتى تزوج من ابنة «كليوباترا الثانية» بعد أن افترعها غصبًا، وهي التي تُعْرَف باسم «كليوباترا الثالثة» وأشركها كذلك معه في الحكم، وقد قامت منازعات وخلافات في طول البلاد وعرضها بسبب ذلك، مما أدى إلى انقسام البلاد شطرين؛ أحدهما يدين بحكم «كليوباترا الثانية» والآخر يدين بحكم «بطليموس السابع» و«كليوباترا الثالثة». وقد انتهى الأمر بعد وقوع مآسٍ عدة بالصلح بين الطرفين، وأصبح كل من «بطليموس السابع» و«كليوباترا الثالثة» و«كليوباترا الثانية» يحكم البلاد ثانية بوصفه ملكًا، وقد كانت هذه أول ظاهرة نرى فيها المرأة تحكم جنبًا لجنب مع ملك البلاد في أرض الكنانة بصورة فعلية، وسنرى فيما بعد أن هذه الحالة قد استمرت حتى نهاية العهد البطلمي؛ أي في عهد «كليوباترا العظيمة».

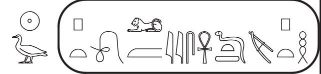
على أن أبرز ما يُشَاهَد في عهد كل من «بطليموس» الخامس والسادس والسابع الذي انتهى عام ١١٦ق.م هو سير البلاد نحو الهاوية، ويرجع السبب في ذلك إلى تدخل الرومان في شئون مصر والعمل على السيطرة عليها، ويُعزى ذلك إلى ضعف ملوكها وانحلال أخلاقهم واستسلامهم، يُضاف إلى ذلك استيقاظ الشعور القومي في البلاد، وقيام الثورات على حكام البطالمة؛ مما أدى إلى تمزيق أوصال البلاد حتى أصبحت الفوضى ضاربة أطنابها في كل المدن والقرى على السواء.

وعلى الرغم من سوء أحوال مصر في الداخل وفي الخارج نجد أنه في عهد هؤلاء الملوك الثلاثة كانت تُقام المباني الدينية العظيمة التي لا تزال باقية حتى الآن، وبخاصة معبد إدفو ومعبد كوم أمبو ومعبد الفيلة … وغيرها من روائع الآثار المصرية، وقد امتدت الإصلاحات الدينية في عهد هؤلاء الملوك فضلًا عن ذلك إلى بلاد النوبة؛ غير أن الفضل في

ذلك يرجع إلى ما كان للكهنة المصريين من نفوذ وسلطان في البلاد وإلى ما كان يبذله هؤلاء الملوك من هبات عظيمةٍ لإرضاء هؤلاء الكهنة بأية وسيلة؛ لما لهم من قوة ونفوذ في كل أنحاء البلاد، وهكذا نجد أن المصري حتى في أقسى حالات الاستعمار كان يثبت وجوده، وقد ظل كذلك حتى الفتح العربي.

ومن الظواهر الملموسة في هذا العهد أنه على الرغم من محاولة إرضاء المصريين بإصلاح القوانين وسن التشريعات الجديدة نرى أن الأحوال كانت تسير من سيئ إلى أسوأ، ويرجع السبب في ذلك إلى كراهية أهل مصر ونفورهم من الحكام الأجانب الذين كان قد دبَّ في أخلاقهم الفساد من كل الوجوه حتى أصبح كل إصلاح لا قيمةَ له، وحتى بين المصريين أنفسهم نجد أنه على الرغم من روح المقاومة أخذ دبيب الانحطاط يتفشى بين طبقات الشعب، وانحطت القيم الأخلاقية والدينية، وأخذت الخرافات والأساطير تحل محل الدين، وأبرز شيء يدل على ذلك أن القوم أخذوا يغالون في عبادة الحيوان لدرجة السخف حتى إنه قد أصبح في كل بيت حيوان يُعبد أو يُقدس، ومن ثمَّ خرجت عبادة الحيوان عن مغزاها الأصلي، ومن أجل ذلك أفردنا بابًا خاصًّا عن عبادة الحيوان في العهد المتأخر عامة، وبخاصة عبادة العجل «أبيس» والعجل «منفيس» والعجل «بوخيس»، وعلى الرغم مما جاء من غموض في عبادة الحيوان في تلك الفترة فقد حاولنا وضع بعض النظريات إلى أن تكشف لنا أعمال الحفر ما يميط اللثام عن النقاط المبهمة في هذا الموضوع العويص.

عصر بطليموس الخامس

وارث الإلهين المحبين لوالدهما، والمختار من «بتاح»، روح (كا) رع «القوية»، و(صورة آمون الحية)، ابن رع، (بطليموس العائش أبديًّا، محبوب بتاح).

مدة حكمه: تدل آخر البحوث على أن هذا الملك حكم من ٢٨ نوفمبر عام ٢٠٥ق.م حتى ٢٠ مايو عام ١٨٠ق.م.

حالة البلاد قبل تولي بطليموس الخامس عرش الملك

كان آخر ما ذكرناه في الجزء السابق من هذه الموسوعة أن «بطليموس الرابع» أصبح في آخر أيامه مسلوب الإرادة خاضعًا لسلطان أسرة «أجاتوكليس» التي ضربت الرقم القياسي في فني الدعارة والخلاعة، والواقع أن «أجاتوكليس» وأخته «أجاتوكليا» هما اللذان كانا يقبضان على زمام الحكم في داخل البلاد وخارجها، يعاونهما في ذلك وزيره الماكر «سوسيبيوس» الذي كان الضلع الكبير في السياسة والحرب وحياكة المؤامرات على كل من كان يَشْتَمُّ منه رائحة أية قوة أو نفوذ في البلاد مهما كانت علاقته مع بطليموس، والواقع أنه هو الذي ساعد على قتل الملكة «أرسنوي» بعد أن وضعت ذكرًا أصبح وريثًا للعرش، ومن ثم خاف «سوسيبيوس» نفوذها في المستقبل عندما تصبح وصية على ابنها بعد وفاة والده، وهكذا نجد أن إعلان موت «بطليموس الرابع» وزوجه «أرسنوي الثالثة» — التي لم تكن مريضة — كان يحيطه الشك والغموض، كما شرحنا ذلك من قبل في الجزء الخامس عشر من هذه الموسوعة، وكان هذا الحادث الغريب بل الفريد في بابه في تاريخ البطالمة سببًا في هياج الشعب الإسكندري، غير أن «أجاتوكليس» استطاع تهدئة الثائرين عليه وعلى أسرته وعلى «سوسيبيوس» إلى حين، وفي تلك الأثناء تُوفي «سوسيبيوس» بالشيخوخة، وهو الذي — كما ذكرنا آنفًا — قد ارتكب جرائم فظيعة طوال مدة وزارته. وعلى أية حال فإنه بعد موت هذا الأثيم خلا الجو لزميله «أجاتوكليس» وأسرته.

وتدل كل الظواهر على أن أسرة «أجاتوكليس» هذه قد أصبحت الحاكمة في البلاد دون منازع باسم الطفل «بطليموس الخامس» وهو الذي عُرف فيما بعد باسم «إبيفانس» — الظاهر. وقد توصل «أجاتوكليس» إلى القبض على زمام الأمور في داخل البلاد بما بذله

من مال وفير في سبيل ذلك، فقد حدثنا المؤرخ المعاصر لهذا الملك وهو «بوليبيوس» في هذا الصدد فاستمع لما يقول: إن «أجاتوكليس» بعد أن وارى رفات الملك «بطليموس الرابع» وزوجه «أرسنوي الثالثة» في المدافن الملكية أمر بوقف الحداد، ثم وزع أولًا على الجنود مرتب شهرين كاملين؛ وذلك لأنه كان مقتنعًا بأن قوة المال لدى السواد الأعظم من الناس كفيلة بمحو ما في نفوسهم من بغضاء وكراهية، وبعد أن هدأت النفوس بهذه الكيفية بين رجال الجيش أملى عليهم صيغة اليمين الذي كانوا قد تعودوا حلفه عند إعلان تولي ملك جديد عرش الملك. أما خطوته الثانية التي دبرها لسلامة الأحوال في الداخل؛ فكانت تدل على بعد النظر، وآية ذلك أنه أبعد «فيلامون» الذي كان قد أخذ على نفسه الإشراف على قتل الملكة «أرسنوي الثالثة» فعينه حاكمًا على إقليم «لوبيا» أو بعبارة أخرى «كرنيقا»، أما الملك الطفل فقد وكل أمر تنشئته والعناية به لأمه «أونانتا» وكانت امرأة جبارة، ولأخته «أجاتوكليا» حظية الملك السابق المفضلة.

بعد ذلك فكر في أن يعمل على أن يصفو له الجو تمامًا من كل من يخاف شره أو خيانته، ومن ثم أرسل «بيلوبس» Pelops بن «بيلوبس» إلى آسيا على زعم أن يكون على مقربة من الملك «أنتيوكوس الثالث»، وذلك لأجل أن يطلب إليه اتباع سبيل الود والمصافاة مع مصر، وألا يخرق حرمة الاتفاقات التي كان قد أوثقت عراها مع والد الطفل الذي يتربع على العرش الآن. هذا ونرى «أجاتوكليس» بعد ذلك يرسل «بطليموس» بن «سوسيبيوس» إلى «فيليب» ملك مقدونيا؛ ليطلب إليه أن يمد يد المساعدة لمصر إذا ما هاجمها «أنتيوكوس» خارقًا بذلك حرمة المعاهدات المبرمة بينه وبين مليكها السابق. هذا، ويقال إنه كلف كذلك بإتمام مسألة الزواج، غير أن العبارة التي جاءت عن هذا الزواج غامضة؛ وذلك لأن «بطليموس» لم يكن وقتئذ في سن الزواج من جهة، هذا إلى أن «فيليب» من جهة أخرى لم تُعرف له ابنة لتتزوج، يضاف إلى ذلك أن «أجاتوكليس» أرسل «بطليموس» ابن «أجيساركوس» Agesarcos إلى مجلس شيوخ الرومان، وأومأ إليه بألا يتعجل إتمام المأمورية التي كُلف بها؛ بل أفهمه أنه عندما يستقر به المقام في بلاد اليونان في طريقه ويقابل هناك الأهل والأصدقاء عليه أن يبقى هناك.

والواقع أن «أجاتوكليس» كان يقصد من إبعاد هؤلاء الشخصيات هو لأجل أن يتخلص من جميع أولئك الرجال البارزين الذين كان يخشى معارضتهم؛ وذلك لأنهم كانوا يعرفون مخازيه. وقد كان آخر من أبعده عنه «سكوباس» الأتولي، فقد أرسله إلى بلاد الإغريق بحجة تجنيد جنود مرتزقين، وفعلًا زوده بكمية كبيرة من الذهب لدفع أجور

المجندين مقدمًا، وكان «أجاتوكليس» قد اتخذ هذا القرار لسببين: أولهما: أنه كان قد عزم على أن يستخدم هؤلاء الجنود الجدد لمحاربة «أنتيوكوس» ملك السليوكيين، والسبب الآخر: هو أنه أراد أن يرسل الجنود المرتزقين القدامى المرابطين في الإسكندرية — وكان يخشى بأسهم — إلى المعاقل التي في داخل البلاد المصرية أو إلى المستعمرات. أما الجنود المرتزقون الجدد؛ فكان يرمي إلى استخدامهم في حاميات المدينة ليكونوا حرسًا للقصر الملكي وللملك نفسه، وكان يخيل إليه أن رجالًا مثل هؤلاء المرتزقين الجدد لا بد أن يكونوا طوع بنانه؛ لأنهم سيتقاضون أجورهم منه مباشرة، وفي الوقت نفسه لم يكونوا على علم بالأحداث التي سبقت مجيئهم، وعلى ذلك لن يتدخلوا في شيء، وظن أنهم سيضعون كل آمالهم فيه، وبذلك يكونون له أعوانًا مطيعين، وعلى استعداد لحمايته إذا قام الأهلون بثورة عليه، وبهذا يعيدون له النظام وينفذون كل ما يأمرهم به.

والواقع أن «أجاتوكليس» كانت لديه أسباب وجيهة تدعوه للشك واتخاذ الحيطة من أولئك الذين كانوا حوله سواء أكانوا من عظماء القوم أم من صغارهم، وبعبارة أخرى: كان يعيش في جو ملؤه الخوف والرعب، ومن أجل ذلك بث عيونه في كل مكان، ولا ريب في أن رجال شرطته كانوا كلهم بصرًا وسمعًا لكشف ما قد يُحاك من مؤامرات حوله، فمن ذلك أن فردًا يُدعى «دينون» Dinon[1] وهو من الذين اشتركوا في جريمة قتل الملكة «أرسنوي الثالثة»، نراه بدلًا من أن يظهر إخلاصه لسيده «أجاتوكليس» قد أخذ يدلي لكل من هب ودب بأسرار مفزعة عن تلك الجريمة أقضت مضجع «أجاتوكليس»، ومن أجل ذلك أمر بإعدامه في الحال، وكان هذا العمل بلا نزاع أعدل حكم بين مظالمه. غير أن «أجاتوكليس» — لسوء حظه — لم يَكْتَفِ بالقضاء على شركائه في الجرائم التي ارتكبها بل تخطى ذلك، وكانت عادته في مقاومة الرأي العام قد جعلته ينسى ما كان يجب أن يكون عليه من حزم وحذر، وكان كل ما يُشاع عنه وقتئذ ينحصر في ألوان تهتكه وخلاعته ومغامراته مع النسوة المتزوجات والمخطوبات والعذارى، فقد دنس الكثيرات منهن بهتك أعراضهن، هذا فضلًا عن شهرته بالكبرياء والصلف، مما أدى به إلى الإفراط والتفاني في الموبقات، ومع ذلك نجد أن القوم لم يجدوا بدًّا من كم أفواههم والصبر على تحمل مظالمه وشروره، إلى أن يقيض الله لهم الرجل الذي يكون عنده من الشجاعة والإقدام؛ ليتكلم فيعبر عن شعور القوم.[2] والواقع أن الشعب كان على استعداد للترحيب بأي شخصية

[1] راجع: Polyb., XV, 8–11.

[2] راجع: Polyb., XV, 25 a, 12–18.

تخلصه من هذا الطاغية، وكان ظهور مثل هذه الشخصية متوقعًا، ولم يمض طويل زمن حتى ظهر الرجل المرتقب وهو «تليبوليموس» Telepolimus، وقد كان قبل الآن في زوايا الإهمال مبعدًا أيام حياة الملك «فيلوباتور»، وكان عليه أن يقوم بقيادة فرقة الجنود في إحدى جهات القطر، ثم غضب عليه، ومن ثم عاد إلى الحياة الحرة، غير أن حياة الجندية كانت في دمه كما كان فضلًا عن ذلك مغرمًا بالمناورات — كما يقول المؤرخ «بوليبيوس». وعلى أثر موت «فيلوباتور» ظهر أن الغضب عليه كان سبب في جعله محبوبًا بين أفراد الشعب، يُضاف إلى ذلك أن مصر وقتئذ كانت مهددة بالغزو من قبل ملك سوريا «أنتيوكوس الثالث».

ومن أجل ذلك أصبح «تليبوليموس» الرجل الذي تحتاج إليه البلاد لحمايتها من هذه الناحية، ولذلك لم ير «أجاتوكليس» بدًّا من إرساله إلى «بلوز» الواقع على الحدود — الفرما — للإشراف على تخوم مصر هناك، وهي المكان الذي كان ينتظر منه الهجوم على مصر، وقد كان «أجاتوكليس» يأمل من وراء ذلك أن ينهمك هذا القائد في شئون «سوريا»؛ وبذلك يبتعد عن مجريات الأمور في الإسكندرية، وألا يكون له ضلع فيها، غير أن خطر قرب «تليبوليموس» من بلاط الإسكندرية وإبعاده عنه — كما ظن «أجاتوكليس» — كان ضربًا من الأوهام؛ إذ برهنت الحوادث التي تلت على أن إعطاءه القيادة في «بلوز» كان ينطوي على نفس الخطر الذي كان ينجم لو كان في الإسكندرية؛ وذلك أنه على بعده قد قام بمعارضة «أجاتوكليس»، وعمل على استمالة الجنود الذين تحت إمرته إلى جانبه بإقامة الولائم لهم، ودعوتهم لمشاركته في مائدته دون أي تحفظ، لدرجة أنه كان يشرب في حضرتهم نخب مزين الولائم والعازف على العود والحلاقة، كما شرب في صحة الغلام الحظي الذي كان وهو لا يزال فتيًّا يصب الخمر للملك، هذا وكان بعد انتهاء حفلات معاقرة بنت الحان يباح كل شيء من أنواع الموبقات والمتع الجسدية، وعندما علم «أجاتوكليس» بما كان يدبره له هذا القائد حاول أن يسبقه فينصب حبائله التي يفسد بها عليه مؤامرته، وكان أول مكيدة دبرها له أن نشر شائعة مفادها أن «تليبوليموس» على وشك أن يخون بلاده ومليكه، وأنه سيسلم حكومة مصر إلى يد «أنتيوكوس». غير أن هذه المكيدة لم تلق قبولًا حسنًا عند الشعب المصري الذي كان يعلم أن «أجاتوكليس» كان يخاف منافسة هذا القائد له، ومن أجل ذلك افترى عليه هذه الفرية، فزادت في حب الشعب له، هذا وكان «أجاتوكليس» في تلك الفترة في وجل، وقد أراد أن يتأكد على الأقل من ولاء جنود حامية الإسكندرية في حالة قيام الشعب بثورة عليه، ومن أجل ذلك أخذ

يناشد وطنية الجنود المقدونيين وإخلاصهم للملك الطفل الذي اضطرته خطورة الموقف أن يعرضه بين يديه أمامهم وهو يبكي مستدرًّا بذلك عطفهم، غير أن هذا المشهد الذي أراد به «أجاتوكليس» هو وأخته «أجاتوكليا» — مربية الملك المزعومة — استدرار عطف الجنود والشعب معًا؛ قد أخطأ المرمى، وكان من جراء ذلك أن استهزأ بهما الشعب، وصرخ في وجهيهما صرخة غضب وسخط. يضاف إلى ذلك أن «أجاتوكليس» قد قوبل بنفس السخرية من فرق الجنود الآخرين عندما كان يريد أن يستميل كل فرقة على حدة، وكانت الطامة الكبرى أن بعض جنود حاميات المديريات الكبيرة وهم الذين كان قد وضعهم فيها بعد أن أجلاهم عن الإسكندرية؛ قد عادوا بكثرة إلى الإسكندرية، وحرضوا أصدقاءهم وأقاربهم على «أجاتوكليس» وبطانته؛ بسبب ما أصاب مصر من بؤس وتعاسة؛ ومن ثم عقدوا العزم على ألا يتركوا البلاد تُهان على أيدي طغمة من الناس بلغت بهم الحقارة والدناءة إلى هذا الحد المخزي المشين. ولما رأى القائد «تليبوليموس» أن الأمور قد تطورت إلى هذا الحد كان هو من جانبه قد اتخذ للموقف عدته؛ فجوع أهالي الإسكندرية بمنع المئونة عنها، وذلك ليسرع في تعجيل قيام الثورة التي كانت على وشك الانفجار.

ومن سخرية القدر أن «أجاتوكليس» نفسه قد عمل على تقريب اندلاع نار هذه الثورة؛ وذلك بما ارتكبه من أعمال العنف والظلم؛ فمن ذلك أنه كان يرغب في أن تكون في يديه رهائن من بين أعدائه، فأمر بالقبض على «دانايس» Danaes حماه «تليبوليموس»؛ ثم حرر قائمة بأشخاص آخرين ليقبض عليهم. يضاف إلى ذلك أنه قد شك في أن القائد «موراجين» Moeragene كان على اتصال في الخفاء مع «تليبوليموس» وأنه يتآمر كذلك مع قريبه «أداوس» Adaeos حاكم مدينة «بوبسطه»، ومن ثم أمر بالقبض عليه على أن يُعذَّب حتى تُنتزَع منه الاعترافات التي تدل على الجريمة المنشودة.

وقد كان هذا الحادث الأخير الشرارة الأولى التي أشعلت نار الثورة في البلاد، وقد أفلت «موراجين» في اللحظة الأخيرة التي كان سيُقَدَّم فيها إلى آلة التعذيب، وذلك أنه انتهز فرصة الارتباك والفوضى التي كانت سائدة في القصر وولى هاربًا عاري الجسم كما وضعته أمه، وملتجئًا إلى الجنود المقدونيين الذين كان سرادقهم مُقامًا على مسافة قريبة من القصر الملكي.

والواقع أن هؤلاء الجنود لم يكتفوا بإجارته؛ بل أهاج مشاعرهم هذا العمل الوحشي، ونادوا بحمل السلاح لمحاربة «أجاتوكليس» الفاسق اللعين. ولم تَمْضِ إلا برهة قصيرة حتى كان كل الأجناد في ثورة عارمة، وقد حذا سكان مدينة الإسكندرية حذوهم حتى انتشرت الثورة في كل أنحائها.

هذا، ويصف لنا المؤرخ «بوليبيوس» الذي نتتبع خطاه في كتابة تاريخ هذه الفترة من تاريخ أرض الكنانة — لأنه يُعَدُّ مصدرنا الرئيسي تقريبًا — بشيء من المتعة — الفظائع الخارجة عن حد المألوف التي ارتكبها الإسكندريون ورجال الجيش في اليوم التالي لقيام الثورة. ومن المدهش أن «أجاتوكليس» كان قد صادر أثناء الليل منشورًا وجهه «تليبوليموس» لجنوده، وبعد ذلك عكف على إغراق مخاوفه وهمومه في شرب الخمر واللهو غير حاسب حساب ما يجري من أحداث في أنحاء المدينة التي كانت تعجُّ بالثائرين، وفي أثناء ذلك كانت أمه «أونانتا» قد ملأ قلبها الخوف والفزع، ومن ثم أسرعت إلى «تسموقورنيون»، معبد الإلهة «ديمتر»؛ حيث كان يُحْتَفَلُ بالتضحية السنوية، ونجدها قد خاطبت هناك الآلهة متضرعة واليأس يغمرها، وبعد ذلك جلست عند قاعدة المذبح. وفي خلال ذلك تأمل نسوة البلاط هذا الحزن الذي كان يغمرها في سكون وبدون إظهار أي ألم، غير أن بعضهن ممن كن لا يعرفن ما قدره لها الغيب اقتربن منها يعزينها ويواسينها.

وهؤلاء النسوة كن قريبات «بوليكراتيس» الذي كان آنذاك حاكم قبرص، غير أن «أونانتا» التفتت إليهن في غضب وحنق وصاحت قائلة: المارقات! إني أعرف سر صلواتكن الخفية الخبيثة، ولكن أقسم بحياة الآلهة ستأكلونن لحم أبنائكن. ثم أمرت الخدم بضربهن بالسياط، وعندئذ ولت النسوة الأدبار رافعات أيديهن للآلهة قاذفات من أفواههن اللعنات على «أونانتا».

وعلى أية حال نجد «أجاتوكليس» في نهاية الأمر يخرج من غفوته وتقاعسه ويتنبه للخطر الذي كان محدقًا به، فنراه ومعه كل أقاربه أي كبار موظفي البلاد عدا «فيلامون» يذهبون توًّا إلى جوار الملك، ويقودونه إلى قاعة عمد كانت توصل بين القصر الملكي والمسرح، وكان «أجاتوكليس» وقتئذ مزمعًا الفرار من هذا المنفذ، وإلا فإنه كان عليه أن يقيم المتاريس خلف ثلاثة الأبواب الضخمة القائمة في محور البهو، وقد اتضح له أن الهرب كان أمرًا غير ممكن؛ وذلك لأن القصر كان كجزيرة تتلاطم على جوانبها الأمواج الهائجة من الثائرين، فقد كان يحتوي على جمهور من الناس الذين احتشدوا فيه حتى درج السلم؛ بل وحتى أسقف المنازل في الأماكن المجاورة، وكل أولئك كانوا يطلبون رؤية الملك. غير أنه حتى طلوع الفجر لم يظهر الملك الذي كان يطالب به الشعب. وعلى أثر ذلك اجتاح الجنود المقدونيون قاعة المجلس الكبرى، وعندما عرفوا المكان الذي فيه مليك البلاد هشموا أبواب الدهليز الأول، وعندما وصلوا إلى البوابة الثانية طلبوا رؤية الملك بأصوات

مرتفعة. وقد طلب «أجاتوكليس» عندما رأى نفسه في خطر مداهم من الجنود الذين كانوا قد حوصروا معه أن يذهبوا إلى الجنود المقدونيين ويخبروهم على لسانه بأنه مستعد لأن ينزل عن وصايته على الملك وعن كل سلطته وجميع ألقابه وما ملكت يداه مقابل منحه الحياة وما يقيم به أوده، وأنه عندما يعود إلى زمرة الشعب فلن يكون في مقدوره — حتى لو أراد — إلحاق أي أذى بأي إنسان.

في هول هذا الموقف أراد أحد الأجناد — بعد شيء من التردد — أن يلعب دور الحكم، وهو «أريستومنيس» Arestomenes الأكاراني، غير أنه لسوء حظه عندما أراد أن يقوم بدوره هذا لم ينج من أيدي الشعب الثائر إلا بأعجوبة؛ إذ قد أمره الثوار بالانصراف وألا يعود ثانية إلا والملك معه، أما الجنود المقدونيون فإنهم بعد أن صرفوا هذا الوسيط هاجموا الباب الثاني واقتحموه، وعندما رأى «أجاتوكليس» اشتداد حنق المقدونيين عليه ذهب لينظر إليهم من خلف القضبان وهو يتضرع إليهم بكلتا يديه.

وفي تلك الأثناء أخذت أخته «أجاتوكليا» تتوسل إليهم بكل الطرق التي تستدر العطف حتى إنها كشفت عن ثدييها اللتين أرضعت منهما الملك، وكل ما كانت ترجوه من هذه التضرعات والتوسلات هو النجاة بحياتها، وفي نهاية الأمر لما لم يجد «أجاتوكليس» وأخته فائدة من توسلاتهما وانتحاباتهما، وأن ذلك لم يغير شيئًا في موقفهما قررا إرسال الملك مع الجنود للشعب، وفي الحال استولى الجنود المقدونيون على الملك، ووضعوه على صهوة جواد، وقادوه إلى الاستاد — الملعب العام. وعندما شاهده الشعب الثائر انطلقت صيحاته إلى عنان السماء، وقوبل بالتصفيق من كل مكان. وبعد ذلك أُنزل الملك الطفل من على صهوة الجواد، وأُجلس على عرش الملك. والواقع أن مجموع الثوار قد ارتسمت على وجوههم سيما الفرح والحزن في آن واحد؛ فقد فرحوا لأنهم استردوا مليكهم من أيدي طغمة فاسدة، وحزنوا لأنه لم يُقبض بعد على أولئك المجرمين الذين عاثوا في الأرض فسادًا لكي يُوقع عليهم ما يستحقون من عذاب؛ ومن ثم كانت تتعالى صيحات مستمرة من بين مجموع الثوار مطالبة بوجوب سوق كل أولئك المجرمين الذين ارتكبوا هذه الفظائع والآثام، وعرضهم على مرأى من الشعب، وقد كاد اليوم أن ينتهي ولم يكن لدى الشعب هدف إلا الحصول على المجرمين؛ ليصبوا عليهم جام غضبهم وسخطهم.

وفي تلك اللحظة الرهيبة ظهر «سوسيبيوس» الصغير ابن الوزير «سوسيبيوس» وكان وقتئذ قائد الجيش، وحسمًا للموقف وتهدئة للخواطر اتخذ قرارًا في صالح الكل؛ وذلك أن هذا القائد لما رأى أن لا وسيلة لتهدئة غليان نفوس الشعب — هذا بالإضافة إلى

أن الملك الصبي كان مرتبكًا لما كان يحدث حوله من رجال حاشيته، ولم يكن قد تعود رؤيتهم من قبل، كما أنه لم يشهد من قبل صخب الجمهور وهياجه — سأل الملك إذا كان يقبل تسليم أولئك الذين نغصوا حياته وقتلوا والدته لتهدئة السخط العام، ولما أومأ الملك بالرضى قال «سوسيبيوس» لبعض الجنود الذين كانوا حوله بأن يلعنوا الإرادة الملكية، وعلى إثر ذلك صاحب «سوسيبيوس» الملك الطفل إلى بيته هو وكان قريبا جدًّا من القصر الملكي؛ وذلك ليعيد له طمأنينته وقواه.

هذا، ولم يكد أمر الملك يُعلن حتى دوت صيحات الفرح وتعالت الهتافات، وفي خلال تلك الفترة كان «أجاتوكليس» وأخته «أجاتوكليا» منزويين في عقر دارهما، ولكن لم تكد تُعلن الإرادة الملكية حتى أخذ الجنود يبحثون عنهما من تلقاء أنفسهم أو بتحريض من الشعب الثائر، ولم يمض طويل زمن حتى وقعت حادثة محزنة كانت البداية لمذبحةٍ مريعة أودت بحياة «أجاتوكليس» ومن كان في ركابه من الذين عاثوا في الأرض فسادًا؛ وذلك أن أحد أتباع «أجاتوكليس» الموالين له ويدعى «فيلون» Philon ظهر في الاستاد — الملعب العام — وهو مخمور، وعندما رأى الشعب في حالة هياج صاح قائلًا: إذا سحب «أجاتوكليس» نفسه من هذا الموقف فإن القوم سيندمون كما حدث ذلك من قبل، ولم يكد «فيلون» ينتهي من جملته هذه حتى أخذ بعض المتجمهرين يسبونه، كما أخذ بعضهم الآخر يطوحون به في عنف، ولكنه عندما أبدى مقاومته للشعب الثائر؛ فإنهم مزقوا عباءته ثم طعنوه بحربة. هذا ولم يكد أفراد الشعب يشاهدونه يُجَرُّ مضرجًا في دمائه في هذا المكان وسط عاصفة من السخط حتى استولت عليهم شهوة حب سفك الدماء، وكانوا ينتظرون تلك اللحظة بفارغ الصبر ليصبوا جام غضبهم على تلك الضحايا التي كانوا ينتظرون وصولها. ولم تمض برهة حتى وصل «أجاتوكليس» زعيم أولئك الأوغاد مُصفَّدًا في السلاسل والأغلال، ولم يكد يمثل أمام الشعب حتى انقض عليه بعض الثوار، وطعنوه بحرابهم في الحال، والواقع أن قتلته قد قدموا له خدمة عظيمة؛ وذلك أنه بدلًا من أن يلقى النهاية التي كان يجب أن يلقاها أمثاله من تعذيب وتنكيل فإنه مات بطعنة حربة وحسب، ثم جيء من بعده بالقائد «نيكون» وهو أحد أقارب «أجاتوكليس» ثم سيقت بعده «أجاتوكليا» عارية الجسم ومعها أخواتها وكل أفراد أسرتها، وقُضي عليهم جميعًا، وأخيرًا جاء دور الفاجرة «أونانتا» أم «أجاتوكليس» فسيقت عارية على صهوة جواد إلى مصيرها المحتوم. وهكذا رأينا كل هؤلاء التعساء الأوغاد قد قُدموا إلى الشعب لينتقم منهم. والواقع أن فريقًا من الثوار كانوا ينهشونهم بأنيابهم، وفريقًا آخر يطعنونهم برءوس

الأسنة، وآخرون منهم كانت تقتلع أعينهم من محاجرها. وعندما كانت تخر منهم ضحية صريعة كانوا يقطعونها إربًا إربًا. وهكذا مُزِّقَ كل هؤلاء المجرمين بهذه الصورة البشعة، ولا غرابة في ذلك؛ فإن قسوة المصريين عند إثارة حفيظتهم وغضبهم كانت فظيعة إلى درجة الوحشية، وخلال تلك المذبحة الدامية قامت طائفة النسوة اللائي كن الصديقات المخلصات للملكة «أرسنوي الثالثة» وقصدن بيت «فيلامون» الذي كان له ضلع كبير في تدبير مؤامرة قتل الملكة، وكان وقتئذ قد أعلن وصوله من «سيريني» إلى الإسكندرية منذ ثلاثة أيام، ومن ثم أسرعن إلى بيته وهجمن عليه وقتلنه رجمًا بالحجارة وضربًا بالعصي، ثم قضين على ابنه الذي كان لا يزال طفلًا غيظًا وحنقًا عليه، وأخيرًا جرت امرأة «فيلامون» عارية الجسد إلى قارعة الطريق حيث ذُبحت. وهكذا كانت نهاية «أجاتوكليس» وأخته «أجاتوكليا» وأمهما «أونانتا»، وكل الأسرة، ومن كان في ركابها من المجرمين «عام ٢٠٢ق.م».[٣]

ومما سبق نشاهد أن غضب الشعب قد طوَّح دفعة واحدة بكل أولئك الأفراد دون أن ينتظر الوصول إلى معرفة من كانت تقع عليه المسئولية من بين أولئك الأوغاد الذين كانوا ملتفين حول العرش في عهد الملك السابق.

على أننا من جهة أخرى نرى أن «تليبوليموس» الذي مجد الملكية قد أُسندت إليه الوصاية على الملك، أو بعبارة أخرى: أصبح المربي للملك الصبي «بطليموس الخامس»، وهو الذي خف بجيشه الذي كان يرابط به على الحدود في «بلوز» إلى الإسكندرية، وقد أتى ليحل محل «أجاتوكليس» بطبيعة الحال؛ لأنه كان وراء كل التدابير التي أُحكمت للقضاء على «أجاتوكليس» وأسرته.

ويحدثنا «بوليبيوس» — مؤرخ هذه الفترة ومعاصرها — أن الوصي الجديد على العرش كان لا يزال في ميعة الشباب صاحب شمم وإباء وشجاعة وإقدام، كما كان مشهودًا له بحسن القيادة، وعلى أية حال فإن منصبه الجديد كان مدعاة إلى أن ينسب إليه الملتفون حوله كل ضروب الفطنة والذكاء وينفوا في الوقت نفسه عنه كل نقيصة أو رذيلة. والواقع أن هؤلاء الذين مجدوه من إخوانه لم يفقهوا إلا فيما بعد بأنه رجل غر مخدوع بنفسه وقح منكب على الألعاب والتمتع بأجساد الغواني، ومما زاد الطين بلة

[٣] راجع: Polyb., XV, 31–83.

أنه قد برهن على أنه إداري فاشل قصير النظر في تصريف شئون الدولة؛ فقد برهنت الحوادث على أنه كان متعودًا على إفلاس خزانة الدولة؛ وذلك بأن يأخذ منها ملء يديه ليرضي أصدقاءه ومالقيه وقواده، والظاهر أن «تليبوليموس» لم يُعْطِ نفسه كل سلطة الوصي في بادئ أمره؛ فمن ذلك أنه وَكَّلَ أمر حراسة الحاشية الملكية وما يتبعها وكذلك حراسة الملك نفسه إلى «سوسيبيوس» الصغير الذي قام بعمله بكل حزم وكرامة، غير أنه بعد فترة قصيرة أخذت العلاقات تسوء بين الوصي وبين رجال البلاط الذين لم يرغبوا في الانخراط في سلك الرجال الذين كانوا يملقون «تليبوليموس» ويكيلون له الثناء جزافًا؛ ومن ثم نرى أنه في حين كان الوصي يضيع وقته في لعب الكرة والمبارزة، وإقامة الولائم مع أصدقائه، والانهماك في ميدان اللهو والخلاعة؛ نجد أن الساخطين عليه ينهالون عليه بالنقد والتقريع، ثم أخذوا في الواقع يوازنون بين خلاعته وإسرافه وبين استقامة «سوسيبيوس» ومحافظته على كرامته وحسن سمعته.

وفي خلال تلك الفترة كان «بطليموس» أخو «سوسيبيوس» قد عاد من مقدونيا حيث كان قد أرسله «أجاتوكليس» في رسالة خاصة — كما ذكرنا آنفا — وقد حاول «بطليموس» هذا إثر عودته إحداث انقلاب صغير خاص بالوصي الذي كان يقظًا، هذا مع العلم أن «بطليموس» لم يكن قد حصل على شيء ما من «فيليب الخامس» ملك مقدونيا لمساعدة مصر على عدوهما «أنتيوكوس الثالث»؛ بل نجد أنه في مدة إقامته في «بلا» عاصمة مقدونيا قد اختلط بشباب البلاط هناك، وظهر بمظهر الفخفخة والأناقة، هذا فضلًا عن أنه كان معجبًا بنفسه قبل سفره، والواقع أنه كان قد تسلط عليه الغرور بسبب المكانة التي كان قد وصل إليها بوساطة والده الوزير «سوسيبيوس» الكبير، وقد خُيل إليه أنه قد بلغ مبلغ الرجال منذ أن قام برحلته هذه إلى مقدونيا واتصل بالمقدونيين الحقيقيين، ومن ثم رأى — بعد أن عاش بينهم — أن مقدونيِّي الإسكندرية كانوا لا يزالون عبيدًا مخبولين. والواقع أن «تليبوليموس» عندما رأى ما عليه «بطليموس» من غرور وكبرياء، ذلك بالإضافة إلى المؤامرات الدنيئة التي كان يدبرها «سوسيبيوس» مع مناهضه لإقصائه عن وصاية الملك؛ أخذ في إظهار احتقاره له، غير أنه في نهاية الأمر عندما علم أن «سوسيبيوس» تآمر عليه في اجتماع سري، وأن أعداءه قد اجترءوا في غيبته على اتهامه علنًا بأنه قد أساء إدارة البلاد؛ فإن هذا المسلك حز في نفسه، ومن ثم جمع مجلس الدولة، وأعلن في خطبة ألقاها أنه إذا كان خصومه سيغتابونه ويذمونه فيما بينهم فإنه لا بد عازم على اتهامهم علنًا في مواجهتهم. وبعد خطبته الرنانة هذه أمام المجلس استرد الوصي خاتم المالية من «سوسيبيوس» وحفظه عنده، ومنذ تلك اللحظة كانت كل شئون الدولة في يديه.

هذا، ولما أصبح «تليبوليموس» دكتاتورًا على البلاد على الرغم من أنه لم يَمْضِ على ذلك طويل زمن رأى تدهور شعبيته ونهايته في أعين الذين كانوا يناصرونه ويؤازرونه ويفخر بهم.

ومما يُؤْسَفُ له جد الأسف أن هذا القائد الشجاع لم يبحث أبدًا عن الفرصة التي يمكنه بها استعراض شجاعته في ميدان القتال؛ بل تقبل بسهولة بالغة نصيبه من المصائب التي حلت بالسياسة المصرية في داخل البلاد وخارجها.

والواقع أن الحوادث كانت تجري سراعًا خارج مصر مما أدى إلى ضياع ممتلكاتها التي كانت مفخرة ملوك البطالمة، ولقد كان من السهل عليه أن يتنبأ بها، ومع ذلك فإنها قد باغتته وهو في غفلة من أمره.

ضياع ممتلكات مصر في الخارج

لم يتنبأ السفير المأفون «بطليموس» الذي عاد من مقدونيا بشيء — على ما يُظن — مما كان يدور بين «فيليب الخامس» ملك مقدونيا وبين «أنتيوكوس الثالث» ملك سوريا، ولا شك في أن «أجاتوكليس» كان يتوقع الهجوم على أملاك مصر في «سوريا الجوفاء» من قبل «أنتيوكوس» غير أنه كان يمني نفسه بالأمل الكاذب في أن يجعل ملك مقدونيا حليفًا له على ملك «سوريا»، غير أنه في خلال هذه الفترة كان كل من ملك مقدونيا وملك سوريا يطمع في مد سلطانه على حساب ممتلكات مصر؛ ومن ثم كان كل منهما يعد مصر فريسة له، وأنهما سيقسمانها فيما بينهما إذا وصلا إلى اتفاق على ذلك. وفي ذلك يحدثنا المؤرخ «بوليبيوس»[٤] بشيء من الغرابة؛ فاستمع لما يقوله: «إنه لمن المدهش أن «بطليموس الرابع» عندما كان حيًّا كان في مقدوره أن يستغني عن مساعدة «فيليب الخامس» «وأنتيوكوس الثالث»، وكانا هما من جانبيهما مستعدين لمساعدته، ولكن بعد أن حضرته الوفاة تاركًا وراءه طفلًا صغيرًا؛ فإنه كان من واجبهما أن يعملا على مساعدته للبقاء على عرش والده، غير أننا نجد أن كلًّا منهما في هذا الظرف يشجع صاحبه على الإسراع في تقسيم ممتلكات هذا الطفل فيما بينهما والقضاء على ملكه جملة، والواقع أن مثلهما في ذلك كمثل السمك الذي من نوع واحد يأكل الكبير منه الصغير.» ولا شك في أن «بوليبيوس» لم يكن مبالغًا في تمثيله هذا من حيث شره هذين العاهلين.

---

[٤] راجع: Polyb., XV, 2.

والواقع أنه كان من الصعب عليهما أن يتفاهما فيما بينهما على تقسيم مصر نفسها، ولا نزاع في أن ما كان يريده كل منهما في قرارة نفسه، وما يمكن أن يكون أساسًا لقيام محالفة حقيقية فيما بينهما هو تقسيم أملاك البطالمة خارج حدود مصر، وذلك على أساس أن يأخذ كل منهما ما كان في متناوله، وعلى هذا المبدأ كان يستولي «فيليب» على إقليم «تراقيا» الذي كان — على ما يُظن — قد بدأ يستحوذ عليه لنفسه في عام ٢٠٤ق.م، وفي عام ٢٠١ق.م استولى أسطوله على «ساموس» كما قام بغزو إقليم «كاريا». أما «أنتيوكوس» فكان مقصده الاستيلاء على «سوريا الجوفاء» و«فنيقيا»، وقيل كذلك: إن هذين العاهلين قد تعاهدا سويا على القيام بحملة بالتبادل؛ فيقوم «فيليب» مع «أنتيوكوس» بغزو مصر وقبرص من جهة، وكذلك يقوم «أنتيوكوس» «وفيليب» بحملة على سيريني «لوبيا» وجزر «سيكلاديز» و«إيونيا». غير أن هذا النبأ ليس مؤكدًا. وعلى أية حال فإن هذه الخطة قد عزيت إليهما، ولم يكن هناك في حقيقة الأمر حاجة إلى أن يساعد الواحد منهما الآخر بضم جيشهما سويًّا لتنفيذ خطتهما، فقد كان يكفي أن يسيرا في وقت واحد لملاقاة الجيوش المصرية، وهذا في الواقع ما تم.

وقد برهنت الأحوال على أن «فيليب» كان دائمًا شاكي السلاح مترقبًا دائمًا الفرص، ومن ثم كان هو السابق في الاستعداد لخوض غمار الحرب؛ فقد رأيناه منذ عام ٢٠٢ق.م ينقض على «تراقيا» دون إعلان سابق للحرب، وذلك في حين كان القراصنة الذين في خدمته — وهم الذين كان على رأسهم «ديسارق» Decearque الآتولي — قد أشعلوا النار في جزر «سيكلاديز» وأسالوا فيها الدماء، وكذلك عملوا بالمثل في المدن النهرية التي على الدردنيل Hellespont. وعلى ذلك فإن عملاء مصر لما رأوا أنها قد هجرتهم ولم تمد إليهم يد المساعدة لم يروا بدًّا من الالتجاء إلى الحلف «الآتولي» لحمايتهم، ومن ثم نجد أن «ليزيماكيا» Lysimachia و«كالسيدوين» Chalcedoine قد وكلا أمر الدفاع عنهما لقواد آتوليين.[٥] وقد كان من جراء تدخل أعداء «فيليب» الأبديين أن اشتد حنقه على هذه البلاد، وشدد عليها الخناق؛ فسقطت «ليزيماكيا» في قبضته، ثم تلتها «برينيت» Perinethe، ومن بعدها «كالسيدوين». يُضَاف إلى ذلك أن أخاه «بروسياس» قد ساعده على الاستيلاء على «سيوس» Cios، ثم إنه في عودته فتح «تاسوس» Thasos، وبذلك نقض الميثاق الذي كان قد أخذه على نفسه لأهالي «تاسوس» هذه وهو أن يمنحهم استقلالهم التام. وعلى

[٥] راجع: Polyb., XVIII, 3, 11 sqq, XV, 23, 8 sqq.

أية حال فإن هذا العاهل قد أظهر في كل أعماله سوء النية، هذا فضلًا عن أنه كان رجلًا قاسي القلب خائنًا.

وقد قام في العام التالي كما ذكرنا من قبل — ٢٠١ق.م — بتجهيز أسطول عظيم، وكان أول ما استولى عليه هو جزيرة «ساموس» التي كانت تُعد أهم الممتلكات المصرية عند ساحل آسيا الصغرى، وتدل الظواهر على أن «ساموس» قد استسلمت دون امتشاق الحسام.

وبعد ذلك نرى أن «فيليب» ولى وجهه شطر «خيوس» فجأة ظنًّا منه أنه سيستولي عليها على حين غفلة من أهلها، ولكن المدينة قاومته وطلبت النجدة من مصر، غير أن الأخيرة لم تنصفها؛ ويرجع السبب في ذلك إلى أن الدسائس في البلاط الإسكندري قد شغلت بال الحكومة. وبعد ذلك جاء دور «رودس»، وكان أهلها بعد أن احتجوا عبثًا على تعدي هذا القرصان الذي لا ضمير عنده ولا قانون يردعه عن النهب والسلب؛ بل كان فوق ذلك من ديدنه أن يبيع من يقهرهم بيع السلع، والقضاء على حريتهم، ومن ثم فإن أهالي «رودس» قد وطدوا العزم وعقدوا النية في آخر الأمر على أن يدافعوا عن مصالحهم وحريتهم بالسلاح مستعينين في ذلك بالضمير الدولي وقتئذٍ، وفي أثناء ذلك كانوا قد ضموا إلى جانبهم بالتحالف «خيوس» و«سيزيق» و«بيزنطة»، وأخيرًا «أتالوس» ملك «برجام»، وفعلًا توجه أسطولا «رودس» و«برجام» لفك حصار «خيوس».

هذا، ولما كان «فيليب» يحاول وقتئذ استرداد جزيرة «ساموس»، فإن «أتالوس» هاجمه ومعه أمير البحر الروديسي المسمى «تيو فيلسكوس» Theophelescos في المضيق الذي يكون بين «خيوس» وساحل «آسيا الصغرى» رأس «أرجينون» Argenon، وقد هُزم في هذه البقعة الأسطول المقدوني بعد أن خسر خسارة عارمة في العتاد، غير أن «أتالوس» عندما رأى نفسه قد انفصل عن سائر أسطوله اضطر إلى الالتجاء إلى «إرتراي» Erythrae.

ولما كان القائد الروديسي قد جُرح أثناء المعركة جرحًا مميتًا فإن «فيليب» لما علم بذلك ادعى لنفسه النصر في المعركة، ومن المحتمل أنه قد بقي على أثر ذلك المسيطر على ميدان المعركة، وعلى أية حال فإنه قد أخذ لنفسه بالثأر في الحال في «لادي» Lade الواقعة أمام «ميليتوس»، وليس من شك في أن الخطأ الذي ارتكبه كل من «أتالوس» والروديسيين كان انفصالهما عن بعضهما البعض. وكان لا بد إذن أن الأسطول الروديسي قد تحمل

عبء كل الصدمة في موقعة «لادي»،[٦] فقد انتصر «فيليب» في هذه البقعة، وعندما سمع أهالي «ميليتوس» بهذا النصر دب في نفوسهم الرعب، ومن ثم هبوا بفتح أبواب مدينتهم للقاهر المنتصر.

أما «فيليب» فإنه قد اكتفى بما أظهروه من ولاء له، ومن أجل ذلك لم يضع حامية من جنوده هناك، ويحدثنا المؤرخ «بوليبيوس» عن نتائج نصر المقدونيين الذي كان حاسمًا، فيقول: إنه بعد موقعة «لادي» وتقهقر الروديسيين انسحبوا من ميدان القتال كلية، وبذلك كان في مقدور «فيليب» أن يزحف على الإسكندرية دون معارض يقف في وجهه.

والواقع أن هذه الحقيقة تُعتبر برهانًا مُحَسًّا يظهر بأجلى صورة أن «فيليب» كان يسلك في تصرفاته تصرف الرجل الأحمق،[٧] ومن أجل ذلك فإنه ليس هناك ما يُحمد عليه «فيليب» من كسب نتيجة لانتصاره في هاتين الموقعتين السالفتي الذكر.

لم ينتهز «فيليب» حقًّا الفرصة التي كانت سانحة أمامه للهجوم على مصر التي كانت في الواقع لقمة سائغة أمامه؛ بل بدلًا من ذلك انقض هذا الأحمق بوحشية على بلاد «برجام» فحرق وخرب كل ما اعترضه في طريقه، غير أن كل أعماله هذه كانت عبثًا؛ لأنه لم يستطع بعد كل أعمال التخريب التي ارتكبها أن يستولي على مدينة «برجام» العاصمة، كما لم يستطع أن يجعل «أتالوس» يخرج من معقله الحصين فيها لملاقاته وجهًا لوجه. وأخيرًا عندما وجود أن المؤن قد شحت لديه ليستمر في الحصار فإنه اضطر إلى أن ينكص على عقبيه خائبًا مخذولًا، وبعد ذلك نراه يزحف على إقليم «كاريا» مشيعًا فيه الدمار والنهب قاصدًا خرابه لإطعام جيشه الذي كان في مسغبة، ومن ثم كان يعيش عيشة الذئاب، وقد تقدم في زحفه على هذا المنوال حتى وصل إلى «بيري» Perée «وكرسونيز» Chresonese الروديسية.[٨]

وعلى أية حال كانت خسارة مصر عظيمة؛ إذ لم يبق تحت سلطانها في تلك اللحظة من كل أملاكها في «آسيا الصغرى» إلا «أفيسوس» Ephesus ومع ذلك فإن «فيليب» لم يكن أخطر أعداء مصر؛ وذلك لأنه لما أخذ في مهاجمة كل العالم في وقت واحد، فإنه أثار

[٦] راجع: Polyb., XVI, 15, 6 cf Hanssouiliier Milet pp. 140, 140.

[٧] راجع: Polyb., XVI, 1a; T Livy, XXXI, 14.

[٨] راجع: Polyb., XVI, 24, 4.

حول تصرفاته ضجة من الغضب والسخط عليه وصلت أصداؤها في نهاية الأمر بسرعة إلى «روما».

والظاهر أن «أتالوس» ملك «برجام» كان قد رأى وقتئذ أن من واجبه أن يستنجد بالرومان حلفائه منذ عشرة أعوام مضت، ولكن مما يؤسف له أنه في الوقت نفسه قد قبل التحالف مع الروديسيين الذين كانوا لا يميلون إلى تدخل الجمهورية الرومانية في شئونهم، وعلى أية حال وجدنا أن المفوضين الروديسيين قد انضموا إلى مفوضي «برجام» ليذهبوا سويًّا إلى مجلس الشيوخ الروماني ليستنكروا أعمال «فيليب» العدوانية في بلاد آسيا الصغرى. هذا وقد تقابل رجال الوفدين في «روما» مع وفدين آخرين؛ أحدهما «أثيني» والآخر «آتولي»، وكانا يحملان من جانبهم شكاياتهم من «فيليب»، وكان الأثينيون قد أوغروا صدر الأكارمانيين Acarmanian مما جعلهم يغزون بلادهم بسبب حادث سخيف، يتلخص في أنه عند احتفال الإغريق بعيد الشعائر العظيم — سبتمبر عام ٢٠١ق.م — قتل الإغريق شابين من الأكارمانيين الذين لم يكونوا يعرفون القواعد الدينية الإغريقية لهذا العيد، ومن ثم فإنهم اقتحموا معبد «إليوسيس» Eleusis — الخاص بالإلهة «ديميتر» — دون أن يدربوا على أصوله، وعلى أثر ذلك طلب «الأكارمانيون» إلى الملك «فيليب» أن يساعدهم على الأخذ بالثأر لمواطنيهما. وفي تلك الفترة كانت الفرصة مواتية لدى الرومان ليطالبوا المقدونيين الحساب على تحزبهم لجانب «هنيبال» أثناء حروبهم معه، والواقع أن «روما» في تلك الفترة لم تكن تنظر إلى أن أخطر العدوين المتحالفين على مصر هو أكثرهما توحشًا وقسوة؛ بل كان الذي أكثرهما مناوأة لها، وفي تلك اللحظة أخذت حكومة الإسكندرية تشعر بأنها قد أصبحت في أمان بسبب العاصفة التي كانت تهب متجمعة على رأس «فيليب» من كل الجهات، ومن أجل ذلك لم يكن أمامها إلا أن تترك الأمور تجري في أعنتها.

استيلاء «أنتيوكوس» على سوريا الجوفاء

على أن الخطر الذي كان يهدد مصر لم يكن قاصرًا على «فيليب»، بل كان هناك في تلك الفترة رعب — يفوق حد الوصف — يسود الإسكندرية التي كانت حكومتها غير كفء لمقابلة الأحداث والمخاطر التي كانت تهدد كيان الدولة المصرية، مما أدى إلى جعل «أنتيوكوس» في حل ليتصرف فيها كما يريد، وفعلًا نجده قد انتهز فرصة وقوع حليفه «فيليب» وأهل «رودس» في قبضة الرومانيين وغزا «سوريا الجوفاء» — عام ٢٠١ق.م،

والظاهر أن هذه الحملة التي قام بها أولًا «أنتيوكوس» كانت سهلة ميسورة إذ كانت تعتبر بالنسبة له مجرد نزهة حربية؛ لأنه لم يصادف خلالها أية مقاومة جدية إلا في مدينة «غزة»، وقد حدثنا «بوليبيوس» عن مقاومة هذه المدينة قائلًا: إنها المدينة الفلسطينية[٩] التي حافظت على ولائها «لبطليموس»، ومعنى ذلك أن أهل المدينة لم يكونوا راغبين في تغيير الحماية المصرية ليحلوا مكانها السيطرة السليوكية التي كانت في نظرهم أقل صلاحية من الحكم المصري.

ومن أجل ذلك تحملوا بصبر أعباء حصار طويل، غير أنهم عندما رأوا في نهاية الأمر عدم وصول أي مدد من مصر سلموا المدينة، وبتسليم «غزة» قد أصبح «أنتيوكوس» على مقربة من تخوم مصر، ومما لا ريب فيه أنه لولا حماقة «فيليب» وطيشه وتخبطه في حروب لا فائدة من ورائها؛ لكان في تلك الفترة في مقدوره أن يظهر في الحال بأسطوله أمام الإسكندرية أو «سيريني»، وقد لاحظ «بوليبيوس» تخبط «فيليب» فأظهر أسفه على ما ارتكبه من أخطاء، وعلى أية حال فإن الضربة التي أصابت مصر في «سوريا الجوفاء» كانت أكثر خطورة مما كان متوقعًا، والواقع أن الموقف في مصر أقض مضجع الرومان أنفسهم، وبخاصة عندما رأوا خمول حكومة «بطليموس الخامس».

والظاهر أنه كانت هناك حالة غريبة تدعو إلى الشك والريبة وهي وجود خيانة في الأوساط الحكومية العليا في مصر، على أن ما أوجب دهشة الرومان وقتئذ هو أن رجال بلاط «بطليموس الخامس» لم يطلبوا إلى الرومان مد يد المساعدة، ومن أجل ذلك يدعي المؤرخ «جوستن»[١٠] أنه على إثر موت «أجاتوكليس» توسل المصريون إلى الرومان لتعيين مربيين يكونان حاميين للملك الصغير، غير أنه لم يوجد ما يدل على ذلك فيما لدينا من وثائق، وعلى أية حال لم ير مجلس الشيوخ الروماني بدًّا من أن يقف على مجريات الأمور في الإسكندرية في تلك الفترة، وقد انتهز مجلس الشيوخ أول فرصة لتنفيذ غرضه، وفعلًا واتت الفرصة عندما سافر بعث «روماني» إلى الإسكندرية حوالي عام ٢٠١ق.م، وكان يتألف من «كلوديوس نيرو» Claudius Nero و«أميليوس لبيدوس» Aemilius Lepidus و«سمبرونيوس تديتانوس» Sempromius Tuditanus، وكانت رسالتهم تنحصر في إعلان الملك «بطليموس الخامس» بهزيمة «هنيبال» و«القرطاجينين»

[٩] راجع: Poylb., XVI, 40, 6; cf. Strak Gaza p. 400 sqq.

[١٠] راجع: Justin XXX, 28.

وشكره على إخلاصه وحسن علاقاته، ويأملون في أن يبقى على محبته للشعب الروماني، تلك المحبة التي حافظ عليها منذ زمن طويل، وبخاصة أن الرومان رأوا أنفسهم وقد تخلى عنهم حتى جيرانهم الأقربين، وأنهم إذا اضطرتهم الأحوال فإنهم سيعلنون الحرب على «فيليب».[١١]

وكانت مصر في تلك الفترة — كما نعلم — مهددة من ناحيتين فقد هاجمها أخيرًا «أنتيوكوس» واستولى على «سوريا الجوفاء»، وتدل الأحوال على أن رجال السياسة في روما وقتئذ كانوا يتحاشون مقابلة «أنتيوكوس» بالقوة أو بالتهديد؛ وذلك لأنهم كانوا قد وطدوا العزم على هزيمة «فيليب» أولًا؛ لأنهم لم يكونوا يريدون منازلة عدوين في وقت واحد، ومن أجل ذلك تصنعوا مصادقة «أنتيوكوس» بل أكثر من ذلك اعتبروه حليفًا لهم. وعلى أية حال لو فرضنا أن «أنتيوكوس» قد وصل إليه تنبيه ودي بألا يهاجم مصر، فإنه قد أخذ ذلك على معنى أن منعه من الاستيلاء على الممتلكات المصرية لم يكن إلا أمر صوري، ومن أجل ذلك لم يُعِرْ هذا التنبيه أي التفات.

وفي معمعة هذه الأحداث الصاخبة رأى الشعب المصري أنه قد أُسيء إليه في وطنيته بما أحرزه هذان الملكان من انتصارات سهلة أدت إلى ضياع الممتلكات المصرية في الخارج، ومن أجل ذلك شعر المصريون بالخجل والعار، وبخاصة عندما أحسوا أن الرومان يراقبونهم عن كثب، وعندئذ فقط ظهر للشعب أنه — دون ريب — قد وضع ثقته في غير موضعها مدة طويلة في «تليبوليموس» محبوبه القديم الذي تكشف عن بلادة وسوء تدبير. وقد انتهز أعداء هذا الرجل غضب الشعب عليه، واستعملوه سلاحًا لعزله، وتعيين وصاية جديدة مؤلفة من شخصيتين وهما «أريستومين»[١٢] قائد الحرس الملكي و«سكوبوس» رئيس القرصان الأتولي المنبت، وعلى الرغم من أن الشعب كان يعرف أن «أريستومين» من بين الأفراد الذين رقاهم «أجاتوكليس» منذ زمن طويل، وكذلك كان عالمًا بما كان يرتكبه «سكوبوس» من أعمال الشره والقحة؛ فإن أحوال البلاد وما آلت إليه من تدهور قد اقتضت وجود إداري ماهر وقائد نشط لتولي شئونها، مما أدى إلى عزل «تليبوليموس» الذي برهن على أنه لم يكن يُحسن الإدارة، ولا يمتاز بالمهارة في القيادة.

[١١] راجع: Livy, XXXI, 2.

[١٢] راجع: Polyb., XV, 31. 7–8.

والظاهر أن «سكوبوس» كان رجلًا من أولئك الذين يرضون عن طيب خاطر أن يشاطروا من حولهم ممن يثقون فيهم نفس الثقة التي كانوا يجدونها في أنفسهم. وفي الحق فإنه قد سارع في تحقيق ما كان الشعب يأمله فيه؛ إذ هم بعمل استعدادات وتجهيزات خطيرة لإعادة فتح «سوريا الجوفاء» من مخالب «أنتيوكوس الثالث»، وذلك دون أن ينتظر أي ارتباطات سياسية، وبخاصة أنه لم يترك مجالًا للرومان إلى الظن بأن «بطليموس الخامس» كان يعتبر تحت رعايتهم أو وصايتهم، ومن المحتمل أنه في هذه الآونة قام ضباط الحرس الملكي البطلمي بمظاهرة برهنوا فيها على ولائهم وحبهم لـ «بطليموس الخامس» «أبيفانس» — الظاهر.

ومن الغريب المدهش أنه في تلك الآونة نجد أن الأثينيين الذين كانوا منذ زمن بعيد يلجئون إلى ملوك البطالمة عندما تحل بهم كارثة قد سعى وفد منهم إلى الإسكندرية لطلب النجدة عندما رأوا عين الغدر والخيانة من «فيليب الخامس» ملك مقدونيا، ولم يطلبوا تلك المساعدة من «روما» التي كانت وقتئذ صاحبة جاه وبطش وسلطان، وذلك في فترة لم يكن في مقدور مصر أن تحمي ممتلكاتها، ومع ذلك نجد أنه في أوائل عام ٢٠٠ق.م ذهب سفير مصري إلى «روما» ليعلن الحكومة الرومانية أن الأثينيين قد طلبوا النجدة من مصر لحمايتهم من إغارة «فيليب» عليهم، ولما كانت «أثينا» حليفة «بطليموس» وكان عليه أن يمد لها يد المساعدة فإنه مع ذلك لم يكن في مقدوره أن يرسل إليها أسطولًا أو جيشًا لحمايتها والدفاع عنها دون موافقة الرومان، وعلى ذلك كان عليه إما أن يبقى هادئًا في مملكته إذا كانت الحكومة الرومانية يحلو لها أن تحمي حلفاءها بنفسها، أو يترك الرومان وشأنهم ويرسل نجدة لحماية الأثينيين من هجمات «فيليب»، ولكن عندما يفكر الإنسان في أن مصر في تلك الفترة لم يكن لها أسطول ولا جيش؛ فإنه يفهم في الحال أن رسالة مصر إلى روما بهذا الصدد لم تكن إلا مجرد كلام أجوف فاه به «سكوبوس» وصاغه «أريستومنيس» في قالب سياسي براقٍ أخاذ، وعلى أية حالة يفهم من منطوق ألفاظ الرسالة التي أرسلتها مصر إلى «روما» من قبل «بطليموس الخامس» أنها ملق سافر، غير أن الإنسان في مقدوره أن يتبين من بين سطورها أن مصر أرادت بهذه الرسالة أن تعامل الرومان على قدم المساواة في الشئون السياسية الخارجية، وأنها من ناحية أخرى لم ترتبك عندما يطلب إليها الضعفاء أن تحميهم.

وقد أجاب مجلس شيوخ روما بنفس النغمة التي تدل على الود والمصافاة قائلًا بأنه مكلف بحماية حلفائه، ثم قدمت للسفراء الذين حملوا هذه الرسالة الهدايا.

ولقد كان الغرض الذي يرمي إليه «سكوبوس» في تلك الفترة هو أن يضرب الضربة التي كان يفكر فيها واستولت على مشاعره إرضاء للشعب المصري، وهي إعادة «سوريا الجوفاء» إلى الحكم المصري، ومن أجل ذلك أخذ في جمع القوات اللازمة لتنفيذ خطته. هذا، ولا نعرف إذا كان قد أفلح في إنهاء المأمورية التي كان قد كلفه بها «أجاتوكليس» منذ ثلاثة أعوام مضت أم أخفق فيها، وهي تجنيد جيش مرتزق. فقد حدثنا «بوليبيوس» عن «سكوبوس» فوصفه بأنه كان شرهًا لدرجة لا حد لها، وأنه لا يتنفس إلا من أجل الذهب، ولذلك فإنه كان على استعداد ليستولي لنفسه على المبالغ التي كانت مخصصة لتجنيد المرتزقة، وبخاصة عندما رأى أن «أجاتوكليس» لم يكن هناك لتقديم الحساب له. غير أنه في هذه الحالة كانت مصلحته في أن يقوم بمهمته بأمانة وجد، وفعلًا أرسله الملك «بطليموس» من الإسكندرية ومعه مبلغ عظيم من المال إلى بلاده «آتولي» ليحضر معه إلى مصر ستة آلاف جنديٍّ من الرجالة وخمسمائة من الفرسان المرتزقين.[١٣]

وعلى أية حال مكثت الاستعدادات للحرب مدة طويلة، ومن المحتمل أنها استغرقت عام ٢٠٠ق.م، ولحسن الحظ كان هذا التأخير في الاستعدادات من مصلحته؛ وذلك لأن «أنتيوكوس» بما فطر عليه من ادعاء وقصر نظر ظن أنه فتحه لمصر كان أمرًا مضمونًا، ومن ثم رأى أنه لا بد أن يقوم بفتوح أخرى في «آسيا الصغرى» مكتفيًا بما حصل عليه في سوريا، ولكنه مع ذلك أخذ يرقب سير الأحوال على مضضٍ في حيرة من موقفه؛ فكانت الأوهام تنتابه في كل لحظة فيما يتعلق بالحروب التي كانت دائرة رحاها بين «فيليب» ملك مقدونيا من جهة، وبين الرومان «وأتالوس» والروديسيين والبيزنطيين وحتى الأثينيين من جهة أخرى.[١٤] هذا، ولما كان «أتالوس» يحارب في بلاد الإغريق فإنه ترك بلاده بدون جيش فيها ليدافع عنها، ومن ثم كانت الفرصة أمام «أنتيوكوس» مغرية جدًّا؛ إذ وجد فيها سببًا مربحًا يمكن به أن يساعد حليفه دون أن يخلصه مما هو فيه، على أنه في الوقت الذي كان يعمل فيه على اقتناص فريسة كان لا بد من استردادها على أية حال في فرصة قريبة على يد الرومان، كان «سكوبوس» قد سار على رأس جيش إلى بلاد سوريا الجوفاء، واستولى عليها ثانية لمصر، ولما كانت هذه البلاد قد تعودت تقلب الحكام عليها؛ فإن المدن السورية قد استسلمت بسهولة لحكم الفاتح الجديد، وحتى اليهود الذين كانوا

[١٣] راجع: B. L. I. p. 359–60.

[١٤] راجع: CT. Les décrete anthénies CIA II, 418–41.

يتشدقون بولائهم «لأنتيوكوس» فإنهم لم يظهروا أية مقاومة أمام جيش «سكوبوس». وقد وضع المصريون حامية في بيت المقدس،[١٥] وبعد ذلك عاد «سكوبوس» إلى مصر ومعه بعض رؤساء اليهود، وفي الواقع أن الأحوال كانت تجري في صالح القائد المصري عن طريق الصدفة لا بذكائه وفطنته وإلا لفقد سمعته؛ لأنه حاصر موقعًا هناك كان الدفاع عنه ضئيلًا، يضاف إلى ذلك أنه لم يصل إلى بلاد اليهود إلا في فصل الشتاء — حوالي عام ١٩٩–١٩٨ق.م — ومن المحتمل أنه قد حاول الاستيلاء على بعض مدن فنيقيا، كان من السهل الدفاع عنها أمام محاصر ليس لديه أسطول.

وعلى أية حال فإن أي فخر قد أحرزه «سكوبوس» بانتصاراته هذه لم يكن إلا مجرد سراب خداع، وذلك لأنه عندما وصلت أخبار انتصارات «سكوبوس» في سوريا الجوفاء إلى «أنتيوكوس» قفل راجعًا إلى ميدان الحرب، فاخترق جبال «توروس»، وسار لملاقاة عدوه عام ١٩٨ق.م. وفعلًا تقابل الجيشان في «يانيون» وهي التي سميت بهذا الاسم نسبة إلى محارب سامي، وتقع بالقرب من منبع نهر الأردن وهو الذي وحده الإغريق باسم إلههم «بان» — إله الغابات والحقول. وهناك وقعت واقعة دامية، كان فيها «أنتيوكوس» — بكر الملك «أنتيوكوس الثالث» — على رأس الفرسان والفيلة التي كانت تسبق المشاة، وقد أحدث «أنتيوكوس» هذا ثغرة ضخمة في صفوف الجيش المصري. ولما تحقق «سكوبوس» من الهزيمة المؤكدة — التي مُنِيَ بها — ولى الأدبار بفلول جيشه إلى مدينة «صيدا» حيث لحقه جيش في الحال يتألف من عشرة آلاف مقاتل وحاصروه في تلك المدينة، وعلى الرغم من أن مصر قد أرسلت نجدة يقودها أحسن كبار القواد المصريين نخص بالذكر منهم «أروبوس» Aeropos و«منوكليس» Menocles و«دامو كسينوس» Damoxenos فإنه لم يكن في استطاعتهم اختراق الحصار، وقد انتهى هذا الحصار بأن هزم الجوع «سكوباس» فسلم المدينة، ثم سمح له هو وصحبه بالخروج منها دون جيش، أما المؤرخ «بوليبيوس»[١٦] فقد تحدث عن العمليات التي حدثت خلال حصار «صيدا». فاستمع لما يقوله: وعلى أثر هزيمة «سكوبوس» على يد «أنتيوكوس الثالث» فإن الأخير استولى على «باتاني» Batanee و«سماريا» و«أبيلا» Abila و«جاردا» Garda، وبعد فترة وجيزة سلم له اليهود الذين كانوا يسكنون حول المعبد المسمى «هيروسوليما» Hierosolyma، ولم يكن

---

[١٥] راجع: Joseph, A. Jud. XLI, 3, 3.

[١٦] راجع: Herronym., In Dan. XI, 15–16.

يعترض «أنتيوكوس» في أعماله الحربية إلا الحامية الصغيرة التي تركها «سكوبوس» في قلعة المدينة، وقد ساعده اليهود أنفسهم على الاستيلاء عليها، وهكذا يشاهد أن «سوريا الجوفاء» و«فنيقيا» وفلسطين قد عادت ثانية إلى حكم «أنتيوكوس»، بعد أن طُردت منها مصر، وكان طرد مصر من هذه البلاد أبديًّا، والظاهر أنه بعد هذه الحروب الطاحنة قد أبرمت اتفاقية مؤقتة بين حكومة «أنطاكية» وحكومة «الإسكندرية» انتهت — على ما يقال — بحلف أسري بين البلدين، ومهما يكن من أمر فإن «أنتيوكوس الثالث» قد أصبح بعد هذا النصر حرًّا في أن يضم إلى إمبراطوريته كل ما كانت تملكه البطالمة في آسيا الصغرى وحتى في «تراقيا» دون تمييز بين ما كان قد استولى عليه حليفه «فيليب» المقدوني، بخاصة عندما نعلم أن «فيليب الخامس» منذ نهاية عام ١٩٨ق.م رأى نفسه محاطًا بأعدائه، ومن ثم طلب تخفيف وطأة هذا العبء عليه، وهو الذي كان سيبلغ ذروته في «سينو سيفال» في ربيع ١٩٧ق.م.[١٧]

أما ما كان من أمر «سكوبوس» الذي كان يعشق الفخار ويحب المال حبًّا جمًّا بكل ما لديه من قوة وبأس — فإنه عاد إلى الإسكندرية والغيظ يملأ صدره، حتى إنه — على ما يُحتمل — أخذ يكيل السباب والشتائم والتوبيخ أينما حل، واتخذ منذ تلك اللحظة موقفًا عدائيًّا من الوصي على العرش «أريستومنيس»، والواقع أنه بعد أن أحس بمرارة ما مُني به من ضعف وهزيمة منكرة لم يجد لنفسه منقذًا من موقفه المشين هذا إلا القيام بمؤامرةٍ يصل بها إلى غايته المنشودة، وذلك أنه كان يعمد إلى القيام بانقلاب كالذي كان يأمل «كليومنيس» الإسبرتي القيام به، وهو الذي — كما ذكرنا من قبل — قد انتهى بالفشل الذريع (مصر القديمة الجزء ١٥). والواقع أنه كان يلتف حوله مواطنون مخلصون له كأولئك الذين كانوا يناصرون «كليومنيس»، غير أن «أريستومنيس» الوصي كان يقظًا متنبهًا للمكيدة التي كان يدبرها له مناهضه، ومن أجل ذلك نجد أنه عمل على التخلص منه، ولكن عن طريق العدالة لا عن طريق الغدر والخيانة، وقد حدثنا «بوليبيوس» عن هذه المؤامرة التي انتهت بإعدام «سكوبوس» وصحبه فاستمع إليه:[١٨]
هناك جم غفير من الذين يستميتون في طلب القيام بأعمال البطولة والإقدام والشهرة، غير أن القليل منهم ينالها، ومع ذلك فإن «سكوبوس» كان لديه من الموارد تحت تصرفه

---

[١٧] راجع: B. L. I. p. 362; Liv., XXXIII, 19.

[١٨] راجع: Polyb., XVIII, 53 sqq.

لمواجهة الخطر والعمل بجسارة أحسن مما كان لدى «كليومنيس»؛ وذلك لأن الأخير لم يكن ينتظر المساعدة إلا من خدمه وأصدقائه، ومع ذلك فإنه بدلًا من ترك بارقة الأمل الهزيلة التي كانت أمامه قام بكل ما كان في قدرته من جهد مفضلًا موتًا شريفًا عن حياة خسيسة حقيرة، في حين أن «سكوبوس» كان على العكس من ذلك؛ ففي ركابه جم غفير من المؤازرين له.

هذ بالإضافة إلى أنه كان لديه فرصة سانحة وهي أن الملك كان لا يزال طفلًا؛ ومع ذلك نجده قد أُخذ على غرة وهو لا يزال يؤجل ويدبر مؤامرته التي كان يزعم القيام بها، وعندما كشف «أريستومنيس» أنه كان معتادًا على جمع أصحابه في بيته وعقد جلسات معهم، أرسل بعض الضباط في طلبه للحضور أمام المجلس الملكي. غير أن «سكوبوس» عندما رأى ذلك فقد صوابه، ومن ثم لم يعد في مقدوره تنفيذ مؤامرته؛ بل وأنكى من ذلك وأقبح من كل شيء كان رفضه المثول أمام الملك. والواقع أن «أريستومنيس» لما أحس بارتباكه حاصر بيته بالجنود والفيلة، وبعد ذلك أرسل «بطليموس بن أمنيس» مع بعض جنود ومعهم الأوامر بإحضاره، وقد جاء فيها أنه إذا كان «سكوبوس» على استعداد لإطاعة الأوامر فإن هذه هي الطريقة المثلى، ولكن إذا عصى الأوامر فعلى الجنود إحضاره بالقوة. وعندما اتخذ «بطليموس» سبيله إلى بيت «سكوبوس» وأعلنه بأن الملك يطلبه، فإنه لم يُعِرْ أذنًا لما طلب إليه، وكان كل ما فعله أن حملق في وجه «بطليموس» مدةً طويلة كأنه كان يرغب في تهديده مندهشًا من جرأته، ولكن عندما اقترب منه «بطليموس» وأخذ بتلابيب عباءته بعنف طلب «سكوبوس» من الحاضرين الأخذ بناصره، ولكن لما كان عدد الجنود الذين كانوا قد اقتحموا بيت «سكوبوس» عظيمًا، وأنه كما أخبره بعضهم كان محاصرًا من الخارج فلم يَرَ عندئذ بدًّا من التسليم، وتبع «بطليموس» وبرفقته أصحابه وشركاؤه في المؤامرة، وعندما دخل قاعة المجلس اتهمه الملك أولًا في كلمات موجزة، ثم تبعه «بوليكرتيس» Polycrutes الذي كان قد حضر مؤخرًا من «قبرص»، وأخيرًا اتهمه «أريستومنيس»، والاتهامات التي وُجهت إليه كانت كلها مشابهة للتي ذُكرت توًّا، وفضلًا عن ذلك ذكر المتهِمون اجتماعاته مع أصحابه ورفضه إطاعة أوامر الملك؛ ومن ثَمَّ فإنه قد أدين لأسباب مختلفة لا من قبل المجلس وحسب؛ بل أدانه أولئك السفراء الأجانب الذين كانوا حاضرين المجلس.

يضاف إلى ذلك أن «أريستومنيس» عندما أخذ يتهمه كان قد أحضر معه فضلًا عن ذلك رجالًا كثيرين من أصحاب المكانة في بلاد الإغريق وهم الرسل الأتوليين الذين كانوا

قد حضروا لعقد صلح، وكان من بينهم «دوريماكوس» Dorimachos وهو قائد قديم للحلف الآتولي.

وعندما انتهت كلمات الذين اتهموا «سكوبوس» قام الأخير بدوره وتكلم مدافعًا عن نفسه، وقد حاول أن يقدم بعض دفاعٍ عن نفسه، غير أنه لما وجد أنه لم يُعِرْهُ أحد أذنًا صاغية سكت، ثم سِيق إلى السجن مع رفاقه، وعندما أسدل الظلام خيوطه أمر «أريستومنيس» بقتل «سكوبوس» وكل رفاقه بتجرع السم، وقد استثنى من بينهم «ديكاركوس» Dicaearchus فقد عذبه ضربًا بالسياط، وبذلك نال ما كان يستحق من عذاب أليم قبل موته، «وديكاركوس» هذا هو الرجل الذي كان قد عينه «فيليب الخامس» عندما قرر الهجوم على جزر «سيكلاديز» غدرًا، وكذلك المدن التي على الدردنيل؛ ليكون قائدًا للأسطول وللحملة كلها.

وقد نفذ هذا القائد مأموريته هذه بطريقة جعلت كل الإغريق يصبون جام غضبهم وحنقهم عليه، وقد اعتبر موته بهذه الصورة من عمل العدالة الإلهية.

وبعد أن انتهى «أريستومنيس» من إعدام هؤلاء المجرمين أعاد الجنود الآتوليين أو تركهم يعودون إلى بلادهم، وهؤلاء الجنود هم الذين كان يعتمد عليهم «سكوبوس».

ومن ثم خيم الهدوء والسلام على ربوع الإسكندرية، وقد دلت الإحصاءات التي عُملت لحصر ثروة «سكوبوس» التي جمعها مدة حياته على أنه لم يكن رجلًا متآمرًا وحسب؛ بل أثبتت على أنه كان لصًّا تآمر على إفلاس خزينة الدولة بالاشتراك مع مساعده «كاريمورتوس» Charimortos الذي كان مشهورًا بوحشيته ومعاقرته بنت الحان،[١٩] ولا نزاع في أن «كاريمورتوس» هذا هو الذي كان مشهورًا بصيد الفيلة في نهاية عصر «بطليموس فيلوباتور».

حفل تتويج بطليموس الخامس أبيفانس على عرش الفراعنة

بعد أن خرج «أريستومنيس» من بين أنياب المؤامرة التي حِيكت له، وضرب ضربته الأخيرة القاضية، وأصبح الجو صافيًا أمامه، وجد أنه من الخير والحكمة أن يسارع إلى إعلان بلوغ الملك سن الرشد، وذلك بقصد أن يخلص الملك علنًا من هذه الوصاية التي

[١٩] راجع: Polyb., XVIII, 37–38.

كان الرومان — على ما يظهر — يدعون القيام بها على «بطليموس» بصورة ما. هذا، ولم يكن «بوليكرانيس» آخر من نصح باتخاذ هذا الإجراء؛ وذلك لأنه هو الآخر كانت له آراؤه التي لم تكن نفس آراء رئيس الوزراء؛ إذ كان بدوره يريد أن يستحوذ على الملك بطريقة أخرى. وفعلًا احتُفِل بإعلان بلوغ الملك سن الرشد على الطريقة الهيلانية في الإسكندرية، وذلك بإقامة حفل يليق بعظمة الدولة وسلطانها،[٢٠] وكذلك احتُفِل بتتويج الملك على حسب الشعائر المصرية الفرعونية، وقد أقيم هذا الحفل في منف بعد ذلك مباشرة، مما جمع حول الملك قلوب الشعب المصري الأصيل، وهذه هي المرة الأولى التي نجد فيها ملكًا من ملوك البطالمة يتوج نفسه على الطريقة المصرية في «منف».

والواقع أن هذا العمل الهام لم يَأْتِ عفو الخاطر؛ بل جاء عن قصد وتدبير وتجارب مرت على ملوك البطالمة جعلت «بطليموس الخامس» يسلك هذه الطريق السوي، ولا نزاع في أن من يتتبع خطوات تاريخ البطالمة في مصر منذ البداية يتضح له أنه حتى عهد «بطليموس الخامس» كانت سياستهم في حكم البلاد تنطوي في الخفاء على جعل رجال الدين دائمًا متكلين على العرش، كما أنهم في الوقت نفسه كانوا يحكمون الشعب حكم القاهر للمقهور، غير أن البطالمة على مر الأيام رأوا أنهم في نهاية الأمر في حاجة ماسة لمساعدة رجال الدين الذين كانوا هم في الواقع الممثلين الحقيقيين لكل طبقات الشعب، وأنهم هم المسيطرون على عقول أفراد الشعب وضمائرهم، والظاهر أن تطور الأحوال في عهد «بطليموس الخامس» كان دقيقًا؛ ويرجع السبب في ذلك إلى أن مصر كانت قد فقدت أملاكها في الخارج، كما كانت نار الفتنة مشتعلة في داخلها، وذلك بسبب استيقاظ الشعور الوطني في البلاد؛ مما أدى إلى قيام تطاحن بين الوطنيين المصريين الأصليين وبين أسرة البطالمة التي كانت تعتبر أجنبية في نظر المصريين، ومن ثم ابتدأت هذه اليقظة القومية أو بعبارة أخرى الثورة المصرية في عهد «بطليموس الرابع» وذلك على أثر موقعة «رفح» التي انتصر فيها الجنود المصريون على «أنتيوكوس» ملك سوريا، وعلى ذلك شعر المصريون بعزتهم القومية.

وقد كانت هذه الثورات التي تتألف فيما بعد والتي سنشرحها بالتفصيل في حينها في بادئ الأمر قاصرة على الوجه البحري، ولكن منذ العام الأول من حكم

[٢٠] راجع: Polyb., XIII, 38 (55D).

«بطليموس الخامس» — وهو الذي أُطلق عليه منذ بلوغه سن الرشد لقب «تيوس أبيفانس»؛ أي: مظهر الإله. وقد أُضيف إليه كذلك لقب آخر وهو «أيوكاريستوس»؛ أي: السموح أو الغفور — عام ٢٠٤ق.م أرسلت جنود من «طيبة» إلى «كوم أمبو» بمصر العليا عند امتداد الثورة إلى هذا القطر في عهد «أبيفانس»، وفي هذه اللحظة تحدثنا الوثائق الديموطيقية عن ظهور بطلين مصريين الواحد تلو الآخر حمل كل منهما الألقاب الفرعونية وهما «حرمخيس» — حور. إم-أخت — و«عنخمخيس»، وقد أسس أولهما مملكة في إقليم «طيبة» وخلفه على عرشها الثاني بعد مماته، وعلى أية حال يقول بعض المؤرخين الذين يريدون أن يحقروا من شأن هذه الثورة العارمة إنهما كانا ملكين صغيرين كان من الممكن أنهما ضايقا ملوك البطالمة ولكنهما لم يستقلا بالوجه القبلي، غير أن فريقًا آخر من المؤرخين يقول عن هذين الملكين إنهما من أصل نوبي قد أغار أولهما على الحدود المصرية[٢١] كما فعل من قبلهم «بيعنخي» حوالي عام ٧٥٠ق.م.

وتدل شواهد الأحوال على أنه كانت توجد علاقات سرية بين هذين الملكين وبين رجال الدين في «طيبة»، وكانت نار الحقد قد أخذت تشتعل في صدور رجال الدين، وكذلك كرههم البالغ لملوك البطالمة لتفضيلهم رجال الدين في منف عليهم. ولما كان ثوار بلاد الدلتا تحميهم طبيعة بلادهم بما فيها من مستنقعات وأدغال؛ فإن خطرهم إذا ما قورن بخطر ثوار رجال الوجه القبلي لوجد أنه كان أشد وأكثر خطورة، وقد كان لا بد من قيام حصار منظم للاستيلاء على «ليكوبوليس» من أيديهم (في المقاطعة ٩ من مقاطعات الوجه البحري — راجع أقسام مصر الجغرافية في العهد الفرعوني ص٧٨)، وكانت معسكرهم العام.

وقد احتمى الثوار خلف جدران هذه المدينة فحاصرهم الجيش البطلمي.

والظاهر أن الملك كان حاضرًا مع جنوده أثناء هذا الحصار. وفي عام ١٩٧ق.م كان النيل عاليًا أكثر من المعتاد مما هدد بإغراق المباني الخاصة بالحصار الذي أقيم حول البلدة، وهو الذي أقيم لإجبار جنود الملك على التراجع وتخفيف وطأة الحصار، هذا ولمنع المياه عن المحاصرين سَدَّ جنود الملك الترع التي كانت تروي الجهات المجاورة لبلدة «ليكوبوليس» وحولوا الماء إلى جهة أخرى، ولما رأى المحاصَرون أنهم في ضيق شديد سلموا

---

[٢١] راجع: J. Krall Stnd Z. Gesch, d. Alt., Aegypt II, 3., [S B.d. Wien Ak. 188–4] p. 369, 2.

أنفسهم لرحمة الملك، غير أن الأخير كما يقول «بوليبيوس» عاملهم بقسوة بالغة، ومن ثم كان ذلك وبالًا عليه، ويحدثنا المرسوم الذين نُقش على حجر رشيد عن ماهية هذه المعاملة الشنيعة، فقد قُتل رؤساء الثوار في منف، وكان من جراء عناد الثوار ومقاومتهم ما أحفظ الملك وجعله يقسو في معاملة الأسرى لدرجة أن من بقي منهم على قيد الحياة، لم يكن لديه أمل في أي تسامح أو عفو، ومن أجل ذلك قاموا بمحاولة أخيرة جديدة بعد يأسهم التام فأشعلوا نار فتنة عارمة.

ولا نزاع في أن تنفيذ حكم الإعدام في رؤساء الثورة كان مقدمة أو تكملة للاحتفال الهائل المقدس لتتويج «بطليموس»، وكذلك كان بمثابة تأكيد لجبروت الملك، وهذا الحفل كان قد أخذ من منبعه من حيث شعائر التطهير والغسل والتقديس والتقليد الرمزي من كل نوع، وكان يؤدى بالترتيب والإحكام على يد كهنة الإله «بتاح»، ومن ثم كان يستقبل الإله — بنفسه بين أحضانه — ابنه الذي كان يمثل صورته الحية، وكان يؤدى ذلك بكلمات سرية تُتلى في أعماق معبده — قدس الأقداس. وقد كان هذا الاحتفال في نظر الشعب المصري الأصيل بمثابة تكريم للديانة القومية العريقة في القدم، ومما يلفت النظر أن هذا التتويج على الطريقة الفرعونية قد جاء في أحوال مناسبة للغاية بالنسبة لحالة البلاد بوجه عام وقتئذ؛ إذ الواقع أنه كان عمل له خطره؛ لأنه يعد حسنة كريمة من قبل أسرة حاكمة كانت تسير منذ قيامها حتى الآن على منهاج شاذ بالنسبة للشعب الذي تحكمه؛ وذلك لأنها لم تكن حتى الآن قد قبلت أن يُتوج ملوكها على حسب التقاليد الدينية التي كانت تسير على نهجها البلاد منذ أقدم عهودها، ومنذ ذلك اليوم الذي تُوج فيه الملك على حسب التقاليد الفرعونية نجد أن رجال الدين الذين لم يكن يعترف لهم إلا بالقيام بواجبات معينة قد أصبحوا أصحاب حقوق ضخمة؛ ولا أدل على ذلك من أن العبادات القديمة قد بُعثت من مرقدها، وأن الرسميات الدقيقة الخاصة بالشعائر الفرعونية قد أصبحت تُنَفَّذ حرفيًّا؛ ومن أجل ذلك نجد أن المرسوم الكهني الذي صدر في السنة التالية لتولية «بطليموس الخامس» عرش الملك بصفة نهائية لبلوغه السن القانونية قد عني بالنص على أن الفرعون قد تسلم تاج مصر طبقًا للشعائر المتوارثة، وذلك عندما دخل معبد «منف» لإتمام الأحفال المقررة لأجل الاستيلاء على التاج.

ومما هو جديد بالذكر هنا أنه خلافًا للتقاليد الفرعونية التي نقرؤها في المتون المصرية، وهي التي يمكن تطبيقها من كل الوجوه على العصر البطلمي؛ ليس لدينا عنها معلومات نقتدي بها، إلا مقال غريب في بابه وضعه مدرس في العصر المتأخر.

وعلى الرغم مما يحوم من شكوك حول كفاءة هذا المدرس المجهول لنا فإنه من المحتمل أن يكون قد حفظ لنا ما قصه علينا ملحقًا للصيغ القديمة التي كانت شائعة وقتئذ؛ بل ومن المحتمل أنه قد عمل خصيصًا لأجل حذف إصلاح التقويم الذي وضعه «بطليموس الثالث» وهو الذي — كما يقول بعضهم — قد فرضه على الكهنة. ويقول هذا المدرس: إن الاحتفال بتتويج الملك كان يتم في معبد «منف» بمصر حيث كانت العادة هناك تقديم التاج الملكي للملك عند بداية حكمه، وعندئذ كان يُلقن الملك الشعائر المقدسة، ويقال: إنه في بادئ الأمر كان الملك يرتدي قميصًا، كما كان يجب عليه أن يحمل باحترام نير ثور يسميه المصريون «أبيس»، وكان يعد أعظم إله عندهم، ثم كان يُقاد هذا الملك في كل شارع لأجل أن يفهم الناس أن الأمراء يعرفون كيف يكدون ويكدحون، وكان هذا هو الشرط الأول الإنساني، وكان يجب على هؤلاء الأمراء ألا يسرفوا في معاملة من هم أقل منهم من حيث القسوة، وكان يقودهم كهنة «إزيس» إلى مكان معلوم، ويجبرونهم على عقد قسم بألا يضيفوا شهرًا أو يومًا، وألا يغيروا يومًا من أيام العيد؛ بل يختموا أيام السنة التي عددها ٣٦٥ يومًا، وهي التي كانت مقررة عند الأقدمين، وبعد ذلك فُرض عليهم حلف يمين آخر وهو أن يحصلوا ويحافظوا على الحبوب باستخدام الأرض والماء، وأخيرًا كان يُوضع بعد ذلك التاج على رأس الملك، ومن ثم يصبح سيد الدولة المصرية.[٢٢]

وليس يُخاف أن هذا المتن قد انحدر إلينا من عهد متأخر ولا صلة له بالعهد المصري القديم، وتدل شواهد الأحوال على أن الغرض من وضعه كان أولًا لإعادة التقويم القديم إلى ما كان عليه قبل عهد «بطليموس الثالث» الذي حدث في عهده هذا التغيير، ولا ندري إذا كان الكهنة فعلًا قد أجمعوا على ذلك كلهم أم كان قاصرًا على طائفة منهم فقط من غير الذين كانوا يتمسكون بأهداب القديم مهما كان غير مطابق للواقع.

والغرض الثاني من إدخال هذه الشعائر كان لإظهار ما كان لعبادة «أبيس» الذي يُعتبر الإله الأعظم في الدولة المصرية وقتئذ، وهذا الإله قد اشترك في عبادته المصريون والإغريق على السواء؛ ومن أجل ذلك ذُكر اسمه في احتفال التتويج بدلًا من الإله «رع» الذي كان يعد كل ملك ابنه كما حدثتنا بذلك التقاليد المصرية منذ أقدم العهود.

[٢٢] راجع: Schol German p. 408–409, Eyssenhart.

والظاهر أن تتويج الملك «بطليموس الخامس» قد تم ببعض السرعة نظرًا لتحرج أحوال البلاد في هذه الفترة؛ وذلك لأن الاحتفال لم يتم بكل ما كان يلزم له من أبهة وعظمة كما كان يجب أن يتم في مثل هذه المناسبة.

ولكن على أية حال اقتضت العادات القديمة أن يُحتفل بتتويج الملك من الوجهة الدينية، ومن ثم كان في صالح رجال الدين أن يعلنوا اعترافهم بالجميل للملك بما قام به نحوهم من تتويجه على الطريقة المصرية، وقد ساعدت حكومة الإسكندرية في ذلك، وبخاصة عندما وثقت بأن الكهنة قد أصبحوا حلفاء الحكومة؛ ولذلك نجد أنه بعد تتويج الملك على الطريقة المصرية إرضاءً لهم أخذ الملك في اتباع سبيل اللين والمهادنة مع الأهالي، ومن أجل ذلك أيضًا رأى رجال البلاط أنه من الخير أن تقوم الحكومة ببعض أعمال تدل على التسامح والمهادنة مع أفراد الشعب؛ فمن ذلك إلغاء بعض الضرائب في بعض الحالات وفي حالات أخرى خُفضت الضرائب، هذا بالإضافة إلى أن الخزانة الملكية قد نزلت عن مقدار عظيم من الديون التي كانت مُستَحقة لها، هذا إلى أن سجناء من الذين مضوا زمنًا طويلًا في غياهب السجن وكانوا ينتظرون محاكمتهم قد أُفرج عنهم، وكذلك صدر العفو عن رجال المشوش وغيرهم من الذين كان لهم ضلع في الثورة، وكانوا قد عادوا إلى بلادهم. ومن الجائز أنه بهذه المناسبة أخذ بعض المصريين يشغلون بعض الوظائف العالية في الدولة في السلك الإداري بعد أن كانوا محرومين من مثل هذه الوظائف العالية.

ولا أدل على ذلك من أنه في بردية من أواخر القرن الثالث قبل الميلاد — على ما يظهر — جاء فيها ذكر موظف مصري يُدعى «إمونتيس» Imonthes [٢٣] يشغل وظيفة سكرتير مالي في المديريات، على أن أهم شيء وجهت الحكومة عنايتها إليه هو إرضاء طائفة الكهنة؛ وذلك بإغداق إنعامات جديدة وهبات وإمجاد للديانة القومية، وكان من صالح الكهنة أن يقوموا باحتفال رهيب مظهرين اعترافهم بالجميل؛ لما منحهم الملك من أفضال، وحباهم به من مكرمات، وقد وجدت حكومة الإسكندرية في ذلك الفرصة التي كانت تبحث عنها، وهي التحالف مع رجال الدين في كل أنحاء البلاد، وقد تم هذا عندما اجتمع — في ٢٧ مارس عام ١٩٦ق.م — الكهنة الذين كانوا قد وفدوا من جميع أنحاء القطر، واجتمعوا في حفل مهيب على شرف الملك، غير أنه لم يكن كالحفل السابق الذي

[٢٣] راجع: E. V. Druffel Archiv VI (1920) pp. 30–33.

اجتمع في «كانوب» الواقعة على مقربة من الإسكندرية؛ بل أقيم في «منف» في معبد الإله «بتاح»، وذلك بعد أن تجددت شعائر التتويج على الطريقة التي كان يحتفل بها على النمط المصري الأصيل.

والمرسوم التالي حُرر على لوحة من البازلت الأسود وهو المعروف لدينا بحجر رشيد، وهو الذي بما يحتوي عليه من نقوش مصرية قديمة وديموطيقية ويونانية كشف العالم الفرنسي «شمبليون» رموز اللغة المصرية القديمة، وقد تحدثنا عن هذا الكشف بشيء من التفصيل في الجزء الأول من هذه الموسوعة.

وقد اتخذ جماعة الكهنة فرصة الاحتفال بعيد يُدعى «عيد سد» عند قدماء المصريين، وكانت العادة هي أن يُحتفل بهذا العيد بعد مرور ثلاثين عامًا على تتويج الملك أو — كما قيل — على ولادته، غير أنه في الواقع كان يُحتفل به أحيانًا بعد تتويج الملك بعامين أو أكثر، ولا أدل على ذلك من أننا نجد أن كثيرًا من الملوك قد أقاموا لأنفسهم أعيادًا ثلاثينية عدة مثل «رعمسيس الثاني»[٢٤] وغيره. ومن الغريب أننا لم نجد تسمية هذا العيد «سد» بالعيد الثلاثيني إلا في النص الإغريقي لحجر رشيد الذي نحن بصدده، والظاهر أن الغرض الأصلي من هذا العيد هو أن يُمنح الفرعون قوة فوق القوة الطبيعية، وأن تُجدد حياته ثانية ليصبح فتيًّا قويًّا صالحًا للقيام بأعباء الحكم وتكاليفه. ولكن الغريب في أمر الاحتفال بعيد «سد» أو كما يسميه الإغريق العيد الثلاثيني هو أن «بطليموس الخامس» لم يكن قد مر على تتويجه ملكًا على البلاد إلا أربعة أشهر وحسب، وربما كان قيام الكهنة بالاحتفال بهذا العيد مبكرًا زيادة في المبالغة في الاحتفاء بالملك، ولأن الاحتفال الذي أُقيم له لتتويجه في «منف» لم يكن كامل البهجة، وكان قد أقيم على عجل بالاعتراف ببلوغ الملك سن الرشد قبل أوانه كما أراد «أريستيمونيس» الذي رأى في هذا العمل مصلحة البلاد التي كانت تفتك بها الفتن وتمزقها المؤامرات، وكذلك للتخلص من وصاية روما المزعومة، وهي التي كانت تعتبر كابوسًا ترزح البلاد تحت عبثه ما دام «بطليموس الخامس» لم يكن قد بلغ الرشد، والواقع أن هذا الاحتفال من جهة أخرى كان يُعد فرصة سانحة لدى الكهنة المصريين ليظهروا فيه ما لهم من نفوذ وسلطان في البلاد؛ وذلك لأن الملك «بطليموس الخامس» قد أصبح فرعونًا حقيقيًّا بكل مظاهره الدينية للمرة الأولى في عهد البطالمة كما أشرنا إلى ذلك من قبل.

---

[٢٤] راجع مصر القديمة الجزء السادس.

مرسوم منف أو حجر رشيد[1]

يحتوي مرسوم «منف» الذي عُثر عليه في رشيد على ثلاثة نصوص؛ وهي: النص الإغريقي، والنص الديموطيقي — لغة الشعب، والنص الهيروغليفي أو الكتابة المصرية المقدسة. وقد كان المفهوم أن كلا من هذه النصوص الثلاثة يُعتبر ترجمة حرفية للآخر، غير أن الواقع غير ذلك إذ نجد بعض الاختلاف في كل منها عن الآخر، ويرجع السبب في ذلك إلى أن لكل لغة من هذه اللغات مصطلحاتها وتعابيرها الخاصة بها، ومن أجل ذلك كان لزامًا علينا أن نورد هنا ترجمة كل نص من هذه النصوص الثلاثة بقدر المستطاع.

(١) النص المصري القديم

(١-١) التاريخ

في السنة التاسعة، الرابع من شهر قسندقس الذي يقابل شهر سكان مصر الثاني من فصل الشتاء، الثامن عشر منه في عهد جلالة «حور-رع» الفتى الذي ظهر بمثابة ملك على عرش والده، «ممثل» السيدتين، عظيم القوة، والذي ثبت الأرضين، ومن جمل مصر، ومن قلبه محسن نحو الآلهة «حور» المنتصر على «ست»، ومن يجعل الحياة خضرة للناس، وسيد أعياد «سد» مثل «بتاح تنن»، والملك مثل رع، ملك الوجه القبلي والوجه البحري (وارث الإلهين المحبين لوالدهما، المختار من «بتاح»، روح (كا) رع القوية،

[1] J. E. A. Vol. 48 p. 117 عن كشف حجر رشيد واسم كاشفه.

وصورة «آمون» الحية)، ابن رع (بطليموس معطي الحياة أبديًّا، محبوب بتاح)، الإله الظاهر سيد الطيبات ابن «بطليموس» «وأرسنوي» الإلهين المحبين لوالدهما — عندما كان كاهن الإسكندر، والإلهين المخلصين والإلهين الأخوين والإلهين المحسنين والإلهين المحبين لوالدهما والإله الظاهر سيد الطيبات المسمى «أيادوس» بن «أيادوس»، وعندما كانت «برات» ابنة «بيلينس» حاملة هدية النصر أمام «برنيكي» المحسنة، وعندما كانت «أريات» ابنة «دياجنس» حاملة السلة الذهبية أمام «أرسنوي» محبة أخيها، وعندما كانت هرنات ابنة «بطليموس» كاهنة «أرسنوي» التي تحب والدها.

(١-٢) المقدمة

في هذا اليوم قرر المشرفون على المعابد، والكهنة خدام الآلهة، والكهنة السريون، والكهنة المطهرون الذين يدخلون في المكان المقدس «قدس الأقداس» ليلبسوا الآلهة ملابسهم، وكتبة كتب الآلهة ورفاق بيت الحياة، والكهنة الآخرون الذين أتوا من شِقَّيْ مصر نحو الجدار الأبيض «منف» لأجل أن يتسلم — في عيد ملك الوجه القبلي والوجه البحري رب الأرضين — «بطليموس العائش أبديًّا، محبوب بتاح» الإله الظاهر رب الطيبات، مملكة والده، وقد جمعوا أنفسهم في معبد ميزان الأرضين وأعلنوا:

(١-٣) الملك بوصفه محسن للمعابد المصرية، وكذلك لجميع الناس، وبوجه خاص لجيشه أيضًا

ملك الوجه القبلي والوجه البحري «وريث الإلهين اللذين يحبان والدهما، الذي اختاره «بتاح»، وروح (كا) رع قوية، وصورة «آمون» الحية»، ابن رع «بطليموس العائش أبديًّا، محبوب بتاح» الإله الظاهر، رب الطيبات، ابن ملك الوجه القبلي والوجه البحري «بطليموس» والأميرة سيدة الأرضين «أرسنوي»، والإلهين المحبين لوالدهما، الذي عمل كل الأشياء الطيبة والعظيمة (= العديدة) في أرض «حور» ولكل أولئك الذين كانوا فيها ولكل الناس الذين يُوجدون تحت حكمه الممتاز جميعًا — أنه كان إلهًا وابن إله وأوجدته في العالم آلهة، فهو مثل «حور» بن «إزيس» وابن «أوزير» وهو الذي يحمي والده «أوزير»، وكذلك كان جلالته قلبه محسنًا نحو الآلهة — وعلى ذلك أهدى كثيرًا من الفضة وكثيرًا من الحبوب لمعابد مصر، وأعطى كثيرًا من الأشياء الثمينة لأجل أن يهدئ مصر، ويجعل الشاطئين يمكثان، وأعطى مكافآت للجنود الذين يعملون تحت سيادته.

(١-٤) تخفيف الضرائب والعفو عن المذنبين

كل الضرائب والجزية الخاصة بالأمراء … وهي التي كانت تثقل عاتق مصر؛ فإنه خفض بعضها والأخرى ألغاها كلها (؟)؛ وعلى ذلك فإن الجنود والناس في زمنه كانوا سعداء بحكمه، وكل المتأخرات التي كانت تثقل عاتق سكان مصر وكذلك (؟) كل الناس كانوا جميعًا تحت حكمه الممتاز؛ فإن جلالته قد نزل عنها بكثرة يخطئها العد، وقد أفرج عن السجناء الذين كانوا في السجن، وكذلك كل الناس … الذين.

(١-٥) تثبيت الدخل القديم للمعابد والضرائب القديمة التي كان يدفعها الكهنة

وقد أمر جلالته بالآتي: أن ما يتعلق بقربان الآلهة، وكذلك الفضة والحبوب التي كانت تُعطى سنويًّا للمعبد، وكل أشياء الآلهة من كروم وأراضي بساتين، وكل شيء يخصهم كانوا يملكونه في عهد والده المبجل؛ يجب أن يُترك ملكًا لهم، وأمر كذلك أن يُنزل عن الضريبة التي كانت تؤخذ من يد الكهنة أكثر من الضرائب التي كانت تُدفع في عهد جلالة والده المبجل.

(١-٦) الإعفاء من الرحلة السنوية إلى الإسكندرية ومن الخدمة البحرية، الإعفاء من توريد ثلثي الكتان الملكي

وكذلك أعفى جلالته كهنة الساعة للمعابد من الرحلة التي كانوا يقومون بها إلى جدار الإسكندرية سنويًّا، وكذلك أمر بألا يُجند البحارة.

ونزل جلالته عن ٢ / ٣ نسيج الكتان الملكي الذي كان يورد له من المعابد.

(١-٧) إعادة السكينة الداخلية وضمان العفو الشامل

وكذلك أعاد جلالته استعمال كل الأشياء التي كانت منذ زمن طويل غير منظمة إلى نظامها الحسن، وقد كان مهتمًّا جدًّا بكل الأشياء التي كانت تُعمل عادة لمنفعة الآلهة، وكذلك عمل ما هو حق للناس مثل ما فعل الإله «تحوت» المزدوج العظمة.

وأمر كذلك (أن يترك بعد ذلك) … وعلى ذلك فإن ممتلكاته تبقى في حوزته.

(١-٨) حماية البلاد من الأعداء الأجانب

وكذلك حمل هم إرسال مشاة وفرسان وسفن ضد أولئك الذين كانوا يأتون من المدن أو من البحر، ومنح فضة كثيرةً وغلالًا لأجل أن يهدأوا أراضي حور (= المعابد) ومصر.

(١-٩) قهر الثائرين في «ليكوبوليس»

وقد زحف جلالته نحو … بوساطة الأعداء الذين كانوا في داخلها؛ لأنهم عملوا أضرارًا كثيرة في مصر، ولقد تعدوا الطريق التي كان يحبها جلالته، والتي هي تصميم الآلهة، وعلى ذلك فإنه سد كل القنوات التي تجري في هذه المدينة، ولم يعمل مثل ذلك بوساطة الملوك السابقين، وقد أعطى فضة كثيرة من أجل ذلك.

وعين جلالته مشاة فرسانًا على هذه الترع لحراستها وحمايتها — الباقي ترك — … عميقة جدًّا، وقد تغلب جلالته على هذه المدينة، وأخضع الأعداء الذين كانوا في داخلها، وقد أوقع فيهم مذبحة عظيمة (؟) كما فعل «رع» «وحور» بن «إزيس» مع عدوهما قبل ذلك في هذا المكان.

(١-١٠) معاقبة زعيم الثورة التي قامت على «بطليموس فيلوباتور»

تأمل، لقد جمع العدو الجنود، وكان على رأسهم، وتخبطوا في المقاطعات، وضربوا أرض «حور» (= المعابد) وتعدوا طرق جلالته وطرق والده المبجل، وقد أمر الآلهة أن يقهروا في «منف» في العيد، وهناك كذلك يتسلم مملكة والده، وقد قتلهم عندما طعنهم بالخشب (؟).

(١-١١) الإعفاء من الجزية المتأخرة وضرائب المعابد

وأن ما يستحقه جلالته من المعابد حتى العام التاسع … فضة وغلال التي نزل عنها جلالته، وكذلك الكتان الملكي الذي يستحقه بيت الملك (= الخزانة) من المعابد والفرق الذي كان قد قرر فعلًا عما وردت حتى هذا الوقت، وقد نزل عن أرادب الحنطة التي كانت تؤخذ من أرورات الآلهة، وكذلك مكاييل النبيذ التي كانت تُجبى من الكروم.

(١-١٢) الاهتمام بالحيوان المقدس وعبادة الآلهة

ولقد عمل طيبات كثيرة للعجل «أبيس» والعجل «منيفيس» (من ور) وكل الحيوان الإلهي المقدس أكثر مما عمله الأجداد، واهتم قلبه بأحوالها في كل لحظة، وقدم كل شيء طُلب من أجل معيشتها بكثرة وبكرم، وأحضر (؟) كل ما يُطلب من أجل معابدها (؟) في ذلك العيد الكبير الذي يقدم فيه الإنسان القربان المحروق، والذي يقدم فيه قربان الشراب، وكل شيء اعْتِيدَ عمله، والأمجاد التي في المعابد وكل الأشياء العظيمة الخاصة بمصر فإن جلالته تركها تبقى على حالتها على حسب القانون، وقد منح فضة كثيرة وغلة وكل الأشياء لأجل بيت سكن «أبيس» الحي، وزينه جلالته بشغل ممتاز من جديد، وكان جميلًا جدًّا، وقد ترك «أبيس» الحي يشرق فيه، وقد أتم مقصورة المعبد ومائدة القربات من جديد للآلهة (…) عندما كان قلب جلالته نحو الآلهة محسنًا، وعلى ذلك اعتنى بالمعابد وجمالها، فجددها في زمنه الحاكم الأوحد، ومكافأة على ذلك أعطته الآلهة والإلهات القوة والسلطان والحياة والعافية والصحة وكل الأشياء الطيبة جميعها في حين كانت وظيفته الكبرى معه وأولاده أبديًّا.

(١-١٣) عزم الكهنة على تمجيد الملك وأجداده

بالحظ السعيد: لقد ذهب إلى قلب كهنة جميع معابد الوجه القبلي والوجه البحري لإكثار أمجاد ملك الوجه القبلي والوجه البحري (بطليموس العائش أبديًّا، محبوب بتاح) الإله الظاهر، رب الجمال الذي في آراضي «حور» (= المعابد)، وكذلك الخاصة بالإلهين المحبين لوالدهما الذين أوجداه، والإلهين المحسنين اللذين أوجدا ما عمله، والإلهين الأخوين الذين أوجدا ما فعله، والإلهين المخلصين والدي من أنجبه.

(١-١٤) إقامة مجموعة تماثيل للملك والآلهة المحليين في كل المعابد وتمجيدها

ويجب إقامة تمثال للملك «بطليموس» العائش أبديًّا والإله الظاهر الذي أعماله جميلة، ويدعى «بطليموس» حامي مصر، وترجمته «بطليموس» الذي يحمي مصر، وكذلك تمثال

لإله المدينة (الإله المحلي) وأن يمنح سيف النصر الملكي في كلا الشاطئين (القطرين) في كل محراب مشهور في الردهة العامة للمعبد، من صناعة نحاتين مصريين، وعلى كهنة بيت الإله في كل معبد من الذين عُينوا بوجه خاص أن يتعبدوا لهذه التماثيل ثلاث مرات يوميًّا، وأن يضعوا أدوات المعبد أمامها، وأن تُعمل كل تعليمات موافقة لها كما يفعل ذلك لآلهة المقاطعات في عيد أول السنة وأيام الأعياد (و) الأيام الخاصة بها.

(١-١٥) إقامة تمثال من الخشب للملك في محراب من الذهب

وكذلك يجب عليهم أن يصنعوا تمثالًا مقدسًا لملك الوجه القبلي والوجه البحري «بطليموس»، الإله المشرق، رب الجمال، ابن ملك الوجه القبلي والوجه البحري «بطليموس» والأميرة سيدة الأرضين «أرسنوي»، والإلهين المحبين لوالدهما، ومعه محراب مقدس من السام (الذهب) ومرصع بكل الأحجار الكريمة في كل المعابد المعينة بوجه خاص، والتي توجد في المدن المحترمة، ومع محاريب آلهة المقاطعات، وعندما يُقام العيد الكبير وهو الذي يظهر فيه الإله في محرابه المحترم ويخرج من بيته؛ فعندئذ يجب أن يظهر المحراب المحترم لهذا الإله الظاهر «وهو فيه».

وعلى ذلك ينبغي أن يكون هذا المحراب من اليوم إلى أجل من السنين لا حد له معروفًا به.

ويجب أن توضع عشرة تيجان لجلالته، ويكون أمام كل واحد منها صل، كما هو المتبع في جمع صور التيجان، وتوضع على المحاريب بدلًا من الأصلال التي كانت قبل على المحاريب، وبذلك يكون التاج المزدوج في وسطها، في حين أن جلالته بذلك يكون مشرقًا في بيت «بتاح» بعد أن يكون قد عُمل له كل حفل لدخول الملك في بيت الإله، وعلى ذلك يتسلم وظيفته الكبرى. ويجب أن يُوضع على الجانب الأعلى للمربع (؟) الذي خارج هذا التاج وقبالة هذا التاج المزدوج نبات الوجه القبلي ونبات البردي للوجه البحري. هذا، ويجب أن يُوضع نسرٌ على سلة ونبات الوجه القبلي تحتها في الركن الأيمن من هذا المحراب، وكذلك يُوضع صل على سلة وتحته ساق بردي على جانبه الأيسر، ومعناه هو: أنه حامل التاج الذي أضاء الوجه القبلي والوجه البحري.

(١-١٦) إقامة العيد على شرف الملك

فلما كان اليوم الثلاثون من الشهر الرابع من فصل الصيف هو يوم ولادة الإله الطيب العائش أبديًّا، فإنه كان يُعقد بمثابة عيد وحفل في أراضي «حور» (= المعابد). وكان كذلك يُعقد في اليوم السابع عشر من الشهر الثاني من فصل الفيضان، وهو الذي كان يُعمل فيه حفل تتويج الملك عندما كان الملك يتسلمه من والده (أي التاج). تأمل، إن بداية جميع الأشياء العديدة الممتازة الخاصة بسكان الأرض هي ولادة الإله الطيب العائش أبديًّا، وتسلمه وظيفته الممتازة، ويحتفل بها في اليوم السابع عشر واليوم الثلاثين من كل شهر في كل معابد مصر، ويجب أن يُقدم فيهما قربات محروقة، وكذلك قربات سائلة، وكل شيء كان يُعمل كما ينبغي أن يُعمل في الأعياد في هذا العيد من كل شهر، وكل ما يُقدم في هذا العيد يجب أن يتناوله كل الناس الذين يقومون بخدماتهم في المعبد.

ويجب على الإنسان أن يقيم عيدًا وحفلًا في كل معابد مصر لملك الوجه القبلي والوجه البحري «بطليموس» العائش أبديًّا، محبوب بتاح، الإله الظاهر سيد الجمال، سنويًّا من اليوم الأول من الشهر الأول من فصل الفيضان مدة خمسة أيام عندما يكون على رأسهم إكليل، وموائد القربان يجب أن تُمد بسخاء بكل شيء كما يليق.

(١-١٧) اللقب الجديد لكهنة الملك

وكهنة الملك في كل معبد من المعابد التي ذكرت بوجهٍ خاص يجب أن يكونوا خدامًا للإله الظاهر سيد الجمال، ويذكرون خارج وظائف الكهنة، ويجب أن تُكتب (الألقاب في مرسومهم)، ويجب أن تُنقَش وظيفة كهنة الإله الظاهر سيد الجمال على الخاتم الذي في أيديهم.

(١-١٨) يجب كذلك على الأفراد العاديين أن يشتركوا في تمجيد الملك

تأمل، يجب على الناس الذين يريدون منح صورة من هذه المقصورة للإله الظاهر أن يقيموها ويحفلوها في بيوتهم، كما يجب عليهم أن ينظموا هذا العيد والحفل في كل شهر

وفي كل سنة، وبذلك يُعلم أن سكان مصر قد مجدوا الإله الظاهر سيد الجمال، كما ذُكر أعلاه.

(١-١٩) نشر المرسوم

ويجب أن يُحفر هذا المرسوم على لوحة من الحجر الصلب بكتابة من كلم الإله، وبكتابة الرسائل، وبالكتابة الإغريقية، (ويجب على الإنسان) أن ينصبها في المكان المقدس (المحراب) في المعابد الخاصة المبينة من الدرجة الأولى والثانية والثالثة، وذلك بجوار تمثال ملك الوجه القبلي والوجه البحري «بطليموس العائش أبديًّا، محبوب بتاح» الإله الظاهر سيد الجمال.

(٢) ترجمة النص الديموطيقي

(٢-١) التاريخ

(السنة التاسعة الشهر الرابع قسندقس) وهو بالشهر المصري الثامن عشر من الشهر الثاني من فصل الشتاء، في عهد الملك الشاب الذي ظهر ملكًا على عرش والده، سيد تاج الصل، ومن شهرته عظيمة، ومن ثبت مصر عندما حررها، ومن قلبه محسن نحو الآلهة، ومن يقف في وجه أعدائه، ومن يجعل حياة الناس حرة، والسيد الذي عيده السنوي مثل عيد «بتاح-تتنن»، والملك مثل «فرع» (إله الشمس) ملك الوجه القبلي والوجه البحري، ابن الإلهين المحبين لوالدهما، ومن اختاره «بتاح»، ومن منحه «فرع» النصر، وصورة «فرع» الحية، «بطليموس» العائش أبديًّا محبوب «بتاح»، والإله الظاهر صاحب الطيبات الجميلة، ابن «بطليموس» و«أرسنوي» الإلهان المحبان لوالدهما، حينما كان كاهن الإسكندر والإلهين المخلصين و«الإلهين الأخوين» والإلهين المحسنين والإلهين المحبين لوالدهما، والملك «بطليموس» الظاهر صاحب الطيبات الجميلة، هو «أيادوس» بن «أيادوس»، وحينما كانت «برا» ابنة «بيلينس» Pilins حاملة هدية النصر أمام «برنيكي» المحسنة، وحينما كانت «أريا» ابنة «دياجنز» حاملة السلة الذهبية أمام «أرسنوي» محبة أخيها، وعندما كانت «هرانا» ابنة «بطليموس» كاهنة «أرسنوي» محبة والدها.

(٢-٢) مقدمة

قرار في هذا اليوم: أن الكهنة الإداريين، والكهنة خدمة الإله، والكهنة الذين يذهبون إلى قدس الأقداس (أي الذين لهم حق الدخول في قدس الأقداس) ويلبسون الآلهة، وكتبه أسفار الإله، وكتبة بيت الحياة، والكهنة الآخرين الذين أتوا من معابد مصر إلى «منف» في عيد الملك «بطليموس» العائش أبديًّا، ومحبوب «بتاح»، الإله المشرق صاحب الطيبات الجميلة، ومن تسلم وظيفة ملكه من يد والده، وهم الذين جمعوا أنفسهم في بيت الإله في «منف» وقالوا:

(٢-٣) الملك بوصفه محسنًا للمعابد المصرية، وكذلك لجميع الناس، وبوجه خاص لجيشه أيضًا

حدث أن الملك «بطليموس» العائش أبديًّا، والإله الظاهر صاحب الطيبات الجميلة (ابن) الملك «بطليموس» والملكة «أرسنوي» الإلهين المحبين لوالدهما؛ كان من واجباته أن يفعل طيبات كثيرة لمعابد مصر ولكل أولئك الذين تحت حكمه، وذلك عندما أصبح إلهًا وابن إله وابن إلاهة؛ لأنه كان مثل الإله حور بن «إزيس» «وأوزير»، الذي حمى والده «أوزير»، ولأن قلبه كان ممتازًا نحو الآلهة «ومن ثم» أعطى نقودًا كثيرة وغلة كثيرة لمعابد مصر، وأنفق مصاريف كثيرة ليوجد الطمأنينة في مصر ثانية، وليجعل المعابد تصبح في نظام ثانية، وكذلك منح الأعطية لكل الجيش الذي كان تحت إمرته.

(٢-٤) تخفيف عبء الضرائب، والعفو عن المذنبين

فالضرائب والجزية التي كانت موجودة في مصر قد خُفف جزء منها، وجزء آخر أُعفي كلية؛ وذلك ليجعل الجيش وكل الناس الآخرين يصبحون في حالة حسنة، أما الأفراد المصريون الذين كانوا مدينين للملك، وكذلك أولئك الذين تحت حكمه؛ فقد نزل لهم عن باقي المبالغ التي كانت مستحقة عليهم، وكانت كثيرة.

(٢-٥) تثبيت دخل المعابد القديم والضرائب القديمة

وفيما يخص أملاك قربان الآلهة والفضة والغلال التي كانت في يد الكهنة سنويًّا، وهي التي كانت تُعطى للمعابد، وكذلك فيما يخص الجزء الذي يأتي إليها من الكروم والحدائق، وكل الأشياء الأخرى التي كانوا يملكونها في عهد والده فإنها تبقى ملكًا لهم، وكذلك أمر فيما يخص الكهنة ألا يدفعوا ضريبة الكهانة أكثر مما كانوا يدفعونه حتى السنة الأولى من حكم والده.

(٢-٦) الإعفاء من الرحلة السنوية إلى الإسكندرية، ومن الخدمة البحرية. والإعفاء من توريد الكتان الملكي

أعفى الأفراد الذين كانوا يشغلون وظائف في المعبد من الرحلة التي كانوا يقومون بها سنويًّا إلى بيت الإسكندرية، وأمر بألا يسخر بحارة، ونزل عن ٢ / ٣ الكتان الملكي الذي كان يورد لبيت الملك من المعابد.

(٢-٧) إعادة السكينة في داخل البلاد وضمان عفو شامل

وكل الأشياء التي كانت قد أهملت منذ زمن طويل قد وُضعت في موضعها الصحيح؛ وذلك عندما كان يوجه كل اهتمام بأن يؤدي الإنسان ما كان معتادًا أداؤه للآلهة بطريقة صحيحة، وكذلك جعل للإنسان حق العدالة كما فعل «تحوت» المزدوج العظمة، وكذلك أمر فيما يخص العائدين إلى بلادهم من الجنود المحاربين، وفيما يخص سائر أولئك الذين ضلوا السبيل خلال الاضطرابات التي كانت في مصر؛ أن يعودوا إلى أماكنهم ثانية، وأن تبقى أملاكهم ملكًا لهم.

(٢-٨) حماية البلاد من الأعداء الأجانب

ولقد صرف كل عناية في الحال ليجعل جنود المشاة والفرسان والسفن تصد كل من يأتي عن طريق البر والبحر لشن حرب على مصر، وقد أنفق من أجل ذلك مصاريف باهظة من الفضة والغلال، وبذلك جعل المعابد والناس الذين في مصر يصبحون في طمأنينة.

(٢-٩) قهر الثائرين في ليكوبوليس

وقد زحف على مدينة «شكان» التي كانت محصنة بكل الأعمال (الممكنة)؛ لأنه كان يوجد بداخلها أسلحة كثيرة وكل معدات الحرب. وقد أحاط العدو الذي كان في المدينة المذكورة بالجدران والسدود من جوانبها الخارجية، وهؤلاء كانوا قد ارتكبوا أوزارًا كثيرة بالنسبة لمصر؛ وذلك لأنهم لم يعملوا على حسب أمر الملك أو أمر الآلهة.

وقد سد (الملك) القناة التي تحمل المياه للمدينة المذكورة، ولم يكن في استطاعة الملوك السالفين أن يأتوا بمثل ما فعل، وقد أنفق نقودًا كثيرة على ذلك، وأمر المشاة والفرسان أن يحرسوا القناة المذكورة، وأن يتنبهوا لفيضان المياه (النيل) التي كانت مرتفعة في السنة الثامنة؛ وذلك لأن القناة المذكورة التي كانت تجري لري حقول كثيرة جدًّا كانت منخفضة عنها، وقد استولى الملك على المدينة المذكورة بالقوة في زمن قصير، وقد حاصر الأعداء الذين كانوا في الداخل وسلمهم للمقصلة (؟) مثل ما فعل «رع» و«حور» بن «إزيس» مع أولئك الذين قاموا في وجههما من الأعداء قبل ذلك في المكان المذكور.

(٢-١٠) معاقبة زعماء الثورة الذين قاموا على «بطليموس الخامس»

أما الأعداء الذين جمعوا الجنود وقادوهم ليشيعوا في المقاطعة الفوضى، وخربوا المعابد، وكذلك الذين اعترضوا طريق الملك ووالده؛ فإن الآلهة جعلتهم في قبضته في «منف»، وذلك في عيد تسلمه وظيفة ملك والده، وقد جعلهم يُضربون بالخشب (؟).

(٢-١١) الإعفاء من الجزية المتأخرة وضريبة المعابد

وقد نزل الملك عما كان مستحقًّا له من ضريبة المعابد حتى السنة التاسعة (من حكمه) من مبالغ، وكان ذلك يبلغ مقدارًا عظيمًا من الفضة والغلال، وكذلك نزل عن قيمة النسيج الملكي الذي كان دينًا على المعابد لبيت مال الملك، وكذلك التكملة لقطع النسيج التي لم تُورد، وهي التي كانت تُحسب فعلًا حتى الوقت الذي أعلن فيه ذلك، وأمر كذلك برفع أرادب القمح التي كانت تُجْبَى على كل أرورا من الأراضي الخاصة بالقُرُبات، وكذلك برفع

كراميون من النبيذ عن كل أرورا من أرض الكروم الخاصة بملكية قربات الآلهة، وأن يبتعد عن ذلك.

(٢-١٢) الاهتمام بالحيوان المقدس وعبادة الآلهة التي كوفئ من أجلها الملك

وأدى أعمالًا طيبة كثيرة للعجل أبيس والعجل منيفيس (من ور) وكل الحيوانات المصرية المقدسة أكثر مما عمله سابقوه، وكان قلبه في كل وقت مهتمًّا بأحوالها.

وقدم كل ما يلزم لدفنها بسخاء واحترام، وأحضر ما تحتاج إليه معابدها في الأعياد الكبيرة حيث تُقدم أمامها القرابين المحروقة والقربات السائلة وسائر ما هو لازم لها، أما المكرمات الواجبة للمعابد والمكرمات الأخرى الخاصة بمصر؛ فإنه جعلها تبقى كما هي على حسب القانون.

ومنح ذهبًا وفضة وغلالًا كثيرة وأشياء عدة أخرى لمقر العجل أبيس، وأمر بإقامة العمل من جديد بما جعله عملًا غاية في الجمال.

وأمر بإقامة معابد ومقاصير وموائد قربان من جديد للآلهة، وأمر بإقامة أخرى كما كانت عليه من قبل، في حين أن جعل قلبه نحو الآلهة بمثابة إله محسن، وسأل عن أمجاد المعابد بأن تُجدد في زمن حكمه على حسب ما يليق بها.

ولذلك فإن الآلهة منحوه النصر والشجاعة والقوة والعافية والصحة، وكل الأشياء الأخرى الطيبة، في حين أن يبقى سلطانه ثابتًا له ولأولاده أبد الآبدين.

(٢-١٣) قرار الكهنة بتمجيد الملك وأجداده

مع الحظ السعيد: لقد دخل في قلب الكهنة أن يزيدوا — في المعابد — الأمجاد الخاصة بـ «بطليموس» العائش أبديًّا الإله الظاهر صاحب الأعمال الطيبة في المعابد التي عملها الإلهان اللذان يحبان والدهما، وهما اللذان أنجباه، والتي عملها الإلهان المحسنان اللذان أوجدا ما وُجد له، والتي عملها الإلهان الأخوان اللذان أوجدا ما أوجدا له، والتي عملها الإلهان المخلصان وآباء آبائهما.

(٢-١٤) إقامة مجموعة من تماثيل للملك وللآلهة المحليين في كل المعابد وتمجيدها

ويجب أن يقام تمثال للملك «بطليموس» العائش أبديًّا، الإله الظاهر، صاحب الأعمال الطيبة، وهو الذي يُسمى «بطليموس» حامي مصر، ومعنى ذلك: «بطليموس» الذي يحمي مصر، مع تمثال إله المدينة، وفي يده سيف النصر في المعبد، وكذلك في كل معبد في الموضع البارز منه، على أن يُعمل على حسب الطراز المصري، وعلى الكهنة أن يقوموا للتماثيل بصلوات ثلاث يوميًّا في كل معبد، ويجب أن تُوضع أمامها أدوات المعبد، وأن يقوموا لها بأداء الأشياء الأخرى كما يجب، وكما كانت تُعمل للآلهة الأخرى في الأعياد والمواكب في الأيام المذكورة.

(٢-١٥) إقامة تمثال من الخشب للملك في داخل محراب من الذهب

وكذلك يجب أن يظهر تمثال للملك «بطليموس» الإله الظاهر صاحب الأعمال الطيبة ابن «بطليموس» والملكة «أرسنوي» وكذلك للإلهين اللذين يحبان والدهما في مقصورة من الذهب، وكذلك في كل معبد، ويجب أن يُوضع في قدس الأقداس مع المقاصير الأخرى المصنوعة من الذهب، وعندما تقام الأعياد الكبيرة التي يظهر فيها الآلهة يجب أن تظهر فيها مقصورة الإله الظاهر صاحب الأعمال الطيبة، ولأجل أن تعرف المقصورة الآن وفي المستقبل يجب أن يوضع عليها عشرة تيجان من الذهب الخاصة بالملك، يُثَبَّتُ عليها صل كما هي الحال في التيجان التي على هيئة صل في مقاصير أخرى، ولكن يُوضع في وسطها التاج المسمى «سخمتي» (= التاج المزدوج) وهو الذي يلبسه الملك عندما يظهر في معبد «منف» عندما كان يقوم بما يجب أن يعمله عند تسلم مقاليد الحكم، وسيوضع على السطح المربع حول التيجان بجانب التاج الذهبي المذكور بردية وبشنينة، كما ينبغي وضع نسر على سلة، وتحته على اليمين بشنينة في الغرب (أي على اليمين) في الركن على المقصورة الذهبية، ويجب أن توضع سلة على بردية في الشرق (على اليسار) ومعنى ذلك: الملك الذي جعل الوجهين القبلي والبحري مضيئين.

(٢-١٦) إقامة عيد على شرف الملك

واتفق أن اليوم الثلاثين من الشهر الرابع من فصل الصيف هو الذي وُلد فيه الملك، واحتُفِلَ فيه كذلك بولادته، ويعتبر عيدًا، يُحفل به دائمًا في المعابد، وكذلك كانت الحال في اليوم السابع عشر من الشهر الثاني من فصل الفيضان، وهو الذي كان يُقام فيه الحفل بتسلم وظيفة الإمارة، وكان فعلًا بداية الشيء الطيب الذي يشترك فيه الناس. أي: يوم ولادة الملك ويوم تسلمه الملك، وعلى ذلك يكون هذان اليومان — أي يوم ١٧ ويوم ٣٠ من كل شهر — هما باستمرار عيدين في كل معابد مصر، ويجب أن تُقدم فيهما القربات المحروقة والقربات السائلة، كما هو متبع في الأعياد الأخرى في كل من العيدين شهريًّا، وما يقدم قربات يجب أن يكون قاصرًا على الذين يخدمون في المعبد.

ويجب أن يُحفل بعيد وبوليمة في المعابد في مصر قاطبة للملك «بطليموس» العائش أبديًّا الإله الظاهر صاحب الأعمال الطيبة على التوالي سنويًّا في اليوم الأول من الشهر الأول من فصل الفيضان لمدة خمسة أيام يُتوج في خلالها بالأكاليل، وتُقدم له القربات المحروقة والقربات السائلة والأشياء الأخرى اللائقة.

(٢-١٧) لقب جديد لكهنة الملك

وكهنة المعابد المميزون خاصة في كل معبد وهم الذين يجب أن يكونوا خدامًا للإله الظاهر صاحب الطيبات الحسنة؛ تُقيد أسماؤهم بعد أسماء الكهنة الآخرين، ويجب أن يُكتب لقبهم في كل الوثائق الرسمية، ويجب أن تُحفر وظيفة كاهن الإله الظاهر صاحب الطيبات الحسنة على أختامهم.

(٢-١٨) يجب كذلك على الأفراد العاديين أن يعلنوا الأمجاد المذكورة أعلاه

وينبغي السماح كذلك للأفراد العاديين لمن أراد منهم أن يظهر صورة المحراب الذهبي المذكور أعلاه للإله الظاهر صاحب الطيبات الحسنة؛ فيجعلونها توضع في بيوتهم، وكذلك ينبغي لهم أن يقيموا الأعياد والولائم التي وُصفت أعلاه (في كل شهر) وفي كل سنة، وبذلك يمجدون — أهل مصر — الإله الظاهر صاحب الطيبات الحسنة كما هو المتبع عمله.

(٢-١٩) نشر المرسوم

وينبغي أن يُنقش هذا المرسوم على لوحة من الحجر الصلب بالخط الهيروغليفي، وبكتابة الرسائل (الديموطيقي)، وبالخط الأيوني في المعابد التي من الدرجات الأولى والثانية والثالثة بجوار تمثال الإله الملك العائش أبديًّا.[٢]

(٣) النص الإغريقي

في حكم الواحد الصغير (الملك) الذي تسلم ملكه من والده سيد التيجان، الفاخر الذي ثبت مصر، والتقى نحو الآلهة، والمتفوق على أعدائه، ومن أصلح الحياة المتحضرة للإنسان، سيد الأعياد الثلاثينية (حب سد) وهو مثل «هفايستوس» Hephaistos العظيم (= الإله «بتاح» الذي وحده الإغريق بإلههم «هفايستوس»)، وهو ملك مثل الشمس (= رع)، الملك العظيم للوجهين القبلي والبحري، نسل الإلهين «فيلوباتور»، ومن وافق عليه «هفايستوس» (يشير هنا إلى الزيارة المقدسة التي زارها الملك لقدس الأقداس بمعبد بتاح عند حفلة التتويج)، ومن منحته الشمس النصر (يقصد هنا الإله «رع»)، والصورة الحية للإله «زيوس» (= الإله آمون عند المصريين)، ابن الشمس «رع»، (بطليموس العائش أبديًّا محبوب بتاح)، في العام التاسع عندما كان «أيتوس» Aetus ابن «أيتوس» كاهن الإسكندر والإلهين المخلصين «سوترس» والإلهين المتحابين، والإلهين المحسنين والإلهين المحبين لوالدهما، والإله «أبيفانس أيوكرستوس»، وحينما كانت «بيرها» Pyrrha ابنة «فيلينوس» Philinus الكاهنة حاملة هدية النصر لـ «برنيكي» المحسنة، وعندما كانت أريا Areia ابنة «ديوجنيز» Diogenes الكاهنة حاملة السلة الذهبية للملكة «أرسنوي» محبة أخيها، وعندما كانت «إرن» Irene ابنة «بطليموس» كاهنة «أرسنوي» محبة أبيها، في الرابع من شهر «كسانديكوس» Xandikos، وعلى حسب (التأريخ المصري يكون الثامن عشر من أمشير).

[٢] راجع: Spieglberg. Der Demotischc Text der Priesterdekrete Von Kanopus und Memphis .(Rosettana, p. 77 ff; Bevan Hist. p. 263–268).

(٣-١) مرسوم

إن رؤساء الكهنة والكهنة خدمة الإله، وأولئك الذين في المحراب الداخلي (= قدس الأقداس) لإلباس الآلهة، وحاملي الريش والكتاب المقدسين، وكل الكهنة الآخرين الذين أتوا معًا للملك من المعابد التي في أنحاء البلاد إلى «منف» من أجل عيد تسلمه الملك، وهو عيد «بطليموس» العائش أبديًّا محبوب بتاح والإله «أبيفانس» (= الظاهر) «أيوكاريستوس» (= الذي أشياؤه الطيبة حسنة) الذي تسلمه من والده؛ قد اجتمعوا في المعبد بمنف في هذا اليوم، وأعلنوا: لما كان الملك «بطليموس» العائش أبديًّا محبوب «بتاح» الإله «أبيفانس يوكاريستوس» ابن الملك «بطليموس» والملكة «أرسنوي» (الثالثة) الإلهين المحبين لوالدهما؛ قد أفاد كثيرًا المعابد والذين يسكنونها وكذلك أولئك الذين هم رعاياه بوصفه ملكًا انحدر من إله وإلهة (مثل «حور» بن «إزيس» و«أوزير» الذي انتقم لوالده «أوزير») وبوصفه يميل بالإحسان نحو الآلهة، فإنه قد أهدى المعابد دخلًا من المال والغلال، وقام بمصاريف كثيرة؛ ليجعل مصر في فلاح، ولتأسيس المعابد، وكان كريمًا بكل موارده وبالدخل والضرائب التي كان يجبيها من مصر؛ فقد نزل عن بعضها قاطبة وخفف بعضها، وذلك لأجل أن يصبح في استطاعة الناس (يقصد المصريين الأصليين) وجميع الباقين (يقصد المقدونيين والإغريق والأسيويين الذين يسكنون البلاد المصرية) في سعادة مدة حكمه.

وقد نزل عن جميع ديون التاج التي كانت دينًا له في مصر وسائر دولته، وكانت كثيرة العدد، وكذلك أعفى أولئك الذين كانوا في السجون والمتهمين منذ زمن طويل زمن التهم التي نُسِبَت إليهم، وقد أمر بأن يبقى دخل المعابد وكل الهبات السنوية التي تُمنح لها من الغلال والمال، وكذلك النصيب الخاص بالآلهة من النبيذ والأرض والحدائق وأملاك الآلهة الأخرى؛ في حوزتهم كما كانت في زمن والده، كذلك وصى فيما يخص الكهنة بألا يدفعوا ضريبة التدشين أكثر مما كان مقررًا عليهم زمن والده وحتى السنة الأولى من حكمه، وأعفى أعضاء الطوائف المقدسة من السفر سنويًّا في النهر إلى الإسكندرية، وأوصى بأن الخدمة في الأسطول لا يكون لها وجود بعد، وأن ضريبة نسيج الكتان الملكي التي تدفعها المعابد للتاج تُخفض بمقدار الثلثين، وكذلك أية أشياء مهما كانت قد أُهملت في الأزمان فإنها قد أعيدت إلى حالتها الطبيعية، على أن تكون هناك عناية بكيفية دفع الضرائب التقليدية للآلهة، وكذلك فإنه وزع العدالة مثل ما فعل «هرميس» (= تحوت) المزدوج العظمة.

وكذلك أمر بأن أولئك الذين عادوا من طائفة المحاربين وسائر أولئك الذين ضلوا السبيل في ولاتهم في زمن الاضطرابات يجب عند عودتهم أن يحتلوا أملاكهم القديمة، وذلك على شرط أن الفرسان والمشاة وكذلك السفن يجب أن يُرسَلوا على أولئك الذين يهاجمون مصر بحرًا وبرًّا، ويخضعوهم لغرامة عظيمة من المال والغلة؛ لأجل أن تكون المعابد وكل ما هو في البلاد يصبح في أمان (المقصود بالذين يهاجمون مصر هنا هم السليوكيون الذين على رأسهم «أنتيوكوس» الثالث). هذا، وكان الملك قد زحف على «ليكوبوليس» الواقعة في المقاطعة البوصيرية (المقاطعة التاسعة من مقاطعات الوجه البحري) وهي التي كانت قد احتُلت وحُصنت لمقاومة حصار مجهز بمستودعات أسلحة وبكل الموارد الأخرى، ولما رأى أن أمد العصيان كان طويلًا بين الرجال الكفرة المتجمعين فيها، وهم الذين كانوا قد ألحقوا ضررًا بالغًا بالمعابد وبكل سكان مصر؛ فإنه بعد أن عسكر أمامها أحاطها بالتلال والخنادق والتحصينات المنيعة، ولكن لما كان النيل قد ارتفع ارتفاعًا عظيمًا في السنة الثامنة «من حكمه» وقد كان في العادة يفيض على السهول فإنه منعه، وذلك بسده عند نقط عدة عند فتحات مجاري المياه، وقد أنفق على ذلك مبلغًا من المال ليس بالقليل. هذا، وقد أقام على حراستها فرسانًا ومشاة — يقصد هنا إما السدود وإما جيشه الذي وضعه ليحاصر الثوار بعد أن حجز الفيضان بعيدًا، وكان الثوار أمَّلوا أن يرفع فيضان النيل الحصار. وفي الحال استولى على البلدة بالهجوم، وقضى على كل الرجال الكفرة الذين كانوا فيها، وذلك مثلما أخضع سابقًا «هرميس» و«حور» بن «إزيس» «وأوزير» العصاةَ في نفس الإقليمة، أما مضللو العصاة في زمن والده وهم الذين عاثوا في الأرض فسادًا، وألحقوا أضرارًا بالمعابد، فإن هؤلاء عندما أتى إلى «منف» عاقبهم انتقامًا لوالده ولبلاده بما يستحقون عندما وصل إلى هناك ليؤدي الأحفال اللازمة لتسلمه التاج، وقد نزل عما كان يستحقه التاج من المعابد حتى العام الثامن «من حكمه»، ولم يكن هذا بالقدر الصغير من الغلال والمال، وكذلك الغرامات عن نسيج الكتان الملكي الذي لم يُورد للتاج، وكذلك الغرامات عن تكاليف تحقيق ما قد ورد لنفس المدة، وكذلك أعفى المعابد من ضريبة إردب عن كل أرورا من الأرض المقدسة، وجرة النبيذ عن كل أرورا من أرض الكروم.

أما العجلان «أبيس» و«منيفيس» فإنه منحهما هبات كثيرة، وكذلك الحيوانات الأخرى المقدسة في مصر أكثر مما منحه أي ملك آخر قبله، هذا مع تقدير ما كانت تملكه (الآلهة) من كل وجه. وقد أعطى لدفنها ما هو مناسب بسخاء وفخامة، وكذلك ما كان

يُدفع بصفة منتظمة لمحاريبهم الخاصة، بالإضافة إلى الأضاحي والأعياد وكل الشعائر المتبعة، وكذلك أبقى على أمجاد المعابد ومصر على حسب القوانين، وكذلك زخرف معبد «أبيس» بالأشغال الثمينة منفقًا عليه الذهب والفضة والأحجار الثمينة مبلغًا ليس بالقليل.

وأسس معابد ومحاريب وموائد قربان، كما أصلح ما يحتاج إلى إصلاح، بروح إله محسن في الشئون الخاصة بالدين، وقد كشف عن أشرف المعابد (أو المواقع) وجددها في مدة ملكه كما كان يليق. ومكافآت لكل هذه الأشياء منحته الآلهة الصحة والنصر والقوة، وجميع الأشياء الطيبة الأخرى، وملكه يكون باقٍ له ولأولاده أبديًّا مع الحظ المواتي، لقد وُجد من الخير على كهنة جميع المعابد في البلاد أن يزيدوا كثيرًا ما هو موجود من أمجاد الملك «بطليموس» العائش أبديًّا، محبوب «بتاح» الإله «أبيفانس-يوكاريستوس»، وكذلك أمجاد أبويه الإلهين «فيلوباتور»، وأجداده الإلهين «إيرجيتيس»، والإلهين «أدلفوس»، والإلهين «سوترس»، وأن يقيموا للملك «بطليموس» العائش أبديًّا، محبوب بتاح، الإله «إبيفانس-يوكاريستوس» تمثالًا في أبرز مكان من كل معبد، وسيُسمى (تمثال) «بطليموس» المنتقم لمصر، وبجانبه سيُقام تمثال الإله الرئيسي للمعبد، وفي يده رمز النصر الذي سيُصنع على حسب الطراز «المصري»،[٣] وأن الكهنة سيقدمون تحياتهم للتماثيل ثلاث مرات يوميًّا، وكذلك يضعون عليها الزينة المقدسة (أي يُلبسونها) ويؤدون الأمجاد الأخرى العادية، كما تُؤدى للآلهة الآخرين في الأعياد المصرية، وأن يقام للملك «بطليموس» الإله «إبيفانس-يوكاريستوس» المتناسل من الملك «بطليموس» والملكة «أرسنوي» الإلهين المحبين لوالدهما تمثال ومحراب من الذهب في كل من المعابد، على أن يُنصب في الحجرة الداخلية (= قدس الأقداس) مع المحاريب الأخرى، وفي الأعياد العظيمة التي تُحمل فيها المحاريب في موكب سيُحمل محراب الإله «إبيفانس-يوكاريستوس» في الموكب معها، ولأجل أن يكون مميزًا عنها الآن وإلى الأبد؛ فإنه سيُوضع على المحراب عشرة التيجان الذهبية الخاصة بالملك، وهي التي سيُوضع عليها صل كما هي الحال في التيجان التي على شكل صل، وهي التي تُوجد على محاريب أخرى، ولكن سيُوضع في وسطها التاج المسمى «سخمت» (التاج المزدوج) وهو الذي لبسه عندما

---

[٣] يُلْحَظُ أنه من بداية السطر الأربعين في المتن الإغريقي أن الكسر في اللوحة من الجهة اليمنى قد أصبح كبيرًا؛ مما أتلف المتن بعض الشيء، ومن ثم أصبحت قراءة بعض الكلمات غير مؤكدة. وعلى ذلك فقد لعب التخمين دورًا في ملئها، وأصبح المعنى ليس مؤكدًا نتيجة لذلك.

ذهب إلى معبد «منف» ليؤدي فيه أحفال تسلم الملك. وسيوضع على سطح المربع الذي حول التيجان بجانب التاج السالف الذكر تعاويذ ذهبية (وسيُنقش عليها: إنه محراب الملك الذي يجعل الوجه القبلي والوجه البحري مشرقين — أو ظاهرين).

ولما كان اليوم الثلاثون من شهر «مسرى» وهو الذي احتُفل فيه بيوم ميلاد الملك، وكذلك اليوم ١٧ من شهر بابه وهو اليوم الذي تسلم فيه الملك من والده؛ فإنهما قد اعتُبرا أسماء أيام في المعابد، ولما كانا مناسبتين لرحمات عظيمة؛ فإنه سيُقام عيد في المعابد في كل مصر في هذين اليومين من كل شهر، وسيكون فيهما أضاحي وقربات سائلة، وكذلك كل الأحفال المعتادة في كل الأعياد الأخرى.

وسيُقام عيد للملك «بطليموس» العائش أبديًّا محبوب «بتاح» الإله «إبيفانس-يوكاريستوس» سنويًّا في كل معابد البلاد من أول شهر «توت» لمدة خمسة أيام، وستُرْتَدى فيها أكاليل وتُؤدى أضاحٍ والتزامات أخرى عادية، وسيدعي كهنة الآلهة الآخرين كهنة الإله «إبيفانس-يوكاريستوس» بالإضافة إلى أسماء الآلهة الآخرين الذين يقومون بخدمتهم، وستُدون في الوثائق الرسمية طائفة كهانته، (وتُحفر على الخواتم التي يلبسونها)، وسيُسمح للأفراد العاديين أن يقيموا العيد، ويقيموا كذلك المحراب السالف الذكر، ويكون عندهم في بيوتهم، ويؤدون الاحترامات المعتادة في الأعياد شهريًّا وسنويًّا؛ وذلك لأجل أن يكون معروفًا للكل أن رجال مصر يعظمون ويمجدون الملك «إبيفانس-يوكاريستوس» على حسب القانون.

وهذا المرسوم سيُدون على لوحة من الحجر الصلب بالأحرف المقدسة والوطنية والإغريقية، ويُقام في كل المعابد التي من الدرجة الأولى والثانية والثالثة عند تمثال الملك العائش أبديًّا.

(٤) تعليق

حاولت عند ترجمة مرسوم «منف» وهو المعروف في عالمنا الحديث بحجر رشيد أن أضع أمام القارئ تراجم للنصوص الثلاثة التي دُوِّنَ بها هذا المرسوم؛ وهي اللغة المقدسة القديمة التي تضرب بأعراقها إلى عهد «مينا»، واللغة الديموطيقية وهي لغة الشعب التي بدأت تظهر منذ العهد الكوشي — حوالي ٧٥٠ق.م — واستمرت تنمو وتتطور على حسب الأحوال حتى نهاية العهد الروماني ثم احتلت مكانتها اللغة القبطية، وأخيرًا اللغة الإغريقية وهي اللغة التي كانت تُعتبر في وقت إصدار المنشور اللغة الرسمية للبلاد. ولا بد

أن المطلع على تراجم هذه المتون سيلحظ فروقًا محَسة بين كل ترجمة وأخرى، وإن كان المعنى العام الذي من أجله صدر هذا المنشور يمكن الوصول إليه من أي متن من هذه المتون الثلاثة على حدة. غير أنه يلحظ في كل متن تعابيره الخاصة ومصطلحاته الخاصة؛ ومن أجل ذلك نجد أن هذا المنشور عند نقشه قد رُوعي فيه أن يصل إلى أذهان كل سكان مصر عامة؛ فالمتن الهيرغليفي قد دُوِّنَ لجماعة الكهنة الذين كانوا يُعدون طائفة خاصة تكاد تكون بمعزل عن الشعب من حيث الثقافة والتفكير، هذا على الرغم من أن هذه الطائفة كانت هي المسيطرة على عقول الشعب المصري الأصيل من الوجهة الدينية. والواقع أنه كانت لهم لغتهم المقدسة التي كانت تُستعمل في صلواتهم وفي نقش معابدهم وتعاليمهم الخاصة التي كانت معرفتها قاصرة عليهم في معظم الحالات.

أما المتن الديموطيقي فقد كُتب لعامة الشعب المصري الأصيل، وقد نقشه الكهنة باللغة العامية التي يفهمها هؤلاء ويتخاطبون بها في رسائلهم ومعاملاتهم العامة، ولا نزاع في أن عامة الشعب كان لا يفهم اللغة المصرية المقدسة إلا القليل منهم، يضاف إلى ذلك أن مثل هذا المرسوم كان يُنشر في المعابد التي من الدرجات الأولى والثانية والثالثة، وبعبارة أخرى كان يقرأه كل الشعب المصري المثقف وغير المثقف منهم، ولذلك كان لزامًا إصداره باللغة التي يعرفها المصريون أهل البلاد.

وأخيرًا دُوِّنَ المنشور باللغة الإغريقية وهي — كما قلنا — كانت لغة الحكومة المصرية.

ولما كان من مصلحة الكهنة أن يفهم الإغريق ما احتواه هذا المنشور من مقررات تمس صميم مالية البلاد وأحوالها الاجتماعية؛ فإن المرسوم قد تُرجم إلى اليونانية، أو على الأقل نُقلت كل معانيه إلى الإغريقية، وبتعابير إغريقية نُقلت عن المصرية، وهذا ما يُلحظ في بعض التعابير التي عبر عنها الإغريقي في المتن الإغريقي، وقد كانت ترجمة بعض هذه التعابير تستعصي على الكاتب الإغريقي، ولقد كان من أوجب الواجبات أن يُكتب مثل هذا المنشور بالإغريقية، وبخاصة عندما نعلم أن الملك كان على دين المصريين ويُعد فرعونًا في نظرهم، وذلك على الرغم من أن مواطنيه الإغريق في مصر كانوا على ملة آبائهم.

ولا نزاع في أن من يقرن المرسوم الذي نُقش على «حجر رشيد» بالمرسوم الذي نُقش على لوحة «كانوب» منذ ثلاث وأربعين سنة خلت؛ يجد أن الفرق ظاهر وواضح لا يحتاج إلى تفسير عميق، فيشاهد أن كل الدلائل تشير في مرسوم حجر رشيد إلى أن علاقة الملك مع رجال الدين وكذلك مع الشعب المصري كانت أحسن حالًا مما كانت عليه من قبل.

وتفسير ذلك أننا نلحظ أولًا أن مجمع الكهنة كان قد بدأ يُعقد في «منف» عاصمة ملك الفراعنة القديمة، وذلك بدلًا من «كانوب» مقر سلطان البطالمة، وكانت «كانوب» هذه في الواقع ضاحية من ضواحي الإسكندرية التي كانت هيلانستيكية النزعة لحمًا ودمًا، ومن ثم فإن هذه كانت أول خطوة خطاها الكهنة المصريون إلى الأمام في تثبيت أقدامهم وإعلاء شأن ديانة آبائهم وأجدادهم الذين كانوا يترسمون خطاها منذ أقدم العهود الفرعونية. على أنه لم يكن بالأمر الغريب أن أصبح الملك يتزيا بالزي الفرعوني في بلدة فرعونية الأصل. حقًّا، كان أجداد «بطليموس» الخامس يتزيون بزي الفراعنة عند تتويجهم، ولكن كان يحدث ذلك في بلد لا تعرف لهذا الزي معنى، وأنهم قد أُجبروا على لبسه مجاراة لسياسة الملك ومقتضيات الأحوال، غير أن ملوك البطالمة بدأوا الآن يضعون الأمور في مواضعها الطبيعية، وبخاصة عندما نعلم أن جميع الشعائر التي كانت تُقام قد أصبحت تؤدى على حسب التقاليد المصرية عند تنصيب الملك البطلمي فرعونًا على البلاد، وهذا هو نفس ما حدث في الاحتفال الذي أُقيم لتنصيب «بطليموس» الخامس فرعونًا على مصر.

ويُلحظ أن هذه الشعائر التي أُديت لهذا الملك لم تكن قد أُديت في مرسوم «كانوب» بنفس الصورة الفرعونية الفنية. يُضاف إلى ذلك أن طائفة الكهنة قد أُعفوا هنا من كثير من الضرائب التي كانت تثقل عاتقهم في الماضي، وفضلًا عن ذلك لم يكن لزامًا على الكهنة المصريين أن يتحملوا مشاق السفر من «منف» حتى الإسكندرية لتجديد ولائهم وإخلاصهم للفرعون بمناسبة عيد ميلاده، فقد جمع الكهنة منذ حكم هذا العاهل الجديد في «منف» مجلسهم الذي كان في العادة يُعقد في «كانوب» كما كانت تقام فيها الأعياد، ومن المحتمل أنها كانت قد أصبحت عاصمة الملك، ولا نزاع في أن تسامح البطالمة إلى هذا الحد كان فاتحة سياسة جديدة في داخل البلاد تنطوي على اللين وعدم المغالاة في معاملة الشعب بالشدة والقسوة، ويرجع السبب في ذلك إلى ما لاقاه رجال الحكم في الإسكندرية من مقاومة عنيفة أثناء الثورات التي اندلع لهيبها في طول البلاد وعرضها، وكلفت حكومة البطالمة ثمنًا باهظًا، وقدمت لهم درسًا لم يتلقوه من قبل، عرفوا منه أن الشعوب لا تُقهر ولا تُستغل بالقوة، وأنه لا بد من أن تنال حقها في الحياة مع الكرامة والإباء، وبخاصة الشعب المصري الذي لم يتغلب عليه فاتح إلا إذا اندمج فيه وأصبح يكون وحدة معه.

وأن من يقرأ مرسوم «منف» يتضح له أن مصر الحقيقية في عهده لم يؤثر فيها الغزو البطلمي؛ بل الواقع أنها لم تُغز في أخلاقها وعاداتها ومعتقداتها، وقد ظلت ثابتة على حالتها الأصلية التي كانت عليها في عهد البطالمة حتى جاء الفتح الإسلامي؛ فغير بعض الظواهر، ولكن الجوهر لا يزال كما هو إلى درجة عظيمة.

حكومة مصر في عهد الملك «بطليموس الخامس» وعلاقاتها الخارجية[1]

ذكرنا فيما سبق أن مصر في عهد الوصاية الأخيرة أخذت تفقد أملاكها في الخارج سراعًا في بحر إيجة، وكذلك رأينا أن «أنتيوكوس الثالث» قد استولى على «سوريا الجوفاء» وما لمصر من ممتلكات في فلسطين؛ غير أنه لم يقم بغزو مصر نفسها، مع أن الفرصة أمامه كانت سانحة؛ إذ كانت مصر لا حول لها ولا قوة، وبخاصة عندما نعلم أن الحروب الداخلية كانت تفتت أوصالها. وعلى أية حال فإن ما لدينا من معلومات تاريخية يمكن الاعتماد عليها لا تسمح لنا بأن نقرر بصورة قاطعة في أي وقت انتهت حالة الحرب بين مصر و«أنتيوكوس»، ولكن من جهة أخرى نعلم أن «فيليب الخامس» ملك «مقدونيا» الذي كان يطمع في أملاك مصر قد هُزم في «سينوسيفاليس» Cynoscephales على يد «كونكتيوس فلامينوس» Quinctius Flaminus محرر بلاد الإغريق، ومن ثم أصبح لا حول ولا قوة له، وفي تلك الأثناء كان أسطول «أنتيوكوس» الثالث يتنزه على ساحل آسيا الصغرى، وفي خلال ذلك الوقت أتت إليه مدن «سيليسيا» و«مالوس» Mallos و«زفيريون» Zephyrion و«سولس» Soles و«أفروديزياس» Aphodisias و«كوريوكوس» Corycos و«سيلينوت» Selinote خاضعة مستسلمة، ثم تلى هذه البلدان مدن «ليسيا»، وهي: «ليميرا» Limyra و«باتارا» Patara و«أكزانتوس» Xanthos، وبعد ذلك ولى «أنتيوكوس» وجهه شطر «إفيسوس» Ephesus حيث اتخذها معسكرًا عامًّا لجيشه، وكانت منذ عهد

[1] راجع: B. L. T. I. p. 377.

«بطليموس الثالث» المحط الرئيسي لجنود مصر وأسطولها (١٩٧ق.م). وقد أمضى الشتاء فيها،[٢] ومن هناك أبحر بأسطوله للاستيلاء على «تراقيا» التي كانت منذ زمن طويل تحت السيطرة المصرية (١٩٦ق.م). غير أن «فيليب» لم يحسب حساب الرومان في ذلك الوقت؛ إذ كانوا أصحاب قوة وبطش، كما كانوا أصحاب النفوذ في الشرق، وقد كان أساس سياستهم التقليدية يتمثل في قول شاعرهم الوطني فرجيل:[٣]

نضرب صفحًا عن المتواضعين، ونضرب المتعالين.

والواقع أن «أنتيوكوس» على الرغم من اندفاعه وقلة حزمه، فإنه قد حسب حساب الموقف الذي كان فيه وقتئذ، ومن أجل ذلك سعى إلى مهادنة روما واتخاذ الحيطة لعدم مهاجمتها له. ومن ثم أرسل إليها — على ما يُظن — مبعوثًا من قبله أثناء إقامته في «أفيسوس»، ويقال إن مجلس شيوخ روما قابل هذا المبعوث بكل احترام كما تقتضيه الأحوال السياسية عندهم؛ وذلك لأن نتيجة الحرب التي كانت مشتعلة نارها بين روما و«فيليب الخامس» كانت لا تزال معلقة، ولكن بعد انتهاء موقعة «سينوسيفاليس» التي هُزم فيها «فيليب» هزيمة منكرة لم يكن هناك ما يدعو إلى عدم إظهار موقفهم الحقيقي مع «أنتيوكوس» فقد أعلنوا أن سياستهم تتمثل في حماية الضعفاء، وبوجه خاص مصر، وأنهم سيفرضون وصايتهم على أملاكها سواء أراد «أنتيوكوس» ذلك أم لم يُرِدْ. ومن ثم نجد أن الرومان قد أرسلوا إلى «أنتيوكوس» أثناء إقامته في «ليزيماكوس» بعثًا من قبل مجلس الشيوخ؛ ليضع حدًّا للخلافات التي كانت قائمة بينه وبين «بطليموس الخامس»، وقد طلب مجلس الشيوخ الروماني فضًّا للنزاع بينهما أن يعيد «أنتيوكوس» كل ما استولى عليه عنوة سواء أكان ذلك من أملاك «بطليموس الخامس» أم من أملاك «فيليب» ملك مقدونيا، وقد وضع الرومان أسبابا لذلك؛ فمن ناحية «بطليموس» فلأن مصر كانت تحت وصاية روما، وأما من جهة «فيليب» فلأنه يكون ضربًا من السخف أن يجعل الرومان «أنتيوكوس» يستغل النصر الذي أحرزه الرومان على «فيليب»، وقد أجاب على ذلك «أنتيوكوس» بأنه لم يَأْتِ أمرًا منكرًا فيما يقوم به؛ بل الواقع أن كل ما فعله هو أنه استعاد إرث جده «سليوكوس نيكاتور»، وقد كان الأخير قد قهر «ليزيماكوس» واستولى على ممتلكاته وكان من بينها

---

[٢] راجع: Liv XXXIII, 38.

[٣] راجع: Virg Aen VI, 853.

«كرسونيس» و«تراقيا» حيث يوجد فيها هو الآن. وقد كان «أنتيوكوس» يأمل في أن يتخذ «ليزيماكيا» مقرًّا لابنه «سليوكوس» الذي خلفه على عرش الملك فيما بعد، وقد انتهى الأمر بأن انقلبت المحادثات بين الطرفين إلى مشادة عنيفة؛ فطلب الرومان إلى «أنتيوكوس» أن يوضح لهم الأسباب التي من أجلها أخفى عنهم بكل تكتم جولاته في آسيا الصغرى، وما الذي جعله يأتي إلى أوروبا بكل جيوشه البري والبحرية. يضاف إلى ذلك أن هذه المناقشة قد سممها حضور وفود بلاد «آسيا الصغرى»، الذين كانوا قد حضروا ليشتركوا في إعلان تحرير الهيلانيين في الألعاب الأرخبيلية. وقد أجاب «أنتيوكوس» على شكايتهم بأنه يقبل أن يكون بينه وبينهم حكمًا في ذلك حكومة «رودس» لا حكومة الرومان، وقد أجاب الرومان الذين كانوا يميلون إلى معاضدة الهيلانية بأنهم يحرمون عليه أن يتعدى على المدن الحرة التي طلبت معظمها حماية «روما»، وعندما سمع ذلك «أنتيوكوس» ثار ثائره، وأجاب بأنه لم يتدخل في شئون الرومان في إيطاليا، ومن أجل ذلك يجب عليهم ألا يتدخلوا في شئون آسيا، وعلى ذلك فإنه سيرد بمحض إرادته الحرية للمدن التي لها الحق في نيل حريتها، لا بالأمر الصادر له من «روما».

وفي خلال هذه المناقشة بدر منه تصريح أخرق؛ فقد أعلن للرومان بألا يهتموا بأمر «بطليموس الخامس» لأنه سيرتب أموره معه على أحسن ما يكون، مدعيًا أن «بطليموس» كان صديقه، وأنه يفكر في توطيد أسس هذه الصداقة بمحالفة أسرية، ومما لا شك فيه أن هذا السبب كان يعتبر ممتازًا في ظاهره، ولكن الرومان قد فهموا أن معنى ذلك هو اتحاد أعظم دولتين في الشرق معًا؛ وهو إذن اتحاد مضاد لسياسة الرومان ومقاصدها التوسعية. يضاف إلى ذلك أن الرومان لم ينسوا أنهم قد خُدعوا من قبل، ومنذ تلك اللحظة نجد أنهم قد أخذوا يرقبون شئون مصر عن كثب، كما أنهم أخذوا يرقبون أعمال «أنتيوكوس» وحركاته. وقد قيل إن كل ما فاه به «أنتيوكوس» عن مصر أثناء هذا النقاش كان متفقًا عليه بمقتضى معاهدة أُبْرِمَتْ عام ١٩٨ق.م بعد موقعة «بانيون» مباشرة، وبمقتضاها نزلت مصر عن كل أملاكها في الخارج، وذلك مقابل وعد بزواج «بطليموس الخامس» من «كليوباترا» ابنة «أنتيوكوس»، وقد ذكر لنا ذلك المؤرخ «سنت جيروم»، غير أن ذلك الخبر كان لا يخرج عن الحدث والتخمين، ومع ذلك فإن هذا الرأي قد اعتنقه بعض المؤرخين،[٤] ولكن المؤرخ «بوشيه لكلرك» يقول إن كلام «أنتيوكوس» كان سابقًا لأوانه.

[٤] راجع: B. L. I. p. 380 note 1; Holm Gr. Gesch II p. 47.

وعلى أية حال فإن هذا النقاش الذي كان يسوده عدم التفاهم قد قطع بشائعة كاذبة، ولم يكن من المستطاع تفسير كنهها؛ فقد قيل: إن ملك مصر الفتى الذي لم يكن قد مصر على بلوغه سن الرشد وتوليه عرش البلاد فعلًا إلا فترة يسيرة قد حضره الموت، وبوفاته انقرضت أسرة البطالمة، وعندما وصلت هذه الشائعة «ليزيماكيا» أصبح الدبلوماسيون في حيرة؛ وذلك لأنهم صدقوا الشائعة دون أن يتكلموا في أمرها. وقد ادعى كل من الفريقين المتفاوضين أنه قد علم بالخبر، ولكن أحد المتفاوضين المسمى «كورنيليوس» Cornelius وقد كان مكلفًا بمأمورية لدى الملكين «بطليموس الخامس» و«أنتيوكوس» طلب أن يعطى مهلة صغيرة ليذهب لمقابلة «بطليموس»؛ وذلك لأجل أن يصل إلى مصر قبل أن يتصرف أي إنسان في أي شيء فيما يخص عرش الملك، وذلك بوضع ملك جديد عليه.

هذا، وكان «أنتيوكوس» في نفس الوقت يعتقد أن مصر ستصير ملكه إن هو احتلها في هذه اللحظة، ومن أجل ذلك كان السوريون والرومان يسارعون إلى الوصول إلى الإسكندرية للوقوف على مجريات الأمور هناك؛ فنشاهد «أنتيوكوس» يترك ابنه الثاني «سليوكوس» على رأس جيشه البري لحراسة «تراقيا»، وركب هو متن البحر بأسطوله عازمًا على ألا يترك الرومان يتصرفون في وراثة ملك البطالمة، غير أن «أنتيوكوس» عندما وصل إلى بلدة «باتارا» من أعمال «ليسيا» في آسيا الصغرى علم بأن خبر وفاة «بطليموس الخامس» كان شائعة كاذبة من أساسها، وعلى الرغم من ذلك نجد أنه لم ينزل عن تنفيذ مشاريعه دفعة واحدة، فصمم على البدء بالاستيلاء على قبرص، غير أن أمرًا لم يكن في حسبانه قد وقع، مما عرقل تنفيذ خطته؛ وذلك أنه قام عصيان في جيشه على ساحل «بامفيليا»، وقد زاد الطين بلة أن قامت عاصفة على مسافة مصب نهر «ساروس» أشاعت الفوضى في الأسطول، وبعد ذلك دخل «أنطاكية» بما بقي من أسطوله وهو مهيض الجناح كسير القلب ذليل النفس.[٥]

ولكن «أنتيوكوس» في العام التالي — ١٩٥ق.م — أخذ يستعيد ثقته بنفسه، وذلك بعد أن عقد محالفة مع مصر أبرمها في خلال فصل الشتاء، وقد ظن أنه بذلك قد ضمد جراحه التي خدشت كبرياءه في السنة الماضية، وبذلك ظهر أمام الرومان بأنه ليس بالرجل الذي يرخي لساقيه العنان أمام تهديداتهم الجبارة. وعلى إثر ذلك انطلق بجيشه وبأسطولين كبيرين من جديد إلى الدردنيل، وقد انضم إليه في «أفيسوس» القائد «هنيبال»[٦] الذي كان

[٥] راجع: Liv, XXXIII, 41; cf. Appian Syr. 4.

[٦] راجع: Ibid, XXXIII, 49.

عائدًا من «صور»، وقد كانت خطته مقابلته في أنطاكية لبضعة أيام. وقد حفل بضيفه الذي كان يُعتبر عدو روما الأول، ومن «أفيسوس» نزل في «كرسونيز»، وقد قام بأعمال في «تراقيا» كما نقض فيها أشياء كثيرة؛ فمن ذلك أنه قد حرر الهيلانيين الذين كانوا رعايا تراقيا، كما قام بأعمال خيرية في صالح البيزنطيين وذلك بسبب موقع مدينتهم عند مدخل الدردنيل، وانتهى به الأمر أن جعل الجالاتيين Galates يتحالفون معه؛ تارة بتقديم الهدايا لهم، وطورًا بالتهديد، وكان غرضه من ذلك أن يتخذ منهم جنودًا صالحين للحرب؛ وذلك لعظم أجسامهم وقوة بنيانهم.

وخلاصة القول نجد أن «أنتيوكوس» قد عمل ما في استطاعته لإثارة الرومان عليه، دون أن يضيف شيئًا لقوته البحرية ليستطيع مقاومتهم إذا قامت الحرب. وفي أثناء عودته إلى عاصمة ملكه عام ١٩٤ق.م أرسل من «أفيسوس» بعثًا إلى روما ليستطلع سير الأمور هناك، وبخاصة مقدار تأثير تهديداته على مجلس الشيوخ، وكذلك ليناقش المسائل الملحة التي يتطلبها الرومان، ويقدم من جديد الاعتراضات التي صيغت في «ليزيماكيا»، وقد طلب إلى البعث التباطؤ في المفاوضات ومد أجلها؛ ليتسنى لـ «أنتيوكوس» في أثناء ذلك إتمام استعداداته السياسية والحربية، وقد كان غرضه أن يحصل أولًا على عقد محالفات مع جيرانه وبوجه خاص الاستيلاء على مصر، أو على الأقل جعل حكومتها في جانبه؛ وبذلك ينتزع من الرومان نقطة الارتكاز التي كانوا يعتمدون عليها في الشرق، وتدل شواهد الأحوال على أن «أنتيوكوس» قد توصل إلى جعل مصر في جانبه عن طريق المصاهرة. والواقع أن الأحوال كانت مهيأة له من هذه الناحية؛ فقد كانت له أربع بنات زوج إحداهن من ابنه الأكبر وتدعى «لاؤديسيا»؛ وبذلك ضمن خلافة الملك في بيته (عام ١٩٦–١٩٥ق.م)، وبقي عنده بعد ذلك ثلاث بنات أبكار، وقد كان عزمه الذي وقف عنده هو أن يزوج ابنته الثانية وتُدعى «كليوباترا» من «بطليموس الخامس»، وكانت الفرصة لذلك مواتية؛ لأن «بطليموس» لم يكن له أخت يبني بها على حسب القاعدة المرعية في الأسرة، وفعلًا تم الاتفاق على أن يتزوج «بطليموس» من «كليوباترا» هذه على أن يكون مهرها هو — كما قيل — «سوريا الجوفاء» و«فنيقيا» و«سماريا» و«يهودا»، وكان معنى هذا الزواج أن السلام يصبح مضمونًا بين الأسرتين المالكتين، وكذلك تتقي الأسرتان كل تدخل أجنبي، ويقضي على آمال الرومان. وقد أخذت هذه الفكرة تتبلور شيئًا فشيئًا، ولقد كان من الواضح أن «أنتيوكوس» كان قد فكر في هذا المشروع قبل تصادمه مباشرة مع الجمهورية الرومانية، وأنه كان قد جس نبض حكومة الإسكندرية، وتحسس رأيها

فيما كان قد عزم على تنفيذه. وتدل الأحوال على أن عروضه في هذا الصدد قد لاقت قبولًا حسنًا، وصادفت هوى في بلاط الإسكندرية؛ لأنه بهذا التحالف الأسري كان سيرفع عن عاتق مصر نير الوصاية المزعومة التي فرضها الرومان على «بطليموس الخامس».

ولكن يتساءل الإنسان هل هذا ما كان يقصده «أنتيوكوس» من هذا الزواج الذي لم يتم على أرجح الأقوال إلا في عام ١٩٦–١٩٥ق.م؟ الواقع أن «أنتيوكوس» كان يضمر لمصر وأسرتها المالكة أسوأ مصير؛ وذلك أنه أراد من زواج ابنته من «بطليموس الخامس» أن يقضي عليه بالاشتراك مع ابنته «كليوباترا» وبذلك يتخلص من سلالة البطالمة؛ ومن ثم يستولي على عرش مصر الذي كان سيئول إلى ابنته «كليوباترا»، وليس هناك شك في أن هذه المشاريع السوداء كانت تدور في خلد «أنتيوكوس»، ولكن سنرى أنه من سخرية القدر أن «كليوباترا» هذه الزوجة المخلصة لزوجها قد قلبت لوالدها ظهر المجن، وقضت على آماله، وبرهنت على أنها زوجة طاهرة الروح مخلصة للبلاد التي اعتلت عرشها.

وقد كان الطعم الذي قدمه «أنتيوكوس» لحكومة الإسكندرية وهو «سوريا الجوفاء» أكثر إغراء من عقد معاهدة سياسية، وقد كان هذا حافزًا مباشرًا لجعل الحكومة تقبل هذا الزواج على الفور. وتدل الظواهر على أنه لم يكن هناك في بادئ الأمر سوء تفاهم في مواد عقد الزواج، غير أنه فيما بعد قد ظهرت خلافات أدت إلى مناقشات امتد أجلها. والواقع أن مواد الزواج هذه لم تصل إلينا إلا عن طريق المعارضات والمناقشات التي وقعت بين الطرفين المتعاقدين، هذا فضلًا عن أن المؤرخين الذي كتبوا تاريخ هذه الفترة لم يذكروها لنا، ولم يكن لديهم عنها صورة واضحة. على أن ما يُفهم من المناقشة التي دارت بين الطرفين هو أن «أنتيوكوس» لم يخطر أبدًا بباله النزول عن «سوريا الجوفاء» بصورة قاطعة لمصر، وقد ذكر لنا المؤرخ «جوسيفوس»[٧] اليهودي الأصل — وهو لا يُعتمد على آرائه كثيرًا لتحيزه — أن «أنتيوكوس» قد نزل عن «سوريا الجوفاء» و«سماريا» و«فينقيا» بمثابة مهر لزواج أخته من «بطليموس الخامس» غير أنه لم يضف كذلك أن دخل هذه البلاد يقسم بين الملكين. هذا، وقد اختلف في تفسير كلمة الملكين، فهل هما «أنتيوكوس» و«بطليموس» أم «بطليموس» و«كليوباترا»؟ وعلى أية حال يؤكد المؤرخ «بوليبيوس» أنه منذ واقعة «بانيون» حتى عام ١٧٢ق.م كانت كل هذه البقاع التي ذكرها «جوسيفوس» تحت حكم ملك سوريا، ومن ثم نستنبط أن مهر «كليوباترا» كان عبارة عن نوع من

---

[٧] راجع: Joseph A. Jud., XII, 4. I. Chron., Pasch. p. 255; cf F H G. III, p. 120, Appian Syr. 5.

الدخل لهذه البقاع، وبذلك يمكن القول أن السليوكيين الذين كانوا هم المالكين الشرعيين لكل الأقطار التي كان عليها أن تدفع ضريبة بمثابة نوع من الرهن. ويقول المؤرخ «بوشيه لكلرك»: إن الاستطراد الطويل الذي أورده «جوسيفوس» في هذا الصدد ليس إلا ترديدًا لإحدى هذه المدائح التي أفسد بها المؤرخون اليهود المزورون الحقائقَ التاريخية في العهد الهيلانستيكي، وقد شجعهم على هذا جهلهم واتكالهم على جهل قرائهم.[٨]

والحقيقة التي لا ريب فيها هي أن «أنتيوكوس» لم ينزل أبدًا لمصر عن هذه الأقاليم، غير أن هناك نظرية يمكن الإدلاء بها في هذا الموضوع: وهي أن النزول عن سوريا لمصر كان مشروطًا فيما عرضه «أنتيوكوس» بشروط، ولكنها لم تُحقق، ومن ثم حل محلها ما يساوي قيمة المهر، وكان يدفع سنويًّا بصفة مؤقتة.

هذا، وكان «أنتيوكوس» يرتكن على أن تساعده مصر في أن يحصل على «آسيا الصغرى» على حساب من تحميهم روما أكثر مما وعد بدفعه سنويًّا لمصر بمثابة مهر لابنته «كليوباترا». غير أن هذا المصدر قد أفلت من يده في اللحظة الحرجة من تاريخ حياته وهو ما كان يسعى إليه بخطًى واسعة.

وعلى أية حال احْتُفل بزواج «بطليموس» (إبيفانس) من «كليوباترا» في شتاء عام ١٩٣–١٩٢ق.م في بلدة «رفح»، وهي المكان الذي هُزم فيه «أنتيوكوس» منذ ربع قرن مضى على يد المصريين، وكأن «أنتيوكوس» قد أراد بالاحتفال بهذا الزواج في هذا المكان أن يمحو العار الذي كان قد لحق به وجعل أنفه في الرغام أمام العالم المتمدين، وقد دلت الأحداث على أن «أنتيوكوس» الذي كان يرغب في أن يُدخل مصر في حرب معه يشعل نارها على روما قد أخطأ في حسابه؛ ويرجع السبب في ذلك إلى أن بلاط الإسكندرية كان لا يرغب في عقد معاهدات إلا إذا كانت تجنح إلى السلم والمهادنة لا الحرب والمغامرة، وذلك لعلم القائمين بأعباء الحكم أن مصر لم تكن مستعدة لشن حرب في هذه الفترة الحرجة من تاريخها، ومن أجل ذلك فإنها لم تكن تقصد من الاتفاق الذي أُبرم بينها وبين «أنتيوكوس» إلا الحصول على مزايا مفيدة للبلاد بالطرق السلمية، يُضاف إلى ذلك أن حكومة «بطليموس الخامس» لم تَرَ أية فائدة تعود على مصر إن هي ساعدت السليوكيين الذين كانوا دائمًا مناهضين لها على الرومان الذي كانوا على اتصال ودي

[٨] راجع: M. Holleax (Rev. des Etudes Juives XXXIX (1899), p. (161–170)).

معها منذ ما يقرب من قرن من الزمان؛ أي: منذ عهد «بطليموس الثاني»، وفضلًا عن ذلك فإن تماسك الأسرات الهيلانستيكية في وجه الجمهورية الرومانية التي كانت صاحبة أغراض توسعية كان لا يزال أمرًا خفيًّا، ولم يكن لدى حكومات الإسكندرية علاج لذلك. وإذا أغضينا النظر عن هذه الآراء التي كانت لها نتائجها الخطيرة؛ فإنه كان في استطاعة حكام الإسكندرية أن يظهروا شيئًا من الاحترام أكثر من ذلك للرومان، وكان ينبغي عليهم أن يقدموا ولاءهم لحليفهم في خلال الضائقة التي صيرت المملكة السليوكية في حالة عجز لا برء منه منذ الآن، وهكذا ترك الملك «بطليموس الخامس» صهره الملك «أنتيوكوس» يسير نحو الهلاك المحتوم له؛ ففي خلال الحرب التي دارت رحاها عام ١٩٢–١٩٠ق.م نجد أنه لم يخرج عن صمته إلا عندما نراه يقدم معونة للرومان، ويطلب إليهم بألَّا يتراخوا فيما هم قائمون به.

هذا ما فعله «بطليموس»، أما ما حدَّثنا به كل من «بوليبيوس» و«ديدور» في هذا الموقف فيدل على أن «أريستومنيس» كان رجلًا حازمًا؛ لأنه عندما أخذ مقاليد الأمور في يده قاد الملك والمملكة بصورة تامة واحترام، وذلك يخول لنا أن نعتقد أن «أريستومنيس» لم يكن في وظيفته ليذكر الملك بالحياء والأدب، أو حتى ليجعله يفكر في أن سقوطه سيكون أول تأثير في اتباع السياسة الجديدة.

والواقع أن «أريستومنيس»[٩] عندما أخذ مقاليد الأمور في يده بادر بتتويج الملك، وفاوض في موضوع زواجه، ونصح «بطليموس» بألا يُظهر عدم الاهتمام بأحوال «أنتيوكوس» صهره، وكذلك أفضى إليه بأن يُظهر في الوقت نفسه — بعض الشيء — استقلاله عن الرومان، وذلك عندما لاحظ أنه يرتمي في أحضانهم. هذا، ويحدثنا «ديدور» من جهة أخرى أن «بطليموس» كان في بادئ الأمر يحب «أريستومنيس» كوالد وكمربٍّ أدار له سياسة البلاد بحكمة، ومن ثَمَّ لم يكن يفعل شيئًا إلا بمشورته، ولكن فيما بعد أفسدت طائفة من المالقين أخلاق «بطليموس»، ومن ثم أصبح يمقت «أريستومنيس» الذي كان يتحدث إليه دائمًا في صراحة أكثر مما يجب؛ مما زاد في بغض الملك له، وحكم عليه بالإعدام وذلك بتجرع السم. وقد ذكر لنا المؤرخ «بلوتارخ» الحادث الذي أغضب الملك، ومن أجله جعل «أريستومنيس» يتجرع السم؛ فاستمع لما قصه علينا هذا المؤرخ: كان «أريستومنيس» مدير «بطليموس» قد رأى ذات يوم الملك يغط في نومه في حضرة

---

[٩] راجع: Polyb., XV, 31, 7, Diod XXVIII, 14.

أحد البعوث فربت على كتفه ليوقظه، ومن ثم اتخذ المالقون من هذا الحادث فرصة بأن ذلك إهانة للملك، وقالوا له: إذا كان على أثر كثير من الإجهاد والسهر قد تركوك وشأنك، فإنه يجب علينا أن ننبهك بصورة خاصة، ولن يكون ذلك بالربت على كتفك أمام مجتمع كبير كهذا، وعلى أثر ذلك أرسل الملك كوبة سم للوزير وأمره بتجرعها.[١٠]

وخلف «أريستومنيس» المواطن «الأرجوسي» «بوليكراتيس» وكان قد لعب دورًا هامًّا في موقعة «رفح» في عهد «بطليموس الرابع». وكان رجلًا طموحًا، غير أنه لم يكن كفءًا لهذا المنصب الخطير، وسنرى أنه عمل على حتفه بظلفه أيضًا، والمعروف أنه قبل توليه مركز الوزارة كان يشغل منصب نائب الملك في قبرص، وعند عودته حمل معه أموالًا طائلة جمعها من قبرص وقدمها للملك، وكان قد نزل عن وظيفة نائب الملك في قبرص «لبطليموس» بن «أجيساركوس» Agesarchos حبًّا في التقرب من حظوة الملك، وقد عمل «بوليكراتيس» كثيرًا من أجل إصدار قرار كان من نتائجه تحرير الملك تحريرًا شرعيًّا وتتويجه قانونًا. ولقد كان من مصلحته أن يشعر الملك بأنه قد أصبح حرًّا من الوصاية، وقد اقتضت الأحوال أن يقبله «أريستومنيس» مساعدًا له، وذلك على الرغم من أنه كان مساعدًا يمكن أن يصبح منافسًا؛ بل قد ينقلب يومًا ما إلى عدو.

وقد حدث فعلًا أن تخلص «بوليكراتيس» من «أريستومنيس»، وبعد ذلك سار على عكس ما كان يسير عليه سلفه، والظاهر أنه كان ناصحًا للملك بالصورة التي تتفق مع أهوائه وميوله، فبدلًا من أن يحد من كسله وخموله النفسي — وذلك على الرغم من ميله الشديد للألعاب الرياضية — فإنه قد تركه وشأنه يشبع نهمه من ملاذ الحياة والشهوات من النساء، يضاف إلى ذلك أنه بعد موت «أريستومنيس» أخذ «بطليموس» يزداد يومًا بعد يوم في وحشيته وقسوته؛ إذ نجد بدلًا من أن يقوم بأعباء مهام سلطته الملكية نراه قد مال إلى ارتكاب الأعمال الوحشية التي كانت لا بد كامنة في قرارة نفسه مما جعله ممقوتًا عند المصريين إلى درجة أنه كان على وشك ضياع تاجه.[١١] وعلى أية حال فإن «بوليكراتيس» نفسه كان يضع لسيده هذه المثل السيئة بما كان يقترفه هو من آثام، وفي ذلك يحدثنا «بوليبيوس»[١٢] فيقول: إنه بعد أن جمع مبلغًا عظيمًا من المال في السنين التي

[١٠] راجع: Plut. De Adul., 46.

[١١] راجع: Diod. XXVIII, 14.

[١٢] راجع: Polyb.: XVIII, 55.

تلت تنصيبه وزيرًا قد أصبح عندما تقدمت به السنون رجلًا فاجرًا؛ فقد أرخى لنفسه العنان في طريق الموبقات والعيشة الخسيسة.

وليت سوء سمعته كانت منحصرة في داخل البلاد، بل تعدتها إلى السياسة الخارجية؛ فبدلًا من اتباع سياسة المقاومة الحاذقة والاستقلال المحترم، وهي السياسة التي كان يسير على نهجها «أريستومنيس»؛ نجده قد خضع عن طيب خاطر لسياسة الاستسلام لإرادة الرومان، ولا نزاع في أن «بوليكراتيس» كان هو الفرد الوحيد الذي يدير سكان السياسة المصرية في خلال الحرب التي شنها «أنتيوكوس» على مصر أخيرًا، وذلك بعد تردد ومفاوضات وأخذ ورد.

والواقع أن «أنتيوكوس» هذا كما هي سليقته كان منساقًا دائمًا وراء أطماعه وغروره، ويرجع ذلك إلى ما كانت تغرقه به أذنابه من الملق الخسيس الذي كان يكيله له جنوده الآتوليون، هذا فضلًا عن أنه كان مطمئنًا إلى بطولتهم الجوفاء، وقد بلغ به الغرور إلى درجة جعلته يعتقد أنه بمجرد وضع قدميه على أرض بلاد الإغريق يهب الهيلانيون بثورة على الرومان وعلى «فيليب المقدوني»، وبذلك تتاح له الفرصة للأخذ لنفسه بالثأر، وكذلك اعتقد أن لا داعي للقيام بتحضير استعدادات كبيرة للحرب. ومما يؤسف له أنه بمثل هذه الأوهام التي كانت تداعب خياله الخصب نجده قد نزل بجيش غير كافٍ لملاقاة العدو على ساحل «تساليا» في خلال شتاء عام ١٩٢–١٩١ق.م، والمدهش أنه لم يفقه لغلطته في الحال؛ بل نجده سدر في غيه وطيشه، فقد رأيناه وقد نسي نفسه في «كلسيس» واقعًا في مغامرة غرامية مع أنه كان في الخمسين من عمره، وقد انتهت هذه المغامرة بالزواج، وعلى أية حال لم يمض طويل زمن حتى واجهه سوء تصرفه بسرعة في ربيع عام ١٩١ق.م؛ فقد كان عليه أن يدخل في حرب مع الرومان، وفي تلك الآونة نجد أن حليفي «أنتيوكوس» المرتقبين وهما ملك مقدونيا و«بطليموس» ملك مصر أرسلا إلى «روما» يقدمان لمجلس الشيوخ مساعدتهما، وفي حوالي نفس الوقت — عام ١٩١ق.م — كان قد وصل إلى روما سفراء من قبل كل من «فيليب» ملك مقدونيا و«بطليموس الخامس»، وقد وعد الأول بمساعدة روما في الحرب التي شنتها على «أنتيوكوس» بالمال والغلة، أما «بطليموس» فقد وعد بإرسال مبلغ من المال يبلغ ألف جنيه من الذهب وعشرين ألف من الفضة، غير أن حكومة روما لم تقبل شيئًا من العرضين، وأرسلت شكرها وامتنانها للملكين. هذا، ولما كان كل من «فيليب» و«بطليموس» قد وعد بقيادة جنودهما إلى «آتولي» وبالاشتراك في الحرب في جانب روما؛ فإن الأخيرة قد استغنت عن جنود «بطليموس»، أما «فيليب» فقد

أجابه مجلس الشيوخ والشعب الروماني بأنهم سيكونون شاكرين له لو مد يد المساعدة للقنصل «أسيليوس» Acilius،[١٣] ومن هنا وجد «فيليب» الفرصة سانحة فانتقم بطريقته من حليفه الذي كان قد تخلى عنه بحماقة فيما سبق.

وفي تلك الفترة نجد أن بلاط الإسكندرية الذي كان يُنتظر منه على الأقل أن يبقى على الحياد، قد بحث عن فرصةٍ ليرتكب خيانة حقيقية أخرى؛ فقد طلبت حكومة مصر إلى «أنتيوكوس» تنفيذ عقد الزواج الغامض في شروطه، غير أن الأخير قد أجاب على طلب مصر بقحةٍ تدل على الرفض التام، وعندئذ نجد أن حكومة الإسكندرية في العام التالي «١٩٠ق.م» — عندما علمت بهزيمة «أنتيوكوس» في «ترموبوليس» على يد الرومان، وأنه جعل بينه وبين الرومان عرض البحر الإيجي، متخيلًا أن أعداءه لن يجسروا على اقتفاء أثره في آسيا[١٤] — قد أرسلت إلى روما تهانيها وتجديد مساعدتها لها، وفعلًا ذهب سفراء من قبل «بطليموس» و«كليوباترا» لتهنئة مجلس شيوخ روما بما قام القنصل «أسيليوس» Acilius من طرد الملك «أنتيوكوس» من بلاد الإغريق، وإجباره على سحب جيشه من آسيا الصغرى. ثم قالوا: إن الفزع قد انتشر في كل مكان لا في آسيا الصغرى وحسب بل في سوريا أيضًا، وإن مَلِكَيْ مصر على استعداد لعمل كل ما يسر مجلس الشيوخ. هذا، وقد اقترع مجلس الشيوخ على تقديم الشكر لملكي مصر، وأن يصرف مبلغ أربعة آلاف أس — عملة رومانية — لكل من مبعوثي مصر. (راجع: Li v. XXXVI, 41.)

وقد فطن مجلس شيوخ روما للغرض الذي كانت تسعى إليه حكومة الإسكندرية من سياسة عميقة من وراء اندفاعها وإلحاحها في تقديم المساعدة لها؛ فقد كان يسعى كل من ملك مصر وملكتها أن يكون تحمسهما ذات اعتبار في نظر الرومان، ومن ثم يكون لهما نصيب في الغنيمة أو بمعنى أدق كانا يأملان أن يرد لهما ما اغتصبه «أنتيوكوس» من مصر، ولم يكن في الواقع محرمًا عليهما أن يأملا في أكثر من هذا، غير أن مجلس الشيوخ قد اتخذ لنفسه خطة معينة وهي عدم قبول أية مساعدة مهما كانت منهما، وبعد أن رفضت الهدايا التي كان قد قدمها المبعوثون لمجلس الشيوخ دفع الأخير لهم مصاريف السفر، ومن ثم يُفهم أن البعث المصري كان عديم الجدوى. وقد شاهد «بطليموس» في الحال البرهان على ذلك، عندما أصبح «أنتيوكوس» مضطرب العقل مبلبل الفكر يدفع به

[١٣] راجع: Liv., XXXVI, 4.

[١٤] راجع: Liv., XXXVI, 41.

«هنيبال» من جهة، ويستولي عليه الرعب والجزع من جهة أخرى، بعد أن رأى أسطوله يُهزم في «كوريكوس» Corycos عام ١٩١ق.م وكذلك في «مينيسوس» Mynnesos عام ١٩٠ق.م. هذا بالإضافة إلى اقتراب جموع جيش الرومان منه، فنراه عندئذ قد أخذ يجند كل من كانوا في متناوله، بما في ذلك أهالي «كابودوشيا» الذين أرسلوا إليه زوج ابنته «أريارت» Ariarthe والجنود المرتزقة الجلاتيين، وبعد ذلك أخذ يخرب إقليم «برجام»، وفي الوقت نفسه عرض عليها الصلح، وهكذا أخذ «أنتيوكوس» يتخبط إلى أن اضطر أخيرًا إلى خوض غمار موقعة فاصلة في «ماجنيزيا» Magnesie حيث هُزم هزيمة ساحقة عام ١٩٠ق.م، اضطر بعدها «أنتيوكوس» إلى أن يستسلم لتمزيق أوصال إمبراطوريته، وبعد هذا النصر رأى مجلس شيوخ روما بأنه لم يكن مضطرًّا إلى أن يضع ملك مصر ضمن أولئك الذين سيكون لهم نصيب في إمبراطورية «أنتيوكوس» المنحلة. والواقع أن الرومان لم يسارعوا إلى إبرام المعاهدة التي عُقدت بينهم وبين «أنتيوكوس» المغلوب على أمره إلا بعد عامين في بلدة «أبامي»، وكان مجلس شيوخ روما في خلال تلك المدة يعد هذه المعاهدة على مهل وبروية، وكان نصيب الأسد في هذه الغنيمة للملك «أمينيس» والباقي استولى عليه أهل «رودس». هذا، ولما كان الرومان هم المحررين للهيلانيين؛ فإن المدن التي كانت في جانبهم قد أُخرجت من عملية التقسيم، وبمقتضى هذا التقسيم أصبحت «كرسونيس» التي من أعمال «تراقيا» و«فريجيا» بقسميها، و«ليكاوني» Lycaonie و«ميزيا» و«ليديا» و«أيونيا» Ionie و«إفيسوس» و«ترالس» Trulles من أعمال «كاريا»، و«ميلياد» Milyade و«تلمسوس» Talmessos؛ ضمن أملاك مملكة «برجام»، أما الروديسيون فقد استولوا على «كاريا» حتى نهر «مياندر» Meandre عدا «تلمسوس» فإنها لم تكن في حوزتهم.[١٥]

ومما هو جدير بالذكر هنا أن الرومان لم يطلبوا إلى «أنتيوكوس» إعادة أي شيء من الأقاليم التي انتزعها من «بطليموس» الذي كان تحت وصاية الرومان، وقد لاحظ الرومان من حيث «سوريا الجوفاء» أن الاتفاق كان قد حدث بين «أنتيوكوس» و«بطليموس» منذ عقد الزواج، ومن أجل ذلك فإنه لم يكن لها دخل في هذا الموضوع؛ لأن الرومان لم يشتركوا في هذه القضية. وتدل الشواهد على أن الرومان رأوا أنه من الأصلح لهم أن يبقى هذا الإقليم الذي كان يُعد أغنى جزء في إمبراطورية «أنتيوكوس» في يده، وذلك لأن الرومان

---

[١٥] راجع: Polyb. XXII, 7; Liv. XXX, II, 55-56; XXXVIII, 37–39;Diod., XXIX, 10; Appien Syr. 44 Mithrid., 62.

كانوا يعلمون تمام العلم أنه بانتزاع هذا الإقليم لن يكون في مقدوره أن يدفع غرامة الحرب الهائلة التي فرضها الرومان على «أنتيوكوس» لأنفسهم ولملك «برجام».

هذا، وكان يُوجد فرد يُدعى «بطليموس» يُحتمل أنه متناسل من أسرة «البطالمة»، ولكنه ليس ملك مصر بل كان ملك قُطر «تلمسوس» من أعمال «ليسيا» وكان مجلس الشيوخ الروماني ينظر إلى هذا الملك نظرة ودٍّ ومصافاة، ولم يكن ذلك بالأمر المستحب في نظر بلاط الإسكندرية.

وعلى أية حال لم يكن هناك ما يثير غيرة بلاط الإسكندرية من «فيليب» المقدوني الذي كان يرى في استيلائه على «كرسنوسيس» الواقعة في «تراقيا» من أحب الأشياء التي تصبو إليها نفسه، ومع ذلك نرى أنه بعد أن تسابق هو و«بطليموس الخامس» في إظهار الخضوع والتزلف إلى روما لنيل نصيب من أملاك «أنتيوكوس» قد رجع كل منهما بِخُفَّيْ حنين.

هذا، ونجد بعد هذا النضال الطويل الذي قام بين مصر وأعدائها أو الطامعين فيها قد أفقدها كل أملاكها الخارجية نهائيًّا عدا قبرص، وذلك دون أن يجسر «بطليموس الخامس» على تقديم أية شكاية لروما، ومنذ ذلك الوقت أصبح على أفواه الملوك والناس على السواء: أن كل الأمور الدولية مُعَلَّق مصيرها بروما، ومن ثم فإن مجلس الشيوخ الروماني كان ينظر بعين السخط والغضب إلى كل حركة سياسية لم يكن هو المقترح لها، وتدل الأحوال تمشيًا مع ذلك على أن «بوليكراتيس» لم يحاول التفاوض دون رأي روما مع بلد آخر إلا مرة واحدة، ومع ذلك فإنه لم يفلح في إنجازها، وتتلخص في أنه أراد على حسب تقليدٍ كانت تسير بمقتضاه السياسة البطلمية أن يجدد تحالف مصر مع الآخيين الذين كانوا منذ زمن طويل حلفاء لروما أكثر منهم أصدقاء لها، وقد أرسل وزير مصر لهذا الغرض إلى بلاد اليونان — الأثيني المسمى «ديمتريوس» Demetiros. وقد أجاب الحلف على طلب مصر بأن أرسل «فيلوبومن» Philopoemen الذي كان الحاكم الحربي للحزب وقتئذ من قبله إلى الإسكندرية المدعو «ليكورتاس» Lycortas والد المؤرخ «بوليبيوس» وبصحبته اثنان من مواطني «سيسوتيوس» وهما «تيوديريداس» Theodiridas و«سوسيتليس» Sositeles لأجل أن يحلفا اليمين، ويحلف الملك أمامهما اليمين — عام ١٨٦ق.م. غير أنهم وجدوا في البلاط الإسكندري أناسًا في غاية التحفظ

والحيطة، وبخاصة لاحظوا أنهم كانوا معجبين بروما أو بعبارة أخرى كانوا يخشون الرومان ويخافون لومهم على تبادل مثل هذا التحالف، وعندما رأى المبعوثون الآخيون أنهم قد أُثقلوا بالمجاملات الزائدة عن حد المألوف وبالوعود من قبل ملوك برجام وسوريا ومصر دب في أنفسهم عدم الثقة والشك، وخافوا أن يورطوا أنفسهم في عمل اتفاق، ومن ثم غادر المبعوثون الآخيون الإسكندرية وبصحبتهم سفير مصري، وقد تحدث «ليكورتاس» أمام الجمعية العمومية للحلف الآخي في «ميجالوبوليس» عن الأيمان التي تُبودلت بين مصر وبين الحلف الآخي فيما يتعلق بصداقة الملك «بطليموس» وإخلاصه للحلف، ثم أضاف قائلًا إنه حمل معه بمثابة هدية ستة آلاف درع للجنود المشاة مصنوعة من النحاس، كما حمل مائتي «تلنتا» من النقود النحاسية، ولكن عند إعلان ذلك صاح ذلك الحاكم العسكري الجديد المُسمى «أريستانوس» Aristaenos سائلًا: ما هي المعاهدة التي تُوجد بين المعاهدات العدة المُبرَمة من قبل الحلف، وهي التي بمقتضاها سيجدد التحالف بين الحلف ومصر؟ وعلى أثر هذا السؤال ارتبك «فيلوبومين»، أما «ليكورتاس» فقد لزم الصمت، وعندئذٍ وقف «أريستانوس» الذي كان صاحب شهرة في الحلف لما له من ذكاء ومهارة، وتحدث عن المبعوثين بطلب إرجاء حل مسألة كهذه إلى ما بعد؛ لأنها كانت قد فُحصت فحصًا رديئًا جدًّا (١٨٥ق.م)، ولكن لن تذهب إلى حد إعادة الدروع والنقود إلى الإسكندرية ثانية.[١٦]

وتدل ظواهر الأمور على أنه في السنة التالية لهذا الحادث هبت نار ثورة جديدة في البلاد طالب فيها المصريون بحقوقهم في حكم البلاد وبالاستقلال. وقد قضى «بوليكراتيس» على هذه الثورة، ولعب «بطليموس الخامس» في إخمادها دورًا من أحط أدوار الغدر والخيانة وعدم الوفاء بالعهد، ولا غرابة في ذلك؛ فقد كان بطبعه متوحشًا عاتيًا مما جعل المصريون يخرجون عن طوقهم في شمالي البلاد وجنوبها.

ويدل استئناف العمل في معبد «إدفو» في العام التاسع عشر من حكم هذا العاهل الغاشم على أن الحالة في البلاد كانت قد أخذت تهدأ في الوجه القبلي — ١٨٧–١٨٦ق.م.

وتحدثنا الوثائق الديموطيقية عن إخضاع رؤساء الثورة — الذين كانوا يقيمون في إقليم «طيبة» وأسسوا لهم ملكًا فيها. كما سنتحدث عن ذلك بعد — وذلك في عام ٢٠ من

---

[١٦] راجع: Polyb., XXIII, 1, 5–6; 9, 1–13. XXV. 7.

حكم هذا الملك. وفي السنة التالية قام الملك ومعه زوجه «كليوباترا» وابنهما الذي أصبح وريثًا لعرش البطالمة بزيارة معبد الفيلة لقيدما شكرهما في معبد «أسكليبيوس» الذي أهداه هذا الملك لإله الطب الذي ساعد على أن رُزقا ذَكرًا ليكون وريثًا للعرش. وقد أمر الملك بنقش مرسومين على جدرانه أحدهما خاص بتأسيس عيد تذكاري، وبإخضاع الثوار ومعاقبتهم، والآخر على شرف الملكة «كليوباترا»، وسنوردهما فيما بعد. وإنه لمن الصعوبة بمكان أن نقرر هنا إذا كان الثوار الذين جاء ذكرهم في نقوش الفيلة كانوا هم ثوار الوجه القبلي أو هم الذين طاردهم «بوليكراتيس» في الدلتا، والواقع أن حكومة الإسكندرية قد قامت بمجهود جبار في إخضاع هؤلاء الثوار.

وتحدثنا المصادر الكلاسيكية على أن إخضاع هؤلاء الثوار كان على يد خصي يُدعى «أريستونيكوس»، وتدل شواهد الأحوال على أنه كان زميل الملك في الطفولة في البلاط البطلمي، وقد أرسل هذا الخصي إلى بلاد الإغريق؛ ليجمع من هناك جنودًا مرتزقين لتقوية الجيش المصري الذي قام لمحاربة الثوار بقيادة الملك نفسه. غير أن الثوار لما رأوا ما أعده الملك للقضاء عليهم استسلموا طائعين، وفي ذلك يقول المؤرخ «بوليبيوس»: لقد ذهب إلى سايس رؤساء الأسر الذين كانوا لا يزالون على قيد الحياة مستسلمين بحكم الأحوال، وهم «أتينيس» Athenes و«بوزيراس» Pausiras و«خيسوفوس» Chesouphos و«إروباستوس» Irobastos، وقد سلموا أنفسهم لرحمة الملك، غير أن هذا الوغد الأثيم لم يَرْعَ للعهود التي كان قد قطعها على نفسه حرمة؛ بل أمر بوضع السلاسل والأغلال في أعناقهم، وجرهم جميعًا عرايا خلف عرباته، وبعد ذلك صب عليهم سوط عذابه وقتلهم جميعًا: ثم ذهب بعد ذلك بجيشه إلى «نقراش» حيث تقابل مع «أريستونيكوس» خصيه ومعه الجنود المرتزقين الذين أتى بهم من بلاد الإغريق، فضمهم إلى جيشه، وعاد بطريق البحر إلى الإسكندرية. هذا، ويقول «بوليبيوس»:[١٧] إن هذه كانت المرة الأولى التي ترك فيها «بطليموس الخامس» الصيد والقنص ليقود جيشًا، وكان وقتئذ في الخامسة والعشرين من عمره. وهناك رأي يجوز الأخذ به هو أن الذي قام بهذه الحرب على الثوار هو «أريستومنيس» وأنه عند نهايتها دعا الملك ليكون له شرف النصر، وليكون له عار ما ارتكبه من نذالة وخرق للعهود مع الثوار الذين كان قد أمنهم على حياتهم.

[١٧] راجع: Polyb., XXIII, 16–17.

ومن الجائز أن السبب الذي من أجله قوى «أريستونيكوس» الجيش المصري بالجنود المرتزقين كان يرجع إلى رغبة الملك في استعماله لأغراض أخرى خارجية، غير أنه مما يؤسف له أننا نجد أن «أنتيوكوس» قد عاجلته المنية بصورة بشعة في عام ١٨٦ق.م، وذلك عندما لاقى حتفه على سوء ما اقترفته يداه من إثم وهو ينهب أحد المعابد في «إليمايد» Elymaide ليدفع مما نهبه دينا متأخرًا للمحصلين الرومان.

مصر وعلاقاتها الخارجية بعد موت «أنتيوكوس الثالث»

على إثر موت «أنتيوكوس الثالث» خلفه على عرش الملك ابنه «سليوكوس الرابع فيلوباتور» عام ١٨٦ق.م، وقد كان عليه أن يحمل عبء ما تركه والده له من أخطاء ومتاعب جمة، ومن أجل ذلك لم يكن في مقدوره إلا أن يعيش عيشة الضنك، وقد كان والده قد أشركه معه في حكم البلاد في السنين الأخيرة من حياته، وذلك بعد موت ابنه الأكبر. ولا نزاع في أن الفرصة كانت مهيأة لمصر بعد موت «أنتيوكوس» لتستولي على سوريا الجوفاء لولا وقوف الرومان في وجهها، على الرغم من أنها كانت في الواقع حقها الشرعي. وعلى أية حال كانت مصر تنتظر وجود سبب معقول للهجوم على سوريا الجوفاء والاستيلاء عليها عنوة، وقد أخذت مصر تتطلع من وقت لآخر إلى ما وراء حدود بلادها. هذا، وقد رأينا فيما سبق أن مصر قد حاولت تجديد محالفتها مع الآخيين، والواقع أنه لدينا نقش جاء فيه أن مجلس «ليسيا» يفخر بإخلاص شخص يُدعى «بطليموس» يحمل وظيفة صياد الملك الأعظم، وولائه للملك «بطليموس الخامس» وأخته وزوجه «كليوباترا» وأولاده وكذلك لمجلس «ليسيا». و«بطليموس» هذا كان موظفًا مصريًّا عظيمًا.[١٨] وهذا النقش يجيز لنا أن نخمن أن مصر كانت تعاضد الليسيين في مقاومتهم الروديسيين و«أتالوس» — ١٨٦–١٧٧ق.م. وقد كان قصدهم هو تمزيق المادة التي وردت في معاهدة «أبامي» وهي التي كان بمقتضاها قد أصبحوا مثل الكاريين رعايا للروديسيين. ومما هو جدير بالذكر هنا أن الليسيين كانوا يتحسرون على العهد الذي كانوا يتمتعون في خلاله بالحرية تحت الحماية المصرية، غير أن مصر رأت أنها إذا ساعدتهم فإن ذلك لن يصادف هوى في نفوس رجال

[١٨] راجع: C I Gr 4 77 = Strack, 77, B. L. I p. 397 note 1.

مجلس الشيوخ الروماني. ومن الغريب أنه عندما قامت مصر فعلًا بمساعدة الليسيين، فإن ذلك لم يغضب الرومان الذين كانت سياستهم في الواقع إضعاف الروديسيين وجعل الليسيين وكذلك الكاريين يتمتعون بالحكم الذاتي. وقد كانت غلطة «بطليموس» في ذلك أنه أراد أن يقوم بهذه المساعدة من تلقاء نفسه دون أخذ رأي الرومان.

ويُلحظ أنه في ذلك الحين كان قد أعاد «بطليموس» الكرة لعقد محالفة مع الحلف الآخي، وكان غرضه أن يستعيد نفوذ مصر من جديد في بلاد الإغريق، كما كانت الحال في العهد الذي كان فيه «أراتوس» مؤسس الحلف رئيسًا، فقد كان صديق البطالمة وعميلهم، وقد كان وقتئذ في داخل الحلف الآخي شجار صامت بين الحزب الوطني الذي كان قد دب فيه دبيب الضعف والوهن بموت «فيلوبومين»[19] «١٨٣ق.م» وبين أولئك الذين كانوا يريدون في كل لحظة تدخل «روما» في الأحوال الهيلانستيكية، وقد كان أمل الآخيين الوطنيين أن يجدوا في مصر عونًا لهم على مقاومة النفوذ الروماني في بلاد الإغريق التي أصابها الوهن والتمزق. ولما كانت المحاولة الأولى قد فشلت فإن المحاولة الجديدة بدأت بعد اتفاق سابق. هذا، وكان «بطليموس الخامس» على استعداد ليرتبط ارتباطًا وثيقًا مع جماعة الآخيين، ومن أجل ذلك أرسل سفيرًا إليهم يخبرهم بأنه مستعد أن يقدم لهم عشر سفن كل منها تحمل خمسين مجدافًا وكلها مجهزة بجهازها، وقد رأى الآخيون أن هذه الهدايا تستحق الاعتراف بالفضل؛ ومن أجل ذلك استقبلوا الرسول المصري بالحفاوة والاحترام، والواقع أن ثمنها كان لا يقل عن عشرة «تالنتات»، وعلى أية حال فإنه بعد التروي أرسل الآخيون بعثًا مؤلفًا من «ليكورتاس» و«بوليبيوس» ومعهما «أراتوس» بن «أراتوس» مواطن «سيسيون» Sicyone، وكانت مهمتهم شكر الملك «بطليموس» على ما أرسله من أسلحة ونقود من قبل، وفي الوقت نفسه كان عليهم أن يتسلموا السفن ويأخذوا علمًا بإرسالها.

هذا، وقد ختم «بوليبيوس» كلامه في هذا الصدد بصورة مقتضبة قائلًا: ومع ذلك فإن هذا البعث لم يكد يتخطى الحدود؛ لأن «بطليموس الخامس» كان قد حضرته الوفاة في تلك الأثناء.[20]

---

[19] راجع: Plut. Philop. 21.

[20] راجع: Polyb., XXV, 7.

موت بطليموس وحالة البلاد بعد وفاته

مات «بطليموس أبيفانس» وهو في ميعة الشباب؛ فقد حضره الموت وهو لم يبلغ بعد التاسعة والعشرين من عمره. والمظنون أن وفاته لم تكن طبيعية أمام العالم وقتئذ، ومن الغريب أنه لم تصل إلينا أية معلومات عن سبب وفاته فيما كتبه المؤرخ «بوليبيوس» الذي كان معاصرًا له، وكل ما عرفناه عن وفاته وصل إلينا من المؤرخين المتأخرين الذين جاءوا بعده؛ فقد قصوا علينا أنه مات بالسم الذي دسه له قواده في اللحظة التي كان يتأهب فيها لمهاجمة «سليوكوس الرابع» ملك سوريا، وإن صح أنه قد مات بالسم فإن ذلك كان جزاء وفاقًا؛ إذ قد قُضي عليه بنفس الطريقة التي قضى بها على وزيره «أريستومنيس» الذي جرعه السم، وكان الغدر من شيمته. والواقع أن قواده كانوا يخشون أن يطلب إليهم المساعدة بالمال بوصفهم سماره الذين كانوا يملكون القناطير المقنطرة من الذهب والفضة، وبذلك يحرمهم مما جمعوه من مال كانوا قد اغتصبوه من الشعب الفقير المعوز، والأغرب من هذا في نظرهم أنه كان سيستعمله في حرب على أقرب الناس إليه، وأعني بذلك «سليوكوس الرابع» أخ «كليوباترا» زوجه، ومن الغريب أن هذا هو نفس ما قيل عن «سيلوكوس الرابع» عندما لاقى نفس المصير الذي لاقاه «بطليموس الخامس».

وعلى أية حال فإن البلاد لم تفقد بموت «بطليموس» شيئًا يدعو إلى الحزن والأسى، وعلى الرغم من أن «بطليموس» كان يحمل لقبًا يعني أنه كان محسنًا فإنه كان صاحب مزاج حاد قاسٍ، وقد أظهر استمرار قيام الثورة في داخل البلاد كما ألمحنا لذلك من قبل أنه لم يكن محبوبًا بين أفراد الشعب. حقًّا إنه أقام معابد جديدة، وأصلح أخرى كانت مخربة كما سنتحدث عن ذلك فيما بعد عند شرح ما قام به من أعمال على غرار ما فعله أسلافه، ولكن هذه الأعمال كانت تحتمها السياسة الداخلية في البلاد، ويدل مرسوم «منف» الذي صدر في عهده على أن رجال الدين كانوا راضين عنه، ولكن هذا الرضى — كما برهنت الأحداث — لم يكن إلا رضى مؤقتًا بسبب إعفائهم من الضرائب، وعلى ذلك فإن ما ذكره رجال الدين من عقود مدح وثناء لم يكن بالشيء الجديد فتلك شنشنة نعرفها فيهم من قبل، ولا أدل على ذلك مما صاغوه لمن قبله من ملوك البطالمة من آيات المديح والإطراء لنفس السبب. وعلى أية حال فإن ما ذكره الكهنة هنا كان في مناسبة سعيدة بالنسبة للملك، وهي عيد تتويجه وعيد ميلاده، وفي تلك المناسبة كان ينفق الملك فيها عن سعة وسخاء من أجل المظاهر الخارجية، ولكن لم يلبث «بطليموس الخامس» ورجال حكومته أن أصبحوا في حاجة إلى سد التكاليف الباهظة التي كانت تتطلبها الأحوال، والتي اضطر

من أجلها أن يؤجر دخل أملاكه الخارجية، وكان من جراء العجز الذي حدث بسبب ذلك أن رجع الملك فيما كان قد نزل عنه من ضرائب من قبل. وقد رأينا أن الاضطرابات المالية — وهي التي تعزوها التقاليد إلى سلفيات بالقوة قد سببت موت «بطليموس الخامس» كما أسلفنا. ولا نزاع في أن كل ذلك كان يفرض إسرافًا في غير موضعه، وكذلك يسبب فوضى وتصرفات مالية خاطئة أدت إلى هذا الإجراء العنيف، وأعني بذلك: القضاء على حياة هذا الملك. هذا، ويتهم المؤرخ «ديدور» الملك «بطليموس الخامس» بأنه سار سيرة المستبد لا سيرة الملك؛ وذلك لأنه وإن كانت مصر بلدًا تعود على حكم الفرد، فإن الاستبداد كان معناه في أغلب الأحيان عادة ابتزاز المال ظلمًا وعدوانًا. هذا، وما لدينا من معلومات عن «بطليموس الخامس» يدل على أية حال أنه كان مشهورًا بالعنف، وهذه كانت صفة من صفاته البارزة، ويقال: إن «بطليموس» هذا الذي كان والده فريسة لخلاعته ومجونه يمتاز بشيء من النشاط البدني استعمله في الصيد والقنص والمبارزة، وكان انهماكه في مثل هذه الرياضة هو الذي جعل النعاس يغشوه في الاجتماعات الرسمية بسبب شدة التعب. هذا، وكان تواقًا للإصغاء لمن كان يمتدح أعمال البطولة التي كان يقوم بها في الصيد والقنص، ولم يكن للمالقين والمتزلفين من حديث أمامه إلا ما قام به من بطولات في هذا الميدان؛ فقد قص علينا «بوليبيوس» أن «فيلوبومين» قد استقبل على مائدته مبعوثًا من قبل «بطليموس الخامس»، وقد دبج المبعوث مقالًا طويلًا فاخرًا قاصرًا على مديح «بطليموس»، اقتبس فيه ما يدل على جسارته ومهارته في الصيد والقنص، وكذلك عن علمه وتجاربه في ركوب الخيل والمباراة، وأخيرًا أراد أن يثبت صدق مقاله بذكر مصدر جاء فيه أن الملك وهو على ظهر جواده أردى ثورًا قتيلًا بطعنة من حربته.[٢١]

ولا نزاع في أن «بطليموس الخامس» بأعمال فروسيته هذه يذكرنا بعظماء فراعنة مصر في عهد الأسرة الثامنة عشر، نذكر منهم بوجه خاص «أمنحوتب الثاني» وما ترك لنا من نقوش تدل على ما آتاه من ضروب الشجاعة في ركوب الخيل وإصابة الهدف والتجديف والصيد والقنص، وكذلك «أمنحوتب الثالث» وما قام به من أعمال البطولة في صيد الأسود و«تحتمس الثالث» ومغامراته في صيد الفيلة. ولا ندري ماذا حدى «ببطليموس الخامس» فجعله يسلك مثل هذه الهوايات، ومن المحتمل أنه لما كان أول ملك تُوج على طريقة الفراعنة وأصبح يقيم الشعائر على حسب النظم الفرعونية القديمة؛ فلا

[٢١] راجع: Polyb., XXIII, 1, 8-9.

يبعد أنه أراد أن يقلد عظماء الفراعنة في ميادين أخرى من التي كانوا يحبونها حتى يصبح بلاطه وحياته وعاداته مماثلة لما كان في بلاط الفراعنة العظام. وقد رأينا «بطليموس» يهتم بأعمال البطولة في الألعاب الأولمبية؛ فمن ذلك ما حدث مع «كليتوماكوس» Clitomachus الإغريقي، و«أريستونيكوس» الملاكم المصري؛ فقد كان الأول يُعتبر الملاكم الذي لا يُقهر، وقد ذاعت شهرته في كل العالم. ولما كان «بطليموس الخامس» يتوق إلى القضاء على شهرته فإنه درب بكل عناية الملاكم «أريستونيكوس» لمنازلته، وكان الأخير رجلًا وهبته الطبيعة قدرة عظيمة في هذا الضرب من الرياضة البدنية، وعندما وصل «أريستونيكوس» إلى بلاد الإغريق نازل «كليتوماكوس» الإغريقي في «أولمبيا» وأظهر الشعب الإغريقي انحيازه إلى البطل المصري وشجعوه؛ وذلك ابتهاجًا منهم عندما رأوا أن هناك فردًا واحدًا على الأقل قد تجاسر على أن يقف في وجه «كليتوماكوس»، وقد استمر النضال بينهما في حلبة الملاكمة، وظهر أن المصري يعادله، وأنه في خلال الملاكمة ضربه ضربة أو ضربتين في الصميم، وعندئذ صفق له الشعب تصفيقًا حادًّا، وأخذ الجمهور يصخب إلى درجة الهياج مشجعين «أريستونيكوس»، وقد قيل: إن «كليتوماكوس» في أثناء ذلك كان قد انسحب لبضع لحظات ليسترد أنفاسه، وعندئذ التفت إلى حشود الناس، وقال سائلًا إياهم: ما الذي يعنونه من تشجيع «أريستوماكوس» ومساعدته بكل ما لديهم من قوة؟ فهل يعتقدون أنه لم ينازله تمامًا أو أنهم يعلمون أن «كليتوماكوس» لم ينازل من أجل فخار الإغريق، وأن «أريستوماكوس» كان يلاكم من أجل «بطليموس»؟ فهل يفضلون أن يروا مصريًّا يقهر الإغريق، ويكسب التاج الأولمبي؟ أو يسمعون أن «طيبيًّا» أو «بويوشيًّا» وقد أعلن الحاجب بأنه هو المنتصر في مباراة الملاكمة؟

وبعد أن تحدث «كليتوماكوس» على هذا النحو قيل: إنه قد حدث انقلاب في شعور حشود الشعب مما أدى إلى انقلاب الآية؛ فهُزم «أريستونيكوس» بما أبداه الشعب من تحمس لـ «كليتوماكوس».[٢٢]

وعلى أية حال فإن الشواهد تدل على أن ما كان يبديه «بطليموس الخامس» من ميل إلى أعمال الشجاعة والفروسية برهن على أنه كان رجل حروب؛ غير أن «بوليكراتيس» لم يشجعه على خوض غمار حروب ليسترد مجد مصر؛ بل يقال: إنه كان يعمل ذلك

[٢٢] راجع: Polyb., XXII. 9.

لمصلحته الشخصية من جهة، وخوفًا من الرومان من جهة أخرى؛ لأنهم كانوا أصحاب قوة وسلطان لا قدرة لمصر على مقاومتهما.

والواقع أنه لم يعد في مصر مكان لملك مستقل؛ لأن الأسرة المالكة قد أصبحت تحت وصاية روما صاحبة السلطات في العالم المتمدين. حقًّا كان في مقدور ملوك البطالمة الذين أتوا بعد «بطليموس الخامس» أن يكونوا مستبدين مع رعاياهم في داخل أرض الكنانة، ولكن على شرط أن يكونوا تحت سيطرة الرومان في سياستهم الخارجية.

وعلى أية حال فإن هناك بعض الحقيقة فيما روي عن موت «بطليموس الخامس»؛ وذلك بسبب ما نُسب إليه من أعمال الخيانة والغدر وعدم الوفاء منذ خمسة عشر عامًا من قبل في حق «أنتيوكوس الثالث» صهره، ولا نزاع في أن أرملته «كليوباترا» التي تُعد الأولى من اللائي حملن هذا الاسم في التاريخ المصري ولعبن دورًا هامًّا في حكم البلاد؛ لم يكن لها يد في موت زوجها. نعم لقد لحظنا أنها لم تنظر بعين الرضى التام إلى الحروب التي دارت بين زوجها وبين أخيها، غير أنه ليس لدينا ما يسوغ أنها كانت صاحبة ضلعٍ في جريمة قتل زوجها، ولا حتى الموافقة عليها.

مميزات عصر بطليموس الخامس

الواقع أننا إذا ألقينا نظرة عامة على الأحداث التي وقعت في عهد «بطليموس الخامس» والدور الذي لعبه هو فيها لأمكننا أن نستخلص النقاط التالية عن أخلاقه والأعمال التي خلفها لنا بمثابة عنوان لعهده.

أولًا: يمكن التكهن بصفة أكيدة عما كان سيئول إليه مصير هذا الملك لو امتد به الأجل، وبخاصة عندما نعلم أنه احتضر وهو في ريعان الشباب.

حقًّا إنه — كما قلنا — كان مولعًا بالصيد والقنص، وذلك على النقيض من والده الذي قضى حياته في أحضان الخلاعة والمجنون بعيدًا عن مخالطة الشعب الذي كاد ينساه. ولا نزاع في أن «بطليموس الخامس» كان من الممكن أن يوجه نشاطه الذي صرفه في الصيد والقنص والرياضة إلى الحرب والدفاع عن مصر التي فقدت في عهده كل ممتلكاتها الخارجية، والحق يقال: إنه لا يلام في ذلك؛ إذ يرجع كل اللوم على أولئك الذين نشأوه في بداية حياته، وكان في أيديهم زمام حكم البلاد وهو لا يزال حدث السن غض الإهاب. ولسوء الحظ لم تهيئ له الأحوال رجالًا مخلصين لإرشاده إلى الصراط السوي؛ بل كان كل منهم يسعى للعمل لنفسه على حساب هذا الطفل وعلى حساب مصر، سواء

كان ذلك بجمع كل السلطة في يده أو بجمع المال بأية وسيلة، أضف إلى ذلك أن بعضهم كان ينغمس في شهواته وملذاته عندما يطمئن إلى أن السلطة قد أصبحت كلها في يده، وذلك على الرغم من سوء الأحوال في داخل البلاد وبوجه خاص في خارجها، ولا أدل على ذلك مما كان يحيط بمصر وإمبراطوريتها من طامعين فيها منذ تولي هذا الملك الفتى الذي لم يكن قد بلغ السادسة من عمره؛ فقد كان «أنتيوكوس الثالث» يسعى إلى توسيع إمبراطوريته بابتلاع أملاك مصر في الخارج، وفعلًا نجده قد تآمر مع «فيليب الخامس» ملك مقدونيا — وكان لا يقل عنه شرها — لتقسيم مصر وأملاكها الخارجية. وقد كاد هذان العاهلان يقضيان على ملك البطالمة فعلًا في الداخل والخارج لولا ظهور الجمهورية الرومانية ووقوفها بالمرصاد في وجه هذين العاهلين. على أن الأخيرة لم تقم بعملها هذا كرمًا منها ومروءة؛ بل لأجل أن تنصب نفسها وصية على ملك مصر الذي لم يكن قد بلغ بعد مبلغ الرجال ليتولى الحكم بنفسه، بل حتى عندما بلغ سن الرشد لم تنفك روما عن ترك الوصاية عليه، وهكذا ظلت روما تحتل هذه المكانة في مصر حتى آخر حكم البطالمة.

ومن جهة أخرى كان هناك خطر آخر عظيم يهدد كيان أسرة البطالمة نفسها، والإطاحة بعرشها؛ وأعني بذلك الحروب الداخلية التي شبت في أنحاء البلاد على أثر انتصار المصريين في موقعة «رفح» على «أنتيوكوس الثالث» عام ٢١٧ق.م؛ فمنذ هذا التاريخ أخذ المصريون يشعرون بقوتهم وبعزتهم القومية، ومن ثم أخذوا يطالبون بحقوقهم التي كان قد اغتصبها الحكام الأجانب، وبخاصة ما كانوا يتحملون من الضرائب الفادحة التي كانت تُفرض على كل شيء حتى على الهواء الطلق؛ ومن ثم قاموا بالثورة التي سنتحدث عنها فيما بعد، في عهد هذا العاهل الفاجر الذي كان يريد أن يتمثل بأعاظم الفراعنة في كثير من عاداتهم وطرق حياتهم في بلاطهم عن غير استحقاق أو جدارة.

فمن ذلك أنه أخذ يعيد استعمال بعض الألقاب المصرية القديمة في نظام بلاطه. حقًّا كان بعض هذه الألقاب — التي كانت في الواقع ألقاب شرف وحسب — تُعطى قبل عصره، ولكن نلحظ أنه منذ عهده أخذ يمنح ألقابًا أخرى مثل لقب «المعروف لدى الملك» أو «قريب الملك» أو «السمير الوحيد»، وغير ذلك من الألقاب التي تدل على أنه أراد أن يقلد الألقاب المصرية القديمة، وما ذلك إلا لأجل أن يظهر أمام الشعب المصري الأصيل بأنه يريد إحياء ذكرى مصر القديمة من كل الوجوه، كما فعل ملوك عصر النهضة في عهد الأسرتين الخامسة والعشرين والسادسة والعشرين، ويُخيل إليَّ أن ما ذكره المؤرخون من أسباب أخرى عن ذلك تبدو في ظاهرها مقبولة، ولكن الفاحص المدقق في مجريات الأحوال

يجد أن «بطليموس الخامس» أراد أن يكون مصريًّا في كل مظاهر حياته من الوجهة الدينية. وعلى أية حال فإن المصريين الذين قاموا في عهده ليدافعوا عن حقوقهم المغتَصبة وبطرد هذا الغاصب من الديار المصرية لم ينخدعوا بكل هذه التجديدات، التي إن دلت على شيء فإنها لا تدل إلا على خوف حكومة الإسكندرية منهم، والعمل على إرضائهم بكل وسيلة. والواقع أن إلحاح المصريين في مطالبتهم بحقوقهم وإقامة حكومة خاصة مستقلة في قلب الدولة البطلمية قد هزَّ أركان الملك «بطليموس الخامس» ورجال حكومته؛ مما أقض مضاجعهم، وأقلق بالهم، واضطرهم في نهاية الأمر إلى إقامة حكومة خاصة لمقاومة الثوار وتنصيب حاكم خاص لهذه الحكومة أُطلق عليه لقب نائب الملك «إيسترتيجوس» في الإقليم الطيبي. وكان سلطانه يمتد على كل الوجه القبلي، غير أن هذا اللقب لم يحمله كل حاكم حكم إقليم طيبة، فقد كان بعضهم يحمل لقب حاكم المقاطعة وحسب، ومع ذلك كانت له نفس السلطة التي كان يتمتع بها نائب الملك.[٢٣]

[٢٣] راجع: O. G. X. 147.

بعض الآثار الهامة التي خلفها بطليموس الخامس أو وُجِدَتْ في عهده

(١) الوثائق الديموطيقية

(١-١) عقد إيجار لأرض ملكية من عهد الملك «بطليموس الخامس» عام ٢٠٤ق.م[١] عُثِرَ عليه في الفيوم

التاريخ: السنة الأولى، الشهر س — من فصل — من عهد الملك «بطليموس» بن «بطليموس» و«أرسنوي» الإلهين المحبين لوالدهما.

الطرفان المتعاقدان: الطرف الأول: يقول المزارع وعبد (الإله) «سبك»، «حورسا أوزير» بن …

الطرف الثاني: «سوبيروس» Sopeiros السكرتير المالي و«أمحوتب» بن «حور» كاتب الملك.

نص العقد: لقد أجرت لك أربعة أرورات من أرض الكلأ من حقول الملك الموقع عليها مني لمحصول السنة الثانية، وهي ضمن حدود قرية «سبك»، وهي «جزيرة ديكايوس»، وذلك في مقابل أربعة أرادب من القمح (عن كل أرورا)؛ فيكون المجموع ستة عشر إردبًّا من القمح ثانية.

---

[١] راجع: Spiegelberg, Catalogue Général du Caire, Die demotischen papyrus Taf. 48, Textes. S. 88; Pap. 30647; K. Setho Demotische Urkunden Zum Eegyptischen Burgschaft-srechtc Vorzuglich Der Ptolemaerzeit S. 8–48.

ويجب عليَّ أن أكيل لك الاثني عشر إردبًّا (؟) قمحًا المذكورة أعلاه بعد الحصاد مباشرة، وهي المذكورة أعلاه في وقت تكييل قمح الملك، أما الأرادب من القمح الخاصة بك التي لا أكيلها لك فإني سأعطيها إياك الواحد منها واحدًا ونصفًا (أي بزيادة خمسين في المائة) وذلك في ظرف خمسة أيام قهرًا وبدون تأجيل.

والمزارع وعبد الإله «سبك» المسمى «بتي-خنس» Pete-Chons بن «حور» وأمه هي «تا-شي-ن-اسي» Senesis الضامنة، يقف ويقول: إني ضمنت «حور-سأوزير» فيما يتعلق بالستة عشر إردبًّا من القمح المذكورة أعلاه، وعندما لا يكيلها لك فإني أكيلها لك بنفسي، وأنك ستكون وراءنا (أي مطالبًا منا) في كل ما هو حقك منا نحن الاثنين إلى أن نعمل على حسب كل كلمة ذُكرت أعلاه قهرًا وبدون إبطاء.

كتبه «إناروس» بن «باوس».

ووقع عليه «با-ور» Poeris بن …

يُلحظ في هذا العقد أن الكاتب قد أخطأ عندما ذكر المطلوب من المستأجر، وهو ١٦ إردبًّا فذكر اثني عشر إردبًّا فقط.

(١-٢) جزء من عقد كالسابق مؤرخ بالسنة ٢٠٤ق.م[٢]

التاريخ: السنة الأولى … من عهد «بطليموس» بن «بطليموس» و«أرسنوي» الإلهين المحبين لوالدهما، عندما كان كاهن الإسكندر والإلهين المخلصين والإلهين الأخوين والإلهين المحسنين والإلهين المحبين لوالدهما هو «أريستومنيس» Aristomenes بن «مناس» Menas … ابنة «مناندروس» Menandros حاملة مكافأة النصر «أمام برنيكي» الإلهة المحسنة، و«إريني» Eirene ابنة «هلينوس» Helenos حاملة السلة الذهبية أمام «أرسنوي» محبة أخيها.

الطرفان المتعاقدان: الطرف الأول: الطرف الأول: يقول مزارع الملك «بلح» Blh بن «نب …» (وأمه هي …).

[٢] راجع: Spiegelberg. Ibid. Tafel. 49, Pap. 30660; Sethe. Ibid. p. 48.

الطرف الثاني: «سوبيروس» السكرتير المالي، «وأمحوتب» بن «حور» كاتب الملك.
لقد أجرت لك أرورين من أرض الكلأ والجلبان من أرض الملك «الذي ... كتبت ...» لأجل محصول السنة الثانية، وهي ضمن حدود قرية «سبك» جزيرة «ديكايوس» ...

(١-٣) عقد إيجار بأرض أميرية مُؤرَّخ بالسنة ٢٠٣ق.م[٣] من نوع العقدين السابقين

التاريخ: السنة الثانية، الشهر الثاني من فصل الصيف «بئونة» من عهد الملك «بطليموس» بن «بطليموس» و«أرسنوي» الإلهين المحبين لوالدهما.

الطرفان المتعاقدان: الطرف الأول: يقول المزارع وعبد الإله «سبك»، ... ابن «باسلح» وأمه هي «ثاي (؟)-جوجي».

الطرف الثاني: إلى «سوبيروس» Sopeiros السكرتير المالي و«أمحوتب» بن «حور» كاتب الملك.

نص العقد: لقد أجرت لك ستة أرورات من أرض الكلأ من حقول الملك هذه التي أقطعتها لك في حدود أرض قرية «سبك» = جزيرة «ديكايوس»، وذلك في مقابل أربعة أرادب ونصف من القمح «عن كل أرورا» فيكون مجموعها ٢٧ إردبًّا، ونصفها ١٣ ١/٢ «إردبًّا» فيكون المجموع ٢٧ إردبًّا من القمح ثانية. وينبغي عليَّ في مقابل ذلك أن أكيل لك السبعة والعشرين إردب قمح المذكورة أعلاه حتى السنة الثالثة الشهر الثاني من فصل الصيف «بئونة»، وأرادب القمح التي لا أكيلها لك فإني سأعطيها إياك «مرة ونصف» في ظرف خمسة أيام.

وقد وقف المزارع وعبد الإله «سبك» المسمى «إف عنخ» Ephonychos وقال: إني ضامن فيما يخص ... ابن «با-سلح» المذكور أعلاه، وإني سأعمل ذلك على حسب كل كلمة كُتبت أعلاه.

وإنك وراء كل منا نحن الاثنين — أي تطالبنا — حتى نعمل على حسب كل كلمة أعلاه، ولك الحق الكامل في أن تأخذ بالقوة فيما يخص كل شيء تحدثت به معنا باسم كل كلمة أعلاه، ونحن نعمله على حسب طلبه قهرًا وبدون إبطاء.

---

[٣] راجع: Splegelberg Ibid, Taf. 55, 61, Cat. Gen. Nos. 30697 + 30780; Sethe, Ibid, p. 49–60.

كتب (هذا) «إناروس» بن «باوس» Pawes (؟).

باقي العقد فقد.

(١-٤) عقد إيجار عن أرض جندي فارس حُرر في أواخر عام ٢٠٣ق.م[٤]

التاريخ: السنة الثالثة، الشهر الثالث من فصل الفيضان «هاتور» من عهد الملك «بطليموس» بن «بطليموس» و«أرسنوي» الإلهين المحبين لوالدهما.

الطرفان المتعاقدان: الطرف الأول: المزارع ... «تحوت-سوتم» Thothsytmis (بن «بايوس») Paieus.

الطرف الثاني: يخاطب «أرتميدوروس» Artemidoros السكرتير المالي و«أمحوتب» بن «حور» كاتب الملك.

العقد: إنها ثلاثة أرورات أرض كلأ وأرض جلبان، ونصفها أرورا ونصف؛ فيكون المجموع ثلاثة أرورات من الأرض ثانية، وهي التي تعاقدت بخصوصها، وهي التي تسلمتها من فارس من بين حقول الملك، وهي التي تسلمتها وكتبت بخطي في حدود قرية «سبك» «بري-أنوب» وذلك لمحصول العام الثالث. ومحتم عليَّ لك مقابل ذلك أن أدفع الإيجار نقدًا عن ثلاثة أرورات لأرض الكلأ المذكورة أعلاه في بنك الملك، ومقداره عشر قطع من الفضة (=؟ درخمة) عن كل أرورا من الأرض فيكون المجموع ثلاثين قطعة من الفضة، وذلك مباشرة بعد حصاد أرض الكلأ المذكورة أعلاه، ولن يكون في قدرتي أن أعطيك موعد دفع آخر بعد موعد الدفع المذكور أعلاه، وهو الذي بمقتضاه يجب عليَّ أن أدفع لك فيه حتمًا (المبلغ) وبدون تأخير، والنقود الخاصة بك التي لا يمكنني أن أدفعها في الموعد المحدد المذكور أعلاه فعليَّ أن أدفعها لك نقدًا مع فوائد خمسين في المائة في اليوم الذي حددته أعلاه قهرًا، وبدون إبطاء.

وإن كاتب نصائح «إزيس» (المسمى) «بانيت» بن «بتوزير» Petosiris هو الذي يقول: لقد ضمنت فيما يخص «تحوت-ستميس» بن ... «بايوس» (؟) Paieus أن أدفع (فيما يخص) الثلاثين قطعة فضة، وهي قيمة إيجار قطعة أرض الكلأ المذكورة أعلاه.

---

[٤] راجع: Le Caire 30701. 30089. Spiegelberg Ibid. Taf. 56; Sethe Ibid p. 60–64.

وجميع وكل شيء مما نمتلكه وسنمتلكه يكون الضمان لما هو مكتوب أعلاه إلى أن أنفذ على حسبه — أي المكتوب = العقد — وذلك قهرًا وبدون تأخير، ويكون لك الحق أن تطالب من تحب منا نحن الاثنين.

كتب هذا «حاروز» بن «حاروز».

وقع عليه ...

ما جاء بعد ذلك هُشِّم.

(١-٥) جزء من عقد إيجار[٥] من نفس المكان الذي وُجدت فيه العقود السابقة، ويُؤرَّخ بالسنة ٢٠٣ق.م

الطرفان المتعاقدان: الطرف الأول: «إن مزارع الملك فلان هو الذي يقول.»

الطرف الثاني: لفلان السكرتير المالي و«أمحوتب» بن «حور» كاتب الملك.

العقد: لقد أجرت أربعة أرورات ... الأرض، وهي التي دُونت باسم مزارع الملك «إناروس»، وإني أملك ١ / ٢ نفس الحقل في حدود القرية ...، وذلك في مقابل خمس قطع من الفضة «عن كل أرورا»؛ فيكون المجموع كله عشرين قطعة من الفضة، ونصفها هو عشر قطع فضة (فيكون المجموع عشرين قطعة فضة ثانية).

وعليَّ أن أدفع مقابل ذلك في بنك الملك في اليوم الذي يقال لي فيه «ادفعها نقدًا».

ويجب علي أن أدفعها لك أو للموكل من قبلك، ولن يكون في مقدوري أن أقول لك إني دفعتها ذهبًا أو أي شيء آخر في العالم دون وثيقة دفع، وأنه أنت أو وكيلك الذي يكون له الحق في تسلمها قهرًا؛ وذلك بسبب كل شيء قد تحدث به باسم كل كلمة دُونت أعلاه، وإني سأفعلها لك على حسب أمرك قهرًا وبدون معارضة، وجميع وكل شيء أملكه وما سأملكه هو الضمان من أجل هذا المكتوب المذكور أعلاه دون تأخير.

وإن مزارع الملك فلان ابن فلان، وهو الذي يقف ضامنًا عندما يقول: إن لك الحق أن تطالب من تحب «منا نحن الاثنين، وإنه سيفعل على حسب كل كلمة ذكرت أعلاه».

كتب هذا «بانفر-حو» (= Pneferos) بن «با-ن-اسي» Phanisis.

وقع عليه ... بن سبك (...).

---

[٥] راجع: Spiegelberg Cat. Gen. No. 30781. Sethe, Ibid. p. 89.

وقع عليه «نخت (؟)-أنوب» بن «بانوفر» (؟).
وقع عليه ... («أوزير» بن «جي» (؟)-خنسفعنخ) = Dje (?)-Chens-cf-onch.

(١-٦) عقد التزام لضمان، مؤرخ بنهاية السنة الرابعة ق.م

وقد عُثر عليه في الفيوم على ما يظهر في مدينة كروكو ديلوبوليس[٦] (الفيوم) والواقع أن هذه الوثيقة، وكذلك التالية لها كتبهما مسجل بعينه من مركز «مريس» يُدعى «بوليمون»، وعلى ذلك يحتمل أنهما مثل الوثائق الخمس السابقة وُجدتا في «الفيوم».

التاريخ: السنة الثانية، الشهر الثالث من فصل الفيضان «هاتور» من عهد الملك «بطليموس» بن «بطليموس» و«أرسنوي».

الطرفان المتعاقدان: الطرف الأول: إنه «جحو» بن «حور» المؤجر لنصيب «بوليمون» هو الذي يخاطب.

الطرف الثاني: «باوت» بن «نحمس-اسي» (= Namesis) ... الواحد والعشرين أرورا من الأرض المزروعة كلأ وجلبان وهي التي قرر نزعها، وعلى ذلك فإنه ينادي فيما يخصها من بين حقول الملك، بأني قمت لك بالضمان من أجلك.

ويجب عليَّ لك مقابل ذلك أن أجعل قيمتها بالنقد النحاسي، بسعر كل ٢٤ قدت من النحاس مقابل قدتين من الفضة تُدفع للمحراب، وأن تكون كل ست قطع فضة عن كل أرورا، ومجموع ذلك هو ١٢٦ قطعة من الفضة، ونصفها ٦٣ قطعة من الفضة، فيكون المجموع ١٢٦ قطعة من الفضة ثانية حتى السنة الثانية الشهر الرابع من فصل الفيضان (؟) «كيهك» الخامس منه.

وأن قطع الفضة الخاصة بك التي لا أحضرها إلى المعبد في الميعاد المذكور أعلاه؛ فإني أدفعها مرة ونصف في الشهر الذي سيكون بعد الشهر المذكور قهرًا وبدون تأخير، ولن يكون في استطاعتي أن أقول: لقد أديت لك حق المكتوب المذكور أعلاه ما دام المكتوب المذكور أعلاه في يدك. وإني سأودي لك هذا الحق قهرًا، وبدون تأخير.

كتب هذا «ماع-رع (= Mares») (بن ...).
وقع عليه «جحو» (= Teos) بن «حور».

---

[٦] راجع: Splegelberg, Ibid, Pap. Taf. 57 and Text. P. 148; Sethe, Ibid, p. 108.

(١-٧) عقد ضمان إعادة سجين من عهد «بطليموس الخامس» مُؤرَّخ بمارس عام ٢٠٢ق.م عُثر عليه في الفيوم[٧] «مؤرخ مارس عام ٢٠٢ق.م»

التاريخ: السنة الثالثة الشهر الثاني من فصل الشتاء «أمشير» من عهد الملك «بطليموس ابن «بطليموس» و«أرسنوي» الإلهين المحبين لوالدهما.

الطرفان المتعاقدان: الطرف الأول: يقول الجندي الإسبندوسي — نسبة إلى «إسبندوس» —[٨] الذي منح حقلًا إلى الأبد (المسمى) «آثينيون» Athenion بن «أرتيميدوروس» Artimidoros.

الطرف الثاني: «باوت» بن «نحمس-اسي» مواطن مكان «سحن» (مركز (؟)) وهي جزء من «بولموي» (= مقاطعة أرسنوي).

العقد: لقد ضمنت فيما يتعلق بمزارع الملك «حور» بن «پا-حي» وأمه هي «نخت-اسي» السجين الذي في يدك (أي: بين يديك) وأقف بوصفي ضامنًا، ويجب عليَّ مقابل ذلك أن أجعله يقف أمامك، وعليَّ أن أحضره إلى المكان الذي تحدده في اليوم الذي ترغب فيه أنت، عدا معبد الإله ومذبح الملك، في مدة يوم من يومين «تحددهما»، وإذا لم أقدمه لك فعلي إذن أن أعطي ... وكل ما أملك، وكل ما سأكسبه في المستقبل هو ضمان لحق المكتوب المدون أعلاه، ويكون لوكيلك الحق أن يتسلم قهرًا فيما يخص جميع الأشياء التي تحدث عنها باسم كل كلمة ذُكرت أعلاه، وإني سأنفذها على حسب طلبه قهرًا، وبدون تأخير.

كتب هذا فلان بن فلان.

وكُتب بالإغريقية: السنة الثالثة، شهر أمشير، اليوم ... في «كروكوديلوبوليس».

وضمنه («أثينيون» من قرية «ليزيماخيس»).

الباقي مهشم.

---

[٧] راجع: Splegelberg Ibid, Pap. Taf. 49 (Caire 30659), Text. S. 298 (Caire 31191). Trans. S. 96–7, 297–8. Sethe. Ibid, p. 129 ff.

[٨] راجع: Lesquier, Instit. Militaires des Lugides p. 116 ff.

(١-٨) عقد نزول من عهد الملك «بطليموس الخامس»[٩]

التاريخ: السنة الثانية، شهر هاتور من عهد الملك «بطليموس» بن «بطليموس» و«أرسنوي» الإلهين المحبين لوالدهما، عندما كان «أريستوماكوس» Aristomachus بن «مناس» Mennas كاهن الإسكندر والإلهين المخلصين والإلهين الأخوين والإلهين المحسنين والإلهين المحبين لوالدهما، وعندما كانت «ديديمي» Didymé ابنة «مناندروس» الكاهنة حاملة مكافأة النصر أمام «برنيكي» المحسنة، وعندما كانت «هريني» Herene ابنة «كليونوس» Cleonos حاملة السلة الذهبية أمام «أرسنوي» محبة أخيها.

الطرفان المتعاقدان: الطرف الأول: يقول حامل الخاتم الإلهي «آمون» بن «بتاح ما» وأمه هي «تيتوا» Tetoua.

الطرف الثاني: الحامل الخاتم «باسي» بن «تيوس» وأمه هي «أرسنوي».

صيغة العقد: إني أنزل لك عن نصيبك من النصف من نصيبي أي الربع من المبنى الجنازي المقام من الحجر، وهو الذي يُسمَّى كا … ويبلغ طوله عشرين ذراعًا من الجنوب إلى الشمال و٢٥ ذراعًا من الشرق إلى الغرب، ونصفك الذي هو من نصفي، وهو الربع من أربع القباب الموجودة هناك، وهاك وصفها: قبتان في الجدار الجنوبي وقبتان في الجدار الشمالي، ونصفك من نصفي أي الربع من المقصورة الحجرية، وهي التي تقع في غرب المبنى الجنازي الذي على بعد $9\frac{2}{3}$ أذرعًا من الجنوب والشمال و١٢ ذراعًا من الغرب إلى الشرق، ونصفك من أربع القباب … قبة على الجدار الجنوبي، وقبتان على الجدار الشمالي، وقبة على الجدار الغربي، والكل موجود على جبل جبانة «منف» ونصفك من نصفي أي الربع من أقفال الباب هذه، ونصفك من نصفي أي الربع من حرمه عند الباب الشرقي … لقد حررت لك مستندًا بالنقد الخاص بهذا الموضوع في السنة الثانية، شهر هاتور، من عهد الملك العائش أبديًّا، وهو مستند وقعت عليه

[٩] راجع: Papyrus Demotique No. 373 b, etc du Musée de Leyde; Revillout Rev, Egypt. I. p. 128 note 1; cf. Strack. Dyn. Der. Piol. p. 30 et note 5, et p. 126 (4).

المرأة «تيتوا» ابنة «بدي موت» وأمها هي «شماتي»، وحدود البيت الجنازي المصنوع من الحجر، والأماكن المذكورة أعلاه التي عليها نصفك من نصفي أي الربع هي:

في الجنوب: المبنى الجنازي المقام من الحجر ملك حامل الخاتم الإلهي تباست (؟) الذي من أجل حامل الخاتم الإلهي ... «آبي» بن «هريوس» Hereus والرجل الآخر.

في الشمال: المقصورة المقامة من الحجر التي عليها «أنوبيس» الإله العظيم ... المقصورة ملك «آمون» بن «بلا» وهي ملك أولاده.

وفي الغرب: الجبل.

وفي الشرق: شارع «أنوبيس».

ونصف نصفي؛ أي الربع من المقصورة المصنوعة من الحجر ... وهي التي وَصْفُها وحدودها قد ذُكرت أعلاه.

وليس لي أي حق عليك في هذا الموضوع من هذا اليوم فصاعدًا، وإن من يأتي إليك ليضايقك من أجل ذلك فإني سأبعده عنك، وإنك ستجعلني أعترف بالمستند بالنقد الذي حررته لك في هذا الموضوع، وكذلك حقه وهذان مستندان، وإنك ستجعلني أعترف بهما وكذلك بحقوقهما.

كتبه «أو» بن «حور سائيسي».

(١-٩) عقد نزول من عهد «بطليموس الخامس»[١٠]

التاريخ: السنة الثامنة شهر أمشير من عهد الملك «بطليموس» بن «بطليموس» ابن «أرسنوي» الإلهين المحبين لوالدهما، عندما كان «ديمتريوس» بن «سيتالتس» Sitaltes كاهن الإسكندر والإلهين الأخوين والإلهين المحسنين والإلهين المحبين لوالدهما والملك «بطليموس» صاحب التاج خبش — خوزة الحرب، وعندما كانت «أريا» Aria ابنة «ديوجنيس» الكاهنة حاملة مكافأة النصر أمام «برنيكي» المحسنة، وعندما كانت

[١٠] راجع: Papyrus Demotique no. 2408 du Musée du Louvre. Revillout Chrestomatie demot. p. 336; Rev. Egyptol. I, p. 124 note 2.

«نيسياس» Nicias ابنة «أبليس» حاملة السلة الذهبية أمام «أرسنوي» محبة أخيها، وعندما كانت «هيريني» Hirene ابنة «بطليموس» كاهنة «أرسنوي» محبة والدها.

الطرفان المتعاقدان: الطرف الأول: يقول حامل الخاتم الإلهي «أمحوتب» بن «بتاح ما» وأمه هي «تيتوا».

الطرف الثاني: للمرأة «شماتي» ابنة «تيتأو-ممو» وأمها هي «تيتوا» ابنة أمها — أي إن الاثنين من أم واحدة.

العقد: إني أنزل لك عن البيوت والمقابر والمرتبات الجنازية والأيمان الإيجابية والسلبية، وهي كل ما يملك في العالم حامل الخاتم الإلهي «تيتأو-ممو» بن «بسن-موت» Psen Mout وأمها هي «حوعنخ»، والدك، وهو العقار الذي حُرر به مكتوبًا بالإيمان للمرأة «تيتوا» ابنة «بت-أموت» وأمها هي «شماتي»، أمي، وأمك «وإني أنزل لك عنها»، وكذلك عن حقوقها، وهي ملكك، وليس لي أية كلمة في العالم — أي ادعاء — عليك في هذا الصدد من اليوم فصاعدًا. وإن الذي يأتي إليك ليضايقك بسببها باسمي فإني سأجبره أن يبتعد عنك قهرًا وبدون تأخير، ولك أن تجعلني أعترف بمستند النقد، وكذلك بمستند النزول، وهذان يكونان مستندين، وهما اللذان حررتهما لك في السنة السادسة شهر أمشير من عهد الملك العائش أبديًّا، وذلك عن نصيب الربع من المقصورة الجنازية ملك «بتاح ما» بن «أمحوتب» والدي، وتقع في جبانة «منف»، وكذلك الحقوق التي تنتج منها، وأنك تجعلني أعترف بالمستند الخاص بالتنازل الذي حررته لك في السنة الثامنة من شهر برمودة من عهد الملك العائش أبديًّا عن نصيبك بحق النصف من كل ما تملكه المرأة «تيتوا» ابنة «بت-أموت» وأمها هي «شماتي» أمي وأمك، وكذلك كل حق ينتج عن ذلك، وسأجعلك تعترف وأنا كذلك بمستند النزول الذي حررته لي في السنة الثامنة شهر أمشير من عهد الملك العائش أبديًّا عن نصيبي في النصف من كل ما يخص المرأة «تيتوا» ابنة «بت-أموت»، وأمها هي «شماتي» أمي وأمك، وبالحق الذي يترتب على ذلك بالإضافة إلى الموافقة التي عملتها كتابة بالنقد الذي حُرر لمصلحتي من المرأة «تيتوا» ابنة «بت-أموت» التي أمها هي «شماتي» أمي وأمك المذكورة أعلاه في السنة الثامنة شهر أمشير من عهد الملك العائش أبديًّا عن نصيبي في نصف كل مالها وكل ما ستملك، وعن الحقوق المترتبة على ذلك.

وإني ملزَم أن أعمل من أجلك على حسب الكلام المذكور أعلاه، وإني سأجعلك تعترف كذلك مستند النزول الذي حررته في السنة الثامنة … من عهد الملك العائش

أبديًّا عن المباني الجنازية (= المقاصير) والمقابر والمرتبات الجنازية والأيمان (سعنخ) وكل الممتلكات الدنيوية التي يملكها حامل الخاتم الإلهي «بتاح ما» بن «تيوس» والد والد والدي، وكذلك بكل حقوقها، وهي الممتلكات التي حررت بها مستندًا، وكذلك عن حقوقها.

التراضي: إن المرأة «تيتوا» ابنة «بت-أموت» وأمها هي «شماتي» أم المرأة «شماتي» ابنة «تيتأو-ممو» و«أمحوتب» بن «بتاح ما»، وهما الشخصان اللذان ذُكرا أعلاه؛ تقول: عليَّ أن أنفذ لك الكلام الذي ذُكر أعلاه، وإن قلبي مرتاح له، وإني أنزل لك «يا ابنتي» عن كل ما هو مدون أعلاه، كما هو مكتوب أعلاه، وليس لي أية حجة في العالم أقيمها عليك بخصوص هذا الموضوع من اليوم فصاعدًا، وأن من يأتي لمضايقتك باسمي فإني أبعده عنك قهرًا وبدون إبطاء، وأن المرأة «شماتي» ابنة «تيتأو-ممو» و«أمحوتب» بن «بتاح ما» أخواها من الأم، وأولادي قد جعلوني أعترف بالمستند الخاص بالنقد، وهو الذي حررته لكل منهما في السنة الثامنة شهر أمشير من عهد الملك العائش أبديًّا، وكذلك الحقوق المترتبة عليه، وكذلك الموافقة التي عملتها عن عقد النزول الذي حرر لكل منهما في السنة الثامنة شهر أمشير من عهد الملك العائش أبديًّا، وعليَّ أن أنفذ لك «يا ابنتي تعهدي».

كتبه ... ابن «بتيسي».

السنة الثامنة شهر برمهات التاسع منه في «منف» وُقع عليه بيد «بسي-بتاح» بن «أمحوتب» وكيل «ديونيسيوس».

(أ) تعليق

هذا العقد هو من العقود التي يظهر فيها أمامنا حق المرأة في رهنية ممتلكات زوجها، وذلك بناء عن مستند أو عقد يمين، ويُلحظ أن هذا العقد عند قراءته للمرة الأولى يظهر بأنه غاية في التعقيد، ولكنه في الواقع يتمشى تمشيًا كبيرًا بالنسبة للعادات المصرية القديمة، والواقع أننا نجد في هذا العقد الذي نحن بصدده ولدين من أم واحدة ولكنهما من أبوين مختلفين، وقد خصص لكل منهما ما يستحقه شرعًا من الأملاك التي تملكها والدتهما، ومن هذه الأملاك ما جاء من والد لابنه، وكذلك ما جاء من أسرة والد الذكر، وكانت الأم لها حق بمقتضى اليمين (سعنخ) وهذا الحق الصحيح قد ذكره الابن، وذلك عندما نزل بمثابة ملكية لأخته بمستند تنازل بمقتضاه لها عن كل الممتلكات الآيلة له من والده.

هذا، إلى أن موافقة الأم على عقد نزلت فيه عن حقها الفعلي، وقد ذُكر في الوقت نفسه أنه بتحرير عقود مقابل نقد أو بيع ضروري فإنها قسمت بحق النصف ما كانت تملكه بوصفه حقها، بين ابنيها، وذلك بموافقة رسمية من هذين الابنين بمقتضى عقود خاصة.

(٢) وثائق ديموطيقية عُثِرَ عليها في سربيوم «منف» من عهد بطليموس الخامس

هذه الوثائق — وعددها ثلاث — تُعْتَبَر من أهم المستندات الديموطيقية التي وصلت إلينا من عهد الملك «بطليموس الخامس»، وهي محفوظة الآن في جمعية «نيويورك» التاريخية، وقد كُشف عنها في سربيوم «منف»، والمقصود هنا بالسربيوم نفس المعبد؛ أي إنه يستثني من ذلك الوثائق التي وُجدت في «أنوبيون» — معبد «أبيس» — وذلك تمشيًا مع الكشف العبقري الذي قام به العالم «فلكن».[١١] ومن هذا الكشف نعرف الآن أن «الأنوبيون» بالإضافة إلى بعض أماكن أخرى مجاورة له ليس لها اتصال بالسربيوم الأصلي كلية.

ولا نزاع في أن ما نشره كل من الأستاذ «زيته»[١٢] والأستاذ «فلكن» من معلومات تفيد المشتغل بالآثار المصرية والآثار الإغريقية على التوالي؛ قد أضاف الكثير لفهم عدد كبير من المسائل المتعلقة بالسربيوم.

والأوراق الجديدة التي سنتحدث عنها هنا تقدم لنا مادة جديدة توضح من وجوه عدة بعض المسائل التي أشار إليها الأثري «ريخ» وتؤكدها عند فحصه هذه الأوراق،[١٣] والواقع أن مادة هذه الوثائق جديدة بالنسبة لميدان الديموطيقية، زِدْ على ذلك أنها لم تُفحص حتى الآن، ولذلك آثرنا أن نتحدث عنها بشيء من التفصيل، وبخاصة أننا أردنا أن نضع بعض حقائق عن السربيوم لما في ذلك من أهمية بالغة لأولئك الذين يريدون الوقوف على بعض الحقائق المتعلقة به، وبخاصة الحياة الاجتماعية والدينية التي كانت سائدة في هذه البقعة من أرض الكنانة، هذا مع العلم أن كل ما نعرفه عن الحياة الاجتماعية

---

[١١] راجع: Wilcken Urkunden der Ptolemaerzeit I. p. 14 ff.

[١٢] راجع: Kurt Sethe, Sarapis pp. 14 ff.

[١٣] راجع: Mizraim Journal of Papyrology, History of Ancient Laws and Their Relations to Civilizations of the Bible Lands Vol. I. p. 9 ff.

والدينية للبلاد حتى الآن كان مصدره الوجه القبلي، وبوجه خاص «طيبة» التي كانت تُعتبر أهم مصدر لنا عن الأوراق الديموطيقية في عهد البطالمة.

(٢-١) موقع السربيوم على حسب البحوث الجديدة

لما كانت الأوراق التي نفحص محتوياتها هنا تبحث عن ملكية وُصفت وصفًا دقيقًا من حيث موقعها في السربيوم نفسه، ولما كان لا بد لنا أن ننظر هنا إلى هذا الموضوع بنظرة أخرى غير التي كنا ننظر بها إليه منذ بضع سنين مضت؛ فإن من الصواب أن نفحصه من جديد على ضوء المعلومات الجديدة التي وصلت إلينا، والواقع أن ما كتبه الأستاذ «فلكن» في هذا الصدد يكاد يكون كله في الصميم من الوجهة الطوبوغرافية بما كشف عنه فيما يخص السربيوم والأماكن المجاورة له، وذلك بما استنبطه من المصادر الإغريقية الخاصة بهذا الموضوع، ومن أجل ذلك أصبح من واجب علماء الآثار المصرية الآن أن ينخلوا ما لديهم من الوثائق الديموطيقية التي تقابل الوثائق الإغريقية التي فحصها الأستاذ «فلكن»، وذلك بالإضافة إلى ما وصل إليه الأستاذ «زيته» من معلومات قيمة في هذا الصدد.[١٤]

(٢-٢) موقع «منف» والسربيوم

تقع مدينة «منف» على مسافة لا تزيد عن عشرين كيلومترًا شمالي القاهرة إذا سار الإنسان في خط مستقيم، وكانت «منف» تُعد مدينة الأحياء في حين أن السرابيوم وما يحيط به من مؤسسات كان مخصصًا للموتى، وكانت مدينة «منف» تقع في وسط الأرض الزراعية المنخفضة، في حين أن السرابيوم كان يصل إليه الإنسان بصعود الجبل تدريجًا في الصحراء.

هذا، وكان معبد الإله «بتاح» — «هيفا ستيون» عند الإغريق — ومعبد العجل «أبيس» الحي (أبيون) يقعان في «منف»، ولكن عندما كان يموت العجل المقدس فإنه كان يُدفن في حجرة تحت الأرض في السربيوم، وكان يُقام فوق هذه الحجرة كذلك معبد للعجل المتوفى،

---

[١٤] راجع: Kurt Sethe Sarapis pp. 2 ff.

وكان هذا العجل بعد موته يصبح «أوزيرًا» كما كان كل إنسان حي يصبح «أوزيرًا» بعد موته، وكانت تقام له مقصورة على قبره، تقام له فيها الشعائر الجنازية.

فالإنسان الذي كان يُسمى مثلًا — مدة حياته — «بدي باست» يُسمى بعد موته «أوزير-بدي باست»، وكذلك كان العجل المتوفى يُسمى «أوزير حابي» وهذا الاسم المركب نطقه الإغريق «أوسارابيس»، وقد وُجد هذا الاسم في العهد المتأخر جدًّا باسم «سارابيس» و«أوسرابيس» وقد تحدثنا عن هذا الإله في الجزء الرابع عشر من هذه الموسوعة … إلخ.

وكان العجل «أبيس» وهو حي يدعى «حاب» الحي مكرر «بتاح» ملك الحيوان المقدس، وكان يُعبد في «أبيون» «منف» في السربيوم (= بيت أوزير أبيس) بعد موته مثل عجل «ور-مر» (العجل منيفيس) وهو عجل «هليوبوليس» الشهير الذي كان يمثل الإله «رع».

وقد كان يصبح بعد موته «أوزير منيفيس»، وكذلك مثل العجل الآخر المقدس «بوخيس» (بخ) الذي كان يعيش بوصفه روح إله الشمس «رع» الحي في البوخيوم في مدينة «أرمنت»، وهو الذي أصبح بعد موته يُدعى «أوزير بوخيس» الإله العظيم «سيد حتم» (= بيت أتوم).

وهذا القول ينطبق على الحيوانات الأخرى المقدسة مثل أبيس (= تحوت) وغيره.

هذا، وتوجد الآن طريقان رئيسيتان ذاتا أهمية نصل بهما من موقع «منف» القديمة إلى مدفن السربيوم الحقيقي؛ إحداهما: تتبع طريق السياح الحديثة من البدرشين إلى «منف» غربًا مارة بالأراضي الزراعية، ثم تتجه شمالًا عند سقارة حتى يصل الإنسان بها إلى سور مربع مصنوع من لبنات من طمي النيل، ويحتوي على مدافن الإله «باست» التي تسمى «بوباستيون» (= معبد القطة «باست»)، وبعد ذلك جنوبًا نسير في طريق منحدرة غربًا بين هرم «تيتي» والهرم الحجري جنوبي الهضبة الطويلة التي توجد في وسطها (رسمت الجهات الأصلية) (انظر الشكل رقم ١) حتى يصل الزائر إلى بيت «مريت» و«السربيوم» الأصلي.

والطريق الثانية موحدة بالأولى إلى أن يصل الزائر إلى مدفن القطط «بوباستيون» (انظر الشكل رقم ٢) حيث توجد مباني أخرى.

ويمكن تلخيص الموقف فيما يأتي: وهو أن مدينة «منف» الواقعة على هضبة في وسط أرض زراعة كانت تُغمر كل سنة من سبتمبر حتى نوفمبر بمياه النيل، وكانت تمتد كذلك إلى الشمال الغربي والغرب حتى الأنوبيون — مكان عبادة الإله «أنوبيس» — وفي

جنوبه كان يقع «البوباستيون» الذي بجانبه في الجهة الجنوبية مقابر، وأماكن الدفن هذه كانت في الوقت نفسه تقع شرقي الهرم المدرج الذي أقامه الملك «زوسر»، وكذلك مقبرة ساحره «أمحوتب» ومعبده. و«أمحوتب» هذا كان يُعتبر بمثابة إله الشفاء، وإله الوحي، وهو الذي كان يُعرف في الأوراق الإغريقية باسم «أسكلوبياس» — إله الطب عند الإغريق.

وعندما يمر الإنسان في وسط «الأنوبيون» غربًا يمكنه أن يصل إلى الجزء الغربي من ردهته المسورة، وبعد اختراق بوابة هذا الجدار الذي يحيط به يشاهد الزائر أمامه شارعًا طويلًا أقيم على جانبيه تماثيل «بولهول» تمتد نحو أكثر من كيلو متر تُقطع على الأقدام في مدة ربع ساعة، يصل بعدها الزائر إلى السربيوم الأصلي الذي كان يؤلف «الأنوبيون» بالنسبة له «مدخلًا أماميًّا». ويمكن أن تسمى هذه المباني على رأي العالم «فلكن» بمجموعة المباني الغربية، في حين أن مجموعة المباني الشرقية والضياع كانت تحتوي على معابد «الأنوبيون» و«البوباستيون» و«الأسكلوبيان» وما يحيط بها.

هذه صورة عن طوبغرافية تلك البقعة التي كانت من قبل غير مفهومة، وفسرت بصورة خاطئة.

وكان المدخل الرسمي للسربيوم هو طريق بولهول العظيمة الذي يمكن الوصول إليه عن طريق بولهول الصغيرة ودروموس «الأنوبيون» — الدروموس عبارة عن شارع عريض مرصوف بالحجر، ويقع عموديًّا بالنسبة لواجهة المعبد، ويؤدي إلى مدخله — الذي يخترقه ويتركه عند بوابته الغربية التي تؤدي مباشرة إلى الشارع الطويل المزين بتماثيل بولهول، وعند نهايته ينحني قليلًا نحو الجنوب، وينتهي بزاوية قائمة نحو الجهة الشرقية الغربية، ويتصل بالدروموس الذي يؤدي إلى السربيوم الأصلي، على أنه يمكن الوصول إلى السربيوم بطريق أخرى، وذلك لأنه توجد له بوابة أخرى في الشمال، وعلى أية حال فإن شارع تماثيل بولهول كان على ما يظهر المدخل الرسمي؛ إذ أقيم على جانبيه ما يقرب من أربعمائة تمثال بولهول، وهذه الطريق الطويلة المتجهة شرقًا بغرب تؤدي إلى جبانة قديمة وإلى أخرى أحدث عهدًا، وليس هناك إجماع على عمر هذا الشارع، والمحتمل أنه حديث، وذلك بسبب الإنحاء المفاجئ الذي يوجد في نهايته، ومن الجائز أنه بُني بعد إقامة السربيوم، ولو كان الأمر خلاف ذلك لأقيم السربيوم بحيث يدخل الشارع في الدروموس المكمل له مباشرة، وكان هذا هو المنتظر، والواقع أن الدروموس الذي يؤدي إلى السربيوم يوجد نصفه داخل السور ونصفه الآخر خارجه، والجزء الشرقي من الدروموس ينتهي في معبد «نقطانب»، وعلى ذلك فإن الموكب الذي كان يقصد دخول السربيوم عن

طريق تماثيل بولهول والدروموس يكون هذا المعبد على يساره. والجدران السميكة جدًّا التي يبلغ سمك الواحد منها حوالي مترين وارتفاعه حوالي ارتفاع قامة الإنسان، وهذه الجدران التي تُوجد على كلا جانبي الدروموس؛ تقطعها — أولًا من الجهة الشمالية — البوابة التي ينتهي عندها شارع بولهول عند الدروموس، وبعد ذلك تجد على الترتيب التالي المباني الآتية: أولًا: مقصورة لعجل «أبيس» (؟) وفي غربها مقصورة إغريقية وهي التي بإدارة λυχναmas، وسنرى فيما بعد عند ترجمة العقود الديموطيقية أن هذه الإدارة كان من الممكن أن تكون ذات أهمية بسبب أن إضاءة المصباح كانت ضمن واجبات أحد الطرفين المتعاقدين في الوثيقة التي ستأتي بعد. كل ذلك بالإضافة إلى تماثيل قليلة تقع على الجانب الجنوبي لجدار الدروموس، ولا تزال توجد خارج جدار سور السرابيوم الذي يؤلف مستطيلًا كبيرًا ذات حافة مسننة في الجنوب الغربي وهو الذي — كما يُرَى على الشكل رقم ٢ — قد تسبب من تكوين الهضبة التي أقيم فيها السرابيوم. وكان المعتقد سابقًا أن كل مجموعة المباني الشرقية، وهي الأنوبيون والبوباستيون والأسكلوبيون؛ كانت تؤلف جزءًا من السرابيوم، وهي في الواقع ليست تابعة له.

والآن نمر في داخل الدروموس وسور السرابيوم العظيم الذي يوجد في موقعه الشرقي. هذا، ويُلحظ أن جدران الدروموس السميكة تصحبه فقط خارج السور، والدروموس بعيد عن هذا السور من الداخل، ومعبد «أوزير أبيس» الذي داخل السور مهدم.

وتحت هذا المعبد الذي يقع في الوسط توجد توابيت كثيرة العدد لعجول «أبيس»، وفي شمال الجدار العظيم المحيط به كان يوجد هناك مدخل.

وكان الطبيعي أن توجد في السرابيوم حياة تشبه الحياة التي كانت تُمارَس في بلدة صغيرة كما كانت الحال في «الأنوبيون»، فكانت الأشياء الكثيرة التي يحتاج إليها آلاف الحجاج — الذين كانوا يفدون إلى هناك كل سنة للحج — تُقدم لهم، وكان الدروموس نفسه يُستعمل بمثابة سوق للبيع والشراء، وكانت حتى الحكومة تبيع متاجر الدولة هناك بالمزاد.

وتحدثنا متون البرديات التي وصلت إلينا من هذا العهد عن كثير من المخاصمات التي كانت تقوم بين سكان السرابيوم وما جاوره، وعلى أية حال لا ينبغي لنا أن ننظر إلى هذه المخاصمات والمجادلات التي كانت تقع بين الأهالي الذين كانوا يسكنون سويًّا على مساحة صغيرة نسبيًّا بصورة قاتمة مظلمة إلى أبعد حد.

وقد حافظنا على هذه الأوراق؛ لأنها وثائق رسمية، غير أن التسجيلات التي كانت تدل على ما بين الأهالي من حسن نية لم تنحدر إلينا، وهذا أمر طبيعي جدًّا؛ لأن المعاملات

الحسنة فيما بينهم لم تكن تؤلف أساس شكاية، وإذا كان لزاما علينا أن نفحص مذكرات محكمة لأية بلدة صغيرة، أو نفحص مجموعة وثائق لبعض المحامين؛ فإنا سنحصل على نفس الحكم الخاطئ عن هذه البلدة الصغيرة، ولا نزاع في أن المشاغبين والمشاكسين والأفظاظ والمجرمين الذين يخالفون القانون يوجدون في كل مكان وكل زمان، لا في البيئة التي نتحدث عنها وحسب.

حقًّا لم يكن في الدستور المصري مواد شرعية تحتم إحضار مسجون أمام قاضٍ أو محكمة أو تنفيذ حكمها بشأنه فورًا؛ وذلك لأنه لم يكن هناك دستور أبدًا في مصر التي كانت تُحكم حكمًا استبداديًّا، وعلى أية حال فإن ذلك كان لا يعني أنه لم تكن في مصر عدالة اجتماعية، فقد كان لدى قدماء المصريين حس عظيم بالعدالة في كل عهود تاريخهم، وإني لا أشير هنا إلى قصة الفلاح الفصيح وشكاياته، كما لا أشير إلى تظلمات «بتيسي» التي تحدثت عنها في غير هذا المكان؛ وذلك لأن كلًّا منهما يمكن أن تُستعمل بحدين، ولكن أذكر مثلًا نقش تنصيب الوزير،[١٥] في عهد الأسرة الثامنة عشرة، فاستمع لبعض ما جاء فيه:

> تأمل إذا حضرك شاكٍ من الوجه القبلي أو الوجه البحري؛ أي: من البلاد قاطبة، مستعدًّا للمحاكمة ... لأجل سماع قضيته، فواجبك أن ترى أن كل إجراء لازم لذلك قد اتُّخذ على حسب القانون، وأن يكون كل تصرف يتفق مع العرف الجاري ... تأمل! عندما يكلف حاكم بسماع قضايا، عليك أن تجعلها علنية، وبذلك تجعل الماء والهواء ينقلان كل ما عساه أن يعمل. تأمل! فإنه بذلك لن يبقى سلوكه خافيًا ... إلخ.

وفي الأوقات التي كانت لا تسير الأمور في مجراها الطبيعي نجد أنه حتى في عهد البطالمة كانت العدالة تأخذ طريقها مع كل إنسان، كما يدل على ذلك المراسيم التي أصدرها «بطليموس السابع» و«بطليموس سوتر الثاني» كما سنرى بعد. وعلى ذلك فإن هذه المخاصمات التي نقرأ عنها في وثائق السرابيوم لا بد أن يُنظر إليها على ضوء الأحوال القياسية لأية بلدة. ويلفت النظر أنه لم يسكن الكهنة والموظفون الذين كانت لهم علاقة

[١٥] راجع مصر القديمة الجزء الرابع.

مباشرة أو غير مباشرة بعبادة الإله «سرابيس» والآلهة والإلهات الآخرين الذين كان لهم مقصورات ومذابح في داخل حرم السرابيوم، وكذلك داخل حرم الأنوبيون والبوباستيون والأسكلبيون وغيرها وحدهم؛ بل كان يسكن هناك كثير من رجال الأعمال وغيرهم من الأفراد العاديين، فكان هناك الخباز والحمال والخياطة وبائع البردي والبواب والطبيب الذي يحقن المرضى ورجال طب آخرين، وبائع الملابس والحلاق وحامل الحقيبة وتاجر الغلال وصانع السجاد والسقاء، وكل هؤلاء قد جاء ذكرهم في الوثائق صدفة، في حين أنه من المحتمل جدًّا أن هناك عددًا أكبر من ذلك قد كان موجودًا ولم يأت ذكره في البرديات التي وصلت إلينا،[١٦] ومن الطبيعي أنه كان يوجد بينهم أحيانًا خلافات ومتاعب ومشاحات، وهذا في طبع الإنسان منذ أن وُجد.

والواقع أن «بطليموس المقدوني» الذي سنتحدث عنه فيما بعد كان مضطرًّا أن يقول — عند تقديمه طلبًا للحصول على وظيفته — للملك: لقد قدمت طلبي لك — أي للملك — بوساطة نافذة المقابلة (يعني بنافذة المقابلة: النافذة التي كان يتقبل منها الملك أو نائبه الشكايات) لأن أولئك الذين في المعبد قوم أشرار، وقد حاصروني؛ لأني إغريقي لدرجة أني رُجمت بالحجارة من النافذة.

هذا، ونصادف نفس «بطليموس المقدوني» سالف الذكر قد ذكر — في نسخة المسودة الأخرى التي تحوي طلبه — ما يأتي: وعلى ذلك فقد رُجمت بالأحجار من النافذة، وعندما حضر رئيس الحرس والحاكم العسكري المسمى «بوزيدو نيوس» في شهر برمودة شكوت إليه عند نافذة المقابلة، وقد استحضرهم وعاقبهم.[١٧] وهذا مثال من بين الأمثلة الأخرى التي تظهر أن الموظفين قد عملوا جهد طاقتهم لإقامة العدالة وحماية الناس، والظاهر أن هذه العدالة كانت دائمًا تجري في صف الإغريق لا المصريين. هذا، ولدينا قصة التوأمين من هذا النوع، وسنتحدث عنها في حينها.

وعلى أية حال فإنه على الرغم من عدم وجود نص شرعي بإحضار مسجون أمام قاضٍ أو محكمة والخضوع لحكمة توًّا، فإنه كان يوجد قانون عام كان على ما يظهر

---

[١٦] راجع: W. Otto, Priester und Tempel I, pp. 283 ff.; Papyrus London, 1, 44; Papyrus Paris 34, 36, 40 and 60 bis Verso; and Wilcken, U. P. Z. nos 12, 91, col. II, 1. 16; 148, 1, 7; 120, 1, II; 148, I, 7; pp. 148; 407 note 16, 420; 428, note 22; 563 ff.; 566 ff.; 566 note 20, 636 note 7.

[١٧] راجع: Papyrus Greek Vatican 2303, recto, II, 7, 15–17, 27–28 (156, B. O.).

يُطبق، كما يُشَاهَد في الشكوى التي قُدِّمَت ضد «أموسيس» وصحبه فقد جاء فيها: وعلى ذلك أرجوك أيها الملك بألا تسمح بأن أحاصَر دائمًا بحقد على يد أولئك القوم الذين ذكروا فيما سبق، وأُسَب وأُعامَل خلافًا لما يقضي به القانون.[١٨]

وعلى أية حال فإن المراسيم التي أصدرها «بطليموس إيرجيتيس الثاني» على الرغم من أنها جاءت في عهد متأخر من حكم البطالمة عن العهد الذي نتحدث عنه، فإنها تظهر أنه كانت تُوجد روح عدالة في إدارة حكم البلاد. فقد كان على المتهم أن يأخذ ويعطي ما يرضي به على حسب ما جاء في المراسيم والأنظمة؛ أي: إنه كانت توجد مراسيم وأنظمة تحمي حقوق الإنسان، وهذا الموقف — من الوجهة القانونية فيما يخص المواطن — كان منتشرًا كذلك في العهد الفرعوني، كما يشاهد ذلك في أوامر الملك للوزير عند تنصيبه، كما ذكرنا من قبل.

هذا، ويشاهد أنه حتى في عهد الفرس الأجانب الذين حكموا مصر كانوا يحترمون القوانين المصرية، فقد أعطى الملك «دارا» الأمر بجمع القوانين المصرية وتدوينها.[١٩]

وفضلًا عن ذلك فإن مجرد حفظ الشكاوى، واهتمام القوم بتدوينها، يُعتبر برهانًا على أنهم كانوا مؤمنين بأنهم سينالون معاملة طيبة عادلة عن قضاياهم على يد الموظفين الذين كانوا يفصلون في مظالمهم.

وفوق كل ذلك فإن وجود منظمة «نافذة المقابلة» — الشرفة أو البلكونة — يُعد برهانًا على حسن مقاصد الملك ونوابه الذين كانوا يتسلمون المطالب والشكاوى من الأهلين ويفحصونها؛ ومن ثَمَّ يمكن الإنسان أن يميز بين «نافذة المقابلة» وبين مقابلة الملك، وذلك أنه كان في مقدور كل فرد أن يظهر أمام «نافذة المقابلة» دون الحاجة للقيام بعمل رسميات خاصة، في حين أنه عندما كان يريد الفرد أن يمثل أمام الملك فإنه كان في هذه الحالة يحتاج إلى تصريح خاص من بعض الموظفين في البلاد؛ ليحظى بمثل هذا الشرف العظيم.

وتدل شواهد الأحوال على أن الحياة في السرابيوم كانت كالحياة في قرية منظمة، وذلك على الرغم من أن الغرض الأصلي من هذا الحرم المقدس هو أن يكون لعبادة العجل

[١٨] راجع: Papyrus Grec Louvre, 2358 = Paris 35ed Presle (163 B.O.) II 32–34 = Wilcken op. cit. No. 6, pp. 129 ff.

[١٩] راجع: The Codification of the Egyptian Laws by Darius Mizraim I, p. 180.

«أبيس» المتوفى الذي كان بعد موته يُحنَّط، ثم يُحمل في احتفال رهيب غاية في الفخامة في جناز من الطراز الأول إلى السرابيوم الأصلي ليُدفن في مقره تحت الأرض، وبعد ذلك كانت تقام الشعائر الدينية المتبعة، ثم تُقدم الضحايا له في أيام خاصة من السنة المعبد الذي كان مقامًا فوق حجرة الدفن السفلية، وذلك على غرار ما كان يُعمل لكل إنسان تُوفي.

ولم تكن هذه الشعائر تعمل للعجل وحده؛ بل كانت تُعمل كذلك لذريته التي أنجبتها له البقرات في «منف» الفينة بعد الفينة، وذلك بعد أن تكن قد ماتت ميتة طبيعية.

وهذا السرابيوم الذي كان حافلًا بمظاهر الحياة الزاخرة، ويقع بعيدًا غربي «منف» في الصحراء، هو المكان الذي عُثر فيه على الوثائق التي نحن بصددها، وغيرها مما سنتحدث عنه، وسنرى أنه من الممكن تحديد المكان الذي وجدت فيه هذه الأوراق.

والآن بعد أن قدمنا هذه المعلومات القيمة عن السرابيوم، وهي التي كان لا بد منها لمن أراد أن يعرف شيئًا عن هذا المكان وما جاوره من مبانٍ في العهود المتأخرة على الأقل؛ ينبغي علينا أن نضع وصفًا وترجمة بقدر المستطاع للوثائق البردية الثلاث التي يرجع عهدها لحكم «بطليموس الخامس» وهي التي نوهنا عنها في أول هذا الشرح.

(٢-٣) وصف البرديات الثلاث

وهذه الأوراق تحمل الأرقام التالية في سجل جمعية «نيويورك» التاريخية ٣٧٣أ و٣٧٣ب و٣٨٨.[٢٠]

هذا، وقد كُتبت الوثيقتان ٣٧٣أ و٣٧٣ب على بردية واحدة.

وصف البردية ٣٧٣أ

لون هذه البردية بني باهت خفيف.

وارتفاعها الحالي $\frac{1}{2}$١١ بوصة.

وطولها الحالي ٤١ بوصة.

[٢٠] راجع: Mizraim, vol. I. pp. 44–129.

وصف البردية الثانية ٣٧٣ب

اللون كالسابقة.
الارتفاع الحالي ١١ ½ بوصة.
الطول الحالي ٤٢ ½ بوصة.

وصف البردية الثالثة ٣٨٨

اللون كالسابقة.
الارتفاع الحالي ٩ بوصات.
الطول الحالي ٣١ بوصة.

ويجدر بنا قبل أن نضع ترجمة الوثيقة الأولى وما يتبعها من شرح أن نبرز بعض النقاط العامة التي تسهل لنا فهم متون هذه الوثائق الثلاث بصورة عامة:

أولًا: اتضح من درس هذه الوثائق أنها متعلقة ببعضها بعضًا، وذلك لأن الفريقين المتعاقدين واحد في كل هذه الوثائق الثلاث، وإن كان عنوان الفريق الأول مختلف بعض الشيء في الورقة الأخيرة رقم ٣٨٨، إذا ما قُرن بالورقتين ٣٧٣أ و٣٧٣ب.

ثانيًا: لُوحظ أن الوثيقتين ٣٧٣أ و٣٧٣ب مؤرختان بتاريخ واحد، في حين أن الوثيقة ٣٨٨ مؤرخة بتاريخ متأخر بنحو عشرين سنة، وأنها مكتوبة بخط آخر كتبه فرد غير كاتب الوثيقتين ٣٧٣أ و٣٧٣ب، وهذه الحقائق توضح كذلك التغيير القليل الذي نجده في لقب الفريق الأول.

هذا، ولما كان تأريخ الوثيقة ٣٧٣أ والوثيقة ٣٧٣ب واحدًا فإن قراءة أسماء الكهنة المعاصرين لا بد أن يكون واحدًا في كل منهما.

وعلى ذلك فإن أحسن فحص لمتن التاريخ هو بقرن ٣٧٣أ و٣٧٣ب، في حين أن أسماء الفريقين والمتعاقدين وألقابهما يمكن أن تُفحص على أحسن وجهٍ بقرن بعضها ببعض في كل ثلاثة المخطوطات، وبخاصة أنها كُتِبَتْ بخط يدٍ مختلف في المخطوط المتأخر رقم ٣٨٨.

ثالثًا: في حين نجد أن مادة كل من الوثيقتين ٣٧٣أ و٣٧٣ب مختلفة تمامًا؛ نجد أن المادة في كل من ٣٧٣أ و٣٨٨ تكاد تكون واحدة، وعلى ذلك فإن هذا يسهل فهم الوثيقة ٣٧٣أ والوثيقة ٣٨٨، إذا قُرن مَتْنَاهُما الواحد بالآخر، وبخاصة عندما نعلم أن المتن الأول منهما أقدم من الآخر بعشرين سنة، وكتب كل منهما بخط كاتبين مصريين مختلفين.

ترجمة الوثيقة الأولى ٣٧٣أ

التاريخ: السنة الخامسة الشهر الثاني من فصل الفيضان (شهر بابه) من عهد الفرعون له الحياة والفلاح والصحة «بطليموس الخامس إبيفانس» بن «بطليموس» و«أرسنوي»، الإلهين اللذين يحبان والدهما، عندما كان كاهن ألجسانتروس (= الإسكندر) والإلهين اللذين يوقفان الشر (= بطليموس الأول لاجوس وبرنيكي) والإلهين الأخوين (بطليموس الثاني وأرسنوي) والإلهين المحسنين (بطليموس الثالث إيرجيتيس وبرنيكي) والإلهين اللذين يحبان والدهما (بطليموس الرابع وأرسنوي) «بوزانياس» Pausanias بن «ديمتريوس» = Demetrios، وعندما كانت «ساترتاس» ابنة «أنتيأقلس» حاملة هدية النصر أمام «برنيكي» المحسنة، وعندما كانت «بيلاتا» ابنة «أنتيأقلس» حاملة السلة الذهبية أمام «أرسنوي» محبة أخيها.

الطرفان المتعاقدان: الطرف الأول: لقد أعلن: كاهن أولاد «أبيس» الذي نال سعادته،[٢١] وكاهن المقر الجبلي «لإزيس» الآلهة العظيمة الكائنة في السرابيوم، المسمى «تيبس» «زحبس» Zehebes بن «بتاو» وأمه هي «عنخت».

الطرف الثاني: كاهن أولاد «أبيس» الذين نالوا سعادتهم (المسمى) «حور» بن «بتو زير» (وأمه هي) «تا آمون»، ابن أخت أمه (= ابن خالته).

نص العقد: إني بعيد عنك فيما يخص النصف الخاص بك من بيت استراحة «بجم» الكائن بالسرابيوم في الجانب الشمالي من دروموس «أوزير-أبيس» الإله العظيم، والنصف الخاص بك في البيوت والأكواخ، وأماكن الدفن التي بُنيت فيه، وكذلك النصف الخاص بك من الجهاز المقدس وكئوس القرابين، والمعدات الموجودة فيه، والنصف

[٢١] هذا التعبير «نال سعادته» المقصود به كناية عن أنه مات ميتة طبيعية، وكانت هذه العجول تعيش مع والدها في منف، وبعد موتها كانت تُحضَر إلى السرابيوم، حيث كانت تدفن هناك.

الخاص بك من بيوت الاستراحة — الدفن — التي حُفرت في الجبل الذي يقع غربها، وهي التي نضع فيها آباءنا للراحة.

والنصف الخاص بك من أشهر العبادات من بيت استراحة «بجم» السالف الذكر.

والنصف الخاص بك من أشيائها.

والنصف الخاص بك من كل شيء ينجم منها.

والنصف الخاص بك من كل شيء يتسلم منها.

والنصف الخاص بك من كل شيء سيكون من نصيبي باسمها.

والنصف الخاص بك من كل شيء أُضيف إليها.

والنصف الخاص بك من كل شيء يأتي باسمها.

والنصف الخاص بك من تلك الأشياء التي ستُضاف إليها.

والنصف الخاص بك من كل شيء سيعطونه باسمها في «منف» وفي منطقة السرابيوم وبيت الاستراحة «بجم» المذكور أعلاه.

وهي التي أملك فيها ربعها، في حين أن كاهن أولاد «أبيس» المتوفية، الذي يُسمى «باوت» بن «بارنفي» وأمه هي «نفر-سخم»، ابن أخت والدك يملك ربعها الآخر.

والنصف الخاص بك من أشهر العبادة لبيت استراحة «بجم» السالف الذكر كل سنة.

والنصف الخاص بك من مرتباتها وأشيائها.

والنصف الخاص بك من قرباتها من كل شيء ينتج منها.

وهي التي أملك فيها ربعها.

في حين أن «باوت» السالف الذكر ابن «بارنبت-حت» يملك فيها الربع الآخر.

والنصف الخاص بك من قرباتها الخاص ببيت استراحة «بجم» السالف الذكر للحراسات التي تدخل في السرابيوم سنويًّا.

والنصف الخاص بك من قربات الأعياد والمواكب الخاصة ببيت استراحة «بجم»،[٢٢] السالف الذكر لمدة ثمانية أيام سنويًّا، وهي التي تأتي في (الاثني عشر شهرًا وسدس) العبادة التابعة للأعياد التي ذُكرت أعلاه كل سنة.

[٢٢] (بجم) = تمثال الإله، والمقصود هو العجل أبيس.

وقائمتها هي:

(شهر) أمشير: ٢٩ و٣٠.
(شهر) برمودة: الأول منه.
(شهر) بئونة: الخامس والعشرون والثلاثون منه.
(شهر) أبيب: الثاني والعشرون والثالث والعشرون منه.
(شهر) مسرى: الثلاثون منه.
وليالي خمسة أيام العيد، اليوم الأول منها هو يوم ولادة «أوزير»؛[٢٣] أي ثمانية أيام كل سنة ثانية.

والنصف الذي يخصك من قربات أشهر العبادة الخاصة ببيت الاستراحة «بجم» السالف الذكر الخاص بأيام العيد الخمسة من اليوم الأول للخامس — أي خمسة أيام كل سنة، والمقصود أن نصف قربات أشهر العبادة لكل خمسة أيام النسيء ينزل عنها أي من أول الشهر لليوم الخامس — وهي التي يخصني فيها الربع، في حين أنه يخص «باوت» السالف الذكر ابن «بارنبت-حت» ربعها الآخر.

والنصف الخاص بك من أشهر العبادة لبيت استراحة «بجم» السالف الذكر عن كل سنة هو كما يأتي: (الشهران) «بابه» و«كيهك».

[٢٣] ومعنى الجملة هنا أنه بعد أن عددت «الأيام» فإن ليالي خمسة أيام العيد — أي أيام النسيء — وهي التي أولها يوم ولادة أوزير مع دخلها لأجل العبادة والقربات؛ قد نزل عنها كذلك «زحبس» لابن عمه «حور».

وهذه ملحوظة مفيدة وهامة جدًّا، ونحن نعرف مما ذكره بلوتارخ De Isid et osir., C 112 أن قدماء المصريين في الأصل كانوا يحسبون مدة السنة ٣٦٠ يومًا، ولم يكن هناك مكان لخمسة أيام النسيء في هذه السنة التي كانت تتألف من ١٢ شهرًا كل منها ٣٠ يومًا، ولم يضرب المصريون أبدًا صفحًا في الواقع عن هذا الأصل في أساطيرهم حيث اعتبروا أن خمسة أيام النسيء هذه لا بد أن تخلق، وأنه في كل يوم منها كان قد ولد واحد آخر من خمسة الآلهة وهي «أوزير»، و«حور» و«ست»، و«إزيس» «ونفتيس» (راجع: Brugsch Thesauros p. 48). ومن أجل ذلك نجد في العقود دائمًا أن السنة تُسمى $12\frac{1}{6}$ شهرًا، وآخر السنة كان فعلًا هو الثلاثين من شهر مسرى، (Ibid. p. 478) في حين أن بداية السنة كان أول شهر توت، وخمسة أيام النسيء قد أضيفت السنة (راجع: Herod. II, 4 Strabo., 17, 816; Diod. I, 50.) بعد اليوم الأخير من شهر مسرى، وهو يوم ليلة ولادة (عيد)، قربات في ليلة الولادة أمام الإله «ولنفر» (= «أوزير») وفي ليلة ٣٠ مسرى كان يُحتفل بعيد الإضاءة.

و«أمشير» و«برمودة».

و«بئونة» و«مسرى».

أي ستة أشهر كل سنة.

وملكك النصف من كل شيء (ذكر) أعلاه على حسب ما دُوِّن أعلاه. وليس لي أي حق في العالم عليك (باسمها) من اليوم فصاعدًا.

وأن الذي سيأتي إليك بسببها باسمي، فإني سأجعله يتخلى عنك قهرًا وفي الحال.

وملكك ما يعمل فيها، من حيث العبادات والتطهيرات والعقاقير والإنارات والبخور والأثمان.

ومصاريف التوتية اللازمة للكحل لبيت استراحة «بجم» السالف الذكر من اليوم فصاعدًا.

وإني خلفك[٢٤] فيما يخص التنازلين اللذين حررتهما في السنة الخامسة شهر بابه في عهد الملك العائش أبديًّا وحقوقهما، وذلك مقابل إعلان (نداء) المرأة «تاوي» ابنة «بسنبمو» وأمها هي «أوباسترتايس» للوثيقتين المذكورتين.

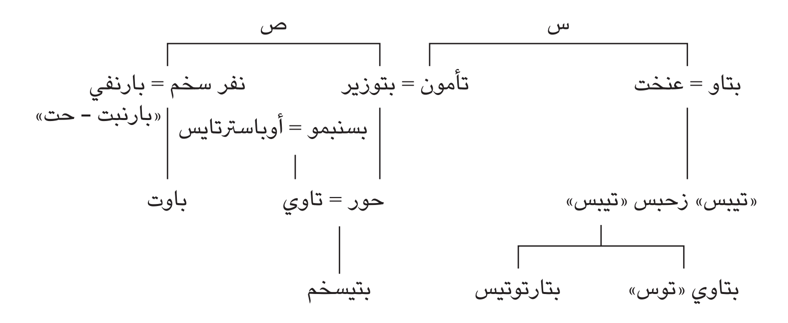
وأنك خلفي فيما يخص وثيقة التنازل — نقل الملكية — التي حررتها لك في السنة الخامسة شهر بابه من عهد الملك العائش أبديًّا، وكذلك حقوقها — أي الوثيقة — وإني سأفعل لك على حسب كل كلمة قيلت أعلاه.

كتبها «حونفر» بن «حبر تاييس».

ولما كان من الضروري فهم الوثيقة السابقة — ٣٧٣أ — فلا بد من عرض قائمة سلسلة نسب لكل الأسرة بقدر ما عُرف من أعضائها.

والواقع أنه عندما نفحص سلسلة النسب هذه نفهم في الحال الموقف؛ فنجد أن الطرف الأول والطرف الثاني في وثيقتنا وهما «تيبس» و«حور» ابنا خالة أي هما ابنا الأختين «عنخت» و«تأمون» على التوالي، وكان «حور» يملك نصف الملكية، «وتيبس» يملك فقط الربع، والربع الآخر يملكه «باوت»، و«باوت» هذا هو كذلك ابن عم «حور» على أية حال من سلسلة نسب أخرى؛ أي إن والد «حور» المسمى «بتوزير» وأم «باوت» المسماة «نفرسخم» كانا أخوين.

[٢٤] أي: لي الحق في العمل ضدك على أساس الوثيقتين اللتين حررتهما لي؛ أي: اللتين كتبتهما في صالحي، وأعطيتهما إياي.



على أن «حور» كان يملك النصف في حين أن ابني عمه الشقيقين كانا يملكان الربع، ويمكن أن يكون ذلك قد حدث لأسباب مختلفة، وأحد هذه الأسباب يمكن أن يكون أن «حور» أو أحد والديه كان قد تسلم نصيب أخيه الأكبر، والذي كان غالبًا ضعفي نصيب الآخرين، والظاهر أن هذه لم تكن الحالة هنا بسبب أن أحد الربعين على ما يظهر قد أتى من أسرة أخرى.

وعلى أية حال فإنه عند فحص شجرة النسب التي وضعناها هنا أمكن أن نلحظ أن «حور» — الذي كان يملك نصف الملكية — كان من جهة ابن المرأة «تأمون» أخت أم «تيبس» الذي كان يملك فقط ربع نفس هذه الملكية، وكان من جهة أخرى ابن «بتوزير» الذي كانت أخته أم «باوت» هو الذي كان كذلك يملك فقط ربع نفس الملكية، وبعبارة أخرى يظهر أنه كان في الأصل أربعة أرباع كان ملاكها هم «عنخت» وأختها «تأمون» من جهة، و«بتوزير» وأخته «نفرسخم» من جهة أخرى، وإذا كان الوضع هو بهذه الصورة فإنه يمكننا القول على ما يُظن أن كلًّا من والديهما كان يملك على التوالي نصف هذه الملكية، وقد أُشير إلى والديهما في سلسلة النسب بحرفي ص وس (وسنرى فيما بعد أن اسم الزوج س = «حور»، ويمكن أن نسميه فيما بعد «حور الأكبر» لنميزه من «حور» الذي في وثيقتنا وهو الفريق الثاني في الوثيقة ٣٧٣أ).

ونعلم أن أولاد الأبوين س والأبوين ص وهما «تأمون» و«بتوزير» على التوالي قد تزاوجا وورثا على ذلك ربعي الملكية، في حين أن الطفل الآخر ابن س «عنخت» وابن ص واسمه «نفرسخم» كانا الوارثين للربعين الباقيين.

على أن كون الوالدين س والوالدين ص كان يملك كل منهما النصف من نفس هذه الملكية قد يكون جاء من باب الصدفة كما يحدث أحيانًا في الحياة.

وعلى أية حال فإنه من الجائز جدًّا — إن لم يكن محتملًا — أن أحدًا من الزوجين س وآخر من الزوجين ص كانا أخًا وأختًا قد أتيا من والدين يمكن أن نسميهم جميعًا هـ، وهذان الزوجان هـ كانا يملكان الملكية بصفة عامة، وقد تزوج طفلاهما من فردين آخرين خارج الأسرة، وقد ورث كل منهما نصف كل الملكية؛ فكان نصف نصيب الأسرة س والنصف الآخر نصيب الأسرة ص، وعلى ذلك فإن أطفال الزوجين س والزوجين ص كانوا أولاد عم مباشرين، والظاهر أن كل أسرة قد أنجبت طفلين ورث كل منهم حق الربع.

ولما كانت العادة المتبَعة في مصر القديمة كما كانت الحال في كثير من الحكومات الإقطاعية، أن تجتهد الأسرة في أن تحافظ على الملكية معًا؛ فإن الوالدين س قد زوجا ابنتهما «تأمون» لابن عمها «بتوزير» وهو ابن الوالدين ص، وعلى ذلك فإن نصف هذه الملكية على الأقل يبقى سويًّا؛ لأن ابنهما «حور» كان يملك النصف.

ومن الجائز أنه كان هناك حل آخر، والتفسير السابق يظهر أنه حسابي كثيرًا، ولكن عندما نذكر ما جاء في فقرتين؛ أولاهما في الوثيقة ٣٧٣أ السطر الثالث، والثانية في الوثيقة ٣٨٨ السطر الرابع، وهو أن أحد الفريقين المتعاقدين وهو «تيبيس» يقول لابن عمه الشقيق «حور» إنه في بيوت الاستراحة دفن أباؤنا — وهذا التعبير بالمصري يعني كذلك الأجداد — فإن ذلك على ما يظهر يشير إلى التفسير الذي سبق ذكره، وعلى أية حال فإن ما ذكرناه لا يخرج عن مجرد تفسير محتمل.

والمسألة الأخرى في هذا المتن كانت المرأة «تاوي»، فقد كان لها «حق»، وكان في مقدورها أن تدعيه في هذه الملكية، وعندما نفحص سلسلة النسب يمكن أن نتحقق في الحال ما هو هذا الحق الذي تدعيه، فهي زوج الطرف الثاني في الوثيقة وهو «حور» وبهذا الوصف كانت في يدها وثيقة زواج من زوجها وعدها فيها كما هي العادة أن: ابنك الأكبر وهو ابني الأكبر من بين أولادنا الذين ستضعينهم لي هو المالك لجميع وكل شيء أملكه وما سأملكه. وعلى ذلك فإن زوجها «حور» لا يمكنه أن يتصرف وحده في ملكيته إلا برضائها.

هذا، ونعلم كذلك من الجملة الطويلة التي جاءت في وثيقتنا، وهي التي تبتدئ: «إني خلفك … إلخ»: إن «حور» قد أعطى «تيبس» كذلك وثيقتين بتنازل فيما يخص الربع الذي يملكه من نفس الملكية، وهذان التنازلان من جانب «حور» فُقدا، أو بعبارة أخرى أصبحا لا

يعرفان للعلم، وغير أنه من الجائز أن يكونا موجودين في بعض مجموعات خاصة، كما أنه من الجائز أيضًا العثور عليهما في المستقبل عندما تُستأنف الحفائر في السرابيوم من جديد.

وعلى ذلك فإن الجملة الطويلة أصبحت الآن ظاهرة، وذلك أن «تيبس» يقول للطرف الثاني: لي حق العمل ضدك (حور) على أساس التنازلين اللذين حررتهما لي فيما يخص أي ادعاء يمكن لزوجك «تاوي» أن تدعيه عليَّ، أي إذا وضعت «تاوي» عقبات قانونية، فإن «تيبس» يدين نفسه بالعمل ضد «حور» زوجها، وذلك على أساس التنازلين اللذين حررهما له «حور».

(ب) الوثيقة ٣٧٣: عقد تنازل

التاريخ: السنة الخامسة الشهر الثاني «من فصل» الفيضان «بابه» من عهد الفرعون له الحياة والسعادة والصحة «بطليموس» بن «بطليموس» و«أرسنوي» الإلهين اللذين يحبان والدهما — وذلك عندما كان كاهن الإسكندر، والإلهين اللذين يوقفان الشر، والإلهين الأخوين والإلهين المحسنين والإلهين اللذين يحبان والدهما، (وهو) «باوزانياس» Pausanias بن «ديمتريوس» Demetrios، وعندما كانت «ساترتاس» Satrtas ابنة «أنتيأقلس» حاملة هدية النصر أمام «برنيكي» المحسنة، وعندما كانت «بيلتاتا» ابنة «أنتيأقلس» حاملة السلة الذهبية أمام «أرسنوي» التي تحب أخاها.

الطرفان المتعاقدان: الطرف الأول: لقد أعلن كاهن أولاد «أبيس» الذي حدثت سعادته — كناية عن الوفاة — وهو كاهن تل — المقر — لـ «إزيس» الإلهة العظيمة التي في السرابيوم، واسمه «زحبيس» (تيبس) بن «بتاوي» وأمه هي «عنخت».

الطرف الثاني: كاهن أولاد «أبيس» الذي حدثت سعادته — مات — واسمه «حور» بن «بتوزير» وأمه هي «تا أمون» ابن أخت أمه — خالته.

نص العقد: إني بعيد عنك فيما يخص الربع نصيبك في البيت المبني والمسقوف والمجهز تمامًا بباب ونافذة، والذي طوله ١٩ ذراعًا مقدسًا من الجنوب إلى الشمال و١٨ ذراعًا مقدسًا[٢٥] من الغرب إلى الشرق، وكذلك الربع نصيبك في الفناء الذي يقع عند المدخل الذي يحده غربًا.

[٢٥] يُقصد ذراع الإله «تحوت» إله المقاييس والعلم … إلخ.

ونصيبك في ربع الأراضي البور التي في الغرب.

ونصيبك في ربع الحجرات المبنية داخله.

ونصيبك في ربع المأوى الذي يقع في الجنوب، وهو الذي في السرابيوم على الجانب الجنوبي لـ «دروموس» «أوزير-أبيس» الإله العظيم.

وهي التي أملك فيها الربع، في حين أن كاهن «تل المقر» للإلهة «سخمت» التي في السرابيوم واسمه «باحي» Pahi بن «أريان» Arian وأمه هي «... سخم» نصفها الآخر، والمساحات المجاورة لها — أي حدودها — هي:

في الجنوب: بيت «حورندوتف» بن «بتيحارورتيو» Peteharuertiu وهو الذي تملكه المرأة «تاأمي» Taami ابنة «أمحوتب».

في الشمال: البيوت والأراضي البور الخاصة بالكاتب المقدس «إس حارستمو» Esharsemtou بن «أبا» وهي التي يملكها الكاهن والد الإله «أمحوتب» ابن الكاهن خادم الإله «زحو» Zeho.

في الغرب: الشارع الكبير.

في الشرق: الأراضي البور ملك الكاهن والد الإله السابق الذكر «أمحوتب» ابن الكاهن خادم الإله «زحو».

وربع البيت هو ملكك.

وربع الفناء ملكك.

وربع الأرض البور التي تؤلف حدها الغربي.

وربع الحجرات المبنية فيه.

والربع؟ نصيبك في الحظيرة التي هي حده الجنوبي.

والمساحات المجاورة — أي الحدود — هي التي ذُكرت أعلاه.

وليس لي أي حق على الأرض عليك باسمها من اليوم فصاعدًا، وأن الذي سيأتي إليك فيما يتعلق بها باسمي فإني سأجعله يُقصى عنك قهرًا وفي الحال.

وإني وراءك بالتنازلين — نقل الملكية — اللذين حررتهما لي في السنة الخامسة شهر «بابه» من عهد الملك العائش أبديًّا.

وكذلك حقوقها.

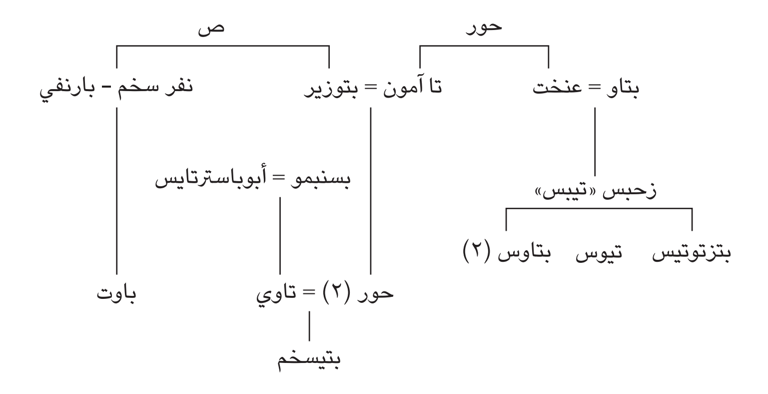
وإني خلف المرأة «تاوي» ابنة «بسنبمي» Psenpme بسبب تولي الملكية — الحق — الذي حررته بالتنازلين المذكورين — نقل الملكية — وحقوقهما.

وإني وراءك بالوثيقتين — أي: لي حق العمل ضدك بمقتضى الوثيقتين — اللتين حررتهما للمرأة «عنخت» ابنة «حور» أمي وأخت أمك وحقوقهما، وإنك ورائي بوثيقة التنازل — نقل الملكية — وهي التي حررتها لك في السنة الخامسة شهر بابه من عهد الملك العائش أبديًّا وحقوقها.

وإني سأفعل ذلك على حسب كل كلمة (قيلت) أعلاه.

المسجل: كتبه «حنفر» بن «حبر تايس».

شجرة النسب للأفراد الذين جاءوا في هذه الوثيقة



(ج) الورقة رقم ٣٨٨: عقد تنازل

التاريخ: السنة الخامسة والعشرون من فصل الفيضان «بابه» اليوم الثاني عشر من عهد الفرعون «بطليموس» بن «بطليموس» و«أرسنوي» الإلهين اللذين يحبان والدهما، وذلك عندما كان كاهن الإسكندر، والإلهين الأخوين، والإلهين المحسنين، والإلهين اللذين يحبان والدهما، والإلهين الظاهرين، «جمنا» Gmna بن «سنوتريس» = Zenodoros وعندما كانت «سوسترات» Sostrate ابنة «جاسون» Jason حاملة هدية النصر أمام «برنيكي» المحسنة، وعندما كانت (أس …) ابنة «ساتن» Sotion(= سوتيون) حاملة

السلة الذهبية أمام «أرسنوي» محبة أخيها، وعندما كانت هيريني (= إريني) ابنة «بطليموس» كاهنة «أرسنوي» محبة أخيها.

الطرفان المتعاقدان: الطرف الأول: لقد أعلن كاهن أولاد «أبيس» الذي حدثت سعادته — توفي — وهو كاهن تل — مقر — «إزيس» الإلهة العظيمة، الذي في السرابيوم في الجانب الشمالي لدروموس «أوزير-أبيس» الإله العظيم (المسمى) «زحبيس» Zehebes بن «بتاو» وأمه هي «عنخت».

الطرف الثاني: كاهن أولاد «أبيس» الذي حدثت سعادته — توفي — (المسمى) «حور» بن «بتوزير» وأمه (هي) «تا أمون».

نص العقد: إني بعيد عنك فيما يخص النصف الذي يخصك في بيت استراحة «بجم» — صورة الكا للعجل أبيس — الذي في السرابيوم الواقع في الجانب الشمالي لدروموس «أوزير-أبيس» الإله العظيم.

والنصف نصيبك من البيوت والأكواخ والمدافن التي بُنِيَتْ فيه.

والنصف نصيبك من المعدات المقدسة وكئوس القربات والجهازات التي فيه.

والنصف نصيبك من بيوت الاستراحة — المقابر — التي تقع في غربه، وهي التي يأوي فيها أباؤنا (= دفنوا هناك).

والنصف نصيبك من أشهر العبادة الخاصة ببيت استراحة «بجم» السالف الذكر سنويًّا.

والنصف نصيبك من مرتبها وأشيائها.

والنصف نصيبك من كل شيء ينتج منها.

والنصف نصيبك من كل شيء يُتسلم منها.

والنصف نصيبك من كل شيء يُضاف إليها.

والنصف نصيبك من كل شيء يأتي باسمها.

والنصف نصيبك من كل شيء سيعطونه باسمها في منطقة السرابيوم وبيت الاستراحة «بجم» السابق الذكر في كل مكان يخصني فيه (نصفها الآخر).

والنصف نصيبك من أشهر العبادة الخاصة ببيت استراحة «بجم» السالف الذكر في كل مكان يخصني فيه النصف الثاني من بيت استراحة «بجم» سنويًّا.

والنصف نصيبك من مرتبها وأشيائها (و) قرباتها التي ينتج منها.

وكل شيء يُضاف إليها، وهي التي يخصني منها نصفها الآخر من قربات بيت استراحة «بجم» كما هو مُدَوَّن أعلاه من الحراسات التي في السرابيوم، كل عام.

والنصف نصيبك من قربان الأعياد ومواكب بيت استراحة «بجم» السالف الذكر، وهو الذي يخصني فيه (نصفها الآخر).

ونصف بيت استراحة «بجم» السالف الذكر ملكك.

ونصف البيوت وأماكن الدفن التي بُنِيَت فيه.

ونصف (بيوت) الاستراحة التي تُعتبر حدها الغربي.

ونصف كل شيء ذُكر أعلاه على حسب ما دُون أعلاه.

فليس لي أي حق في العالم عليك باسمها من اليوم فصاعدًا.

وإن الذي سيأتي إليك بخصوصها باسمي فإني سأجعله يتنحى عنك في يوم من مدة خمسة أيام من الشهر المذكور.

وإذا لم أنحه عنك فإني سأنحيه عنك في يوم خلال خمسة الأيام السالفة الذكر، وسأعطيك ٢٠٠ قطعة من الفضة؛ أي: ألف ستاتر؛ أي: ٢٠٠ قطعة من الفضة ثانية في ظرف يومين بعد خمسة أيام (السالفة الذكر).

وفضلًا عن ذلك سأنحيه عنك فيما يخصها.

وإنك خلفي فيما يخص تنحيه عنك فيما يتعلق بها باسمي ثانية قهرًا وفي الحال.

والرجل منا نحن الاثنين الذي سيوكل إليه أمر عبادة بيت استراحة «بجم» السالف الذكر أو زميله الذي يكل.

(…)[٢٦]

[٢٦] نجد هنا أن كثيرًا من المتن قد ضاع، ولكن بقدر ما يمكن تصحيحه من متون أخرى مماثلة (راجع: Sethe Burgschafsurkunden pp. 31) يكون المعنى هو: اضطر «تيبس» أن يحفظ ملكية «حور» من أي شخص يريد أن يتعدى على حقوقه «في يوم من خمسة أيام من الشهر المسمى»، وهذا يُعتبر هنا تعبيرًا أكثر اختصارًا «الشهر المذكور» الذي ينبغي على «حور» أن يشكو فيه إلى «تيبس» عن تعدي شخص عليه، والتعبير «يوم واحد في ظرف خمسة أيام» هو التعبير العادي عند المصريين الذي يقابل عندنا «في ظرف خمسة أيام». وفي حالة عدم القيام بذلك كما يجب فإن عليه أن يقوم بتقديم شكوى جديدة من «حور»، وذلك ثانية في ظرف خمسة أيام من الشكوى الأولى، ولكن على «تيبس» في هذه المرة كذلك أن يدفع لحور غرامة قدرها ٢٠٠ قطعة من الفضة؛ وذلك لأنه لم يقم بأمر تنحي المغتصب بصفة جدية في المرة الأولى، وهذه الغرامة التي تبلغ ٢٠٠ قطعة من الفضة كان على «تيبس» أن يدفعها

بقية الأشهر التي تأتي بعد شهر توت …
يقولها سنويًّا (… في … قوة في توت).
قهرًا وفي الحال.
وإني خلفك بالتنازلين (نقل الملكية) اللذين حررتهما في السنة الخامسة والعشرين في اليوم ١٢ من شهر بابه من عهد الملك العائش أبديًّا، وكذلك حقوقها.
وإني خلف «بتيسخم» Petesekhem بن «حور»، وأمه هي «تاوي»، الابن الأكبر.
بسبب إعلان تولي (الملكية) التي يعملها للوثيقة المذكورة وحقوقها.
وإني سأفعل لك على حسب كل كلمة قِيلت أعلاه.
المسجل …

(٣) بعض العقود التي حُررت في عهد حرمخيس وعنخمخيس

(٣-١) عقد بيع أرض من عهد الملك «عنخمخيس»[٢٧]

التاريخ: السنة السابعة، شهر توت من عهد الملك «عنخمخيس» العائش أبديًّا المحبوب من «إزيس»، والمحبوب من «آمون رع» ملك الآلهة الإله العظيم.

لـ «حور» في ظرف يومين بعد مضي خمسة الأيام المخصصة لتنحي المغتصب. وعلى أية حال فإن دفع هذه الغرامة لم تُعْفِه من استمراره من تأدية واجبه في منع كل مغتصب لحقوق «حور» وهذا هو معنى الجملة التي تأتي بعد هذه الغرامة، وهي: «وإني سأنحيه عنك فيما يخصها»، وعلى أية حال فإن ذلك لم يكن كافيًا على حسب العقل القانوني عند المصري القديم، وعلى ذلك يؤكد «تيبس» خلافًا لذلك بقوله: «وإنك خلفي فيما يخص تنحيه عنك فيما يتعلق بها باسمي ثانية قهرًا وفي الحال»، والتعبير «يكون خلف أي إنسان» هو التعبير القانوني عند المصري = يكون له حق شرعي على شخص ما ليؤدي بعض شيء، وبتطبيقه هنا يعني: لك الحق القانوني علي لتجبرني على تنحية المغتصب قهرًا وفي الحال، ومعنى في «الحال» هنا تعني كما يظهر أن «تيبس» يجب عليه ألا ينتظر شكوى «حور» ليُنحي المغتصب، ولكن عليه بمجرد أن يعلم بتعدي أي فرد أن يأخذ الخطوات اللازمة لتنحيته في الحال.

وتدل شواهد الأحوال على أنه ليس هناك أية عبارة مكررة مما ذُكر أعلاه كما يُخيل للقارئ العادي؛ بل إن كل جملة لها معناها وأهميتها الخاصة بها، والغرض الذي ترمي إليه.

[٢٧] راجع: Revue Egyptolique, IIe année nos. II, p. 146 note 1.

الطرفان المتعاقدان: الطرف الأول: المرأة «تسمين» ابنة «بختوميس» وأمها هي تا ... تقول.

الطرف الثاني: الكاهن «آمون أبت» القاطن غربي «طيبة» «بسخنس» ابن «أمنحوتب» وأمه هي «تانفر».

نص العقد: لقد أعطيتني وقلبي راضٍ النقود التي هي ثمن ١ / ١٢ من ثلاثة الحقول التي في أوقاف «آمون» في الأماكن الغربية من طيبة، وهاك الوصف: حقلان متلاصقان مساحتها أحد عشر أرورا ومحصولها، وهذه الحقول حدودها هي:

في الجنوب: حقل «بامنت» بن «باخنوميس».

في الشمال وفي الغرب: حقل «تاور» ابنة «تيمولاوس» Timolaos.

وفي الشرق: قناة «بمور ليبوس».

الحقل الآخر مساحته خمسة أرورات ومحاصيلها، وحدودها هي:

في الجنوب: حقل هيريوس Hereius بن باهتار Pahetar.

وفي الشمال: حقل «بسخونس» بن «باخنوميس» Pachnumis.

وفي الشرق: قناة «بمور ليبوس» Pmoulibos.

وفي الغرب: حقل «باخنوميس» بن «باستي» ورفاقه.

تلك هي حدود الحقول المذكورة أعلاه التي بِعتك ١ / ١٢ الذي يخصني.

ولقد أعطيتك ذلك، والـ ١ / ١٢ وهو نصيبك من الحقول المذكورة أعلاه.

وقد تسلمت ثمنها من يدك، وهو كامل غير منقوص، وقلبي راض (إلى آخر الصيغة التي نجدها كثيرًا في عقود البيع).

وعلى نفس الورقة نجد كما هو المعتاد عقد النزول الذي كان قد كُتب مع عقد البيع، ولكن بخط كاتب آخر؛ غير أنه كُتب بطريقة يمكن فصله عن سابقه عند الحاجة؛ وذلك لأن كل عقد منهما كان له شهوده على ظهر البردية. وذلك على الرغم من أنهما كُتبا باسم شخص واحد، وليس هناك في عقد النزول ما يلفت النظر اللهم إلا ما أتى بعد الصيغة القانونية: هذه هي حدود الحقول المذكورة أعلاه. وبعد ذلك يضيف المتن: التي مساحتها ستة عشر أرورا.

وهذه في الحقيقة هي مجموع الأحد عشر أرورا التي يحتويها الحقلان الأولان مضافًا إليها خمسة الأرورات التي يحتويها الحقل الثالث. وهذان العقدان كان قد حررهما كذلك المحاسب «بتيسي» بن «باهتار» الذي كان يعمل المحاسبة في «جمي» منذ السنة الثانية والعشرين من عهد الملك «إيرجيتيس الأول».

هذا، ويقول «ريفييو» في تعليقه: إنه لدينا عقود عدة محفوظة في متحفي «لندن» و«برلين» مؤرخة بالسنة الرابعة من عهد الملك «حرمخيس» قد كتبها نفس الكاتب.

(٣-٢) عقد زواج من عهد الملك عنخمخيس[٢٨]

التاريخ: السنة الرابعة عشرة شهر أبيب من عهد الملك «عنخمخيس»، العائش أبديًّا محبوب «إزيس» ومحبوب «آمون رع» ملك الآلهة والإله العظيم.

الطرفان المتعاقدان: الطرف الأول: يقول كاهن «آمون أبت» في غربي طيبة (المسمى) «بخيتيس» Pechytes بن «بخلخنس» وأمه هي «تامين».

الطرف الثاني: إلى المرأة «تست-أمن» ابنة «حورسئيسي» وأمها هي «تاشبني»: لقد اتخذتك زوجة وأمهرتك خمسة شكل من الفضة، وعليَّ أن أعطيك ٣ / ٣٦ من الإردب يوميًّا، وهنًا من الزيت كل شهر، و٢ / ١٠ من الدبن سنويًّا لمسكنك ... ما أعطيه إياك كل شهر وكل سنة. ولك السلطة في أن تلزميني بدفع معاشك الذي سيكون في ذمتي كل سنة، وإني قد اتخذتك زوجًا لي. وإذا بحثت عن زوجة أخرى غيرك فإني أدفع لك خمسة دبنات؛ أي: ٢٥ ستاتر؛ أي: ٥ دبنات ثانية، وخلافًا للنقود المذكورة أعلاه التي أعطيتك إياها مهرًا، وهو ما يكمل ستة دبنات؛ أي: ثلاثين ستاتر؛ أي: ستة دبنات ثانية. وابنك الأكبر هو ابني الأكبر، وسيكون سيدًا مالكًا لكل الأملاك التي أملكها والتي سأملكها في المستقبل دون معارضة لأي عقد أو أي كلام في العالم معك.

كتبه «بسخنس» بن «أمنحوتب» الذي يكتب باسم الطائفة الخاصة للإله «رع» ملك الآلهة.

وهذا العقد لا يتحدث عن الاثني عشر هنًا من الزيت الطيب كما أغفل الاثني عشر هنًا من زيت «تكم» التي ذُكرت كذلك في العقود الأخرى.

---

[٢٨] راجع: Revue Egypt. IIe année, nos. II, p. 148 note 7.

(٤) لوحات العجل «أبيس» التي من عهد الملك «بطليموس الخامس» بالديموطيقية

تحدثنا فيما سبق عن بعض الوثائق التي عُثر عليها في معبد السرابيوم أي معبد العجل «أبيس»، وتحدثنا كذلك بعض الشيء عن الحياة في هذه البقعة التي كان يُعبد فيها هذا العجل.

والواقع أن عبادة العجول — أو بعبارة أعم: عبادة الحيوانات — كانت شائعة في العهد المتأخر من تاريخ أرض الكنانة، وكان لكل حيوان بيئة خاصة يُعبد فيها على حسب منزلة الحيوان الذي كان يُفرض تقديسه على المنطقة التي يظهر فيها بمظهر القوة أو الكثرة.

وقد عُثر للعجل «أبيس» على عدة لوحات من عهد الملك «بطليموس الخامس» مكتوبة بالخط الديموطيقي، وقد أُرِّخَتْ كل منها بسِنِي حياة «أبيس» وبالسنة التي تقابلها من سِنِي حكم الملك «بطليموس أبيفانس»، وهذه اللوحات منقوشة على جدران السربيوم نفسه، وبعضها منقوش على لوحات خاصة:[٢٩]

(١) اللوحة الأولى: مؤرخة بالسنة الرابعة عشرة من عهد الملك «بطليموس بن بطليموس» الذي يقول: إنه أقامها في السنة التاسعة عشرة من حياة «أبيس» العائش الذي وضعته البقرة «تا أمن» وقد أقامها في ضريحه. وهذه اللوحة محفوظة الآن بمتحف «اللوفر».

(٢) وفي اللوحة الثانية من نفس عهد هذا الملك جاء ما يأتي: في السنة الخامسة عشرة من عهد الملك «بطليموس بن بطليموس» العائش أبديًّا محبوب «بتاح» وهي التي تقابل السنة العشرين من حياة «أبيس» العائش، الذي وضعته البقرة «تا أمن»؛ أي التي كانت تعيش في الأبيون (مقر أبيس). وقد أُقيمت هذه اللوحة في ضريح «أبيس» الذي وضعته البقرة «تا أمن».

وهذه اللوحة محفوظة الآن بمتحف اللوفر أيضًا.

---

[٢٩] راجع: A. Z. XXII, p. 127 ff.

(٣) وعلى لوحة أخرى نُقش النص التالي:

في السنة السادسة عشرة من عهد الملك «بطليموس» وهي التي تقابل السنة العشرين من حياة «أبيس» الذي وضعته البقرة «تا أمن».

(٤) وجاء في متن نُقش على باب السرابيوم المتن التالي:

السنة السادسة عشرة، اليوم التاسع من أمشير من عهد الملك «بطليموس» وهي التي تقابل السنة العشرين من حياة «أبيس» العائش الذي وضعته البقرة «تا-أمن» التي ظهرت في مدينة باخا «طيبة»؟ لأجل «أبيس» العائش الذي وضعته في بيت «أبيس».

(٥) وفي متن آخر نقرأ:

السنة الرابعة عشرة من عمر «أبيس» الذي وضعته البقرة «تا-أمن».

وقد نصب هذه اللوحة «بت حبس» بن ... وقد أُقيمت في مقبرة «أبيس» الذي وضعته البقرة «تا-أمن» التي ظهرت في مدينة «باخا» في مقاطعة «طيبة»؟ وقد حدثت إقامتها في ٣٠ بابه.

وقد جاء على نفس اللوحة في ختامها توقيع معه التاريخ التالي:

السنة التاسعة عشرة الرابع عشر من شهر طوبة.

(٦) هذا، وجاء على لوحة نقلها «مريت» المتن التالي:[٣٠]

السنة التاسعة عشرة من عهد «بطليموس بن بطليموس» نُصبت هذه اللوحة في مقبرة «أبيس» الذي وضعته البقرة «تا-أمن» التي ظهرت في مدينة باخا من مقاطعة «طيبة»؟ وقد حدثت (إقامة اللوحة) في السنة التاسعة عشرة اليوم الثلاثين من شهر بابه من عهد الملك العائش أبديًّا، وهي السنة التي تُقابل السنة الرابعة والعشرين من حياة «أبيس».

[٣٠] راجع: Mariette Catalogue Stele no. 3354.

(٧) وعلى لوحة محفوظة كذلك بمتحف اللوفر جاء المتن التالي:

السنة التاسعة عشرة من عهد «بطليموس بن بطليموس» وهي التي تقابل السنة الرابعة والعشرين من حياة «أبيس» الذي وضعته البقرة «تا–أمن»، وفي اليوم الثلاثين من شهر بابه حدث دفن العجل «أبيس» الذي وضعته البقرة «تا–أمن» وهي التي ظهرت في بلدة «باخا» من مقاطعة طيبة؟

(٤-١) تعليق

على حسب المتون (١) و(٢) و(٤) كان قد أقيم ضريح العجل «أبيس» في السنة الرابعة عشرة من عهد «بطليموس الخامس أبيفانس» أي في السنة الثامنة عشرة بعد ولادة «أبيس» هذا، وإذا أخذنا في الاعتبار طول المدة التي أقام فيها «بطليموس الخامس» مقبرة هذا العجل وقَرَنَّاها بالمدة التي أُقيمت فيها مقبرة العجل الذي سبقه فإنا نجد التفسير الطبيعي لطول هذه المدة، وهو أن هذا الملك قد تولى مقاليد الحكم وهو صغير السن، وفي زمن قيام الثورات في البلاد، هذا بالإضافة إلى أنه كان يقوم عليه أوصياء، كما شرحنا ذلك من قبل.

(٥) لوحة للعجل «بوخيس» من عهد الملك «بطليموس الخامس إبيفانس»[٣١]

عُثر على لوحة للعجل «بوخيس» في جبانة «أرمنت» التي أُقيمت هناك لدفن العجل «بوخيس». واللوحة أعلاها مستدير، وقد مُثل عليها قرص الشمس المجنح، ونُقش على هذا الجزء العلوي المتن التالي:

«بحدتي» الإله العظيم، رب السماء صاحب الريش المبرقش، والذي يخرج من الأفق أبديًّا «أنوبيس» بن «أوزير».

كلام ينطق به «أوزير»، الروح المحسنة والروح الحية ومظهر روح أب الآباء وأم الأمهات الذي برأ التاسوع، والذي يحدد حياة الآلهة.

[٣١] راجع: The Bucheum vol. II. p. 4 pl. XL.

وفي الجزء الأسفل من اللوحة يُشَاهَد الملك «بطليموس الخامس» واقفًا أمام العجل «بوخيس» مقدمًا له رمز الحقل، وجاء معه المتن التالي:

خذ لك الحقل اليانع ذا المادة الخضراء والمرعى الجميلة بمحاصيلها الطيبة.

ويأتي بعد ذلك في أسفل، المتن الرئيسي للوحة، ويتألف من خمسة أسطر جاء فيها:

السنة الخامسة والعشرون، الحادي عشر من طوبة، في عهد جلالة ملك الوجه القبلي والوجه البحري «وارث الإلهين المحبين لوالدهما، المختار من «بتاح»، وروح «رع» القوية، وصوره «آمون» الحية» ابن «رع» (بطليموس العائش أبديًّا، محبوب «بتاح») الإلهين الظاهرين «إبيفانيس»، و«كليوباترا» محبوبة «أوزير» الروح المحسنة.

في هذا اليوم ذهب جلالة هذا الإله إلى السماء، وهو «بوخيس» روح «رع» الحية ومظهر «رع»، وهو الذي وضعته البقرة العظيمة[32] وطول حياته كان أربع عشرة سنة وعشرة أشهر وأربعة وعشرين يومًا. وكان قد ولد في السنة الحادية عشرة في ١٣ أمشير في عهد جلالة ملك الوجه القبلي والوجه البحري (وارث الإلهين المحبين لوالدهما، والمختار من «بتاح»، وروح «رع» القوية، وصورة «آمون» الحية)، ابن «رع» (بطليموس العائش أبديًّا محبوب «بتاح») الإلهين الظاهرين، في مدينة «تا-أرك» في بيت «سس» (يحتمل أن المقصود هنا خمنو = الأشمونين) حوري؟ ... ابن «باوشر» في شمالي «أرمنت» في السنة الرابعة والعشرين ٧ بابه (ليته يبقى) على عرشه أبد الآبدين.

(٦) المراسيم الهامة التي عثر عليها في عهد بطليموس الخامس

يمتاز عهد «بطليموس الخامس» بكثرة المراسيم التي صدرت في زمنه منقوشة بثلاث لغات، والواقع أنه لدينا حتى الآن غير مرسوم «منف» الذي تحدثنا عنه فيما سبق مرسومان آخران عُثر عليهما في معبد الفيلة، وكذلك لوحتان محفوظتان بمتحف القاهرة.

[32] البقرة العظيمة = الاسم المقدس لأم العجل «بوخيس»، وكانت دائمًا تُعرف بهذا الاسم (= إهت-ورت).

(٦-١) مرسوما الفيلة

يُلحظ أن الردهة التي تفصل البوابة الأولى من الثانية أمام معبد «إزيس» في الفيلة مغلقة من جهة الشرق بقاعة عمد لها خارجة، ومن جهة الغرب بمعبد ولادة مقام من الحجر الرملي على غرار كل المباني الأخرى المقامة في هذه الجزيرة، وقد نُقش على جدار قاعة العمد الصغيرة لهذا المعبد الصغير في أعلى الواجهة الشرقية الخارجية مرسومان يرجع تاريخهما إلى عهد الملك «بطليموس الخامس إبيفانس». وقد نُقش المتن الهيروغليفي أولًا، ثم نقش النص الديموطيقي بحروف كبيرة. ولسببٍ غاب عنا يظهر أن النص الإغريقي لم يُدون تحت النصين الآخرين الهيروغليفي والديموطيقي، ومما يؤسف له أنه فيما بعد عندما أُريد إتمام زخرفة هذا الجدار في عهد «بطليموس» «نيوس ديونيسوس» كانت الفكرة وقتئذ أن يُحفر فوق النصين السالفين منظران ومعهما المتن الخاص بهما؛ فكان ذلك سببًا في إحداث ضرر لم يمكن إصلاحه لهذين المتنين الثمينين، ومن ثم كان هذا النوع من النقش فوق نقش آخر أقدم عقبة كأداء في الوصول إلى قراءة المتنين القديمين. وعلى الرغم من أن ذلك كان معلومًا منذ زمن طويل فإنه لم يحاول عالم أن يدرس هذين النصين بصورة دقيقة.

وقد كان أول من كشف عن وجود هذين المتنين هو «شمبليون» بعينه الفاحصة عام ١٨٢٨م، وقد أشار إليهما في كتابه «ملاحظات وصفية لآثار مصر والنوبة».[٣٣]

وقد رأى الأثري «لبسيوس» هذين المرسومين في عام ١٨٤٣، وقد ذكرهما في أحد مؤلفاته،[٣٤] وقد أخذ بصمة لهما استعملها عند طبع مؤلفه العظيم عن الآثار المصرية.

وعندما قدم «لبسيوس» للأثريين أحد هذين المرسومين[٣٥] اللذين عثر عليهما في «الفيلة» بأنه نسخة من المرسوم الذي نُقش على حجر رشيد؛ قامت مجادلة طويلة بينه

[٣٣] راجع: Champ. Notices Descriptives des Monuments de l’Egypte et de la Nubie Paris, 1844, 2 vol., t. I, p. 178.

[٣٤] راجع: Lepsius Briefe aus Agypten, Athiopien und der Halbinsel, Berlin 1852, p. 108-109.

[٣٥] راجع: Denkmaler IV Pl. 20 texte hieroglyphique; VI pl. 26–34 Texte Demotique.

وبين العالم «سولي» Sauley،[٣٦] في خلال المدة التي مضت ما بين رحلة «لبسيوس» وطبعة كتابه دنكملير Denkmaler كان «بركش» قد زار فيلة ودرس هذين المرسومين، وقد نشر جزءًا من المتن الديموطيقي، غير أنه لم يكن قد نقله بدقة، وفي عام ١٨٧٨م فحص من جديد المرسوم الثاني في مجلة اللغة المصرية Zeitschrift fur Aegypt Sprache. وأشار إلى علاقاته بالثورة المصرية العظيمة التي قامت في مصر في تلك الفترة، غير أنه لم ينشر المرسوم. هذا، وقد كان أول من نشر هذين المرسومين معًا نشرًا تامًّا وبصورة يمكن الإفادة منها،[٣٧] هو الأثري «زيته».

وأتم طبعة حديثة هي التي وضعها الأثري «ماكس مولر» على حسب الأصل عام ١٩١٠، وتحتوي على مقدمة وصورة تامة من المتنين الهيروغليفي والديموطيقي وترجمة بالإنجليزية، وقد نُشر كتابه بعد موته عام ١٩٢٠م.[٣٨]

والوثيقة الثانية (على حسب ترقيم لبسيوس) — وهي على حسب الترتيب التاريخي تُعتبر الأولى — مؤرخة بالسنة التاسعة عشرة من حكم الملك «بطليموس الخامس» أي عام ١٨٦ق.م. وفيها يستعرض المتن البواعث والقرارات لمرسوم قام الكهنة المجتمعون في الإسكندرية باتخاذها في مصلحة «بطليموس الخامس» و«كليوباترا»، وذلك عقب نهاية الثورة التي قامت في إقليم «طيبة». وتدل شواهد الأحوال على أنه كان قد كُتب بطريقة ماهرة، ولولا النقوش التي نقشت فوقه فيما بعد وهي التي أتلفته لكان في الإمكان قراءته بسهولة.

والوثيقة الثانية (على حسب ترقيم لبسيوس) مؤرخة بالسنة الواحدة والعشرين من عهد الملك «بطليموس الخامس» أي عام ١٨٤ق.م، وهي على حسب «ماكس مولر» صورة محورة من مرسوم رشيد الشهير.

ولا بد أن هذا التحوير كان قد عُمل بصورة ما عام ٢١ من حكم هذا الملك لأجل أن تمتد الأمجاد التي كانت قد مُنحت له وللملكة «كليوباترا»، ولا بد أن نلحظ أن الجزء الخاص بالمسألة المالية في هذا المرسوم الجديد قد حُور.

---

[٣٦] راجع: Sauley. Zeitschrift der deutschen Morgenlandischen Gesellschaft 1847, p. 264–320; Lespius Revue Egyptologique, Paris 1847, p. 1–19, et 241–252.

[٣٧] راجع: Sethe, Urkunden der Griechisch-Romischen zeit. 108–414.

[٣٨] راجع: Max Muller: Egyptological Researches, t. III. The bilingual Decrees of Philae.

هذا، وقد كشف الأثري «دوماس» في دندره عن قطعة منقوشة من الحجر الرملي عام ١٩٥٠م عندما كان ينقل بعض النقوش في معبد «حتحور»، وتكاد تكون هذه القطعة مستطيلة الشكل، ويبلغ ارتفاعها ٣٢ سنتيمترًا وعرضها ٥١ سنتيمترًا وسمكها ثمانية سنتيمترات، وتحتوى على نهاية ثلاثة عشر سطرًا نُقشت بالهيروغليفية من منشور عام ٢١ من عهد «بطليموس الخامس» وبواسطتها يمكن أن نتمم أو نقوِّم عددًا لا بأس به من قراءات الوثيقة القديمة التي طُمست.

وعلى الرغم مما أصاب هذه القطعة من تهشيم فإنه من السهل أن يرى المدقق حتى الآن أقدام الشخصيات الذين صُوروا في أعلاها وهم يسيرون نحو اليمين، ومن ثم نفهم أن هذه القطعة هي من لوحة كان الجزء الأعلى منها مصورًا على غرار اللوحات الأخرى التي من هذا العهد. وسنرى فيما يلي أن متن هذه اللوحة هو صورة من مرسوم الفيلة الذي نشره «زيته»،[٣٩] وعلى ذلك يمكن أن نتصور شكلها القديم بأنه مشابه لإحدى اللوحات التي نشرت بثلاث لغات مثل لوحة مرسوم «كانوب» التي عُثر عليها في «كوم الحصن». ففي الجزء الأعلى المستدير يُشَاهَد قرص الشمس المجنح يحميه صل تحته سماء مزين بالنجوم أو عار من النجوم، وفي أسفل من هذا يُشَاهَد الملك تتبعه الملكة وجماعة من الآلهة يمشون نحو جماعة أخرى من الآلهة آتين من اليمين، وبقايا الأقدام التي نراها على قطعة اللوحة التي نحن بصددها هي أرجل الملك والملكة على ما يُظن.

وأسفل هذا المنظر يبتدئ المتن الهيروغليفي، ويشغل عرض كل الحجر، ولم يَبْقَ لنا منه إلا ثلاثة عشر سطرًا ضاع من كل منها جزؤه الأول، وعلى حسب متن الفيلة الذي يُعتبر أتم من متننا بكثير — ولكن كان أكثر تهشيمًا — نشاهد أنه قد ضاع من كل سطر ما بين سبعة عشر وعشرين مربعًا، ومن ثم نستنبط أن قطعة الحجر التي نحن بصددها تمثل من حيث الكبر أكثر من نصف اللوحة التي ينبغي أن تكون مقاساتها ٨٠ و٩٠ سنتيمترًا، ولدينا أكثر من نصف المتن الهيروغليفي الذي يجب أن نضيف إليه عشرة أسطر أو أحد عشر سطرًا أي ما يساوي تقريبًا حوالي ٢٨ سنتيمترًا.

هذا، وكان ينبغي أن يكون أسفل هذا المتن — كما هي الحال في متن «كوم الحصن» — المتن الديموطيقي والمتن الإغريقي. وعلى أية حال فإن ارتفاع الحجر الذي تتكون منه

[٣٩] راجع: Sethe Urkunden II, 196–214.

القطعة التي نحن بصددها لا يقل عن مترين، ومما يؤسف له جد الأسف أننا لا نعرف شيئًا عن المكان الذي عُثر فيه على هذه الوثيقة الثمينة.

وأهمية هذه القطعة تنحصر في أنها تكمل أماكن نقش الفيلة حيث النقوش قد دُمرت تمامًا بالمناظر التي صُورت فوقه في عهد الملك «نيوس ديونيسوس»، ومما يؤسف له أنه لم تَبْقَ لنا النقوش الهيروغليفية أو الديموطيقية.

(أ) وهاك الترجمة مع الإضافات

السنة الواحدة والعشرون في شهر «أبللايوس» Apellaios وهو بالشهر المصري شهر … في عهد جلالة «حور-رع»: الصبي الصغير الذي ظهر ملكًا على عرش والده، صاحب السيدتين: المحترم القوة، والذي ثبت القطرين، والذي صير مصر (تامرى) كاملة، والتقى نحو الآلهة، «حور» القاهر أعدائه: من يجعل الحياة تتفتح للإنسانية، سيد الأعياد الثلاثينية مثل «بتاح»، والملك مثل «رع» (ملك الوجه القبلي والوجه البحري) (وارث الإلهين المحبين لوالدهما، المختار من «بتاح»، وروح «رع» قوية، وصورة «آمون» الحية) ابن «رع» (بطليموس العائش أبديًّا، محبوب «بتاح») الإلهان الظاهران ابنا «بطليموس» و«أرسنوي»، والإلهان اللذان يحبان والدهما، «بطليموس بن بطليموس»، وذلك عندما كان كاهن (الإسكندر) والإلهين المخلصين، والإلهين المتحابين، والإلهين المحسنين، والإلهين المحبين لوالدهما والإلهين الظاهرين …، تريفانا Tryphaena ابنة …، عندما كانت حاملة هدية النصر أمام «برنيكي» المحسنة، وعندما كانت «براكسنيكي» (؟) Praxinke ابنة «فيلينوس» Philinos حاملة السلة الذهبية أمام «أرسنوي» (محبة أخيها)، وعندما كانت «إريني» ابنة «بطليموس» كاهنة «أرسنوي» محبة والدها.

في هذا اليوم — مرسوم: اجتمع رؤساء المعابد، والكهنة خدمة الإله، والكهنة السريون الذي يُلبسون الآلهة ملابسهم، وكذلك كتاب الكتاب المقدس وموظفو بيت الحياة المزدوج، وكذلك الكهنة الآخرون الذين كانوا قد أتوا من محاريب «القطرين» نحو الجدار الأبيض من أجل تنصيب «أبيس» الحي، في «ميزان الأرضين» وقرروا: لما كان ملك الوجه القبلي، وملك الوجه البحري ابن «رع» «بطليموس العائش أبديًّا، محبوب بتاح» الإله الظاهر ابن ملك الوجه القبلي والوجه البحري «بطليموس» والملكة «أرسنوي» الإلهان المحبان لوالدهما قد عمل كل أنواع الخيرات لشواطئ «حور» ولكل أولئك الذين هم رعايا ملكه، وذلك لأجل أن ينفذ كل شيء صواب تنفيذه، كما فعل «تحوت» المزدوج العظمة — المقصود

هنا نشاط الملك والملكة من الوجهة القضائية — ولما كان جلالته في حالات نفسية تنزع للخيرات؛ فإنه أعطى نقودًا وغلالًا وفيرة للمعابد، وذلك بإعطائهم حقولًا عدة، والممتلكات الأخرى التي كانت توجد في وسطها كانت أكثر من التي كانت توجد فيها في زمن آبائه.

«ولما» كان قد أعفى (؟) متأخر الضرائب الخاصة بجلالته، وهي التي بقيت في ذمتهم حتى العام التاسع عشر، وأعني بذلك الضرائب الخاصة بالرزق، وكذلك وظائف الكهان التي بقيت في أيديهم، وكذلك ما يتعلق بكل ملكية مقسمة بين الكهنة، وكذلك أملاك رجال الإدارة التي أعفاها جلالته حتى العام التاسع عشر: وأعني بذلك تمار «سسنو» وحبوب، وكذلك كل الممتلكات برمتها فإنه نزل عنها أيضًا.

وقد نزل كذلك عن الكتان الذي لم يكن قد نُسج بعد؛ أي النسيج الملكي الذي عمل للقصر في المعابد حتى السنة التاسعة عشرة.

وكذلك أمر فيما يتعلق بكل إنسان يعمل على إنبات حقول الآلهة، وكذلك قطعانهم ودواجنهم التي للإله نصيب منها؛ أن يمنحوا كل الأشياء التي من الصواب أن تُقدَّم هدية للآلهة، وأن يبقى مع ذلك ما يُجمع من مال مثل (... الناس الذين يجمعون مال «فيلادلف»)، وكذلك الإلهين المحبين لوالدهما).

والواقع أنه لما كانت الوصية سيدة الأرضين «كليوباترا» أخت ابن «رع» وزوجة «بطليموس العائش مخلدًا، محبوب بتاح» قد قدمت نقودًا وذهبًا وكل أنواع الأحجار الثمينة بمقدار كبير لأجل تنفيذ كل الأحفال المدونة لآلهة مصر وإلهاتها ... مقيمة أحفالًا مقدسة ... لكل آلهة القطرين ولكل الإلهات بفخامة، وذلك لأنها (الملكة) كانت في حالة نفس محسنة فيما يخص كل ما يهمهم، ويهم معابدهم في كل زمن.

وفي مقابل ذلك فإن كل آلهة مصر وإلهاتها قد وهبوا أعيادًا ثلاثينية عدة في صحة ونصر وقوة لملك الوجه القبلي والوجه البحري، ابن «رع» (بطليموس العائش أبديًّا محبوب «بتاح») ولأخته وزوجه الوصية سيدة القطرين «كليوباترا» الإلهين الظاهرين ... في حين أن تبقى وظيفتهما المحترمة ملكًا لهما، وكذلك ملكًا لأطفالهم أبديًّا.

مع الحظ السعيد: لقد ظهر جميلًا لكهنة محاريب الجنوب والشمال جميعًا أن يزيدوا في أمجاد ملك الوجه القبلي والوجه البحري ابن «رع» (بطليموس العائش أبديًّا، محبوب «بتاح») وكذلك أمجاد أخته وزوجه الوصية، وسيدة الأرضين «كليوباترا» الإلهين الظاهرين في المعابد، وكذلك أمجاد الإلهين المحبين لوالديهما أبويها، وكذلك أمجاد الإلهين المحسنين جديهما، وكذلك أمجاد الإلهين الأخوين آباء أجدادهما، وكذلك أمجاد الإلهين

المخلصين أجدادهما (قد ظهر لهما جميلًا أن يزيدوا هذه الأمجاد): والمقصود من ذلك: إقامة تمثال للوصية سيدة القطرين «كليوباترا» أخت ابن «رع» وزوجة (بطليموس العائش أبديًّا، محبوب «بتاح») الإله الظاهر في كل معبد في مصر، وذلك من عمل نحاتين من مصر، بالقرب من تمثال الزينة لملك الوجه القبلي والوجه البحري ابن «رع» (بطليموس العائش أبديًّا، محبوب «بتاح») الإله الظاهر، وكذلك تمثال الإله المحلى معطيًا إياه سيف النصر، وتكون منحوتة في أثر من عمل الكهنة ...

(ب) تعليق

ويلفت النظر في هذا المتن ما جاء في السطرين السابع والثامن؛ إذ إنهما يشيران إلى ضرائب كانت تُضرب على عقار الكهنة من حيث الزراعة وتربية الحيوان، نخص بالذكر منها ضريبة الأبومويرا، أي ضريبة العشر التي تحدثنا عنها في الجزء السابق من هذه الموسوعة (مصر القديمة الجزء ١٥) وذلك لأنه ذُكر صراحة أن هذه الضريبة كان مآلها «لبطليموس الثاني» و«أرسنوي» زوجه ولـ «بطليموس الخامس» وزوجه. هذا، ونعلم من مرسوم «منف» الأول أن دخل هذه الضريبة[٤٠] الذي كان مُخصَّصًا من عهد «بطليموس الثاني» لعبادة «أرسنوي فيلادلفوس» قد قُسم بينها وبين «بطليموس الرابع» وزوجه المحبين لوالدهما. ولكن يوجد في المتن الذي نحن بصدده الآن ضرائب أخرى أُشيرَ إليها، وهي ليست معروفة كضريبة الأبومويرا، غير أن عدم وجود المتن الإغريقي لهذا النص يقف أمامنا عائقًا في كثير من النقاط، وعلى أية حال فإن الترجمة التي وُضعت هنا تحتاج إلى التسامح كثيرًا في عدة نقاط.[٤١]

ومهما يكن من أمر فإن هذا المتن الجديد قد أضاء لنا السبيل في كثير من نقاط المرسوم الأصلي الذي يصعب ترجمته بحالته الراهنة؛ إذ يحتوي على فجوات كثيرة، وقد حاول الأستاذ «زيته» إبراز أهمية هذا المرسوم في مقال رائع حاول فيه تحليل متنه، وأن

[٤٠] راجع: Cf. Prenux L'Economie royale des Lagldes. P. 180.

[٤١] راجع: Un Duplicats du Premier Decrets Ptolémaique de Philae par François Dumas. Mitteilungen des Deutschen Archaeologischen Instituts Abteinlurg Kairo Band 16. pp. 73–82.

ما جاء فيه يتفق في كثير من النقاط مع ما جاء في فقرة من تاريخ «بوليبيوس» كما سنرى بعد (راجع: A. Z. Vol. LIII, p. 35–49).

ومما هو جدير بالملاحظة هنا عن هذين المرسومين وقوع هفوة صغيرة فاتت مؤرخنا العظيم «بوشيه لكلرك»،[٤٢] فقد كتب هذا المؤرخ: في السنة التالية قدَّم الملك «بطليموس الخامس» صلواته في «فيلة» لمعبد «أسكلابيوس» (أمحوتب) الذي أهداه لإله الطب الذي كان قد ساعده بفضله على الحادث السعيد (وهذا الحادث هو ولادة ابنه بطليموس السادس فيما بعد). وقد نقش من أجل ذلك على جدرانه مرسومين؛ الأول بتأسيس عيد تذكاري (؟) بسبب إخضاع العصاة ومعاقبتهم، والآخر على شرف الملكة «كليوباترا». ولا نزاع في أن «بوشيه لكلرك» قد أشار في عبارته السابقة إلى المرسومين اللذين نحن بصددهما، وهما اللذان قد حُددا تمامًا واقتُبِسا على حسب ترتيبهما التاريخي.

غير أن «بوشيه لكلرك» قد خلط هنا بين معبد «أمحوتب» الصغير الذي يقع خارج الدروموس الذي يسبق البوابة الأولى، وهو الذي يقع شرقي قاعة العمد التي لم تتم، ويقع بالضبط عند البوابة الهائلة التي أقامها «بطليموس الثاني» (راجع: Porter Moss VI p. 202)، وبين معبد الولادة «مميزى» الذي أشار إليه في الملحوظة رقم ٤ من نفس الصحيفة. وهذا المعبد الأخير لا يقع في غرب الردهة التي تفصل بين البوابتين، وقد نُقش على الجزء الأعلى الخارجي من قاعة العمد الصغرى لهذا المميزى — بيت الولادة — من الجهة الشرقية هذان المرسومان كما أشرنا إلى ذلك من قبل، وقد بقي — كما أشار «بوشيه لكلرك» — معبد «أمحوتب» (أسكلابيوس) وهو الذي نذره كل من «بطليموس الخامس» و«كليوباترا» لهذا الإله.[٤٣]

(٦-٢) مرسوما عام ٢٣ من عهد الملك بطليموس الخامس إبيفانيس بمتحف القاهرة

توجد بالمتحف المصري لوحتان نُقش على كل منهما مرسوم صدر في عام ١٨٢ق.م. والمرسوم الأول كهني، وهو في نظامه العام يذكرنا بصورة تلفت النظر بمراسيم رشيد

[٤٢] راجع: B. L. Hist, des Lagides I, p. 395.

[٤٣] راجع: Bevan. The Ptolemaic Dyn. p. 274–275 and Fig. 48 Weigall, Guide, p. 475.

والفيلة. وعلى ذلك يمكن أن نعتبره ضمن المراسيم التي نُقشت بلغات ثلاث، وذلك على الرغم من أنه لم يصل إلينا إلا الأصل الهيروغليفي الذي وجد ناقصًا في نهايته، أما اللوحة الثانية فهي لوحة «أصفون»، وقد اشْتُرِيَت اللوحة الأولى في القاهرة عام ١٩١١، وسُجِّلَت بالمتحف المصري برقم السجل المؤقت ٣|٢ / ٧|٢٥، وهي مصنوعة من الحجر الجيري الهش، ويبلغ ارتفاعها ١,٢٧ مترًا، وعرضها ٠,٤٩ من المتر، وأعلى هذه اللوحة مستدير، وقد كُسِرَت قطعتين من وسطها، كما فقد منها من جراء ذلك السطر الثاني والعشرون من أسطرها، والعدد الكلي لأسطرها خمسة وثلاثون سطرًا، وقد ظلت مساحة خالية من النقوش في أسفلها تبلغ ٢٦ سنتيمترًا.

ومحتويات متن هذا المرسوم تشبه كثيرًا محتويات المراسيم التي نعرفها فعلًا من هذا النوع، غير أن جزءًا من المتن يتميز بأنه يشير إلى انتصارات القائد الإغريقي «أريستونيكوس» الذي تحدثنا عنه فيما سبق.

وقد نشر هذه اللوحة الأثري «دارسي».[٤٤]

(أ) لوحة أصفون

عثر «مسبيرو» عام ١٩١٤ في «أصفون» على قطعة من لوحة سُجلت في المتحف المصري برقم ٤٤٩٠١، وهي من الحجر النوبي الرملي، وجزؤها الأعلى مستدير، ويبلغ عرضها ٦٩ سنتيمترًا وطولها ٨٥ سنتيمترًا، ويُلحظ أن الجزء الأسفل منها قد فُقد. وسطح هذه اللوحة متآكل، وتوجه فيه فجوات، ولحسن الحظ بقي الجزءان الأول والأخير سالمين، ومتن اللوحة نسخة من المرسوم الذي أصدره «بطليموس الخامس» في عام ٢٣ من حكمه. ولقد أصبح من الممكن الاستعانة بهذا المتن على إصلاح بعض ما جاء مهشمًا أو غير مفهوم في المرسوم الأول إلى حد ما، وقد نشر هذا المتن كذلك «دارسي».[٤٥]

---

[٤٤] راجع: Rec. Trav. (1911) An. 33 p. 1–8.

[٤٥] راجع: Rec, Trav. 1916–1917, 88e année p. 175–179 sous le titre: Un Second exemplaire du Decret de l’an XXIII de Ptolémée Epiphane.

(ب) قطع من مراسيم باللغات الثلاث من عهد بطليموس الخامس

وأخيرًا يجب علينا أن نشير هنا إلى قطع من مراسيم مدونة بلغات ثلاث من عهد الفرعون «بطليموس الخامس» وُجدت منذ البحوث التي قام بها كل من «كليرمون-جانو» و«كليد» عام ١٩٠٧م في «الفنتين»، وقد وحد مؤقتًا الأثري «دارسي» أحد هذه المراسيم بمرسوم «منف»، وقد سمى هذه القطع في مقاله عن مرسوم عام ٢٣ من حكم «بطليموس الخامس»،[٤٦] قطعًا من متن هيروغليفي، والظاهر كما يبدو أنه كان يشير إلى «حجر رشيد».

يُضاف إلى ذلك أن الأستاذ «زيته» الذي فحص علاقة هذه القطع مع نفس مرسوم عام ٢٣ قد شك في أن تكون هذه القطع جزءًا من نسخة من مرسوم منف. (راجع: Zur Geschichte und Erklarung der Rosettana Nach. Der Konig. Akad der Wissen, Gottingen 1916 p. 277.)

غير أن كل هذا لم يكن إلا فحص تخمين وحدس؛ وذلك لأنه لم يكن قد نُشر شيء من هذه الوثائق. ومع ذلك فإن الأثري «سوتاس» الذي كان قد تُبودِلَت بينه وبين «سيمور دي ريكي» Seymour de Recci كتابات بشأن هذه القطع؛ انتهى به الأمر إلى أنه وجد ثلاث قطع صغيرة منقوشة أمكنه بوساطتها أن يبرهن على أنها من مرسوم «منف»، وقد كتب عنها بحثًا في أكاديمية العلوم والآداب في باريس عام ١٩٢٣،[٤٧] وأخيرًا ظهر في عام ١٩٤٤ في جرنال العلماء مقال بقلم «شابو»[٤٨] عن حفائر «كليرمون–جانو» في «الفنتين». وقد نُشر فيه رسائل هذا العالم إلى «دي فوجي» De Vorgué، وأهمية هذه الرسائل أنها كانت قد كتبت أثناء قيام أعمال الحفائر نفسها، وتحتوي هذه الرسائل على معلومات ثمينة عن الموضوع الذي نحن بصدده. والآثار التي أُشيرَ إليها في هذه الرسائل هي:

أولًا: قطعة كبيرة من الحجر الرملي كانت مستعمَلة كمدود منقوش عليها تسعة عشر سطرًا بالإغريقية، وبدرسها وُجدت أنها تؤلف جزءًا من مرسوم رشيد، ومن ثم أصبحت نظرية الأثري «زيته» السالفة الذكر لا قيمة لها؛ وذلك لأنه إذا كان من السهل أن نسيء

[٤٦] راجع: Rec. Trav. (1911), T. XXXIII, p. 1. Etc.

[٤٧] راجع: Académie des Transcriptions et Lettres Paris. Tome, XIII, 2e Partie, p. 485–505.

[٤٨] راجع: Journal des Savants, p. 87–92 et 132–142.

الفهم من بعض أسطر هيروغليفية ممزقة، فإنه غير محتمل تمامًا أن نرتكب أخطاء في تسعة عشر سطرًا إغريقية، أمكن «كليرمون-جانو» أن يقرأها بنفسه.

ثانيًا: وُجدت مئات من الشظايا الجرانيتية نُقش عليها إشارات هيروغليفية وديموطيقية وإغريقية، وقد ظن كاشفها في بادئ الأمر أنها تحتوي على صورة من مرسوم «كانوب»، بسبب أن بعض هذه الشظايا كان منقوشًا عليه اسم «بطليموس الثالث»، ولكن عندما أمكنه أن يجمع من جديد التاريخ الذي عليها رأى أنه يختلف عن تاريخ مرسوم «كانوب»، وقد شاهد على أية حال أنه كانت توجد بلا شك قطع من مراسيم عدة أخرى محفورة على لوحات غاية في الجمال هُشمت بصورة وحشية.

ثالثًا: أشار أخيرًا إلى الكشف عن قطعةٍ من الحجر الرملي منقوشة بالديموطيقية، يقول: إنها خاصة بمرسوم «رشيد»، هذا إذا لم يكن قد أخطأ الفهم.

هذه نظرة عامة عن اللوحات والمراسيم التي وُجِدَت سليمة أو مُهَشَّمَة من عهد الملك «بطليموس الخامس»، ويجدر بنا بعد ذلك أن نترجم بقدر المستطاع ما يمكن ترجمته من مرسوم عام ٢٣ من حكم هذا الفرعون والتعليق عليه؛ لما فيه من صعوبات.

(ج) ترجمة مرسوم عام ٢٣ من عهد بطليموس الخامس

سنحاول هنا أن نضع ترجمة للنص الهيروغليفي مع قرنه بالنص الذي وُجِدَ في «أصفون» كما ذكرنا ذلك من قبل، والواقع أن متن لوحة «أصفون» لا يملأ فعلًا الفجوات الموجودة في المتن الأول؛ بل نجد أن متن «أصفون» ينقطع في نفس المكان الذي ينتهي فيه المتن الأول. هذا، ونجد لدينا عونًا غير ثابت لملء بعض الفجوات من القطع التي نُقشت على جدران معبد الفيلة،[٤٩] وهي من مرسوم مماثل للمرسوم الذي نحن بصدده.

الترجمة

السنة الثالثة والعشرون، الرابع والعشرون من شهر «جوربياوس» Gorpiaeos الذي يقابل الرابع والعشرين «من برمودة» في مصر، في عهد جلالة «حور رع» الشاب الذي ظهر بوصفه ملكًا على عرش والده، صاحب السيدتين، عظيم

[٤٩] راجع: L. D. IV Pl. 20; V pl. 34.

القوة، ومن يثبت الأرضين، والذي يجعل مصر (تامرى) مزدهرة، الفاخر القلب نحو الآلهة، «حور» الذهبي (المسمى) الذي يجعل حياة الإنسانية مزدهرة، وسيد الأعياد الثلاثينية مثل «بتاح-تانن»، والملك مثل «رع»، ملك الوجه القبلي والوجه البحري (وارث الإلهين فيلوباتور، المختار من «بتاح»، قوية روح «رع»، وصورة «آمون» الحية) ابن «رع» (بطليموس العائش أبديًّا محبوب «بتاح») الإله الظاهر «إبيفانس» بن «بطليموس» و«أرسنوي»، الإلهان اللذان يحبان والدهما، وعندما كان كاهن الإسكندر والإلهين المخلصين والإلهين الأخوين، والإلهين المحبين لوالدهما والإلهين الظاهرين، «بطليموس» بن «برهيدس» Pyrhides، وعندما كانت «ديمتريا» Dimetria (ابنة) «تليماك» حاملة هدية النصر لـ «برنيكي» المحسنة، وعندما كانت «أرسنوي» ابنة «برجازيدوس» Pergasidos حاملة السلة الذهبية أمام «أرسنوي» محبة أخيها، وعندما كانت «إيرن» ابنة «بطليموس» كاهنة «أرسنوي» محبة والدها.

في هذا اليوم قرار: اجتمع رؤساء (المعابد) والكهنة خادمو الإله والكتاب المقدسون والكهنة المطهرون الذين يدخلون في المكان المقدس (قدس الأقداس) لأجل إلباس الآلهة لباسهم، وكذلك كتاب الإله ورجال بيت الحياة المزدوج والكهنة الآخرون التابعون لمحاريب الجنوب والشمال الآتون من «منف» يوم ظهور العجل «منيفيس» — عجل عين شمس — في سخرت — جزء من منف يُحتمل أنه يحتوي على القصر الملكي — التي هي «ميزان الأرضين».

وهاك ما قصوه:

بما أن ملك الوجه القبلي والوجه البحري (وارث الإلهين اللذين يحبان والدهما، المختار من «بتاح»، قوية روح «رع»، وصورة «آمون» الحية) ابن «رع»، (بطليموس العائش أبديًّا)، الإله الظاهر ابن «بطليموس» والملكة «أرسنوي»، الإلهان اللذان يحبان والدهما، وكذلك الأميرة الحاكمة سيدة الأرضين «كليوباترا»، والإلهان الظاهران المقيما الشعائر، والسيدان الطيبان جدًّا للأراضي المقدسة ومن فيها، وسلطانهما فيها ممتاز حتى نهايتها، وقلباهما خير نحو الآلهة.

وأن الذي يشغلهما كذلك الآن وهو حمل الأشياء العدة لآلهة مصر جميعهم والإلهات قاطعبة لأجل أن توضع في محاريبهم، ثم إقامة السلام بين سكان

مصر كما فعل «تحوت» مزدوج العظمة، وأن جلالته قد قرر دخلها المقدس للآلهة نقدًا وعينًا على أن يُدفع للمعابد سنويًّا، وكذلك نصيب الآلهة في الأراضي والأشجار والجزر التي بُذرت، وكل شيء عُمل بحق وكان مقداره كما كان في زمن الأجداد يُدفع سنويًّا (على أقساط). ولما كان قد منح أراضي كثيرة للمعابد، وحبس عليها دخلًا مقدسًا، وعُملت أشياء على حسب العدالة في كل الأحوال وأمر بإقامة تماثيل … لتوضع في مكانها، وعمل أمجادًا كثيرة للعجل «أبيس» وللعجل «منيفيس» وللبقرة العظيمة، وكذلك لكل الآلهة المحترمة في مصر مع إضافةٍ إلى ما كان من قبل. وقد دفعه «قلبه» لخدمتها في كل وقتٍ … بعظمة وسخاء.

وكان عليهم كذلك أن يراعوا كل التعليمات لتطهير كل الأشياء (؟) … التماثيل (؟) في معابدها التي في عيد عظيم، وعليهم أن يستمروا في تقديم القربان وتقديم القربات المحروقة وصب القربات السائلة، وعمل كل شيء أُعْتِيد عمله … وأنه مجَّد العجل «أبيس» كثيرًا، وأضاف إلى ما كان موجودًا من قبل، وأنه عمل غطاء جميلًا من الذهب ونسخة من الآلات؟ في امتداده عندما كان … «لأبيس» يعمل في السنة العشرين من رحلته.

وعلى ذلك فإن كل الإنسان قد استراح، والجنود المنتصرون … لجلالته كانت للمعابد، وكذلك أموال الضريبة التي كانوا يدفعونها لأجل أن تكون … جلالته لها، وأمر بإرسال آنية جميلة (؟) (٢٢) … وأعاده حسب …(٢٣) … ويعزق الأرض بفأسه، إعفاء (؟) الآلهة. وانتصاراته … والناس خدام الآلهة معه في المكان المقام في المنطقة (؟) (٢٤) … المعسكر في «البلمون»، وقد عملوا اجتماعًا من … عديدون في الإقليم المقدس، وكان الأهالي تحت حراسته عندما كان … (٢٥) … والأراضي أصابها الجفاف بسبب عدم امتلاء الترع (؟)، ومكانه … وقد أنزل أسطولًا قويًّا (٢٦) في البحر الأبيض المتوسط لأجل أن يخترقه في كل امتداده في الأماكن التي تقع تحت سلطانه؛ لأجل أن يجمع لجلالته المال والمحاصيل … مملوء بالجنود وبـ … الذين كانوا حرسه. وعلى ذلك عمل ترقية على حسب لبه فرقَّى جلالته لرتبة قائد الفرسان «أريستونيكوس»؛ لأن قلبه كان غيورًا (على خدمته) عاملًا السلام لأجل (٢٨) … وملء قلب جلالته؛ لأنه كان يسوق كل يوم الرجال ليتبعوه على ظهور الخيل، ورجال الأسطول في مناورات

بالسفن (٢٩) وقد وصل أسطوله إلى اجتماعات (؟) «أبامي» في البحر الأبيض المتوسط وكل واحد ... معسكر إقليم «البلمون» Diospolis (٣٠) ... مكانه.

وقد تضرع إليه هذا العدو مع قومه لأجل أن يجعلهم يحضرون ليقدموا الذهب الذي لا يُحصى، وكذلك الأحجار الكريمة التي لا يُعرف مقدارها (٣١). وبعد أن عاقب الثورة وثبت العدالة في مجراها انضم (الأسطول) إلى سيده في الوقت الحرج في لحظة الغزو. وبعد ذلك نجد أن (٣٢) «أريستونيكوس» استولى على «أرادوس»، وهي التي تقع في الجزيرة والإقليم الذي هي فيه، وكذلك الأماكن البحرية؛ فقد استولى عليها مع النقود والمحاصيل والأشياء (٣٣) العديدة التي لا حد لها، وهي التي كانت موضوعة هناك في كل مكان مقدس، وقد عادوا أثرياء بعد مضايقة كبيرة، فقد ضربوا مكان البحارة (؟) وعمل ... من هذا العدو، وأنه قوي (؟) إذ كان يعمل مستشارًا لكل شيء، وقد باركه الناس من خلفه، والآلهة بسطوا حمايتهم حوله؛ فقد هزم الكفرة، وصير الثائرين (تعساء) في الوجه القبلي والوجه البحري، وفي أمشير من السادس إلى ١٥ منه أتم هزيمتهم بالانتصارات، وقد نال انتصارات وحصل على انتصارات في شخص الملك.

(د) تعليق

أول ما يُلحظ في هذا المتن أنه لم يذكر في السطر الأول اسم الشهر المصري المقابل للشهر المقدوني الذي جاء ذكره وهو «جوربياوس». هذا، وتدل شواهد الأحوال على أن مؤلف هذا المرسوم قد نقل بصورة آلية السطرين الثامن والتاسع من متن قديم دون أن يضيف إليهما التغييرات اللازمة. هذا، ولا نعلم السبب الذي من أجله أن الكهنة الذين كانوا قد اجتمعوا في «منف» لأجل تتويج العجل «منيفيس» الذي كان مقر عبادته «هليوبوليس» قد توجوه في «منف» ولم يتوجوه في «هليوبوليس» التي كان يجب أن يُتوج فيها لا في غيرها، وبخاصة عندما نعلم أنه في عهد «بطليموس الخامس» لم يحدث إلا تغير واحد في العجل «أبيس»، وعلى ذلك فإنه من المحتمل أن مرسوم اللوحة رقم ٢٢١٨٤ المحفوظة بالمتحف المصري وهو المؤرخ بالسنة العشرين من عهد «بطليموس الخامس» هو الذي كان قد نُقلت بدايته بغباوة في لوحات عام ٢٣ من حكم هذا الملك مع عمل تغيير واحد وهو وضع اسم العجل «منيفيس» بدلًا من العجل «أبيس»، وبخاصة عندما نعلم أن الكهنة قد

اجتمعوا في «منف» لا في «هليوبوليس»، وعلى أية حال لدينا لوحة من لوحات السرابيوم نفهم منها أن «أبيس» الذي عاش في عهد «بطليموس إيرجيتيس الثاني» كان قد اقتيد في السنة الثالثة من حكم هذا الملك إلى «هليوبوليس»، وعلى ذلك فإنه كان من المحتمل وجود تبادل في الزيارات بين العجل «أبيس» الذي كان مقره «منف» والعجل «منيفيس» الذي كان مقره «هليوبوليس».

وأريد أن ألفت النظر إلى أن الترجمة التي أوردناها هنا لهذا المرسوم ترجمة مؤقتة؛ إذ كنا نأمل بعد الكشف عن لوحة «أصفون» أن يصبح في الإمكان ملء الفجوات التي في المتن الذي نحن بصدده. هذا، بالإضافة إلى أن متن «أصفون» ينقطع عند نفس النقطة التي انقطع فيها متننا، وعلى أية حال قد استعنا في قراءة هذا المتن بقطع النقوش التي وُجدت محفورة على جدران معبد الفيلة؛ وذلك لأن هذا المتن يشبه في تأليفه متننا حتى السطر الحادي عشر، ولكن بعد ذلك وبخاصة في الجزء العظيم الأهمية الذي يحتوي على معلومات تاريخية، فقد اعتمدنا على متنينا المؤرَّخين بعام ٢٣ من حكم هذا الملك، وكلاهما مُهَشَّم كما أشرنا إلى ذلك، وعلى ذلك فإن الوقت لم يَحِنْ بعد لدرس هذا المرسوم بصورة تامة، ومع ذلك فسنشير هنا لبعض النقاط الجديدة التي أمكن استخلاصها.

أولًا: يُلحظ أن التاريخ الذي ذُكر على لوحة «أصفون» هو العام ٢٣ اليوم ٢٢ من شهر «أبللوايوس»، في حين أن تاريخ المرسوم الذي على اللوحة الأخرى هو السنة ٢٣ اليوم الرابع والعشرون من شهر «جوربياوس». هذا، ويتساءل الإنسان كيف يمكن حل وضع تاريخين يختلف الواحد منهما عن الآخر — إذ يبعد الواحد منهما عن الآخر بمدة ثلاثة أشهر أو تسعة على حسب بداية السنة — وكيف أمكن وضعهما لعمل واحد رسمي؟ والواقع أنه من الناحيتين نجد تقابل الأشهر المقدونية مع الأشهر المصرية غير صحيح؛ فاللوحة الأولى تقدم لنا الرقم ٢٤، والظاهر أنه يوم الشهر، ولكن لم يذكر اسم الشهر، أما لوحة «أصفون» فقد جاء فيها: «الذي في شهر المصريين» وحسب دون ذكر أي شيء آخر.

وعلى أية حال فإن نهاية كل من المرسومين قد ضاعت، ومن المحتمل أنه لو وُجدت نهاية كل منهما لعرفنا السبب في إصدار مرسومين في سنة واحدة، ولن نستغرب مثل هذا العمل في عهد «بطليموس الخامس» الذي كان مليئًا بالأحداث، وبخاصة النضال الذي كان بينه وبين المصريين الذين كانوا قد هبوا دفعة واحدة لاسترداد حريتهم واستقلالهم الضائع، والتخلص من حالة الفقر التي كانوا يئنون تحت عبئها.

وعلى الرغم مما جاء في لوحتنا من فجوات جعلت ترجمتها مبهمة بعض الشيء في الجزء الأخير منها، فإنه يمكن القول مما تبقى لدينا من المتن أنها كانت قد أُقيمت على شرف «أريستونيكوس» صاحب الحظوة العظيمة عند «بطليموس الخامس»، وذلك لأن أعمال هذا القائد قد نالت حظًّا كبيرًا من التمجيد. والظاهر أن ما ذُكر في هذه اللوحة عن هذا القائد يبتدئ عند السطر الثالث والعشرين حيث الحديث عن الناس، ومن المحتمل أن المقصود هنا بالناس هم جنود «أريستونيكوس» المرتزقة، كذلك ذكر تعيينه قائدًا أعلى للفرسان. والمقصود بجنود «أريستونيكوس» هم أولئك الذين كان قد جندهم من بلاد الإغريق، والظاهر أن المعسكر المصري كان قد أُقيم في بلدة تل «البلمون» عاصمة المقاطعة الثامنة عشرة من مقاطعات الوجه البحري (راجع أقسام مصر الجغرافية القديمة ص٨٩). ومن المحتمل أن البلدة التي كان قد جُمع فيها الأسطول والجيش سويًّا تحت إمرة هذا القائد كانت وقتئذٍ «دمياط» الواقعة عند مصب فرع النيل الفتناتي. هذا، ولم يُفهم معنى الجملة الممزقة التي جاء فيها ذكر بلدة «أبامي» (سطر ٢٩).

والواقع أن «بطليموس» لما كان يأمل في مساعدة الرومان له للاستيلاء على جزء من أملاك «أنتيوكوس»، فإنه كان قد أرسل على ما يُظن مقدمًا أسطوله ليحتل في الحال البلاد التي كانت ستُعطى له، ونحن نعلم بدورنا من حوادث التاريخ التي ذكرها لنا الكتَّاب القدامى أن أمل «بطليموس» كان برقًا خلبًا، وأن معاهدة ١٨٨ق.م لم تَدُر عليه أية فائدة، ومن أجل ذلك نجد أن الأسطول قد عاد (سطر ٣٠)، وأن الجيش الذي كان يحمله هذا الأسطول قد استُعمل في القضاء على الثورة الوطنية التي كانت مندلعة في الوجه البحري. هذا، ونجد في السطر الثاني والثلاثين ذكر حقيقةٍ تاريخيةٍ جديدة، وذلك أن المؤرخين القدامى قد ذكروا لنا أنه بعد موت «أنتيوكوس الثالث» وتولية ابنه «سليوكوس الرابع» من بعده عام ١٨٦ق.م استعد المصريون للاستيلاء على «سوريا الجوفاء» من جديد، وعلى حسب المتن الذي نحن بصدده الآن نفهم أنه كانت هناك بداية لتنفيذ هذا المشروع؛ فقد ذكر لنا المتن أن المصريين استولوا فعلًا على مدينة «أرادوس» من أعمال «فنيقيا» وأنهم خربوها، وأن ما كان بها من ثروة قد حُملت في الوقت المناسب؛ لتملأ خزانة «بطليموس الخامس» التي كانت خاوية مفلسة، وعلى أثر هذا العمل العظيم نُصب هذا القائد العظيم مستشارًا للملك، ونال التهاني من الجميع.

وكما قلنا نجد نهاية هذا المرسوم مهشمة؛ ولذلك فإن ما بقي لنا منه لا يقدم معنى صريحًا؛ بل يشوبه الغموض لدرجة أنه لم يكن في استطاعتنا أن نعرف إذا كان شرف

هذا النصر قد وُجه إلى «أريستونيكوس» أو إلى «بطليموس الخامس»، وعلى ذلك يظهر أن هذا النقش يجب أن يكون قد صدر بعد مرسوم الفيلة الثاني، وهو المرسوم الذي جاء فيه ذكر «أريستونيكوس» فيما يتعلق بالثورات التي هبت في الوجه القبلي، وعلى أية حال فإن السنة الثالثة والعشرين كانت آخر سِنِي حكم «بطليموس الخامس»؛ إذ قد حضره الموت فجأةً عام ١٨١ق.م كما ذكرنا ذلك فيما سبق، ومن ثم فإن الحوادث التي جاء ذكرها في هذا المرسوم كانت آخر أعمال وقعت في عهد هذا العاهل.

وهكذا نجد في هذا المرسوم — على الرغم من تمزيقه وضياع جزء منه — صحائف منقوشة عن تاريخ مصر دُونت — على ما أعتقد — بيدٍ مصرية، وهي غير تلك الصحائف التي تركها لنا الكتاب الإغريق القدامى، ويلفت النظر هنا أنه قد جاءت فيها أحداث جديدة لم يذكرها الكتاب القدامى. غير أن هذه الصحائف بكل أسفٍ قد وُجدت ممزقة؛ ومن ثَمَّ تركتنا متلهفين عما كانت تكنه من معلومات وحقائق ربما كان قد غفل عنها أو أغفلها الكتاب القدامى عن قصد؛ لأنها لا تتحدث عن الإغريق بل تتحدث عن الشعب المصري وأمجاده، ولكن لحسن الحظ قد أبقت لنا الأيام وثائق ديموطيقية من عهد هذا الملك تحدثنا عن الحركة الوطنية التي قامت في آخر عام من حياة «بطليموس فيلوباتور» واستمرت حتى العام التاسع عشر من عهد خلفه «بطليموس الخامس»، وقد أشرنا إلى هذه الحركة من قبل، وهي التي كان رائدَها في بادئ الأمر بطلٌ مصري يُدعى «حرمخيس» ثم خلفه بطل آخر يُدعى «عنخمخيس» وقد حمل كل منهما الألقاب الملكية المصرية القديمة. هذا، وقد استمرت الثورات القومية على البطالمة حتى أنهكت قواهم، وأدت بملكهم إلى الزوال، وسنتحدث عن هذه الثورات في فصل خاص.

(٦-٣) مرسوم لوحة القحط الذي صدر في عهد بطليموس الخامس

(أ) مقدمة

تحدثنا فيما سبق عن المراسيم التي صدرت في عهد الملك «بطليموس الخامس» ورأينا أن الباعث الأكبر لإصدار هذه المراسيم هو إرضاء الكهنة الذين كانوا منذ فجر التاريخ المصري يتحكمون في معتقدات الشعب واتجاهاتهم الدينية، وكذلك لتهدئة الأحوال في البلاد التي

كانت الثورات متأججة فيها بسبب ما أصاب الشعب المصري من مظالم واضطهاد على يد الحكام الأجانب من الإغريق والمقدونيين، ومن أجل ذلك أخذ «بطليموس الخامس» ورجال بلاطه يعالجون أحوال البلاد الداخلية بكل حزم وبصيرة نافذة حتى يتسنى لهم مجابهة الأخطار التي كانت تهدد كيان أرض الكنانة من الخارج. ومن أجل ذلك نلحظ أنه في عهد «بطليموس الخامس» صدر أكبر عدد من المراسيم التي كان هدفها ضم جماعة الكهنة إلى جانب الملك الذي أصبح يسير في كل تصرفاته على حسب الأنظمة الفرعونية العريقة في القدم في جميع البلاد من أقصاها إلى أقصاها، ولا أدل على ذلك من المرسوم الذي أصدره في صالح الإله «خنوم» وغيره من الآلهة الذين كانت عبادتهم منتشرة في منطقة الشلال وما بعدها في بلاد النوبة.

وهذا المرسوم نُقِشَ على لوحة تُعْرَف لدى الأثريين بلوحة القحط. وسنحاول فيما يلي أن نضع صورة جديدة تختلف اختلافًا بينًا عما كان معروفًا عن متن هذه اللوحة من الوجهات التاريخية والدينية والاقتصادية. وعلى الرغم من كل ما سنذكره هنا فإنه لا تزال توجد بعض النقاط الغامضة في محتوياتها، وبخاصة من الناحية الجيولوجية؛ فقد ذُكر فيها بعض مواد من المعادن والأحجار التي لم يتوصل الأثريون لمعرفة كنهها ولا الأغراض التي كانت تُستعمل فيها. وهذا المتن يكشف لنا عن وجود ثروات معدنية لا حد لها لا تزال تنتظر الكشف عن أسرارها والإفادة منها، وما أحوجنا إلى ذلك في هذه الفترة من تاريخ بلادنا بعد أن أصبحت مصر تأخذ مكانتها بين البلاد الصناعية في العالم.

(ب) تاريخ لوحة القحط

لوحة القحط هي عبارة عن متن يتألف من اثنين وثلاثين سطرًا عموديًّا، نُقِشَتْ على الوجه الشرقي لصخرة من الصخور الشامخة التي تتراكم في أقصى جزيرة سهيل بمنطقة الشلال.

وكان أول من كشف هذه اللوحة هو الرحالة والأثري «فيلبور» Wilbour عام ١٨٨٩م.[٥٠] وقد قام في الحال بترجمتها ونشرها الأثري «بروكش»،[٥١] ثم ترجمها الأثري

---

[٥٠] راجع: Wilbour Travels, p. 515.

[٥١] راجع: Die. Biblischen Sieben Jahre der Heingersnoth, (1891).

«بليت»،[٥٢] ثم جاء بعده الأثري «دي مورجان» ونقل متن هذه اللوحة في عام ١٨٩٤،[٥٣] وهذه النسخة أحسن من سابقتها، غير أنها مع ذلك تحتوي على أخطاء، وبعد ذلك ترجم لنا كل من «فنديه» في كتابه عن القحط في مصر القديمة عام ١٩٣٦، ومن بعده أورد «جون ولسون» و«بريتشارد» في مجلة متون الشرق الأوسط عام ١٩٥١م بعض فقرات من هذه اللوحة. يُضاف إلى ذلك أن الأثري الكبير الأستاذ «زيته» كان قد ذكر بعض حقائق هامة عن هذه اللوحة في مقالين هامين عن «دوديكاشوينوس» Dodekaschinos (١٩٠١) وعن «أمحوتب» (١٩٠٢م)؛ غير أنه لم يقدم لنا إلا ترجمة جزئية، وفي الغالب لم تكن ترجمة حرفية. هذا، وقد ترجم الأستاذ «كيس» فقرة من هذه اللوحة[٥٤] أيضًا.

وأخيرًا قام الأثري «بول بارجيه» Paul Barguet بفحص هذه اللوحة والتعليق عليها تعليقًا شاملًا ممتعًا اعتمدنا عليه في كثير من النقاط.

(جـ) اختلاف الآراء في صحة تاريخ هذه اللوحة

لقد اختلفت الآراء في صحة نسبة هذه اللوحة إلى عهد الملك «زوسر» مؤسس الأسرة الثالثة على الرغم من أنها نُقشت في العهد البطلمي؛ فيقول الأستاذ «زيته»: إن هذا المتن قد أعيدت كتابته على إثر زيارة قام بها «بطليموس العاشر» في رحلة له في منطقة «الشلال». أما الأستاذ «كيس» فيقول: إن هذه اللوحة حديثة العهد، وإن الغرض من نقشها في هذا المكان الذي هي فيه هو تعظيم عبادة الإله «خنوم» من جديد، وكذلك إعادة تثبيت سيطرة هذا الإله الذي يمثل في صورة كبش على إقليم الاثني عشر ميلًا Dodekaschene. وأخيرًا يقول الأثري «بول بارجيه»: إن هذه اللوحة أُلفت في عهد «بطليموس الخامس». وفي اعتقادي أن هذا هو الرأي الأقرب إلى الصواب جدًّا.

---

[٥٢] راجع: Plyte. Compte Rendus de l'Académie des Sciences d'Amsterdam, (1892), 3e Série, T. III.

[٥٣] راجع: De Morgan, Catalogue des Monuments et inscriptions de l'Egypte, T. 1.

[٥٤] راجع: Kees (Religionsgeschichtlichen Lesbuch Aegypten. p. 21; and Kees, Gotter-glaube, p. 416.

(د) وصف اللوحة

تدل الظواهر على أن هذا المتن قد وُضع في صورة لوحة؛ فقد مثل في الواقع فوق المتن منظر يُشَاهَد في نهايته الملك «زوسر» يخطو نحو اليمين تعلوه سماء ترتكز على عمد، ويلبس الملك التاج المزدوج، ويرتدي قميصًا قصيرًا فوقه ثوب فضفاض. والظاهر أنه كان يقدم البخور — كما يدل المتن — لوالده «خنوم» سيد بلاد النوبة. وجاء تحت صورة الملك اسمه ولقبه: «حور» (نترخت)؛ «حور» الذهبي: «جسر».

ونُقش خلفه: الحماية لكل الحياة والقوة.

هذا، وتُقدَّم القربات للثالوث المقدس آلهة الشلال.

فيشاهد أولًا الإله «خنوم-رع» برأس كبشٍ متوجًا بتاج آتف، وجاء معه المتن التالي:

«كلام قيل على لسان «خنوم-رع» سيد الشلال، والإله العظيم سيد الفنتين، والمسيطر على بلاد النوبة: إني أحمل لك الفيضان في ميقاته كل عام.»

ثم نشاهد بعد ذلك الإلهة سوتيت (ساتيت) تلبس على رأسها قبعتها الخاصة بها محلاة بقرنين، جاء معها المتن التالي: «كلام قيل على لسان «سوتيت» العظيمة سيدة الفنتين وسيدة النوبة.»

وأخيرًا نشاهد الإلهة «عنقيت» ترتدي على رأسها ريشًا، وجاء معها المتن التالي:

كلام قيل على لسان «عنقيت» سيدة «سهيل» … التي تشرف على بلاد النوبة.

ثم يأتي بعد هذا الثالوث والمتون التي تتبعه متن اللوحة نفسه، ويحتوي على اثنين وثلاثين سطرًا عمودية نُقِشَتْ من اليمين إلى الشمال.

وتنحصر موضوعات هذا المتن فيما يأتي:

أولًا: موضوع القحط

السنة الثامنة عشرة من عهد «حور» (نترخت) ملك الوجه القبلي والوجه البحري صاحب السيدتين: «نترخت»، «حور الذهبي»: «جسر»، عندما كان متسلطًا، الأمير النبيل حاكم أملاك الجنوب ورئيس النوبيين في الفنتين «مسير» Mesir، وقد خُبِّر: أن هذا المرسوم الملكي لأجل أن تكون على علم بأنني كنت في حزن على عرشي العظيم، وأن أولئك الذين كانوا في قصري كانوا في أسى وقلبي كان في غم شديد؛ لأن الفيضان لم يَأْتِ في ميقاته مدة

سبع سنوات، فكانت الغلة قليلة؛ إذ قد يبست الحبوب، وكل ما كان يؤكل كانت كميته قليلة، وكل إنسان كان مصابًا في دخله، وأصبح الفرد غير قادر على المشي، وكان الطفل يبكي، والشاب أصابه الوهن، وقلوب المسنين في حزن، فكانت أرجلهم مطوية قعودًا على الأرض في داخلها، و(حي) رجال البلاط كانوا في حاجة، وكانت المعابد موصدة، والمحاريب يخيم عليها التراب، (وبالاختصار) كان جميع ما هو كائن في حزن.[٥٥]

نداء للإله «أمحوتب»

فاستمع لما جاء فيه على لسان الملك:

> (وبعد ذلك) حُبب إليَّ أن أعود إلى الماضي؛ فسألت رجلًا من موظفي «إبيس» (الإله تحوت) وهو رئيس الكهنة المرتلين لـ «أمحوتب» بن «بتاح» الذي في جنوبي جداره: في أي مكان ولد النيل؟ وأية مدينة للمتموج[٥٦] تقع هناك؟ وأي إله يسكن هناك ليساعدني؟ فقام (وقال): سأذهب إلى قصر المصيدة (= محراب الإله «تحوت» في الأشمونين) وهو مصمم على أن يكون قلب كل إنسان شجاعًا فيما يفعل، وسأدخل قاعة السجلات، وسأتصفح الكتب القديمة، وسأسير على هديها.
>
> وعلى ذلك ذهب ثم عاد نحوي في لحظة، وأعلمني بفيضان النيل … وكل الذي تحتويه، وقد كشف لي عما هو مدهش وخفي، فقد مشى نحوها الأجداد، ولكن لا يوجد ملك قد عمله منذ البداية.

---

[٥٥] يُلحظ في وصف هذا القحط الترتيب المنطقي الصحيح في سرد حوادثه ومفعوله: فنجد أن كاتبه بعد مقدمة جاء فيها ذكر سبب حزن الملك، وهو توالي سبع سنين عجاف؛ يرجع سببها إلى عدم انسجام فيضان النيل سنويًّا وشح مائه. ثم أردف ذلك بالتحدث عن النتيجة التي نجمت عن ذلك موضحة في نقطتين؛ الأولى: قلة محصول الحبوب، والثانية: الجوع الذي تسبب عن ذلك عند الأهالي صغيرهم وكبيرهم، وحتى عند رجال البلاط والدين من جهة أخرى، ثم ختم حديثه للحاكم «مسير» بكلمتين وهما: والحزن العام.

[٥٦] المقصود هنا بطبيعة الحال: النيل نفسه وأمواجه، والمعنى بالضبط هو: الذي يلتوي في سيره كالثعبان. هذا، ونعلم أن كل مقاطعة كانت تعبد إلهًا في صورة ثعبان يمثل الجزء من النيل الذي يخصب إقليمها (راجع: Maspero Etudes de Myth. Arch. Eg. II p. 414).

الأمور التي كشف عنها كاهن «أمحوتب»

وقد صرح لي بما يأتي: توجد مدينة في وسط الماء، والنيل يحيط بها واسمها الفنتين، وهي بداية البداية، وأنها مقاطعة البداية (الواقعة) قبالة «واوات» (= إقليم أسوان) وهي مرتفع أرضي ومرتفع سماوي، وإنها عرش «رع» عندما يقرر إرسال الحياة لكل إنسان، وحلاوة الحياة هو اسم مأواها، والهوتان هو اسم الماء (أي ماء النيل) وهما الثديان اللتان توزعان وتتصرفان في جميع الأشياء، وأنها قاعة الولادة (اسم بيت الولادة في «دندره» حيث يولد النيل كل سنة) وأن النيل يعود إلى شبابه فيها في ميقاته (ويمنح البلاد الحياة قاطبة) … وأنه يمنح الزيادة، وينزو منقضًّا كفتًى يأتي امرأة (وهذه العبارة تذكرنا بتوحيد النيل بالإله «أوزير» الذي يمثل غالبًا بالثور في عهد البطالمة) ويبتدئ ثانية ليصبح رجلًا شابًّا قلبه نشطًا، ويندفع بارتفاع قدره ثمانٍ وعشرين ذراعًا (في الفنتين) ثم يسرع نحو «البلمون» فيبلغ ارتفاعه فيها حوالي سبع أذرع.

ويكون هناك «خنوم» بمثابة إلهٍ … ونعلاه موضوعان على أسفل الموجة وهو قابض على مزلاج الباب في يده، ويفتح المصراعين كما يريد، وأنه أبديٌّ هناك بوصفه الإله «شو» سيد التسعة ورئيس الحقول، وقد سُمي كذلك بعد حساب أرض الوجه القبلي والوجه البحري التي كانت توزع على كل إلهٍ، وذلك لأنه هو الذي يتحكم في الشعير، والطيور والأسماك وكل ما يعيش منه الإنسان. وكان هناك حبل مساحة ولوحة أدوات كتابة، وكان هناك سنَّادة من الخشب على هيئة صليب صُنعت من قطع خشب «سون» ليزن بها ما على الشاطئ (أي كل الأشياء التي كانت موضوعة على الشاطئ) وقد كلف بذلك الإله «شو» بن «رع» سيدَ العطاء — وزير الزراعة — ومعبده مفتوح من الجهة الشمالية الشرقية (أي معبد الإله خنوم، وقد اختفى الآن) ويشرق «رع» في واجهته كل يوم. ومياهه ثائرة في جهته الجنوبية مسافة ميل، وهي حائط (أي المياه) تفصله عن النوبيين كل يوم. وتوجد سلسلة جبال في موقعه الشرقي فيها كل أنواع المواد الثمينة وأحجار المحاجر الصلبة، وكل ما يُبحث عنه لبناء كل معبد في الوجهين القبلي والبحري، وكذلك حظائر الحيوان المقدس، والمقابر الملكية، وكل التماثيل التي تُنصب في المعابد والمحاريب. وكل محاصيلها مجتمعة قد وُضِعَتْ أمام الإله «خنوم» وحوله، وفي الوقت نفسه تُوجد هناك نباتات كبيرة خضراء،

وكل أنواع الزهور التي توجد من أول الفنتين حتى «بيجه»،[٥٧] في الشرق وفي الغرب (يعني النباتات والأزهار).

ويوجد في وسط النهر المغمور بالماء منذ عودة شبابه السنوي — أي فيضانه — مكان لراحة الجميع، وعلى كلا الشاطئين صنع هذه الأحجار.

ويوجد في النهر قبالة هذه المدينة (الفنتين نفسها) مرتفع في الوسط، وهو رديء في ذاته، ويسمى «كروفي» Krofi الفنتين.

تعلم أسماء الآلهة الذين في معبد «خنوم» وهم: سوتيس أنوكيت (سوتيت وعنقت) و«حعبي» و«شو» و«جب» و«نوت»، و«أوزير» و«حور» و«إزيس» و«نفتيس».

تعلم أسماء الأحجار الكائنة هناك في وسط الدائرة التي على الحدود (أي) التي في الشرق والغرب (أي التي على شاطئ قناة الفنتين) والتي في الفنتين، والتي في الوسط شرقًا وغربًا، والتي في وسط النهر، وهي: حجر «بخن» (وهو حجر بزاميت = البازلت) والجرانيت وحجر «مختبتب» Mhtbtb وهو حجر لونه أخضر، وحجر «رعجس» وحجر «وتشي» Wtsy أو «تخي» (وهو نوع من الحجر لونه أبيض ذكر في العهد المتأخر فقط) ويوجد في أقصى الشرق، وحجر برجن (وهو على حسب رأي بركش لونه أخضر كرنبي) في الغرب، وحجر «تشي» (من المحتمل أنه نفس الحجر «وتشي») في الغرب وفي النهر.

تعلم أسماء المعادن الثمينة التي في المحاجر في الجزء العالي من النيل — ويوجد بينها ما يبعد أربعة أميال: ذهب وفضة ونحاس وحديد ولازورد وفيروزج ونحنت حجر لونه أخضر) ويشب[٥٨] أحمر وحجر «قع» (= حجر ثمين من بلاد النوبة من بين أحجار أخرى)، وحجر «منو» (وهو البللور الصخري الذي يعمل منه بعض الأواني، وبخاصة اللازمة منها لشعيرة فتح الفم) والزمرد (= برقت) وحجر «تم-أقر»، ومعنى هذه الكلمة هو: الذي لا غبار عليه، ويحتمل أنه البللور الصخري، وخلافًا لذلك «نشمت» (وهو نوع من حجر الفلدسبات الأبيض والأزرق)، وحجر «تامحي» (= حجر غير معروف كنهه)،

---

[٥٧] إن ذكر «بيجة» هنا ليس بالأمر المستغرَب؛ وذلك لأننا نعرف أنه يُوجد هناك «أباطون» أي قبر «أوزير-النيل» النيل العظيم الذي من عرقه تُولد الأشجار والأزهار، ومن جهة أخرى فإن الإله «خنوم» يُدعى رئيس «سنمت» (أي أباطون)، وكذلك يُدعى الإله «شو» ساكن «بيجة» (راجع: Junker Onoris legend p. 7).

[٥٨] راجع: Jequier Materiaux, p. 121.

وحجر «حماجت» (يجوز أن معناه الزمرد)، وحجر «بقس-عنخ»[٥٩] (= حجر من بلاد النوبة)، والكحل الأخضر، والكحل الأسود، ومغراة حمراء من مادة «حرست»،[٦٠] و«ميمي» (= حبوب من بذور زراعية، وطينة تحتوي على بياض من بلاد النوبة،[٦١] وكان المصريون المفتنون يستعملونها لطلاء المقابر) في هذا الإقليم.

وعندما علمت ما تحتويه (المدينة) انشرح قلبي، ومنذ أن سمعت التحدث عن ماء الفيضان أمرت بفك الكتب من أربطتها، وأمرت بعمل تطهيرات، وكذلك أمرت بإقامة مواكب، وأمرت بتقريب قربات كاملة من الخبز والجعة والطيور والثيران، ومن كل شيء طيب لآلهة وإلهات الفنتين الذين ذُكرت أسماؤهم (والمعنى المقصود هو أن الملك قد انشرح صدره في الجملة السابقة من المواد التي يشتمل عليها إقليم الفنتين، ولكن القربات التي كان سيقدمها للآلهة الذين يثوون هناك ستجلب رضاهم حتى يرسلوا هذا الفيضان الذي تحدث عنه كاهن «أمحوتب»، وهو ما تصبو إليه نفسه، ومن ثم كان جواب الإله «خنوم» عندما يزور الملك في الحلم).

الرؤيا

والواقع أنه عندما استولى عليَّ النوم في هدوء رأيت (في الرؤيا) الإله واقفًا أمامي، فهدأته بالصلاة والتضرع إليه، وقد شرح نفسه في محبة لي، وقال: إني «خنوم» فاطرك، وذراعاي خلفك؛ لأجل أن أضم جسمك، ولأجل أن تصير أعضاؤك في صحة جيدة، وإني أورد لك مواد ثمينة تلو المواد، ثمينة بما لم يُعرف من قبل، ولم يُعمل منها حتى الآن أي عمل؛ لبناء المعابد، ولإصلاح ما أُفسِد، ولعمل تركيب محاجر العيوم لصاحبها[٦٢] — وذلك لأني السيد الذي يخلق، وإني أنا الذي خلق نفسه، وإني «نون» العظيم جدًّا، والذي وُجد منذ بداية الزمن، وإني «حعبي» الذي يجري على حسب مشيئته، والذي يصوغ الناس، والذي

[٥٩] راجع: W.b. I, 480, 7.

[٦٠] راجع: Lucas A. Eg. 392.

[٦١] راجع: Gardiner Wllbour Pap. II, 118.

[٦٢] المقصود هنا عملية كانت تجري في عهد الدولة القديمة بوجهٍ خاص، ثم أعيد استعمالها في عهد البطالمة، وهي عبارة عن ترصيع أحجار سوداء وبيضاء لأجل عمل إنسان العين وقرنيتها، لتعطى حيوية لرءوس التماثيل.

يقود كل إنسان إلى حينه (لحظته)، وإني «تاتنن» والد الآلهة، وإني الإله «شو» العظيم رب العطاء، وتوجد لناووسي فتحتان، وقد أمرت بفتح البركة له لأني أعرف «حعبي» فهو الذي يروي الحقول ريًّا يضم الحياة لكل أنف — وعلى حسب ما يُسقى من الحقول فإنها تستمر حية — وإني أجعل النيل يزيد من أجلك، ولن تكون أعوام بعد حيث ينقص فيها الفيضان من أجل أية أرض، والأزهار ستنبت وتنثني تحت اللقاح، وإني سأعمل على أن يكون قومك في فيض، ويملئون أيديهم معك، وسينتهي الجدب الذي يجلب القحط في مخازن غلالهم، وسيأتي المصريون مسرعين، وستينع الأراضي؛ وذلك لأن الفيضان سيكون ممتازًا، وستكون قلوبهم منشرحة أكثر من ذي قبل.

المرسوم الملكي

وعندئذ استيقظت (من نومي)، في حين أن أفكاري أخذت تعود إلى مجراها، وبعد أن أزلت عن نفسي خمولها أصدرت هذا المرسوم في صالح والدي «خنوم»: قربان ملكي للإله «خنوم رع» رب الشلال ورئيس بلاد النوبة، وفي مقابل ما تفعله لي أقدم لك «مانو» بوصفه حدك الغربي و«بايخو» بوصفه حدك الشرقي (يقصد بذلك أنه يمنحه جبال «مانو» وجبال «بايخو» التي تقع في شرقي مصر وغربها حدودًا لبلاده) من أول «الفنتين» إلى «تاكومبسو» لمسافة ١٢ ميلًا غربًا وشرقًا من حقولٍ وصحارى ونهر في كل ميل من الأميال المعدودة.

وأن كل أولئك الذين يكدحون في الحقول معطين الحياة ثانية كل ما كان نائمًا على الأرض؛ وذلك بسقي الشواطئ وكل الأراضي الجديدة، يقيمون في الأميال المذكورة، ويحملون محاصيلها إلى مخازنك.

وفضلًا عن ذلك فإن نصيبك الذي في مدينة الفخ (= الأشمونين) وكل صيادي الأسماك وكل صيادي طيور وماشية صغيرة وكل صيادي أسود في الصحراء؛ سأفرض عليهم ضريبة العشر في محصولهم الكلي، وكذلك كل الحيوانات الصغيرة التي تلد إناثًا في الأميال المذكورة سأحفظها جميعًا.

ويلزم أن تُعطى الحيوانات الموسومة كلها كقربات محروقة وقربات يومية، وكذلك حقائب الذهب والعاج والأبنوس وشجر الخروب، ومادة النوبة البيضاء والمغرات الحمراء (سهرت) والنباتات — «ديو»، والنباتات «نفو»، والخشب من كل أنواع الأشجار، وكل

ما تجلبه بلاد «خنت-حن-نفر» (بلاد النوبة) لمصر، وكل ما يحصده مصري من متأخر الضرائب بينهم.

ويجب ألا تكون هناك أية خدمة إدارية لإعطاء أوامر في هذه الأمكنة، وألا يُحجَز أي شيء؛ بل يجب أن يُحافَظ على كل شيء لصالح محرابك.

وإني أقرب لك هذه الضيعة (أي الاثني عشر ميلًا) بما فيها من صخور وأراضٍ على ألا يكون هناك فرد (ينتقض شيئًا منها)، ولكن يسكن فيها كتابك ومراقبو الحبوب بوصفهم مسجلون يعلنون ما يجب أن يورده العمال والحدادون ورؤساء أصحاب الحرف وصُيَّاغ الذهب و... والعبيد، وفرقة العبيد الذين يشكلون هذه الأحجار يجب أن يوردوا ذهبًا وفضة ونحاسًا وقصديرًا ومكاييل حبوب ومأكولات، وما يجب أن يعطيه كل رجل يشتغل معهم، وذلك بأن يدفع ١ / ١٠ من كل ذلك، وأن يدفع ١ / ١٠ من المعادن الثمينة من المحاجر وهي التي يُؤتى بها من أعالي النهر، والأحجار التي في الشرق، وأن يكون هناك رئيس يزن كميات الذهب والفضة والنحاس والمعادن الثمينة الحقيقية، وهي التي سيبنيها النحاتون في حجرة الذهب (= أي المخازن والمعامل التي يُحفَظ فيها الذهب المخصص لصناعة التماثيل والأشياء الإلهية) لصناعة التماثيل، ولأجل إصلاح التماثيل التي نالها عطب، وكل مواد العبادة الناقصة هناك، كل ذلك سيوضع في المخزن إلى أن يُصنع من جديد، وسيعمل الإنسان كل ما يحتاج إليه المعبد إلى أن يصبح كما كان عليه في بادئ الأمر.

نُقش هذا المرسوم على لوحة في مكان مقدس في مكتوب؛ وذلك لأنه قد حدث كما قيل، وعلى لوحة تكون فيها الكتابات المقدسة في المحاريب مرتين، وأن من سيبصق عليها سيكون عرضة للعقاب، وعلى رؤساء الكهنة المطهرين ورئيس مستخدمي المعبد أن يعملوا على أن يكون اسمي باقيًا في معبد «خنوم رع» سيد الفنتين والقوي أبديًّا.

تعليق على لوحة القحط: أهميتها وتأريخها

لا نزاع في أن ما جاء في متن هذه اللوحة من معلومات منقطعة النظير عن هذا الجزء من الدولة المصرية يدل دلالة واضحة على أن واضعه كان من أبناء هذه البيئة بعينها، وأنه كان عالمًا بكل جزئيات هذا الإقليم الذي يسمى «الاثني عشر ميلًا». وليس هناك من شك في أنه أحد رجال الدين الذين كانوا يعتنقون مذهب الإله «خنوم» رب هذه المنطقة، ولا نستغرب — بعد قراءة عما في هذه المنطقة من ثروات معدنية وصناعية وفنية —

أن يحرص كهنة الإله «خنوم» على أن تكون كل هذه الثروة في أيديهم، وأن يعملوا جهد طاقتهم على إغراء الملك الحاكم وقتئذ في أن يجعلها من أملاك الإله الأعظم لهذه المنطقة هو وثالوثه. وما جاء في المرسوم الذي أصدره هذا الفرعون يدل دلالة لا ريب فيها على أن الكهنة قد عرفوا كيف يستميلونه من الجانب الديني، وبخاصة أنهم ادعوا أن هذه الامتيازات التي طلبوا إليه تنفيذها كانت خاصة بهم منذ الملك «زوسر» مؤسس الأسرة الثالثة ومن بناة مجد مصر، فهل هذا صحيح؟

الواقع أن المتن الذي ترجمناه هنا وفحصنا بعض نقاطه مؤرخ بالسنة الثامنة عشرة لملك يُدعى «نتر-خت» فإذا كان المقصود به هو الملك «زوسر» مؤسس الأسرة الثالثة المصرية فعلًا، فإن هذا التاريخ يكون أقدم تاريخ عُرف لنا عن هذا الملك من الآثار، غير أن البحوث اللغوية تدل صراحة على أن متن هذه اللوحة قد أُلف في العهد الإغريقي، أو بعبارة أخرى في العهد البطلمي، وهذا بطبيعة الحال ما يضعف صحة هذا الزعم، يضاف إلى ذلك أن الآثار التي خلفها لنا الملك «زوسر» لم تقدم لنا تاريخًا واحدًا من عهده، هذا من الوجه الأثرية، أما من حيث ما تركه لنا المؤرخون الإغريق فقد ذكر لنا «مانيتون» أن الملك «توزوتروس» Tosorthros أي «زوسر» قد حكم تسعة وعشرين عامًا، غير أنه مما يُؤسَف له أننا لا يمكننا الاعتماد على ما ذكره لنا هذا المؤلف من حيث التأريخ المصري بوجه عام، وعن التأريخ للملك «زوسر» بوجه خاص؛ لأن تأريخه طويل بما لا يقبله العقل، ولا أدل على ذلك من أن ورقة «تورين» التي تقدم لنا تواريخ ملوك مصر من أقدم العهود حتى الدولة الحديثة قد خصصت خمسين عامًا للأسرة الثالثة بأسرها، في حين أن «مانيتون» قد خصص لنفس الأسرة ٢١٤ عامًا.

ومن ثم يتساءل الإنسان ماذا يمكن أن نفكر في تاريخ عام ١٨ من عهد «حور-نترخت»؟ ومن جهة أخرى أخرى يقول المتن الذي نحن بصدده الآن: إن «زوسر» لما كان مهتمًّا بأن يعيد إلى قومه الرخاء الذي حُرموا منه منذ سبع سنين بسبب عدم انتظام مياه النيل، قرر أن يعود إلى الماضي، ويسأل عددًا من مستخدمي عبادة (الإله) «أمحوتب»،[٦٣] وهو وزير قديم كانت معلوماته العظيمة قد رفعته إلى مرتبة إله، وعلى

[٦٣] يُلحظ أن أمحوتب في هذا المتن قد جمع الألقاب التي كانت تُنسب لهذا الوزير (مثل الكاهن المرتل الأول) على أن النعوت التي نُسبت إليه في العهد المتأخر قد جعلت منه إلهًا فأسمته ابن «بتاح» الذي خلف جداره.

ذلك فإنه إذا كان الملك يلجأ إلى نداء الرجل الذي يُعتبر من رجال الماضي، فإنه ليس الملك «زوسر» نفسه الذي يقوم بهذا النداء، وعلى ذلك فإن العام الثامن عشر الذي افتتح به المتن يمكن أن يعود إلى السنة الثامنة عشرة من حكم الملك الذي وضع هذا المرسوم، وعلى ذلك فإن اسم «زوسر» يخفي تحته اسم ملك آخر، وهو اسم أحد البطالمة؛ وذلك لأن المتن من العهد البطلمي.

وعلينا الآن أن نبحث من كان «بطليموس» هذا الذي يمكن أن ننسب إليه متن «سهيل» بصورة تكاد تكون صحيحة؟

والواقع أن ذكر «أمحوتب» هنا له أهمية رئيسية، وذلك لأن هذا الحكيم في الواقع هو الصانع من جديد للخيرات العميمة. وإذا كان هذا الملك الذي لا نعرف اسمه حتى الآن قد قرر تقديم قربات ومخصصات تُحبس على الإله «خنوم» وهذه لفتة سنكشف أهميتها الحقيقية فيما بعد؛ فهل لا يمكننا أن نفكر في أنه قد قام بعمل مكرمة كذلك لـ «أمحوتب»؟ والجواب على ذلك: نعم؛ إذ في الواقع يُوجد في جزيرة الفيلة معبد كان قد أقيم هناك، وأهدي للإله «أمحوتب»، والملك الذي أقام معبد «أمحوتب» هذا هو «بطليموس الخامس»، على أن ذكر الابن البكر للملك في الإهداء الإغريقي الذي نُقش على عتب باب معبد «أمحوتب»،[٦٤] إنما يدل على أن هذا المعبد لا بد كان قد أقيم على أكثر تقدير في العام التاسع عشر أو العشرين من حكم هذا الفرعون، وعلى ذلك فإن هذا الملك يستوقف التفاتنا بوجه خاص.[٦٥]

هذا، ولدينا نقطة أخرى هامة في المتن الذي نحن بصدده يجب أن نتعرف على قيمتها ومدلولها: وذلك أن القربان المقدمة للإله «خنوم» كانت من كل الإقليم المسمى «دوديكاشين» الممتد من أسوان حتى «تاكومبسو»، ومعنى ذلك بوجه الإجمال ضم كل هذا الإقليم الواقع في بلاد النوبة السفلى إلى سلطان ملك مصر، وجعله ملك التاج، وأننا إذا رجعنا إلى الحقائق التاريخية المعروفة فيما يتعلق بهذا الجزء الجنوبي من مصر إلى عهدٍ يذهب بنا إلى ما بين عهدي «بطليموس الرابع» و«بطليموس السادس» لرأينا أن ملكا نوبيًّا يُدعى «إرجامنيز» كان يحكم إقليم «دوديكاشين» (الاثني عشر ميلًا) بوصفه تحت حماية «بطليموس الثاني»، وأنه في عهد الملك «بطليموس الخامس» كانت العلاقة

[٦٤] راجع: Mahaffy: The Empire of the Ptolemies, p. 314.

[٦٥] راجع: L. D. IV, 27 b. et 38 d.

بين مصر وبلاد النوبة قد فسدت مع خلفاء «إرجامنيز»، هذا فضلًا عن قيام ثورة في البلاد على يد زعيم مصري استقل بإقليم «طيبة»، وقد أشرنا إلى ذلك من قبل، وبعد ذلك نعلم أن «بطليموس السادس» قد استعمر هذا الجزء من بلاد النوبة، كما يشهد بذلك خلع اسمي «كليوباترا» و«فيلوتريس» على مدينتين من مدن هذا الإقليم، ولا نزاع في أن ذلك كان نتيجة للعداوة التي كانت سائدة منذ ذلك العهد بين ملك مصر والأسرة النوبية الحاكمة، ولدينا نقش من عهد «بطليموس السادس» في الفيلة يتحدث عن «الدوديكاشين» وعن ضريبة العشر من محاصيله، وعلى ذلك فإنه يحق لنا أن نقول: إن هذا الاستعمار قد بدأ منذ عهد «بطليموس الخامس» إذ هو الذي عاقب — في السنين الأخيرة من حكمه كما ذكرنا من قبل — الثورة التي قام بها حكام النوبة في عام ١٩ من حكمه، وهي السنة التي صدر فيا مرسوم بعد نهاية العصيان الذي قام في إقليم «طيبة».

ومن الجائز أن اسم حاكم «الفنتين» وهو «مسير» ومعناه «الذي يحضر من جديد العين» قد يكون فيه تورية لإعادة هذا الإقليم لمصر كما أحضرت عين حور له من هذه البلاد بعد فقدانها، ومن جهة أخرى يُلحظ أن لقب هذا الحاكم وهو «حاكم أملاك الجنوب» هو ترجمة للكلمة الإغريقية épistratege وهي وظيفة لم تظهر إلا في عهد «بطليموس الخامس»، وأخيرًا لدينا نقطة أخرى ثالثة تعضد الرأي القائل أن هذه اللوحة عملت في عهد «بطليموس الخامس» وهي أن الاضطرابات الخطيرة التي وقعت في عهد كل من «بطليموس» الرابع والخامس معلومة لنا، وهي التي يرجع سببها بلا نزاع إلى أمور سياسية، ولكن نعلم من جهة أخرى أنه قد زاد في حدتها إصابة البلاد بقحط يرجع سببه جزئيًّا إلى سوء الإدارة في البلاد، ولا أدل على ذلك من أنه قد قدمت شكاوى باستمرار لكل من «بطليموس» الرابع والخامس خاصة بالإهمال في تسهيل ري الأراضي التي تتوقف عليها حياة الشعب، والغريب في ذلك أن هذه الشكاوى قد أُهمل أمرها، ولم يصل إلى مرسليها أية إجابة من الحكومة، ولقد كان في مجيء النيل منخفضًا السبب الكافي لحدوث القحط، يدل على ذلك أنه في هذا العهد بلا نزاع يرجع تاريخ شكوى قدمها مالك أطيان من الجنود المرتزقة اسمه «فيلوتاس» Philotas من أهالي «أبوللينوبوليس» Apollinopolis وقد شكى كما يقول: من الجفاف والقحط؛ وذلك لأنه في خلال ثلاث سنوات لم يرو النيل بصورة كافية حقلي.[٦٦]

[٦٦] راجع: Fouilies franco-Polonaises, Tell Edfu III (1950) p. 333-334.

وعلى أية حال لم تعد الطمأنينة إلى البلاد إلا في عام ١٨٦ق.م وهو التاريخ الذي استؤنف العمل فيه في إقامة معبد «إدفو» بعد أن كان قد أُوقف بسبب الثورات التي كانت قائمة في الوجه القبلي. وهذا التاريخ يقابل السنة التاسعة عشرة من حكم «بطليموس الخامس».[٦٧]

وإذا كانت نقوش حجر الرشيد التي أُلفت في الوقت الذي عادت السكينة العابرة إلى البلاد في عام ١٩١ق.م قد تحدثت عن فيضان كان بوجه خاص عال في العام الثامن من حكم «بطليموس الخامس»؛ فإنه من الممكن أن نفكر في أنه قد أتى بعد ذلك عهد فيضانات منخفضة، وإذا كان الملك من جهة أخرى قد خاطب «أمحوتب» بطريقة غير مباشرة لأجل أن ينجي البلاد من القحط فما ذلك إلا لأن هذا الحكيم المؤله قد اعتبر إذ ذاك بأنه الصورة الوقورة لـ «خنوم» الفنتين الإله الذي يحكم مدخل النيل في مصر والفيضان السنوي.

بقي علينا الآن أن نفهم السبب الذي كان قد حدى بـ «بطليموس الخامس» أن يخفي نفسه تحت اسم «نترخت-زوسر». والمفتاح لحل هذه المسألة يظهر أنه يكمن في حادث هام أفاد منه «بطليموس الخامس»: والمقصود هنا حادث تتويج الملك، وذلك أن «بطليموس الخامس» هو في الواقع على حسب الرأي العام أول ملك بطلمي كان قد تُوج في «منف» كما تحدثنا عن ذلك من قبل، وعلى حسب الشعائر القديمة وجدت جماعة الكهنة المصريين الذين وفدوا من جهات مختلفة من مصر أنه قد تآلف عقدهم في معبد «بتاح»، وبذلك نجد أنهم بهذه الصورة قد أعادوا رباط تقليد قديم كان «زوسر» مؤسس الأسرة الثالثة والحكومة المنفية هو الصانع له، وذلك بمساعدة وزيره «أمحوتب» (الذي كان معبده في منف)، وعلى ذلك فإنه ليس من المدهش أن نجد «بطليموس الخامس» ينسب نفسه إلى عترة الفرعون الذي جعل من «منف» في الأزمان القديمة عاصمة للمملكة المصرية، ويُحتمل أن نأخذ في الاعتبار اللقب الذي كان يحمله «بطليموس الخامس» وهو اسم العبادة الذي خلعه الإغريق عليه، وهو الترجمة للقبه بالمصرية، وهو الإله الذي يُظهر نفسه أو المشرق، وهو بالإغريقية «ثيوس إبيفانس» θξὸς Επὶφανὴs، غير أن الكلمة «جسر» التي تُترجَم بكلمة رفيع أو سامي فإنها تؤدي معنى «الظهور الإلهي»، وكلمة

---

[٦٧] راجع: L. D. IV, 18; Sethe Imhotep, p. 18.

«جسر» هي نفس الكلمة السامية أو العربية «جسر» أي الشيء العالي، وعلى أية حال فإن هذه الكلمة قد فُسرت خلافًا لذلك بالنعت الذي يحمله الملك «زوسر» وهو «نترى-خت» «إلهي الجسد»، وعلى ذلك لن يكون من المدهش أبدًا أن يكون هذا التشابه في النعت الذي كان قد مُنح له مع اسم مؤسس الأسرة الثالثة[٦٨] وذلك لفائدة «بطليموس الخامس».

هذا، ونحن لا نجهل الميول الدينية الخفية لـ «بطليموس الخامس» فهي معلومة تمامًا؛ إذ نجده يبحث بكل شغف للحصول على كل حماية إلهية. وأنه كان يجتهد في تقوية عبادة الملك.[٦٩]

وبالاختصار فإن لوحة القحط تؤرَّخ بعام ١٨٧ق.م وأنها مرسوم أصدره «بطليموس الخامس» ذكر فيه بشكل تصويري عودة الأقاليم الجنوبية المصرية إلى التاج، وكذلك تأمين البلاد بالهدوء والسعادة التي كانت تنعم بها في الأزمان الخالية.

وختامًا بالنسبة لما جاء في هذه اللوحة من نقوش خاصة بالنيل نذكر شيئًا عن موضوع القحط الذي يظهر أنه هو موضوع نفس لوحتنا هذه.

حقًّا نجد أن الأثري «بركش» في كتابه الذي وضعه عن هذه اللوحة قد سماه: «سبع السنوات القحط» التي جاء ذكرها في التوراة، وبذلك قرب سبع السنوات التي تحدثت عنها التوراة بسبع سنوات القحط التي جاءت في لوحة «سهيل»، غير أن هذا التقارب قد انتُقد بسرعة جدًّا بأنه فرية.

وأنه قد يكون من خطل القول أن يُعتبر أحد المتنين بأنه ذكرى للآخر؛ وذلك لأن تقارب أحدهما من الآخر لا ينبغي رفضه بتاتًا.

هذا، ويوجد تقليد عام يحدثنا عن سبع سنوات عجاف قد ثبت تداوله في كل الشرق الأدنى القديم، فلم يكن وجوده إذن قاصرًا على مصر؛ بل كذلك وجدناه في تقاليد

[٦٨] ولا بد أن نلحظ هنا أن الاسم «جسر» في اللوحة التي نحن بصددها هو الاسم «حور» الذهبي للملك، والظاهر أنه كان هنا معتبرًا بأنه مجرد نعت.

أما فيما يخص اسم «نترى-خت» (= إلهي الجسد) فقد كان يحمله كل من «بطليموس» السادس و«بطليموس» الحادي عشر بوصفه الاسم الحوري.

[٦٩] راجع: Jouguet, L'Egypte Ptolemalque p. 182–4.

«أوجاريت» وحتى «بوغازكوى»،[٧٠] عاصمة بلاد «الخيتا». والمقصود هنا على ما يظهر حدوث دورة مقدارها سبع سنين قحط تليها دورة أخرى مقدارها سبع سنوات رخاء.

وفي مثل هذه الحالة لا يجب ألا يؤخذ رقم سبع سنوات بمعناه الحرفي؛ بل يؤخذ على أنه يعني دون أي شك عددًا هامًّا من سنين القحط، وأن تتابعها يمكن أن يظهر بمظهر إلهي، وأن القحط كان يُعد من ألعن المصائب التي كانت تصيب الشرق القديم.

وتدل شواهد الأحوال على أن القحط في متن «سهيل» كان سببه أكثر من فيضان للنيل غير كاف؛ إذ من الجائز أن يكون الفيضان قد أتى في غير الوقت المناسب؛ فإما أن يكون قبل ميعاده بزمن طويل أو بعد ميعاده بزمن طويل، ومن أجل ذلك يقول المتن: «إن النيل لم يَأْتِ في ميقاته خلال سبع سنوات»، ولكن عندما استولى «بطليموس الخامس» من جديد على إقليم الشلال قد أصبح في مقدوره أن يراقب منابع النيل في «الفنتين»، وبذلك أمن بصورة ما مياه النهر انتظامها الموسمي.

(٧) الآثار التي أقامها «بطليموس الخامس» أو أصلحها أو جاء اسمه عليها

(١) **معبد الكرنك المجموعة الوسطى:** معبد آمون – المدخل لقاعة العمد – الباب الغربي.

(١٩) تُشاهَد أربعة صفوف يُرَى فيها «بطليموس الخامس» أمام آلهة، ويُشَاهَد في الصف الثالث منها «بطليموس السادس» يتعبد أمام «بطليموس الخامس» و«كليوباترا».[٧١]

(٢) **معبد «آمون رع»:** يشاهد ضمن المباني الإضافية في حرم المعبد الكبير على قائمة الباب الشمالية طغراءات الملك «بطليموس الخامس».[٧٢]

(٣) **معبد «تحوت» (قصر العجوز):** يُشَاهَد في منظر قربات الملك «بطليموس السابع» يتعبد أمام «بطليموس الخامس» و«كليوباترا» الأولى.[٧٣]

---

[٧٠] راجع: H. Gordon, Sabbatical Cycle or Seasonal Pattern dans Grientalia 22 (1953), p. 110.

[٧١] راجع: P. and M. II, p. 15.

[٧٢] راجع: Ibid., p. 71.

[٧٣] راجع: Ibid., p. 195.

(٤) **طهنة:** تُوجَد نقوش إغريقية للملك «بطليموس الخامس» في طهنة، وهي منقوشة في الجزء الأعلى من لوحة ومحفورة في الصخر، ومع هذه النقوش صورة إله وصورة «أوزير».[٧٤]

(٥) **المدمود:** وُجدت بعض قطع من الحجر في معبد «المدمود» عليها طغراء الملك «بطليموس الخامس» مما يدل على أنه كان قد قام ببعض إصلاحات أو بعض مبانٍ هناك.[٧٥]

(٦) **معبد إسنا:** يشاهد على واجهة حجرة العمد التي من عهد البطالمة الملك «بطليموس السابع» يقدم قربانًا سائلًا أمام والديه «بطليموس الخامس» و«كليوباترا» الأولى؛ هذا ويُشَاهَد على واجهة معبد «خنوم» الشمالي طغراءات «بطليموس الخامس».[٧٦]

(٧) **معبد إدفو:** ممر الخزانة (١٣٩) يشاهد عند المدخل لقاعة العمد ثلاثة صفوف من النقوش لـ «بطليموس الخامس» وزوجه «كليوباترا» الأولى.[٧٧]

(٨) **الحجرة الخامسة:** يُشَاهَد على قاعدة الجدار سطر من النقوش باسم «بطليموس الخامس» و«كليوباترا».[٧٨]

(٨) آثار بطليموس الخامس في بلاد النوبة والواحات

معبد الدكة: جاء ذكر «بطليموس الخامس» على العمد التي عند مدخل معبد الدكة.[٧٩]

كلبشة: مقصورة الإله «ددون» إله بلاد «النوبة».[٨٠]

---

[٧٤] راجع: P. and M. IV, p. 130.

[٧٥] راجع: P. and M, V, p. 147.

[٧٦] راجع: Champ. Notices Descr. I. 284; P. and M. VI, p. 118.

[٧٧] راجع: P. and M. VI, p. 139.

[٧٨] راجع: P. and M. VI, p. 142.

[٧٩] راجع: Roeder Der Temple von Dakke (Les Temples Emergés de la Nubie) II, pl. 9 pp. 124, 125-6.

[٨٠] راجع: Porter & Moss, vol. VII, p. 12.

نسب بعض علماء الآثار هذه المقصورة للملك «بطليموس العاشر» غير أن شواهد الأحوال تدل على أن الذي أقامها هو «بطليموس الخامس» [81] وقد اقترح الأثري «جوتييه» بحق أن يُنسب هذا المعبد إلى الملك «بطليموس الخامس»؛ وذلك لأن جزء الطغراء الذي بقي لنا ينطبق على اسم «بطليموس الخامس» وأن قراءة «لبسيوس» لهذه الطغراء لا تنطبق على الحقيقة.[82]

وهاك ما يُشَاهَد على هذه المقصورة من مناظر (انظر التصميم ١٣).

معبد «أمحوتب» بالفيلة: الردهة «ينظر الشكل رقم ١٤»: (٥٩) ويُرى «بطليموس الخامس إبيفانس» في الصف الأعلى يقدم نطرونًا إلى الإله «أمحوتب» الجالس، وإلى الأم «خردوعنخ» ثم إلى الزوجة «رنبت نفرت»، وفي الصف الأسفل تشاهد الملك يقدم البخور إلى «أمحوتب».

(٦٠) نشاهد الملك يقدم طعامًا إلى الآلهة «خنوم» و«ساتيس» و«عنقت» وذلك في الصف الأعلى. أما في الصف الأسفل فنراه يقدم صورة «ماعت» إلى الآلهة «أوزير–أونوفريس» و«إزيس» و«أمحوتب».

المدخل: (٦١) و(٦٢) ويُشَاهَد على العتب الخارجي منظر مزدوج يُرَى فيه الملك يقدم نبيذًا إلى الآلهة «بتاح» و«تحوت» و«أمحوتب» والأم «خردوعنخ»، ثم يقدم بخورًا في المنظر الثاني إلى الآلهة «أوزير» و«إزيس» و«خنوم» و«حتحور»، وعلى القائم الغربي تُوجَد ثلاثة مناظر يشاهَد فيها الملك يقدم صورة «ماعت» إلى الإله «أمحوتب» ثم يقدم إناءً إلى الإله «أوزير»، كما نشاهد الملك واقفًا أمام الإلهة «إزيس». أما على القائم الشرقي فيشاهَد الملك يقدم نبيذًا إلى الإله «خنوم»، ثم صناجة إلى آلهة، بينما يقف أمام الإله «أمحوتب» في المنظر الثالث.

(٦٣) و(٦٤) ويُرى على كل من السمكين عمود من المتون كما يشاهَد «بطليموس الخامس أبيفانس» و«كليوباترا الأولى» على كل منهما.

(٦٦) الباب الداخلي: يُشَاهَد على قائمة الباب الشمالية صفان من النقوش مُثل فيهما الملك يقدم صورة ماعت (= العدالة) للإله «شو» (أو «تحوت») ويتقبل رمز الحياة

[81] راجع: Gauthier, Le Temple de Kalabaha, T.I. p. 328 & 330.

[82] راجع: L. D. Texte V; p. 44.

من «ماندوليس» Mandulis وهو الإله الأعظم في معبد «كلبشة» وهو بالمصرية القديمة = «مر-ور»، ويعتبر بمثابة إله الشمس.[٨٣]

وعلى القائمة الجنوبية يوجد صفان من النقوش مثل فيهما الملك «بطليموس الخامس» يقدم العين السلمية (= وزات) للإله «أرسنوفيس» كما نطقه الكتاب الإغريق، وهو بالمصرية القديمة (= «أرى حمس نفر» = الرفيق الطيب)، وقد كان لقبًا يُنادَى به الإله «شو» زوج الإلهة «تفنوت» أخته، وهو إله نوبي.[٨٤]

(٧٠) يشاهَد في الصف الأعلى الملك يقدم الصولجان للإله «أوزير» و«إزيس» و«حور»، كما يقدم آنية للإله «مندوليس» والإلهة «بوتو»، ويقدم النبيذ للإله «شو». وفي الصف الثاني يقدم الملك للإله «مندوليس» ولـ «مندوليس» الصغير، ويقدم طاقة من الزهور وطيورًا لـ «مندوليس» الصغير و«بوتو»، كما يقدم لبنا لإله شاب. وفي الصف الثالث يقدم الملك رمز الحقل للآلهة «أوزير» و«إزيس» و«حور»، والنبيذ للإله «أرسنوفيس» (؟) وللإلهة «تفنوت»، كما يقدم صورة العدالة للإله «مندوليس»(؟).

(٧١) يشاهَد هنا في الصف الأعلى الملك يقدم البخور للآلهة «خنوم» و«ساتيس» و«أنوكس» (= ثالوث الشلال)، والعين السليمة «وزات» للإله «مندوليس» وللإلهة «بوتو»، كما يقدم طوقًا (؟) للإله «أرسنوفيس» وفي الصف الثالث يقدم الملك قربانًا للإله «آمون» (؟)، وللإلهة «موت» (؟)، وللإله «مندوليس» الصغير، ثم يقدم آنيتين من القربان السائل للإلهين «مندوليس» و«بوتو» كما يقدم البخور للإله «شو» (أو «تحوت»).

(٧٢) يشاهد هنا في الصف الأعلى منظر مزدوج يقدم فيه الملك النبيذ للإله «أرسنوفيس» والبخور للإله «تحوت»، وفي الصف الأسفل يُشَاهَد كذلك منظر مزدوج يقدم فيه الملك الطعام للإله «مندوليس» والبخور والقربان السائلة للإله «أرسنوفيس» (؟).[٨٥]

الواحة الخارجة: عُثِرَ في الواحة الخارجة على قطع من الحجر عليها اسم الملك «بطليموس الخامس» و«كليوباترا» في شمالي معبد «هيبيس» في داخل حرم المعبد.[٨٦]

---

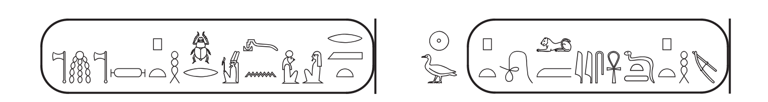
[٨٣] راجع: Blackman, Dandur p. 80.

[٨٤] راجع: Bonnet Realexikon Der Agyptischen Religion Geshichte p. 53-4.

[٨٥] راجع: Gauthier Ibid Pl. OIV (B) pp. 328–30. L. D. IV. 42d.

[٨٦] راجع: Porter & Moss VII, p. 290.

عصر بطليموس السادس



(١) = وارث الإلهين الظاهرين، الذي خلفه «بتاح»، المختار من «رع»، الذي يقدم العدالة لـ «آمون».

(٢) = «بطليموس» العائش أبديًّا، محبوب «بتاح».

مدة حكم «بطليموس السادس»: حكم «بطليموس السادس» على أرجح الأقوال من ٢٠ مايو سنة ١٨٠ق.م إلى ١٢ فبراير سنة ١٧٠ق.م، ومن ٢٤ مايو ١٦٣ إلى ٢٧ سبتمبر ١٤٥ق.م.

على الرغم مما لدينا من وثائق عدة كشفت عنها الحفائر الحديثة من عهد البطالمة فإنه توجد فجوات كبيرة في تاريخ هذه الأسرة، ويرجع السبب في ذلك إلى أن ما وصل إلينا من الكُتَّاب القدامى الذين عاصروا ملوك البطالمة لم يَأْتِ إلينا من كتاباتهم أحيانًا إلا نتف صغيرة لا تشفي غلة، ولا أدل على ذلك من أن المؤرخ «بوليبيوس» الذي عاصر «بطليموس السادس» بالذات لم يصل إلينا مما كتبه عنه إلا النذر اليسير؛ إذ قد فُقد معظم ما كتبه، ولم نَعُدْ نركن في كتابة تاريخه إلا على ما تجود به أرض مصر من الكنوز المختفية في باطنها من وثائق بردية ولوحات أثرية، وغير ذلك مما يكشف لنا النقاب عن تاريخ تلك الأسرة، وبعض المصادر الإغريقية أو اللاتينية الثانوية.

أسرة بطليموس الخامس وتولي العرش بعده

وعلى أية حال تحدثنا الآثار بأن «بطليموس الخامس» ترك من خلفه بعد وفاته المفاجئة ثلاثة أطفال من زوجه «كليوباترا» السورية الأصل، وهي ابنة «أنتيوكوس الثالث» كما أشرنا إلى ذلك من قبل. فكان له ولدان وأنثى؛ فالذكران كان يحمل كل منهما الاسم التقليدي للأسرة وهو «بطليموس»، وحملت الابنة اسم أمها «كليوباترا»، وقد تولى عرش الملك أكبر الذكرين باسم «بطليموس السادس» وهو فيما بين الخامسة والسادسة من عمره، وكانت أمه بطبيعة الحال الوصية على العرش. وقد نُعت «بطليموس السادس» بلقب «فيلومتور» أي: المحب لأمه، وقد ادَّعى بعض المؤرخين أن الوصاية على عرش البطالمة في عهد هذا الملك وفي عهد والده من قبل كانت لروما لما كان لها من سلطان في تلك الفترة من تاريخ العالم المتمدين. والواقع — كما يقول المؤرخ «بوشيه لكلرك» — أن وصاية «روما» لم تَكُنْ إلا مجرد أسطورة ابتدعتها الأسرة، ويرجع أصلها إلى السياسة الرومانية التي أرادت أن تحمي الأسرة البطلمية عند مسيس الحاجة، وذلك على الرغم من هذه الأسرة.

وتدل الظواهر على أن الوصاية لم تكن في يد واحد بعينه من عظماء الرومان، ولكن في يد مجلس الشيوخ الروماني الذي كان يهيمن على الجمهورية الرومانية في الداخل والخارج،[١] وبخاصة بعد انتصارها على القائد «هنيبال» القرطاجني انتصارًا ساحقًا في ميدان القتال مما جعلها سيدة العالم المتمدين من الآن فصاعدًا عدة قرون.

---

[١] راجع: Bouché-Leclerq: Histoire des Lagides II, p. 2 note 1.

(١) وصاية «كليوباترا الأولى» على عرش الملك

هذا لما كان «بطليموس السادس» لا يزال في طفولته فإن أمه «كليوباترا» لم تسمح لأحد غيرها بأن يدير شئون البلاد الداخلية والخارجية، ومن ثم كانت سياستها على النقيض مما حدث في عهد والده «بطليموس الخامس» الذي كانت مدة حكمه سلسلة وصايات تولاها أفراد لم يكن لهم مطمح إلا إعلاء شأن أنفسهم على حساب الملك الصغير.

وقد كان هم «كليوباترا» عندما أخذت مقاليد الحكم في يديها أن تبذل كل جهودها في رعاية أطفالها بنفسها، ومن أجل ذلك نجد أنها لم تُعِرْ أذنًا صاغية لإغراءات الذين يفدون عليها — كما كان متوقعًا — من بلاط أخيها «أنتيوكوس الرابع» ملك سوريا، وكان الأخير يسعى لعقد معاهدات مع مصر لتفيده في مقاومة «أتالوس» ملك «برجام»، وكذلك للوقوف في وجه الرومان، وكان من الطبعي أن ينتهز «أنتيوكوس الرابع» فرصة استمالة أخته «كليوباترا» وأن يجعلها تنضم إلى جانبه في هذا النضال بوصفها المسيطرة على شئون مصر، ولم يكن هذا بالأمر المستغرب، وبخاصة عندما نعلم أن الأصل في زواج «بطليموس الخامس» من «كليوباترا» أخته كان لعقد روابط الألفة بين البلدين، غير أن «بطليموس الخامس» كما رأينا من قبل قد انحرف عن هذه السياسة؛ لأنه رأى أن ذلك من مصلحة مصر.

سياسة كليوباترا الأولى

وقد تبعته زوجه «كليوباترا» في سياسته هذه؛ عاملة على أن تكون سياستهما التحالف مع «روما»، وقد رأت «كليوباترا» بعد موت زوجها أنه حرصًا على ملك ابنها أن تبقى على ولائها لروما، وباتباع هذه السياسة قد برهنت على بعد نظر ودهاء؛ لأن انحرافها عن سياسة محالفة «روما» كان فيه خطر على ملك ابنها، ومن أجل ذلك نجد أنها لم تَحِدْ عن السياسة التي رسمها زوجها في إدارة الملك حتى حضرها الموت حوالي عام ١٧٤–١٧٣ق.م وكانت لا تزال في زهرة الشباب. وعلى أية حال لم يحدثنا التاريخ بصورة أكيدة عن تاريخ موتها؛ فقد اختلف المؤرخون المحدثون في توقيته.

هذا، وقد أُطلق على الملك الصغير لقب «فيلومتور» أي: محب أمه، وهذا اللقب ينطبق على «كليوباترا» التي أحبت ابنها كثيرًا؛ فعملت كل ما في وسعها للمحافظة على ملكه.

(٢) غزو «أنتيوكوس» الرابع لمصر

لقد عملت «كليوباترا» طوال مدة حياتها على أن تبقى مصر بعيدة عن الحروب، وذلك على الرغم من أن زوجها «بطليموس الخامس» كان قبل وفاته يفكر في شن حرب على السليوكيين لاسترجاع «سوريا الجوفاء»، ولكن على أثر وفاتها وقع الملك الصغير في براثن رجال القصر الذين كانوا ملتفين حوله، وبخاصة الخصي «يولاوس» Eulaeos وعبدٌ آخر من أصل سوري يُدعى «لناوس» Lenaeos. وقد أصبح هذان الرجلان هما الوصيان عليه، ومنذ تلك اللحظة نجد الخصيين يلعبان دورًا في بلاط البطالمة، وتحدثنا الأخبار على أنهما عملا ما في وسعهما لتدريب هذا الملك الغر على الدعارة، وأن يسلك سلوك المخنثين بحيث ينصرف عن شئون الملك تاركًا بذلك كل شيء يتعلق بإدارة حكم البلاد في أيديهما حتى بعد بلوغه سن الرجولة. وتدل الأخبار على أنهما سارعا في إعلان تقليد الملك حكم البلاد فعلًا عندما بلغ السن القانونية، كما أعلنا زواجه من أخته «كليوباترا» التي أصبحت تُلقَّب «كليوباترا الثانية»، وقد كان هدف هذين الوصيين من القيام بذلك هو التخلص من تدخل «روما» في شئون مصر، وكانت روما وقتئذ تنظر إلى ملوك مصر بأنهم تحت وصايتها أرادت مصر أم لم تُرِدْ، ولا أدل على ذلك من أنه في خلال عام ١٧٣ق.م — على ما يُظن — عندما علم الرومان بموت «كليوباترا» أرسل مجلس الشيوخ الروماني إلى الإسكندرية بعثًا مرَّ عن طريق «مقدونيا» ليتحقق من أن «برسوس» ملك هذه البلاد كان يقوم فعلًا باستعدادات للحرب التي أعلنها «أيمنيس»، وقد كان البعث مكلفًا في الوقت نفسه بتجديد عهود المودة والصداقة مع مصر.[٢]

وقد كان من جراء حضور بعث مجلس الشيوخ إلى مصر أن اتخذ هذان الوصيان — غير الرسميين — الأهبة لحماية ظهريهما بجعل البلاد تسير على نظام حكم قانوني محدد، ومن ثم تُوج الملك وأصبح هو الحاكم للبلاد، ولا نعلم شيئًا قط عن المراسيم التي أُقيمت لتتويج الملك وزواجه، والظاهر أن ذلك قد حدث عام ١٧٢ق.م. ولا نزاع في أن المبدأ الذي وضعه الملك «بطليموس الخامس» في موضوع إقامة مراسيم التتويج في «منف» على حسب الشعائر المصرية القديمة؛ كان هو الذي اتُّبع في تتويج «بطليموس السادس»، وكذلك في زواجه من أخته «كليوباترا الثانية»، والظاهر أن الحفل بتتويجه كان قد أُقيم قبل زواجه،

---

[٢] راجع: Liv., XL II, 6.

وقد لُقب «بطليموس السادس» رسميًّا «فيلومتور». وكان هذا الملك يبلغ من العمر عند زواجه السادسة عشرة، وكانت أخته وزوجه «كليوباترا الثانية» أصغر منه سنًّا وقتئذ، وقد أصبحا منذ زواجهما يُعبدان باسم الإلهين المحبين لوالدتهما، ومن ثم أصبح من المؤكد أن عرش أرض الكنانة يحتله زوجان ملكيان توافرت فيهما كل التقاليد الفرعونية القديمة التي أهلتهما لتولي عرش مصر، وقد حدث ذلك في عام ١٧٢–١٧١ق.م. وقد رأى الملك وزوجه أنه من الصواب لإثبات توليهما عرش الملك والقبض على زمام الأمور أن يظهرا أمام الشعب وأمام كهنة المعابد، ومن هنا نجد آثار ذلك في معبد «دابود» في نقش حُفر على بوابته، وهذا النقش يحدثنا عن تحية يقدمها الملك «بطليموس السادس» وزوجه الملكة «كليوباترا» وذلك بوصفهما الإلهين المحبين لوالدتهما وللإلهة «إزيس» وللإله «سرابيس» وللآلهة الذين يسكنون المعبد.[٣]

(٣) النزاع على سوريا الجوفاء

وعلى أية حال لم يَمْضِ طويل زمن على هذا الزواج في سلام وطمأنينة؛ لأن موت الملكة «كليوباترا الأولى» قد أثار من جديد موضوع «سوريا الجوفاء» التي كانت موضع نزاع بين أسرة البطالمة في مصر والسليوكيين في الشرق منذ عهد «بطليموس الأول»، وقد رأينا من قبل أن «أنتيوكوس الثالث» كان قد قدم هذا القطر مهرًا لابنته «كليوباترا». وقد اختلفت الآراء في تكييف هذه الهبة؛ فمن قائل إن هذا القطر نفسه كان قد أُعطي مهرًا لـ «كليوباترا»، ومن قائل إن الملكة قد أُعطيت خراجه وحسب، ومن ثم قامت المنازعات على تفسير العقد الذي أُبرم بين الطرفين المتعاقدين، وقد بقي الخلاف مستمرًّا لدرجة أن «بطليموس الخامس» كان يستعد في أواخر أيامه لشن حرب على «أنتيوكوس» للاستيلاء على هذا القطر، ولكن الموت اختطفه قبل أن ينفذ ما أراد، وقد كانت الفرصة سانحة أمامه لنيل مأربه؛ لأن صهره «سليوكوس الرابع» «فيلوباتور» كان لا حول له ولا قوة من جراء شروط معاهدة «أبامي» Apamée التي انتزع الرومان بموجبها من «أنتيوكوس الثالث» كل ممتلكاته شمالي جبال «توروس»، وقد زاد الطين بلة أنه لم يكن محبوبًا في «روما» وقتئذ؛ إذ كان المظنون فيه بحق أنه كان يطمح بصورة غامضة في القيام بالانتقام لما

[٣] راجع: Boeckh, Corpus Inscriptionum Graecarum 4979; Letrone I, 10, Strack n. 87.

حاق ببلاده. هذا، ويتساءل الإنسان عما إذا لم يكن مجلس الشيوخ قد فكر في عزل هذا الملك، وذلك في الوقت الذي قُتل «سليوكوس الرابع» هذا على يد وزيره «هليو دوروس» عام ١٧٥ق.م. وعلى أية حال نجد في هذا الوقت أن ابن هذا الملك المقتول وهو الذي كان قد أُرسل إلى «روما» ليحل هناك محل أخ «سليوكوس»، المسمى «أنتيوكوس»، وكان قد وصل في الوقت المناسب بمساعدة ملك «برجام» ليخلف أخاه على عرش الملك، فكان ذلك لسوء حظ ابن أخيه. غير أن من بقي من أبناء سوريا الموالين أو على الأقل أولئك الذين كانوا يسعون في التحالف مع مصر قد رأوا أن استقلال بلادهم وأسرهم المالكة قد صُدمت صدمة جديدة بتولي هذا الملك الجديد.

وقد كان الأمل عظيمًا أمام ملك «سوريا» الجديد «أنتيوكوس الرابع» إذ كان على صلة عظيمة مع الرومان؛ لأنه كان قد أمضى ما يقرب من أربعة عشر عامًا من سني شبابه في «روما» حيث عاش عيشة الألفة والمحبة بين الأسر الرومانية العريقة في المجد، ومن ثم نجده عندما غادر «روما» ترك خلفه أصدقاء أصحاب جاه وسلطان.

وتدل شواهد الأحوال على أنه كان رجلًا نبيلًا في أخلاقه؛ إذ لم يَنْسَ عندما أرسل «أبوللونيوس» إلى روما عام ١٧٣ق.م أن يذكره بذكرياته في هذا البلد بقوله: إنه قد عومل من كل الطوائف معاملة ملك لا معاملة رهينة.[٤] ولا بد أن «أبوللونيوس» قد تحسس مجريات الأمور في «روما» وتأكد من أنه إذا وقعت حرب مع مصر فإن سيده لن يكون مكتوف اليدين في هذه البلاد، وفي تلك الأثناء كانت فكرة إعلان الحرب على مصر قد اختمرت في ذهنه، وتدل الظواهر على أنه لم يَكْتَفِ وقتئذ بالمحافظة على «سوريا الجوفاء» وحسب؛ بل المظنون أنه امتنع عن الاستمرار في دفع خراج هذا الإقليم الذي كان يُعتبر ملكًا للملكة «كليوباترا» يُدفع لها سنويًّا، غير أن ملك «سوريا» قال عن هذا الخراج إنه كان بمثابة معاش تتقاضاه «كليوباترا» من «سوريا» طوال مدة حياتها، وبموت «كليوباترا» انتهى الأمر. بيد أن الفكرة في الإسكندرية كانت على عكس ذلك؛ فقد كان المظنون أن أخلاف «كليوباترا» لهم الحق في تقاضي دخل بلاد «سوريا الجوفاء» بوصفها إرثًا شرعيًّا ورثوه عن أمهم، وادعوا أن الاتفاق الذي أُبرم في هذا الصدد يؤكد ذلك؛ بل وبالاستيلاء على هذا القطر نفسه فعلًا، ولا نزاع في أن هذه كانت مسألة

[٤] راجع: Liv., XLII, 6.

قضائية، وأن هذا كان موضع نزاع يفصل فيه المدعي العام، ولا تزال هذه المسألة موضوع أخذٍ وردٍّ حتى يومنا هذا بين المؤرخين الذين يتناولون هذا الموضوع، نذكر من بينهم «أستراك» و«كوتشمد»، و«مومسن»، و«فلكن»، و«مهفي»، وهؤلاء قد تأثروا بما كتبه كل من «بوليبيوس» و«ديدور» وهما في جانب ما ادعاه السوريون، في حين أن «فلاث» Flathe و«درويسن» Droysen و«هلم» و«استراك» Strach يتمسكون بالرأي الذي اعتنقه «ليفي» و«سنت جيروم» وهما في جانب ما ادعاه المصريون. والواقع أن الحق في مثل هذه المسألة يكون في جانب من بيده القوة كما جرت العادة.

ومهما يكن من أمر فإن الوصيين على عرش البطالمة يغلب عليهما الكبرياء وسوء التصرف، وأخذا يستعدان للحرب علنًا، وصَرَخَا بصوت عالٍ أمام جماعة من الشعب معلنين — بأساليبهما التي تنطوي على الغرور — بأنهما سيجنيان النصر باستمالة الحاميات السورية بيسر وسهولة بقوة المال.[٥] يُضاف إلى ذلك أنهما كانا يعتقدان أن «أنتيوكوس الرابع»، كان يخاف بأس الرومان الذين كانوا وقتئذ يحمون مصر، ومن ثم يكون ذلك سببًا في شل قوته، وفضلًا عن ذلك صورت لهما قلة تجاربهما وقصر نظرهما أنه سيكون في مقدورهما أن يهاجما «سوريا» ويستوليا عليها؛ بل وأكثر من ذلك سبح بهما الخيال إلى أنه سيكون في استطاعتهما أن يخضعا كل إمبراطورية «أنتيوكوس»، وأخيرًا عرضًا فضلًا عن ذلك على الرومان مساعدتهما على قهر «مقدونيا».[٦]

والواقع أن رأي هذين الوصيين — الذي كان ملؤه الغرور والزهو وسوء التفكير — قد خدم مشاريع «أنتيوكوس» وخططه، ومن ثم رحب بإعلان الحرب عليه من خصمين «استولى عليهما الزهو وحب الفخار»، وبخاصة أنه لن يظهر أمام «الرومان» بأنه المبادر بالهجوم؛ بل إنه سيقف موقف المدافع عن أملاكه، وعلى ذلك فإن هذين الوصيين عندما أخذا يقومان ببعض عمليات حربية صغيرة عند الحدود تدل على عزمهما على خوض غمار الحرب؛ فإن «أنتيوكوس الرابع» خرج عن موقف الرجل المنتظر الهجوم عليه، وقبل أن ينقض على عدوه المتحفز استشهد بالرومان على أن مصر تهاجمه من غير وجه حق؛ ومن أجل ذلك أرسل بعثًا من قبله إلى «روما» حيث قابل بعثًا آخر هناك أرسله بلاط «الإسكندرية» على عجل عام ١٧١ق.م.[٧] على أن «أنتيوكوس» في الواقع لم يكن

٥ راجع: Diod., XXX, 16, cf. XXX, 2. Liv., XLII, 29.

٦ راجع: Liv., Ibid.

٧ راجع: Polyb., XXVII, 17, XXVIII, I Diod., XXX, 2.

يرتكن على عدالة مطلبه أمام مجلس الشيوخ الروماني أكثر من اعتماده على الورطة التي كانت الجمهورية الرومانية واقعة فيها، وهي الحرب التي كانت مستعرة وقتئذ بينها وبين «برسيوس» (عام ١٧١–١٦٨ق.م)، وقد أُصيب فيها «الرومان» بهزيمة لم تكن في الحسبان؛ مما أضعف جيشها وحد من سلطانها.

وعلى أية حال لم يكن في عزم «أنتيوكوس» أمام كل هذه الأسباب أن ينتظر موافقة مجلس الشيوخ الروماني؛ بل جعل الحرب أمرًا واقعًا. وقد كان موقف مجلس الشيوخ بين الفريقين المتخاصمين موقف من يستمع بأذن مشتتة للبراهين التي كان يقدمها كل من الطرفين على سلامة موقفه؛ فمن جهة، كان مبعوثو ملك «سوريا» يقدمون البراهين على أحقيتهم في تملك «سوريا الجوفاء» بما لهم من حق الفتح ولامتلاك هذا القطر بالإضافة إلى «فينقيا» منذ واقعة «بانيون» التي تحدثنا عنها في غير هذا المكان، ومن جهة أخرى كان رجال السياسة المصريون يُجيبون على ادعاءات أعدائهم بالاحتجاج المليء بالألفاظ العاطفية قائلين: إن «أنتيوكوس» قد اغتصب حق الملك الطفل اليتيم. ولكن دون أن يقدموا أي برهان يدل على أحقية ملكية هذا الملك الطفل لـ «سوريا الجوفاء»، ولكي يضحدوا ما قدمه خصمهم من براهين قوية. وكانت أكبر دعامة ارتكن عليها المصريون لتقوم مقام كل برهان يقدمه الخصم؛ هي أنهم كانوا أصدقاء الشعب الروماني، وبخاصة أن هذه الصداقة كانت قد جُددت حديثًا. غير أن القنصل «أميليوس ليبيدوس» Aemilius Lepidus منع المصريين عن أن يتمادوا إلى النهاية، ونصحهم بألا يقدموا لمجلس الشيوخ وساطتهم الودية لتسوية خلاف مع «برسيوس» ملك «مقدونيا». وعلى أية حال فإن الوفد المصري قد عاد إلى مصر وهو مُثقل بعبارات المديح والشكر، وبالكلمات الدبلوماسية التافهة المعسولة، أما «أنتيوكوس» فقد أجابه مجلس الشيوخ بأنه قد كلف «مارسيوس فيليبوس» Marcius Philypus — وكان أعلم الرومان بأمور الشرق، وكان وقتئذ في بلاد الإغريق على رأس أسطول — بأن يكتب في هذا الموضوع لـ «بطليموس السادس» بالمعنى الذي يراه موافقًا على حسب اعتقاده الشخصي. ولسنا في حاجة إلى القول بأن جواب مجلس الشيوخ كان يدل على مهارة حاذقة؛ إذ نجده لم يقيد نفسه بشيء أبدًا، ولم يترك مجالًا لأي قرار؛ إذ قد وضع الأمر في يد مفاوض بليغ دون أن يطلب إليه أي جواب معين يمكن الإنسان أن يعتمد عليه أو يستنكره.

هذا، ولما كان «أنتيوكوس» قد تتلمذ على مدرسة «روما» السياسية، فإنه لم يكن ساذجًا؛ بل استغل موقف تظاهر الوصيين على «بطليموس» وتلويحهما بالحرب بمثابة

إعلان للدخول في حومة الوغى، ومن ثم لم يترك لهما مجالًا للتقدم نحو هدفهما؛ بل سبقهما بالزحف بجيشه على مصر في ربيع عام ١٧٠ق.م دون أن يعير أية التفاتة لما عساه أن يقرره «مارسيوس فيليبوس». والظاهر أن «أنتيوكوس» قد اختار لميقات هجومه على مصر فصل التحاريق؛ إذ كان النيل في نهاية عام ١٧١ عقبة أمامه، ومن ثم كان «بطليموس الخامس» لا يزال حرًّا في ١٨ توت من السنة الحادية عشرة من حكمه؛ أي: في أول نوفمبر عام ١٧١ق.م،[٨] وفي تلك الأثناء كان جيشه يتحرك وهو يجر وراءه معدات وكنوز كثيرة؛ هذا إلى أثاث فاخر كان الغرض منه شراء ذمم حماة المدن السورية. وتقابل الجيشان في منتصف الطريق ما بين جبل «كاسيوس» و«بلوز».

وقد كان في مقدور «أنتيوكوس» أن يقضي على الجيش المصري بحد السيف، إلا أنه رأى أنه من الحكمة والفائدة معًا ألا يطلق السيف في رقاب العدو؛ بل أراد أن يستولي عليهم أسارى. وكان من جراء هذه المعاملة الإنسانية أنه كسب شهرة الرحمة والرفق بين صفوف الأعداء، مما سهل عليه بعد ذلك مشروعه العظيم الذي كان يرمي به إلى الاستيلاء على مصر جملة، أو على الأقل استغلالًا لنفسه؛ ومن ثم أراد أن يستعمل الخداع لا العنف (وعلى حسب ما جاء في التوراة[٩] أن «أنتيوكوس» دخل مصر على رأس جمع من الجنود والعربات والفيلة والسفن)، ومن أجل ذلك سيطر على جيوشها، وبدلًا من الدخول في معركة دخل في مفاوضات، وكان بعمله هذا يحسب حساب ما سيأتي بعد وهو تدخل «الرومان»، وأنهم عندئذ سيجدونه قد سار في حربه مع العدو بما يجعلهم في صفه، ولا يأخذون عليه شيئًا في تصرفاته. وعلى ذلك فإنه بعد هزيمة العدو لم يتابع سيره مباشرة نحو «بلوز»، بل رضي بإبرام هدنة، على أن تسلم إليه البلدة ويحتلها فعلًا بجنوده.[١٠] ولا نعلم كثيرًا عما كان ينطوي عليه سلوكه من حيث الإخلاص فيما صرح به، وهذا هو ما سماه المؤرخ «بوليبيوس» خدعة لا تتفق كثيرًا مع أخلاق ملك.[١١] هذا، ويُلحظ في الوقت نفسه أن المؤرخ «ديدور» يكرر نفس النقد الذي ذكره «بوليبيوس» بنفس التعبير، ومن ثم يحتمل أنه نقله عنه. أما عن التفسير المرتبك بعض الشيء الذي قدمه «ديدور» عن

---

[٨] راجع: Strack. p. 197, 20.

[٩] راجع: Machabées 1, I, 18.

[١٠] راجع: Diod XXX, 18.

[١١] راجع: Polyb., XXVIII, 7, 16.

هذه الخدعة الحربية التي لا تقابَل بالاحترام، وهي التي ذكرها في مكان آخر؛ فيُسْتَخْلَصُ من قول هذا المؤرخ أن لومه كان ينحصر بوجهٍ خاص في الدسائس التي أمكن بها «أنتيوكوس» من أن يقبض على الملك «بطليموس السادس» بمجرد استيلائه على القصر الملكي.[١٢]

وهذه المكائد والدسائس قد تبدو لنا غامضة بعض الشيء؛ إذ قد يكون من الجائز أن «أنتيوكوس» قد ساعدته الأحوال في تلك المسألة بما أظهره الوصيان من هلع وجبن أكثر من أي عامل آخر. وفي الحق يظهر جليًّا على حسب ما ذكره المؤرخ «ديدور» أن كلًّا من «يولاوس» و«لناوس» قد قاد الجيش بنفسه إلى الكارثة التي انصبت على البلاد في «بلوز»؛ إذ لم يكن أي منهما على استعداد للقيام بمثل هذا العمل العظيم، ولأن أحدهما كان قد ترك مشطه وعطوره، والآخر ودع كتابة قصصه وحكاياته ليتسلم قيادة معركة يتوقف عليها مصير أرض الكنانة دون أن يكون لواحد منهما أية دراية بحمل السلاح أو أية معرفة بفنون الحرب! وقد زاد الطين بلة أنه لم يكن برفقتهما أي قائد ماهر ليكون مستشارًا لهما في ساحة القتال. وهكذا نرى هذين الغرين يندفعان إلى حومة الوغى لمواجهة جيش جبار حسن القيادة، وقد كانت النتيجة الحتمية أن هُزما هزيمة مخزية، وعندئذ خشيا أن تُغلق خلفهما أبواب «بلوز» وأن يقعا في قبضة «أنتيوكوس» على أيدي المصريين أنفسهم الذين كانوا يكرهونهما أشد الكره. وكانت النتيجة التي لا مفرَّ منها لموقفهما الحرج هذا أن سعيا للمفاوضة مع العدو، وقد رحب بذلك «أنتيوكوس»؛ لأنه كان يرغب في أن يترك زمام الأمور في مصر في أيدي مثل هذين الرئيسين، ومن أجل ذلك منحهما هدنة كانت في نظرهما غاية في السماحة.

ولا نعلم كيف قابل أهالي الإسكندرية هذين الوصيين اللذين أفعما العالم بتفاخرهما وادعاءاتهما قبل الدخول في المعركة التي قضت على سمعة البلاد وسمعتهما، وإذا كانت هناك حسنة يمكن ذكرها لهذين الغرين فإنها تنحصر في أنهما قد تقبلا صدمة الهزيمة بنفسيهما دون أن يجرا الملك «بطليموس السادس» معهما إلى ساحة القتال، وحتى مع بعد «الإسكندرية» عن ساحة القتال قد أصبح مكث الملك فيها من الأمور غير المضمونة العواقب، غير أنه لدينا رواية أخرى تقول: إن الملك بعد أن هُزم في الموقعة على يد

---

[١٢] راجع: Diod XXX, 18, 1 & 2.

«أنتيوكوس» هرب إلى «الإسكندرية».[١٣] هذا، ويؤكد لنا المؤرخ «بوليبيوس» على الرغم مما في قوله من شك كبير أن الخصي «يولاوس» قد أغرى الملك «بطليموس السادس» بأن يحمل كل كنوزه، ويترك البلاد للعدو، ويولي وجهه شطر «ساموتراس» التي كانت الملجأ العادي للملوك المخلوعين من عروشهم أو المجرمين الذين نُفوا من العالم.[١٤] ومما تجدر الإشارة إليه هنا أن مؤرخ العصر «بوليبيوس» يندى جبينه خجلًا من هذه النذالة، ولكنه ينسب كل الخزي والعار إلى الخصي نفسه؛ لأن «بطليموس السادس» — كما سنرى بعد — قد أظهر ما يدل على شجاعته وإقدامه. هذا، ولا يرى «بوليبيوس» في هذا الخصي إلا جبانًا يعدي جبنه كل من اقترب منه. وعلى أية حال لم يجعل منه هذا المؤرخ خائنًا؛ إذ لم يَدُرْ بخلده أن مثل هذا الخور في العزيمة الذي لا يمكن تصديقه كان متفقًا عليه من قبل مع «أنتيوكوس».

(٤) احتلال أنتيوكوس للبلاد المصرية

ومهما يكن من أمر فإن «أنتيوكوس» لم يكن يحلم يومًا ما أن سيصل إلى حل أحسن من الذي جاء به القدر إليه ووضعه بين يديه، وهو تسليم «بطليموس السادس» له. والآن يتساءل الإنسان عن سر الطريقة التي أمكن بها «أنتيوكوس» أن يجعل الملك «بطليموس السادس» يأتي إليه صاغرًا ليتحدث معه، فهل كانت هذه المقابلة في «بلوز» أم كان «أنتيوكوس» قد زحف بجيشه حتى أصبح على مشارف الإسكندرية، ومن ثم لم يكن في مقدور «بطليموس» مغادرة «الإسكندرية» دون أن يتفاوض مع عدوه؟

وقد تحدث إلينا «بوليبيوس» عن موضوع هرب «بطليموس» إلى «ساموتراس» لا بوصفه مشروعًا متفقًا عليه، بل بوصفه عملًا مخجلًا يُلحظ فيه التأثير الخبيث الذي وضعته روح خبيثة في روح شريفة بريئة. والظاهر مع ذلك أن هذا المشروع كانت قد اتُّخذت الخطوة الأولى لتنفيذه، ومهما يكن من أمر فإن «أنتيوكوس» قد تقابل مع «بطليموس» وأولم له وليمة عظيمة،[١٥] وفي أثناء ذلك قدم «أنتيوكوس» لابن أخته

---

[١٣] راجع: Jean d'Antioche F.H.G., p. 558.

[١٤] راجع: Polyb., XXVIII, 17a.

[١٥] راجع: Polyb., XXXI, 419.

«بطليموس» معاهدة صلح للتوقيع عليها، وبمقتضاها كان الدمار التام الذي نزل بهذا الملك الفتى، ومن ثم يحدثنا المؤرخ «بوليبيوس» عن نقض العهد الذي عقده «أنتيوكوس» على نفسه للملك «بطليموس» الفتى. أما المؤرخ «ديدور» فإنه يقول في حديثه عن خدعة «بلوز»: إن «أنتيوكوس» بعد أن استعرض رفق والده وحسن تصرفه بالنسبة لوالديه، فإنه على العكس غش الملك الشاب الذي وكل أمر نفسه له وعمل على انتزاع مملكته منه.[١٦] وتدل شواهد الأحوال على أن «أنتيوكوس» كان قد أغرى «بطليموس» بأنه ينبغي عليه — بعد أن جرده من سلطانه — أن يضع نفسه رسميًّا تحت وصايته، وأنه سيأخذ على عاتقه إعادة فتح مملكته واسترجاعها له، وعلى ذلك فإن ما سيأتي هنا من آراء يصبح مفهومًا إذا أردنا أن نستسلم لما جاء حرفيًّا في المتون التي سيطر على مؤلفيها التحيز البعيد عن علم التاريخ؛ ففريق منهم وهم اليهود لا يرون في العالم إلا يهوذا، والفريق الآخر وهم طائفة المجادلين المسيحيين لم يكن لديهم هَمٌّ إلا أن يروا فيما وقع إلا تنفيذ تنبؤات النبي دانيال.

وهاك كيف يوضح شارح النبي دانيال ذلك الحادث: بعد أن أظهر «أنتيوكوس» احترامًا للطفل، وتظاهر له بالمحبة صعد إلى «منف» وهناك تقبل السلطة الملكية على حسب التقليد المصري، وكذلك ادعى أنه يعمل في صالح الطفل (الملك)، وبعدد قليل من الجنود أخضع كل مصر، ودخل في المدن المتناهية الثراء. وقد عمل ما لم يعمله آباؤه ولا آباء آبائه، ولم يخرب أي ملك من ملوك «سوريا» بلاد «مصر» بهذه الكيفية؛ فقد شتت كل ثرواتهم، وكان ملتويًا في تدابيره لدرجة أنه قضى بحلية على كل الإجراءات الحازمة التي كان قد وضعها أولئك الذين كانوا يعملون مرشدين لهذا الطفل.[١٧] وعلى ذلك لا بد أن نعترف أن «أنتيوكوس» تمادى في غيه لدرجة أنه توج نفسه في «منف» في حضرة «بطليموس» الذي كان فعلًا يشترك بذلك في إسقاط نفسه.

ومن جهة أخرى يحدثنا المؤرخ «سنت جيروم» الذي يتفق مع المؤرخ «بورفير» في رأيه، وهو أنه قد انتزع «أنتيوكوس» تاج «فيلومتور» وذلك بعد أن حكم الأخير وحده مدة أحد عشر عامًا[١٨] (١٧٠ق.م). هذا، ويمثل لنا مؤرخ كتاب المكابيين «أنتيوكوس» بأنه

[١٦] راجع: Diod XXX, 18, 2, Justin XXXIV, 2, 8.

[١٧] راجع: Hieronym, In. Dan., XI, 2–6, cf, Polyb., XXX, 419.

[١٨] راجع: Carl Muller, Fragmenta Historicorum Graecorum III, p. 720, (1885).

غزى مصر كما غزاها سابقًا ملوك الأشوريين على رأس جيش هائل مما أدى إلى هرب «بطليموس»، وخرب كل شيء أمامه، ثم عاد بعد ذلك في الحال في نفس العام وخرب معبد «أورشليم».[١٩]

ومما ذكرنا هنا عن سلوك «أنتيوكوس» نرى أنه لم يكن هناك ارتباط في أعماله؛ بل كان يمثل التفكك بعينه، ولا غرابة في ذلك فهو ذلك المغتصب الذي خلع ابن أخته «بطليموس السادس» من عرش ملكه، وتوج نفسه بدلًا منه ملكًا على مصر، ثم نراه بعد ذلك يغادر البلاد التي فتحها على حين غفلة بعد نهبها بصورة غريبة ليضمن لنفسه بقاءها تحت سلطانه.

وعلى أية حال فإنه مهما كان التوبيخ الذي يمكن أن يوجَّه إلى «أنتيوكوس» فإنه ليس من المُستطاع أن يفهم الإنسان أبدًا كيف أمكنه بعد ذلك أن يتظاهر بمظهر العظمة في تأكيده بأنه لم يكن يقصد أبدًا — وربما كانت هذه حقيقة — أن يستولي على مصر لحسابه الخاص،[٢٠] وذلك عندما أعلن تحت جدران الإسكندرية لأهالي «رودس» أن الملكية في مصر هي للابن الأكبر من البطالمة، ومهما يكن من أمر فإنه كان لا بد من ذكر هذه المصادر؛ لأنها لازمة لكل نقد سليم، كما إنه لا يمكن الإنسان أن يكتفي بعدم كفايتها؛ إذ من الجائز أنه يستخلص منها الحقيقة.

ويُلحظ أن أولئك الذين وضعوا هذه المتون يبتدئون بالرأي القائل إن «أنتيوكوس» كان يريد أن يستولي على «مصر» ليضمها إلى مملكته؛ إذ إن ذلك في الواقع مشروع وهمي لمن أراد محاولة تنفيذه مع أسرة ملكية لا تزال قوية وتحت رعاية الرومان، والأرجح أن «أنتيوكوس» كان مصممًا أن يجعل «مصر» تحت تصرفه، وأن ينتزع منها المال الوفير، كما كان يرغب في أن يلعب دور الوصي على الملك الشاب، وأن يحكم باسمه، هذا إلى أنه كان يتوق إلى تصفية الموضوعات القضائية التي كانت لا تزال معلقة بين المملكتين، وبخاصة مسألة «سوريا الجوفاء» التي كان يريد أن يقطع فيها برأي فاصل لمصلحة بلاده، ومن المدهش والعجيب معًا أن الملك «بطليموس السادس» قد سهل له بصورة غريبة تنفيذ ما صمم عليه، ولكن على شرط ألا يعزله، وألا يكسر الآلة التي يمكنه أن يستخدمها في قضاء مآربه. هذا، وقد كان عليه أن يفهم — إلى حد ما — أهالي «الإسكندرية» ذلك حتى

---

[١٩] راجع: Macc, 17–29.

[٢٠] راجع: B.L. II, p. 14 note 8.

لا يشك أهلها الذين كانوا متعودين فعلًا في عهد البطالمة السابقين على أن يتدخلوا فيما يعرض للبلاد من أزمات سياسية دون أن ينتظروا مدة طويلة، ومن أجل ذلك كان من فائدة «أنتيوكوس» أن يجعل أهالي «الإسكندرية» يعرفون على وجه السرعة أنه أوقف هرب «بطليموس السادس» الذي جاء عن غير تفكير، وأنه سيعيد للشعب المصري ملكه الشرعي، وقد كان ذلك ما عزم على تنفيذه عندما ذهب إلى «منف»، لا ليستولي على ملك مصر بالطريقة الفرعونية؛ أي: بتتويج نفسه على يد الكهنة؛ ولكن كان غرضه أن يستولي على السلطان بطريقته هو، وهي أن يجعل الكهنة يعترفون به رسميًّا بوصفه حاميًا للمملكة المصرية، على أن يكون ذلك بموافقة «بطليموس السادس» نفسه، وهذا هو رأي المؤرخ «بوشيه لكلرك»، وذلك على الرغم من أنه[٢١] توجد نقود سُكت في مصر وفي «قبرص» باسم «أنتيوكوس الرابع» كما نُصب له كذلك تمثال في «قبرص»، إلا أن ذلك ليس ببرهان ضد نظرية هذا المؤرخ؛ بل يُعد هذا برهانًا على أن ملك «سوريا» الماكر كان يجري وراء خلق موقف مبهم، ويثبت حقه في ممارسة سطلته الملكية، وهذا الموقف المبهم الذي وقفه «أنتيوكوس» هو الذي رفضه المؤرخ «بروفير» بقوله: «إن «أنتيوكوس الرابع» قد عزل ابن أخته من عرش ملكه.» وهذا هو الرأي الصحيح.

وعلى أثر إعلان «أنتيوكوس الرابع أبيفانس» ملكًا على مصر نجده بسوء تصرفه قد غادر مصر في الحال إلى بلاد اليهود لقمع فتنة هناك؛ إذ لو مكث في مصر لأمكنه أن يتمم كل خطته التي رسمها لتثبيت قدمه في مصر، وذلك بمصاحبة «بطليموس السادس» إلى «الإسكندرية». ولكن على الرغم مما قام به من بعض النشاط الذي استطاع عمله، فإن أهالي «الإسكندرية» قد سبقوه بإشعال نار ثورة كانت نتائجها هي التي ستفصل لنا ما حصل عليه هذا العاهل؛ وآية ذلك أن الشعب «الإسكندري» لم يقبل الشروط المخزية التي قبلها مليكهم، ورأوا أن أحسن طريقة هي نقض المعاهدة التي كانت مُبرَمة بين هذين الملكين، وذلك بعدم قبول من وقع عليها ملكًا عليهم؛ ومن ثم أعلنوا سقوط «بطليموس السادس» من عرشه وتنصيب أخيه الصغير «بطليموس» الذي لُقب «إيرجيتيس الثاني»، ومن المحتمل أن الشعب الإسكندري قد شفى غليله بالانتقام من الباعثين الحقيقيين لهذه الأزمة، وأعني بذلك الوصيين السابقين وهما «يولاوس» و«لناوس» اللذين أساءا له النصح، وأوقعا البلاد في هذه الكارثة، ويقول المؤرخ «ديدور»: إنهما عُوقبا في الحال على سوء

[٢١] راجع: B.L. II, p. 16 & note 1.

تصرفهما، وعلى الطيش الذي كان من جرائه إعلان الحرب التي أدت إلى خراب البلاد وهلاكهما.[٢٢] ومن حسن الحظ أن الملك الجديد على الرغم من صغر سنه لم يكن جبانًا أبدًا، وقد اتخذ له وزيرين وهما «كومانوس» Comanos و«سيناس» Cenas، يتصفان باليقظة؛ إذ أسرعا في الحال إلى إعلان الدول العظمى الأجنبية تولي «إيرجيتيس الثاني» عرش الملك، وذلك بدعوة الحلف الآخي والمدن الإغريقية بأن يرسلوا وفودًا لحضور حفل تتويج الملك الجديد.[٢٣] والواقع أن هذين الوزيرين قد اتخذا طريقة سليمة صحيحة، وذلك بأنهما لم يأخذا رأي البلاد الأجنبية التي ربما كانت تتدخل سياسيًّا في الأمر، وفي الوقت نفسه كان إعلان بلوغ الملك سن الرشد الذي كان يُعتبر مقدمة ومعادلًا مؤقتًا لتتويج الملك؛ قد أزال عن هذه الحكومة — التي أُلفت عفو الخاطر — صبغتها الثورية.

ولا نزاع في أن «أنتيوكوس» عندما علم بالأحداث التي وقعت في «الإسكندرية» تملكه الغضب لمدة ما، ولكنه بعد ذلك قد رجع عن آرائه الثائرة في الحال، وأخذ يجد لنفسه حجة شريفة لينقض بها على مصر من جديد، فادعى بأنه سيعلن الحرب على أهالي «الإسكندرية» الثائرين لمصلحة الملك الشرعي الذي خلعوه.

وعلى ذلك أخذ ينشر هذه الشائعة، هذا فضلًا عن أنه قد حرص على أن يجعل كل مدن آسيا ومدن بلاد الإغريق تعرف أنه قد أخذ على عاتقه أن يعيد «بطليموس السادس» إلى عرشه، وذلك بعد أن تعهد بحمايته. ومنذ هذه اللحظة أخذ كل من الفريقين يبحث في أن يجعل الرأي العالمي في جانبه، غير أن كلًّا من الطرفين المتخاصمين كان يخشى تدخل «روما» في هذا النزاع الأسري، ولكن الرومان كانوا في هذه الفترة منهمكين في حرب مع «برسيوس» ملك «مقدونيا» ولا يعنيهم التدخل في هذا النزاع رسميًّا قبل القضاء على عاهل «مقدونيا» عدوهم اللدود، والواقع أن «الرومان» كان من مصلحتهم أن يستمر الشجار بين «سوريا» و«مصر»؛ وذلك لأن هذا كان يضمن لهم عدم وصول أية مساعدة من هذه الناحية لملك «مقدونيا».

وما لدينا من مصادر أصلية لا تشير إلى شيء يُذكر عما دار بين مصر و«سوريا» من أعمال حربية. وحقيقة الأمر أن أهالي «الإسكندرية» الذين قاموا بالثورة لم يكن لديهم جيش، وعلى ذلك لا بد أنهم كانوا قد فكروا في إحراز الانتصار على أعدائهم عن طريق

[٢٢] راجع: Diod., XXX, 15.

[٢٣] راجع: Liv, XLV, II.

البحر، غير أنهم هُزموا أمام «بلوز»؛ حيث ترك الملك «أنتيوكوس» أسطوله هناك أو أمر بإحضاره إلى هذه الجهة. ومن ثم أخذ ملك «سوريا» يزحف من جديد من «منف» إلى الإسكندرية عن طريق فرع النيل الساوي، وفي طريقه قابل طائفة كبيرة من السياسيين أرسلهم وَزِيرَا «إيرجيتيس الثاني»، والظاهر أن الأحداث التي وردت أخبارها من مصر إلى بلاد اليونان قد أخذت تبعث الحركة في هذه البلاد وتخرجها من خمولها، ومن أجل ذلك أجابت على وجه السرعة على نداء وزيري «بطليموس إيرجيتيس الثاني» وما نصح به القواد الرومان الذين كانوا قد أظهروا غيرة كبيرة من أجل السلام؛ إذ في هذه اللحظة أخذ يتدفق على «الإسكندرية» سفراء يحملون التحيات كما وفد متفرجون مكلَّفون بدعوات تجديد المعاهدات، وجميع هؤلاء كان موكلًا إليهم فوق ذلك أن يعملوا جاهدين على إعادة السلام بين الفريقين المتخاصمين، وقد انتهز وزيرَا «إيرجيتيس الثاني» هذه الفرصة وعقدَا مجلسًا مع الملك ورؤساء الأجناد، وقرروا أن يوفدوا كل هؤلاء الرسل الذين جاءوا من أجل السلام ليمثلوا أمام «أنتيوكوس الرابع»، وكان من بينهم الآخيين والأثينيين والميلزيين والكلازوميين، يقودهم مندوبان من قبل الملك «إيرجيتيس الثاني» وهما «بليبوليموس» والخطيب المفوَّه «بطليموس» (ولا بد أن الأخير هو أخو «كومانوس» الذي أُرسل فيما بعد في بعث إلى أوروبا مع «كومانوس» نفسه كما حدثنا بذلك المؤرخ «بوليبيوس»).[٢٤]

وتدل شواهد الأحوال على أن «أنتيوكوس» قد أحسن وفادتهم فأصغى إلى خطبهم الرنانة، ثم تناول الحديث بنفسه بعد ذلك، وشرح موضوع الخلاف بين «مصر» و«سوريا» من أول مسألة «سوريا الجوفاء»، فذكر المعاهدات التي تؤكد ملكية «السليوكيين» لهذا القطر من أول عهد «أنتيوكوس» العظيم، ثم أنكر بوجه خاص الاتفاق الذي ادعاه أهل «الإسكندرية» بين «بطليموس الخامس» و«أنتيوكوس» والده، وهو الاتفاق الذي ينص على أن «سوريا الجوفاء» قد نزل عنها ملك «سوريا» بوصفها مهرًا لـ «كليوباترا» الأولى عند زواجها من «بطليموس الخامس» وهي أم الملك الحالي. وقد شرح «أنتيوكوس» الموضوع أمام المبعوثين بطريقة جعلتهم يعتقدون أن ما أبداه من أسباب تُعتبر في نظرهم قاطعة؛ ومن ثم كسبهم إلى جانبه، وبعد ذلك أعلن أنه مستعد للمفاوضة، وأنه سيطلعهم على كل ما سيحدث في المفاوضات، وفضلًا عن ذلك — لأجل أن يظهر لهم حسن نيته — أرسل

[٢٤] راجع: Polyb., XXXI, 27, 2.

إلى الإسكندرية مبعوثين، وفي أثناء انتظار عودتهما استمر في سيره شطر نقراش (= كوم جعيف) التي كانت تُعتبر وقتئذ من أعرق المدن الإغريقية في مصر، وهناك أمر بتوزيع قطعة نقد من الذهب على كل فرد من سكان هذه المدينة مظهرًا بذلك ميله إلى الحضارة الإغريقية، ومن هذه المدينة تابع سيره نحو «الإسكندرية» وعندما كان على مقربة منها نصب جسرًا طائرًا على فرع النيل الكانوبي عبر به النهر، ومن ثَمَّ قاد جيشه حتى سور المدينة. وقد كان مفهومًا لدى حكومة «إيرجيتيس الثاني» أن المفاوضات مع «أنتيوكوس» لا جدوى منها، وأن الوقت الذي سيُصرف فيها مضيع؛ ومن أجل ذلك أرسل «إيرجيتيس الثاني» بعثًا إلى «روما» متوسلًا لمجلس الشيوخ بأن يتدخل في الأمر، قائلًا إنه ليس هناك قوة يمكنها إيقاف «أنتيوكوس» عند حده غير مجلس الشيوخ، ولكن «روما» كانت بعيدة، هذا فضلًا عن أن مجلس الشيوخ كان وقتئذٍ منصرفًا عن كل مثل هذه المنازعات طالما كانت الحرب بين الرومان وملك مقدونيا مستعرة. وعلى أية حال فإن المبعوثين المصريين لم يستقبلهم مجلس الشيوخ في جلسة علنية إلا في الخامس عشر من شهر مارس من السنة التالية (عام ١٦٧ق.م) ومن المحتمل أنهم لم يكونوا على علمٍ وقتئذٍ بما كان قد حدث في مصر منذ مغادرتهم لها.[٢٥]

وفي خلال تلك الفترة فك «أنتيوكوس» الحصار الذي كان مضروبًا على «الإسكندرية»؛ لأنه على ما يظهر لم يكن لديه من العتاد والعدة ما يكفل استمرار الحصار، وبخاصة عندما وجد أنه لا يمكن تسلق جدرانها، وقد زاد الطين بلة عندما استقبل سفراء «رودس» الذين كانوا قد جاءوا على حسب سياستهم الثابتة وبتشجيع من القنصل «مارسيوس فيليبوس» ليقدموا خدماتهم لأجل إحلال السلام. وقد أحفظه حضور هذا الوفد حتى جعله يخرج عن طوقه، وبخاصة خطبهم التي كانت لا نهاية لها، ولما نفد صبره قاطع أحد خطبائهم قائلًا بأنه لا ضرورة لمثل هذه الخطابات العدة، وأن مملكة مصر هي ملك «بطليموس» بكر أولاد «بطليموس الخامس» وأنه منذ زمن طويل على وفاق معه على أساس المحبة والمهادنة، وإذا كان أهالي «الإسكندرية» يريدون الآن إعادته إلى المدينة فإنه لن يمنعهم من عمل ذلك.[٢٦]

[٢٥] راجع: T. Live, (XLIV 19).

[٢٦] راجع: Polyb., XXVIII, 19.

وانتهى الأمر بإعادة «بطليموس فيلومتور» إلى «منف»، وبعد ذلك ترك «أنتيوكوس» حامية قوية في «بلوز» ليبقى الباب مفتوحًا أمامه، وعاد إلى «سوريا» مع جيشه ظنًّا منه أن الحرب الأهلية بين الأخوين المتخاصمين ستكون كفيلة باستنفاد قوة مصر، ومن ثم يكون معه الحق بسهولة مع الحزب المنتصر.

وتحدثنا المصادر الإغريقية أن «أنتيوكوس» جمع من مصر مبلغ مائة وخمسين «تالنتا» من دماء الأهلين بالسلب والنهب. وقد استعمل منها خمسين تالنتا لضمان رضاء الرومان وجعلهم في جانبه، ووزع المبلغ الباقي على المدن الإغريقية.[٢٧] ولا نزاع في أن ما اتخذه «أنتيوكوس» من احتياطات لَدليل على ما كان يرمي إليه.

أما بطليموس «فيلومتور» الذي كان قد أصغى إلى خطب الرودسيين، وما كانوا يرمون إليه من أغراض شريفة للحصول على السلام بمعاضدة «روما» فقد كان هذا من فائدته؛ يدل على ذلك أنه على أثر سفر خاله «أنتيوكوس» إلى بلاده أخذ يتقرب إلى أخيه بالوعود التي لاقت عنده قبولًا حسنًا للغاية، ولحسن الحظ كانت «كليوباترا» زوج الملك قد عملت كل ما في وسعها لإعادة السلام والتفاهم بين الأخوين، وقد سهل سرعة التفاهم بين الأخوين أن أهالي «الإسكندرية» كانوا قد أخذوا يشعرون بمرارة القحط في البلاد، ومن ثم لم يعارضوا في الوصول إلى تفاهم ينجيهم من الحالة التي أصبحوا فيها من جوع وعوز، ولم يَمْضِ طويل زمن حتى اتفق الأخوان على أن يحكما سويًّا منذ الآن. ويقول «بوليبيوس»: إن الشعب قد اعترف «ببطليموس الصغير» ملكًا[٢٨] على البلاد مع أخيه. وعلى أية حال فإن هذا النظام الجديد في الحكم كان يُشك في استقراره، غير أنه كان في اللحظة كفيلًا بأن يقضي على الصعوبات والعقبات القائمة، وبخاصة الادعاءات التي كان يدعيها «أنتيوكوس الرابع» للتدخل في شئون البلاد من جديد، وعلى هذا الأساس غادر «بطليموس فيلومتور» «منف» قاصدًا «الإسكندرية» وعلى أثر ذلك ساد السلام بالإجماع بين كلا الطرفين.[٢٩] وهذا الاتفاق تم في شتاء عام ١٦٩–١٦٨ق.م.

ومما سبق يُفهم أن «أنتيوكوس» وقع في الفخ الذي نصبه هو؛ إذ إنه لو كان يريد حماية «فيلومتور» وحقوقه في الملك كما ادعى لتقبل هذا الاتفاق الذي قام بين الأخوين،

---

[٢٧] راجع: Polyb., XXVIII, 18.

[٢٨] راجع: Polyb., XXIX, 8.

[٢٩] راجع: Inv. XLV, II.

وهو الاتفاق الذي رد إلى مصر السلام والطمأنينة، ولكن على العكس وجدنا أن الغضب الذي انتابه عندما علم بهذا الاتفاق جعله يخرج عن طوقه دون أن يفكر في معالجة هذا التغير الذي طرأ بشيء من الحكمة والاتزان، فمنذ أن علم بالخبر كشف القناع الذي كان يخفي تحته نواياه تجاه مصر، ومن ثم اتخذ موقفًا عدائيًّا منها؛ فنراه يطلق أسطوله في الحال إلى «قبرص» لغزوها، ولم تلبث الجزيرة أن سلمت له بعد مقاومة ضئيلةٍ على يد الحاكم العسكري المسمى «بطليموس ماكرون».[٣٠]

وفي الوقت نفسه زحف «أنتيوكوس» بنفسه على رأس جيش لغزو مصر، وكان ذلك في أوائل خريف عام ١٦٨ق.م، وعندما سمع «بطليموس فيلومتور» بذلك أرسل رسله لمقابلة أنتيوكوس عند بلدة «رينوكولورا» Rhinocoloura الواقعة عند مشارف حدود مصر على مسيرة ثلاثة أيام من «بلوز»، وقد شكر هؤلاء الرسل «أنتيوكوس» على إعادة «بطليموس فيلومتور» على عرش والده، وطلبوا إليه أن يفهمهم الطريقة التي بها يريد أن يُكافَأ على الخدمات التي قام بها لمليكهم، وذلك بدلًا من أن يفرض عليه شروطه بالقوة. وقد أجاب على ذلك «أنتيوكوس» بوحشية وعنف بأنه لن يعيد أسطوله إلى قواعده كما أنه لن يتقهقر بجيشه إلى الوراء إذا لم تتنزل مصر له عن «قبرص» كلها، وكذلك بلدة «بلوز»، هذا بالإضافة إلى كل الأقاليم المجاورة لمصب فرع «بلوز»، وقد حدد في الوقت نفسه موعدًا لقبول شروطه، فإذا تخطاها «فيلومتور» فإنه يعتبر أن كل شروطه قد رُفِضَت.[٣١]

لم يكن يدور بخلد بلاط «الإسكندرية» أن عبارات الشكر الرسمية التي أرسلها إلى «أنتيوكوس» ستجعله يصمم على التدخل من جديد بأسطورته الشرعية لحمايته عرش مصر، وهي التي — كما يقول — تنطوي على الخير، وأنه لا غرض آخر له من ورائها، وعلى أية حال عمل «بطليموس» كل ما في وسعه لكسب الوقت؛ لأنه كان يعلم أن نجاة مصر لن تتأتى إلا عن طريق التدخل الأجنبي، فنجد أن مَلِكَيْ مصر أرسلا في خلال الشتاء إلى حلف الآخيين يرجوانه مَدَّهُمَا بألف من الجنود المشاة وبمائتين من الفرسان. وعلى الرغم مما بذله كل من «ليكورتاس» و«بوليبيوس» وهما اللذان كانا قد أُرسلا في هذه المأمورية للحلف الآخي للحصول على هذه المساعدة؛ فإن مجلس الحلف قد قرر اقتصار المساعدة على أن يبعث للفريقين المتخاصمين رسلًا للتوفيق بينهما، يُضاف إلى ذلك أنه

---

[٣٠] راجع: II, Macc. 10, 12–18.

[٣١] راجع: II, Macc. Lec. Cit.

من المحتمل أن «تيودوريداس» Theodoridas حاكم «سيسون» Sicyone الذي كان قد أرسل إليه ملكًا مصر في طلب المساعدة قد رفض كذلك تجنيد ألفٍ من الجنود المرتزقين، وكان قد كلف بتجنيدهم لحسابهما، ومن ذلك نرى أنه لم يَبْقَ أمام مصر بعد كل هذه المحاولات إلا الالتجاء إلى الرومان، وقد كان هناك من الأسباب ما يدعو إلى الشك في حسن نواياهم التي كان يستعرضها ممثلوهم في الشرق. وعلى أية حال عاد السفراء المصريون من «آخيا» وهم يحملون إلى «الإسكندرية» أخبارًا مخزية، ولا نزاع في أن ملكي مصر قد رأيا أن الصدمة التي صُدم بها بعثهما لا بد كان سببها بوجه عام المعارضة التي قام بها الحزب الروماني الذي كان يرأسه «كاليارتيداس» Calliartidas في الحلف الآخي، وأن تصويت المجلس الفيديرالي كان قد أملى بوساطة خطاب القنصل «مارسيوس فيليبوس» وهو ذلك الخطاب الذي دعا فيه الآخيين إلى أن ينضموا إلى «روما» من أجل محاولة عمل اتفاق بين هؤلاء الملوك. وحقيقة الأمر أن «مارسيوس فيليبوس» كان يعلم تمام العلم أن هؤلاء المبعوثين لم يفلحوا في التنبؤ بقيام حرب، وقد عادوا إلى «روما» دون أن يقوموا بأي عمل كان،[٣٢] ولا غرابة في ذلك فقد كان «مارسيوس فيليبوس» يعلم بكل دقائق الأحداث السياسية الرومانية التي كانت تجري في الشرق.

وعلى أية حال كان ملكا مصر يأملان أملًا كبيرًا في مساعدة مجلس الشيوخ إن هما طلبا منه ذلك مباشرة، وكان الوفد الذي حمل إلى «روما» أنباء صلحهما معًا قد وجد أن طلبهما قد أجيب،[٣٣] ويرجع السبب في ذلك إلى أن صيحة الحزن والأسى التي انطلقت من أهالي «الإسكندرية» المحاصرين قد جعلت المجلس الأعلى يقرر أن يعمل في صالح السلام. هذا، وقد ظهر السفراء الذين أرسلهم «إيرجيتيس الثاني» و«كليوباترا» أمام مجلس الشيوخ بملابس الحداد وفي أيديهم أغصان الزيتون خاضعين خاشعين، وكانت خطبهم كلها عويل وأنين موضحين بأنه إذا لم يسارع الرومان برفع صوتهم عاليًا في وجه «أنتيوكوس» فإن طرد «بطليموس» و«كليوباترا» من الملك لا بد واقع، وعلى ذلك فإنهما سيأتيان إلى «روما»، وسينال بسبب ذلك الرومان بعض الخزي لعدم القيام بتقديم أي عون في تلك الأزمة المستحكمة الحلقات، وقد قرر مجلس الشيوخ في خلال تلك الجلسة تعيين ثلاثة مبعوثين للذهاب إلى «أنتيوكوس» أولًا ثم إلى «بطليموس» بعد ذلك؛ ليفسروا

[٣٢] راجع: Polyb., XXIX, 9–10.

[٣٣] راجع: Justin, XXXIV, 2, 7–8.

لهما أن الاستمرار في الحرب معناه قطع العلاقات مع الشعب الروماني. وبعد ثلاثة أيام من هذه المقابلة في مجلس الشيوخ سافر البعث الذي عُين مع السفراء المصريين.[٣٤]

والآن يتساءل الإنسان عن سبب المماطلة والتراخي في عدم إنجاز هذه المأمورية التي كانت مُرسَلة على وجه السرعة؟ ذلك أن «بوبيليوس» Popillius الذي كان أحد أعضاء البعث قد مر بـ «كالسيس»، ثم عرج على «ديلوس»، ثم احتُجِز في الجزيرة المقدسة بالطرادات المقدونية، ولم يخرج منها إلا في شهر سبتمبر بعد هزيمة الملك «برسيوس»، وبعد ذلك مكث البعث مدة خمسة أيام في «رودس»، وعلى ذلك لم يصل إلى الإسكندرية إلا بعد سبعة أشهر من مغادرته «روما»، وسبب ذلك يرجع إلى سياسة مجلس شيوخ «روما» الذي كان — كما نعرف — لا يريد أن يرتبط بأية مخاطرة، ولا يصطدم بأي شخص ما دامت الحرب بينه وبين «مقدونيا» قائمة. ومع ذلك فإن «بوبيليوس» الذي كان ينتظر اللحظة المناسبة للقيام بمأموريته لم يصل متأخرًا أكثر مما كان واجبًا، ومن ناحية أخرى يجب الاعتراف بأن «أنتيوكوس» لم يسارع إلى الوصول إلى «الإسكندرية»، فقد غادر «سوريا» في أوائل الربيع، وكان كما نعلم وقتئذ مسيطرًا على «بلوز» (الفرما)، هذا فضلًا عن أنه لم يكن أمامه في أي مكان حشود للتغلب عليها، غير أنه لم يجد وسيلة للوصول إلى مواني «الإسكندرية» قبل حمارة الصيف، وقد رأى أنه من الصواب أن يستولي على بلاد القطر قبل أن يهاجم الملكين في «الإسكندرية».

يُضاف إلى ذلك أن «أنتيوكوس الرابع» كان يعلم ما يدور بخلد الرومان؛ ومن ثم لم يكن يخشى بأسهم ما دامت الحرب مستعرة بينهم وبين ملك «مقدونيا» الذي كان يصد جيوشهم، وينزل بهم الضربات القاسية، هذا فضلًا عن أنه في هذه اللحظة قد استحق بعض احترام الرومان له، بعد أن علموا أنه رفض طلب المقدونيين للتحالف معه على حساب الرومان، وبخاصة عندما نعلم أن عروض تحالف مماثلة كانت قد عُرضت على «إيمونيس» ملك «برجام» مما سبب تزعزع ثقة الرومان في هذا العاهل، ومن أجل ذلك كان لدى «أنتيوكوس» الوقت للذهاب إلى «منف»، وربما كان القصد من ذلك هو التأكد من خضوع المقاطعات العليا لحكمه، بعد ذلك نراه ينحدر ثانية في مراحل صغيرة إلى «الإسكندرية»، وعندما أصبح على مسيرة أربعة أيام منها حيث وصل إلى ضواحي «إليوسيس»، وعندما كان يعبر القناة هناك؛ قابله البعث الروماني، وكان لقاءً عظيمًا

---

[٣٤] راجع: Liv., XLIV., 9.

تبارى المؤرخون القدامى — بصرف النظر عن المؤرخين الأحداث — في تصوير ما حدث فيه. وفي هذه المقابلة نجد أن «بوبيليوس» Popillius قد تحاشى الإجابة على مظاهرات الود والمجاملة التي كان يقدمها له «أنتيوكوس» — وكان يعرفه من قبل في «روما» — وذلك عندما مد هذا السفير يده إليه بعتو وكبرياء مسلمًا إليه رسالة مجلس الشيوخ، وفي هذه اللحظة كان «أنتيوكوس» يحاول أن يتخلص من ذلك، غير أنه لما رأى في نهاية الأمر أنه كان مجبرًا على أن يجيب — قبل أن يفلت من المأزق الذي وُضع فيه — الرومان على الرسالة، قال بصوت متهدج: سأفعل ما يرغب فيه مجلس الشيوخ.[٣٥] وكان ما يرغب فيه مجلس الشيوخ من «أنتيوكوس» هو أن ينسحب من مصر جميعها في الحال على شرط أن يكون خارج حدودها في ميقات معين، وأن يوقع مقدمًا على الترتيبات التي يرى المندوبون الرومان فوق العادة اتخاذها، وعندئذ فهم «أنتيوكوس» أن مصيره قد قُرر في «بيدنا». وقد كانت هذه غلطة «أنتيوكوس»؛ لأنه فاته أن يساعد المقدونيين في الوقت المناسب على الرومان، ومن أجل ذلك لم يَبْقَ أمامه إلا أن يشرب كأس خزيه ويخضع للأمر الواقع. وعلى أثر مغادرة «أنتيوكوس» الديار المصرية ثبت مبعوثو مجلس الشيوخ الاتفاق الذي كان قد أُبرم بين الأخوين ملكي مصر، وكانا قد وقعا الصلح فيما بينهما في نفس الوقت، وبعد ذلك أقلع المبعوثون إلى «قبرص» وطردوا أسطول «أنتيوكوس» الذي كان قد هزم فعلًا السفن المصرية في موقعة هناك. وتُعتبر مقابلة بعث مجلس الشيوخ ب «أنتيوكوس الرابع» بمثابة ناقوس الخطر بالقضاء على دولة السليوكيين.

وقد انتشرت أصداء هذا البعث في كل أنحاء العالم المتمدين، وذلك بسبب أن مصر قد انتُزِعَت من بين براثن «أنتيوكوس»، بعد أن كان قد استولى عليها فعلًا، وقد عادت الآن ثانية ملكًا لسلالة البطالمة.[٣٦] ولسنا في حاجة إلى القول بأن ذيوع هذا الخبر قد زاد في خزي «أنتيوكوس» وإذلاله. ومما زاد في كسر أنف «أنتيوكوس» أن مبعوثي مجلس الشيوخ لم يكن عندهم ثقة بكلامه، ومن أجل ذلك لم يغادروا مصر إلا بعد أن أخرجوه منها ومن «قبرص»، يُضاف إلى ذلك أنه على الرغم مما كان يملأ نفسه من غرور وكبرياء نجده قد أحنى رأسه وأذل نفسه أكثر مما كان يتطلبه مجلس الشيوخ؛ يدل على ذلك أنه عندما تقابل سفراؤه في «روما» مع أولئك السفراء الذين كانوا يحملون شكر البطالمة

[٣٥] راجع: Polyb., XXIX, II; Diod., XXXI, 2. Liv., XLV, 12, Vol. Max, VI, 4–3.

[٣٦] راجع: Liv., XLV, 12.

لمجلس الشيوخ على صنيعهم؛ كلفهم بأن يقولوا بأنه قد أطاع أوامر المبعوثين كأنها أوامر من عند الله، وأنه كذلك كان على استعداد لمساعدة الرومان لإيقاع الهزيمة بـ «برسيوس» إذا كانوا قد رغبوا في ذلك.[٣٧] ومن جهة أخرى نرى كيف كان «بطليموس فيلومتور» يحافظ على كرامته إذا ما قُرن بـ «أنتيوكوس»؛ ولا أدل على ذلك من أن «بوبيليوس» قد طلب إلى «بطليموس» أن يسلم فردًا يُدعى «بولياراتوس» Polyaratos من حزب «برسيوس» — وقد كان الرومان قد طردوه من بلادهم فلجأ إلى مصر — على أن يُرسَل إلى «روما»، فبدلًا من إرساله إلى «روما» فإن أحد أصدقائه الذي يُدعى «ديمتريوس» قاده إلى «رودس»،[٣٨] وفي مقابل ذلك أُفرج عن فرد يُدعى «مينالسيداس» Menalcidas الذي كان سجينًا عند الرومان.

ومما لا شك فيه أن «أنتيوكوس» كان يريد أن يصب جام غضبه على أولئك الذين كانوا قد فرحوا بما لحق به من خزي وعار، والمقصود بذلك هنا هم اليهود، أولئك القوم الذين كان من السهل أن يُتهموا في ولائهم، وقد دفعوا ثمن ما لحق به من عار على يد الرومان؛ فقد خانوه، وانصرفوا عنه في أحرج وقت عندما بدت لهم الفرصة؛ كما هي عادتهم.

[٣٧] راجع: Polyb., XXX, 9.

[٣٨] راجع: Polyb., XXX, II.

حالة البلاد المصرية بعد طرد أنتيوكوس منها والنضال الذي قام بين الأخوين

بعد أن خرجت «روما» منتصرة في الحرب التي نشبت بينها وبين «برسيوس» ملك «مقدونيا» عام ١٧١ق.م وهي التي انتهت بصلح «بيدنا» الذي أطاح بما كان لمقدونيا من سلطان وجاه، أصبحت «روما» صاحبة الجاه والسلطان في كل العالم المتمدين، كما أصبحت الحكم في كل الخصومات التي كانت تظهر بين الدول المتنافسة بوجهٍ عام، ولا أدل على ذلك من أن «أنتيوكوس الرابع» قد خضع لأوامر الجمهورية الرومانية وأعاد للبطالمة بلادهم بعد أن كان قد استولى عليها، غير أن الرومان لم يتركوا البلاد المصرية وشأنها لتحكم نفسها بنفسها؛ بل على العكس رأينا أن مجلس الشيوخ بعد أن انتزع مصر من بين براثن «أنتيوكوس» أخذ يعمل على تقويض العمل الذي أحدثته ثورة «الإسكندرية»، وذلك بأن يعيد للسلطة الملكية وحدتها، وتدل ظواهر الأحوال على أن السياسة الرومانية كانت تمتاز بدورها في تاريخ العالم الذي يتمثل في القول المأثور «فرق تَسُدْ»، ومن ثم كان لزامًا عليها في حالة مصر أن تفيد من الانقسام الذي كان موجودًا، والذي لم تكن في حاجة لإثارته، وعلى ذلك استمر كل من الملكين الأخوين يحكمان البلاد سويًّا، وكان الوئام بينهما سائدًا لدرجة أنه لم يكن للملك إلا لقب واحد رسمي، وكذلك لم يكن هناك إلا ملكة واحدة وهي زوج «بطليموس» الأكبر «فيلومتور».

وفي الحق ليس في استطاعتنا أن نضع فكرة واضحة عن هذه الحكومة التي كان يشترك فيها ملكان، أو — كما شاهدنا على الآثار — كان يحكمها ثلاثة ملوك: رجلان

وامرأة؛ يدل على ذلك نقش بالإغريقية على شرف الملك «بطليموس» أخ الملك «بطليموس» والملكة «كليوباترا» الآلهة المحبين لأمهم.[١]

يُضاف إلى ذلك أن نقود الملكين لا تحمل إلا «بطليموس بازيليكس» في حين أنها تحمل نسرين بدلًا من نسر واحد.[٢]

وقد كانت أول نتيجة لنظام الحكم الجديد أن برزت على مسرح الحكم في البلاد الملكة الوحيدة التي لم تكن فقط ملكة بوصفها زوج ملك؛ بل كانت وصية تحمل نفس اللقب الذي يحمله كل من الملكين، ولا نزاع في أن هذا الحادث كان فتحًا جديدًا للجنس اللطيف في ميدان السياسة البطلمية، وقد عرفت الملكات اللائي جئن بعدها في هذه الأسرة كيف يمكنهن المحافظة على هذه المكانة، ومن الغريب أننا لا نعرف كيف كانت السلطة موزعة بين هذين الملكين، وعلى أية حال لم يكن هناك تقسيم فيما بينهما من حيث أرض الدولة، وهذه طريقة قد أصبح من الضروري تحديدها لأجل عدم الارتباك في الحكم المشترك، وكان الجدال في هذا الموضوع يتجه بصورة خاصة إلى مسألة التأريخ بسني حكم كل من الملكين، وهذا أمر هام عند فحص الآثار، وإن كان لا يهم المؤرخ كثيرًا. وعلى أية حال فإن هذا الموضوع غامض.

ولا نزاع في أن ما كان لا بد من حدوثه في مدة خمس السنوات التي ظل فيها هذان الملكان يحكمان سويًّا قد أمكن التنبؤ به من مجريات الحوادث؛ إذ كانت فترة خمس السنوات هذه تُعتبر فترة استعداد لحروب أهلية شبت بين الأخوين، فقد كان «فيلومتور» في أعماق نفسه ينطوي على بعض الصفات الإنسانية والاستقامة الخلقية، غير أنه في الوقت نفسه كان ينقصه النشاط واستقامة الرأي، أما أخوه «إيرجيتيس الثاني» فقد كان أكثر قوة إرادة وذكاء، ومن جهة أخرى كان منذ صباه ميالًا للرذائل والقسوة، هذا إلى أنه كان طموحًا إلى حد الإفراط، وكانت له كنية يُعرف بها عند الشعب وهي «الشرير»، كما كان ينابذه الشعب «الإسكندري» ب «البطين» (أبو كرش)، وفي هذا منتهى السخرية والاستخفاف والاستهزاء برجل يحكم البلاد.[٣]

---

[١] راجع: Strack n. 86.

[٢] راجع: Svoronos, pp. 234–236.

[٣] راجع: Strab., XVII, p. 795.

ويُلحظ أن ما كان بين هذين الرجلين من تناقض في الأخلاق والطباع كان لا بد أن ينتهي بقيام نزاع مرير بينهما، وفعلًا اشتد الخلاف بين الأخوين، وتحرج الموقف حتى أدى إلى أن طرد «إيرجيتيس الثاني» أخاه «فيلومتور» من «الإسكندرية» بالقوة عام ١٦٤ق.م.[٤] ولا بد أن طرد «فيلومتور» من البلاد كان يُعتبر بمثابة ترويح عن نفوس المصريين؛ وذلك لأن الخلاف الذي كان متوطنًا في البلاط كان قد بدأ يضرب بأعراقه في البلاد، فمنذ عام ١٦٧ أو ١٦٦ق.م ظهر في أفق السياسة المصرية رجل صاحب شخصية ممتازة من أرومة مصرية صميمة يحمل اسمًا مصريًّا وهو «بتوسرابيس» واسمًا آخر إغريقيًّا وهو «ديونيسيوس»، وكان يُنظر إليه بأنه حامي «بطليموس» الصغير من شرور أخيه الكبير، ومن أجل ذلك أشعل نار فتنة كان عليه أن يخمد أوارها بحرب جبارة، وكان «ديونيسيوس» هذا قد نال شهرة عظيمة بما اتصف به من شجاعة نادرة بين مواطنيه، والواقع أنه كان قد فكر في أن يفيد من النزاع الذي كان قائمًا بين الأخوين، وبخاصة لأنه كان يحتقرهما لصغر سنهما وقلة تجاربهما، وكان يعد العدة للتخلص من «بطليموس فيلومتور»، وذلك باستغلال ما كان لأخيه الصغير من شهرة ومحبة لدى الشعب الإسكندري، كما كان يرغب في أن يفيد من «بطليموس إيرجيتيس الثاني» بالالتجاء إلى وطنية الشعب المصري، وبذلك يصل إلى عرش الملك.

وكان أول عمل قام به هو أنه أثار خواطر الشعب «الإسكندري» لدرجة أنه كاد يودي بحياة «فيلومتور»، وكانت نتيجة ذلك أن عرض «فيلومتور» على أخيه الصغير عرش البلاد بمفرده، غير أن «إيرجيتيس» احتج على اتهامه بالاشتراك في التآمر على أخيه، وبعد ذلك تفاهم الملكان، وخرج كل منهما يلبس تاج الملك أمام الشعب؛ ليرى كل الناس أنهما على وفاق تام. وقد كان من جراء ذلك المظهر أن أفل نجم «ديونيسيوس» بعد أن كُشف أمره، غير أنه أخذ من ناحية أخرى يستحث الجنود الوطنيين؛ فحرضهم على الانضمام إلى جانبه، وكان يأمل من وراء القضاء على أسرة البطالمة أن يعود بالحكم إلى يدي مصري، ونراه بعد ذلك قد ارتد بما لديه من جنود إلى «إليوسيس» Eleusis وهناك جمع كل الموالين للثورة، ويبلغ عددهم حوالي أربعة آلاف مقاتل من الخارجين على البطالمة، وعندئذ سار الملك لملاقاة «بتوسرابيس» في ساحة القتال؛ فهزمه وقتل بعض أتباعه، ثم قفى أثر الفارين، وقد أجبر «بتوسرابيس» على أن يعبر النهر عاريًا، ومن ثم

[٤] راجع: Liv., Epit. XLVI.

التجأ إلى بعض المصريين، وهناك أمكنه أن يثير عواطف مواطنيه، وجعلهم يخرجون على الملك، وقد أمكن هذا البطل المصري بما كان يتمتع به من مكانة عظيمة في نفوس المصريين أن يجمع حوله جمعًا غفيرًا من أبناء مصر المتحمسين لوطنهم، وقد وطد الجميع العزم على أن يوثقوا عرى الاتحاد والصبر على النضال[٥] حتى النهاية.

ومما لا شك فيه أن هذا الاتحاد كان طعمًا لهبوب ثورة قومية، وهذا يذكرنا بالحالة التي كانت عليها البلاد في عهدي «بطليموس الرابع»، و«بطليموس الخامس».

عزل بطليموس السادس بعد انتصاره

بعد ذلك نرى «فيلومتور» يزحف على رأس جيش نحو الوجه القبلي لمنازلة الثوار هناك، وقد تمكن من أن يُخضع بسهولة بعض العناصر الثائرة في إقليم «طيبة»، غير أن مدينة «بنابوليس» كانت على ربوة يصعب الوصول إلى مدخلها، وكان قد تحصن فيها فريق نشط من الثوار. ولما علم «فيلومتور» ما كان عليه المصريون من عناد وشدة مقاومة، هذا بالإضافة إلى حصانة المكان الذي لجئوا إليه؛ فإنه نصب حول المدينة حصارًا منظمًا، وبعد مقاومة جبارة تحمل فيها الملك خسائر جسيمة استولى على المدينة في آخر الأمر، وعاقب الثوار الذين استسلموا إليه، ثم ولى وجهه شطر مدينة «الإسكندرية»، غير أن الأمر الذي يدعو إلى الدهشة والعجب هنا هو أن «فيلومتور» لم يتمكن من دخول «الإسكندرية» بجيشه الذي عاد به من الصعيد مظفرًا منتصرًا. وعلى أية حال لا ندري تمامًا في أي الأحوال اضطر هذا الملك إلى الخروج من «الإسكندرية»، غير أنه مما لا شك فيه أن «إيرجيتيس الثاني» كان محبوب الشعب «الإسكندري»، وهو الذي اختاره ملكًا على البلاد من قبل، ومن ثم لا بد أنه قد انتهز الفرصة المواتية لطرد أخيه والاستيلاء على البلاد وحده، وبخاصة أن «فيلومتور» لم يكن محبوبًا من الشعب «الإسكندري»، يُضاف إلى ذلك أنه كان جبانًا رعديدًا؛ فقد شاهدناه يترك — بجبن وخور عزيمة — عرش البلاد أمام ظل من الخطر، كما رأينا أنه قبِلَ أن يصبح تحت حماية ملك «سوريا»، وأنه فضلًا عن ذلك سلمه ملك بلاده، وحاصر معه «الإسكندري»، وقصارى القول: طرد «إيرجيتيس» أخاه «فيلومتور» من الإسكندرية فأصبح شريدًا، وعندئذ لم يَرَ الأخير مخرجًا له إلا الانقلاب إلى «روما»

[٥] راجع: Diod., XXXI, 15a Dindorf.

ليشكو لمجلس شيوخها ما حاق به من غدر وخيانة على يد أخيه، وكانت «روما» وقتئذ ملجأ الملوك المنفيين. ويقص علينا المؤرخ «ديدور» الذي كتب عن هذا العهد، فيحدثنا أن هذا العاهل الطريد جاء إلى «روما»، وأنه عندما كان يقترب من المدينة العظيمة سائرًا على قدميه دون أن يكون في رفقته إلا خصي وثلاثة عبيد، رأى الأمير «ديمتريوس السليوكي» مقبلًا لملاقاته — والأخير هو ابن أخ «أنتيوكوس الرابع» وكان حبيسًا في «روما» بمثابة رهينة — وقدم إلى «بطليموس» ملابس ملكية وتاجًا وجوادًا مسرجًا بسرج فاخر؛ لأجل أن يستطيع دخول «روما» بمظهر أقل حطة مما هو عليه، ولكن «بطليموس» لم يعبأ بمثل هذه المظاهر الرسمية، فقد كان يريد أن يبعث — بالمظهر الذي هو عليه — الشفقة والعطف على حالته، وبذلك يتمكن من قضاء حاجته التي جاء من أجلها، ومن ثم رجا «ديمتريوس» ألا يهتم به، بل طلب إليه أن يبقى في المؤخرة؛ ليترك له المجال لتقديم نفسه بنفسه بالحالة التي تتناسب مع المصيبة التي حلت به.

بطليموس السادس في روما

والواقع أنه عندما وصل «بطليموس» إلى «روما» ذهب توًّا إلى مسكن حقير يملكه فرد يُدعى «ديمتريوس» وهو رسام كان قد عرفه وآواه في «الإسكندرية»، وقد كان من جراء تصنع «بطليموس» المسكنة والظهور بمظهر التواضع أنه غادر «روما» بعد أن حقق ما كانت تصبو إليه نفسه؛ إذ إن مجلس الشيوخ اعتذر إليه عن عدم إرسال حاكم ليكون أمامه لاستقباله، كما اعتذر إليه عن أنه لم يجهز له سكنًا رسميًّا؛ وذلك لأنه لم يعلنه في الوقت المناسب؛ إذ الواقع أن وصول الملك فجأة وخفية كان موضع دهشة كل الدنيا اللهم إلا أولئك الذين كانوا يعلمون بالأمر مثل الأمير السوري «ديمتريوس».

وبعد ذلك سكن «بطليموس» على حساب الحكومة الرومانية، ووكل أمر العناية به إلى ضابط، وبعد ذلك دعاه مجلس الشيوخ إلى جلسة،[٦] وقد قام كل من الطرفين بتمثيل دوره بصورة تامة.

وعلى أية حال فإن كل هذه المجاملات التي تنطوي على اللطف وحسن المعاملة لم تأت بنتيجة مباشرة مرضية من قبل الرومان؛ لأن مجلس الشيوخ لم يكن أبدًا حذرًا في

[٦] راجع: Diod., XXXI, 8, cf Val, Max, V, I.

تعابيره المرضية إلا عندما يكون قد حسب حسابه بأنه لن يتورط في أمر لا يعود عليه بالنفع، ومن المحتمل أن «بطليموس» إذا لم يكن قد انتظر مدة طويلة لحضور جلسة مجلس الشيوخ لضاع عليه الحصول على جواب يحدد مقاصد الحكومة الرومانية معه. وعلى أية حال فإنه لم يُخبر بأن مجلس الشيوخ قد وجد الفرصة الممتازة ليقوم بقسمة السلطة الملكية بينه وبين أخيه؛ بل كذلك لتقسيم البلاد نفسها فيما بينهما، ومن أجل ذلك نصح إليه مجلس الشيوخ — على ما يُظن — أن يذهب إلى قبرص وينتظر هناك مجرى الحوادث. ولا بد أن مجلس الشيوخ قد أرسل معه أو في أعقابه بعثًا للتوفيق بين الأخوين على أن يقوم بمهمته على حسب الأحوال، وهذا ما دعا للقول فيما بعد أن الرومان قد أعادوا الملك المخلوع إلى عرشه.

إعادة بطليموس السادس لعرش الملك

والواقع أن «فيلومتور» قد استدعاه الشعب «الإسكندري» من «قبرص» بعد أن اتضح له بسرعة أن سفر «فيلومتور» قد أرخى العنان لغرائز «إيرجيتيس»، وقد كانت تنطوي نفسه على الشر والانتقام والأخذ بالثأر، وقد حدث ذلك على إثر قتله «تيموتيس»، وهو شخصية معروفة كان قد أرسله من قبل «فيلومتور» في بعثٍ إلى روما عام ١٧١ق.م، وقد كان من جراء ذلك أن نفد صبر «الإسكندريين» وجعلهم يقومون بتشتيت شمل البيت المالك، واستدعاء «بطليموس فيلومتور» من «قبرص»، وهذا ليس بمستغرب على الشعب «الإسكندري»، فقد كان مذاق طعم الثورات لا يفارق أولئك الذين تعودوا عليها، وسكان «الإسكندرية» قد اعتادوا منذ زمن بعيد أن يولوا الملوك ويخلعوهم بإعلان الثورة كلما وجدوا في ذلك صالحهم.

وعلى أثر هذه الثورة تدخل السفيران الرومانيان «كانوليوس» Canulius و«مرسيوس فيليبوس»، ولم يكن القصد من هذا التدخل مساعدة «فيلومتور»، ولكن لأجل منعه من إساءة استعمال انتصاره، وحماية «إيرجيتيس» الذي أثار غضب غمار الشعب عليه، وكذلك ليحفظ له جزءًا من إرث والده، وقد شهد فيما بعد هذان السفيران أمام مجلس الشيوخ وباعتراف «فيلومتور» نفسه أن «إيرجيتيس» مدين لهما بملك «سيريني» بل وبحياته، فقد بلغ كراهية الشعب له وحقده عليه إلى هذا الحد، ولذلك فإنه لما رأى أن

منحه ملك «سيريني»[٧] لم يكن في الحسبان؛ بل كان أمرًا دعا إلى دهشة الرأي العام، فقد قبله بسرور، وعلى ذلك أخذ يتبادل مع أخيه المواثيق على ذلك.[٨] حقًّا كانت بين الأخوين قسمة فيما بينهما (غير أنه لم يكن هناك انفصال، فقد كان ملك «سيريني» لا يزال يحمل لقب «فيلومتور») وعلى أية حال عُقدت بين الأخوين معاهدة بمقتضاها تُعزل «سرنيقا» عن مصر على أن تؤلف مملكة مستقلة يحكمها «إيرجيتيس» عام ١٦٣ق.م. وهكذا نرى أن السياسة الرومانية تحت ستار الصلح والتراضي بين الأخوين قد نقضت العمل العظيم الذي جاهد في إتمامه البطالمة الأول، فقد ضربت بمعولها البناء الذي كانوا قد أقاموه، وكذلك نجد أنها قد ادخرت لنفسها الحق في أن تثير عند الحاجة طمع أحد الأخوين عندما يشعر أنه قد نال نصيبًا أقل من ملك والده.

أما «فيلومتور» فإنه على أثر هذا الانقلاب أظهر حسن النية على الرغم مما حدث؛ إذ قد سارع إلى إعلان عفوه عن أولئك الذين كان لهم ضلع في نفيه، وقد كان هذا الملك يأمل في أن يعيش بعد ذلك بضع سنين في هدوء وسلام، غير أن «إيرجيتيس» لم يَكَدْ يعتلي عرش «سيريني» حتى قام محتجًّا على المعاهدة التي أُبرمت بينه وبين أخيه، وأخذ يشكو مر الشكوى من تصرفات «روما» على أثر الحوادث التي كانت تجري في «سوريا»؛ وذلك أن «أنتيوكوس إبيفانيس» ملك «سوريا» كان قد حضره الموت في عام ١٦٤ق.م بصورة عُللت بأنها انتقام إلهي، وقد ترك بلاد يهودا في يدي «يوداس مكابي»، أما عرشه فقد تولاه من بعده ابنه الصغير «أنتيوكوس الخامس يوباتور»، وفي الواقع كان يوجد مُطالبٌ آخر بعرش السليوكيين وهو «ديمتريوس» الذي كان ينادي منذ ثمانية عشر شهرًا بأحقيته في ملك «سوريا» لأنه ابن «سليوكوس الرابع»، الذي تولى الحكم بعده «أنتيوكوس الرابع» كان بدون حق، وقد جاء الآن ابن الأخير وتولى عرش الملك وهو لا يزال رهينة في روما، ومن ثم احتج «ديمتريوس» لدى مجلس شيوخ «روما» على هذا التصرف. غير أن المجلس الأخير كان يفضل أن يرى على عرش «سوريا» طفلًا على «ديمتريوس» الذي كانت طباعه غير مرضية، ومن أجل ذلك أُرسل بعث إلى الشرق في أوائل عام ١٦٢ق.م برياسة «أوكتافيوس» Octavius مهمته فحص سير الأمور في «مقدونيا»، وكان عليه وهو

[٧] راجع: Live Epit. XLVI.

[٨] راجع: Polyb., XXX, 18.

في طريقه كذلك أن يحسم بعض الخلافات التي كانت بين «جالاتيس» Celates وبين «أريارات» Ariarathe صاحب «كبادوشيا»، وأخيرًا يتمم مأموريته الرئيسية، وذلك بأن يفض بصورة منظمة كل ما كان قد بقي لدى ملك «سوريا» من قوة حربية. وفي أثناء طريق هذا البعث للقيام بهذه المهام كانت شكاوى «بطليموس إيرجيتيس الثاني» قد وصلت إلى «روما»، فأرسل مجلس الشيوخ أمرًا للبعث بالذهاب كذلك إلى «الإسكندرية» لأجل أن يصلح بين الملكين الأخوين بقدر المستطاع، والواقع أن الصيغة التي وُضع فيها أمر مجلس الشيوخ فيما يخص عمل صلح بين الملكين لا يُشتم منها رائحة الرغبة الشديدة في إصلاح ذات البين، ومن أجل ذلك رأى البعث أن يفرض على الملكين المتخاصمين احترام الاتفاقات التي صُودق عليها في العام المنصرم على يد «كانوليوس»، وأنه في ذلك الكفاية. غير أن البعث الروماني لم يستمر في طريقه حتى الإسكندرية؛ لأن رئيسه «أوكتافيوس» قُتل في مدينة «لاؤديسيا» من أعمال «سوريا» بيد رجل يُدعى «لابتين» Laptine، ومن المحتمل أن هذا القاتل كان من الوطنيين الذين أحفظهم قتل الفيلة وحرق السفن الحربية على حسب أمر هؤلاء الرومان الذين جاءوا لتنفيذ ذلك،[٩] وقد اعتُبر هذا التعدي على جلالة الشعب الروماني بمثابة «أعجوبة».

إيرجيتيس الثاني يذهب إلى روما

غير أنه من جهة أخرى لُوحظ أن صبر «بطليموس إيرجيتيس الثاني» كاد ينفد، ومن أجل ذلك غادر «سيريني» وفي حرسه فرد يُدعى «بطليموس سيمبتيسيس» Symptesis، وقصد بشخصه «روما» ليشكو من أنه قد ضحى به من أجل أخيه، وطلب إلى مجلس الشيوخ النظر في إعادة تقسيم ملك مصر، وكان يرغب في أن تُضم إليه «قبرص»، على أنه كان من المعلوم أن مجلس الشيوخ قد سن قانونًا عام ١٦٦ق.م حظر فيه على الملوك المجيء إلى «روما».

غير أن المجلس رأى أنه من الصواب عدم تطبيق هذا القانون على «إيرجيتيس الثاني» الذي كان يُعتبر في حماية الرومان، وبخاصة لأن هذا القانون العام لم يُستخدم إلا مرة واحدة، وهي حالة ملك «برجام». وقد سنحت حينئذ الفرصة للملك «إيرجيتيس الثاني»

[٩] راجع: Polyb., XXXI, 12; 19, 1; XXXII, 7, 2. Appian Syr., 46.

أن يستعرض قضيته بحرية على مجلس الشيوخ، مبينًا أنه كان مُجبَرًا بحكم الضرورة على أن يوقع على القسمة التي أُبرمت عام ١٦٣ق.م، وأنه إذا استولى على «قبرص» بالإضافة إلى «سيريني» يكون نصيبه متكافئًا مع أخيه، ولكن «فيلومتور» كان في تلك الفترة يرقب خطوات أخيه، ومن أجل ذلك أرسل سفراء إلى «روما» على رأسهم «منيللوس» Menyllos للدفاع عن حقه، وقد عاضد «منيللوس» هذا في دفاعه أعضاءُ مجلس الشيوخ الذين كانوا قد حضروا القسمة بين الأخوين، ومن ثم يمكن الاعتقاد بأن مجلس الشيوخ لم يكن في مقدوره إنكار ما قام به هؤلاء المفوضون، غير أن منطق الحكومة الرومانية كان له المكانة الأولى قبل كل اعتبار، وأن تضحية حب الذات كانت أخف شيء يمكن الرومان أن يأتوه من أجل خدمة الوطن، وتفسير ذلك أن مصلحة روما كانت في إضعاف مصر؛ حتى لا تجعلها تستعيد وحدتها التي كانت فيما سبق تُعتبر قوتها.

تدخل الرومان في شئون مصر

ومن أجل ذلك قرر مجلس الشيوخ أن يرسل بعثًا مؤلفًا من عضوين من مجلس الشيوخ وهما «توركاتوس» Torquatos و«ميرولا» Merula ليعيدا السلام بين «بطليموس فيلومتور» و«بطليموس إيرجيتيس الثاني»، على أن تُعطى «قبرص» للأخير، وعلى أن يكون ذلك عن طريقة المحبة ودون أي نزاع أو قتال. والظاهر من الفقرة الأخيرة من تعليمات مجلس الشيوخ أنه كان يقصد من ورائها الطاعة التامة التي يجب على المتخاصمين الخضوع لها، وكانت هذه الفقرة قد وُضعت خوفًا من أن تكون هناك مقاومة من أحد الأخوين.

وعلى أية حال لم يكن «إيرجيتيس الثاني» مقتنعًا بأن أخاه سيذعن بما قرره مجلس الشيوخ؛ ولذلك نجد أنه عندما وصل إلى بلاد الإغريق مع المبعوثين الرومانيين جند معه قوة كبيرةً من الجنود المرتزقين وعلى رأسهم اللص المقدوني «داماسيبوس» Damasippos، ومن هناك مرَّ بـ «رودس» و«بيروس» الرودسية، ثم تقدم في سيره على طول شاطئ «بامفيليا»، وكان مستعدًّا وقتئذ بأن يقذف بجيشه الصغير على «قبرص»، غير أنه عند «سيدي» Sidé لُوحظ أن مفوضي مجلس الشيوخ — اللذين كانا قد تركا «بطليموس» يفعل ما شاء حتى الآن — ذكراه بأنه محظور عليه استعمال القوة، وعلى ذلك قررا أن

يصرف «إيرجيتيس» جنوده المرتزقة، ثم ضربا معه موعدًا عند حدود «سرنيقا» وحدود مصر حيث أخذا على عاتقيهما أن يُحضرا هناك «فيلومتور» ويقومان بعقد جلسة بين الأخوين المتخاصمين، وقد بقي «ميرولا» مع «إيرجيتيس» خوفًا من حدوث مخالفات جديدة، أما «توركاتوس» فقد أبحر إلى «الإسكندرية»، وفي أثناء ذلك كان الملك «إيرجيتيس الثاني» في طريقه إلى «سرنيقا» مارًّا بجزيرة «كريت». هذا، ولم يظن «ميرولا» Merula أن من واجبه منع «إيرجيتيس» من تجنيد ألف جندي آخر من أهالي «كريت»، وقد ادعى الملك أنه يريد أن يؤلف منها حرسًا لنفسه لا جيشًا، وعندما نزل «إيرجيتيس» في «أبيس» التي لا تبعد كثيرًا عن الحدود المصرية انتظر هناك نتيجة المفاوضات التي كان يقوم بها «توركاتوس» في «الإسكندرية» مع «فيلومتور»، ولكن انتظاره قد طال؛ لأن «فيلومتور» لم ير لزامًا عليه أن ينزل عن كل ما تطلبه نزاعات «روما»، فقد عارض كل إلحاحات «توركاتوس» المعسولة، وذلك تارة بالحجج وتارة أخرى بالرفض مما مد في أجل المحادثات طويلًا، ولما نفد صبر «إيرجيتيس» رجا «ميرولا» أن يذهب إلى «الإسكندرية» ليرى فيها سير الأحوال، وفعلًا ذهب «ميرولا» إلى الإسكندرية، ولكنه لم يَعُدْ منها؛ وذلك لأن «فيلومتور» كان حريصًا على النظام الذي وضعه لنفسه تجاه الرومان، فقد طوق جيدهم بالهدايا، يُضاف إلى ذلك أنه أوحى إليهم بأنه سيخضع لأمر مجلس الشيوخ، غير أنه كان يؤجل دائمًا، ومن ثم أبقاهما عنده كما يُقال على الرغم منهما.

وفي أثناء ذلك كان «إيرجيتيس» قد أمضى أربعين يومًا مع جنوده الكريتيين دون عمل على البحر في «سرنيقا».

ثورة سيريني على إيرجيتيس

وفي خلال ذلك طُعن من الخلف طعنة نجلاء جعلته يسقط من عليائه وتُطاح بآماله؛ فقد قامت ثورة في «سيريني» امتدت إلى الأقاليم الأخرى، وعندئذ شعر «سيمبتيسيس» قائده أنه لا حول له ولا قوة لإخضاع مثل هذه الثورة، ومن أجل ذلك رأى أنه من الخير له أن ينضم إلى الثوار، ولا نزاع في أن هذه الثورة كانت هي العقاب الحق لـ «إيرجيتيس» على ما اقترفه من الأعمال الاستبدادية بل الجنونية التي كانت سببًا في إيقاظ عاطفة الأسف والأسى لدى الأهالي على حريتهم التي فقدوها في ظل حكم هذا الطاغية. والواقع أنه خُيل

للملك «إيرجيتيس الثاني» دون أي شك أن وزيرًا من أرومة مصرية يمكنه أن يقوم مقامه أثناء غيابه في رحلته، وأنه لا يمكن أن يُغرى على الاتحاد مع الأهالي في بغضائهم للحكم الأجنبي، ولكن الحوادث قد كذبت ما كان يأمل؛ إذ إنه هو شخصه كان ممقوتًا مكروهًا في «سرنيقا».

وعلى أية حال فإن «إيرجيتيس» على أثر قيام الثورة نسي «قبرص» والاستيلاء عليها، وطار على جناح السرعة لإنقاذ ملكه؛ فزحف بشجاعة مع فرقة جنوده التي كان قد ألفها من بين الكريتيين على «سيريني»، ومنذ المراحل الأولى في زحفه إلى «كاتاباتموس» Katabathmos العظيمة — وهو مكان صعب الوصول إليه — وجد الطريق مغلقة في وجهه بحشود من اللوبيين والسرينيين، ولكنه تخلص بمهارة من هذا المأزق؛ إذ أمر بإنزال نصف جنوده في سفن، فأخذ هؤلاء اللوبيين من الخلف، وذلك أثناء أن كان هو يهاجمهم من الأمام، وبذلك استولى على الممر وعلى القلعة الصغيرة هناك، وفي هذا المكان وجد الماء بكثرة، وأمكنه أن يمد جيشه بالمؤن اللازمة لاختراق الصحراء التي كانت أمامه هناك، وقد أمضى سبعة أيام في قطع هذه المفازة القاحلة تتبعه مراكب أهل «موخيرينوس» Mochyrinos ولكن أهالي «سيريني» من جهتهم كانوا قد وطدوا العزم على الدفاع عن أنفسهم، وعندما اقترب جيش «بطليموس» من المدينة رأى أمامه حشود جيش يبلغ ثمانية آلاف مقاتل من المشاة وخمسمائة من الفرسان، ولقد كان من الطبعي أنه لم يكن لجيشه الصغير قِبَلٌ لمقاومة هذا الجيش العظيم؛ ولذلك كان لزامًا عليه أن يتقهقر، وعلى أية حال كان من حسن حظه أن الجيش السيريني قد حصر همه في الدفاع وحسب. وقد قابل «بطليموس» أثناء تقهقره «ميرولا» قادمًا من «الإسكندرية» ليخبره أن أخاه «فيلومتور» لم يُرِدِ النزول عن شيء، كما لم يرغب في أن يغير أي شيء في معاهدة القسمة التي عُقدت بينهما.[١٠]

وعلى ذلك كان لا بد من بدء موضوع التوفيق بين هذين الأخوين من جديد، ومن ثم أصبحت المعاهدة نفسها لاغية، لا سيما أن أهالي «سيريني» اعترفوا بحكم «فيلومتور» ملكًا عليهم، وكان لا بد من اعتراف «روما» به في هذه الحالة. وعلى أية حال عندما عاد «ميرولا» إلى «روما» أرسل معه «إيرجيتيس» سفيريه «كومانوس» و«بطليموس» وهما أخوان، وكلفهما بأن يضعا أمام مجلس الشيوخ ما وصل إليه أخوه «فيلومتور» من شره

[١٠] راجع: Polyb., XXXI, 27.

وغطرسة. أما «توركاتوس» فقد تبع زميله؛ لأن «فيلومتور» في خلال تلك الفترة كان قد سرحه فعاد بخُفي حنين. هذا، ولم يَفُتْ «فيلومتور» أن يرسل في أعقابه بعثًا لمعارضة ما يطلبه أخوه، ووكل أمر الدفاع عنه إلى «منيلوس» مواطن «ألابندا» وهو السياسي الذي كان مثله فيما سبق أمام مجلس الشيوخ منذ المناقشة الأولى التي أثارتها تظلمات «إيرجيتيس الثاني».

تدخل الرومان بين الأخوين

وقد شعر «فيلومتور» أنه في تلك الفترة كان في موقف لا يُحسد عليه؛ إذ سيكون من الصعب على «روما» أن تغفر له رفضه لطاعتها بصورة علنية تقريبًا، وذلك على الرغم من أن الموضوع قد حُل بإبرام عقد حقيقي تحت أعين «الرومان» بموافقة سفرائها، ومع كل ذلك فإن «فيلومتور» لم يعمل شيئًا غير التمسك برأيه، ولم يعارضه أحد في ذلك لأنه كان حقه، غير أنه لما كان مجلس الشيوخ يريد الآن أن يدخل في عملية جديدة فإنه نصح لسفرائه بأن يحلوا هذا الموضوع حبيًّا؛ أي: عن تراض من الطرفين المتنازعين، وفي خلال الجدال الذي أثير أمام الجمعية التي عُقدت لسماع الوفدين المصريين لم يَغِبْ عن «منيلوس» أن يحبذ حججه قائلًا: إنه على حسب القانون لا يُوجد جواب للخصم يثبت ما يدعيه. والواقع أنه لم يكن في هذه الأيام رجال فتاوى في مجلس الشيوخ، ومن أجل ذلك قرر المجلس أن يتخذ من هذا النزاع مثالًا يُحتذى به، وكان كل من «توركاتوس» و«ميرولا» قد عاضد محامي «إيرجيتيس»، غير أنه في خلال المناقشة أخذ سوء خلقهما الدبلوماسي يلعب دوره، أضف إلى ذلك الانفعال الخفي الذي كان في صدر الجمعية؛ مما أحدث في نهاية الأمر الانفجار الذي كان يتوقعه كل فرد هناك؛ إذ أخذت أصوات رجال مجلس الشيوخ في الجلسة، وعلى أثر ذلك أمر «منيلوس» أن يغادر «روما» في خلال خمسة أيام،[١١] على أن يذهب ليخبر سيده بأن الشعب الروماني لا يعترف به حليفًا.

أما «إيرجيتيس» فأرسل إليه مبعوثًا يعلنه رسميًّا بقرارات مجلس الشيوخ، فسافر كل من «أبوستيوس» Apustius و«لنتولوس» Lentulus في الحال إلى «سيريني» حيث كان «إيرجيتيس» قد وجد وسيلة إلى العودة إلى مقر حكمه، ومن المحتمل أنه قد توصل

[١١] راجع: Polyb., XXXII, 1; Diod., XXXI, 28.

إلى ذلك بإدخال الرعب في قلوب أهالي «سيريني» بإفهامهم أن الرومان قد تدخلوا في الأمر، ويبدو أن ثورة أهالي «سيريني» واستدعاء «إيرجيتيس» إلى ملكه قد وقعا في عام ١٦١ق.م.

عودة إيرجيتيس إلى سيريني بعد الثورة

وعلى أية حال فإن أهالي «سيريني» كان لديهم الوقت الكافي لوزن الأمور والتفكير في مصيرهم، ولا نزاع في أن ما كانت تصبو إليه نفوسهم هو أن يبقوا منفصلين عن مصر، هذا فضلًا عن أن حرمان «إيرجيتيس» من حقه كان يعرضهم إلى حكم مصر من جديد من «الإسكندرية».

والظاهر أن «فيلومتور» لم تروعه هذه الضربة المثيرة التي أنزلها به مجلس الشيوخ كالصاعقة، ولم يحرك لها ساكنًا. وعلى أية حال نجد أن مجلس الشيوخ قد اكتفى بإرسال رجال سياسته لتبليغ إنذاره إلى «فيلومتور»، ولم يرسل معهم أي جنود لتكون تحت إمرة «إيرجيتيس» لتنفيذ رغباته، ولكننا نجد الأخير قد جند على جناح السرعة جيشًا لمحاولة الاستيلاء على «قبرص».[١٢] غير أننا حال نجد من جهة أخرى أن سكان هذه الجزيرة لم يكونوا على استعداد لاستقبال الرجل الذي استبد بالسيرينيين حتى أصبحوا يمقتونه، وعلى ذلك لم يكن «فيلومتور» ليؤخذ على غرة بهجوم من أخيه. يُضاف إلى ذلك أن «إيرجيتيس» الذي كان يستعد للحرب جهارًا لم يكن في الواقع يرتكز إلا على مساعدة الرومان له، تلك المساعدة التي لم تتجاوز حتى الآن إلا مظاهراتٍ دبلوماسية، ولكن مجلس الشيوخ رأى أنه — بعد أن حاول تهديد «فيلومتور» — قد زاد دون شك عن حده في مساندة فريق لم يكن الحق في جانبه فيما ادعاه، ومن أجل ذلك فإن سفراء «روما» بعد أن استقوا معلوماتهم في هذا النزاع من مصادرها الأصلية رأوا أنه لا بد لهم من إيجاد سبب يغطي انسحابهم — الذي كان ضروريًّا — من هذا المأزق، وقد انتهى رأى «إيرجيتيس» باقتناعه بأنه لا جدوى من المجهودات التي يبذلها في هذه المسألة، وعليه إذن أن يبقى هادئًا في عقر داره يترقب الفرصة التي بها يضع يده على «قبرص»، وكان الرومان قد سمحوا له بذلك على أن يتحمل هو كل ما عساه أن يحدث من أضرار من جراء ذلك.

---

[١٢] راجع: Polyb., XXXII, 9.

فترة هدوء في حياة بطليموس السادس

وهكذا نرى بعد كل هذا النضال أن «فيلومتور» أصبح هادئ البال لبضع سنين قام في خلالها بعمل كل ما في وسعه؛ ليكون محبوبًا عند الكهنة والأجناد؛ وذلك بطوافه مع الملكة «كليوباترا» زوجه لزيارة المعابد، وإغداق الهبات العظيمة عليها، كما طاف على حاميات الوجه القبلي وتفقد أحوالها، يُضاف إلى ذلك أنه زاد عدد رجال الدين الذين كانوا مخصصين لعبادة الأسرة في مدينة «بطوليمايس» من ثلاثة إلى تسعة[١٣] بين عامي ١٥٩ و١٥١ق.م.

وأخيرًا نعلم أنه في عهد «بطليموس السادس» عادت حالة التفاهم والمهادنة مع اليهود، وقد تحدثنا عن ذلك في الجزء الرابع عشر من هذه الموسوعة ... إلخ.

وعلى أية حال لم يكن السلام الذي كان يتمتع به «فيلومتور» في هذه الفترة إلا برقًا خلبًا وترابًا تحته وميض نار، فكان مثله كمثل الواقف على بركان يكاد ينفجر في أية لحظة، وذلك بالنسبة للسياسة الرومانية التي لم تكن قد نزلت قط عن رأيها رسميًّا في عدم أحقية «إيرجيتيس» في «قبرص». وقد كان الأخير يترقب الوثوب عليها عندما تسنح الفرصة.

محاولة «ديمتريوس سوتر الأول» ملك «سوريا» الانقضاض على «قبرص»

غير أنه من سوء حظه ظهر منافس آخر، وبعبارة أدق: لص آخر يريد الاستيلاء عليها، وأعني بهذا اللص ملك سوريا الجديد «ديمتريوس سوتر الأول»، فقد كان بدوره يعد جزيرة «قبرص» بمثابة إقليم في استطاعته الاستيلاء عليه. ولقد أفلح «ديمتريوس» هذا في إغراء حاكم هذه الجزيرة، ويُدعى «أرخياس» Archias ليسهل له أمر الاستيلاء عليها، ووعده مكافأة على ذلك بمبلغ خمسين تالنتا وبأمجاد في بلاطه، وفي اللحظة التي كانت ستتم فيها المؤامرة كُشف أمر الخيانة لبلاط «الإسكندرية»، وعندما علم «أرخياس» بافتضاح مؤامرته شنق نفسه تخلصًا مما عسى أن يلقاه من تنكيل وتعذيب (عام ١٥٥ق.م).

---

[١٣] راجع: Beurlier De Divin honor., p. 66, Grenfell, Gr. Papyr. I, n. 25, II, nn 15 & 20.

ومن المحتمل أن الخائن «أرخياس» هذا هو نفس الشخص الذي صاحب الملك «بطليموس السادس» في رحلته إلى «روما» عام ١٦٤ق.م. وعلى أية حال فلا بد أن هذا الحادث قد فتح عيني «بطليموس» وجعله أكثر يقظة، ولذلك أخذ يعمل على حراسة «قبرص» باهتمام أكثر من ذي قبل، وكان «إيرجيتيس» قد بدأ منذ هذه اللحظة يفهم أن آماله في الاستيلاء على هذه الجزيرة قد تمتد إلى ما لا نهاية.

ادعاء إيرجيتيس الثاني محاولة قتله

ولا نزاع في أن هذه المحاولة من جانب «ديمتريوس» قد أثارت ما في صدره من شرور وأحقاد، وأخذ يبحث عن طريقة أخرى يمكنه بها أن يجعل أنظار «روما» تتجه إلى شخصه ومصالحه. غير أن الطريقة التي دبرها كانت من نسج الخيال؛ فقد علم ذات يوم في «روما» أن «بطليموس الصغير» قد أفلت من الموت الذي كان قد دبره له أخوه بنصب أحبولة للقضاء عليه. والواقع أننا لا نعلم على وجه التأكيد إذا كانت هذه الأحبولة كلها من صنع «فيلومتور» أو أن «إيرجيتيس» أراد أن يفيد من حادث جاء عفو الخاطر، ورغب بعد ذلك في أن يلصقه بأخيه. وعلى أثر ذلك سارع «إيرجيتيس» في الذهاب إلى «روما» ليطلع مجلس الشيوخ على الجروح التي أصابته، وكان برفقته محامياه، وهما «نولايداس» Neolaidas و«أندروماكوس» Andromachos بغية اتهام «فيلومتور» بالشروع في قتله، وعندما سمع مجلس الشيوخ بهذا الحادث فرح فرحًا شديدًا؛ إذ أصبح في استطاعته أن ينشر إجرام «فيلومتور» علنًا بوصفه سفاحًا حاول قتل أخيه. ولا غرابة في ذلك؛ فإن مجلس الشيوخ هذا كان يسعى منذ سنين مضت إلى وضع يده على أية غلطة تدين هذا العاهل، وتجعل الرأي العام العالمي يثور عليه. هذا، ولم يسأل «بطليموس إيرجيتيس الثاني» كيف عرف أن أخاه هو المحرض على ارتكاب هذه الجريمة النكراء؛ بل اعتبرت جراحه البراهين التي لا يتطرق إليها الشك من حيث خيانة أخيه وغدره. وعلى أثر ذلك أمر مجلس الشيوخ سفراء «فيلومتور» بمغادرة «روما» في الحال، أما «إيرجيتيس» فإنه عاد إلى «سيريني» وفي ركابه خمسة سفراء، نخص بالذكر منهم «ميرولا» و«مينيسيوس ترموس» Minicuis Thermus، وكان هؤلاء المبعوثون من قبل

مجلس الشيوخ مكلفين رسميًّا بتتويج «إيرجيتيس الثاني» على عرش «قبرص» وفي الوقت نفسه أُعطيت السلطة لحلفاء «الرومان» سواء أكانوا إغريقًا أم أسيويين بمد يد المساعدة القوية لتنفيذ أوامر مجلس الشيوخ. وقد أُرسلت لهؤلاء الحلفاء رسائل تؤكد هذه الأوامر [١٤] (عام ١٥٤ق.م).

ولكن دلت شواهد الأحوال على أن «إيرجيتيس» في هذه المرة قد وصل إلى نهايته؛ إذ الواقع أن «الرومان» كانوا قد غالوا هذه المرة كثيرًا في مساعدته حتى أصبح من العسير عليهم التراجع فيما قرروه، وفي الوقت نفسه كان «إيرجيتيس» يعيش على ما للرومان من سلطان في الشرق؛ غير أن «الرومان» كانوا أحيانًا يبيعون عزة نفوسهم بثمن بخسٍ، فكانوا لا يترددون أبدًا في ذلك عندما تكون مصلحتهم في كفة القدر، ومع ذلك فإن «إيرجيتيس» قد سولت له نفسه أن ينساق أمام وهم كاذب اشترك فيه، وعاضده «الرومان» حماته. وقد دلت الأحوال على أن مجلس الشيوخ قد أساء معرفة كنه أخلاق «فيلومتور»، عندما تذكر تمامًا أنه قد رؤي في «روما» في حالة خضوع وذلة تدعو إلى الأسى والحزن. وعلى أية حال فإن الرومان كانوا ينظرون إلى البطلمي على أنه سكير وجبان، ولكن «فيلومتور» الذي لم تجد معه المقاومة السلمية حتى الآن استمر على رأيه في عدم التسليم لمطالب الرومان، ومن ثم فإن المبعوثين الرومان — الذين لم يمكن تتبع أثرهم — لم يكن في استطاعتهم زحزحة «إيرجيتيس» عن موقفه الصحيح، كما لم يمكنهم غل يديه عن تحصين «قبرص» حتى تصبح قادرة على الدفاع عن نفسها. وقد أصبح الموقف أكثر حرجًا عندما علم أن حلفاء «روما» الذين كُتب إليهم لمساعدة «إيرجيتيس» لم يروا من المستحسن أن يظهروا غيرتهم لهذه المشكلة أكثر من الرومان أنفسهم، فنراهم يتظاهرون بأنهم لم يفهموا أن إعطاءهم حق التدخل في موضوع «قبرص» إن هو إلا مجرد دعوة دُعوا إليها وحسب، يُضاف إلى ذلك أنه كان لديهم سبب يدعوهم إلى إساءة الظن بتلك الدعوة؛ وذلك لأن اللغة التي صِيغت بها الرسائل التي أُرسلت إليهم كانت خارقة للمعتاد لدرجة أنهم شكوا في أن الدعوة كانت جد خطيرة.

[١٤] راجع: Polyb., XXXIII, 5.

الصلح بين الأخوين

وهكذا وجد «إيرجيتيس» نفسه قد أصبح وليس لديه سند يعتمد عليه إلا ما لديه من قوة حربية وعتاد؛ يُضاف إلى ذلك أن ولاء سكان «قبرص» للملك «فيلومتور» قد جعل مشروعه في غزو هذه الجزيرة أمرًا مستحيلًا، ومن ثم نجده قد حوصر في مدينة «لابتوس» Lapethos ووقع في قبضة أخيه. ومن الغريب أن موقف «فيلومتور» من الاتهامات التي اتهمه بها أخوه قد أتت بنتيجة على عكس ما كان منتظرًا؛ فبدلًا من معاملته معاملة الثائر الذي قبض عليه شاهرًا سلاحه ويستحق بذلك القتل فإنه عرض عليه أن ينسى الماضي، ويعقد معه أواصر التحالف والإخاء من جديد، وألا ينقض أبدًا ما بينهما من روابط دم ومودة.

وكان من نتائج هذا الصلح أن أخاه لم يقف عند ترك «سيريني» له؛ بل عرض عليه كذلك الزواج من ابنته،[١٥] كما وعده بأن يقدم له دخلًا سنويًّا من القمح بمثابة مهر الأميرة الصغيرة.

تسامح بطليموس السادس والإشادة بحسن أخلاقه

وهذا التسامح الكريم من جانب «فيلومتور» لم يأت عفو الخاطر؛ بل لا بد أن الخوف من «روما» كان له دخل فيه. وعلى أية حال لا بد من الاعتراف بما كانت تنطوي عليه نفس «فيلومتور» من طيبة طبيعية، هذا بالإضافة إلى روابط الدم التي كانت تربط الواحد منهما بالآخر. وعلى ذلك لا يتردد الإنسان في الاعتراف بأن «فيلومتور» كان رجلًا تقيًّا، كما كان من أرق الشخصيات الملكية في التاريخ البطلمي، ومن أجل ذلك قدم له رفاقه في السلاح — وهؤلاء هم الذين حاربوا جنبًا لجنب معه في قبرص، واشتركوا معه في تنفيذ أعماله الجليلة — إكليلًا من الذهب في معبد «ديلوس»، كما قدموا له بهذه المناسبة شكرهم على حسناته لهم ولأوطانهم، وقد أُعْجِبُوا بوجه خاص بطيبته وسمو نفسه التي ساعدت على قيام المحبة والسلام في البلاد. هذا، بالإضافة إلى سعيه جهد الطاقة وراء الوصول إلى أن يكون على وفاق مع الرومان.[١٦]

---

[١٥] راجع: Polyb., XLII, 2; Diod., XXXI, 33.

[١٦] راجع: B C H XIII (1889), p. 230–232.

وعلى أية حال لم يتم مشروع الزواج الذي كان قد عرضه على أخيه من ابنته، والسبب في ذلك لا يزال مجهولًا لدينا. أما «إيرجيتيس» فإنه قد لازم الصمت منذ ذلك الحين.

وكان لديه من الوقت ما يسمح له بالقيام بدور الأمير الطيب في «سيريني»، وكذلك القيام بمهام خاصة يرقى بها ببلاده مثل القيام بدور كهانة «أبوللون» السنوية مما هيأ له الفرصة ليقدم الهدايا لأسلافه.[١٧]

هذا، ولا يبعد أن مبعوثي الرومان قد ساعدوا — وهم في حالة ضعف — على هزيمة من كان في حمايتهم وإخضاعه، ومما لا ريب فيه أنهم عند عودتهم إلى «روما» عام ١٥٤ق.م أو السنة تلت ذلك لم يعزوا عدم تنفيذ رسالتهم إلا إلى «فيلومتور»، وقدموا في الوقت نفسه مجموعة شكاوى جديدة تدين هذا الملك الجامح، غير أن «كاتو» المسن الذي كان يشغل وظيفة مراقب أهاجته هذه الدسائس المريبة، ومن ثم أخذ يدافع عن «فيلومتور»؛ فوصفه ملكًا ممتازًا ومحسنًا كريمًا، ثم أخذ يكشف عن دهاء «إيرجيتيس» وشرهه، وبعد ذلك أمر بعمل تحقيق مع «ترموس» نفسه أدى إلى إدانته، ووُصف بأنه غير موال لمجلس الشيوخ.[١٨] وقد كان أكثر غضبه — من الأمور المتعلقة بمصر — هو أنها حولت الأنظار عن «قرطاجنة».

وكان «كاتو» يسره أن يحول أنظار السفراء والجمعيات والبحوث التي كانت تجري آنذاك؛ لتكون بمثابة مقدمة لتنفيذ الأعمال الحربية التي كان يرمي إليها في أفريقيا. وتدل الظواهر على أن تدخل «كاتو» مضافًا إلى ذلك الاستعدادات الخاصة بالحرب التأديبية الثالثة — بصرف النظر عن ظهور علامات تدل على قطع العلاقات قريبًا بين «روما» والحلف الآخي؛ لم تساعد على خلاص «فيلومتور» من هم كان يشل مبادرته بالقيام بأي مشروع منذ خمسة عشر عامًا، والسبب في ذلك واضح جلي؛ ذلك أنه ما دام «الرومان» لم يقضوا قضاء مبرمًا على «قرطاجنة» فإنه كان لديه الفرصة في أن يكون حر اليدين، ومن أجل ذلك كان في مقدوره أن يتناول من جديد الأعمال السلمية في داخل البلاد كما سنرى بعد، أما في خارج مصر فإنه كان يهتم بوجه خاص بالأرخبيل اليوناني وبالأحوال الجارية هناك. والمظنون أنه قد تعرف الباحثون على صورة للملك «فيلومتور» في تمثال عليه نقش

[١٧] راجع: Athon XII, p. 549 e–f, 550.

[١٨] راجع: B. L II, p. 45.

مصري يمكن أن يكون الملك قد أعطاه «إزيس» في «ميتانا».[19] هذا، ونعلم أن إيطاليِّي «كريت» عندما هاجمهم «البراسيين» Parassens دعوا «فيلومتور» للأخذ بناصرهم،[20] وكان الكريتيون يفهمون دون شك أن «فيلومتور» من بين الملوك الذين يمكنهم أن يتحدوا مع الآخيين على الرومان.

وأخيرًا نجد «فيلومتور» يحول أنظاره تجاه «سوريا»، حيث كانت الأحوال مُهَيَّأَة للبطالمة ليكون لهم أمل في الأخذ بالثأر لأنفسهم بسبب ما حلَّ بهم من غم ومصائب في الماضي.

[19] راجع: Ein Portrât des Ptolemaeus VI Philometor in Athen, Mittheil. X (1885), p. 212–222.

[20] راجع: CIG., II Add., 2561 b.

الحرب السورية السابعة

(١) حالة «سوريا» قبل الحرب السابقة مع «مصر»

رأينا فيما سبق أن «بطليموس فيلومتور» كان منتصرًا على أخيه في النضال الذي قام بينهما، وقد أراد أن يفيد من هذا النصر باسترداد «سوريا الجوفاء»، وكانت الأحوال السياسية في العالم المتمدين وقتئذ مُهَيَّأَة له لنيل أمنيته؛ فقد كانت قوة الإمبراطورية السليوكية وقتئذ آخذة في التدهور والانحدار الشديد، ويرجع السبب في ذلك إلى أمرين هامين: الأول: ما كان يجري في داخلها من خلافات شديدة مما أدى إلى وقوع انشقاق على تولية العرش، والأمر الثاني: هو أنه منذ أن هزم الرومان السليوكيين أصبح مجلس الشيوخ الروماني يراقبهم عن كثب هم وحلفاءهم، ويدسون لهم الدسائس كلما رأوا أنهم أخذوا يفيقون من هزيمتهم.

وقد قامت الخلافات الداخلية في أسرة السليوكيين على تولي العرش الذي كان وراثيًّا.

تدخل الرومان في شئون السليوكيين

ولم نلبث أن رأينا الرومان يمدون أصابعهم إلى خرق هذا النظام الوراثي، وذلك أن «أنتيوكوس الرابع إبيفانس» قد خلف أخاه «سليوكوس الرابع» خارقًا بذلك قانون الوراثة الذي كان يعطي حق العرش لابن أخيه «ديمتريوس» الذي كان قد حل محله في «روما»

بمثابة رهينة. هذا، وكان «إبيفانس» بدوره قد ورث العرش لابنه «أنتيوكوس الخامس» الذي لُقب «يوباتور» Eupator وذلك في عام ١٦٤ق.م. غير أن «ديمتريوس» فر من إيطاليا، واستولى لنفسه على عرش الملك بعد أن قتل الوارث الصغير المغتصب للعرش، وذلك في عام ١٦٢ق.م. والظاهر أن هرب هذا الأمير لم يكن مثار غضب أو حنق من قبل مجلس الشيوخ الروماني؛ بل ربما كان عن رضًى منه، ولقد كان من جراء هذا العمل الذي قام به «ديمتريوس» الذي لُقب «سوتر الأول» أن قام لمناهضته حزب كان يترقب اللحظة التي يمكنه فيها القضاء عليه بمساعدة الملوك المجاورين له، وهم الذين كان يهمهم الإسراع في تشتيت شمل الإمبراطورية السليوكية؛ هذا بالإضافة إلى أن «روما» كانت مشتركة سرًّا في هذه الحركة، وذلك بتغاضيها عما عساه أن يحدث لقلب حكومة «ديمتريوس»، وقد عجل القضاء على هذا العاهل ما كان يتصف به من كبرياء وغطرسة؛ مما أدى إلى كرهه وشجع المتآمرين عليه. والعقبة التي كانت تقوم في وجه مناهضيه هي من سيرث العرش بعد القضاء عليه؟ غير أن «ديمتريوس» كان قد فطن لذلك فقضى بحد السيف على كل نسل الأسرة المناهض له، على أنه لما أعوز مناهضوه وجود وارثٍ حقيقي للملك وُجد مُدَّعٍ ليتولى العرش، وأخذ على نفسه القيام بتمثيل هذا الدور.

الإسكندر بالاس وعرش سوريا

وآية ذلك أن الملك «أتالوس الثاني» ملك «برجام» الذي كان يعلم فيما مضى ما قام به «أنتيوكوس إبيفانس» من اغتصاب العرش؛ قد كشف في «أزميرنا» أو «رودس» عن وجود شاب في مقتبل العمر يُدعى «بالاس» Balas. وقد ادعى «بالاس» هذا أنه ابن «أنتيوكوس إبيفانس»، ومن المحتمل أنه كان ابنه من إحدى حظياته.

هذا، وقد أمر بإحضاره إلى «برجام» واعترف به ملكًا على «سوريا» باسم «الإسكندر»، وبعد ذلك ألقى بخبر هذه الشعلة التي أوقدت نار الشقاق فوق حدود «كليكيا» عام ١٥٤ق.م، وعلى ذلك بدأت الثورة المنتَظرة في الحال، فقاد المدعي لعرش «سوريا» سياسيٌّ قديم يُدعى «هيراكليدس» — وكان على استعداد لذلك — إلى روما، وعاد منها بعد أن اعترف به ملكًا على الإمبراطورية السليوكية من مجلس الشيوخ عام ١٥٢ق.م.

مساعدة بطليموس السادس للإسكندر بالاس

ولم يكن ينقص هذا المدعي الجديد إلا جيش لتثبيت عرشه، وقد لبى هذا الطلب «بطليموس فيلومتور»؛ فجهزه بجيش كامل العدة، ولا غرابة في ذلك؛ فإن مصر قد انتهزت هذه الفرصة لتنتقم لنفسها مما حاق بها من خزي وعار من جراء «سوريا الجوفاء»، على أن مصر من جهة أخرى كانت تقوم بذلك وهي آمنة مطمئنة من ناحية إغضاب «روما»، والواقع أن «بطليموس فيلومتور» لم يَنْسَ لـ «ديمتريوس» الطريقة التي كانت تدل على عدم الوفاء عندما حاول الاستيلاء على «قبرص» منه بالقوة. ومن الجائز كذلك أنه لم يَنْسَ ما دار بينهما من حديث في «روما» سابقًا، وكيف أنه احتقره هناك وهو في حالة بؤس لا تليق بملك، وأفهم «فيلومتور» على أية حال أن الفرصة كانت مواتية في هذه اللحظة للاستيلاء من جديد على «سوريا الجوفاء».

والظاهر أن «فيلومتور» لم يشترك في الحملة التي قام بها «بالاس» هذا والتي خُتمت بهزيمة «ديمتريوس سوتر الأول» وموته عام (١٥٢–١٥٠ق.م). وحقيقة الأمر أن «بطليموس فيلومتور» كان قد وكل قيادة جيشه لصديقه «جالائستيس» Galaestes «الآتاماني»، أما «بالاس» فكان على رأس فصيلة من الجنود المصريين وصل بها إلى شاطئ «فنيقيا»، ولم يَمْضِ طويل زمن حتى فتحت حامية «بطليمايس» أبوابها له.[١] ومنذ هذه اللحظة أمكن التنبؤ بنتائج هذه الحملة؛ إذ إن أعداء «ديمتريوس» كانوا يرتكنون على عدم محبة الشعب لملكهم، وأن عواطف الشعب لم تكن معه، هذا إلى أنه لم يكن في مقدوره كسب محبة جنوده، وأخيرًا لم يكن الملك مسيطرًا حتى على عاصمة مملكته التي قامت بثورة عاتية عليه، ومع كل ذلك فإنه وطد العزم على الدفاع عن نفسه، وذلك على الرغم من أنه كان يشعر بسوء المنقلب، ولا أدل على ذلك من اهتمامه بوضع ولديه في مكان بعيد عن الخطر وهو بلدة «كنيد» Cnide وعلى أية حال فإن إحساسه بالخطر لم ينتزع شيئًا من نشاطه، وفعلًا كسب الجولة الأولى في أول لقاء مع العدو لدرجة أن انتصاره كاد يكون كارثة لقرنه، ولكن لم يلبث الملوك الذين كانوا يحاربون في صف «الإسكندر بالاس»، أن رقعوا الصدوع والثغرات التي حدثت في صفوف الجيش، وإنْ هي إلا هنيهة قصيرة حتى أخذ جنود «ديمتريوس» يفرون إلى جيش العدو بكثرة، يُضاف إلى ذلك أن

[١] راجع: Joseph A. Jud. XIII, 2, I. I Macc, 10.

اليهود الذين كانوا منذ عهد «إبيفانس» يحاربون في صف ملوك «سوريا» قد انضموا إلى جانب المدعي الجديد للملك.

وانتهت المعركة بهزيمة «ديمتريوس» ووقوعه صريعًا في ساحة القتال بعد أن قام بأعمال بطولة خارقة لحد المألوف،[٢] وعلى أية حال ترك هذا البطل أمر الانتقام له لأولاده، وكان لا يشك في أن «بطليموس فيلومتور» سيساعدهما على هذا الانتقام.

زواج بالاس من كليوباترا ابنة فيلومتور

ولسنا في حاجة إلى القول بأن «الإسكندر الأول بالاس» كان يعرف تمام المعرفة لمن هو مَدين بتاجه، ومن أجل ذلك رأى أنه من حسن اللياقة والمهارة، وفوق كل ذلك من السياسة الحاذقة أن يطلب إلى «فيلومتور» يد ابنته «كليوباترا» (تيا)، ولا نعجب إذا كان «بطليموس فيلومتور» يرغب في الوقت نفسه بل اقترح هذا التحالف الأسري بينه وبين «الإسكندر»، ومع ذلك يظهر أنه كانت توجد أسباب كثيرة تحمل على الظن أن «بطليموس فيلومتور» قد أتم هذا الزواج على الرغم منه بعض الشيء، حقًّا لم يعد «فيلومتور» يأمل في زواج ابنته هذه من أخيه «إيرجيتيس»، بل ربما كان لا يرغب هو حتى في هذا الزواج، غير أن الأمر الذي كان يقلق باله هو أنه كان يشك في أن «الإسكندر» هذا لم يكن من دم «سليوكي»، وإن كان هو قد عامله على هذا الأساس للوصول إلى غرضه.

موقف بطليموس السادس من الحروب التي قامت على بالاس

وحقيقة الأمر أن غرضه الأصلي كان أن يأخذ منه «سوريا الجوفاء» بعد نصره بمثابة مكافأة على مساعدته له، ولكنه رأى بعد أن تم زواج «الإسكندر» من ابنته أنه قد أصبح من الصعب أن ينتزع «سوريا الجوفاء» من زوج ابنته، ولهذا فإن سلوك «بطليموس» فيما بعد يفسر لنا بطريقة أوضح كيف أن هذا التحالف الوثيق مع «الإسكندر بالاس» لا يمكن أن يمرَّ دون أن يحدث بعض ارتباكات في مشروعاته الاستعمارية.

تم الزواج في مدينة «بطليمايس» بين الإسكندر «بالاس» و«كليوباترا» (تيا) ابنة «فيلومتور» حيث جاء الأخير بنفسه مع ابنته، وقد تسلمت هذه الأميرة — بمثابة مهر —

[٢] راجع: Justin, XXXV, 1–2, Macc, 10, 49–5, Joseph A, Jud., XIII. 2, 4.

مبلغًا ضخمًا من الذهب والفضة يليق بابنة ملك، يُضاف إلى ذلك أن الأمير اليهودي «جوناتان» قدم هدية لها، ولكنه تسلم ثمنها في الحال؛ وذلك لأنه أتى بهذه الهدية ليطلب إلى هذا العاهل منحه استقلال بلاده استقلالًا تامًّا، وقد حصل على ذلك فعلًا.[٣]

وعلى أية حال لم يبق «الإسكندر بالاس» ثابتًا على عرش ملك السليوكيين طويلا؛ إذ على أثر عودته من ميدان القتال بدأت بوادر سقوطه تظهر بما قام في البلاد من حروب داخلية، وذلك أن هذا المحدث الغر لم يَكَدْ يستقر به الملك حتى أخذ يلهو ويلعب، ويقيم الولائم، ويقضي وقته بين الحظيات من جهة وبين الفلاسفة الأدعياء والأساتذة أصحاب الأخلاق السهلة المنحلة، وترك مقاليد أمور الدولة في يد «أمونيوس» Ammonios يتصرف فيها كيف شاء، ومن ثم بدأ الشعب يُظهر له العداوة والبغضاء والاحتقار أكثر من سلفه، وعلى ذلك فإن ما كان يُنتظر قد حدث؛ إذ بدأ رد الفعل الناتج عن سوء سلوكه يحيي الآمال في نفس «ديمتريوس الثاني نيكاتور» بن «ديمتريوس سوتر»، فنجده قد نزل فعلًا في بلاد «كليكيا» بجيش صغير من الجنود الكريتيين المرتزقين (عام ١٤٨ق.م) وفي تلك الأثناء كان «بطليموس فيلومتور» يرقب سير الأمور في مملكة زوج ابنته «كليوباترا» (تيا)، وعندما تأكد أن المدعي الجديد أخذت كفته ترجح، وأن الأمل في انتصاره قد أصبح قاب قوسين أو أدنى؛ تدخل في الأمور، ووضع نفسه موضع الحكم في الموقف الذي نشأ جديدًا، ورأى أنه في قدرته أن يصحح الأوضاع كما يشاء على حسب المعاهدات السابقة، ومن أجل ذلك زحف بجيش وأسطول على ساحل بلاد «فنيقيا»، وكان الشعب يقابله في كل مكان بمظاهر الفرح والترحاب، وقد أخفى «فيلومتور» الغرض الحقيقي من زحفه.

والآن يتساءل المرء: هل يا ترى كان الشعب يحييه بوصفه حليف «سوريا»؟ أو أن أهل «فنيقيا» كانوا يرحبون به بوصفه سيدهم الجديد، وأنه هو الذي سيضم بلادهم إلى الأملاك البطلمية التي كان يسودها وقتئذ السلام؟ الحقيقة أن الجواب على ذلك لم يَكُنْ سهلًا ميسورًا؛ لأن «بطليموس» لم يفصح عن نواياه، ومن أجل ذلك ترك الشعب الفنيقي يتحدث بالحدس والتخمين، وفي الوقت نفسه كان يظهر بمظهر ملك البلاد؛ يدل على ذلك أنه أخذ يستمع لشكاوى سكان «أشدد» التي خربها اليهود، أضف إلى هذا أنه كان يتقبل خضوع «جوناتان» في «يافا»، ولا بد أن أفعال «بطليموس» هذه قد ألقت الرعب في سكان «أنطاكية»، ومن أجل ذلك أخذ «أمونيوس» يستعد للقضاء على حياة «بطليموس» بيد أحد

[٣] راجع: Athen. V. p. 211.

المجرمين الذين كانوا حوله، وبذلك يتخلص من شروره، ويضمن لنفسه ولمليكه الخليع الثبات على عرش ملكه.

محاولة اغتيال بطليموس السادس في سوريا

والثابت عن ذلك أن «بطليموس» عندما وصل إلى «بطليمايس» السورية حُووِلَ اغتياله، وقد عُزيت هذه الجريمة — سواء أكان ذلك بالحق أم بالباطل — إلى «أمونيوس» وزير «الإسكندر بالاس»، وعلى أثر ذلك أمر «بطليموس فيلومتور» صهرَه أن يسلم المجرم، وعندما رفض «الإسكندر» تسليمه ثار ثائر «بطليموس»، واتهم صهره بأنه هو نفسه المدبر لهذه الجريمة، وعندما اشتدت الحال إلى هذا الحد حاول أهالي «أنطاكية» عبثًا إرضاء «فيلومتور» بقتل «أمونيوس» الذي كان مبغوضًا من الشعب، غير أن ذلك لم يُرْضِ «بطليموس»، ومن ثم أصبح الملك «الإسكندر» هو المجرم في نظره.

بطليموس ينقض المعاهدة التي بينه وبين بالاس

واتخذ «بطليموس» ذلك ذريعة لنقض المعاهدة التي كانت بينهما، وقد ذكرت لنا المصادر اليهودية التي كانت موالية للملك «فيلومتور» وقتئذ أن «بطليموس» كان على حق في كل ما فعله مع صهره، ولم تذكر لنا أنه كان يقصد من وراء ذلك استرداد «سوريا الجوفاء». ولا نزاع في أن «بطليموس فيلومتور» كان يعلم على حسب ما مر به من تجارب أنه في الاستطاعة اتهام إنسان زورًا وبهتانًا بارتكاب جريمة القتل، وذلك بالدسائس والخداع. والظاهر أن «بطليموس» قد سارع إلى جعل مسئولية هذه الجريمة تقع على عاتق زوج ابنته الذي لم يكن له أية مصلحة في التخاصم مع والد زوجته، لا سيما أنه جاء فعلًا بحافز حمايته من هذا المدعي للملك. وعلى أية حال فإنه لمن الصعب على المرأ أن يفهم أن «بطليموس» قد قلب مشاريعه هكذا دون أن يكون لديه معلومات كافية حتى أصبح عدو حليفه وحليف من كان يحاربه، اللهم إلا إذا كان قد سمح لنفسه أن يقلب ظهر المجن لصهره، ومهما يكن من أمر فإنه يظهر أمامنا ما كان يكنه في قرارة نفسه بصورة واضحة على ما يُظن إذا عرفنا بأية وسيلة نجح «بطليموس» في انتزاع ابنته من أحضان «الإسكندر بالاس»، وهي التي لو كانت قد بقيت مع زوجها للعبت دور الرهينة عنده. (ومما يؤسف له أن «بطليموس فيلومتور» هذا قد استعمل ابنته «كليوباترا» (تيا) بمثابة

قطعة متاع يحركها كيف شاء؛ فقد حدثتنا الأخبار أنه زوجها من ثلاثة ملوك سوريين، وكان أول أزواجها «الإسكندر بالاس» الذي نحن بصدده، وبعد خلعها منه زوجها — كما سنرى بعد — من «ديمتريوس الثاني نيكاتور»، وأخيرًا زوجها من «أنتيوكوس السابع» سيديتيس Sedites.)

بطليموس السادس يزوج ابنته «كليوباترا» (تيا) من «ديمتريوس» مقابل النزول عن سوريا الجوفاء

هذا، ونجد أن «بطليموس فيلومتور» بعد انتزاع «كليوباترا» (تيا) من أحضان «الإسكندر بالاس» أراد أن يزوجها من «ديمتريوس»، وذلك بعد وعده إياه بإعادة ملك والده له، وبطبيعة الحال قَبِلَ «ديمتريوس» هذا العرض عن طيب خاطر؛ إذ إنه لم يكن يحلم به، وقد طلب «بطليموس» في مقابل ذلك من «ديمتريوس» أن يعيد إلى مصر «سوريا الجوفاء»، ولا ندري على وجه التأكيد إذا كان «بطليموس» قد أملى شروطه هذه قبل دخول «أنطاكية» أو بعدها، والمرجح أن ذلك قد حدث قبل دخول المدينة.[٤] أما «الإسكندر بالاس» فإنه لما رأى نفسه قد حُرم من كل عون لم يَرَ فائدة من المقاومة. وعلى أية حال لم يَبْقَ على خلعه والتخلص من شروره إلا إقناع سكان «أنطاكية» بألا يترددوا في القضاء عليه. والواقع أن سكان هذه المدينة كان مثلهم في هذا الموقف كمثل المستجير من الرمضاء بالنار، حقًّا لم يكن لديهم أية عاطفة حب «للإسكندر بالاس» ولكنهم من جهة أخرى كانوا يحملون في نفوسهم أحقادًا دفينة لـ «ديمتريوس سوتر» الذي استبد بهم، ولاقوا في حكمه الهوان، وكانت هذه الأحقاد تمتد بطبيعة الحال إلى خلفه، ومن ثم كانوا يخافون شرًّا مستطيرًا من ابنه الذي كان سيتولى أمورهم. وقد حاول «بطليموس» في حديثه مع السكان — بكل ما لديه من قوة — تأمين خوفهم، وفي النهاية حصل منهم على الموافقة بطرد «الإسكندر بالاس» الذي لجأ إلى «كليكيا» وهي التي كانت تُعتبر المنفى العادي لكل أولئك الذين يخرجون على النظام المقرر، ومع ذلك نجد أن أهالي «أنطاكية» لم يكونوا راضين عن قبول تنصيب «ديمتريوس» ملكًا عليهم.

[٤] راجع: Polyb., XXXII, 9c.

بطليموس السادس يُنصب ملكًا على سوريا

هذا، وقد اقترح الوزيران اللذان عينهما «الإسكندر الأول بالاس» بعد موت «أمونيوس» وهما «هيراكس» Hierax و«ديودوتوس» Diodotus للتخلص من هذا المأزق؛ فكرة غريبة في بابها، وليست من الوطنية في شيء في الوقت نفسه، وهي منح تاج «سوريا» لـ «بطليموس فيلومتور» نفسه، وعلى ذلك نرى أنه عندما دخل ملك مصر «أنطاكية» عاصمة الملك لإنهاء المفاوضات قَابَلَه الشعب الأنطاكي بالهتافات مرحبين به، واعترفوا به بصوت واحد ملكًا على «سوريا». وهكذا تحقق حلم «أنتيوكوس إبيفانس»؛ إذ تم اتحاد المملكتين سوريا ومصر تحت صولجان واحد، ولكن بصورة معكوسة، فقد كان هذا الاتحاد لصالح الملك البطلمي الذي كان قد حُووِلَ فيما مضى إسقاطه من على عرشه. هذا، وقد قبل «بطليموس فيلومتور» على الرغم منه وتحت ضغط الرأي العام السوري وضع التاجين على رأسه. غير أن «فيلومتور» في غمرة النصر فاته أن يحسب حساب الدرس الخطر الذي أحدثه هذا النبأ في مجلس شيوخ «روما»، ولكن «فيلومتور» على ما يظهر أحس بالخطر الذي كان يتهدده من جراء هذه الخطوة الجريئة التي خطاها؛ ولذلك فإنه لما هدأت الأحوال قليلًا من جراء هذا النبأ جمع الشعب الأنطاكي وأخبره بأنه سيكتفي بملك مصر، وأنه كفيل بمراقبة «ديمتريوس» صهره الذي لم يُكِن أي ضغن في نفسه لهم، وأنه قد أخذ على نفسه ميثاقًا بألا يقدم على ارتكاب أية جريمة للانتقام من أعداء والده. وبهذه الكلمات المطمئنة أمكن «بطليموس» أن يجعل أهل «أنطاكية» يعترفون بتنصيب «ديمتريوس» ملكًا عليهم.

بطليموس السادس ينزل عن عرش سوريا لديمتريوس

على أن سير الحوادث لم يَنْتَهِ عند هذا الحد؛ لأن «الإسكندر بالاس» على الرغم من هزيمته لم يلبث أن ظهر ثانية على رأس جيش جديد جنده من أهالي «كليكيا»، وأخذ يخرب به إقليم «أنطاكية» نفسه، وعندما سمع «فيلومتور» بهذا النبأ سارع في الحال لنجدة زوج ابنته «ديمتريوس» وشد أزره.

والظاهر أنه كان يحتفظ بجيش له عسكر في «سوريا الجوفاء». وقد وقعت فعلًا بين الفريقين حرب عند شاطئ نهر «أونوبا راس» Oenoparas أحد روافد نهر الأرنت (نهر العاصي الحالي). وقد دارت الدائرة على «الإسكندر بالاس» بانتصار «بطليموس» وصهره نصرًا حاسمًا.

موت بطليموس السادس متأثرًا بجراحه

غير أنه مما يُؤْسَفُ له أن «بطليموس فيلومتور» حُمِلَ من ساحة القتال جريحًا بعد أن هُشم رأسه، وبقي فاقد الوعي مدة أربعة أيام، حاول الطبيب في خلالها جبر الكسر الذي حدث في رأسه، ولكنه مات أثناء العملية.

تُوفي «بطليموس السادس» وهو في السنة السادسة والثلاثين من حكمه.[٥] ويحدثنا المؤرخ اليهودي «جوسيفوس» أن «بطليموس فيلومتور» عاد إلى شعوره في اليوم الخامس من سقوطه من فوق جواده، وأمكنه أن يرى «الإسكندر بالاس» الذي أُحضر إليه قبل مفارقته الحياة، وكان قد أرسله إليه أمير عربي يُدعى «زباديل» وكان «الإسكندر» قد طلب إلى هذه الأعرابي أن يجيره. ويؤكد «جوسيفوس» أن منظر هذه الغنيمة الشنيع قد ملأ قلب «بطليموس» بالفرح، وأنه مات وهو مرتاح النفس عام ١٤٥ق.م. غير أن هذا النبأ الذي أورده «جوسيفوس»،[٦] فيه شك؛ إذ لا يتفق مع أخلاق «فيلومتور»، وأغلب الظن أنه أكذوبة من الأكاذيب التي اعتاد هذا المؤرخ أن يحشرها في ثنايا حوادث التاريخ الذي كان يكتبها على حسب ما يُرضي الميول اليهودية.

ولم تَسْرِ الأحوال على حسب ما كان يتمناه «فيلومتور»؛ وذلك أنه مات وترك «سوريا الجوفاء» — التي كانت شغله الشاغل طوال مدة حياته — تحت رحمة «ديمتريوس» السليوكي زوج ابنته، كما أنه ترك ابنه الصغير «يوباتور» الذي كان قد نصبه حديثًا نائب ملك على جزيرة «قبرص» تحت رحمة أخيه «بطليموس ملك سيريني»، وكان الأخير بدوره كاظمًا غيظه منذ زمن طويل لما لاقاه من عنت من أخيه الراحل، ومن ثم كان يرقب الفرصة ليتولى عرش مصر من جديد.

أخلاق «بطليموس فيلومتور»

والآن قبل أن نتناول الحديث عن الأحداث التي وقعت عقب وفاة «بطليموس فيلومتور» دعنا نستمع لما حدثنا به المؤرخ «بوليبيوس» معاصر هذا الملك عن أخلاقه.[٧]

---

[٥] راجع: Liv., Epit, L II.

[٦] راجع: Joesph., A Jud, XIII, 4, 8.

[٧] راجع: Polyb., XXXIX. 6, 3–717. The Loeb. Classical Library Vol. VI.

لقد مات «بطليموس» ملك مصر متأثرًا بجراحه في الحرب، وهو في نظر بعضهم جدير بالثناء الرفيع وبالمكانة العالية في التاريخ، ولكن آخرين يعتقدون خلاف ذلك. ولا نزاع في أنه كان رجلًا رقيق الطبع طيبًا أكثر من أي ملك سبقه من أسرته، وأقوى برهان على ذلك هو أنه قبل كل شيء لم يأمر بقتل أي من أصحابه بسبب تهمة قُدمت له ضده، ولا أعرف أن أي «إسكندري» عوقب بالموت بسببه، يُضاف إلى ذلك أنه على الرغم من أن إسقاطه من عرش الملك كان يرجع إلى أخيه كما كان المظنون، فإنه صفح عن جرمه، وبعد ذلك نجد أخاه قد عاد للتآمر عليه مرة أخرى.

وعندما وقع في قبضة يده في «لابيتوس» Lapethos من أعمال «قبرص» وعلى الرغم من أنه كان قد أصبح صاحب التصرف في جسمه وحياته؛ فإنه مع ذلك أبى كل الإباء أن يعاقبه كثائر عليه بل أثقل كاهله بالهبات، هذا فضلًا عما كان يملكه فعلًا بالمعاهدة، ثم وعده بأن يزوجه من ابنته. وعلى أية حال عاهدناه في المواقيت التي كان يسعده فيها الحظ ويصحبه النجاح يجنح إلى الدعة والضعف، وكان ينتابه نوع من فقدان القوى والخمول الذي كان عادة ينتاب ملوك البطالمة، وعندما كانت تنتابه هذه الحالة كانت تحل به المصائب.

هذا ما قصه علينا «بوليبيوس» عن أخلاق «فيلومتور»، ومنه يتضح أنه يطريه بصراحة، وعزز ما قاله بالأمثلة المُحسة، ولم يأخذ عليه «بوليبيوس» أكثر من طيبة نفسه التي كانت طبيعة متأصلة فيه، وذلك عندما نظر إليها من الناحية السياسية، وعلى أية حال سنرى فيما بعد الفرق الشاسع بين أخلاقه وأخلاق أخيه الذي لعب دورًا رهيبًا شنيعًا في مدة انفراده بحكم مصر.

الآثار التي خلفها بطليموس السادس
أو عُملت في عهده

(١) الأوراق الديموطيقية

(١-١) عقد بيع أرض من عهد «بطليموس السادس فيلومتور» ومعه عقد تنازل[١]

عُثِرَ على هذه الوثيقة في منطقة «الجبلين» أو ما جاورها في مصر العليا. والوثيقة تحتوي على عقدين منفصلين؛ أحدهما عقد بيع أرض، والآخر عقد تنازل عن نفس الأرض التي تبلغ مساحتها أربعة أرورات من الأرض العالية. وقد باعت هذه الأرض أختان لراعي الإله «منتو» إله الحرب. هذا، وقد وُجد على وجه البردية تأشيرة بالديموطيقية كُتبت تحت عقد البيع، وَوُجدت على ظهرها قائمتان بأسماء الشهود كل منهما تحتوي على ستة عشر شاهدًا.

[١] راجع: A Demotic Papyrus from Pathyrus, by Mustafa El Amir (Extrait des Etudes de Papyrologie. Tom VIII.).

(أ) وهاك الترجمة

عقد البيع

التاريخ: السنة الخامسة الرابع عشر من برمودة من عهد الملك «بطليموس بن بطليموس» و«كليوباترا» الإلهين الظاهرين (= بطليموس السادس فيلومتور = ١٧ مايو سنة ١٧٦ق.م)، عندما كان كاهن الإسكندر والإلهين الأخوين والإلهين المحسنين والإلهين المحبين لوالدهما والإلهين الظاهرين، والفرعون «بطليموس» الذي يحب أمه، والكاهنة حاملة هدية النصر أمام «برنيكي» المحسنة، والكاهنة حاملة السلة الذهبية أمام «أرسنوي» محبة أخيها، وكاهنة «أرسنوي» محبة والدها على حسب ما قُرر في «رقودة» (= الإسكندرية — الإشارة هنا للكهنة المعاصرين للبطالمة)، وعندما كان «هيبالوس» Hippalos بن «ساس» Sas كاهن مقاطعة «طيبة» للملك «بطليموس» المخلص، و«بطليموس» الإله «إبيفانس يوكاريستوس»، وعندما كان «كيناس» Kineas بن «دوسيتوس» Dositheos كاهن الفرعون «بطليموس» و«كليوباترا» أمه، والكاهنة حاملة السلة الذهبية أمام «أرسنوي» محبة أخيها.

الطرفان المتعاقدان: الطرف الأول: قالت المرأة «تاجمي» Tadjeme ابنة «باوهر»، والمرأة «تابور» ابنة «باوهر»، وهما امرأتان، وأمهما هي «أوي» Awe بفم واحد.

الطرف الثاني: للراعي وخادم «منتو» سيد «أرمنت» «باوهر» بن «بامي» Pane وأمه هي «كلهيب».

نص العقد: لقد جعلت قلبي يوافق على قطع الفضة الخاصة بأربعة الأرورات ملكنا من الأرض العالية، وهي التي في أرض وقف «منتو»، أرض النجارين الواقعة في الشمال الغربي من مقاطعة «بتيريس» Pathyris (الجبلين) بالإضافة إلى الزيادة في مساحتها، وحدودها هي:

الجنوب: حقل «تشنمونت» Tshenmont ابنة «جلب» Geleb وأخيها.

الشمال: حقل «باوهر» بن توت Tuot وهو في ملك أولاده.

الشرق: شارع الملك.

الغرب: حقل «بتوسر بوخ» Pateuserbukh بن «بامي» وهو في ملك أولاده.

هذه هي جميع الحدود الخاصة بالأرض العالية المذكورة أعلاه. لقد أعطيناها إياك وهي ملكك، أرضك العالية التي مساحتها أربعة أرورات من الأرض مع الزيادة في مساحتها المذكورة أعلاه. وقد تسلمنا ثمنها نقدًا من يدك كاملًا غير منقوص، وقلبانا مرتاحان لذلك، وليس لنا أي ادعاء مهما كان عليك باسمها، ولن يكون في استطاعة أي رجل مهما كان ولا نحن أن يستعمل سلطانه عليها إلا أنت من اليوم فصاعدًا، وأن الذي سيأتي بسببها باسمينا أو باسم أي شخص مهما كان فإنا سنجعله يتنحى عنك، وإنا سنطهرها لك من كل كتابة ومن كل حجة، ومن أي أمر مهما كان في أي وقت. ومستنداتها ملكك وحججها في كل مكان تكون فيه، وكل كتابة تكون قد حُررت بخصوصها، وكل كتابة تكون قد حُررت لنا بخصوصها، وكل كتابة يكون باسمها لنا حق؛ فهي مكلك، هذا بالإضافة إلى حقها، وما لنا من حق باسمها فهو ملكك، واليمين أو الإثبات الذي سيُفرض عليك في محكمة العدل باسم حق المستند أعلاه، وهو الذي حررناه لك ليجعلنا نؤديه؛ فإنا سنؤديه دون ادعاء أية حجة أو أي أمر مهما كان عليك.

كتبه «أمنحوتب» بن «توت» Tuot الذي يحرر باسم وكلاء كاهن «جمي».

ترجمة التأشيرة

إن راعي الإله «منتو» وخادمه المُسمى «باوهر» بن «بامي» وأمه هي «كلهيب» قد دفع ضريبة ١ / ٢٠ من هذا المستند المذكور أعلاه.

في السنة الخامسة ١٤ برمودة (= ١٧ مايو سنة ١٧٦ق.م) كتبه «حرباسئيسي» ابن «خنستفناخت» بمثابة ضريبة «جمي» (مدينة هابو) عن عام ٥ (من حكم الملك).

ترجمة عقد التنازل

التاريخ: السنة الخامسة ١٤ برمودة من عهد الملك «بطليموس» و«كليوباترا» الإلهين الظاهرين (أي بطليموس السادس = ١٧ مايو سنة ١٧٦ق.م) وكاهن «الإسكندر»، والإلهين الأخوين، والإلهين المخلصين، والإلهين المحبين لوالدهما، والإلهين الظاهرين، والفرعون «بطليموس» الذي يحب أمه، والكاهنة حاملة هدية النصر أمام «برنيكي»

والكاهنة حاملة السلة الذهبية أمام «أرسنوي» على حسب ما قد قرره في «رقودة»، وعندما كان «هيبالوس» بن «ساس» كاهن مقاطعة «طيبة» «لبطليموس» المخلص و«بطليموس» الإله «إبيفانس-يوكاريستوس» وعندما كان «كيناس» بن «دوسبتوس» كاهن الفرعون.

الطرفان المتعاقدان: الطرف الأول: قالت المرأة «تاجمي» ابنة «باوهر» والمرأة «تابور» ابنة «باوهر» وهما امرأتان، وأمهما هي «أوي» بفم واحد.

الطرف الثاني: لراعي الإله «منتو» وخادمة سيد «أرمنت»، «باوهر» بن «بامي» وأمه هي «كلهيب»: لقد نزلنا لك عن الأرض العالية التي مساحتها أربعة أرورات من الأرض مع الزيادة في المساحة، وهي التي في أرض أوقاف الإله «منتو» أرض النجارين الواقعة في الشمال الغربي من مقاطعة «الجبلين» والتي حدودها هي:

الجنوب: حقل «تشنمونت» ابنة «جلب» وأخيها.

الشمال: حقل «باوهر» بن «توت»، وهو الذي في ملك أولاده.

الشرق: شارع الملك.

الغرب: حقل «بتوسر بوخ» بن «بامي» وهو الذي في ملك أولاده.

وهذه هي حدود الأرض العالية المذكورة أعلاه، والتي من أجلها حررنا لك مستندًا مقابل نقد في السنة الخامسة ١٤ برمودة من عهد الملك العائش أبديًّا، وهي ملكك وأرضك العالية، والتي مساحتها أربعة أرورات من الأرض بما فيها من زيادة كما ذُكر أعلاه.

وليس لنا أي ادعاء مهما كان عليك باسمها، وليس في استطاعة أي رجل مهما كان ونحن كذلك بأن يستعمل سلطانه عليها إلا أنت من اليوم فصاعدًا، وأن الذي سيأتي إليك بسببها باسمينا أو باسم أي شخص مهما كان فإنا سنجعله يتنحى عنك، ولك الحق علينا باسم حق المستند بالنقد، وهو الذي حررناه لك بخصوصها في العام الخامس الرابع والعشرين من برمودة (= ١٧ مايو سنة ١٧٦ق.م) من عهد الملك العائش أبديًّا ليؤدي لك حقها في أي وقت، هذا بخلاف النزول المذكور أعلاه، وبذلك يكون هناك مستندات، وإنا سنؤدي لك حقوقها في أي وقت دون أية ضربة.

كتبه «أمنحوتب» بن «توت» الذي يكتب باسم عملاء الكاهن خادم الإله في «جمي».

(١-٢) عقود زواج عُثِرَ عليها في منطقة «الجبلين»

تدل أعمال الحفر التي قامت في منطقة «الجبلين» في أوائل القرن العشرين على أنه قد عُثِرَ على عدد عظيم من أوراق البردي التي ترجع إلى عهد البطالمة، وقد كُتِبَتْ بعضها بالديموطيقية وبعضها الآخر بالإغريقية، وقد نُشِرَتْ معظم الأوراق الإغريقية، أما الأوراق الديموطيقية فلم يُنشر منها سوى ما نشره الأستاذ «سبيجلبرج» من الأوراق الموجودة في مكتبة «ستراسبورج» التي تحتوي على معظم الأوراق البردية البطلمية من هذه المجموعة، يضاف إلى ذلك الأوراق التي حصل عليها لورد «كروفورد»، وكذلك الأوراق التي في مجموعة «ريلندز» وهما من مجموعة واحدة.[٢]

وقبل أن نتحدث عن هذه الأوراق التي وُجدت في «الجبلين» يجدر بنا أولًا أن نذكر كلمة عن هذه البلدة، وأهمية موقعها الجغرافي والتاريخي.

تقع مدينة «الجبلين» (بتيريس) على الشاطئ الغربي للنيل على مسافة ٣٥ كيلومترًا من الجنوب الشرقي لمدينة «طيبة» وعلى بعد ٢٠ كيلومترًا في خط مستقيم من بلدة «أرمنت» الحالية. والواقع أن الطريق الموصلة إلى هذه البلدة طويلة جدًّا أكثر من ذلك، وهي تقع على هضبة من الأرض ترتفع منها قمتان تقترب الواحدة من الأخرى كثيرًا نحو النهر. ويقول الأثري «مسبيرو»:[٣] إن هذه الهضبة كانت في العصور القديمة جزيرة بين فرعين للنيل، غير أن المجرى الغربي سُد منذ زمن طويل بتراكم غرين النيل سنويًّا، وفي هذا المكان كانت تقع كل من مدينة «كروكوديلوبوليس» (جزيرة في النهر قديمًا) وهي بالديموطيقية تُدعى «أمور»، وهنا كان يُعبد التمساح الذي سماه الإغريق «سوخوس» وهو بالمصرية «سبك»، ثم مدينة بيت حتحور (برحور) وبالإغريقية «بتيريس» وهنا كانت تعبد الإلهة «حتحور» سيدة الصخرتين.

وقد أُطلق على اسم هذه المدينة اسم المقاطعة التي هي فيها لفترة في عهد البطالمة (راجع جغرافية مصر القديمة)، وفي قسمها الأسفل تقع مدينة «أرمنت»، وفي قسمها العلوي تقع مدينة «كروكوديلوبوليس» و«بتيريس» نفسها، ومن المحتمل أن الجغرافي «سترابون» هو الكاتب الكلاسيكي الذي ذكر هاتين البلدتين، وقد سمى الأخيرة

---

[٢] راجع: Beccl Archiv. II 520, Egyptologyque I. p. 211.

[٣] راجع: Bibliothèque.

«أفروديتوبوليس»، وهي الترجمة الحرفية للاسم المصري القديم «بر-حتحر» (= بيت حتحور، وكانت «حتحور» تُعتبر عند المصريين ربة الجمال).

(١-٣) أوراق «جون ريلندز» الديموطيقية التي عُثِرَ عليها في الجبلين

دل الفحص على أن أوراق «الجبلين» الموجودة في مجموعة «جون ريلندز» ترجع إلى القرن الثاني وبداية القرن الأول قبل الميلاد. وأقدم هذه البرديات ترجع إلى عام ١٦٣ق.م؛ أي من عهد الملك «بطليموس السادس»، وأحدثها ترجع إلى عام ٨٩ق.م؛ أي من عهد الملك «بطليموس الحادي عشر» و«كليوباترا برنيكي».

وتنحصر الأوراق التي من عهد «بطليموس السادس» في هذه المجموعة فيما يلي:[٤]

(أ) الورقة رقم ١٥ على حسب ما جاء في طبعة «جرفث»

عقد بيع أرض، وهو عبارة عن وثيقة بيع أو كما تسمى بالمصرية مستند بنقد، وعقد تنازل. والعقدان كُتِبَا على ورقة واحدة كما جرت العادة في مثل هذه العقود.

أولًا: عقد البيع

التاريخ: السنة التاسعة عشرة ١٦ توت من عهد الملك «بطليموس» بن «بطليموس» و«كليوباترا» الإلهين الظاهرين الذين عملا أشياء طيبة، وأولئك الذين قرروا في «رقودة» (هذه الجملة تشير إلى الكاهن المعاصر الخاص بالملوك والملكات المتوفين من أول عهد «الإسكندر الأكبر» حتى عهد «بطليموس الأول»).

الطرفان المتعاقدان: الطرف الأول: إن مذيع؟ مائدة قربان «إزيس» في متن (= طريق) «باحاركوش» Paharekosh المُسَمَّى «سيبمو» Siepmu بن «حارنعو» وأمه هي «تاتحوت» يقول.

الطرف الثاني: للمرأة «كالهيب» الكبرى ابنة «حارابختي» Harapahti، وأمها هي «تبلي» Tebelle.

[٤] راجع: Catalogue of The Demotic Papyri in the John Rylands Library by Griffith, Vol. III, p. 131.

نص العقد: لقد جعلت قلبي يرضى بالنقد ثمن نصف نصيب الأرض المنتجة غلالًا. وتبلغ مساحتها ٩ ١/٢ أرورات أي ٩ ١/٤+١/٨+٢/١٦ أرورات ثانية على حسب مساحته تحت الزيادة والنقصان، هذا بالإضافة إلى بستانه (؟) ومورد الحياة، ونصف النصيب من البيت المُقام فيه، وهو الذي في «تيابوني» Tiaboni التي في أوقاف أرض «حتحور» سيدة «الجبلين».

وحدوده هي:

الجنوب: أرض «حاراباختي» بن «خنحب».

الشمال: أرض «بأمون» بن «باخنوم»(؟).

الشرق: الحد الشمالي لجزيرة «حتحور» ومجرى الماء بينهما.

الغرب: شارع الملك.

هذه هي حدود جميع الأرض المذكورة أعلاه التي اشتريتها نقدًا في السنة السادسة ٢١ توت، من عهد الملك «بطليموس» بن «بطليموس» العائش أبديًّا.

من اليوناني الذي يتسلم جرايات بين رجال «يومنيس» Eumenes، وهو المقيد في الـ ... «أمونيوس» Ammonios بن «باترون» Patron الذي يُدعى «حاربئيسي» (ابن «بهيب»)، وأمه هي «تشنئيسي» Tshenisi.)

وإني سلمتك مستند النقد ومستند نزع الملكية الذي علمهما لي مقابل نصف النصيب من الأرض المذكورة أعلاه، وهي التي لم تُقسم بعد. وإن كاهن «أورم» (= الخاص بعبادة «حتحور» في «الجبلين») وكاهن سم (= الخاص بعبادة الإله «سبك» في «كروكوديلوبوليس»)، وهو خادم الكا (الروح) للإلهين المحسنين والإلهين المحبين لوالدهما والإلهين الظاهرين «إسمن» بن «تترايس»، وأمه هي «تاونبس» Tauenbes)؛ هو الذي يملك النصف الآخر، ومساحته ٩ ١/٢ أرورات أي ٩ ١/٤+١/٨+٢/١٦ أرورات ثانية تحت الزيادة والعجز. ومجموع الكل هو ١٩ آرورا ثانية (وهي التي لم تُقسم بعد).

لقد أعطيتك إياها، وهي ملكك، ونصفها نصيبك من الأرض الخصبة (؟) مع نصف البيت المبني فيها (المذكور أعلاه)، وليس لي أي حق على الأرض عليك باسمها، ولن يكون لأي رجل في الدنيا ولا أنا نفسي كذلك القدرة في أن يتسلط عليها إلا أنت من اليوم فصاعدًا.

وإن من سيأتي إليك بسببها باسمي أو باسم أي رجل في الدنيا فإني سأجعله يتنحى عنك، وإني سأطهرها لك من كل مستند، ومن أية براءة (؟)، ومن كل كلمة في الدنيا في أي وقت.

وإن مستنداتها ملكك وبراءتها في كل مكان تكون موجودة فيه، وكل كتابة قد حُررت بخصوصها، وجميع الكتابات التي باسمها وأنا مستحق لها (أي هذه الملكية)؛ فهي ملكك، والحقوق المخولة لها، وأن ما أستحقه باسمها (أي المستندات)، واليمين أو البينة التي ستُطلب منك في محكمة العدل باسم الحق الممنوح بالكتابة المذكورة أعلاه، وهي التي حررتها لك لتجعلني أؤديه؛ فإني سأؤديه (أي اليمين أو البينة) دون الرجوع إلى براءة أو أية كلمة في الأرض عليك.

كتبه «تترتاوس» بن «نحتمين» (؟) الذي يكتب باسم كهنة «حتحور» سيدة «الجبلين» والإلهين الأخوين والإلهين المحسنين والإلهين اللذين يحبان والدهما والإلهين الظاهرين، الذين من طوائف الكهنة الخمس.[٥]

وقد حُررت الملحوظة التالية من هذا العقد بالإغريقية، وهاك ترجمتها:

> السنة التاسعة عشرة الخامس من شهر بشنس: دفع لمصر «أرمنت» الذي يديره «كاللياس» Kallias فيما يخص ضريبة ١ / ٢٠ من ثمن البيع، وذلك على حسب تقرير «أسكلبيادس» Asklepiades جابي الضرائب، ومُوقع عليه من «زمينيس» Zmenis وكيل «باكويبيس» Pakoibis، (والأخير) موفد من قبل «ديونيسوس» Dionysius الكاتب الملكي بوساطة «كاليبيس» Kalibis الأكبر ابنه «أراباتيس» Arapathes من أجل ٩½ أرورات من الأرض المنزرعة قمحًا، والأرض البور التابعة لها، والبيت المقام عليها على حسب نصيب النصف في الدخل المقدس لأرض «أفروديت»، والمساحات المجاورة لها قد ذُكرت أعلاه في

[٥] يُلحظ هنا أن أسلوب الإمضاء باسم الكهنة المحليين، بما في ذلك كهنة الملوك المؤلَّهين التابعين لخمس طوائف الكهنة؛ لم تُوجد طبعًا في العقود قبل عهد الملك «بطليموس» السادس، ولا بد أن نذكر هنا أن الطائفة الخامسة من هؤلاء الكهنة لم تظهر قبل عهد «إيرجيتيس الأول»، لأنه هو الذي أسس هذه الطائفة كما جاء ذلك في مرسوم «كانوب» في السنة التاسعة من حكمه، وذلك على شرفه وشرف زوجه «برنيكي».

العقد السابق. وهي التي اشتريتها من «سيبمو» بن «أرومجوس» Aromgous مقابل أربعة تالنتات (= ٢٠٠٠ درخمة من النحاس)، وهي التي فُرض عليها فرق قدره ١٣٠٠ درخمة فيكون المجموع ١٣٠٠ درخمة.

الإمضاء: «كاللياس».

ويُلحظ هنا أن هذه الإيصالات لا يعطيها محصل الضرائب؛ بل يعطيها رجل المصرف المختص بذلك.

ثانيًا: عقد التنازل

عقد التنازل كُتب بنفس الكلمات التي جاءت في عقد البيع. ويُلحظ أن كل وثيقة منهما ولو أن العقدين قد ضُما في بردية واحدة؛ قد كُتبت بطريقة أنيقة مميزة وشهودهما منفصلة على ظهرها، وكل من نفس الستة عشر شاهدًا قد وقع على كل من العقدين بنفس الترتيب إلا في حالة الشاهدين الثالث عشر والرابع عشر فقد تبادل الواحد منهما مكان الآخر.

(ب) عقد زواج من عهد بطليموس السادس من أوراق «ريلندز» يحمل رقم ١٧

يوجد في مجموعة «ريلندز» ما لا يقل عن ثمانية عقود زواج، منها اثنان كاملان يحملان رقم ١٦ و٢٠ على التوالي، والعقد رقم ٢٢ كامل على وجه التقريب، والعقد رقم ٢٧ ممزَّق، والعقد ٢٨ كامل، أما العقد رقم ٣٧ فلم يَبْقَ منه إلا جزء، والعقد ٣٨ كامل على وجه التقريب، وتاريخ العقدين ٣٧ و٣٨ على التوالي مفقود في كل منهما. وعلى أية حال فإن صيغة العقد الأصلية لم تتغير كثيرًا عما كانت عليه في العصور السالفة.

والصيغة التي يمكن استخلاصها من هذه العقود تتلخص فيما يأتي:

(١) السنة.
(٢) الطرفان المتعاقدان: يقول فلان لفلانه.
(٣) لقد اتخذتك زوجة.

(٤) لقد أعطيتك كذا قطعًا من النقود؛ أي كذا ستاتر؛ أي كذا قطعًا من الفضة ثانية، وكذا مكاييل من القمح ونصفها كذا مكاييل من القمح (؟) أي كذا مكاييل من القمح (؟) ثانية بمثابة مهرك.

(٥) وإذا هجرتك بوصفك زوجة وكرهتك، واقتربت من امرأة غيرك، أو أحببت امرأة أخرى أكثر منك؛ فإني أعطيك الشعرة (حتى وزن الشعرة) من هذه القطع التي تبلغ كذا من الفضة، وكذا من مكاييل القمح المذكورة أعلاه، وهي التي أعطيتها إياك بمثابة صداقك.

(٦) وابنك البكر هو ابني البكر من بين الأطفال الذين ستضعينهم لي، وسيكون مالكًا لجميع كل شيء أملكه وما سأملكه.

(٧) تأملي قائمة أثاث جهازك الذي أحضرتِه إلى بيتي في يديك: شعر مستعار قيمته ٢٠٠ قطعة من النقود ... إلخ.

(٨) ورصيد مهرك الذي يتألف من كذا قطعة من الفضة، وكذا مكاييل من القمح.

(٩) مما يجعل ثمن ممتلكات جهازك الذي أحضرتِه إلى بيتي في يديك كذا قطعًا من الفضة (= النقد) أي خمسة كذا ستاتر؛ أي كذا قطعًا من النقد ثانية، وبالعملة النحاسية بنسبة ٢٤ قطعة لكل قدتين من الفضة.

(١٠) وفضلًا عن هذه كذا قطعًا من الفضة، وكذا مكاييل من القمح المذكورة أعلاه، وهي التي أعطيتها إياك بمثابة صداقك.

(١١) كل ذلك يكون ممتلكات عرسك، وهي المذكورة أعلاه: كذا + كذا قطعًا من الفضة؛ أي ٥ قطع (كذا + كذا) ستاتر؛ أي كذا + كذا قطعًا من الفضة ثانية، وبالعملة النحاسية بنسبة ٢٤ قطعة من النحاس لكل قدتين من الفضة، وكذا مكاييل من القمح (؟).

(١٢) لقد تسلمتها من يدك تامة غير منقوصة.

(١٣) وقلبي راضٍ بها.

(١٤) وعندما تكوني في داخل (البيت) فإنك تكونين في داخل البيت معها (أي: ممتلكاتك)، وعندما تكونين خارج البيت فإنك تكونين خارج البيت معها.

(١٥) وأنت المستعملة (؟) لها، وإني المحافظ عليها (؟).

(١٦) وفي أي وقت سأهجرك فيه بوصفك زوجة، أو تريدين أنت أن تفارقيني من تلقاء نفسك وبذلك لن تكوني ملك يميني كزوجة؛ فإني سأعطيك نسخة

من ممتلكات عرسك المذكورة أعلاه، أو ثمنها نقدًا على حسب ما هو مدون أعلاه.

(١٧) ولن يكون في استطاعتي الحصول على يمين منك في بيت القضاء بسبب الغرامة الخاصة بمتاع عرسك المذكور أعلاه، وذلك بأن أقول: إنك لم تحضريه معك في بيتي في يدك (أي معك).

(١٨) بل إنك أنت التي لك الحق في التنفيذ عليَّ فيما يتعلق به (أي جهاز عرسك).

(١٩) دون الحاجة إلى أية براءة أو أية كلمة على الأرض تكون شاهدًا عليك.

كتبه: فلان.

تعليق

أورد الأستاذ «جرفث» قوائم بجهاز العروس في عقود الزواج المختلفة التي ذكرناها فيما سبق، وهذه القوائم تختلف من حيث عدد المواد، ومن حيث الثمن باختلاف مركز العروس في المجتمع المصري، ولكن يُلحظ في الوقت نفسه أن معظم محتويات كل قائمة تشمل مواد زينة العروس، وبخاصة الشعر المستعار؛ فقد كان يُبتدأ بذكره في كل قائمة جهاز، وفي معظم الحالات يكون هذا الشعر المستعار أغلى شيء في القائمة؛ ففي عقد الزواج رقم (٨) نجد أن ثمن الشعر المستعار ٨٠٠ قطعة من الفضة، وفي العقد (٣٨) بلغت قيمته ٦٠٠ قطعة من الفضة.[٦] ومن ثم كانت أهم ما تحرص عليه المرأة قبل كل شيء زينتها.

ومما تجدر ملاحظته هنا كذلك أن صيغة البيوع الإغريقية تختلف جدًّا عن تلك التي نجدها في الديموطيقية مما يؤدي إلى تفاسير مختلفة، هذا إذا لم يكن هناك تشريع قانوني، ولكن يُوجد فاصل أوسع بين عقد الزواج الإغريقي وبين العقد الذي أوردنا مواده في المختصر الذي ذُكر أعلاه، والاعتبارات الأساسية للمهر ونظام الحياة الزوجية قد عُولجت بصورة مختلفة تمامًا على حسب ما إذا كانت المرأة متزوجة بعقد إغريقي أو بعقد ديموطيقي. وعلى أية حال فإن العقد الإغريقي لم يكن يُستعمل في العهد البطلمي إلا نادرًا؛ إذ في الواقع لم نعثر حتى الآن إلا على عقدين يرجع تاريخ أحدهما إلى القرن

[٦] راجع: Ibid. p. 136.

الثاني ق.م، والآخر يرجع إلى القرن الأول ق.م.[٧] هذا، وفي عقود الزواج الإغريقية التي من العهد الروماني نجد أن أمتعة العروس يُقدَّر ثمنها على حسب ما هو متبَع في العقود الديموطيقية، وخلافًا لذلك فإن وجه الشبه قليل، وعلى ذلك فليس لدينا فيها ما يساعدنا على تفسير الصيغ الديموطيقية، ومما هو جدير بالذكر هنا أن أنموذج عقد الزواج الديموطيقي في العهد البطلمي المبكر قد كفل — بصورة لا شك فيها ولا غموض — المحافظة على حقوق المرأة وحمايتها، وبذلك كان بينه وبين صيغة الزواج الإغريقية بعض أوجه الشبه.

وقد كان المنتظر أن يحدث اندماج بين صيغ الزواج الإغريقية والديموطيقية، غير أننا بدلًا من ذلك نجد أن الاختلاف يتسع في هذه الحالة، وإذا قَرَنَّا عقود الزواج التي من العهد البطلمي المبكر بالصيغة المتأخرة فإنا نتعرف فيها الفقرات ١، ٢، ١٩ بطبيعة الحال، ولكن لا يظهر في سائرها إلا الفقرات ٤، ٥، ١٦، ١٧، ١٨، وهذه مع ذلك لا تظهر إلا في صورة حدث فيها تغير بصورة ملحوظة.

وكذلك نلحظ في عقود الزواج السابقة أهمية العملة النحاسية في العهد البطلمي المتأخر الذي نحن بصدده؛ فقد تعدد ذكر صيغة تحويل العملة الفضية إلى عملة نحاسية فيما يتعلق بالأثمان التي تُقدر بها ممتلكات العروس بالعملة الفضية، والصيغة هي: بالعملة النحاسية ٢٤ (قطعة) عن كل قدتين من الفضة. وقد أشار «جرنفل»[٨] إلى وجود نفس التعبير في الإغريقية في الجملة الآتية: «وسنتسلم ٢٤ أبولات عن كل ستاتر»، وقد وُجد هذا في قوانين الدخل التي وُضعت في عهد «بطليموس الثاني»، وهذه الجملة تعني أن العملة النحاسية كانت تقبل بما يعادلها من الفضة دون حطيطة أو فرق عملة، ولا نزاع في أن ذلك يقرر الحقيقة الهامة التالية: وهي أن الأبول كان في هذا الوقت هو وزن العملة النحاسية، وعلى ذلك لم تكن هناك حاجة إلى الإيضاح أكثر من ذكر «قطعة نحاس» كما يُعبَّر عن العملة الفضية بذكر «قطعة من الفضة». والمعنى المقصود من ذلك أن دبنًا من الفضة يحتوي على عشرة قدات. هذا، ونعلم أنه في عصر الرعامسة (١٣٠٠–١١٠٠ق.م) كان الدبن النحاس هو العملة العادية المتفق عليها. والمعتقد أن الدبن الرسمي كان يزن ما بين ١٤٠٠ و١٥٠٠ حبة (= ٩٠٫٧–٩٧٫٢ جرامًا)، على أنه كانت توجد دبنات أخرى،

[٧] راجع: Pap. Thet. J, p. 449.

[٨] راجع: Revenue Laws of Ptolemy Philadelphus,. Appendix III, pp. 200–10.

وكان نفس المعيار ١٤٠٠ إلى ١٥٠٠ حبة كان يستعمل على ما يُظن لكل دبن من الفضة، وكان يقابل ما قيمته خمسة ستاتر من المعيار الأثيني والمقدوني (٢٧٠ حبة = ١٧,٥ جرامًا)، وهذه المعادلة التي تجعل كل خمسة ستاتر مقابل كل دبن، أو قدتين لكل ستاتر كانت قد حُددت تمامًا؛ حتى إنه عندما استعمل البطالمة المعيار الفنيقي الذي يبلغ حوالي ٢٢٥ حبة (= ١٤,٥ جرامًا) لكل ستاتر كانت لا تزال مُتَّبَعَة. هذا، وكان الأستاذ «ريفييو» — الذي يُعد أول من كشف عن صيغة تحويل العملة: ٢٤ قطعة من النحاس = قدتين من الفضة — قد اعتقد أن قطع النحاس كانت دبنات وبنفس الوزن مثل دبنات الفضة، وكانت النتيجة المعادلة التالية ١ = ١٢٠، وذلك للقيمة النسبية للنحاس بالنسبة للفضة.

وفي عام ١٨٩٦م على أية حال قد شك «جرنفل» في طبعة «قوانين الدخل» للبلاد المصرية في عهد «بطليموس الثاني»، واعتقد بأنه وقعت غلطة خطيرة في موضوع هذه المعادلة، غير أنه لم يجسر أحد على عدم الأخذ بالبرهان الديموطيقي وتفسيره الذي قوبل بالموافقة العامة. ومنذ ذلك الوقت نجد «جرنفل» بالاشتراك مع الأستاذين «هنت» و«سميلي»، أخذ يفحص بوجه خاص معدل سعر تغيير العملة من النحاس والفضة في العهد البطلمي المتأخر، وقد أسفرت جهود هؤلاء العلماء عن الإماطة عن حقائق جديدة في هذه المسألة؛ فقد برهن على أن الدرخمة تمثل أوزانًا مختلفة في الفضة وفي النحاس؛ فكانت التبادلات في المعدنين تختلف من ٥٠٠ (وفي بعض الأحيان من ٦٠٠) إلى أقل من ٤٠٠ درخمة من النحاس لكل درخمة واحدة من الفضة. ومما يؤسف له أنه لم يكن تقدير «الأبول» بما لدينا من بيانات في الأوراق الإغريقية، ولكنه بدهي أنه كان عملة. وإذ حكمنا بأن المبالغ المذكورة لدينا هي حاصل ضرب خمسة درخمات دائمًا؛ فإن أصغر عملة كانت على ما يُظن تساوي خمسة درخمات، ومن ثم فإن الأبول كان إما يساوي هذه القيمة أو يساوي حاصل ضربه في خمسة. يُضاف إلى ذلك أن موازين النقد النحاسي الحقيقية لا تساعدنا كثيرًا على تقرير حقيقة هذه المسألة؛ وذلك لأنها كانت كثيرة التقلبات، ولكن نجد في الوقت نفسه بعض نقود عليها علامات تدل على قيمتها، وأعني بذلك نقودًا تختلف في وزنها من ١٥,٨ إلى ٢٠ جرامًا و٧,٨ إلى ١٠ جرامات، والظاهر أن كلًّا منها تساوي ٤٠،٨٠ قطع درخمات على التوالي.

هذا، ويمكن تكوين سلسلة حاصل ضربيات وتقسيمات من هذه دون صعوبة كبيرة من الموازين التي تبلغ حتى ٤٠٠ درخمة (؟) صعودًا من جهة، ونزولًا من جهة أخرى حتى خمسة درخمات.[٩]

وكذلك هناك تسليم عام في جانب نسبة الفضة والنحاس على وجه التقريب ١:٣٠، وقد نتج ذلك من مقارنة بيان الأوراق البردية والعملة النحاسية.

وإذا كان هذا الرأي — الذي لا يخرج عن كونه تخمينيًّا — صحيحًا، فإنه من البدهي أن الدرخمة من النحاس لا يزن مثل وزن الدرخمة من الفضة نصف قدت من معيار الدبن الفضة؛ بل أكثر بما يقرب من ١ / ١٥ أو ١ / ٢٠ منه.

ولكن نجد في بعض العقود أن اسم «قطعة» النحاس قد عُلمت برمز يظهر أن الأستاذ «بركش» قد برهن على أنه كان يُستعمَل أحيانًا للدلالة على القدت (من الفضة)، ومن الممكن أن هذا الرمز هو الشكل التام لكتابة كلمة قدت في حين أنه في العادة يُستعمَل اختصارًا.

وعلى حسب هذا فإن الأبول ὀβολος أو قطعة النحاس تكون قدت من النحاس، وإذا كانت تزن الوزن العادي للقدت المصري أي ١٤٠–١٥٠ حبة (= من ٩ إلى ٩,٧ جرامات) فإنها تتفق تمامًا مع كل العملة التي تساوي ٤٠ درخمة، والتي اقترحناها فيما سبق = ٧,٨–١٠ جرامات. ولكن إذا عادلنا وزنه بوزن القدت الفضي فإن ذلك يعطينا قيمة تبادل، أي وزن مقابل وزن ما يعادل فقط ١٢:٠١, والأحسن جدًّا جعله ضعفي وزن الفضة، وبذلك يساوي وزن قطعة قيمتها ٢ قدت أو ستاتر الذي نستعمله في صيغة المعادلة، وعلى ذلك فإن ٢٤ قطعة من النحاس تقابل قدتين (من الفضة) توضح نسبة النحاس للفضة بما يعادل ١:٢٤ وهي بمثابة نسبة رسمية يظهر أنها تقرب من النسبة التقريبية ١:٣٠ للتبادلات الحرة وغيرها، وعلى ذلك فإن الأبول يمكن أن يكون قطعة النقد التي تساوي ٨٠ درخمة المقترحة، وهي التي تساوي من ١٥,٨ إلى ٢٠ جرامًا، وهذا هو التفسير الذي يميل إليه «جرنفل» ومساعدوه. وعلى ذلك فإن ٢٤ من هذه القطع تساوي ما قيمته ستاتر واحدًا، أي إن كل درخمة من الفضة يساوي ٤٨٠ درخمة من النحاس على حسب الصيغة المُسْتَعْمَلَة.

[٩] راجع: Tebtunis Papyri I, Appendix pp. 580 Sqq.

(ج) عقد زواج من عهد بطليموس السادس[10]

التاريخ: السنة التاسعة والعشرون السابع من برمهات (= ٣٠ أبريل عام ١٥٢ق.م) من عهد الملك «بطليموس» و«كليوباترا» أخته وابني «بطليموس» و«كليوباترا» الإلهين الظاهرين، والملك «بطليموس» ابنهما الأكبر[11] الإله «يوباتور»،[12] وكاهن الإسكندر والإلهين المخلصين، والإلهين الأخوين، والإلهين المحسنين، والإلهين اللذين يحبان والدهما، والإلهين الظاهرين، والإلهين اللذين يحبان والدتهما، والإله «يوباتور»،[13] والكاهنة حاملة هدية النصر للملكة «برنيكي» المحسنة، والكاهنة حاملة السلة الذهبية أمام «أرسنوي» محبة أخيها، وكاهنة «أرسنوي» محبة والدها على حسب أولئك الذين وطدوا في «رقودة» و«بوزى» التي في إقليم «ني» (= طيبة) وذلك عندما كان «هرمياس» Hermias بن «كريتون» Kriton كاهن «بطليموس سوتر»، و«بطليموس» بن «بطليموس»[14] كاهن «بطليموس» المحب لوالدته، وعندما كان «ليزانياس» Lysanias بن «هيرونوموس» Hieronomos كاهن الملك «بطليموس» ابنهما الأكبر وهو الإله «يوباتور»، وعندما كان «سقراطيس» Sokrates بن «نيكاندروس» كاهن «بطليموس» محب أخته، وعندما كان «هرماس» Hermas (؟) بن «ديمتريوس» كاهن «بطليموس» المحسن، وعندما كان «أسنوس» بن «ليكوفرون» Lykophron كاهن «بطليموس» محب والده، وعندما كان «ديديموس» Didymos بن «أبوللونيوس» Apollonius كاهن الملك «بطليموس» الإله الظاهر الذي عمل أشياء طيبة، وعندما كانت «كليو» Kleio ابنة «كتيسيون» Ktesion كاهنة الملكة «كليوباترا»، وعندما كانت «دمتريا» Demetria ابنة «ليزيماكوس» Lysimachus كاهنة «كليوباترا» الأم الإلهة الظاهرة، وعندما كانت «تروفينياس» Trophinias ابنة «نيكانور» Nikenor بن «تريفون» Tryphon حاملة السلة الذهبية أمام «أرسنوي» محبة أخيها.

---

[10] راجع: Rylands III, P. 139.

[11] أي: الوارث للعرش.

[12] هذا الاسم منقول عن الإغريقية كما هو، ومن المحتمل أنه كان قد أُنعم عليه بلفظه من الإغريق لا من قبل جماعة طائفة الكهنة المصريين كما كانت العادة. ويُلحظ أنه في كل الأمثلة التي أتت بعد قد استُعْمِلَتْ لها ترجمة ديموطيقية: الذي والده شريف أو عمل شريفًا.

[13] كل هذه الألقاب خاصة بكاهن واحد خاص بعبادة الملوك المقدونيين بالإسكندرية.

[14] من المحتمل أن الملك نفسه كان كاهن ألوهيته.

الطرفان المتعاقدان: الطرف الأول: إن البلمي المولود في مصر (المسمى) «خنستوت» بن «حاربئيسي»، وأمه هي «تسحنبوور» قد اعترفت للمرأة.

الطرف الثاني: «شبتيت» Shebtit ابنة «حارسئيسي» وأمها هي «تائيسي».

نص العقد: لقد جعلتك زوجة، ومهرك هو ٤٠٠ قطعة من الفضة = ٢٠٠٠ ستاتر وعشرة مكاييل من القمح (؟) وإذا طلقها وتزوج من أخرى فإنه سيعطي ٣٠ قطعة من الفضة إضافية = ١٥٠ ستاتر وثلث ممتلكاته التي يملكها أو سيكسبها، وابنك البكر هو ابني البكر من بين الأطفال الذين ولدتيهم لي، وأنه (؟) ومعه الأطفال الذين ستلدينهم لي هم ملاك جميع كل شيء أملكه وما سأملكه.[١٥] وممتلكات العروس هي:

شعر مستعار (؟)	٢٠٠ قطعة من الفضة
شعر مستعار آخر (؟)	١٠٠ قطعة من الفضة
ملبس	١٢٠ قطعة من الفضة
أسورة معصم	٩٠ قطعة من الفضة
زاوية (؟)	٥٠ قطعة من الفضة
...	٣٠ قطعة من الفضة
صناجة كبيرة	١٠٠ قطعة من الفضة
صناجة صغيرة	٦٠ قطعة من الفضة
هاون	٤٥ قطعة من الفضة
وطاب (؟)	٥ قطع من الفضة
طوق (؟)	قطعة واحدة من الفضة النقية.*
كيس نقود (؟)	١½ من عملة الذهب الصغيرة

[١٥] معنى هذه الجملة غامض، ويجوز أن هذا الزواج قد عُقِدَ بعد المعاشرة الجنسية وولادة أطفال للزوجين.

قمح (؟)	عشرون إردبًّا
إبريق (؟)	(وزنه) دبنًا من الفضة النقية

* من المحتمل أن التقديرات السابقة لمتاع هذه المرأة كانت بعملة عيار قطها للنقد الفضي منخفض؛ أي بنسبة كل ٥ ستاتر تحتوي على حوالي ٢١٨ حبة لكل قطعة نقد من الفضة، ولكن الدبن المصري الحقيقي يزن من ١٤٠٠–١٥٠٠ حبة، ومن الجائز أن هذا الدبن كان قد استُعْمِلَ في وزن الفضة النقية، وهذه الفضة النقية قد حُسِبَتْ على انفراد في ممتلكات العروس (راجع Ibid p. 135).

فيكون المجموع ٨١٠ قطعة من الفضة؛ أي ٤١٠٠ ستاتر، وبالعملة النحاسية بنسبة كل ٢٤ قطعة مقابل قدتين ... إلخ.

وذلك بالإضافة إلى المهر وهو ١٢١٠ قطعة من الفضة؛ أي ٦٠٥٠ ستاتر، وبالعملة النحاسية بنسبة ٢٤ قطعة من النحاس مقابل كل قدتين من الفضة، وذلك بالإضافة إلى ١ $\frac{١}{٢}$ قطعة صغيرة من الذهب، ودبنًا واحدًا من الفضة الخالصة، و٣٠ مكيالًا من القمح (؟).

فيكون مجموع ممتلكات العروس المذكورة أعلاه ...

وقد تسلمتها في يدي كاملة غير منقوصة.

وقلبي راضٍ عنها.

وعندما تكونين في الداخل (أي في بيتي) فإنك تكونين معها (أي الممتلكات)، وعندما تكونين في الخارج (أي خارج بيتي) فإنك تكونين في الخارج معها.

وأنك أنت التي ستستعملينها، وأنا الذي أحافظ عليها (؟).

وفي أي وقت سأهجرك فيه بوصفك زوجة أو سترغبين فيه أن تتركيني من تلقاء نفسك وعندئذ لن تكوني ملك يميني؛ فإني سأعطيك نسخة من ممتلكات زواجك المذكورة أعلاه، أو ثمنها فضة على حسب ما هو مُدَوَّنٌ أعلاه، ولن يكون في استطاعتي أن أطلب منك يمينًا في بيت القضاء فيما يخص غرامة ممتلكات العرس المذكورة أعلاه بأن أقول: إنك لم تحضريها إلى بيتي في يدك.

وأنك أنت التي لك حق التنفيذ عليَّ فيما يخصها.

دون أية براءة أو أية كلمة على الأرض جيء بها ضدي.

كتبه «تترتايس» بن «نختمين» (؟) الذي يكتب باسم كهنة «حتحور» سيدة الجبلين والإلهين والأخوين والإلهين المحسنين، والإلهين المحبين لوالدهما، والإلهين الظاهرين، والإلهين المحبين لوالدتهما، والإله «يوباتور»، الخاصين بطوائف الكهنة الخمس.

وعلى ظهر الورقة إمضاءات ستة عشر شاهدًا.

تعليق

تنحصر أهمية عقد الزواج هذا في نقطتين هامتين؛ الأولى — وليست الأهم: أنه يقدم لنا صورة عن جهاز العروس عند الطبقة الغنية، كما يمكن أن يُلاحَظ ذلك فيما جاءت به العروس من جهاز يمتاز عما صادفناه في العقود التي مرت بنا حتى الآن.

أما النقطة الثانية — وهي الأهم: فهي ذكر «يوباتور» في المقدمة الطويلة التي جاءت في هذا العقد. والأمر المدهش أنه ذُكِرَ لنا هنا بوصفه ملكًا حيًّا يرزق.

والواقع أن «يوباتور» هذا لم يُذْكَرْ فيما كتبه أي مؤرخ من المؤرخين القدامى. وقد كُشِف عن اسمه للمرة الأولى في قائمة البطالمة المؤلَّهين في بردية كُتِبَت بالإغريقية محفوظة في متحف «ليدن» وقد عُثر عليها في عام ١٨٢١م، وقد كانت موضع جدال منذ ذلك الوقت. وموضع هذا الملك في قائمة الملوك البطالمة على حسب الترتيب التاريخي كان من الأمور التي يصعب الوصول إليها؛ ويرجع السبب في ذلك إلى أن كشوفًا أخرى قد أظهرت أن القوائم الملكية قد وضعته قبل الملك «بطليموس السادس»، غير أن هذه القوائم الخاصة بالكهنة الملكيين لبلدة «بطليمايس» لم تكن الكهنة مرتبة ترتيبًا تاريخيًّا فيها؛ ومن ثم فإن ذلك لم يكن ذا أهمية كما أشار إلى ذلك منذ زمن بعيد الأثري «لبسيوس»، ولكن بوجه عام وضع هذا الملك إما قبل «بطليموس السادس» مباشرة أو بعده مباشرة، وأقدم ذكر له جاء في السنة الواحدة والثلاثين من حكم هذا الملك الأخير. هذا، ولدينا نقش من «قبرص»، وهو عبارة عن إهداء تمثال الملك الذي دلت البراهين على أنه كان ابن «بطليموس فيلومتور» والملكة «كليوباترا».[16]

[16] راجع: Detteuberger OGISI, No. 123.

والأدلة التي استُنْبِطَت من هذه الوثيقة كان قد استخلصها «جرنفل» بحق هو ومساعدوه عام ١٩٠٢،[١٧] غير أن بيانهم قد أغفله المؤرخون الذين أتوا من بعدهم؛ وذلك لأنهم عدوا «يوباتور» خليفة الملك «بطليموس السادس»،[١٨] والمعروف أن «فيلومتور» وُلد عام ١٨٦ق.م، وتولى عرش الملك عام ١٨١ق.م، وكانت أمه وصية عليه حتى ماتت عام ١٧٣ق.م. وحوالي عام ١٧٢ق.م عندما كان «بطليموس فيلومتور» في الرابعة عشرة من عمره، تزوج من أخته «كليوباترا» التي كانت أصغر منه سنًّا. والآن نجد أنه في الأول من شهر برمهات من العام التاسع والعشرين من حكمه؛ أي: في ٢٨ مارس عام ١٥٢ق.م قد اشترك معه هو وزوجه ابنهما «يوباتور» في حكم البلاد. وعلى أية حال لم نجده مشتركًا مع والديه في العام التاسع عشر من حكمهما؛ كما تبرهن على ذلك الورقة ١٥ من مجموعة «ريلندز» ولا في العام الواحد والعشرين من حكمهما،[١٩] كما يثبت ذلك من المقدمات التاريخية التامة جدًّا في البرديتين المحفوظتين بمتحف باريس رقمي ٢٤١٦ و٢٤١٧، وكل منهما مؤرخة ١٨ بشنس عام ٢٨؛ أي ١٥ يونيو عام ١٥٣ق.م (؟)[٢٠] من حكمهما، وعلى ذلك يظهر أن اشتراك «يوباتور» مع والده يقع حتى حوالي العام العشرين بعد الزواج.

هذا، ولم نجده في ٤ طوبة من السنة الواحدة والثلاثين بعد في الحكم؛ بل كان يُعد بين البطالمة المؤلَّهين؛[٢١] ومن ثم فإن مدة حكمه كانت لا تزيد على عامين ونصف العام.

والواقع أن المصادر التي في متناولنا تشير إلى أن مدة حكم «يوباتور» القصيرة قد انتهت بموته المبكر، ويدل على ذلك فحص الاختلافات في مكانه في قوائم البطالمة، وهي التي كانت تظهر حتى الآن محيرة، وقد اكتفى المؤرخون بتفسير أن السبب في ذلك يرجع إلى جهل الكتاب التام بمعرفة مكانه الصحيح في التأريخ — ولكن الحقيقة قد كُشف عنها الآن.

ففي الورقة التي نحن بصددها نجد أن «يوباتور» بوصفه أحدث ملك يأخذ مكانه في نهاية سلسلة الملوك في كهنة «الإسكندرية» وكهنة «حتحور» المحلية.

---

[١٧] راجع: Gebt. I, p. 554.

[١٨] راجع: B.L. II, p. 56.

[١٩] راجع: Pap. Leyden 378.

[٢٠] راجع: Revillout Chrest. PP. 343, 351.

[٢١] راجع: Dem. Pap. Berlin No. 3097, p. 9.

هذا، ونجد في برديات متأخرة من نفس عصر الملك «بطليموس السادس» من العام الواحد والثلاثين والعام السادس والثلاثين (من برلين وستراسبرج)[٢٢] أنه وُضِعَ قبل «فيلومتور»، وذلك على زعم أنه قد سبقه إلى عالم الآخرة؛ غير أنه بعد موت «فيلومتور» نجد أنه بوصفه والدًا قد أُعيد إلى مكانه القديم هكذا «فيلومتور-يوباتور» في معظم الأوراق الديموطيقية التي من عهد «بطليموس الثامن» (راجع: Berlin, John Ryl. XVII etc) في حين نجد في أوراق أخرى (راجع: Ibid XVIII, XIX) أن الترتيب قد بقي كما كان: «يوباتور-فيلومتور». وبعد موت «إيرجيتيس الثاني» نلحظ أن الأغلبية العظمى تضع «يوباتور» في المكان الأول، غير أنه توجد بطبيعة الحال اختلافات كثيرة.

هذا، ونجد في مجموعة نقوش «دتنبرجر» سلسلة إهداءات من هذا العصر للملك «بطليموس السادس» وأخته وابنهما «بطليموس»، كما يُوجد إهداء خاص بالملك «فيلومتور»، وكلاهما عُثِرَ عليه بالقرب من الشلال الأول. وفي جزيرة «قبرص» عُثر على ثلاثة إهداءات باسم «يوباتور» وحده.[٢٣]

ومن الجائز على ما يظهر أن «قبرص» قد عُنيت بوصفها الدائرة التي كان يحكم فيها «يوباتور»، وعلى أية حال لا تزال تُوجد مشكلة هامة لا بد من فحصها، وذلك أنه توجد نقود نُسِبَت لحكم «فيلومتور» و«يوباتور» المشترك، وذلك في السنة السادسة والثلاثين من حكم الأول، وهي التي تقابل السنة الأولى من حكم الآخر. وفي عام ١٩٠٤ أظهر «سفورونوس» Svoronos في كتابه العظيم الذي وضعه عن نقود البطالمة أنه يمكن تفسير ذلك بطريقة أخرى، فقد نسب النقود التي أُرخت بعام ٣٦ إلى عهد «إيرجيتيس» الثاني، وقد ضُربت لتتداول في «بافوس» Paphos وفي «الإسكندرية» أو مصر.[٢٤]

غير أن الكشوف كانت تسير بخطى واسعة، فقد نُشر نقش جنازي عُثر عليه في الفيوم في نفس الوقت تقريبًا، وفيه تأريخ بطلمي، وهو السنة السادسة والثلاثين = السنة الأولى. وقد نسب المؤرخ «ستراك»[٢٥] وتبعه «ريكي» Ricci — دون أي تردد — هذا التأريخ للملكين «فيلومتور» و«يوباتور». ومن المعقول حقًّا أن «يوباتور» بعد أن مُنح نصيبًا في

[٢٢] راجع: Laqueur Quaestiones p. 31.

[٢٣] راجع: Dettenberger Ibid. 1, 121, 122, 123, 125, 126.

[٢٤] راجع: Svoronos I. c.

[٢٥] راجع: Strack Archiv. III, 128.

حكم مصر حوالي العام التاسع والعشرين من حكم والده «بطليموس السادس» قد أُخلي سبيله، ثم نُصب ملكًا منفردًا على «قبرص» وقد اقتُرِح أن السبب في تعيينه ملكًا على «قبرص» كان الغرض منه هو تقوية الحكومة من جراء التهديد بالهجوم عليها من قبل «بطليموس البطين» كما حدث فعلًا في عام ١٥٤ق.م، يُضاف إلى ذلك أن فصل «قبرص» عن مصر كان على حسب هوى السياسة الرومانية، وقد كان من صالح «فيلومتور» إرضاء «روما» وبخاصة عند أمسية تدخله في سوريا لمساعدة «الإسكندر بالاس»، ومما يؤسف له جد الأسف أن البراهين الدالة على وجود «يوباتور» في «قبرص» ليست مقنعة تمامًا.[٢٦] هذا، وسنتحدث عن «يوباتور» فيما بعد.

(١-٤) أوراق البردي التي من عهد بطليموس السادس الموجودة بالمتحف المصري

(أ) نظم جمعية دينية

من أهم الأوراق البردية التي عُثر عليها في منطقة الفيوم سلسلة أوراق خاصة بنظام جمعيات دينية تعاونية يرجع أقدمها إلى عهد «بطليموس الثالث»، وقد تحدثنا عنها في الجزء الخامس عشر من هذه الموسوعة، وقد عُثر على هذه الأوراق في بلدة «جعران».

هذا، وقد أسفرت أعمال الحفر في بلدة «أم البرجات» من أعمال الفيوم كذلك عن كشف مجموعة أخرى من هذه الأوراق الخاصة بنظم جمعيات دينية تعاونية تحدثنا عما كان في نفوس المصريين من روح التعاون والإخاء في كل مواقف الحياة الحرجة التي يحتاج فيها الإنسان لأخيه الإنسان بوازع الضمير والدين الذي كان يعلب دورًا عظيمًا في تقويم الأخلاق عند المصريين القدامى.

ونخص بالذكر من هذه الوثائق مما يأتي:

(١) بردية عُثر عليها بجوار مومية تمساح في «أم البرجات» مؤرَّخة بالسنة الخامسة والعشرين من عهد «بطليموس السادس».

---

[٢٦] راجع: George Hill, A History of Cyprus Vol. II, p. 194 note 3.

الترجمة[27]

التاريخ: في السنة الخامسة والعشرين، اليوم الثامن والعشرين من شهر مسرى من عهد الملك «بطليموس» و«كليوباترا»، وهما اللذان أنجباهما «بطليموس» و«كليوباترا»، وعندما كان كاهن «الإسكندر» والإلهين المخلصين والإلهين الأخوين والإلهين المحسنين والإلهين اللذين يحبان والدهما والإلهين الظاهرين والإله الذي والده شريف والإلهين اللذين يحبان أمهما؛ «نتيانيانيس» Ntianens بن «أكسانتيكوس» Xantlhicos3، وعندما كانت المرأة «كلانيجا» Klaniga ابنة «أرتياس» Artias حاملة هدية النصر أمام «برنيكي» الإلهة المحسنة، وعندما كانت المرأة «كليوباترا» ابنة «إسوكراتيس» Isokratis حاملة السلة الذهبية أمام «أرسنوي» محبة أخيها، وعندما كانت المرأة «أبوللونيا» Appollonia ابنة «إسوكراتيس» كاهنة «أرسنوي» محبة والدها.

نص قانون الجمعية: القانون الذي وافق عليه أعضاء الطائفة السادسة والكاهن قائد عموم الشعب الخاص بالتمساح المقدس، وهم الذين اجتمعوا أمام «سبك» والآلهة «سبك» في حقل في عيد «سبك» وموكبه والآلهة «سبك» في مأوى التمساح المقدس سيد بلدة «تطون» (على مقربة من «أم البرجات» ومن المحتمل أنها موحدة ببلدة تبتنيس القديمة) في قسم «بولمون» Polemon في مقاطعة «أرسنوي»، وذلك عندما قالوا: إنا ننفذه (أي القانون) من الثاني من شهر مسرى من السنة الخامسة والعشرين حتى الثامن من شهر مسرى من السنة السادسة والعشرين؛ أي لمدة ١٢ + ١ / ٦ شهرًا؛ أي سنة ثانية، وقالوا جميعًا: لقد اجتمعنا رسميًّا أمام «سبك» والآلهة «سبك» في عيد «سبك» وموكبه، والآلهة «سبك» وأيام الأعياد التي وافق عليها رجال المؤسسة، وقد اجتمعنا فيها رسميًّا، وندفع نقود العضوية كل شهر، وندفعها إلى يد رئيس المؤسسة كل شهر، هذا فضلًا عن ثمن الماشية الصغيرة الذي يجب علينا أن ندفعه أيضًا، وإن الذي من بيننا لم يدفع اشتراك العضوية في كل شهر بشرط أن يدفعه في يد رئيس المؤسسة كما هو مدون أعلاه؛ فعلى رئيس المؤسسة أن يذهب إلى بيته، ويأخذ ضمانًا بالنقد المذكور، ويجب أن يجبر هذا الرجل على أن يدفع غرامة قيمتها خمسة وعشرون دبنًا من الفضة، وسيطارَد حتى يدفع دينه. وكذلك يجبي كراميون (مكيال) من النبيذ

[27] راجع: Spiegelberg. Cat. Gen. Caire No. 30605, Tafel, X, XI, XII.

بمثابة ضريبة على كل واحد منا، وأن الذي يأتي بها يجب عليه أن يوردها لرجال المؤسسة، وأحيانًا يورد كرامينين من النبيذ عن كل واحد منا عندما يكون الكراميون يساوي خمسة دبنات من الفضة، ويجب عليه أن يقدم رهنًا من الملح والعطور والأكاليل والأزهار (؟) والزيت والشحم (؟) للنقد (المستحق) للمؤسسة.

وإن الذي منا يقال له أحضر نقودًا لأجل أيام العيد ولا يحضرها يجب عليه إذن أن يدفع غرامة قدرها خمسة وعشرون دبنًا من الفضة. وإن من سيقترف ذنبًا فإنه سيطارَد ثانية إلا من كان مريضًا أو سجينًا أو من كان يحارب من أجل الملك، وعلينا أن نقرب الشراب والقربان المحروقة للملكين «بطليموس» و«كليوباترا»؛ و«بطليموس» و«كليوباترا» هما الإلهان الظاهران اللذان أوجدا الملك العائش أبديًّا، بالإضافة إلى القربان المحروق والشراب للإله «سبك» والآلهة «سبك» في خلال العيد والموكب المذكور أعلاه، ونحن نربي الآلهة «سبك» (أي التماسيح) ونحن نرافقها حتى مكان دفنها كما كانت الحال في الأزمان السالفة، وأن من لا يخرج منا لأجل تربية الآلهة التماسيح، وأن من لا يرافقها منا إلى مكان دفنها؛ فإن غرامته يجب أن تكون ثلاثين دبنًا من الفضة، وعلى ذلك فإن غرامة الآلهة التماسيح كذلك تُطلب منه باستثناء الناس الذين نوهنا عنهم أعلاه.

وعند وفاة واحد منا فإنا نحزن عليه، ثم نرافقه جميعًا في الجمعية،[٢٨] وأن من لا يحزن عليه ولا يقوده إلى الجمعية فإن غرامته تكون خمسة دبنات من الفضة مع استثناء الناس الذين ذُكروا أعلاه، وعندما يتوفى واحد منا خارج المدينة فعلينا أن نعين عشرة أعضاء من المؤسسة، ونجعلهم يمشون خلفه، ويعملون له كل ما هو مدون أعلاه، وعندما يكون واحد منا من الذين كلفوا بالمشي خلفه من المؤسسة لم يذهب، فإن غرامة كل فرد (لم يفعل ذلك) يجب أن تكون عشرة دبنات من الفضة باستثناء الناس الذين ذكروا أعلاه.

وعندما يكون والد واحد منا أو أمه أو أخته أو ابنه أو بنته أو أولاد زوجه أو والد زوجه أو زوجه قد مات؛ فعلينا أن نحزن من أجله، ونصحبه في الجمعية جميعًا، وعندما لا نحزن عليه ولا نصحبه في الجمعية فإن الغرامة تُقدَّر بخمسة دبنات من

[٢٨] لا بد أن المقصود هنا أن الأعضاء كانوا يجتمعون في الجمعية حزنًا عليه كما تقام ليلة الجناز في زمننا للتعزية.

الفضة (على كل فرد) باستثناء الأفراد المُشار إليهم أعلاه، وأن الواحد منا الذي يتوفى ابنه وهو صغير جدًّا … مع شرب الجعة، ويجعل قلبه فرحًا مع سائر الناس الذين عينتهم المؤسسة ليحتسوا معه الجعة (أي يقيمون وليمة). وأن الذي منا يصبح عدو الإله (أي به مس من الشيطان أو كما يُعبَّر عنه العامة: يركبه عفريت = ملبوس) أو أسير معبد الإله؛ فيجب أن يبقى مع رئيس المؤسسة، وعلينا أن نعطيه خمسة كرامين (من النبيذ)، وأن الذي منا سيُتهم في قضية سيئة فإنه علينا أن نقف بجانبه، وتُرد إليه نقود الاشتراك، ويقرر رجال المؤسسة إعادتها له. وإن من يأتي بسوء منا أمام قائد أو صاحب سلطان قبل أن يتهمه أمام المؤسسة فإن غرامته يجب أن تصل إلى خمسين دبنًا من الفضة، ولكن الذي يُتهم منا بعد أن يكون قانون المؤسسة قد نفذ ويكون قد أدانه؛ فإن غرامته تبلغ مائة دبنٍ من الفضة، وأن الذي من بيننا يقول لواحد منا: إنك مجذوم، ولا يكون مجذومًا فإن غرامته تبلغ مائة دبنًا من الفضة، وأن الذي من بيننا يسب واحدًا منا فإن غرامته تبلغ خمسة وعشرين دبنًا من الفضة، وأن من يكرر ذلك يدفع غرامة قدرها ٧٥ دبنًا من الفضة، وإن سب آخر يعادل أربعين دبنًا، وإن من يكرر ذلك يدفع ستين دبنًا من الفضة، وإن سب فرد عادي يساوي ستين قطعة من الفضة، ومن يكرر ذلك يغرم تسعين دبنًا، وأن من يضرب من بيننا واحدًا منا فإن غرامته تبلغ خمسين دبنًا، والإضرار بالكاهن الرئيس الأعلى غرامته خمسة وستين دبنًا، ومن يكرر ذلك يدفع غرامة قدرها خمسة وثمانين دبنًا. والإضرار بالغير يساوي خمسة وثمانين دبنًا، وأن من يكرر ذلك يدفع غرامة قدرها ٧٥ دبنًا، والإضرار برجل عادي يعادل ٨٠ دبنًا، وإذا تكرر ذلك فالغرامة قدرها مائة دبنٍ فضة. وأن الذي منا يجد واحدًا منا في الطريق؟ … أو يقول: ليتني أُعْطَى نقدًا لأني في ضائقة، ولا يعطيه شيئًا يغرم ٢٥ دبنًا باستثناء الناس الذين يحلفون يمينًا أمام «سبك» مؤداه: «أنه لم يكن في استطاعتي إعطاؤه شيئًا»، وأن الذي من بيننا يلحق ضررًا برئيس المؤسسة ويكون في يده ما يرشيه به فإن غرامته تبلغ ٢٥ قطعة من الفضة، وأن الذي منا يوافق عليه رجال المؤسسة ليُعَيَّن في إدارة المؤسسة ولا يقبل فإن غرامته تكون ٣٥ دبنًا فضة باستثناء الناس الذين ذُكروا أعلاه، ويُطالب ثانية الإنسان بأن يدفع دينه.

والمشرف على المؤسسة يقرر كل كلمة تكلمها معنا باسم كل كلمة أعلاه، وعلينا أن نؤديها على حسب أمره قهرًا وبدون إبطاء.

كتبه «بتوزريس» بن «سوكونوبيس» Sokonopis (؟).

يأتي بعد هذا النص أسماء أعضاء المؤسسة، واسم والد كل منهم، والمبلغ الذي يدفعه بصفة اشتراك في هذه المؤسسة، وقد وردت هذه الأسماء في عمودين الأول يحتوي على ثلاثين اسمًا، والعمود الثاني يحتوي على اسمين وهما اسم المشرف على المؤسسة واسم الكاتب. ثم كُتِبَ أسفل هذا بالإغريقية مجموع مبلغ الاشتراكات وقدره ١٦٦ $\frac{٥}{١٠}$ دبنًا شهريًّا، ونصفها ٨٣ + $\frac{٢}{١٠}$ + $\frac{\frac{١}{٢}}{١٠}$ دبنًا من الفضة.

(٢) ولدينا وثيقة ثانية عن مؤسسة دينية تعاونية أخرى مؤرَّخة بالسنة الرابعة والعشرين من حكم الملك «بطليموس السادس»، وكل مواد هذه الوثيقة وألفاظها تكاد تكون طبق الأصل كألفاظ المؤسسة السابقة، وليس هناك اختلاف بين الوثيقتين إلا في أسماء الأشخاص المشتركين. وقد عُثِرَ على هذه الوثيقة في «أم البرجات».[٢٩]

(٣) وأخيرًا لدينا وثيقة ثالثة تبحث في نفس الموضوع، ويرجع عهدها إلى «بطليموس السادس» أيضًا مؤرخة بالسنة الثالثة من حكمه، وقد أُلفت على غرار الوثيقتين السابقتين، وليس فيها من جديد غير ما ذُكر من أسماء المواد التي جاءت على ظهر الورقة، وهي أسماء المواد التي كانت لازمة للتحنيط.[٣٠]

تعليق

لا نزاع في أن الغرض الأساسي من مثل هذه الجمعيات كان دينيًّا قبل كل شيء، وهو إقامة الشعائر لإله المنطقة، وهو الإله «سبك» الذي كان يمثل في صورة تمساح، ثم امتدت مواد مبادئ هذه الجمعية إلى التعاون الصادق بين أفرادها، والأخذ بناصر كل من نابه نائبة سواء أكانت في ماله أم في أهله، وقد كان النظام فيها قائمًا على أسس المساواة في المعاملة؛ فقد كان العقاب الذي يُفرض على كل من يخالف قوانين الجمعية يُطبق على جميع أفرادها دون استثناء إلا من كان مريضًا أو كان يؤدي خدمة لبلاده في ميدان

[٢٩] راجع: Spiegelberg, Cat. Gen. I, p. 26–29.

[٣٠] راجع: Ibid., p. 286–90.

القتال أو كان في غياهب السجن، والواقع أن ما جاء في مواد هذه الجمعية يكاد يمثل النموذج المثالي للحديث الشريف: «الدين المعاملة»، فهذه المواد التي نقرؤها في قانون هذه المؤسسة تفرض على كل الأفراد المشتركين في هذه الجمعية أن يعامل كل إنسان بما يجب أن يعامَل به، وألا يتنابذ بالألقاب كذبًا وبهتانًا. هذا، ويلفت النظر بوجه عام أن العقوبات التي كانت تُفرض على كل من خالف القانون بالتعدي على حقوق المؤسسة، وعلى كرامة أعضائها؛ كان رادعًا، وذلك لأن كل مذنب كان عليه أن يدفع الغرامة نقدًا مما كان يؤثر في حياته وحياة أسرته. وأخيرًا نجد أن من كان يتعدى على فرد آخر خارج الجمعية كانت غرامته على ذلك أكبر من الغرامة التي كان يدفعها لو تعدى بنفس الجرم على أحد أفراد المؤسسة، وعلى أية حال فإن مثل هذه الأنظمة الرادعة لا نجدها عند قوم أُخر إلا عند الرومان في أول قيام جمهوريتهم.

(ب) عقد بيع من عهد بطليموس «فيلومتور»[٣١]

كُتِبَ هذا العقد باللغتين الديموطيقية والإغريقية، والنسخة الإغريقية استولى عليها المستر «جري» وهي محفوظة الآن بالمتحف البريطاني.[٣٢] هذا، ويلفت النظر أن الورقة رقم ١٨ بالمتحف الوطني بباريس هي عبارة عن صورة طبق الأصل من هذا العقد، وهي مؤرَّخة بالثامن من شهر هاتور عام ٣٦ من حكم هذا الفرعون.

ترجمة

التاريخ: السنة السادسة والثلاثون، الرابع عشر من هاتور من عهد الملكين «بطليموس» وأخته «كليوباترا» ابني «بطليموس» و«كليوباترا» الإلهين الظاهرين، ومن عهد كاهن «الإسكندر» والإلهين المحسنين والإلهين المحبين لوالدهما والإلهين الظاهرين والإله «يوباتور» والإلهين المحبين لأمهما؛ ومن عهد الكاهنة حاملة هدية النصر أمام «برنيكي» المحسنة، ومن عهد الكاهنة حاملة السلة الذهبية أمام «أرسنوي» محبة أخيها،

[٣١] راجع: Brugsch, Thesaurus, 880–885; Spiegelberg, Dem. Pap. Berlin, p. 10 & Pl. XVII–XVIII, Trans, p. VI, Inhalt und Erlauterung.

[٣٢] راجع: Revillout, Chrest, Demotique, p. 62 sq.

وكاهنة «أرسنوي» محبة والدها، أنه على حسب ما هو معمول به في مدينة «رقودة» (الإسكندرية) وعلى حسب ما أمر به الملك فيما يخص فرد في مقاطعة «طيبة» الكاهن المنتخب للملك «بطليموس سوتر» وكاهن الملك «بطليموس فيلوباتور» وكاهن الملك «بطليموس» محب أخته وكاهن «بطليموس إيرجيتيس»، وكاهن «بطليموس» محب والدته وكاهنة الملكة «كليوباترا» وكاهنة «كليوباترا» زوج الملك، والكاهنة حاملة السلة الذهبية أمام «أرسنوي» محبة أخيها.

الطرفان المتعاقدان: الطرف الأول: يقول حارس معبد «أمونؤبي» الواقع على الشاطئ الغربي لـ «طيبة» المسمى «أونوفريس» بن «حور»، وأمه هي «سنوبوئزيس» Senopoesis صاحب القوام المعتدل، وعمره أربعون سنة، والضخم ذو اللون الأسود، والأصلع، ومن عيناه جميلتان.

الطرفان الثاني: لحارس معبد «أمونؤبي» الواقع في الجانب الغربي من «طيبة» المُسَمَّى «منتوس» بن «حور»، وأمه هي «سنوبوئزيس».

نص العقد: قد حاسبتني وانشرحت بالنقود مقابل حقي القانوني عن الأموات الذين يثوون في «تينابونون» Thynabunun الواقعة في غربي «طيبة»، وعن نصف الثلث نصيبي من أجل أشغالها ... وهي ١ / ٦ وأوصافهم هي: سبوتوس Spotus وأولاده وأهله، و«حربوخراتيس» بن «نختمومونتيس» وأولاده وأهله و«بتمستوس» بن «نختيس»، و«حارسائزيس» بن «سمينيس» Zminis ومعه أولاده وأهله، «وأوزوروئريس» Osoroeris بن «حور» وأولاده وأهله و«سبوتوس» بن «حابوحوسبس» حفار الرموز الهيروغليفية وأولاده وأهله، وهم الذين يمتلك منهم حانوتي الجانب الغربي من «طيبة» المسمى «حور» بن «حور»، وأمه هي «سنبوئزيس» النصف الثاني من الثلث الذي هو حق المتوفين قانونًا، وهو المذكور أعلاه، والسدس الذي بعته في السنة السادسة والثلاثين في شهر هاتور من عهد الملك العائش أبديًّا مقابل بيع بنقد، وهو مع الثلث نصيبي يكمل النصف من الحق القانوني للموتى في مكان «بدينوفرتم» وأهله أولئك الذين يثوون هناك، مع نصف حقي الشرعي من مكان «بوخونسيس» بائع اللبن مكان «فكسو» Phekzo الوالي المذكور أعلاه. وقد تسلمت منك من أجل ذلك الثمن كاملًا غير منقوص، وإني أقول بأني مسرور بذلك، وليس عندي أي اعتراض في العالم بسببها عليك، وكذلك ليس لأي واحد في العالم، وأنا الذي

منذ اليوم فصاعدًا سأدافع عنك كما هو متَّفَق عليه أعلاه، وكل فرد سيأتي إليك بسببها باسمي فإني سأقصيه عنك دون أية مقاضاة ولا أية كلمة في العالم يتبادلها معك.

كتب هذا «حور» بن «فانيس» الكاتب باسم كاهن «آمون» ملك الآلهة والإلهين المتحابين والإلهين المحسنين والإلهين المحبين لوالدهما والإله «يوباتور» والإلهين المحبين لوالدتهما من أجل الطائفة الخامسة من الكهنة.

يُلحظ في هذا العقد أن الملك «يوباتور» بن «بطليموس السادس» قد جاء هنا بوصفه مشتركًا مع والده في الملك، ولكن حقيقة الأمر أنه كان قد توفي بعد أن حكم معه مدة قصيرة على ما يقال، كما شرحنا ذلك من قبل.

(ج) رسائل بالديموطيقية من عهد بطليموس السادس

لدينا قطعة من رسالة مؤرَّخة بالسنة العشرين من عهد الملك «بطليموس السادس» (= ٢٠ يناير عام ١٥٩ق.م).

وهذه القطعة من البردي يقول عنها الأستاذ «ريفييو»[٣٣] بحق: إن لها علاقة وطيدة بثلاث رسائل أخرى محفوظة بالمتحف البريطاني،[٣٤] وقد كتبت جميعها في شهر واحد وبعنوان واحد، وقد بحث هذه الأوراق الأستاذ «زيته» وسنكتفي هنا بترجمة ما تبقى من الرسالة الأولى.[٣٥]

وهاك ترجمة الخطاب الأول

> إن «حار-ت-دوتف» (= المنتقم لوالده، وهو لقب لحور) بن «حور» الذي يقول: لقد تعودت أن أسأل جميع الناس الذين يأتون نحو الجنوب عن صحة القائد، وقد عرفت منهم أنه ليس هناك أية شائبة عنك، وقد فرح قلبي كثيرًا، ولكن

---

[٣٣] راجع: Rev, Egypt. Tom. V, p. 64.

[٣٤] راجع: British Museum, 10405 = Corp. Pap. II, 1; 10231 = Corp,. Pap. II, pl. 3; 10406 = Corp. Pap. II, pl. 4.

[٣٥] راجع: Sethe, Abh. der Gott. Ges. d. Wiss. Phil., hist, Klasse Neue Folge Bd. XIV, No. 51, p. 86 ff.

تأمل، لقد أرسلت فعلًا رسالات كثيرة نحو الشمال فيما يخص «بدي خنس» بن «با-سا-عا» الذي من طرفنا دون أن يصل إليَّ ردك، في حين أنه بسبب ذلك رجوتك قائلًا: إذا حدث أن الأمر يحتاج إلى ضمان أو شيء آخر فإنه سيكون في استطاعتي أن أكون معك في الحال.

وعندما يحتاج الأمر لذلك فيمكن أن ترسل خبرًا لي بذلك، ومن ثم حدث بأني لم أسرع منحدرًا في النيل حتى اللحظة، وإني على ذلك أرجو أنه إذا حدث ما يوجب تقديم ضمان أو أي شيء آخر فإني مستعد لذلك، وإن غرضي فيما يخص «بدي خنس» ينحصر في إخراجه من السجن، ويمكن إرسال خبر لي بذلك، وقد بدأت استعداداتي (للسفر) لأجل أن أسرع منحدرًا في النيل، وقد أرسلت «أبوللوفانيس» الفتى ليسأل عن صحة «بدي خنس» وعن مصاريف الإقامة (مدة) شهر. والمهم الآن هو إرسال أخبار عن صحتكم، وعن الأحوال التي تجري هناك. إلى الملتقى القريب جدًّا (= حرفيًّا إلى أن تسمح الآلهة بأن أرحب بك) وأنت في حالة جيدة.

كُتب في عام ٢٢، الشهر الرابع من فصل الفيضان (٢٢ كيهك).

ومضمون هذه الرسالة هو أن «بدي خنس» كان تابعًا ومستخدمًا عند كاتب الرسالة، وقد كان مسجونًا لسبب ما كما يظهر في المكان الذي يسكن فيه المرسل إليه الرسالة، والظاهر أن كاتب الرسالة كان قد أرسل عدة رسائل، وأبدى فيها استعداده لضمان السجين غير أنه لم يصل إليه أي رد على خطاباته. والآن نجد الراسل يلجأ إلى قائد شرطة كبير في خطاب يبدي فيه من جديد استعداده لضمان السجين، ويوضح له أنه مستعد في كل وقت للحضور بنفسه لإجراء اللازم.

الرسالة الثانية: وهي مؤرخة في ٢٠ فبراير عام ١٥٩ق.م في عهد الملك «بطليموس السادس».[٣٦] وهي ممزقة لا يمكن استخلاص شيء منها.

[٣٦] راجع: Sethe demotische Urkunden zum Burgschaft srechte, p. 433 ff.

(١-٥) أوراق السرابيوم الديموطيقية والإغريقية

تحدثنا في غير هذا المكان عن موقع السرابيوم، وما حوله من المباني الدينية، وأهمية هذه المباني، والواقع أنه كُشف في سرابيوم «منف» هذا عن ملف من الأوراق البردية الإغريقية والديموطيقية يحتوي على أكثر من ستين بردية، منها ما هو مسودات، ومنها ما هو نسخ عن موضوع التوأمين وموضوع «بطليموس» والرهبان الذين كانوا يسكنون في هذه المنطقة المقدسة. وقد كُشف عن هذا الملف منذ عام ١٨٣٠م، وأوراق هذا الملف مبعثرة في متاحف أوروبا، وقد قام بفحص هذه الأوراق وبخاصة الإغريقية منها عدد كبير من العلماء، وقد قام أخيرًا العالم «فلكن» يجمع شتاتها ونشرها في الجزء الأول من كتابه المشهور المسمى: وثائق عصر البطالمة.[٣٧] هذا، وقد تناول الأستاذ «ريفييو»[٣٨] في بعض مقالات له عن الأوراق الديموطيقية التي يحتويها ملف السرابيوم. وأوراق السرابيوم أو ملف السرابيوم كما يسميه بعض المؤرخين هو عبارة عن أوراق خلفها لنا متعبد أو راهب كان يعيش في معبد السرابيوم يُدعى «بطليموس» وكان أبوه يُدعى «جلوسياس»، وكان الأخير على ما يظهر من الجنود المرتزقين الذين كانوا يملكون قطع أرض لزراعتها مقابل خدماتهم العسكرية، وكانت أرض «جلوسياس» هذا في قرية «بسيشيس» Pisichis من أعمال مقاطعة أهناسيا، وفي حوالي أكتوبر عام ١٧٢ق.م أصبح «بطليموس» هذا ضمن الذين انقطعوا للعبادة في السرابيوم. وقد وصفه بعض المؤرخين بأنه كان موحًى إليه، أو به مس من الجن، وهو ما يُعبَّر عنه في أيامنا هذه بالرجل المسكون (أو كما تقول العامة «عليه عفريت» أو «يركبه عفريت» أو «عليه أخته»)، وكان على كل من كان في حالة «بطليموس» هذا لا يغادر حرم المعبد، ومن الغريب أن بعض المؤرخين قد فسر عدم مغادرة «بطليموس» هذا حرم المعبد بأنه كان مدينًا، ولم يكن في قدرته أن يدفع ما عليه من دين، من أجل ذلك لجأ إلى المعبد ليكون في حماه، كما فسر بعضهم حبسه في المعبد بأنه عقاب وقعه عليه رئيسه في الجيش.

والواقع أن «بطليموس» قد لجأ إلى معبد السرابيوم ليعبد الله، ويخلص نفسه مما كان يدور حوله من شرور وثورات كانت منتشرة في طول البلاد وعرضها في تلك الفترة،

---

[٣٧] راجع: Wilcken Urkunden der Ptolemaerzeit.

[٣٨] راجع: Rev. Egypt. Tom. I, p. 160; Tom. II, p. 166.

وقد أشرنا إلى ذلك فيما سبق، ولم يكن «بطليموس» هذا هو الوحيد الذي كان قد ترهبن؛ بل كان هناك غيره من المصريين والإغريق في سرابيوم «منف»، وتدل الوثائق التي في متناولنا على أن «بطليموس» هذا قد بدأ رهبنته منذ عام ١٦٤ق.م هذا ونجد في آخر الوثائق التي وصلت إلينا من ملفه وقد أُرخت بعام ١٥٢ق.م بأنه كان لا يزال في رهبنته سجين نفسه، وليس هناك من شك في أن «بطليموس» على الرغم مما أنتجه خيال المفكرين من تفاسير متناقضة كان رجلًا تقيًّا ورعًا متعلقًا بعبادة الإله «سرابيس» الذي أملى إرادته عليه بوساطة أحلام أو وحي بأن يبقى في ساحة الإله يتعبد إليه، وقد كان دائمًا يذكر «بطليموس» هذا في شكاياته بالسنين العدة التي قضاها في عزلته، وهي تتراوح ما بين عشر سنوات وخمس عشرة سنة. وتدل الظواهر على أن عزلة «بطليموس بن جلاسياس» في السرابيوم كانت غاية في الشدة، فلم يكن في مقدوره أن يغادر صومعته وحسب، بل إنه أكثر من ذلك عندما كان الملك نفسه أو بعض كبار من عظماء الدولة يطلع لزيارة معبد السرابيوم فإنه كان لا يحادث أحدًا منهم إلا من خروم خليته، وقد حصل — لأجل القيام بمصالحه — أن عمل على أن يقيد أخاه في إحدى فرق الجيش المعسكرة في «منف» وعلى أن يتسلم مرتبه دون أن يكون ملزمًا بالقيام بأي عمل عسكري، وذلك لأجل أن يكون دائمًا تحت تصرفه، وليحميه عند الضرورة، وهذه كانت العادة المتبعة مع أمثال «بطليموس»،[٣٩] وذلك لأنه على ما يظهر على الرغم من صبغته الدينية، وما هو عليه من ورع وتقًى كان عرضة لكراهية الكهنة المصريين وحقدهم عليه بوصفه إغريقيًّا، ويعتبر دخيلًا عليهم، وقد شكى فعلًا من ذلك للملك.[٤٠]

والواقع أن جزءًا عظيمًا من أوراق السرابيوم هو عبارة عن مسودات تحتوي على شكاوى لأولي الأمر وتظلمات ومكاتبات خاصة بأمور تتعلق بمصالح «بطليموس»، وكان معه دائمًا أخوه «أبولونيوس» الذي كان كذلك مقيدًا بالمعبد بأمر من الإله لمدة قصيرة، وكان يعمل أمينًا لأخيه في صيف عام ١٥٨ق.م وقد كان «أبولونيوس» هذا عالمًا فقير الحال ولا يزال في شرخ الشباب. هذا، وتشير أوراق «بطليموس» إلى مسائل عدة مختلفة؛ ففي عام ١٦٤ق.م أرسل شكوى للملكين خاصة بفتاة تدعى «هيراكليس» كانت قد احتمت بمعبد السرابيوم، وكان قد تبناها هو، وقد أُخذت منه عنوة، وأصبحت رقيقة في «منف»، وفي

[٣٩] راجع: Rev. Egypt T. I. p. 161, note 3.

[٤٠] راجع: Ibid., p. 161.

عام ١٦٣ق.م نجده في رسالة يشكو أولًا لحاكم المقاطعة الحربي، ثم إلى الملك «بطليموس السادس فيلومتور» من أنه كان قد حُبس في خلية خاصة في المعبد على يد أصحاب السلطة هناك، ومن بعض رجال الشرطة من نقطة شرطة معبد الأنوبيوم (أي معبد أنوبيس)، من أنهم انقضوا على خليته، واستولوا على أمتعته بحجة أنهم كانوا يبحثون عن أسلحة قد تكون مُخَبَّأَة في خليته، وفي تلك الأثناء كانت الثورات قائمة على قدم وساق في مصر. والواقع أنه في تلك الأيام كانت العداوة بين الإغريق وبين المصريين قد اشتدت لدرجة عظيمة بسبب الثورة التي كان يقوم بها البطل المصري «بتوزيريس» ليحرر البلاد من النير البطلمي، ولا غرابة في أن نرى أن «بطليموس» قد عومل معاملة سيئة في المعبد الذي كان في يد المصريين؛ لأنه كان إغريقي المنبت، وكذلك تدلنا الوثائق على أنه في عام ١٦٣ق.م هوجم في خليته وامْتُهِنَ؛ لأنه إغريقي، وعلى ذلك أرسل شكوى أخرى إلى حاكم المقاطعة العسكري. وكذلك نجده في عام ١٥٨ق.م قد هوجم ثانية، وضربه بعض المصريين ضربًا مبرحًا بوساطة زمرة من سائقي الحمير، وذلك لأنه كان قد تدخل غاضبًا بسبب شجار قام بخصوص شراء بعض البوص لعمل السلات من بائع لهذه السلعة في ساحات المعبد، وعلى ذلك رفع شكوى أخرى إلى حاكم المقاطعة العسكري. وهكذا كانت شكاياته تترى، ولكن دل الفحص بين أوراق «بطليموس» على أن أكبر مجموعة من أوراقه كانت خاصة بفتاتين توأمتين من أصل مصري؛ إحداهما تُسمى «تاويس» Thaures والأخرى تُدعى «تاؤس»، وموضوع هاتين الفتاتين معروف لدى علماء الآثار المختصين بالأوراق البردية في عهد البطالمة، وهاتان الفتاتان التي يحتمل أن والدهما كان مصريًّا، وقد كان مع ذلك صديق «بطليموس» المقدوني الأصل، وقد حدث أن والدتهما فرت مع جندي إغريقي، ومن ثم فرَّ والدهما إلى «إهناسيا المدينة» خوفًا من أن يقتله هذا الجندي الإغريقي الذي فرت معه زوجه، ومات في هذه البلدة.

وقد لجأت الفتاتان إلى «بطليموس» بحكم صداقة والدهما له ليحميهما في معبد السرابيوم، وفعلًا أوجد «بطليموس» للتوأمين عملًا في المعبد بوصفهما كاهنتين في درجة ثانوية، وقد أقام «بطليموس» نفسه مشرفًا على شئونهما ومعيشتهما، وكان قد عين لهما قدرًا محددًا من الزيت والخبز من الخزانة الملكية بوصفهما كاهنتين للملك، وعلى حسب النظام الموضوع كان الزيت يورَّد مباشرة للكهنة والكاهنات من المخازن الملكية، أما الخبز فكان يُورد لأصحاب السلطة في المعبد ليوزعوه مباشرة، غير أنه حدثت ملابسات دعت إلى عدم صرف مرتب التوأمين مما دعا إلى إرسال شكاوى عدة وتظلمات كثيرة

أرسلها «بطليموس» باسم التوأمين أو كتبها هو باسمه دفاعًا عن حقوقهما. ولما كانت هذه التظلمات والشكاوى تكشف لنا عن سير الأحوال في مثل هذه الموضوعات فقد أصبح لزامًا علينا أن نشرح تظلمات هاتين الفتاتين بعض الشيء لدى القارئ؛ ليرى كيف كانت الأمور تسير في طريق ملتوية لا يصل السائر عليها إلى الحق إلا بعد جهد ولَأْيٍ لو استمر في مطالبته بحقوقه المشروعة بإرسال الشكاوى والتظلمات دون انقطاع. (ما ضاع حق وراءه مطالب).

والواقع أن معظم الشكاوى وقتئذ مهما كان القصد منها كانت تُرسَل إلى حاكم المقاطعة الحربي، وكانت هناك شكاوى تصل إلى السكرتير المالي أو حتى للملك نفسه، والواقع أن «بطليموس المقدوني» المنعزل في معبد السرابيوم قد أمطر الإدارة الحكومية بوابل من الشكاوى موجهًا اللوم فيها أحيانًا لأمين المؤسسة، وأحيانًا يعود باللائمة على مراقبها أو على المشرف عليها، وكان يوجه شكاياته أحيانا لحاكم «منف» العسكري، وأحيانًا إلى السكرتير المالي بالإسكندرية حيث كان مقر الحكم.

وعندما كان يضيق ذرعًا نجده يوجه ظلامته مباشرة لـ «بطليموس السادس» و«كليوباترا الثانية»، وكان يوجه هذه الشكاوى إلى عدة سلطات في آن واحد، وبذلك كان يعدد مساعيه بإرسال تقارير وتسلم أخرى من كل صنف على حسب الأحوال، كل ذلك كان لأجل أن يجبر رجال إدارة السرابيوم على أن يصرفوا للتوأمين المتعبدتين ما يستحقانه من أجر، وكذلك لأجل أن يضطروا زوج والدهما على أن تعيد لهما إرثهما من أبيهما، ومن أجل ذلك نجد أن الإدارة الحكومية كانت في حركة مستمرة بسبب قضية هاتين الفتاتين، فكانت المكاتبات تنتقل من مرحلة إلى أخرى في المراحل الإدارية المتعددة المتشعبة، وكان «بطليموس» يطلب حقوق التوأمين من السلطات العليا، ويتسلم الجواب عن طريق صغار الموظفين، وعلى أية حال فإن شكوى التوأمين لم تبلغ إلى مرتبة اعتبارها قضية بالمعنى الحقيقي للكلمة حتى توضع أمام المحكمة؛ بل كانت في واقع الأمر مجرد شكوى تُحل على يد السلطة الإدارية، يُضاف إلى ذلك أن جهل الشاكيتين بالرسميات كان له دخل دون شك، مما جعلهما تطرقان كل باب على غير هدى للحصول على حقوقهما المضيعة.

وهذه المسألة كانت قد بدأت في عام ١٦٤–١٦٣ق.م بإرسال شكوى موجهة للسكرتير المالي في «منف» من التوأمين «تاويس» و«تاوس» وقد طلبتا إلى وكيل وزير المالية أن يأمر بصرف الزيت المستحق لهما عن هذا العام كما هو المتبع مع التوائم الأخريات في هذه

المنطقة، كما أشارتا بأنهما لم تتسلما أجرًا عن خدماتهما الدينية منذ العام الثامن عشر (= ٣ أكتوبر عام ١٦٤ق.م). ولما رأت التوأمان أن طلبهما لم يسفر عن نتيجة كتبتا — إلى الملك «بطليموس فيلومتور» وإلى الملكة «كليوباترا» — شكوى ملؤها الحزن والأسى معددة فيها ما لقيتا من سوء معاملة من زوج أبيهما التي تدعى «نفوريس» Nephoris والتي استولت عنوة على ميراثهما من أبيهما لدرجة أنها لم تترك لهاتين الفتاتين البائستين أي مأوى تلتجئان إليه إلا المعبد حيث مد لهما «بطليموس» يد المساعدة؛ وذلك لما كان بينه وبين والدهما من ود وصداقة. ومما زاد الطين بلة أن ابن زوج أبيهما ويدعى «بانخارتيس» Panchartes قد نهب كل متاعهما، وحمل لوالدته البطاقة التي كان يتسلم بها التوأمان مكيال الزيت المقرر لهما. على أن اللوم في ذلك يرجع إلى سوء تصرفهما؛ لأنهما كانتا قد اتخذتا من ابن زوج أبيهما خادمًا لهما، وهذا المكيال من الزيت كان جراية عام لهما. هذا، وقد طلب التوأمان أن تُعاد الشكوى إلى حاكم المقاطعة الحربي المسمى «ديونيسيوس»، وقد كتب الأخير في ذلك بدوره للوكيل المسمى «منيدس» Mennides أمين المؤسسة، وإلى المراقب المسمى «دوريون» Dorion، وكانت الشكوى ممهورة بخاتم حامل الخاتم الملكي، ثم سُلمت باليد في ١١ مسرى عام ١٩ (= ٨ سبتمبر عام ١٦٣ق.م) إلى «سرابيون» Sarapion الذي كان قد حضر ليتعبد في معبد السرابيوم.[٤١] وقد كلف «سرابيون» هذا «منيدس» بتتبع الشكوى، ولكن «منيدس» بناء على تقرير موظفيه كان لا بد له من الرجوع من جديد إلى «سرابيون»، وسبب ذلك: أن رئيس الإدارات وجد أن الطلب كان قد ألغاه «بأنحارتيس»، ومن أجل ذلك لا يمكن أن يعمل به في صالح التوأمين. ومن المحتمل أنه كان قد وجد اعتراضًا آخر نجهله. غير أن «بطليموس» الراهب لم يُرِدْ أن يعرف شيئًا عن ذلك، ولهذا نجده يرجو «سرابيون» أن يوحي إلى «منيدس» بالأمر بالتنفيذ، وقد كان عليه أن ينتظر الرد، غير أن إدارة الختم الملكي كانت في شغل شاغل عن الرد بما لديها من أعمال كثيرة، وفي هذه الأثناء كان الملك «بطليموس السادس» قد أعيد لملكه، ومن ثم جاء بنفسه ليقدم فروض الشكر، ويقدم الأعمال الخيرية في معبد السربيوم.[٤٢] وقد أفاد «بطليموس» الراهب حامي التوأمين من هذه الزيارة؛ إذ وضع في يد الملك نفسه شكوى جديدة ذكر فيها طلبه الذي حرره في طلبه الأول.

[٤١] راجع: Pap. Brit. Mus., 1, n. 21, p. 18. L. 1–7.

[٤٢] راجع: Pap. Par. N. 29; cf. n. 26, 1, 18.

وفي هذه المرة نجد أن الملك قد أمر وزير المالية المسمى «أسكليبيادس» Asclipiades أن يهتم بالموضوع، وعلى أثر ذلك أرسل «أسكليبيادس» الشكوى بالبريد إلى «سرابيون» الذي قام بطلب تقرير من المراقب «دوريون»، وعلى ذلك بُدِئَ التحقيق في الأمر من جديد. والواقع أن «دوريون» قدم تقريرًا إلى «أسكليبيادس» مؤرخ ٣ توت عام ١٩ (= ٥ أكتوبر عام ١٦٣ق.م)، وقد أبان فيه أن التوأمين لهما الحق في متأخر العامين السابقين، ومع ذلك نجد أن الإدارات التي كان في أيديها تصريف الأمور قد ماطلت ثانية. غير أن صاحبتي الحق اللتين كانتا تريدان دون شك الإسراع في عمل الرسميات رأتا أن رجال الإدارة في المؤسسة كانوا يصرفونهما بالوعود والكلمات المعسولة، ويذكرون لهما أنهم يقدرون موقفهما، ولكن دون عمل أي شيء إيجابي غير المواعيد العرقوبية، ومن أجل ذلك شَكَتَا مر الشكوى في التماس ثالث للإلهين المحبين لأمهما؛ أي «بطليموس السادس» و«كليوباترا» الثانية، واستحلفتهما بأن يضعا شكايتهما في يد حاكم المقاطعة الحربي المسمى «ديونيسوس»، لأجل أن يكتب هذا الأخير إلى الوكيل «أبوللونيوس» الذي كان زميل «منيدس» ويقوم الآن بأعماله، وتكليفه بأن يعمل أمر الصرف بالمواد المستحقة لهما، ويحدد التواريخ والأشخاص الذين سيقومون بذلك، ويجبرهم على توريد ما هو مستحق للتوأمين.

أما «بطليموس الراهب» فإنه من جهته سلم لأخيه الصغير مذكرة جديدة سلمها الأخير بدوره إلى «سرابيون» مؤرخة بأول بابه (= ٢ نوفمبر عام ١٦٢ق.م)، وقد كتب فيها من جديد يرجوه أن يتتبع تقرير «دوريون» وقد أعيدت الرسالة ثانية للأمين «منيدس» في ٢ هاتور، وإلى الكاتب المختص في ٣ منه (٤ ديسمبر سنة ١٦٣ق.م) بالأمر بالتوريد بعد الفحص.[٤٣] وأخيرًا نجد في هذه المرة أن الأمر قد صدر فعلًا بالتوريد؛ وذلك أن «منيدس» عندما رأى تقريرًا مختصرًا حُرر في إدارته بتاريخ ١٣ هاتور (= ١٤ ديسمبر) أمر الصراف «تيون» Theon في ١٧ هاتور بأن يحرر أذونات الصرف كما ينبغي من أجل أنواع الزيت الذي سيورَّد على حساب السنتين الثامنة عشرة والتاسعة عشرة، وأرسل «تيون» أذونات الصرف للخازن «ديمتريوس»، وهو جندي قديم (كان جنديًّا كريتيًّا يعمل في فصيلة الفرسان بقيادة «يومنيس»)، فقام بتوريد الكميات والأنواع المبينة إلى «كراتيروس» Grateros وهو موظف من موظفي «دوريون» مدير البنك في ٢٥ هاتور،

[٤٣] راجع: Pap. Brit, Mus. I, n. 20 p. 9; cf. n. 21, L. 13–18.

وذلك بحضور «أريوس» Areus المنتدب من قبل التوأمين، وقد أعطى «بطليموس» بدون إيصال نيابة عن التوأمين اللتين كانتا في حمايته بالتسلم.

وبذلك أصبح موضوع الزيت وقد صفى حسابه نهائيًّا دون وقوع حادث آخر يطيل في أجل مناقشته. غير أن «بطليموس» لم يَكُنْ راضيًا عن ذلك، فقد كان يريد أن يبدل مكيالي زيت Kiki اللذين تسلمهما التوأمان بمكيالين من زيت السمسم، ولكن عمال «دوريون» رفضوا هذا الطلب، ومن أجل ذلك قدم «بطليموس» شكوى شديدة اللهجة إلى «منيدس» في حق هؤلاء الكتاب الجامحين الذين تجاسروا على عدم طاعة الأمين والملك والملكة نفسهما. وإذا فرضنا أنه قد أفلح فيما ذهب إليه، فإن الأمر لم يقتصر على ذلك؛ لأن المتأخر للتوأمين لم يكن قاصرًا على الزيت وحده؛ إذ كان يجب أن تتسلما كذلك من السرابيوم المصري وكذلك من الأسكليبيون الإغريقي أربعة أقراص من خبز الذرة البيضاء يوميًّا لكل منهما، وهذا يعني ثمانية أرادب من الحبوب شهريًّا، وقد كان هذا الحساب مستحقًّا لهما ولم يُصرَف بعد، وقد أمهل «بطليموس» نفسه ليحصل على معلومات في هذا الصدد.[٤٤]

وقد وجدناه فيما بعد قد استعرض بصورة ثابتة أنه لأجل الفترة التي تبتدئ من أول شهر توت حتى ٧ أمشير من عام ٢٧ (أي ٣ أكتوبر عام ١٦٤ حتى ٨ مارس عام ١٦٣ق.م) كانت التوأمان تتسلمان جرايتهما من الخبز، ولكنهما لم تتسلما شيئًا منذ ٨ مارس حتى نهاية السنة، ومن ثم كان متأخرًا لهما ما يعادل ٥٦ إردبًّا، وفي عام ١٩ تسلمتا فترة كاملة من أول شهر توت حتى الثلاثين من مسرى (من ٣ أكتوبر سنة ١٦٣ حتى ١٣ مارس سنة ١٦٢ق.م)، وكذلك الفترة التي أتت بعد ذلك من أول برمهات حتى ٣٠ بشنس (أول أبريل حتى ٢٩ يونيو) تسلمتا نصف الجراية فقط، وفي الشهر التالي تسلمتا نصف الجراية، وفي أيام النسيء الخمسة لم تتسلما شيئًا أبدًا، وفي العام العشرين سارت الحال على نفس المنوال مما أدى إلى جوع التوأمين المسكينتين؛ فمن أول شهر توت حتى العاشر من كيهك (٣ أكتوبر عام ١٦٢ حتى ١٠ يناير عام ١٦١ق.م) تسلمتا سويًّا ستة أرغفة بدلًا من ثمانية أرغفة يوميًّا، ومنذ الحادي عشر من كيهك حتى هذا التاريخ لم تتسلما شيئًا.[٤٥]

[٤٤] راجع: Pap, Brit. Mus. Nn 17 a–c (pp. 10–11), 31 (pp. 15–16).

[٤٥] راجع: Pap. Brit, Mus., n. 18, pp. 22–24.

وهكذا بدأت المضايقات التي تنطوي على عدم الأمانة والإزعاجات المؤلمة بصورة أشنع مع التوأمين؛ فنرى أن الإدارة قد قطعت عنهما جراياتهما؛ فلم يُورَّد لهما لا خبز ولا زيت، وعلى ذلك نجد أن «بطليموس» قد بدأ من جديد يتخذ إجراءاته، وقد احتاط في شكاويه فلم يخلط بين ما تستحقه التوأمان من جراية الزيت وجراية الخبز؛ فقد كانت الجراية الأولى من الزيت مستحقة من أول عام ١٨ في حين أن جراية الخبز كانت مستحقة من أول العام العشرين من حكم «بطليموس السادس»، وعلى ذلك فإنه بعد مرور أقل من شهرين على المحاسبة فيما يتعلق بالزيت كتب إلى «سرابيون» الذي كان يأمل أن يزوره ليخبره بأن التوأمين لم تتسلما شيئًا أبدًا من الزيت المستحق لهما، ورجاه أن يكتب بنفسه للأمين «منيدس»، ولكن الطلب أعيد في ٢٦ كيهك عام ٢٠ (٢٦ يناير سنة ١٦١ق.م) إلى «دوريون» الذي بدوره ضم إليه — بتاريخ ٢٩ كيهك — تقريرًا ظهر منه أنه لم يُصْرَف شيء للتوأمين عن عام ٢٠، ومن ثَمَّ كان لهما متأخر جراية أربعة أشهر.

وقد اتفق أن تقرير «دوريون» وقع في السادس من شهر طوبة (٥ فبراير) تحت نظر كاتب متشكك لأجل أن يحدد الجراية المطلوبة ومقدارها «خوس» من الزيت شهريًّا؛ أي ما مقداره «متريت» عن كل سنة، وقد اقتضت الضرورة معرفة مقدار ما تسلمتاه التوأمان في العام الماضي، ومن أجل ذلك اقتضى الأمر فحص الموضوع. وقد اتضح من الفحص أن التوأمين لم تتسلما شيئًا عام ١٩، ولكن في هاتور عام ٢٠ قد تسلمتا ما تستحقانه عن السنتين الثامنة عشرة والتاسعة عشرة؛ أي إنهما تسلمتا مكيالين من[٤٦] الزيت، وبمقتضى ذلك أرسل «منيدس» تقريرًا إلى «سرابيون» فأعاده بتأشيرة غير مفهومة أو على الأقل لم تفهمها التوأمان، وكل ما فهمتاه هو أن «منيدس» قد طلب إليه أن يحقق التقرير الذي وضعه كتابة، أو بعبارة أخرى تأجيل الموضوع، وعلى أثر ذلك أرسلت التوأمان إلى وكيل وزارة المالية تظلمًا به اعتذار على إلحاحهما، وطلبتا فيه ما تستحقانه، ولكن هذا التظلم لم يأتِ بنتيجة سريعة؛ يدل على ذلك أن التوأمين أرسلتا في نهاية السنة أو في بداية السنة التالية استعجالًا باكيًا إلى عناية الإلهين العظيمين جدًّا المحبين لأمهما (= «بطليموس السادس» والملكة «كليوباترا» الثانية) يقولان فيه: إنهما تسلمتا المكيالين من الزيت عن عام ١٩، غير أنهما لم تتسلما لا زيت كتان ولا زيت سمسم عن عام ٢٠، وعلى ذلك فإنهما

[٤٦] راجع: Pap. Brit. Mus., n. 34, p. 18, L. 14–28.

تطلبان تحويل شكواهما إلى حاكم المقاطعة الحربي «ديونيسوس» الذي سيأمر الأمين «أبوللونيوس» أن يصرف ما تستحقانه، وكذلك ليأمر باتخاذ الاحتياطات لأجل المستقبل.

والآن يتساءل الإنسان هل انتهى الأمر بأن العناية الملكية قد نفد صبرها بتحويل الموضوع إلى الإدارات المختصة؟ وتدل شواهد الأحوال على أن الاتصال الذي حدث بين «بطليموس» بعد ذلك والجهات المختصة من أجل تسهيل شئونه الخاصة وكذلك شئون أخيه على أنه كان مرتاحًا من الإجراءات التي اتخذها كما كان معتزًّا بما له من شأن، ومما يدل كذلك على عظمته أنه إذا أخفق مرة في أمر فإن ذلك لم يفل من عزيمته أو يضعف من شجاعته عن القيام بحملة جديدة ليصل إلى هدفه كما فعل ذلك عندما قام بالمطالبة بصرف جرايات الخبز التي كانت قد أُوقفت دون مبرر لمدة ثلاث سنوات.

أما زيت الكتان فكان المتأخر منه هائلًا لدرجة أن «بطليموس» على ما يظهر قد تردد في إثارة موضوعه خوفًا من أن يتعارض ذلك مع صالح مالية البلاد، وعلى ذلك نجده قد قرر في نهاية الأمر أن يطالب به عندما وجد الطريقة التي جعل بها خزينة الدولة غير مسئولة.

هذا، ونجد أن «سرابيون» بناء على مطالبة أولى أرسلتها التوأمان، واستعجلتاها بأخرى، قد وافق على طلبهما، وكلف «منيدس» بتنفيذ أمره على يد «بسنتائس» Psenthaes غير أن الأخير كان ماهرًا في فن المماطلة والتأجيل، ومن أجل ذلك أصم أذنيه، وقد كان ذلك داعيًا لتدخل «بطليموس» بنفسه في الأمر، فنراه بعد أن أثبت حساب الصرف الذي حُذف عن عامي ١٩ و٢٠ يكتب إلى «سرابيون» رسالة لم تكن قاصرة على المطالبة بحق التوأمين فحسب؛ بل كانت فضلًا عن ذلك تُعتبَر اتهامًا رسميًّا؛ وذلك أنه لم يَكْتَفِ بالقول — كما هو المتبع — إن التوأمين قد أصبحتا ضحية رجال إدارة المعبد، بل أكد أنهم يسرقون مال الملك؛ لأنهم يبيعون بذر الكتان الذي ينهبونه بسعر الإردب ثلاثمائة درخمة، كما أعلن أن «بسنتائس» هو الرجل الذي يجب أن يُجبَر على إعادة مائة وستين إردبًّا من الغلة، وهي التي تستحقها التوأمان.

وعلى أية حال فإنه مما يُؤسَف له أن المصادر التي بين أيدينا والخاصة بهذه المسألة قد انقطعت، ومن ثم لا نعرف من جهة كيف انتهى موضوع التوأمين الذي كما يظهر للقارئ العادي لا يستحق كل ما ذُكر عنه من تفاصيل، غير أنه من جهة أخرى بالنسبة للمؤرخ يُعتبر موضوعًا غاية في الأهمية نظرًا للمعلومات التي بين أيدينا عن سير الأحوال في مثل هذه العهود القديمة التي تعوزنا فيها التفصيلات التي تكشف الغطاء عن حالة

البلاد من الوجهة الإدارية والاجتماعية في تلك الفترة من تاريخ مصر في عهد البطالمة، ولا نزاع في أن هذه المسألة هي مثال محزن عن عدم أمانة الموظفين الذين كانت تساعدهم التعقيدات الإدارية الرسمية، والصعوبة التي كانت تعترض الأشخاص الذين أصابهم الضر إلى درجة تجعلهم يلجئون إلى الفصل في حقوقهم إلى رجال المصالح الحكومية. ومع ذلك يجب ألا يغيب عن ذهننا أنه في فحص هذه المسألة لم نسمع إلا صوت الذين يتهمون وحسب، ولا نزاع في أن هؤلاء بطبيعة الحال كانوا أناسًا قد أثارت سخطهم وحنقهم هذه الرسميات، وكانت كذلك في الوقت نفسه تثير سخط رجال الإدارة، وذلك برجوع أصحاب الحاجات والمظالم إلى السلطات العليا، فنجد أنه منذ بداية هذا الموضوع أن حذف أمر صرف عادي كان هو السبب في تعقيد سير الأمور، وفضلًا عن ذلك نجد أن جراية التوأمين كان من الممكن نسبتها جزئيًّا إلى السربيوم المصري وإلى معبد «أسكلبيون» الإغريقي، وقد أفضى ذلك دون أي شك إلى ارتباك في المكاتبات والإهانات التي لحقت بالمتظلمين بالنسبة لتوجيه المسئوليات لهم. يضاف إلى ذلك أن التوأمين — على ما يظهر — كانتا قد دخلتا في المعبد في اللحظة التي تُقام فيه مراسيم الحزن على العجل «أبيس» المتوفى عام ١٦٥ق.م، وأنهما لم تقوما بخدمتهما بصورة صحيحة، وأن جرايتهما بعد التحكيم قد خُصِّصَت لحارس الثور المتوفى؛ لأنه هو الذي سهر على خدمته، وقام بتقديم القربان له بدلًا من التوأمين. ولكن لما كان حارس الثور قد غاب بدوره فإن التوأمين أجابتا على ذلك بإرسال طلب لإعادة حقوقهما في هذا الصدد، وقالتا: إن كُتَّاب الإسكلبيون سيضعون هذا الطلب أمام الملك إذا حدثت مناقشة تعارض ذلك.

هذا، ويُلحظ أن البردية التي تحتوي على ذلك قد ذُيلت بأرقام خاصة بجرايات العامين الثامن عشر والتاسع عشر من عهد «بطليموس السادس». وتوجد على ظهر الورقة بداية نسخة خاصة بشكاية موجهة من التوأمين لوكيل المالية «سرابيون» تشكيان فيها عدم تنفيذ الأوامر فيما يخص حب «أولين» Olyne، ومع هذا ملحوظة بيد كاتب آخر خاصة بطلب الجرايات عن السنتين المذكورتين أعلاه.

وليس ببعيد أن هذا النزاع الذي ينطوي على سوء النية يمكن أن يكون قد قام في اللحظة الأخيرة بين رجال الإدارة وبين التوأمين، وأنه من الممكن أن نفرض أن حارس العجل «أبيس» كان هو الآلة التي استُعْمِلَتْ بمثابة سلاح في أيدي الإدارات الحكومية لمحاربة التوأمين، غير أن كسب حارس الثور المقدس القضية من التوأمين قد أظهر أن

هناك أمورًا كانت تدور في الخفاء مما جعل الشاكيتان تسكتان عن طلباتهما، وفضلًا عن ذلك يُحتمل أن حماية «بطليموس بن جلوسياس» للتوأمين قد لعبت دورًا في الارتباكات التي وقعتا فيها، وذلك عندما كان يساعدهما على الخروج مما حل بهما من ظلم.

وعلى الرغم مما تحلى به «بطليموس بن جلوسياس» هذا من فضائل دينية فإنه لم يكن بالرجل الذي يُشتم منه رائحة القداسة عند رجال الدين الذين كانوا يسيطرون على معبد السرابيوم، وهذا ما نفهمه من شكاياته الخاصة بأحواله الشخصية، وقد ذكرنا منها فيما سبق بعض الوقائع.

ولا نزاع في أن ما تركه لنا «بطليموس بن جلوسياس» من وثائق ديموطيقية يدل صراحة على أنه كان رجلًا صاحب أخلاق فاضلة، وذلك على الرغم مما قيل عنه بما ينافي ذلك على لسان رجال السرابيوم، فقد ترك لنا نصائح تدل على صلاحه وورعه، وما أوتي من حكمة بالغة تدل على طول باعه في معرفة الناس والحياة وما تنطوي عليه من مصاعب ينبغي ملافاتها، وقد ترجم لنا بعضها الأثري «ريفييو» نقتبس منها ما يأتي:[٤٧]

أَصْغِ إلى كل كلام توبيخ؛ لأنك تعرف ما يُقال حسنًا.

إن السعادة لا تسعى أبدًا لمن في صدره أفكار إجرامية.

لا تجعل ابنك يتزوج من امرأة إلا على حسب قلبه هو.

لا تَبْنِ بيتك بما جنيته من مظالمك.

لا تَقْتُلْ حتى لا تُقْتَل.

لأجل أن تكون بيتًا سعيدًا أبسط ما في يدك (كن كريمًا).

إن الرجل الذي يسيطر على المارق هو الرجل صاحب البأس.

لا تصاحب الأحمق، ولا تقف لتنصت إليه.

ولا تَسُب من لا تعرفه.

لا تُقِمْ بيتك بجوار قبرك.

إن الذي يقول ليس في استطاعتي تقبل ملحوظة فليترك وحده.

[٤٧] راجع: Rev. Egyptol. I, p. 162 f.

(٢) الآثار التي خلفها بطليموس السادس أو عُمِلَتْ في عهده

لم نعثر حتى الآن على لوحات نُقشت بالمصرية القديمة والديموطيقية والإغريقية معًا من عهد الملك «بطليموس السادس»، أما اللوحات التي نُقشت بالهيروغليفية فقط فلدينا من عهده لوحتان للعجل «بوخيس»، عُثِرَ عليهما في الحفائر التي عُملت في منطقة «أرمنت» في مدافن العجل «بوخيس»، كما عُثر على لوحات أخرى في جهات متفرقة من القطر غير أنها ليست عديدة.

(٢-١) لوحة العجل «بوخيس» من عهد الملك بطليموس السادس

هذه اللوحة مصنوعة من الحجر الرملي، ويبلغ ارتفاعها ٧٠ سنتيمترًا،[٤٨] وقد وُصف فيها العجل «بوخيس» بأنه: الروح الحية للذي في تابوته مظهر «رع» والإله (؟) الشريف والإله العظيم رب «أرمنت».

وفي هذه اللوحة يُشَاهَد الملك واقفًا أمام العجل «بوخيس» وهو يقدم البخور له بإحدى يديه والقربان السائلة الأخرى.

وتحت المنظر الذي فيه الملك والعجل «بوخيس» جاء المتن التالي الذي يتألف من ثمانية أسطر:

> السنة التاسعة عشرة، ٧ طوبة، في عهد جلالة ملك الوجه القبلي والوجه البحري (وريث الإلهين إبيفانيس، صورة «بتاح»، المختار من «رع»، والذي يعمل الحق لـ «آمون») ابن «رع» (بطليموس العائش أبديًّا، محبوب بتاح)، محبوب «أوزيربوخيس». في هذا اليوم صعد إلى السماء جلالة هذا الإله السامي روح «رع» الحية ومظهر «رع» والذي ولدته «تي-خنومت»، ومدة حياته كانت سبعة عشر عامًا وتسعة أشهر وستة أيام وإحدى عشرة ساعة. وكان قد وُلد في السنة الخامسة والعشرين من فصل برت (= فصل الزرع) اليوم الثاني (؟) من حكم ملك الوجه القبلي والوجه البحري (أوع نتر-وي خبر بتاح ستب رع، أر-ماعت أمن) ابن «رع» (بطليموس العائش أبديًّا، محبوب بتاح)، العائش

[٤٨] راجع: The Bucheum vol. II, p. 5, pl. XL.

أبديًّا في المدينة الجنوبية، وقد وصل إلى «طيبة» في السنة الثانية ١٥ بابه، وقد كان هناك هجوم كثير من الممالك الأجنبية على مصر في السنة الثانية عشرة، وقامت حرب داخلية عارمة في مصر، وجدار «طيبة» العظيم كان قد حاصرته الأجانب، وعندئذ أتى سكان «أرمنت» إلى «طيبة» القوية، وقد فزعت قلوبهم خوفًا من أجل هذا الإله، وقد قاموا بشعائر نقله إلى «أرمنت» في السنة الثانية شهر أبيب في اليوم الثالث من أيام النسيء. ليته يبقى على عرشه أبد الآبدين.

تعليق

هذه اللوحة على الرغم من قصر متنها تحتوي على عدة حقائق هامة في تاريخ هذا الملك؛ إذ الواقع أن تواريخ هذه العجول تساعد كثيرًا على تفهم الحوادث الغامضة في تاريخ البلاد، وهاك أولًا استعراض لتواريخ العجل «بوخيس» الذي نحن بصدده:

(أ) ولد في العام الخامس والعشرين من عهد «بطليموس الخامس» عام ١٨٠ق.م.
(ب) وصل العجل إلى «طيبة» في السنة الثانية ١٥ بئونة عام ١٧٩ق.م.
(ج) الحرب الأهلية: السنة الثانية عشرة عام ١٦٩ق.م.
(د) تنصيب العجل: السنة الثانية عشرة، شهر أبيب، اليوم الثالث من أيام النسيء عام ١٦٩ق.م.
(هـ) موت العجل: السنة التاسعة عشرة، ٧ طوبة، عام ١٦٢ق.م.
(و) عمر العجل: ١٧ سنة وتسعة أشهر وستة أيام وإحدى عشرة ساعة.

والحرب الداخلية التي حدثت في عام ١٦٩ق.م هي الحرب التي قامت بين الملك «بطليموس السادس فيلومتور» وبين أخيه «بطليموس السابع إيرجيتيس الثاني» وهي التي انتهت بأن حَكَمَا سويًّا على عرش مصر كما أوضحنا ذلك سابقًا، أما «هجوم الأراضي» العدة فيشير لغزو «أنتيوكوس الرابع» للبلاد المصرية في عام ١٦٩ق.م، وقد تحدثنا عن ذلك أيضًا.

(٢-٢) لوحة بطليموس السادس فيلومتور وبطليموس السابع إيرجيتيس الثاني[٤٩]

هذه اللوحة مصنوعة من الحجر الرملي، ويبلغ ارتفاعها ٨٤ سنتيمترًا، وهي مستديرة في أعلاها، وقد مثل في الجزء الأعلى قرص الشمس المجنح، يتدلى منه صِلَّان، على رأس كل منهما قرص الشمس، وفي الجزء الأسفل عدة نقوش أفقية أهمها: كلام تنطق به «إزيس» و«نفتيس»، وسيدة الجبانة «حتحور» العظيمة سيدة الغرب.

كلام ينطق به «أوزير-بوخيس»، «أتوم» بقرنين على رأسه، الذي يكرر (يعيد) حياة التاسوع، الإله العظيم الحي، رب بيت «أتوم».[٥٠]

وفي أسفل هذه النقوش منظر يُشَاهَد فيه الملك يقدم للعجل «بوخيس» محتويات آنيتين …

وبعد ذلك يأتي في الجزء الأسفل من اللوحة المتن الرئيسي، ويُلحظ أنه غامض وغير كامل.

(أ) الترجمة

السنة السادسة والثلاثون المقابلة للسنة الخامسة والعشرين، ٢٧ مسرى، الساعة الحادية عشرة ليلًا، عندما انبثق فجر يوم ٢٨، في عهد جلالة ملك الوجه القبلي والوجه البحري (أوع نتر-وي بر-وي، خبر بتاح، ستب رع، أر-ماعت أمن) (= وارث الإلهين إبيفانس، صورة «بتاح»، المختار من «رع»، الذي يعمل الحق لـ «آمون») ابن «رع» (بطليموس العائش أبديًّا، محبوب بتاح)، ومحبوب «أوزيربوخيس»، والروح الحية للذي في تابوته (يقصد أوزير)، والذي يجدد حياة جميع الآلهة. في هذا اليوم صعد إلى السماء جلالة هذا الإله الشريف «بوخيس»، روح «رع» الحية ومظهر «رع»، وهو الذي قد وضعته (البقرة) «تي-خنومت»، وطول حياته هو سبعة عشر عامًا وخمسة أشهر وعشرون يومًا،

---

[٤٩] راجع: Ibid., p. 6 (pl. XL1).

[٥٠] بيت «أتوم» هو اسم البوخيوم؛ أي المكان الذي كان يُدفن فيه الثور بوخيس.

وكان قد وُلد في السنة التاسعة عشرة الثالث من برمودة في الحقل الشمالي من بيت …

وقد اقْتِيد إلى مقاطعة «حت سنفرو» (= أصفون). وبعد ذلك حضر الكهنة والمفتشون الملكيون وجنود البيتين العظيمين إلى (أصفون).[٥١] وأحضر إلى «تنن» (الواقعة بالقرب من «أرمنت» وبين الأخيرة و«أصفون»)، وعندئذ أقلع الكهنة خَدَمَة الآلهة وكهنة الساعة في المعبد والمفتشون الملكيون، وكل ناس «أرمنت» إلى «تنن»، وقد قُربت هناك قربات عظيمة؛ فنُصب موقد وطُهي عليه ساق ثور، وقُربت القرابين، وبعد ذلك نقل على النيل هذا الإله الطيب «بوخيس» الجميل «آمون» الذي يمشي على أربع إلى هذه المدينة الطيبة العظيمة مكان تتويجه منذ الأزل. وقد أُخذ إلى «حت نب» (= جزء المعبد الذي كان يُحفظ فيه الصورة المقدسة) في «أبت»؛ لأنه لم يعد بعد هناك أي أجانب من «يه» (إحدى ضواحي منف) في معبد «آمون».[٥٢] وقد أُقيم حفل تنصيبه على يد كهنته هو … وقد حُرر مرسوم رسمي في حضرة جلالته،[٥٣] وبعد ذلك أقلع الملك والذين كانوا في ركابه إلى «طيبة»، وظهر «أمنؤبت» إله المدينة في موكب، وسار جلالته أمامه، ووقف الإله «أمنؤبت» قبالة هذا الإله، وكذلك الملك ومعه رجال حاشيته، والكهنة خدمة الإله والكهنة وكُتاب بيت رجال الحكمة وكل جنود البلاد. وقد أتوا في ركابه إلى «طيبة»، وقد نُصب هذا الإله الطيب في السنة الرابعة والعشرين من عهد «فيلومتور» في اليوم الأخير من شهر بابه، وبعد ذلك أقلع (هذا الإله الطيب؟) إلى «أرمنت» في شهر بشنس في السنة الأولى (؟) وقد ظهر على عرشه في حياة. ليته يعطي كل الصحة لابن «رع» (بطليموس العائش أبديًّا، محبوب «رع») … الإلهان المحبان لأمهما.

[٥١] المقصود من حضور هؤلاء ليروا أن العجل «بوخيس» تُوجد فيه كل العلامات المميزة التي يجب أن تكون فيه.

[٥٢] يشير هنا إلى احتلال «أنتيوكوس الرابع» لمصر، وقد أخذت الاضطرابات التي كانت قائمة وقتئذ تَقِل، وسُحبت الحامية الأجنبية من البلاد، ولم يَعُدْ بعد ذلك أي خوف على حياة «بوخيس» أثناء وجوده في «طيبة».

[٥٣] يُفهم من ذلك أن الملك قد نصب كهنة خاصين لهذا العجل «بوخيس».

(ب) تعليق

على الرغم مما في متن هذه اللوحة من صعوبات لغوية وجغرافية فإنه يمكن تلخيص ما جاء فيها على الوجه الآتي:

(أ) وُلد هذا العجل في السنة التاسعة عشرة، ٣ برمودة عام ١٦٢ق.م.
(ب) ونُصب في السنة الرابعة والعشرين، ٣٠ بابه عام ١٥٧ق.م.
(ج) ومات في العام ٣٦ = عام ٢٥، في السابع والعشرين من شهر مسرى = عام ١٤٥ق.م.
(د) وكان عمره ١٤ + س سنين وخمسة أشهر وعشرين يومًا.

أما سير الحوادث في حياة هذه العجل فيُحتمل أنها كانت كالآتي بعد الدرس:

(١) وُلد العجل «بوخيس» وأُحضر إلى «أصفون» بعد ذلك.
(٢) يذهب بعثٌ خاص إلى «أصفون» لفحص العجل «بوخيس»، ولما وجد أنه يحمل كل العلامات الدالة على أنه «بوخيس» أصيل أحضره البعث إلى «تنن».
(٣) وعلى أثر ذلك نجد أن عددًا أكثر من الكهنة والجنود ومن سكان «أرمنت» يذهب إلى «تنن» ويؤدي ثلاثة احتفالات على شرف الإله الجديد.
(٤) وقد أُحضر «بوخيس» إلى «واست نخت» (طيبة القوية)، وهناك اقتِيد إلى معبد الأقصر على يد كهنته هو، وهم الذين كان قد عينهم الملك.
(٥) ثم يقلع الملك ورجال بلاطه مصعدين في النيل إلى «طيبة»، وهناك أقيم الحفل الثاني الخاص بتنصيب العجل «بوخيس» وقد قام فيه الإله «أمنؤبت» بدور بارز.
(٦) وأخيرًا أُحضر «بوخيس» ثانية إلى «أرمنت» بالنيل.

(٢-٣) لوحة للعجل أبيس عُثِرَ عليها في الجهة الشرقية من السربيوم بمنف

هذه اللوحة مؤرَّخة بالسنة السادسة من حكم «بطليموس السادس»، وذلك عندما كان يحكم بالاشتراك مع «بطليموس السابع» أخيه و«كليوباترا الثانية»، وهذه اللوحة محفوظة الآن بمتحف اللوفر.

وهاك ترجمة ما جاء على هذه اللوحة مع حذف الألقاب الطويلة التي جاءت عليها فقد ذكرناها في غير هذا المكان مرارًا وتكرارًا:[٥٤]

> السنة السادسة (…) من عهد جلالة الملك «بطليموس السادس» وأخيه «بطليموس السابع» وأخته الملكة حاكمة الأرضين «كليوباترا» (…). الإلهين الأخوين والإلهين المحسنين والإلهين المحبين لوالدهما والإلهين الظاهرين والإلهين المحبين لأمهما. في هذا اليوم حُنط هذا الإله الفاخر «أوزير أبيس» بيدي «أنوبيس» في «قمت» بالقرب من «روستاو» (جبانة منف) في تابوت مزدوج من الجرانيت الأسود، وبعد ذلك عُملت له كل شعيرة البيت الطاهر (أي مكان التحنيط) خلال السبعين يومًا على يد «أنوبيس» رب الأرض المقدسة (الجبانة)، وبعد أن وُلد جلالة هذا الإله في مدينة «دمنهور» وهي التي تقع في مقاطعة «سايس» على الجانب الغربي من النهر العظيم. وفي العام التاسع عشر في الثالث عشر من كيهك في عهد الملك «بطليموس الخامس» تُوج في مدينة «بتاح» وأُجلس على عرشه في «منف» في السنة الواحدة والعشرين في اليوم الثاني من شهر توت في عهد جلالة الملك «بطليموس الخامس»، وقد صعد نفس هذا الإله إلى السماء في السنة السادسة في السادس من شهر برمهات، وكان عمر هذا الإله اثنين وعشرين عامًا وشهرين وثلاثة وعشرين يومًا.
>
> وقد أقام له (هذا) الملك «بطليموس السادس». وأم نفس الإله كانت البقرة المقدسة (المسماة) «تا-رنن».

(أ) تعليق

ومن متن هذه اللوحة نعلم أن العجل «أبيس» الذي من أجله أُقيم هذا النصب التذكاري وُلد في بلدة «دمنهور» في ١٣ كيهك في السنة التاسعة عشرة من حكم الملك «بطليموس الخامس»، وعلى ذلك يكون العجل سلفه قد مات منذ عام أو عامين قبل ذلك التاريخ؛ أي في العام الثامن عشر أو السابع عشر من عهد «بطليموس الخامس» نفسه. وعلى أية حال نجد

[٥٤] راجع: Brugsch, A. Z. XXII, p. 125.

أن تواريخ العجول المقدسة كانت تساعد على ضبط تواريخ الملوك، وبخاصة عندما يكون هناك تتابع تاريخي في هذه اللوحات. يُضاف إلى ذلك أن إقامة ملوك البطالمة مثل هذه اللوحات للعجول المقدسة في أنحاء البلاد يقدم لنا برهانًا مُحسًّا على مقدار اهتمام الملوك بعبادة الحيوان في تلك العهود المتأخرة. وسنتحدث عن ذلك فيما بعد في فصل خاص.

(٢-٤) لوحة من عهد «بطليموس السادس» محفوظة بالمتحف المصري

يتعبد فيها لآلهة «تانيس».[٥٥] هذه اللوحة محفورة في الحجر الجيري، ويبلغ ارتفاعها ٩٠ سنتيمترًا، عُثِرَ عليها في تل «القلعة» ب «ميت رهينة»، ويُشَاهَد في الجزء الأعلى قرص الشمس المجنح يتدلى منه صلان؛ أحدهما على رأسه تاج الجنوب، والآخر عليه تاج الشمال.

وفي أسفل من هذا نشاهد منظرًا مزدوجًا مُثِّلَ فيه «بطليموس فيلومتور» يتعبد لآلهة، ففي المنظر الذي على اليسار يُشَاهَد الملك لابسًا التاج المزدوج يعلوه قرص الشمس المحلى بِصِلَّيْن، ويقدم آنية تعلوها الريشة التي ترمز للعدالة، ثم يأتي بعد ذلك المتن التالي:

> ملك الوجه القبلي والوجه البحري (وارث الإلهين الظاهرين، وصورة «بتاح»، المختار من «رع» والذي يعمل الحق لآمون)، ابن «رع» (بطليموس العائش أبديًّا، محبوب بتاح)، محبوب والدته «موت»، ومن يقدم العدالة لوالده الذي خلقه، معطي الحياة.

والآلهة الذين تُقدم لهم القربات هم:

(١) الإله «آمون» يلبس على رأسه ريشتين، ومعه المتن التالي: «آمون رع» رب تيجان الأرضين، الإله العظيم رب السماء يجيب الملك قائلًا: إني أعطيك أعيادًا ثلاثينية عديدة جدًّا.

(٢) الإلهة «موت» وتلبس التاج المزدوج: «موت» العظيمة ربة «أشرو» (معبدها بالكرنك) سيدة كل الآلهة، وعين «رع»، وربة السماء تقول: إني أمنحك السلامة وكل انشراح القلب.

---

[٥٥] راجع: Kamal. Stèles Pharaoniques et Romaines (Cat. Gen. Caire. Pl. LXIV; PP, 187–188; Textes Daressy Notes et Remarques in Rec. Trav. XXIV, p. 166 (CCIII)).

(٣) الإله «خنسو» في صورة مومياء، ويلبس على رأسه قرص القمر، وفي يده صولجان مؤلف من الرموز التي تدل على الثبات والحياة والسلطان والحكم، وجاء مع المتن التالي: إنه «خنسو» طيبة «نفرحتبت»، و«حور» الذهبي المنشرح الصدر والإله العظيم الذي يعيش من العدالة، يقول: إني أمنحك انشراح صدر والدك «رع».

والمنظر الذي على الجهة اليمنى من المنظر السالف جاء فيه:

يُشَاهَد في الجهة اليمنى الملك لابسًا نفس الملابس، ويحمل نفس الألقاب، ويقدم رمز العدالة إلى:

(١) «حور» رب «مسنت» («زارو»؛ أي «سيلة» القريبة من القنطرة) وهذا الإله يقول للملك: إني أعطيك القوة والنصر.
(٢) إلهة ترتدي على رأسها القرنين الطويلين، وقرص الشمس وريشتين وتسمى الإلهة العظيمة الوحيدة (لقب للإلهة «حتحور») سيدة «خنت إيابت» (= عاصمة المقاطعة الرابعة عشرة، وهي التي كانت تقع مكان «تل أبو صيفة» الحالي على بعد أربعة كيلومترات من القنطرة الحالية)، ربة «مسنت»، وتقول للملك: إني أمنحك الملك العظيم مع انشراح الصدر.
(٣) إلهة تُدعى «نب حتب حمت» التي في إقليم «أري نفرت» التي تظهر في حقل «زعنت» (= صان الحجر)[٥٦] تقول: إني أعطيك كل الحياة والثبات والقوة وكل انشراح الصدر.

هذا، وقد وُجد الجزء الأسفل من اللوحة — وهو الذي كان قد جُهز لنقش المتن الأصلي الطويل عليه — لم يُنْقَشْ. ولا يرى الإنسان في هذا الجزء من اللوحة إلا بعض أسطر نُقشت بصورة خشنة بالديموطيقية، ويظهر أنها نُقِشَتْ فيما بعد. على أنه ليس هناك ما يدعو إلى الدهشة في عدم نقش متن هذه اللوحة؛ وذلك لأن عصر هذا الملك وعصر الملك الذي سبقه كذلك كانا مليئين بالثورات والحروب الأهلية في كل من الوجهين القبلي والبحري كما أشرنا إلى ذلك من قبل. هذا، ويلفت النظر هنا بوجه خاص فيما تبقى لنا من نقوش على هذه اللوحة أن «بطليموس السادس» كان يتقرب بالعبادة إلى آلهة «تانيس»

[٥٦] راجع: D.G. G. Tom. VI, P. 111.

(صان الحجر)، وذلك كما سنرى بعد؛ لأن كهنة الوجه البحري كانوا أكثر ولاء له من كهنة الوجه القبلي. هذا، ويُلحظ كذلك أن هذه اللوحة لم يُعثر عليها في شرقي الدلتا كما كان المنتظر، وعلى ذلك فإنه من المحتمل أنها كانت مخصصة لتُوضع في معبد من معابد «تانيس»، ولكن في الوقت نفسه كان قد طُلب إلى أحد المصانع المختصة بالحفر في «منف» لصنعها؛ لأن «منف» كانت تُعتبر موطنًا لصناعة الحفر منذ أقدم العهود، لا سيما أن الحجر الجيري الأبيض — الذي عملت منه هذه اللوحة، وهو الذي كان من السهل حفره — يوجد في هذه المنطقة، وأعني بذلك منطقة «طره» و«المعصرة».

(٣) المعابد التي بناها بطليموس السادس، والمباني والإصلاحات والإضافات التي قام بها في المعابد المصرية

(٣-١) مقدمة

تدل شواهد الأحوال على أن «بطليموس السادس» لم يَقُمْ بمبانٍ كثيرة كالملوك الذين سبقوه، وقد يرجع السبب في ذلك إلى الحروب الداخلية التي قامت في عهده، وكذلك إلى الحروب الخارجية، وغزو البلاد المصرية على يد «أنتيوكوس الرابع». والواقع أن الأوراق البردية والنقوش لم تحدثنا بشيء كثير عما كان يجري في الأيام الأخيرة من عهد «بطليموس فليومتور»، وكل ما وصل إلينا حتى الآن عن نشاطه في هذه الفترة أنه في أكتوبر عام ١٦٣ق.م قام بصحبة الملكة بزيارة لتفقد أحوال البلاد. وتحدثنا الأوراق البردية التي عُثِرَ عليها في «سرابيوم منف» أنهما كذلك زارا في هذا الوقت المحراب القديم الموجود بجوار العاصمة، وأنهما زارا السربيوم كرة أخرى في أكتوبر عام ١٥٨ق.م وأنهما في نفس الرحلة زارا معبد الفيلة.[٥٧] وفي «إدفو» نعلم أن «فيلومتور» قد أضاف بابًا عظيمًا في معبد «حور» العظيم في عام ١٧٧–١٧٦ق.م، وقد أعاقته — كما ذكرنا من قبل بطبيعة الحال — الحرب مع «سوريا» من الاستمرار في بناء المعبد وتزيينه، ولكنه أخذ في العمل فيه من جديد، كما تحدثنا بذلك النقوش في عام ١٥٠–١٤٩ق.م. هذا، وقد ترك «فيلومتور» اسمه بوصفه بانيًا أو مصلحًا أو مزينًا لمعابد على مؤسسات عدة، غير أن النقوش لم تحدد لنا تاريخ قيامه بها. ففي مدينة «أنتاوبوليس» Antaeopolis (= «قاو الكبير» الحالية) نعلم أن

[٥٧] راجع: L.D.IV.23.

«بطليموس فيلومتور» و«كليوباترا» أهديا قاعة عمد صغيرة للإله «أنتايس» Antaeus وهو الإله المصري للمعبد غير أن اسمه ليس بمعروف؛ ويُظن أنه كان يُنطق باسمه كالنطق الإغريقي.[٥٨] هذا، ويقال إن «بطليموس الخامس» قد بدأ إقامة معبد «كوم أمبو» وأن «بطليموس السادس» استمر في بنائه، غير أنه ليس لدينا ما يدل على أن «بطليموس الخامس» قد بدأه فعلًا كما سنرى بعد. وعلى أية حال لدينا آثار تدل على أن «بطليموس السادس» قد ترك لنا اسمه على معابد أخرى تدل على ما قام به من خدمات نحو الآلهة المصرية. وسنحاول فيما يلي أن نذكر ما أمكن الوقوف عليه من تلك الآثار.

(٣-٢) معبد «كوم أمبو» (أمبوس)

يقع معبد «كوم أمبو» في بقعة جميلة على الشاطئ الشرقي لنهر النيل؛ حيث ينحني النيل انحناءة واسعة من الجنوب إلى الغرب. وتدل الظواهر على أن هذا المعبد يقع على تل مؤلف من بضع مبانٍ يحتمل أنها كانت في الأصل لمعبد وبلد قديمين، ويُلحظ أن الجانب الجنوبي للمعبد مهدد دائمًا بماء النهر الذي ابتلع جزءًا كبيرًا من مدرجه، وقد اتُّخِذَت الإجراءات لإيقاف عبث النهر، وعلى أية حال يقع المعبد في بقعةٍ واسعة من أخصب بقاع القطر المصري في الوجه القبلي.

ومما يؤسف له جدَّ الأسف أننا لا نعرف إلا القليل جدًّا عن تاريخ هذا المعبد، والاسم «أمبوس» مأخوذ من الكلمة القبطية «مبو» وكانت المدينة قبل العصر الروماني يُطلق اسمها على أقصى مقاطعة في مصر العليا؛ فكانت بذلك تحل محل «ألفنتين» بوصفها عاصمة المقاطعة، واسمها بالمصرية «نبيت».[٥٩] وقد ترجمت كلمة «نبيت» بمدينة الذهب على زعم أنه كانت تخرج من عندها طريق يخترق الصحراء الغربية؛ لأجل الوصول إلى مناجم الذهب في بلاد النوبة. هذا، وقد ذُكر اسم «نبي» بوصفه أحد البلاد التي كان يحصل منها «رعمسيس الثالث» على الذهب، وذلك في نقوش مدينة «هابو».

هذا، وكان الاسم المقدس لهذه المدينة يُدعى «مدينة العينين المقدستين»، وذلك بالإشارة إلى هاتين العينين اللتين كانتا تُعبدان في معبد هذه المدينة. ولا نزاع في أن

---

[٥٨] راجع: O.G.I., No. 109.

[٥٩] راجع: Ancient Egyptian Onomostica, II, p. 5.

هذه البلدة كانت صاحبة ثراء منذ أوائل الأسرة الثامنة عشرة؛ ومن ثم لا بد أنها كانت موجودة منذ الأسرة الثانية عشرة على ما يُظن، ولا جدال في أن هذه المدينة قد اشتقت أهميتها من البقعة الخصبة التي تقع فيها. هذا فضلًا عن أنها كانت ملتقى طرق للواحات وإلى مناجم الذهب؛ ومن ثم أخذ يعظم شأنها بين البلدان المصرية؛ وكذلك ارتفع برفعتها الآلهة المحلية التي كانت تُعبد فيها. يُضاف إلى ذلك أن هذه البلدة منذ الأسرة الثامنة عشرة كانت محاطة بجدار عظيم سميك. وتدل كل الشواهد على أنها كانت مستعملة قلعة. ومنذ عهد الملك «أمنحوتب الأول» كان يوجد فيها معبد عُثر على بعض قطع من الحجر من مبانيه، وهذا المعبد لا بد أن معظمه كان قد ابتلعه النهر. ومن عهد الملك «تحتمس الثالث» والملكة «حتشبسوت» عُثر على مدخل بوابة عليه اسما هذين الملكين في داخل الجدار المحيط بالمدينة.[٦٠]

ولا نزاع في أن الملك «رعمسيس الثاني» وغيره من الملوك قد أصلحوا أو أضافوا إلى هذا المعبد، غير أنه اختفى الآن، وجُدد كله في عهد البطالمة.

(أ) الآلهة التي كانت تُعْبِدُ في معبد «كوم أمبو»

الواقع أننا قد وجدنا في معظم الأحوال أن المصريين القدامى كانوا يتخذون آلهتهم في بادئ الأمر من طبيعة البيئة التي كانوا يعيشون فيها، مراعين في ذلك ما كان يفيدهم من هذه الآلهة سواء أكان ذلك بكشف الضر عنهم أو جلب الخير لهم؛ ففي بيئة «كوم أمبو» مثلًا — التي نحن بصدد الحديث عنها — نلحظ أنه كانت تُوجد قبالة معبد «كوم أمبو» جزيرة تتألف في معظمها من كثبان مهيلة من الرمال، وهذه الجزيرة كانت في الأزمان القديمة متصلة بشاطئ النيل الشرقي، وكانت حتى الأزمان الحديثة مأوى للتماسيح، ومن ثم نعلم أن سكان بلدة «نبيت» كانوا قد أخذوا يعبدون هذا الحيوان على ما يُظن، وعلى أية حال فإنه يُلحظ في طبيعة هذا الحيوان شيء من الغموض والسرية. ومهما يكن من أمر فإن هذه الحيوانات قد جعلت النهر في هذه البقعة غير مأمون الجانب؛ بل كان خطرًا على كل من يقترب منه؛ إذ كانت التماسيح تنقض هناك على الآدميين وتبتلعهم، ومن أجل ذلك أخذ أهالي مدينة «نبيت» — أولًا — يستعطفون هذا الحيوان بتقديم الطعام له،

[٦٠] راجع: G. Dec. George. III, p. 85–84.

وبعد ذلك اتخذوه إلهًا لهم، وقد كان يسمى عندهم «سبك» سيد «نبيت»، وقد دلت الآثار على أن هذا الإله كان يُعبد في منطقة جبل السلسلة في خلال الأسرة الثامنة عشرة، وكان معبده يُسمى «بيت سبك»، ولا غرابة في ذلك؛ فإن منطقة السلسلة هذه هي البقعة التي كان يظن قدماء المصريين — وبخاصة في عهد الدولة الحديثة — أنها المكان الذي ينبع منه النيل، ولذلك كانت تكثر فيها التماسيح، وأصبحت تعبد في صورة الإله «سبك». غير أن عبادة الإله «سبك» هذا تطورت بتطور الديانة المصرية؛ فأصبح يُطلق على هذا الإله اسم «سبك رع».

ومنذ ذلك الحين أصبح يتصف بكل الصفات التي كان يتصف بها الإله «رع» ومن شاكله، ولدينا أنشودة تتغنى بصفاته وقدرته فتقول: إنه الروح الإلهية للعظيم.[٦١] ثم استمرت الأنشودة تذكر أن صورته العظيمة هي صورة خالق الأرض، وأنه هو الذي خلق المحيط في حينه؛ والإله العظيم الذي خرج من عينيه النجمان الشمس والقمر؛ وعينه اليمنى تضيء نهارًا وعينه اليسرى تضيء ليلًا … والريح يأتي من فمه، وريح الشمال يأتي من أنفه، والنيل يسيل منه بمثابة عرقه، ويجعل الحقول خصبة، وأنه يفزع العدو في صورته باسمه «سبك رع»، وهو الذي في بحيرته. هذا، ونجد أنه على الرغم من ذلك كان يظهر في صورته القديمة بوصفه محاربًا للعدو، والمسيطر على الماء؛ فكان يُقال عنه: «إنه صاحب الفم الثائر على العدو».

وكان من أبرز صفاته أنه كان يظهر بوصفه الإله القديم والخالق، وفي هذه الحالة كان يُدعى مثلما كان يُدعى «آتوم» أو «نون» والد الآلهة وحاكم التاسوع الإلهي، والذي صنع ما هو موجود والذي خلق ما هو كائن.[٦٢] وكذلك يُقال عنه: إنه والد الآلهة الذي جاء من المحيط، ومن لا يعرف الإنسان صورته[٦٣] (وهو هنا مثل «آمون»)، وإنه رب الحقول، وحاكم النباتات، ومن تنبع الأرزاق من جوفه.

وفي هذه الحالة يتضح لنا أن الإله «سبك» في معبد «كوم أمبو» قد انتقل من إله ماء إلى إله الأرض؛ أي إنه أصبح مثل الأرض «جب»[٦٤] أحد آلهة التاسوع الهليوبوليتي (عين شمس).

---

[٦١] راجع: Junker, A.Z. 67, S. 54 f.

[٦٢] راجع: Ombos, I. p. 195.

[٦٣] راجع: Ombos, I. p. 285.

[٦٤] راجع: Ombos. I. p. 855.

ولا غرابة في ذلك فقد وجدناه منذ العصر المتوسط الأول في متون التوابيت يُوصَف بأنه «سبك» الذي يخرج من باطن «جب» السري.[٦٥] ومن جهة أخرى نجد أن الإله «سبك» قد جاء ذكره في متون الأهرام بوصفه ابن الإلهة «نيت»، وأنه قد أتى من عظم وعرق العظيم الذي في الضوء اللامع.

يُضاف إلى ذلك أن عبادة التمساح كانت منتشرة في كل أنحاء البلاد بوصفه إله الماء، والخالق لكل شيء، حتى أصبح يُعتبر أن كل من أكله التمساح شهيد، وكذلك يكون مثل الإله «أوزير» الذي غرق في الماء وأصبح شهيدًا، ومن ثم أصبح كل غريق شهيدًا (A. Z. 46. p. 132). أما الإلهان اللذان كانا يكملان ثالوث هذا الإله فهما الإلهة «حتحور» والإله «خنسو-حور».

الإله «حور-ور»

كان معبد «كوم أمبو» مُقَسمًا قسمين منفصلين من حيث العبادة على غير العادة. ويدل تصميم المعبد على أنه قد حدث اتفاق بين كهنة كل من الإلهين المحليين، فكان الإله «حور-ور» يحتل القسم الشمالي، والإله «سبك رع» يحتل القسم الجنوبي، ولا شك في أن من يرسل نظرة من باب هذا المعبد المزدوج فإنه يرى في نهاية المعبد قدس الأقداس دون كبير عناء.

ولا ريب في أن هذين الإلهين المشتركين في هذا المعبد يُعتبران في الأساطير القديمة بأنهما إنما يمثلان إله السماء «رع» الذي له عينان. غير أن هذين الإلهين كانا في الأصل يظهران على الأرض بصورتين مختلفتين، ولا نزاع في أن التطور الديني في مصر كان يسير سراعًا، وعلى حسب التقلبات العمرانية والسياسية؛ فكان الكهنة يتحكمون في تكييف آلهتهم المحلية على حسب الأحوال. ولا غرابة في أن نجد هنا أن الإله «سبك» الذي كان يمثل التمساح ويخاف الناس شره قد أصبح إلهًا عالميًّا، ومع ذلك فإن صفاته الأولى كانت دائمًا تبقى عالقة به كما شاهدنا من قبل، والسبب في ذلك يرجع إلى أن المصري كان يحافظ على كل ما هو قديم.

---

[٦٥] راجع: Excavations at Saqqara II. Texte Rel. 28; Cf. Kees, Art Suchos in Pauly-Wissowa R. E. sp 553198.

أما الإله «حور-ور» (أي حور الكبير) فهو إله الشمس المرتبط بعبادة الإله «رع» الهليوبوليتي. فقد جاء في الأساطير أنه ابن «رع» وأنه لعب دورًا هامًّا في الأزمان الغابرة، ومن ثم قد أصبح يُعتبر من أعضاء التاسوع الهليوبوليتي. والعلامة المميزة للإله «حور-ور» إله «أمبوس» قدمها لنا الأستاذ «ينكر» في كتابه المسمى أسطورة «أونوريس»، فقد قال: إن أساس أسطورة هذا الإله ترجع إلى عقيدة بلدة «ليتوبوليس» (أوسيم الحالية)، فقد كان إله هذه البلدة يُدعى «حور» ليس له عينان، ومن الجائز أن ذلك قد حدث باتفاق وترتيب مع عباد «حور» بلدة «ليتوبوليس». هذا، وكان يُعبد كذلك في بلدة «قوص» القريبة من «كوم أمبو»، ومن ثم انتقل إليها، وقد كان إله «كوم أمبو» يُدعى بنفس اسم إله «قوص»، ومن أجل ذلك كان يلبس تاج الوجه القبلي. وعلى أية حال فإن المتون المصرية لا تنكر شيئًا من ذلك؛ بل تدل على أن هذا الإله أصله من «ليتوبوليس». فمثلًا نجد أنه كان يُحتفل بعيد في اليوم الثاني من الشهر الثاني من فصل الفيضان (شهر بابه)، وهو عيد «حور» الوحيد في بلده عندما كان في الوجه البحري (أي في «أوسيم»)، وهذا الإله «حور-ور» هو نفس الإله الذي كان يُعبد في «إدفو» في صورة خاصة. وكانت أشكال «حور» هذه ترجع إلى أصلها الهليوبوليتي (عين شمس)، حيث كانت العبادة الأصلية للإله «رع»، ومن هنا انتشرت في جميع نواحي مصر. هذا، ويمكن الإنسان فضلًا عن ذلك أن ينسب أسطورة عبادة «كوم أمبو» مباشرة إلى أنها أنموذج من التطور السحيق في القدم للعقيدة الشمسية، كما جاء في نقوش معبد «كوم أمبو» فاستمع إلى ذلك:[٦٦]

> إن مدينة «أمبوس» كانت مدينة الإله «شو» في الأزل، وقد أتى إليه والده وأخفاه هناك من أمام عدوه، وعندما أتى الشر ليبحث عنه (أي «ست») أخذ الإله «شو» صورة «حور» وهو الذي كان يقبض على حربته بساعده الضارب (مثل «أونوريس»!) وقتله في الحال في هذه المقاطعة، وقد كان قلب «رع» منشرحًا بما عمله له ابنه «شو»، وقد أصبح بذلك عظيمًا على كل الآلهة ومسيطرًا على التاسوع الإلهي، وقد سمي «شو» الصقر بسبب ذلك في هذه المدينة.

[٦٦] راجع: Junker, Auszug der Hathor-Tefnui aus Nubien (Abh. Berl Akad 1911). p. 56 f. Nach Ombos II. p. 67 (nr. 613).

وكذلك أتت الإلهة «تفنوت» مع أخيها «شو» عندما كانت عائدة من «يوجم» (بلدة في الجنوب الشرقي)، وقد استقرت في هذه المدينة، وقد كان «رع» معها و«تحوت» خلفها لأجل أن يقفا فيما بينها وبين أخيها «شو»، وهناك تحدث الإله «تحوت» إلى هذه الإلهة قائلًا: لقد أصبحت طيبة في هذه المدينة (ومن هنا) أصبحت تسمى الإلهة «تفنوت» في هذا المكان «تاسنت-نفرت»؛ أي الأخت الطيبة (وهي أحد أفراد ثالوث «حور-ور» في معبد «كوم أمبو»).

هذا، وقد أصبح «حور» «كوم أمبو» بوصفه مثل «شو» فيما يخص لوازم الحياة، كما نظمها في المذهب الهليوبوليتي: «في صورته الحقيقية بوصفه الهواء الذي بين السماء والأرض … وأنه هو الذي يعطي الحياة للآلهة والإلهات … والذي يأتي بالفيضان (النيل) ويجعل الحقول تنمو، ويجعل الخضر تعيش، وذلك عندما يرفع لها بيديه الهواء».

وثالوث «حور-ور» هو: «حور-ور» (حاروئريس) و«تاسنت نفرت» (سنوفيس) و«خنس».

ومما سبق نفهم أن هذين الإلهين «حور-ور» و«سبك رع» كانا في الأصل إلهين محليين، ثم رُفعا إلى مكانة علية بنهوض بلدة «كوم أمبو» واحتلالها مكانة عظيمة بين بلدان القطر. ولأجل أن يصبح لكل منهما قيمته المرموقة في أعين الشعب حاول الكهنة أن ينسب كلًّا منهما إلى الإله «رع» إله الشمس العظيم، وبالغوا في ذلك حتى أصبح كل منهما يفوق الإله الأعظم «رع»، ولكن عندما نعود إلى بحث كنه كل منهما نجد أنه كان إلهًا محليًّا في بيئته، له صفات خاصة وسمات معلومة.

(ب) المناظر التي جاء فيها اسم بطليموس السادس وزوجه كليوباترا في معبد «كوم أمبو»

تدل النقوش التي على جدران معبد «كوم أمبو» على أن أول ملك قام ببنائه هو الملك «بطليموس السادس فيلومتور»، والظاهر أن الجزء الشرقي الخاص بالإله «سبك» قد بُدئ ببنائه أولًا، له ولثالوثه، ثم أقيم الجزء الغربي للإله «حور-ور» وثالوثه، ولدينا نقش إغريقي في المعبد يبين أن الجنود الذين كانوا معسكرين في منطقة «أمبوس» في هذا الوقت قد أقاموا على حسابهم الخاص بعض أجزاء مباني المعبد؛ وذلك على شرف الإله «حور-ور»، ولم يُذكر اسم «سبك» في هذا النقش. والظاهر أن بناء معبد الإله «سبك» كان

قد فُرغ منه؛ إذ كان هو الجزء الذي أقيم أولًا، وفي عهد «بطليموس السابع إيرجيتيس الثاني» استمر العمل في المعبد وفي تزيينه، ولم يَبْقَ إلا تزيين قاعة العمد التي تم العمل فيها في عهد «بطليموس نيوس ديونيسوس» Neos Dionysos. وفي عهد الإمبراطور «تبيريوس» أي في بداية العهد المسيحي أقيمت الردهة الأمامية للمعبد وزُينت، وقد تمت اللمسات الأخيرة في عهد الإمبراطور «دوميشيان». وعلى أية حال فإن آخر أسماء وُجدت منقوشة على هذا المعبد كانت للأباطرة «جيتا» و«كاراكلا» ثم «ماكرينوس».

ويُلحظ أن المعبد لم يكن قد تم بصفة نهائية؛ إذ نجد بعض حجره أو بعض تاج عمود لم تكن قد تمت، والظاهر أن فقر الكهنة وعدم قدرتهم على الصرف على إتمام هذا المعبد بصفة نهائية كان السبب في إيقاف العمل. كما يظهر أن الوقت الذي استغرقه بناء هذا المعبد من البداية حتى النهاية يبلغ حوالي أربعمائة سنة تقريبًا.

وسنحاول هنا أن نذكر بقدر المستطاع النقوش التي باسم «بطليموس السادس»، وهي التي تركها لنا على جدران المعبد. وتدل الظواهر على أنه قد بنى الجزء الأعظم من المعبدين مبتدئًا بقدس الأقداس حتى قاعة العمد الداخلية، اللهم إلا إذا كان قد امتدت مبانيه إلى أكثر من ذلك، غير أنه لم يزينها بالمناظر والنقوش.

قاعة العمد الداخلية[٦٧]

المدخل الشمالي: (٦٠) و(٦١): يُشَاهَد على سمكي الباب خمسة صفوف نقش مثل فيها «بطليموس السادس» أمام إلهين، كما يُشَاهَد متن عمودي عند القاعدة.

الدهليز الخارجي «بطليموس فيلومتور»

الواجهة: (٧٨) و(٧٩) و(٨٠): يُشَاهَد هنا بقايا ثلاثة صفوف تشمل مناظر قربان.

المدخل الشمالي: (٨١) و(٨٢): يُشَاهَد على العتب الخارجي منظر مزدوج يُلاحَظ فيه الملك يجري نحو «حور–ور»، ويقدم صورة «ماعت» لثالوثي «حور–ور» و«سبك»؛ ثم يجري ومعه السكان (حاب) والمجداف نحو الإله «سبك–رع»، ويُشَاهَد على قائمتي

[٦٧] انظر الرسم الخاص بمعبد كوم أمبو ٣.

الباب خمسة صفوف؛ يُشاهِد فيها الملك أمام إلهين، ومنقوش معه أناشيد للإلهين «حور-ور» و«سبك-رع» على قاعدة الجدار.

(٨٤) و(٨٥): يُشَاهَد على سمكي الباب خمسة مناظر يُرى في كل منها «بطليموس السادس» يقدم لإلهة (مهشمة).

(٨٦) و(٨٧): يُشَاهَد هنا على العتب الداخلي منظر مزدوج يُرَى فيه الملك يقرب نبيذًا للآلهة «سبك» و«حتحور» و«حور-ور» و«سنوفيس»، كما يُشَاهَد على قائمتي الباب خمسة صفوف يُرَى الملك في كل أمام آلهة. وهناك متون تذكر المعبد وأناشيد للإله «حور» والإله «سبك» على القاعدة.

المدخل الجنوبي: (٨٨) و(٨٩): يُشَاهَد على العتب الخارجي مناظر مزدوجة يُرَى فيها «بطليموس السادس» يجري ومعه آنيتان يقدمهما للإله «حور-ور»، كما تُشاهَد «كليوباترا» الثانية تقدم النبيذ لثالوث «حور-ور» على الجانب الأيمن. وعلى قائمتي الباب تُشاهَد خمسة صفوف يُرَى فيها الملك في كل أمام إلهين.

(٩٢) و(٩٣): مُثل على العتب الداخلي منظر مزدوج يُشَاهَد فيه الملك يقدم أزهارًا للآلهة «حور-ور» و«سنوفيس» و«سبك» و«حتحور». ويُشَاهَد على قائمتي الباب المهشمتين خمسة صفوف مثل فيها الملك أمام إلهين، كما تُشاهَد متون جاء فيها ذكر المعبد على القاعدة.

الداخل: (٩٤): يُشَاهَد هنا الملك يقدم نبيذًا لإله وإلهة. وهناك منظر مهشم يُشَاهَد فيه الملك يطهره كل من «تحوت» و«حور»، وعند القاعدة تقويم.

(٩٥): يُشَاهَد هنا ثلاثة صفوف يتعبد فيها الملك للإله «سبك»، ويقدم صلين للإله «سبك-رع» وصناجة للإلهة «حتحور»، كما نشاهد أنشودة مؤلفة من عشرة أعمدة عند القاعدة.

(٩٦): يُشَاهَد هنا صفان من النقوش يُرَى فيهما الملك يقدم الصولجان «حتس» لإله مهشم، ويصب رملًا أمام كل من «حور-ور» و«سنوفيس».

(٩٧): يُشَاهَد في الصف الأسفل هنا الإله «خنوم» من منظر مهشم يقود الملك، كما يُرَى الملك يعانقه «سبك». وعند القاعدة يُشَاهَد كل من الملك و«كليوباترا» الثانية يتبعهما إله النيل وأفراد يحملون قربات.

الحجرات التي حول الدهليز

الحجرة الأولى: (٩٨) و(١٠٠): يُشَاهَد على الجزء الأسفل من الجدار آلهة نيل تربط رمز «سما» (= علامة توحيد الأرضين) على سمك الجدار، كما يُشَاهَد بقايا أفراد يحملون قربات على الجدار الشمالي.

الحجرة الثانية: (١٠١): المدخل (a) و(b) و(c) و(d): يُشَاهَد هنا على قائمتي الباب وسمكيه متون نُقشت عمودية.

(١٠٢): يقدم هنا الملك ساق ثور للإله «سبك»، ويصب قربانًا سائلة أمام إله وإلهة.

(١٠٣): المدخل الشرقي (e): يُشَاهَد على العتب الخارجي الملك يقدم زهورًا لثلاثة آلهة، وعلى القائمة اليمنى ثلاثة صفوف متون.

(١٠٤): المدخل الجنوبي: يُوجد هنا متون على سمكي الباب.

(١٠٥): يشاهد هنا الملك (مهشمًا) أمام الإله «خنسو» (؟) وعلى القاعدة يُرَى الملك والملكة «كليوباترا» يتبعهما آلهة نيل وإلهات حقول.

الحجرة الثالثة: (١٠٦): المدخل (j) و(k) و(l): يُشَاهَد على العتب الخارجي الملك أمام «حور» و«سبك-رع» و«سنوفيس»؛ وتُشاهَد على القائمة الجنوبية والجدار الذي بجانب المدخل متون عمودية.

(m) و(n) و(o): يُرَى على سمكي الباب متون عمودية تشمل متن عطور من شعائر معبد.

(p) و(q): ويُوجَد فوق المدخل وعلى يمينه في أعلى بقايا منظر، ووصفة للعطور والشعائر وسطر من النقوش في أسفل.

الدهليز الأوسط

الواجهة: (١٠٧): يُشَاهَد في الصفين الأعلى والثاني بقايا مناظر، وفي الصف الثالث يُشَاهَد الملك (مهشمًا) ومعه الإلهة «سشات» تقيس المعبد يتبعهما «حور-ور»، وتقويم على القاعدة.

(١٠٨): يُشَاهَد هنا ثلاثة صفوف يُرَى فيها الملك يقدم صدرية لـ «حور-ور» و«سنوفيس» كما يقدم رموزًا لـ «أوزير وننفر» و«إزيس» و«نفتيس»، ومع «أمنوتف»

وأعلام، ويطهر المعبد أمام «حور-ور»، وعلى القاعدة يُوجَد متن يذكر أسماء المعبد والبرك المقدسة وأشجارًا وأعيادًا، ويشير إلى أسطورة الإلهين «شو» و«تفنوت».

(١٠٩): يُرَى هنا الملك يقدم قربانًا سائلة أمام «سبك» (؟)، وعلى القاعدة يخاطب «حور-ور» كما يوجد متن ذكر فيه إعادة بناء المعبد على يد «بطليموس السادس» و«كليوباترا الثانية».[٦٨]

(١١٠) و(١١١): يُشَاهَد هنا على عتب الباب منظرٌ مزدوج مُثِّلَ فيه الملك يجري ومعه آنيتين نحو إله، وتتبعه «كليوباترا» الثانية، ويقدم أفاويه (حزو) وآنيتين (حنات) للإله «حور-ور» ولثالوث «سبك»؛ ويُشَاهَد على قائمتي الباب خمسة صفوف يُرَى في كل منها الملك أمام إلهين، ومعه نقش يخاطب به كلًّا من «حور-ور» و«سبك» عند القاعدة.

(١١٢) و(١١٣): تُوجد متون على سمكي الباب جاء فيها ذكر «بطليموس السادس».

(١١٤) و(١١٥): يشاهد هنا على العتب الداخلي وعلى قائمتي الباب بقايا مناظر قربان.

المدخل الجنوبي: (١١٦) و(١١٧): يُشَاهَد على الطرف الشمالي للعتب وعلى قائمتي الباب بقايا مناظر قربان، وعلى القاعدة خطاب موجه لكل من «حور-ور» و«سبك»، وفوق ذلك متن جاء فيه ذكر المعبد.

(١١٨) و(١١٩): بقايا متون على سمكي الباب لنفس الملك.

(١٢٠) و(١٢١): يُشَاهَد على العتب الداخلي بقايا نقوش على الطرف الشمالي يُرَى فيها الملك يتعبد لثلاثة أصلال، واحد منها برأس كوبرا، والثاني برأس صقر، والثالث برأس تمساح، ويُشَاهَد على قائمتي الباب بقايا أربعة صفوف في كل منها تُرى ثلاث إلهات كل منها برأس أسد، ويُوجَد على القاعدة متن.

الداخل: (١٢٢): يُوجَد هنا ثلاثة صفوف يُرَى فيها الملك في منظر مهشم؛ كما يُشَاهَد الملك يقدم مائدة للإله «حور-ور»، ويقف أمام «حور» (مهشمًا) ومعه قائمة قربان، وكذلك يُوجَد في أسفل متن يعظم الملك.

---

[٦٨] راجع Ree.Trav. XV. 187–8; Correction of text id. ib. XVIII 155–6.

(١٢٣): تُشاهد هنا ثلاثة صفوف مثل فيها «بطليموس السادس» يقدم نطرونًا للإله «سبك»، والإلهة «إزيس»، ويسقط كتلًا من الشحم على مائدة القربان للإلهين «سبك» و«نبتاوي»، ويقدم خبزًا للإله «سبك-رع»، وعلى القاعدة أنشودة.

(١٢٤) و(١٢٥): يُشَاهَد هنا على الصف الأسفل تقويم، وعلى القاعدة يُوجَد متن يصف المعبد، وخطاب للإله «سبك-رع».

(١٢٦): يُشَاهَد هنا بقايا صفين من النقوش مثل فيهما الثور «كاكاو-تايحموت» وبقرتان مقدستان وإلهة حقل على القاعدة (وهي ضمن موكب).

الحجرة السادسة: (١٢٧) (a)–(d): تُشاهَد هنا فوق المدخل الخارجي قائمة نعوت آلهة، ومعها متون تطلب الإله لقربانه على كل من جانبي الباب وعلى قائمتيه. (e) وعلى سمك الباب يُشَاهَد الملك يقدم نبيذًا لـ «حور-ور»، كما يُوجَد متن في أسفل يعظم الملك (f) وعلى مدخل الباب من الداخل يُوجد منظر مزدوج مُثِّلَ فيه الملك بوصفه بولهول.

(١٢٨) و(١٣٢): توجد هنا خمسة مناظر (بعضها مهشم) يُشَاهَد فيها الملك أمام إله، كما يُشَاهَد الملك ومعه صناجة أمام إلهة؛ وكذلك يُرَى الملك يقدم «حح» (ملايين السنين) للإله «حور» وجعة لإلهة، كما يُشَاهَد وهو يهرول ومعه ثلاثة سيقان من البردي نحو إله.

وعلى القاعدة يُرَى الملك و«كليوباترا الثانية» يتبعها آلهة نيل وإلهات حقول.

(١٣٣) المدخل الغربي: (a) توجد على عتب الباب صورتان لتمثالي بولهول. (b) يوجد على سمك الباب متن. (c) يُشَاهَد على سمك الباب هنا زينة كما تُشاهَد الإلهتان «نخبيت» و«بوتو» في صورتي صلين مجنحين، ومعهما طغراءات ورمز توحيد الأرضين، وعلى القاعدة صورة إله النيل.

(١٣٤) المدخل الشرقي (a) و(b): يُشَاهَد على سمكي الباب متون.

الدهليز الداخلي

الواجهة: (١٣٥): يُشَاهَد في الصف الأعلى والثاني بقايا مناظر قربان، وفي الصف الثالث الملك (مهشمًا) أمام «حور» (؟) و«سبك»، وعلى القاعدة مثل «بطليموس السادس» و«كليوباترا الثانية» مع قربان.

(١٣٦): تُشاهَد في الصف الأعلى وفي الصف الثاني مناظر قربان مزدوجة، وفي الصف الثالث «سماور» (= العجل بوخيس) يتبعه الملك، ومعه خبز، ويحضر مائدة

أمام «سبك» و«حتحور»، وعلى القاعدة متن مؤلَّف من عشرين عمودًا يشير إلى أسطورة الإلهين «شو» و«تفنوت».

(١٣٧): يُشَاهَد صفان من النقوش يُرَى فيهما آلهة من منظر مهشم و«إبيس» برأس ثور يتبعه الملك وهو يجهز مائدة قربان أمام «حور-ور» و«سنوفيس»، وعلى القاعدة «بطليموس السادس» و«كليوباترا» وإله النيل الخاص بالوجه القبلي (تابع للمنظر المستمر من ١٢٦).

المدخل الشمالي: (١٣٨) و(١٣٩): يُشَاهَد على عتب الباب منظر مزدوج يُرَى في النصف الشمالي منه الملك يقدم زهورًا للإلهين «حور-ور» و«خنسو»، كما يُرَى مع الملكة «كليوباترا» الثانية وهو يقدم صورة «ماعت» للإلهين «سبك» و«حتحور»، وقد مثل على قائمتي الباب ثلاثة صفوف تشمل مناظر قربان، ويُوجَد كذلك متن يصف المعبد عند القاعدة على القائمة الجنوبية.

(١٤٠) و(١٤١): يُشَاهَد على سمكي الباب بقايا متون نُقِشَتْ عمودية.

(١٤٢): يُشَاهَد على سمك الباب رمز زينة ومتن أفقي.

(١٤٣) و(١٤٤): يُشَاهَد على العتب الداخلي منظر مزدوج يُرَى فيه «بطليموس» يجري ومعه آنية نحو «سبك-رع» و«حتحور»، كما يُشَاهَد ومعه السكان (حاب) والمجداف وهو يجري نحو «حور-ور» و«سنوفيس»، ويُشَاهَد على قائمتي الباب أربعة صفوف مثل في كل منهما مناظر قربان، وعلى القاعدة متن يُعظم فيه الملك.

المدخل الجنوبي: (١٤٥) و(١٤٦): يُشَاهَد على العتب بقايا نقوش في الطرف الشمالي، ويُرى هناك «بطليموس» يصحبه عجل، ويجري بآنيتين نحو «سبك»، كما تُشاهد أربعة صفوف في كل منها مناظر قربان، وعلى القاعدة يُوجَد متن يصف المعبد.

(١٤٧) و(١٤٨): يُوجَد على سمكي الجدار متون.

(١٤٩) و(١٥٠): يُشَاهَد على عتب الباب الداخلي منظر مُثِّلَ فيه «بطليموس» يقدم (حح) رمز الأبدية للإلهين «حور-ور» و«سنوفيس» كما يقدم رموزًا للإلهين «سبك-رع» و«حتحور»، ويُشَاهَد على قائمتي الباب أربعة صفوف عليها مناظر قربان في كل، وعلى القاعدة يُوجَد متن يعظم فيه الملك.

الداخل: (١٥١): بقايا ثلاثة صفوف من النقوش عليها مناظر قربان.

(١٥٢): تُشاهَد هنا ثلاثة صفوف من النقوش مثل فيها «بطليموس السادس» أمام «حور-ور» و«حقات ورت» وأمام «حور» و«حتحور» ثم أمام «حور-ور» و«حتحور».

(١٥٣): بقايا ثلاثة صفوف من النقوش عليها مناظر قربان.

وعلى القاعدة آلهة النيل وحاملو قربات.

الحجرات التي حول الدهليز الداخلي

المدخل للحجرة رقم ٨: (١٥٤) (a) و(b): يُشَاهَد على قائمة الباب الخارجية والسمك بقايا متون.

الحجرة رقم ١٠: (١٥٥) (a) و(b): يُشَاهَد على قائمة الباب الخارجية وعلى السمك بقايا متون.

(١٥٦): يُشَاهَد هنا الجزء الأسفل من منظر يُرَى فيه الملك أمام الإله «مين» (؟) وإلهتين.

المحاريب

الواجهة: (١٥٧): يُشَاهَد هنا الجزء الأسفل من صف من النقوش مُثِّلَ فيه الملك أمام «حور-ور».

(١٥٨): يُشَاهَد في الصف الأعلى منظر مزدوج مُثِّلَ فيه الملك يقدم نبيذًا للإله «سبك-رع»، كما يقدم صدرية للإله «حور». وفي الصف الثاني منظر مزدوج مُثِّلَ فيه الملك يقدم الزهور للإله «سبك» كما يقدم آنية عطور على شكل بولهول للإله «حور-ور». وفي الصف الثالث يُرى الملك ومعه «كليوباترا الثانية» أمام «خنسو» يكتب على جريدة نخل، وكذلك «حور-ور» و«سبك-رع».

المحراب الشمالي: (١٥٩) و(١٦٠): المدخل الخارجي: يُشَاهَد على العتب (معظمه مهشم) منظر مزدوج مُثِّلَ فيه «بطليموس السادس» تتبعه «كليوباترا الثانية»، كما يُشَاهَد الإلهة «سشات ورت» تكتب على عصا «حب سد» (العيد الثلاثيني) أمام ثالوث «حور–ور» وأمام ثالوث «سبك»، ويُشَاهَد على قائمتي الباب أربعة صفوف من النقوش يشمل كل منها مناظر قربات، وعلى القاعدة متون.

(١٦١) و(١٦٢): يُشَاهَد على سمكي الباب متون.

(١٦٣) و(١٦٤): يُشَاهَد على العتب الداخلي منظر مزدوج مُثِّلَ فيه الملك يقدم طعامًا للإلهين «سبك–رع» و«نبتاوي»، ويقدم رموزًا للإلهين «حور–ور» و«خنسو» ويُشَاهَد على قائمتي الباب متون.

(١٦٥) و(١٦٦): بقايا مناظر يُرَى فيها الملك ومعه مائدة، كما يُرَى ومعه البخور والقربات السائلة.

المحراب الجنوبي: (١٦٧) و(١٦٨): المدخل الخارجي: يُشَاهَد على العتب بقايا نقوش في الطرف الشمالي حيث تُرى «كليوباترا الثانية» تتبعها الإلهة «بوتو» مع عصا «حب سد». ويُشَاهَد على قائمة الباب الشمالية أربعة صفوف من النقوش، وعلى القائمة الجنوبية أربعة مناظر قربات، كما تُشاهَد متون على القاعدة.

(١٧٣) يُشَاهَد هنا بقايا منظر يمثل فيه الملك ومائدة قربان.

على ظاهر المحاريب: يُشَاهَد على الجدران الشمالية والشرقية والجنوبية آلهة نيل وحاملات قربان وآلهة حقل.

الحجرات التي خلف المحرابين

الحجرة ١٣: (١٧٤) و(١٧٥) بقايا مناظر.

الحجرة رقم ١٧: (١٧٦) (a) و(b): يُشَاهَد على القائمة الجنوبية الخارجية وعلى سمك الباب بقايا متون. (c) يشاهد على قاعدة جدار القائمة الجنوبية آلهة نيل وإلهات حقل.

الحجرة رقم ١٨: (١٧٧) (a)–(e): نشاهد هنا متونًا على قائمتي الباب من الخارج وعلى سمكي الباب، كما نشاهد جزءًا من متن شمالي المدخل.

(١٧٨) و(١٧٩) و(١٨٠): يُشَاهَد هنا «بطليموس السادس» يتعبد للإلهة «ترموتيس» وإلى إلهة أخرى على هيئة ثعبان على قاعدتين، كما تُشاهَد بقايا منظرين من القرابين.

تعليق

إن أول ما يلفت النظر في مناظر هذا المعبد وما جاء فيها من نقوش ومتون هو أن «بطليموس السادس» لم يَدَّعِ أنه هو الذي أسس هذا المعبد؛ بل يقول صراحة: إن هذا المعبد كان موجودًا من قبل، وأنه هو الذي أعاد بناءه.[٦٩] ومن أجل ذلك نجد أن الكهنة قد أوردوا متونًا كثيرة في وصف المعبد وتعظيم الملك «بطليموس السادس» بوصفه بانيه من جديد، والآلهة التي يخاطبهم الملك في هذه المناظر ويقدم لهم القربان هم بطبيعة الحال الإله «حور-ور» وثالوثه والإله «سبك-رع» وثالوثه، وقد كان أهم قربان يُقدم لهم هو «تمثال» الإلهة «ماعت» التي تمثل العدالة وفي آن واحد تمثل الطعام الحقيقي، غير أن الآلهة كانوا يرغبون في أن يعيشوا على الصدق والعدل في حين أن الكهنة كانوا يريدون المادة الحقيقية، ومن أجل ذلك جعلوا تمثال «ماعت» يمثل العدالة والمادة معًا.

ولما كان «سبك-رع» — أحد الإلهين اللذين يُعبدان في المعبد — إله ماء، وبخاصة أن مكان معبد «كوم أمبو» يقع بجوار المكان الذي ينبع منه النيل على زعم المصريين القدامى وهو منطقة جبل السلسلة، فقد كان المفروض أن رخاء البلاد ونعيمها يتوقف على ما يغدقه النيل من خيرات على البلاد، لهذا كان الإله يجعل النيل يفيض عاليًا كل سنة مما يسبغ على الحقول بهجة ونضارة ورزقًا وفيرًا، ومن أجل ذلك نجد أنه جاء ذكر إله النيل «حعبي» كما جاء ذكر إلهات الحقول اللائي كن يقدمن خيراتهن، وكذلك جاء ذكر الإله «خنوم» وهو إله الشلال والصانع للمخلوقات، وأخيرًا جاء ذكر إلهة الحصاد «ترموتت» التي كانت تقدم للبلاد الغذاء الوفير.

وقد جاء في متون هذا المعبد آلهة أخرى كانت لها منزلة كبيرة في تلك الفترة من تاريخ البلاد، وكلها كانت لها علاقة بثروة البلاد وسعادتها؛ نذكر منها الإله «مين» رب الخصب والنماء. هذا، ولما كانت عبادة الحيوان منتشرة نامية في هذا العهد فقد جاء في

[٦٩] راجع: Porter & Moss VI. p. 191. No. 109.

نقوش هذا المعبد ذكر الإلهين «سماور» و«أبيس»، والأول: هو العجل الذي كان يُعبد في «أرمنت» باسم «بوخيس»، والثاني: هو العجل الذي كان يُعبد في «منف» باسم «أبيس».

(٣-٣) معبد المدمود

يظهر أن «بطليموس السادس» أقام بوابة في معبد «المدمود» الذي أقيم في عهد البطالة، فقد وُجدت قطعة حجر من بوابة باسمه في أساس مبني.[٧٠] هذا، ونجد في الردهة الشمالية على سمك باب المعبد رموزًا زخرفية ومتونًا؛[٧١] وكذلك نشاهد الملك أمام آلهة. وفي أسفل من ذلك يُشَاهَد الملك يصب القربات السائلة، ونُقش بجانبه أنشودة لـ «آتون».[٧٢] وكذلك نجد على الجدران التي بين الأعمدة بقايا مناظر.[٧٣] ويُلحظ أخيرًا أنه قد وُجدت بقايا طغراءات للملك «بطليموس السادس» لا يُعرف مكانها بالضبط.

(٣-٤) معبد «هو»

يظهر أن «بطليموس السادس» قد أقام معبدًا في هذه البلدة؛ فقد وُجدت قطع من الحجر عليها أجزاء من مناظر تمثل «بطليموس فيلومتور» وهو يقدم قربات للإلهة «إزيس» وقد نُقش عليها طغراء هذا الملك.

(٣-٥) معبد «إسنا»

تدل الآثار التي في متناولنا على أن معبد «إسنا» الذي أقيم على شرف الإله «خنوم» يرجع عهده إلى الدولة الحديثة على أقل تقدير، وقد أعيد بناؤه في عهد البطالمة كما ذكرنا آنفًا، وقد ترك «بطليموس السادس» نقوشًا على جدران هذا المعبد تدل على أنه أسهم في إنجاز هذا المعبد.

---

[٧٠] راجع: Porter & Moss V. P. 139.

[٧١] راجع: Rapport sur les Fouilles de Madamoud. Inscriptions 1925. p. 28. (45).

[٧٢] راجع: Ibid. PP. 31–2 (58–59) Fig. 5.

[٧٣] راجع: Porter & Moss V. P. 107.

وهذه النقوش هي:

واجهة قاعة العمد: (٣٢) و(٣٣): يُشَاهَد هنا ثلاثة صفوف من النقوش يحتوي كل منها على ثلاثة مناظر، يُشَاهَد في المنظر الثاني في كل صف «بطليموس السادس» يتعبد إلى الإلهة «منحيب-نبت-ور» (وهي إلهة تُعبد في إسنا مُثلت في صورة آدمي برأس لبؤة)، كما يتعبد أمام الإلهة «نبت-ور-منحيت».[٧٤] هذا، ونشاهد أمام الإلهة «نيت» صناجة. ونقرأ على الجزء الأسفل من هذا الجدار أنشودة للإله «خنوم» ومعها طغراء «بطليموس السادس».[٧٥]

(٣٤): يُشَاهَد على هذا الجزء من الجدار الخارجي لقاعة العمد «بطليموس السادس» ممثَّلًا أمام الإلهة «نيت» (ربة سايس) في الصف الأسفل.

(٣٥): وكذلك يُشَاهَد على نفس الجدار ثلاثة صفوف أخرى مُثل عليها «بطليموس السادس» أمام الإلهة «منحيت نبت-ور-منحيت» و«إزيس نبت-ور» والإله «خنوم».[٧٦]

(٣-٦) معبد «إدفو»

تدل النقوش التي خلفها «بطليموس السادس» على جدران معبد «إدفو» على أنه أسهم بقسط وافر في نقوشها، وفي رفع شأن كهنة هذا المعبد بإغداق الهبات الكثيرة عليهم.

قاعة العمد الخارجية

الواجهة: (٥٦): يُشَاهَد هنا الإله «تحوت» يكتب أمام الإلهين «بتاح» و«حور» وقد نُقش بجواره ستة أعمدة من النقوش الهيروغليفية باسم الملك «بطليموس السادس».[٧٧]

المدخل: (١٠٢) و(١٠٣): نُقِشَ على سمكي الباب لمدخل قاعة العمد متن مؤلف من ستة أسطر باسم الملك «بطليموس السادس».

---

[٧٤] إلهة في إسنا — راجع: L.D. Text IV. p. 25; Wb. II. 232.

[٧٥] راجع: Rac. Trav. XXVII. P. 83–9.

[٧٦] راجع: L.D. Text IV. p. 25.

[٧٧] راجع: Chassinat, Edfu III P1, Left pp. 6–9, 96.

الحجرات التي حول قاعة العمد الداخلية

حجرة النيل: (١٢٥) المدخل من قاعة العمد الداخلية: يُشَاهَد على العتب الخارجي لهذه الحجرات طغراءات «بطليموس السادس» والملكة «كليوباترا الثانية»، كما يُشَاهَد على قائمتي الباب نفس الملك يصحبه «حور» و«حتحور»؛ وعلى سمك الباب يُشَاهَد الملك يتقبل رمز الحياة من الإله «حور»، وعلى القاعدة يُشَاهَد «بطليموس» و«كليوباترا» الثانية أمام «حور» و«إزيس».

(١٢٦) المدخل من الدهليز: يُشَاهَد هنا «بطليموس السادس» يقدم الماء للإله «حور»، وكذلك يُشَاهَد على القاعدة وعلى سمك الباب «بطليموس» و«كليوباترا الثانية» يتبعهما آلهة نيل.

المعمل (الحجرة رقم ٢): (١٣٤) المدخل (a) و(b): يُشَاهَد على العتب الخارجي «بطليموس» تتبعه «كليوباترا الثانية» وهو يقدم تماثيل صغيرة ... إلخ لثالوث «إدفو».

(١٣٥): يُشَاهَد هنا في الصف الأعلى «بطليموس السادس» يقدم عطورًا للإله «أوزير» ولإلهتين؛ وفي الصف الثاني نقرأ وصفة طبية، ويُشَاهَد الملك يقدم عطورًا لـ «حور».

(١٣٦): في الصف الأعلى متن نقرأ فيه وصفة طبية، ويُشَاهَد الملك وهو يقدم آنيتين للإله «مين» وللإلهة «إزيس»، وفي الصف الثاني يُرى الملك يتبعه «شزمو» (إله النبيذ) بالعطور، ويقدم قربانًا أمام «حور» و«حتحور»، وفي الصف الثالث متن وصفة طبية، ويُرى الملك تتبعه «نبت نترو» (سيدة الآلهة؟ اسم إلهة) ومعه عطور، ويقدم قربانًا أمام «حتحور».

(١٣٧): يُرَى «بطليموس السادس» في الصف الأعلى يطلق البخور أمام «حور» و«حتحور»، وفي الصف الثاني متن وصفة طبية، ويُشَاهَد الملك يقدم زيتًا للإله «حور»، وفي الصف الثالث نشاهد منظرين يقدم فيهما الملك للإلهين «حور» و«حتحور».

(١٣٨): نقرأ في الصف الأعلى وصفة طبية، كما نشاهد «بطليموس» مع الإله «إحي» الصغير يتبعهما الإله «شزمو» (إله النبيذ) ويقدم للإلهة «حتحور» والإله «حورسماتوي» (موحد القطرين)، وفي الصف الثاني متن وصفة طبية، ويُرى الملك يقدم أنواعًا مختلفة من النطرون للآلهة «حور» و«حتحور» و«نخبيت» و«بوتو»، وفي الصف الثالث وصفة طبية طويلة تشمل اثني عشر سطرًا بجانب المدخل، ويُشَاهَد الملك يتبعه الإله «شزمو» ويقدم عطور المر للإله «حور» والإلهة «حتحور». هذا، ويُشَاهَد

«بطليموس السادس» مُمَثَّلًا على قاعدة الجدار هو و«كليوباترا الثانية» يتبعهما حاملو القرابين أمام «حور» و«حتحور»، ومع كل منهما سطر من النقوش.

دهليز قاعة الخزانة: (١٣٩) (c) و(d): نقرأ هنا على سمكي الباب متونًا باسم «بطليموس السادس». (e) وكذلك نشاهد على سمك الباب «بطليموس السادس» يتقبل رمز الحياة من «حور». (f) و(g) وعلى العتب الداخلي نشاهد «بطليموس السادس» و«كليوباترا الثانية» أمام الآلهة «حور» و«حتحور» و«نبي»[٧٨] و«خنمت»[٧٩] و«نون رع»[٨٠] (؟) و«منقت»[٨١] و«نيوبوت»[٨٢] و«حتمت».[٨٣] وعلى قائمة الباب اليسرى نشاهد صفين من النقوش مُثل فيهما الملك وهو يقدم خبزًا ويقرب فطيرًا للإله «حور»؛ وعلى القائمة اليمنى نشاهد خمسة أعمدة من المتون والملك في أسفل.

(١٤٠) (c) و(d): على سمكي الباب متون باسم «بطليموس السادس» و«كليوباترا الثانية» وهو يقدم طعامًا للإله «حور» وعلى القاعدة يُشَاهَد ثلاثة من حاملي القربان واسم الباب الذي دخلوا منه فوقهم. (f) و(g) يُشَاهَد على العتب الداخلي الملك يقدم قربانًا أمام «حور» و«حتحور» و«خنوم» و«سخت»[٨٤] و«شزمو» و«نب نترو» و«حزتحتب» و«تايبت» (= إلهة النسيج). ويُشَاهَد على قائمة الباب اليسرى متن مؤلف من أربعة أعمدة من الكتابة مُثل تحتها الملك. وعلى القائمة اليمنى يُشَاهَد صفان من النقوش مثل فيهما الملك وهو يقدم أضحيات وقربات للإله «حور».

ويُشَاهَد على الجدار الشمالي لهذا المدخل ثلاثة صفوف من النقوش، وهي مناظر قربان يُشَاهَد فيها «بطليموس السادس».

وعلى القاعدة حول الجدران وعلى سمك الجدار (e) (١٣٩) يُشَاهَد «بطليموس السادس» و«كليوباترا» يتبعهما بعض مقاطعات الوجه القبلي والوجه البحري أمام

[٧٨] نبي = صفة من صفات إله الشمس = نبي الإلهي.

[٧٩] خنمت = الإلهة المنشئة لأطفال الإلهات.

[٨٠] نون رع: إله أزلي.

[٨١] منقت = إلهة الجعة.

[٨٢] نيوبوت (؟).

[٨٣] «حتمت» إلهة في صورة حيوان مفترس تُذكر مع الأسود والفهود.

[٨٤] إلهة الحقل.

«حور» و«حتحور» على كل من الجانبين مع سطر من الكتابة فوق كل هذا مع ذكر اسم الباب، وعلى إفريز المدخل متن باسم «بطليموس السادس» و«كليوباترا الثانية».

حجرة الخزانة (رقم ٤): (١٤١): المدخل (a) يُرَى على العتب الخارجي «بطليموس السادس» و«كليوباترا الثانية» وهو يقرب قربانًا أمام الآلهة «حور» و«حتحور» و«إحي» (ثالوث إدفو)، كما يُشَاهَد كذلك مُمَثَّلًا على قائمة الباب اليسرى وهو يقدم البخور والقربان السائلة أمام «أمحوتب»، وكذلك نقرأ على سمكي الباب متونًا لـ «بطليموس السادس» و«كليوباترا الثانية». وعلى سمك الجدار مثل الملك وهو يقدم قربانًا للإله «حور»، كما صُور على قاعدة الجدار وهو يقدم البخور والقربان السائل.

(١٤٣) و(١٤٥): يُشَاهَد هنا ثلاثة صفوف من النقوش تحتوي على مناظر قربات، هذا بالإضافة إلى متن يتألف من سبعة أسطر عمودية نُقِشَتْ على الجانب الأيمن من المدخل. وعلى قاعدة الجدار يُشَاهَد الملك على كلا الجانبين تتبعه صور تمثل البلاد التي تنتج الذهب والأحجار الكريمة، وعلى رأسها الإله «سيد» من جهة والإله «حا» من جهة أخرى، وهو واقف أمام «حور» و«حتحور». هذا، ويُشَاهَد على إفريز الحجرة متون باسم «بطليموس السادس» و«كليوباترا الثانية».

الدهليز الذي حول المحراب: (١٧٨) (c) يُشَاهَد «بطليموس فيلومتور» يقدم قربانًا للإله «حور» ومعه متن على القاعدة.

الحجرات التي حول المحراب

الحجرة رقم ١٠: المدخل عند (٢٢٧) (f) يوجد على سمكي الباب متون لـ «بطليموس السادس» و«كليوباترا الثانية»، هذا بالإضافة إلى متون أفقية باسم هذا الملك.

الحجرة الخارجية للإله «سوكاري» رقم ١٣: المدخل عند (٢٣٢) (c) و(d) و(e) و(f): يُوجد على سمكي الباب متون باسم «بطليموس السادس».

الحجرة الداخلية للإله «سوكاري»: المدخل عند (٢٥٧) (e) و(f): يُوجد على سمكي الباب متون باسم «بطليموس السادس» و«كليوباترا الثانية».

(٢٦٠) و(٢٦٣): يُشَاهَد على الجدار الشرقي على الجزء الأيمن وعلى الجدار الجنوبي متون ساعات الليل في مأساة «أوزير»، كما يُشَاهَد على الجدار الشرقي الجزء الأيسر وعلى الجدار الشمالي متون ساعات النهار في أسرار «أوزير». ويُرى

الملك على الجدار الغربي في الصف الأعلى يقدم عصا شعيرة فتح الفم للإله «أوزير» وإلى «شنتايت» في الناووس، ويقدم رموزًا لـ «أوزير» و«نفتيس» في الناووس، وفي الصف الثاني مثل الملك وهو يقدم البخور لـ «أوزير» و«إزيس» في الناووس، ويقدم قربات سائلة لـ «أوزير» و«نفتيس» في الناووس، وفي الصف الثالث يقدم الملك صورة «ماعت» لـ «حور» وإلى «حور» و«حتحور».

حجرة الساق الخارجية: المدخل (٢٤١) (c) و(d) و(e) و(f): يُوجد على سمكي الباب متون خاصة بكل من «بطليموس السادس» و«كليوباترا الثانية».

السلم الشرقي: المدخل من الدهليز الخارجي عند (١٥٩) (a) و(b): مثل على العتب الخارجي أربع بقرات مقدسة وثور «كاكاو–تايحوت» ومعه سبع بقرات مقدسة، كما يُشَاهَد على قائمة الباب الشمالية أصلال، ويُشَاهَد الملك على سمك الباب ممثلًا يتقبل رمز الحياة من «حور».

(٢٨٤) المدخل من قاعة العمد الداخلية (a) و(b): يُشَاهَد على عتب الباب الخارجي طغراءات «بطليموس السادس» و«كليوباترا الثانية».

(أ) النقوش الإهدائية التي على جدران حجرة كنز معبد «إدفو»

خلف لنا «بطليموس السادس» متونًا هامة على جدران حجرة كنز معبد «إدفو» تحدث فيها عما قام به من أعمال جليلة للإله «حور» رب «إدفو» كما أشار إلى أعماله العظيمة في مدة حكمه. وهذه النقوش الإهدائية حُفرت على الجزء الأسفل من جدران حجرة الخزانة، وتحتوي على أربعة نصوص، وهي:

النص الأول

يعيش الإله العظيم والمسيطر الكبير على سكان الأراضي العالية، ملك الوجه القبلي والوجه البحري (وارث الإلهين الظاهرين، صورة «بتاح»، المختار من «رع»، والذي يعمل الحق لـ «آمون») الذي يقود «الأونتيو» Iountiou، وضارب الـ «كسنتيو»، والذي يجمع قبائل بلاد آسيا، والباسط ذراعيه عندما يحمي مصر مثل إله «إدفو» صاحب الريش المبرقش، ملك مصر، ورئيس سكان الشمال، المحترق (أو الواطئ بقدميه) الـ «أبل» Abel بقوته؛ وسكان لبنان تصرع بقوته، وهو الذي جعل بدو «آسيا» يرتعدون، وأهل «أونتيو» بوصفهم رعايا جلالته

يحملون محاصيلهم إلى بيته، وجزائر وسط البحر كلها في ابتهاج بسببه، ملك الوجه القبلي والوجه البحري (وارث الإلهين الظاهرين، صورة «بتاح»، المختار من «رع»، والذي يعمل الحق لـ «آمون»)، ابن «رع»، (بطليموس العائش أبديًّا، محبوب «بتاح»)، ومعه أخته وزوجه المحبوبة الملكة، سيدة الأرضين «كليوباترا» الإلهان المحبان لوالدتهما ومحبوبا «حور» «إدفو» الإله العظيم رب السماء صاحب الريش الملون الخارج من الأفق، والجعران المجنح المبجل الذي على رأس محاريب الجنوب والشمال.

النص الثاني

يعيش الإله، الثور القوي، عظيم البطش، وصاحب الساعدين القويين مثل إله «إدفو» الملوح بالسيف مثل سيد «مسنت» (إدفو) كبير الانتصارات، شديد القوى، المنتصر في الجوار الذي يمكن أن يسكن فيه. ملك الوجه القبلي والوجه البحري، (وارث الإلهين الظاهرين، صورة «بتاح»، والمختار من «رع»، الذي يعمل الحق لـ «آمون»)، والذي يهزم «القنبتو»، والذي يدوس بالقدمين العابثين والمظفرين «الفنخو» (الفنيقيين)، عظيم القوة مثل الرجل الفتي الجميل الوجه، عظيم النفوذ، والقوي بالخوف الذي يبعثه، والشجاع في مناجم الصحراء؛ وأولئك الذين في الجبال يهابونه خوفًا منه، ابن «رع» (بطليموس العائش أبديًّا، محبوب «بتاح») مع أخته وزوجه التي يحبها، الملكة على الأرضين «كليوباترا» محبوبة «حور» إدفو الإله العظيم رب السماء و«حتحور» سيدة «دندرة» وعين «رع» القاطن في إدفو.

النص الثالث

إنه «حور» تاتين في جسده، الذي يتحد مع «أبيس» العائش في مهدهما، وقد جعله والده في الواقع يظهر ملكًا للوجه القبلي والوجه البحري، (وارث الإلهين الظاهرين، صورة «بتاح»، المختار من «رع»، والذي يعمل الحق لوالده «آمون»)، ابن «رع»، (بطليموس العائش أبديًّا، محبوب «بتاح»)؛ لقد عمل هذا الأثر الجميل في المكان العظيم (المحراب الرئيسي) لجلالة «رع»، وهو خزانة (حرفيًّا مكان قربات من الغذاء) ثمينة مزودة بمتاعه، والتي تحتوي على جميع محاصيل الأراضي؛ لتجهيز محراب الحقل المقدس، «حور إدفو»

سماتوي (= موحد الأرضين) سيد السماء و«حتحور» العظيمة سيدة «دندرة» و«حور سماتوي» الطفل ابن «أونيت» (= حتحور) وإنه ملك الوجه القبلي والوجه البحري، الثابت على عرشه على رأس أرواح العائشين أبديًّا.

النص الرابع

إنه «حور» الذهبي، عظيم البأس، سيد الأعياد الثلاثينية مثل والده «بتاح تاتنن»، والد الآلهة، والملك مثل «رع»، وابن «رع» (بطليموس العائش أبديًّا، محبوب «بتاح»)، ومعه أخته وزوجه الملكة وسيدة الأرضين «كليوباترا»، الإلهين المحبين لأمهما، لقد عمل هذا العمل الجميل لإله «إدفو»، الإله العظيم رب السماء؛ وأنه المكان الجميل (يقصد الخزانة) المموِنة بالذهب والفضة أيضًا، وبكل شيء وبالأحجار الكريمة (المستخرجة) من المناجم التي أمامه حقًّا، وهو «حور» إدفو الإله العظيم رب السماء و«حتحور» سيدة «دندرة» في وسط إدفو (أي زائرة إدفو) و«إحي» الابن العظيم لسيدة «دندرة»، وأنه صقر ثابت على عرش أرواح الأحياء أبديًّا.[٨٥]

تعليق

هذه المتون الأربعة إن دلت على شيء من الوجهة البطليمية فإنها تحدثنا عن أن «بطليموس السادس» كان صاحب سلطان على البلاد الأجنبية، وبخاصة في آسيا؛ أي بلاد الشمال كما عُبر عنها في هذه المتون، هذا مع العلم بأن بعض هذه الأماكن مشكوك فيه؛ وذلك لأن بلاد «كنست» مثلًا قد وُضعت هنا على ساحل البحر الأحمر، وقد ذُكرت في نفس الوقت الذي ذُكرت فيه بلاد «بنت»، ولكن على حسب المتن الذي نحن بصدده لا بد من وضعها في آسيا، غير أن ذلك فيه شك.

وعلى أية حال فإن هذه المتون تظهر ما كان للملك «بطليموس السادس» من قوة وسلطان خارج مصر، وذلك بفضل الآلهة الذين قدم لهم الهدايا والقربات ومَوَّنَ لهم خزانة المعبد في «إدفو» بكل غالٍ وثمين، وأعتقد أن كل ذلك كان من عمل الكهنة الذين

[٨٥] راجع: Bulletin de Flnsiltnt Français d’Archéologie Orientale, To: … L. p. 34. ff.

كانوا لا يريدون إلا المحافظة على مكانتهم وثرائهم، ولذلك فإن كل ما تحدثوا عنه من عظمة وفخار وامتداد سلطان ونسبوه للملك «بطليموس السادس» لا يطابق الحقائق التاريخية التي ذكرناها فيما سبق. وعلى أية حال فإن «بطليموس السادس» من جانبه كان يريد بعطاءاته هذه استمالة الكهنة؛ لأنه كان يعرف أنهم هم المسيطرون على أرواح عامة الشعب في تلك الفترة من تاريخ البلاد التي كانت الحروب الداخلية ضاربة أطنابها في كل أنحائها. هذا، فضلًا عن تهديد البلاد بالغزو الأجنبي.

(٣-٧) الآثار التي جاء عليها اسم بطليموس السادس في منطقة طيبة

(أ) **معبد الكرنك:** المدخل إلى قاعة العمد (انظر رسم المعبد: جزء ٢ Porter & Moss.)

المدخل الغربي: (١٩): يُوجد هنا أربعة صفوف من النقوش، مثل في الصف الأول «بطليموس الخامس» و«بطليموس السادس» أمام آلهة، وفي الصف الثاني مثل «بطليموس السادس» أمام إلهة الغناء «مرت» ويُرى كذلك نفس الملك يتعبد أمام «بطليموس الخامس» و«كليوباترا».[86]

(ب) **معبد آمون – المجموعة الوسطى – البوابة:** معبد «بتاح» — البوابة الأولى: أقام هذه البوابة «بطليموس السادس» وغيره ممن جاء بعده من ملوك البطالمة.

ويُشَاهَد على واجهة هذه البوابة من الخارج «بطليموس السادس» في الصف الثاني من المنظر الثالث ومعه لوحة كتابة وهو يقف أمام الإله «بتاح» والإلهة «ماعت».[87] وكذلك مثل هذا الملك على الواجهة الخارجية أيضًا واقفًا أمام الإلهين «خنسو» و«موت»،[88] وعلى الواجهة الداخلية لهذه البوابة يُرَى «بطليموس» في الصف الثالث وبيديه صناجتين.

(ج) **دير المدينة:** يُوجد بدير المدينة معبد من عهد البطالمة أقامه «بطليموس الرابع» ويوجد في الطرف الشمالي الغربي منه عمود برأس «حتحور» جاء عليه اسم «بطليموس السادس» وألقاب «حتحور». وفي قاعة العمد الصغيرة لهذا المعبد يُشَاهَد تحت النافذة في الصف الأعلى «بطليموس السادس» أمام الإلهة «حتحور»؛ والإلهة «ماعت»، وفي المحراب

---

[86] راجع: L.D. IV 21 b. Champ. Mon. CCCXI (4); Porter & Moss. II. P. 15.

[87] راجع: L.D. VI. 22 b, Porter & Moss. II. p. 66.

[88] راجع: L.D. texte III. P. 5.

الأوسط يُشَاهَد على الجدار صفان من النقوش مثل في أحدهما «بطليموس السادس» أمام الآلهة.[٨٩]

(٣-٨) معبد الفيلة

تدل النقوش التي جاء فيها اسم «بطليموس السادس» في معبد الفيلة على أنه كان مهتمًّا كأسلافه بهذا المعبد، والواقع أن البطالمة في هذه الفترة من تاريخهم كانوا مهتمين بهذا الجزء من ممتلكاتهم؛ لما كان يتأتى فيه من أحداث جسام كما شرحنا ذلك من قبل. هذا فضلًا عن اهتمامهم بعبادة الإلهة «إزيس» وبخاصة «بطليموس السادس» كما سنرى بعد.

وهاك بعض ما تركه لنا هذا الملك من نقوش على جدران هذا المعبد.

(أ) المدخل الغربي لمعبد «إزيس»

(٩٣) و(٩٤) المدخل الخارجي: يُشَاهَد على عتب الباب مناظر مزدوجة؛ فعلى الجانب الأيسر مثل الملك مع «كليوباترا الثانية» وهو يقدم اللبن للإله «حربوخراتيس»؛ كما يُشَاهَد الملك وهو يقدم نبيذًا لـ «أوزير» و«إزيس»؛ وعلى الجانب الأيمن مثل الملك ومعه الملكة، وهو يقدم لبنًا لـ «حربوخراتيس»، كما يقدم النبيذ للإلهين «خنوم» و«حتحور». هذا، ويُشَاهَد على قائمة الباب الغربية أربعة صفوف من النقوش مثل فيها الملك وهو يقدم صورة العدالة (ماعت) للإله «آمون رع» والإلهة «موت» زوجه؛ كما يقدم لوحة كتابة للإله «شو» والإلهة «سخمت»، ويقف أمام أمير «بوهن» و«نفتيس». كما يقدم طعامًا للإله «أوزير-وننفر» والإلهة «إزيس»، ويُشَاهَد على قائمة الباب الشرقية أربعة صفوف من النقوش مثل فيها الملك وهو يقدم آنية للإله «خنوم» والإلهة «ساتيس» (؟)، كما يقدم جرة على هيئة بولهول فيها عطور للإلهين «شو» و«تفنوت»، كما يقدم العين السليمة لكل من «حور» و«حتحور»، وخبزًا لـ «أوزير-وننفر» و«إزيس» هذا. ونشاهد قوارب على القاعدة على كل من قائمتي الباب.

[٨٩] راجع: Ibid.

(٩٥) يُوجَد هنا على سمك الباب أربعة صفوف من النقوش مثل فيها الملك وهو يقدم عطورًا للإله «بتاح» في ناووس، كما يقدم نسيجًا للإله «جب» والإلهة «نوت»، ويقدم أوراقًا للإله «مين» والإلهة «وبست» (وهي إلهة تحرق بنارها الأشرار، وهي بوجه خاص إلهة جزيرة «بيجة») ويقدم الحقل لـ «أوزير-وننفر» و«حور».

(٩٦) و(٩٧) يُشَاهَد هنا ثلاثة صفوف من النقوش مثل عليها الملك وهو يقدم كنزًا لـ «إزيس» وهي ترضع «حور» وإلى الإلهة «بوتو» والإلهة «نخبيت» (؟)، ويُرى الملك مع «كليوباترا الثانية» وهو يقدم صناجة لـ «إزيس» ولإلهين، كما يُشَاهَد وهو يقدم نبيذًا لـ «أوزير» (على يسار المدخل) ومعه متن على المدخل وعلى يمينه.

(٩٨) و(٩٩): يُشَاهَد هنا عمود من الكتابة على سمكي الباب.

(١٠٠): يُشَاهَد على سمك الباب في الصف الأعلى الملك يقدم طوقًا لـ «إزيس» و«حور» الصغير و«حتحور» وثلاث صور لـ «إزيس» و«آمون رع» و«نيت»، ومثل في الصف الثاني الملك ومعه نبيذ ومتن طويل، كما مثل مرتين مع أرواح «ب» و«نخن» أمام «حتحور» و«حرسائيسي» الصغير و«أرسنوفيس». وفي الصف الثالث مثل الملك راكعًا على رمز الوحدة تتبعه سبع بقرات «حتحور» وهو يقدم النبيذ لـ «أوزير-وننفر» و«إزيس». وفي الصف الرابع نشاهد «كليوباترا الثانية» ومعها صناجة والملك يقدم إكليلًا للإلهة «مرت» الخاصة بالوجه البحري ومعها عود، ولآلهة صغار معهم صناجات؛ وكذلك يقدم الملك قربانًا أمام «إزيس» وإلهين، و«حربوخراتيس»؟ و«حور».

(٩٥) و(٩٦) و(١٠٠): يُشَاهَد هنا على قاعدة الجدار «بطليموس السادس» و«كليوباترا الثانية» يتبعهما صور مقاطعات نوبية.

(١٠١): مثل على سمك الباب هنا أربعة صفوف من النقوش يُشَاهَد فيها الملك يقدم البخور للإله «بتاح» والإلهة «عنقت» كما يقدم النبيذ لكل من «حور» و«حتحور» (؟) ويقف أمام «إزيس» و«حاربوخراتيس».

(١٠٢): على سمك الباب يُشَاهَد الملك في الصف الأعلى وهو يقدم النسيج لـ «إزيس» و«حربوخراتيس» و«سفخت-عبو»، و«تفنوت» و«حتحور» و«ماعت» و«خنوم» و«حرت» (آلهة). وفي الصف الثاني مثل الملك يلبس شريطًا على رأسه، يتقدمه ثمانية قردة متعبدة أمام «إزيس» و«حربوخراتيس» و«أمحوتب». وفي الصف الثالث يُشَاهَد الملك يقدم رمز الأبدية (حح) للإلهين «أوزير» و«إزيس»، وكذلك أربع صور للإله «حور» والإلهة «حقات-ورت». وفي الصف الرابع يُرَى الملك تتبعه «كليوباترا الثانية» وهو يقدم

القربات أمام «إزيس» (؟) والطفل المقدس و«حتحور» و«حربوخراتيس» و«مرت» الوجه القبلي (إلهة الغناء).

(١٠١) و(١٠٢): يُشَاهَد على القاعدة «بطليموس السادس» و«كليوباترا الثانية» يتبعهما صور مقاطعات نوبية.

(١٠٣) و(١٠٤) الباب الداخلي: يُشَاهَد على عتب الباب مناظر مزدوجة مثل فيها الملك على الجانب الأيسر يقدم صورة (ماعت) لـ «حور-إدفو» كما يقدم عطورًا (؟) للإلهة «حتحور». وعلى قائمة الباب الشرقية ثلاثة صفوف من النقوش مثل فيها الملك وهو يقدم طوقًا للإلهة «إزيس» وأزهار بشنين للإله «حور سماتوي» ولازورد للإلهة «إزيس»، كما يُشَاهَد اثنان من محضري القربات على القاعدة. وعلى القائمة الغربية للباب تُوجد ثلاثة صفوف من النقوش مثل فيها الملك وهو يقدم صناجات للإلهة «حتحور» وأحجارًا كريمة للإله «حربوخراتيس» وذهبًا للإلهة «حتحور»، كما يُشَاهَد إله نيل وآلهة حقل على القاعدة.

(ب) مديح في إزيس في معبدي فيلة وكلابشة

يُشَاهَد على خَدَّي الباب الذي في الشمال من الصرح الشرقي للبوابة الكبيرة لمعبد «إزيس» بالفيلة نقش مؤلف من ثلاثة أسطر من عهد «بطليموس السادس». غير أنه مما يُؤْسَف له أن هذا النقش في حالة سيئة من الحفظ. وتدل مجريات الأمور على أن هذا المتن — مما تبقى منه — ليس بالمتن العادي الذي يصادفنا كل يوم، ومن أجل ذلك كان لا بد من البحث عن مقابل له، أو بعبارة أخرى رواية ثانية له، وبذلك يمكن بها ملء الفجوات الموجودة فيه. ولحسن الحظ وُجدت رواية لنفس المتن نقلها «بركش» في كتابه المسمى الذخيرة،[٩٠] نقلها من معبد «كلابشة»، وبطبيعة الحال كان لا بد من الرجوع للكتاب الذي نقل فيه «جوتيه» معبد كلابشة.[٩١]

ففي الفيلة نجد هذا النقش على خدي الباب، وعلى كل خد منهما نجد في نهاية المتن خاتمة خاصة تعبر عن التمنيات الطيبة للملك. أما في «كلابشة» فنشاهد أن هذا النقش

[٩٠] راجع: Brugsch, Thesaurus P. 772.

[٩١] راجع: Gauthier, Les temples émergés, Kalabschah. p. 118.

يحتل كل النصف الجنوبي من الجدار الغربي ثم الجدار الجنوبي، وينتهي في وسط الجدار الشرقي فوق الباب آتٍ من حجرة الاستراحة، وهو من عهد القيصر «أغسطس».

وهذا المتن يحتوي على مديح للإلهة «إزيس» التي تُعد الإلهة الرئيسية للفيلة التي تقع على بعد خمسين كيلومترًا جنوبي «كلابشة»، وكانت هذه الإلهة تُعبد في الجهات البعيدة عنها حتى السودان. وهذا المديح لم يوضع في صورة أنشودة موجهة للإلهة العظيمة، ولكنه عبارة عن مجموعة من بيانات تمثل ببساطة صفاتها وصبغتها، كأنها حبات عقد منظوم. وفي النهاية يُتضرع لها أن تحفظ الملك الحاكم وتحميه.

على أن ما يلفت النظر في هذا المديح هو أنه لا يشبه كثيرًا صورة المدائح القديمة المعتادة التي يُذكر فيها أنها أخت «أوزير» وزوجه المخلصة وأم ابنه «حور».

ففي هذا المتن نجد أنه قد جاء ذكرها مرة واحدة بوصفها زوجة وأم. وقد جاء ذلك في بداية المتن، وقد كان ذلك أمرًا ضروريًّا بحسب البيئة؛ وذلك لأن «إزيس» كانت سيدة «أباتون» المجاورة لمعبد الفيلة الذي يأوي فيه «أوزير»، وكذلك كانت حجرة الإله «أوزير» مقامة على سطح معبد الفيلة، كما أن بيت ولادة «حور» يقع خلف الصرح الغربي لبوابة معبد الفيلة. غير أننا لا نسمع هنا في هذا المتن شيئًا أبدًا عن «إزيس» إلهة الموسيقى والنبيذ والرقص والحب، وكلها وظائف هي مدينة بها للإلهة «حتحور» عندما وحدت بها، ومن ثم نجد في هذا المتن أن «إزيس» تحتل المكان الأول بوصفها الإلهة المهيمنة، سيدة السماء والأرض والعالم السفلي، والتي تصدر الأوامر لتاسوع الآلهة، والتي ترشد النجوم في سيرها، والتي تمنح الأرض وسكانها الحياة وتحفظها، والتي ترفع الملك على عرشه، والتي تصير أقدار البلاد. وهذه الوظائف التي تُنسب في هذا المتن للإلهة «إزيس» قد بدأ استعمالها وتطورها بصورة تامة في العصر المتأخر من تاريخ مصر مما جعل لها سلطانًا عالميًّا، فانتشرت عبادتها في أعماق أوروبا، ولعبت دورًا ليس بالضئيل في معتقداتها الدينية.

الترجمة

«إزيس» العظيمة أم الإله «حور» المانحة الحياة، سيدة الفيلة، وأميرة «أباتون» حاكمة «بيجه» النائحة، ومن حافظت على جسم أخيها «أوزير».

والعظيمة والقوية، وأميرة الآلهة، ومن اسمها رفيع أمام الإلهات.

وعظيمة السحر، وصاحبة التصميمات الممتازة، ومن تصد (إله العاصفة) «أبوفيس»، ومن بغير تدخلها لا يمكن لأي فرد أن يطأ القصر (بوصفه ملكًا)، ومن يكون تحت تصرفها تتويج الحاكم، واسم قرينها. سيدة الحياة، في حين أنها تعطي الأرض الحياة، وكل الناس تحيا بإرادة روحها، سيدة المكان المقدس (أباتون) حتى مكان «ببا».

ومن الجميع يختم بخاتمها، ومن بدونها لا ينفذ أي تصميم من أول السماء حتى الأرض والعالم السفلي.

الجبارة في «طيبة»، العظيمة في «دندرة»، والممتازة في «منف».

وأم الإله في «قفط»، والسيدة العالية في «أخميم»، وأميرة كل المقاطعات.

ومَنْ جماعة الآلهة تتلقى الأمر منها، وتحكم على حسب نطقها.

«العظيمة» في السماء، وسيدة النجوم، ومَنْ تقوى النجوم في مسالكها.

«إزيس» مانحة الحياة سيدة «أباتون» أميرة فيلة وسيدتها، وسيدة الأراضي الأجنبية الجنوبية. ليتك تعطي النصر للملك «بطليموس السادس».

تعليق

وخلاصة القول أن هذا المتن يُعد بمثابة مقدمة لانتشار عبادة الإلهة «إزيس» التي أصبحت فيما بعد إلهة عالمية تُعبد في كل العالم المتمدين، وقد تحدثنا عنها فيما سبق في الجزء الرابع عشر من هذه الموسوعة. ويلفت النظر في عبادتها أنها كانت تتفق مع العذراء في كثير من الوجوه حتى ذهب بعضهم فوحدها بها.

(جـ) بيت الولادة

الردهة الأمامية

لم يُدون «بطليموس السادس» على بيت الولادة في معبد «إزيس» إلا نقشًا واحدًا.

(١٥٩) و(١٦٠) المدخل الخارجي: يُشَاهَد على قائمتي الباب «بطليموس السادس فيلومتور» ومعه إله النيل في أسفل على كل من القائمتين (والمنظر بعضه مهشم).

(د) معبد حتحور

يقع معبد «حتحور» مباشرة شرقي البوابة الثانية لمعبد «إزيس»، ويحتوي هذا المعبد على قاعة، وقاعة عمد. والحجرات الأخرى التي كان يحتويها المعبد هُشمت. وتشتمل القاعة على ستة عمد، على كل من جانبيها جدار ساتر يربط العمد بعضها ببعض، ولكن العمد لم يتبق منها قائمًا إلا أجزاء. وعندما يدخل الإنسان القاعة يشاهد في الطرف الجنوبي من الجدار الجنوبي منظرًا مهشمًا يرى فيه الملك يتعبد للإلهتين «موت» و«حتحور»، وفي الجهة المقابلة ترى ثانية الإلهة «حتحور»، ويُشَاهَد على الجدار الجنوبي مارًّا في محازاة الصف الأسفل من الغرب إلى الشرق؛ المناظر التالية: إنسان ينفخ في أرغول، كما يُشَاهَد الملك يقدم «توجًا» للإلهة «إزيس»، وكذلك يُشَاهَد إنسان يضرب على عود والملك يقدم أزهارًا للإلهة «نفتيس»، وترى صورة صغيرة للإله «بس» يدق طبلًا، والملك يقدم صناجتين للإلهة «سخمت». هذا، ويُشَاهَد الإله «بس» بكل وجهه يضرب على العود، كما يُشَاهَد الملك يقدم تويجًا للإلهة «حتحور»، ويُرى قرد يلعب على الجيتار، والملك يقدم نبيذًا للإلهة «إزيس»، وعلى الجدار الشمالي مثل إنسان ينفخ في أرغول مزدوج، ويُشَاهَد هناك إنسان يضرب على عود، كما يُشَاهَد إنسان آخر يحمل على كتفيه غزالًا مزينًا بالأزهار، والملك يقدم تعويذة قرد للإلهة «ساتيس» ويقدم تمثال أنموذجيًّا لـ «بولهول» إلى الإلهة «تفنوت». كما يُشَاهَد الإله «بس» بوجه كامل يضرب على عود ويرقص، وقرد يضرب على الجيتار، والملك يقدم نبيذًا للإلهة «حتحور». ولا يخفي أن هذه المناظر الدالة على الفرح والبهجة تلفت النظر. ولا غرابة في ذلك فإن «حتحور» كانت تُعد إلهة الجمال والمسرات. وهذه المناظر دون شك كان القصد منها أن تبعث في نفوس عباد هذه الإلهة أحاسيس السرور التي كانت تُدخل البهجة على هذه الآلهة.

وهناك مناظر أخرى في هذه القاعة يُرَى فيها الملك أمام «حور» و«أرسنوفيس» و«حتحور».

هذا، ويوجد مدخل على كلا جانبي القاعة، كما يُوجد في الطرف الشرقي شبه بوابة مزينة برءوس تؤدي إلى قاعة العمد الصغيرة، وسقف هذه القاعة محمول على عمودين، والمناظر التي في قاعة العمد هذه لم تكمل بعد، ولكن يظهر فيها الملك أمام الآلهة المعتادين.

وهاك بعض المناظر التي ظهر فيها «بطليموس السادس».

مدخل القاعة الخارجية

(٢١) و(٢٢): يُشاهد على قائمتي الباب رأس «حتحور» وصورة الملك في أسفل وإله النيل على القاعدة على كل من القائمتين.

(٢٣) و(٢٤): أعمدة من النقوش لـ «بطليموس السادس» و«كليوباترا الثانية» في داخل القاعة.

(٢٥) و(٢٦) الخارجة: متون لـ «بطليموس السادس» و«كليوباترا الثانية».

(٢٧) و(٢٨): يُشَاهَد في الصف الأعلى الملك يطعن بحربته العدو أمام فرعون مؤله وإلهة، ويقدم قوسًا للإلهة «ساتيس» والإله «چور»، وعلى الصف الأسفل مثل الملك وهو يقدم للإلهين «حور» و«نفتيس»، كما يقدم لوحة كتابة للإله «تحوت» والإلهة «نحم عوات» زوجه.

(٢٩): يُشَاهَد هنا ثلاثة صفوف من النقوش مثل فيها الملك وهو يتعبد للآلهة «أوزير» و«إزيس» و«حربوخراتيس»، ويقدم صورة العدالة لـ «آمون رع» والإلهة «موت» ويقدم رمز الحقل لـ «إزيس» و«حور».

(٣٠) و(٣١) يُرَى في الصف الأعلى الملك يقدم طوقًا للإلهة «أرسنوفيس» والإلهة «تفنوت»، ويوجد متن خاص بالإلهة «نيت».

(٣٢): يُشَاهَد في الصفين الباقيين على هذا الجدار الملك يتعبد لثالوث الشلال، وهم «خنوم» و«ساتيس» و«عنقت»، كما يقدم نبيذًا للإلهين «حور» و«حتحور».

المدخل للقاعة الداخلية

(٣٣) و(٣٤): يُشَاهَد على العتب الخارجي لهذه القاعدة مناظر مزدوجة، على الجانب الأيسر مثل فيها الملك واقفًا أمام «آمون رع»، كما مثل وهو يجري نحو الإله «أوزير» والإلهة «إزيس»، ومثل على الجانب الأيمن واقفًا أمام «حور» ويجري نحو الإله «خنوم» والإلهة «حتحور». ويُشَاهَد على قائمتي الباب أربعة صفوف من النقوش على كل منهما مثل الملك يقدم نبيذًا، ويقدم نطرونًا وقربانًا سائلًا، ويقدم بخورًا وقربانًا سائلًا. وفي أسفل بقايا منظر.

(٣٥) و(٣٦): يُشَاهَد على سمكي الباب في الصف الأعلى الملك تتبعه الملكة (يلحظ هنا أن طغراء الملكة غير منقوش) وهو يقدم عطورًا للإلهة «إزيس» والإلهة «حتحور» على الجانب الأيسر، كما يقدم صورتي «حتحور» على الجانب الأيمن.

هذا، وقد وُجد في «فيلة» قاعدة من الجرانيت لتماثيل «بطليموس السادس» و«كليوباترا الثانية» وابنهما «بطليموس يوباتور» وعليها نقوش إغريقية وديموطيقية عُثر عليها في «الحصة» وقد وضعها «ويجول» بالقرب من المدخل الغربي للجزء الداخلي لمعبد «إزيس».[٩٢] ويُلحَظ هنا أن اسم المهدي قد مُحي ووضع مكانه اسم الإلهين «حور» و«إزيس»، غير أن ذلك لا يؤدي أي معنى، ولا نزاع في أن المهدي كان موظفًا من حزب «فيلومتور» وغضب عليه فيما بعد في عهد «إيرجيتيس الثاني».

(٣-٩) الآثار التي خلفها «بطليموس السادس» في بلاد النوبة

معبد «أبو حور» شرق «أعجولا»: عُثر في هذه الجهة على الجزء الأعلى من لوحة مصنوعة من الحجر الرملي لـ «بطليموس السادس»، وكانت من بين قطع أخرى.[٩٣]

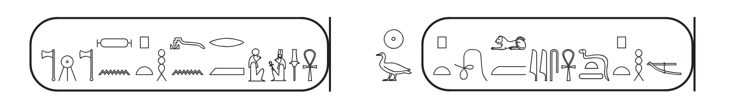
معبد الدكة: وُجدت بقايا متون على أعمدة مدخل معبد الدكة جاء فيها ذكر «بطليموس السادس» (راجع L.D. IV. 38 g, h).

---

[٩٢] راجع: Weigall, A Report on the antiqueities of Lower Nubia, p. 56; Bevan. Hist of Egypt, p. 293.

[٩٣] راجع: Blackman, the Temple of Dendur. P1. CIII, p. 61.

عهد بطليموس السابع إيرجيتيس الثاني



(١) اوع-ن-نتروي-بروي-ستب-ني-بتاح-ار-ماعت رع سخم عنخ-ن-أمن (= الوارث للإلهين الظاهرين، المختار من «بتاح»، والذي يعمل العدل لـ «رع»، والصورة الحية لـ «آمون»).

(٢) بطليموس-عنخ-زت مري بتاح (= بطليموس العائش أبديًّا، محبوب «بتاح»).

مدة حكمه: حكم هذا الملك — كما يدعي هو — نحو أربعة وخمسين عامًا متجاهلًا كل الفترات التي لم يحكم فيها البلاد بمفرده. وعلى ذلك يكون قد بدأ حكمه في ١٢ نوفمبر سنة ١٧٠ق.م إلى ٢٨ يونيو عام ١١٦ق.م.

مقدمة

تدل كل الظواهر على أن تاريخ ملوك البطالمة قد دخل منذ نهاية عهد «بطليموس السادس فيلومتور» في مرحلة غامضة مبهمة لقلة المصادر. وقد أنجب «فيلومتور» ولدين أحدهما يُدعى «يوباتور» الذي أشرنا إليه فيما سبق، وسنتحدث عنه فيما بعد، وقد اشترك مع والده منذ عام ١٥٣ق.م حتى عام ١٥٠ق.م وهو تاريخ موته، وذلك على أرجح الأقوال.

أما ابنه الثاني فكان يُدعى «نيوس فيلوباتور» وقد حكم البلاد تحت وصاية أمه، وهو الذي يُطلق عليه بعض المؤرخين «بطليموس السابع». وفي تلك الفترة كان لـ «بطليموس» ملك «سيريني» وقتئذ أعوان — كما ذكر بعض المؤلفين — بين أهالي الإسكندرية، كما كان له أصدقاء في «روما». وكانت «كليوباترا» الوصية على العرش تعتمد على حزب الأشراف في الإسكندرية، وكذلك على طائفة اليهود التي كانت كثيرة العدد في تلك الفترة.

هذا، ونعلم أن آخر عمل قام به «بطليموس السادس فيلومتور» بعد أن انقلب على زوج ابنته «كليوباترا تيا»، هو الاستيلاء على «سوريا الجوفاء» التي كانت مطمع آماله، وحلم من سبقه من ملوك البطالمة، وقد كانت الحروب قد نشبت من أجلها منذ أزمان بعيدة، واستمرت حتى تلك الفترة.

نيكاتور يسترد سوريا الجوفاء

غير أن «ديمتريوس الثاني نيكاتور» ملك «سوريا» عندما علم بموت «فيلومتور» نقض المعاهدة التي كانت قد أُبرمت بينه وبين «فيلومتور»؛ ومن ثم عادت «سوريا الجوفاء»

ثانية إلى ملك «السليوكيين». على أن «ديمتريوس نيكاتور» لم يَكْتَفِ بإلغاء المعاهدة؛ بل أخذ فضلًا عن ذلك يعمل على الاستيلاء على جنود الجيش المصري الذين كانوا مرابطين في «سوريا». وتدل الظواهر على أن الجنود المرتزقين الذين كانوا يعملون في الجيش المصري هناك قد انضموا فعلًا إلى جيش «ديمتريوس» دون كبير عناء؛ لأنهم في كلتا الحالتين كانوا مأجورين. هذا، ونعلم على أية حال أن «ديمتريوس» استولى على فيلة الجيش المصري التي كانت في «سوريا الجوفاء». ولا يبعد أنه كان يترقب سير الأحوال في الإسكندرية لينفذ ما كانت تنطوي عليه نفسه من خطط تدل على عدم الوفاء وسوء النية من جهة مصر.

قلة المصادر عن هذا العصر

ومما يؤسف له جد الأسف أن الحوادث التي وقعت في الإسكندرية في تلك الفترة كانت غامضة مبهمة يكتنفها الشك المطبق في نظر المؤرخين القدامى؛ ويرجع السبب الأصيل في ذلك إلى أن المصادر المصرية البحتة (ونعني بذلك الأوراق الديموطيقية) أو المصادر الإغريقية (ونعني بذلك الأوراق الإغريقية وما كتبه المؤلفون القدامى) لم تسعفنا كلتاهما بشيء يوضح تاريخ هذه الفترة. فالمصريون وقتئذ لم يكونوا مندمجين في سياسة البلاد العامة التي كانت في يد المستعمرين من إغريق ومقدونيين وغيرهم، وكل ما وصل إلينا هو ما كُتب بالديموطيقية. والواقع أنه لم يصل إلينا من هذا المصدر إلا نتف لا تشفي غلة. ومن جهة أخرى لم يصل إلينا من المصادر المعاصرة الإغريقية شيء ما؛ وذلك لأن مصدرنا الأصلي وهو «بوليبيوس» الذي اعتمدنا عليه في كتابه تاريخ البطالمة في عهدي كل من «بطليموس الخامس» و«السادس» قد انقطع ووقف عند هذه الفترة، ومن أجل ذلك نجد أن أولئك الذين كتبوا في تاريخ هذه الفترة قد ملأوا الفجوات التاريخية التي كانت تعترضهم بالأساطير والعبارات التي لا تمت إلى التاريخ الحقيقي بشيء. والواقع أن المؤرخين الذين كتبوا عن هذا العصر ليس لديهم مصادر إلا ما كتبه كل من «جوسيفوس» (يوسف) المؤرخ اليهودي، وهو مؤرخ متحيز إلى حد بعيد فيما تركه لنا من مؤلفات تاريخية، وهذه المؤلفات تكاد تكون عقود مدح وإطراء لليهودية أو من ينحاز إليها. ثم لدينا المؤرخ «جوستين» الذي عاش في القرن الخامس بعد الميلاد، وقد نقل كل ما كتبه عن المؤرخ «ترجوس بومبيوس» Torgus Pompeius. غير أن هذا المؤرخ قد نقل لنا

ما راق في نظره هو وحسب في كتابه الذي خلفه لنا باللاتينية Justine Hisoriarum Philippicarum.[١] أما المؤرخ «جوسيفوس فلافيوس» السالف الذكر فقد وُلد في النصف الأول من القرن الأول الميلادي، حوالي عام ٣٧م، في عهد الإمبراطور الروماني «كاليجيولا» Caligula. وقد كان واسع الاطلاع، وتقلب في عدة مناصب دينية وحربية، وكانت كل كتاباته — كما قلنا — تدل على التحيز لليهودية. وأهم كتاب له هو تاريخ حرب اليهود وتاريخ الآثار اليهودية في عشرين مجلدًا أتمها عام ٩٣ ميلادية.

والبحث في تقصي الأحداث التي وقعت في أعقاب موت «بطليموس فيلومتور» قد يطول الحديث عنه دون طائل؛ إذ لا تزال تُوجد عقبات تصادف المؤرخ كما ذكرنا من قبل لقلة المصادر، ومن ثم لا بد من الاكتفاء مؤقتًا بما لدينا من معلومات ضئيلة إلى أن تكشف لنا تربة أرض الكنانة عما تخفيه في جوفها من مصادر كثيرة لا تزال دفينة تحت الأرض.

وعلى ذلك سنأخذ بالرأي القائل أن الفرد الذي ورث عرش «فيلومتور» في الإسكندرية هو ابنه «بطليموس نيوس فيلوباتور» وسنحاول — فيما بعد على ضوء ما لدينا من معلومات — الكشف عن شخصيته.

كليوباترا الثانية وموقفها من إيرجيتيس الثاني

وقد كان هَمُّ «كليوباترا الثانية» بعد موت زوجها «فيلومتور» هو أن تضمن عرش ملك مصر لابنها بزواجه من أخته «كليوباترا الثالثة» متبعة في ذلك سنة الزواج في أسرتها. وكان في إمكانها بهذه الوسيلة فقط أن تُبقي النظام الحاضر، وبخاصة فصل مصر عن «سرنيقا» التي كان يحكمها «بطليموس إيرجيتيس الثاني» الذي كانت تخشى «كليوباترا الثانية» الوصية على العرش قيامه بحركة لتولي عرش مصر الذي كان قد طُرد منه — كما أسلفنا القول في ذلك — وقد زاد من خوفها أن الجيش المصري كان بعيدًا عن مقر الحكم؛ إذ كان — كما قلنا — لا يزال في «سوريا الجوفاء» ولم يُسمع عنه شيء بعد وفاة «فيلومتور». ومن هنا كانت ترى «كليوباترا» أنها هي وابنها الملك الفتى قد أصبحا تحت رحمة هجوم «إيرجيتيس الثاني». وفي هذه الفترة لم يكن لديها ما يحميها من شر

[١] راجع: A Dictionary of Greek and Roman Biography and Mythology Vol. II. p. 610–614.

«إيرجيتيس الثاني» إلا فريق من أهل الإسكندرية في صفها؛ إذ إن أهالي الإسكندرية بما تعودوا عليه من تدخل في الثورات التي كانت تقوم في القصر الملكي؛ كانوا يعتبرون الملكية المصرية في نظرهم وظيفة لا يمكن التصرف فيها إلا بموافقتهم. وعلى أية حال كانت الإسكندرية وقتئذ منشقة على نفسها فريقين؛ أحدهما كان هواه مع «كليوباترا الثانية» وابنها، والفريق الآخر كان مواليًا لمليكهم القديم «إيرجيتيس» ويتحرق شوقًا لإعادته إلى عرش البلاد المصرية. وعلى الرغم من أن أعظم سكان الإسكندرية ذكاء وثقافة كانوا لا يرغبون في عودة «إيرجيتيس الثاني» ملكًا عليهم، فإن «كليوباترا» لم تُفِدْ من ذلك باتباع سبيل المهادنة معهم؛ بل هاجمتهم، وانتهى الأمر باتساع شقة الخلاف بينها وبين عظماء رجالات الإسكندرية، وفي غمرة هذه الحوادث نجد فضلًا عن ذلك أن الطبقة الدنيا من شعب الإسكندرية كانت قد نسيت ما كان عليه «إيرجيتيس الثاني» من استبداد تجاه شعبه، وما كان يبديه من خضوع واستسلام للرومان. والواقع أن كل ما كان قد بقي في أذهان جماهير الإسكندرية هو أنه قد تربع على عرش ملك مصر فيما سبق بثورة سياسية، وعلى ذلك فإن إعادته ثانية على عرش مصر تُعتبر فرصة لإظهار ما لهم من قوة وإرادة، وذلك على نقيض ما كان يفكر فيه المخادعون الذين يدعون حقوقًا شرعية على ملك مصر.

ميل كليوباترا لليهود ساعد على عودة إيرجيتيس الثاني للملك

وقد زاد في اشتداد سوء الحال بالنسبة للملكة «كليوباترا» وابنها أنها قد أعلنت جهارًا مساعدتها وميولها لحزب اليهود الذي كان مكروهًا ممقوتًا مرذولًا في طول البلاد وعرضها، وبخاصة في الإسكندرية؛ فقد كانت هذه الفئة الضالة التي لا وطن لها تسعى إلى نيل كل الحقوق المدنية التي كان يتمتع بها أهالي الإسكندرية وحدهم. ولقد كان ميل «كليوباترا» شديدًا لليهود لدرجة أنهم كانوا يُمثَّلون في البلاط بقائدين للجنود في الجيش المصري، وهما «أونياس» و«دوسيتي» Dosithe وقد تحدثنا عنهما فيما سبق.[٢] ويحدثنا «جوسيفوس» بأنه كانت هناك بداية حرب أهلية، وأن هذين القائدين قد أدارا هذه الحرب التي انتهت بهزيمة الثوار، وكذلك أخبر «أونياس» باقتراب «إيرجيتيس الثاني»، غير أن «جوسيفوس»

[٢] راجع مصر القديمة الجزء ١٤.

لم يذكر قط «إيرجيتيس الثاني» الذي كان قد غادر «سيريني» ليخلع «بطليموس نيوس فيلوباتور» من عرش الملك. وقد عمل «إيرجيتيس»، على دخول الإسكندرية بجيش صغير، وأعلن حربًا على المغتصب.

أما المؤرخ جوستن[٣] فلم يحدثنا في تلك الفترة إلا عن وفد ذهب من الإسكندرية إلى «سيريني» ليقدم تاج مصر إلى «إيرجيتيس»، وكذلك ليقدم له يد «كليوباترا». ويقال إنه دخل الإسكندرية دون حرب، واستولى على عرش أخيه.

تدخل الرومان لمساعدة إيرجيتيس الثاني

وتدل شواهد الأحوال على أن «روما» كان لها ضلع في هذه المؤامرة؛ لأنه لم يكن من باب الصدفة أن الشريف الروماني «لوسيوس منيوسيوس» Lucius Minucius الذي كان دائمًا في جانب «إيرجيتيس الثاني» كان موجودًا في الإسكندرية في تلك الأيام بالذات، ومما سبق يتضح أن كلًّا من المؤرخين سالفي الذكر يخالف الواحد منهما الآخر، ولكن إذا فرضنا أن كلًّا منهما قد قص علينا بعض الحقيقة — وقصتاهما في ظاهرهما متناقضتان — فإنه من السهل — على أية حال — التوفيق بين رأييهما؛ فالمؤرخ «جوستن» يقول: إن ابن «فيلومتور» قد نُصب فعلًا ملكًا، وذلك بوساطة أمه، وكذلك بوساطة عظماء الإسكندرية؛ أي إن الذين نصبوا الملك الجديد هم أشراف المقدونيين. أما المؤرخ «جوسيفوس» الذي كان دائمًا يهتم بأمر اليهود أهله فقد عزا أمر قيادة حزب «كليوباترا» إلى اليهود، وقد كان هؤلاء يناصرون الحزب الشرعي في البلاد، ومن أجل ذلك كان يمجد الملكة وابنها الذي على عرش البلاد، وعلى الرغم من أن الملك هو صاحب الحق الشرعي في العرش إلا أننا نلحظ أن «چوسيفوس» قد اشتط في معاضدته.

أما «إيرجيتيس» فإنه — من جهة — كان مرشح حزب الشعب الذي كان يمقت الأرستقراطية كما كان في الوقت نفسه يكن البغض الدفين لليهود، هذا إلى أنه كان مندفعًا بوازع الوطنية لضم شمل المملكة المصرية التي كانت موزعة وقتئذ بين ملكين متخاصمين، ومن أجل ذلك أسرع الشعب الإسكندري إلى استدعاء ملك «سيريني» إلى الإسكندرية لتولي

[٣] راجع Justin XXXVIII, 8, 2.

العرش. على أن ذلك لم يكن المقصود منه طرد الملك الصغير من الحكم جملة؛ بل كان في إمكانه أن يشترك مع عمه في الملك، أو على الأقل يكون الوارث للعرش من بعده. وعلى أية حال فإن زواج «إيرجيتيس» من أرملة أخيه «فيلومتور» قد حفظ حقوق الملكة أم الملك الصغير، وكذلك حقوق ابنها، ولا نزاع في أن مثل هذه الحلول كانت قد سبق أن أفلحت في «مقدونيا» في حالات أخرى؛ مثل زواج «أنتيجونوس دوسون» من أرملة «ديمتريوس» بوصفه مربي «فيليب الخامس» ملك مقدونيا.[٤]

سياسة روما تجاه مصر في تلك الفترة

وعلى أية حال تدل الشواهد على أنه لم يكن هناك ما يدل أبدًا على وقوع حرب بين الحزبين المتخاصمين، وبخاصة عندما نعلم أن «روما» كانت ترقب سير الحوادث عن كثب، وأرسلت من تدخل للتوفيق في إصلاح ذات البين قبل وصول «إيرجيتيس الثاني» إلى الإسكندرية. ولا غرابة في ذلك فقد كانت قوة «روما» يُشار إليها وقتئذ بالبنان، وبخاصة أنها كانت قد تخلصت في تلك الفترة من كل ما كان يشغل بالها من جهة «قرطاجنة» بما أحرزته من انتصارات حربية حاسمة عليها، وكذلك فضت ما كان بينها وبين الحلف الآخي من مخاصمة ونزاع، ومن ثم أخذت «روما» من جديد تتفرغ لشئون مصر وما كان يدور فيها من منازعات أسرية. والظاهر أن سياسة «روما» في تلك الفترة بالنسبة لمصر كانت ترمي إلى فصل «سرنيقا» عن أملاك الدولة المصرية. غير أن «إيرجيتيس الثاني» كان له في «روما» موالون يعاضدونه بكل ما لديهم من نفوذ وقوة، وكان في وسعهم أن يقدموا حججًا تقوض ما يرغب فيه «نيوس فيلوباتور» وأمه، وبخاصة أن «فيلومتور» لم يخضع لأوامر «روما» فيما سبق، وتمادى في ذلك دون أن تنزل به أي عقاب، ومن أجل ذلك لم يجد معضدو «إيرجيتيس» في «روما» أي حرج في إعادة جمع شمل ممتلكات مصر من جديد لصالح رجل كان دائمًا يعمل عميلًا لـ «روما»، لا سيما أنه أصبح الآن مكروهًا من أهل البلاد ولا يمكنه المقاومة دون أن تشد «روما» عضده. وفضلًا عن ذلك رأى الرومان

[٤] راجع: B. L. I. p. 280.

أن يَدَّعُوا — لأجل تغطية موقفهم وما يرغبون فيه — بأنه لا مأرب لهم ولا غرض إلا العمل على الصلح بين الحزبين المتخاصمين.

الحكم المزدوج في مصر

وقد وعد «إيرجيتيس الثاني» نزولًا على تنفيذ سياسة «روما» بأن يكون خير عون للملك الصغير،[٥] وأنه فضلًا عن ذلك غير مغرض. والواقع أن «إيرجيتيس» قد أظهر الرضى التام عن كل ما طُلب إليه، بالرغم من أنه في قرارة نفسه كان يظهر غير ما يبطن؛ إذ كان قد وطد العزم على عدم التمسك بأية ارتباطات من جهة الملك الصغير. وعلى هذا عاد «إيرجيتيس» إلى الإسكندرية التي طُرد منها فيما مضى، وهو يضمر في نفسه مشاريع تنطوي على الغدر والخبث والشر الدفين، والواقع أنه إنما كان يخشى حزب أشراف الإسكندرية، وكذلك الطائفة اليهودية التي كانت تنظر إلى عودته للملك نظرة الخائف المتوجس شرًّا.

بطليموس السابع لا يعترف بحكم بطليموس السادس منذ عام ١٧٠ق.م: قتل الملك الصغير

ولم يَكَدْ يتولى زمام الحكم في البلاد حتى بادر الشعبَ بعدم اعترافه بأن أحدًا قد خلفه على عرش ملك مصر وممتلكاتها منذ أن طُرِدَ من البلاد في عام ١٧٠ق.م، وهو العام الذي نصبه فيه الشعب ملكًا على البلاد مؤيدًا له ومناصرًا، ويقول المؤرخ «جوستين»: إن «إيرجيتيس» بدأ انتقامه بأن أعمل السيف في حزب الملك الصغير ابن أخيه. ومن الجائز أنه استفتح انتقامه بعد قتل الملك بالهجوم على الأشراف الذين كانوا يناصرون الملك «نيوس فيلوباتور» المقتول، ويرون أحقيته في تولي الملك بدلًا منه، وفضلًا عن ذلك فإنه لا بد قد صب سخطه وعذابه على طائفة اليهود التي كانت تميل كل الميل إلى «كليوباترا» وابنها «نيوس فيلوباتور».

---

[٥] وقد كان أول عمل قام به أن قتل «بطليموس نيوس» في نفس الليلة التي تزوج فيها من «كليوباترا الثانية».

انتقام إيرجيتيس من اليهود وأعدائه

على أن ما ألحقه «إيرجيتيس» باليهود من تنكيل وتعذيب وتشريد قد كان يقوم به وهو يعلم أنه بذلك يُدخل السرور والفرح والبهجة على الشعب المصري، وبخاصة أهالي الإسكندرية الذين كانوا يبغضون اليهود أشد البغض. ولا بد أن نلحظ هنا ما قام به «إيرجيتيس الثاني» من الأعمال الوحشية كتنفيذ حكم الإعدام في عدد كبير من أعدائه أو نفيهم أو الاستيلاء على أملاكهم، هذا فضلًا عن المذابح التي كانت تحدث في الشوارع، وكذلك ظهور النقص في عدد سكان الإسكندرية بما كان يرتكبه جنوده من جرائم بشعة شنيعة، وقد قدم لنا المؤرخون كل ذلك في صورة رهيبة؛ ولا بد أن كل ذلك لم يكن قد حدث في فترة واحدة، بل لا بد أن كل هذه الجرائم كانت قد ارتُكِبَتْ في فترات متعددة طوال مدة حكمه الطويل الذي كان غنيًّا بأمثال هذه الفجائع المحزنة الفظيعة. وعلى أية حال فإن المؤرخ «جوستن» قد صور لنا الإسكندرية منذ السنين الأولى من حكم «إيرجيتيس الثاني» بأن سكانها قد نقصوا بصورة محسة بسبب ما حل بأهلها من تقتيل وتعذيب ونفي وهجرة، وبعد ذلك أخذ يسكنها أجانب.[٦]

العلماء يفرون من الإسكندرية خوفًا من اضطهاد إيرجيتيس الثاني

هذا، وقد قيل عن هذه الفترة — ولكن بصورة يُشتم منها رائحة المبالغة — إن علماء «المزيون» قد هجروا الإسكندرية في تلك الفترة. حقًّا قد يكون من الجائز أن بعض هؤلاء العلماء قد نزحوا من البلاد، ولكن لم ينزحوا جميعهم منها — كما قيل — دفعة واحدة. ويحدثنا في هذا الصدد المؤرخ «أثنا» الذي نقل قوله عن عالمين عظيمين، وهما «منكليز» Menecles البرقي و«أندروت» الإسكندري، أن عملية الاضطهاد كان أثرها في العهد الروماني كالأثر الذي وقع فيما بعد عندما استولى الترك على «القسطنطينية» عام ١٤٧١م، وهو العهد الذي شُتت فيه شمل علماء النحو والفلسفة والهندسة والموسيقى والرسم، ثم المعلمين والأطباء، وجم غفير غيرهم من المفتنين وأصحاب الحرف. وهؤلاء العلماء قد صاروا في حالة فقر مدقع في عهد «إيرجيتيس الثاني» لدرجة أنهم أصبحوا

[٦] راجع: Justin, XXXVIII, 8, 7.

يُعَلِّمُون ما في صدورهم من علم مقابل الحصول على لقمة العيش التي تحفظ كيانهم. ولا نزاع في أن هؤلاء كانوا يؤلفون مجموعة من أعلام العلم والمعرفة الذين حرمتهم الإسكندرية المكث في مهد العلم والعرفان في تلك الفترة من تاريخ البشرية.

أهم العلماء الذين عاصروا إيرجيتيس

ونخص بالذكر من هؤلاء العلماء الذين هجروا الإسكندرية — العالم النحوي «أرستاركوس» Aristarchus، وقد كان مربي «بطليموس إبيفانس» و«بطليموس إيرجيتيس» البطين نفسه، وهذا العالم كان قد تلقى علومه في الإسكندرية في مدرسة «أريستوفانيس» البيزنطي، وبعد ذلك أسس مدرسة للأجرومية للنقد كان لها شهرة عظيمة لمدة طويلة في الإسكندرية أولًا وبعد ذلك في «روما». وعلى أية حال فإنه هجر الإسكندرية بسبب سوء المعاملة التي لاقاها هو والفلاسفة الذين كانوا معه على يد «إيرجيتيس الثاني» الذي كان يُلقب بالبطين، وقد ولى وجهته شطر «قبرص» حيث مات هناك وهو في الثانية والسبعين من عمره عام ١٤٤ق.م. وكان أكبر علماء عصره في النحو والنقد حتى إنه كان يُلَقَّبُ بأمير النحاة، وقد كان أول من فسر شعر «هومر» في نسخة صحيحة لم يُسْبَق إليها.[٧]

الثورات في عهد إيرجيتيس

حدثت عدة ثورات في الإسكندرية قام بها الأهالي من غير الموالين للملك «إيرجيتيس الثاني» الذي قام بقمعها بسفك الدماء، وكلما ازدادت تلك الثورات اشتد هذا الطاغية في إخماد نارها بكل ما لديه من قوة وبطش، وقد استمر على هذا المنوال إلى أن أصبحت البلاد في سلام، غير أنه لم يتأت له ذلك إلا بعد أن طهر البلاد من سكانها الهيلانستيكيين الذين كانوا حربًا عليه، وسنرى فيما بعد أن ما ارتكبه من جرائم قد ولد — بطبيعة الحال — الكره والحقد والضغينة عليه. ومن أجل ذلك كان الأهالي لا ينفكون ينفجرون من وقت لآخر بثورات جديدة، وكان هو بدوره يعمل السيف في رقابهم دون مراعاة أية شفقة

[٧] راجع: A Dictionary of Greek and Roman Biography and Mythology I, p. 290.

أو رحمة. هذا، ويُلحَظ أنه بعد أن هدأت الأحوال أخذ يتتبع أثر الرجال البارزين الذين كانوا موضع ثقة عند «فيلومتور»، وكان ذلك تحت ستار أسباب مختلفة. فمن بين هؤلاء «أتامانيس جالاتيس» Athamanes Galates الذي كان قد عاد من «سوريا» من غير جيش، فقد اتهمه بأنه سلم كل الجيش عن طيب خاطر لأعداء مصر، وعلى أثر تجريده من كل شيء التجأ الأخير إلى بلاد الإغريق حيث انضم إليه عدد من المحكوم عليهم بالنفي.

ومن الغريب أن «إيرجيتيس» قد قام بهذه الاضطهادات وبخاصة العلماء مع أنه كان أديبًا؛ فقد كتب مؤلفًا عن ذكريات منوعة، منها ما دونه عن خرافات عمه «أنتيوكوس إبيفانس».

انفراد إيرجيتيس الثاني البطين بالحكم والصراع بينه وبين كليوباترا الثانية

(١) وصف بطليموس السابع

تُحدثنا كل المصادر القديمة بأن «بطليموس السابع» كان ملكًا عاتيًا فظًّا غليظ القلب جعل الناس ينفضون من حوله. والواقع أنه كان مجردًا من كل عاطفة إنسانية حقة؛ هذا فضلًا عن أنه كان قبيح الوجه منتفخ الجسم بطينًا يثير شكله الضحك، ويوحي بالسخرية؛ ومن أجل ذلك أطلق عليه سكان الإسكندرية — الذين كانت لا تخطئهم النكتة — لقب البطين. ولا نزاع في أن بدانته وترهل جسمه كانا يفوقان حد المألوف بدرجة عظيمة؛ فقد حدثنا «بوزيدونيوس» عن ضخامة جسمه نقلًا عن لسان معلمه «باناتيوس» Panaetius الذي رآه في الإسكندرية.[١] ومما زاد في قبح منظره ما حدثنا به «جوستن»[٢] المؤرخ إذ يقول: إنه كان يرتدي ثوبًا شفيفًا ينم عن كل تفاصيل جسمه المنتفخ، مما زاد في قبحه وسماجته.

---

[١] راجع: Athen. XII.549c.

[٢] راجع: Justin, XXXII, 8, 4.

(١-١) قتل الملك الصغير وزواج بطليموس السابع من كليوباترا الثانية

وهذا العاهل على قبح خلقه رأيناه بعد دخوله الإسكندرية يكشف عما كانت تنطوي عليه نفسه من آثام وشرور؛ فقد أكد لنا المؤرخ «جوستن» أنه في نفس اليوم الذي أقام فيه الاحتفال بزواجه من «كليوباترا» ذبح ابن أخيه «نيوس فيلوباتور» وهو بين ذراعي والدته «كليوباترا»؛ ولكن الأدهش من ذلك أن هذه المرأة كان عليها أن تلقي بنفسها في أحضان القاتل في سريرها، وهو ملطخ بدم ابنها، ولا غرابة في ذلك للمطلع على تاريخ البطالمة؛ فهذا الحادث يذكرنا بحادث مماثل لهذا الذي نحن بصدده، وأعني بذلك قتل «بطليموس» «كرانيوس بن أرسنوي فيلادلف» — وقد تحدثنا عن هذا الحادث في الجزء الرابع عشر من مصر القديمة — ولكن مع الفارق أن «أرسنوي» عندما علمت بجريمة زوجها فرت هاربة إلى «ساموتراس». ولا نزاع في أن استسلام «كليوباترا الثانية» لهذا الحادث البشع قد أثار في النفوس عدم الثقة في هذا الرجل وخيانته بما لم يمكن مقاومته مهما كانت الأسباب، حتى إن الزواج الذي كانت قد عقدت أواصره بين «بطليموس البطين» و«كليوباترا» لم يكن إلا زواجًا دون معاشرة جنسية، كما يقول المؤرخ «مهفي»؛ لأن موقف الأم كان يدعو إلى الدهشة؛ بل يوحي بأنها كانت قد سُلبت كل شعور إنساني إذا كان هذا قد وقع فعلًا على مرأى منها.

وعلى أية حال فإن الزواج كان قد حدث فعلًا، وأن الابن وريث «فيلومتور» قد مات بعد ذلك مباشرة. وذلك في أحوال يحتمل أن تبقى غامضة لدرجة ما، مما ترك مجالًا للخيال يلعب دوره عن سبب اختفاء هذا الأمير، أو عن الفرد الذي ارتكب هذه الجريمة بصورة خاطفة، والواقع أن الجرائم التي ارتكبها «إيرجيتيس الثاني» فيما بعد تقشع عن عيوننا ظلمات هذا الشك؛ إذ علم الناس ما كان يجري وراء جدران القصر الملكي من آثام وجرائم لا حصر لها. وقد كان هذا الحادث مقدمة لجريمة أبشع وأشنع كما سنرى بعد.

وعلى أية حال فإن أخلاق «كليوباترا الثانية» التي عُرفت بها من قبل لا تدع مجالًا للظن بأنها استسلمت لهذا الطاغية كأنها فريسة لا حراك فيها في أحضان رجل مفترس أثيم. والواقع أنها قد وافقت على هذا الزواج لأنها كانت واقعة تحت تأثير شهوة الحكم لا لأن تكون زوج قاتل ابنها دون ريب أو شك.

(٢) بطليموس السابع يذهب إلى «منف» لِيُتَوَّجَ فيها

بعد أن استتب الأمر لـ «إيرجيتيس» وأصبح آمنًا على عرشه أو بعبارة أخرى عندما اعتقد أنه عاقب أهل الإسكندرية بما رأى فيه الكفاية للانتقام من أعدائه في خلال عام ١٤٤ق.م؛ أراد أن يستعطف الشعب المصري الأصيل؛ ومن ثم ولى وجهه شطر «منف» ليتوج نفسه على حسب الشعائر المصرية القديمة إرضاء للكهنة والمصريين معًا.

(٢-١) ولادة بطليموس المنفي ابن بطليموس السابع

وفي خلال إقامة الشعائر والأحفال الخاصة بعيد التتويج رُزِقَ مولودًا ذكرًا أسماه — تيمنًا وإرضاء للمصريين — «المنفي» نسبة إلى «منف» التي وُلد فيها، فكانت صدفة سعيدة.

ومما يُؤسَف له جد الأسف أن هذا الأمير الجديد الذي كان ضحية في المستقبل ضحى به والده إرضاء لشهوة الحكم. وقد أقيمت بمناسبة ولادة هذا الأمير الأفراح، وكان من جرائها الحكم بالإعدام على أفراد آخرين من جديد ممن حضروا الحفل؛ وآية ذلك أنه كان في حاشية الملك بعض رجال من أهالي «سيريني» كانوا قد حضروا معه إلى مصر من هذه البلدة؛ وذلك بسبب ما كانوا قد أدوا له من خدمات، ولإخلاصهم وولائهم له. على أن هؤلاء كانوا قد تجرءوا — بما كان لهم من مكانة ودالة — على أن يعلنوا صراحة عدم رضاهم عن تصرفات حظية الملك، التي تُدعى «إيرن» في مثل هذه المناسبة المحترمة. غير أن الملك عندما علم بهذا أمر بإعدامهم في الحال.

ولكننا نجد أن الملك أراد بعد ذلك أن يستغفر عن فعلته هذه؛ فأصدر قرارات إنسانية بمثابة هبات لهذا التتويج البهيج، وكان غرضه إعادة الطمأنينة إلى نفوس أصحاب الأملاك الذين كانت ممتلكاتهم مهددة بالضياع، وذلك على غرار ما يحدث عند خروج الناس من العهود التي سادها الاضطراب والفوضى؛[٣] إذ يرون في كل إحسان مهما قل مكرمة عظيمة.

على أن «كليوباترا» كانت قد ظنت أنها اشترت ما حصلت عليه بصورة أكيدة، وهو اشتراكها في الملك بما أدته من ثمن دفعته بكل ما عندها من قوة احتمال، ومن سوء معاملة تفوق حد الوصف؛ فإنها مع ذلك لم تلبث أن استيقظت من غفلتها وثابت إلى رشدها؛ إذ ترى «إيرجيتيس» الرخو السمين من جهته قد بدأ — بعد أن صفا له الجو

---

[٣] راجع: Pap. Turin., I. p. 9, 21 in the date of year XXVI (144 B.C.).

كما كان يظن — في الانغماس في اللذات والشهوات كما يحب ويريد، وفي الوقت نفسه أخذ يعمل على أن يشعر الشعب ومن حوله من رجال البلاط بأنه هو السيد المُطاع، ويقال: إن جل همه وقتئذ كان البحث عن ارتكاب جرائم ومخاز، هذا إلى أنه كان من دواعي سروره وغبطته أن يحارب الرأي العام وتقاليده.

(٢-٢) زواج بطليموس السابع من كليوباترا ابنة أخته

وقد ضرب في ذلك أرذل الأمثال وأوضعها؛ فقد كان — كما نعلم — متزوجًا من أخته «كليوباترا الثانية»، وقد كان هذا النوع من الزنا تبيحه له العادة التي كان يسير على نهجها ملوك مصر القدامى، غير أن ذلك لم يَكْفِهِ؛ بل نجده قد افترع ابنة زوجه وأخته «كليوباترا»، وبعد ذلك تزوج منها وأصبحت تُدعى «كليوباترا الثالثة»، وقد كان معنى هذا الاعتداء على ابنة زوجه أنه لفظ الأم ليتزوج من ابنتها (حوالي عام ١٤٣ق.م).[٤] والظاهر أنه لم يحتفل بالزواج في الإسكندرية على نطاق واسع، ولكن بعد نهاية رحلة قام بها لقضاء شهر العسل في «إدفو» حيث أهدى المعبد هناك للإله «حور» رب «إدفو»، بعد بداية العمل في وضع أساسه منذ ٩٥ عامًا مضت؛ وكان ذلك في ١٨ مسرى من السنة الثامنة والعشرين من حكمه (٥ سبتمبر سنة ١٤٢ق.م)، وقد قُدِّمَت هناك الأضاحي، وأقيمت الولائم والأفراح من كل نوع.

والواقع أن «إيرجيتيس» بزواجه من ابنة أخته قد بلغ النهاية التي ما بعدها نهاية في الخروج على التقاليد والفجور السافر، هذا فضلًا عما كان عليه من وقاحة واستهتار مما أدى إلى فقدانه أية رابطة عطف تربط بينه وبين شعبه وذويه.

أما «كليوباترا الثانية» فإننا إذا رجعنا إلى الوراء ونظرنا في ماضيها لوجدنا أنها كانت قد عملت كل ما في طاقتها لتقضي على كل ما كان هناك من خلافات ومخاصمات بين أخويها «بطليموس فيلومتور» و«بطليموس إيرجيتيس الثاني»، ومنذ ذلك العهد كان الشعب الإسكندري يعطف عليها، ومن ثم فإن محبة الشعب وإشفاقه عليها قد ازدادت بالأحداث الأخيرة، وأصبح لها منزلة مرموقة في قلوب الإسكندريين، وعلى ذلك فإن هجر «إيرجيتيس» لها بهذه الصورة المشينة كان السبب المباشر لقيام الثورة المقبلة، وكان عليه أن يدافع عن نفسه، ويقدم شريعة تعطيه حق النصر.

[٤] راجع: Justin, XXXVIII, 8, 5.

(٣) قيام الحكم الثلاثي في مصر ونتائجه

والواقع أن «إيرجيتيس» لم يكن في مقدوره أن ينتزع من أخته «كليوباترا الثانية» لقب ملكة البلاد كما أراد، وكذلك لم يستطع أن يغتصب منها حق الصدارة ليمنحه لابنتها زوجه الجديدة؛ ومن ثم نشأ نظام غريب في بابه في حكم أرض الكنانة، وهو ذلك النظام الذي يتألف من ثالوث الملك. والمدهش أنه لم يكن يتألف من ملكين وملكة كما حدث في عهد «فيلومتور» الذي كان يحكم فيه الأخوان والأخت؛ بل في الحالة التي نحن بصددها كانت تُحكَم البلاد بملك وملكتين. فكان يحكم: الملك، والأخت الملكة وهي «كليوباترا الثانية»، والملكة الزوجة وهي «كليوباترا الثالثة». وكان جميعهم يُدعون الآلهة «إيرجيتيس» (أي المحسنين)، وكان من الطبيعي في هذه الحالة أن يتنبأ الإنسان بأن الطموح الممزوج بالغيرة لا بد أن يدب دبيبه بين الملكتين، ومن ثم تولد التنافس بينهما، وأن الذي يفيد منه هو الملك العاتي الذي كان يضارب الواحدة منهما بالأخرى، ومن ثم كان يظهر ميله وحبه للتي يرى أنه من صالحه أن يكون في جانبها، وذلك على حسب تيار الأحوال السياسية التي كانت وقتئذ تتغير وتتشكل على حسب أهواء ونزعات ومزاج الشعب الإسكندري وميوله السياسية.

وقد برهنت الحوادث على أن هذا الانقلاب الذي أحدثه هذا الملك في نظام الأسرة البطلمية قد أحيا نار الكراهية الدفينة التي كانت تضطرم في نفوس سكان الإسكندرية للملك البطين من جديد، ومن جهة أخرى نلحظ أن آمال أولئك المهاجرين — الذين كانوا قد أفلتوا من انتقامه عندما رأوا سير الأحوال في الإسكندرية — قد انتعشت ودب في نفوسهم دبيب الأمل.

(٣-١) ظهور القائد «أتامانيس جالاتيس» والمدعي الجديد للملك

ونرى أن هؤلاء المهاجرين التفوا حول قائد قديم كان صديقًا للملك «فيلومتور» الراحل؛ وهذا القائد هو «أتامانيس جالاتيس» السالف الذكر، وكان «إيرجيتيس» قد جرده من كل أمجاده وعامله معاملة سيئة مما جعله يضطر إلى الالتجاء إلى بلاد الإغريق، وكان أول عمل قام به هذا القائد لهدم «إيرجيتيس» أنه نشر شائعة مؤداها أن الملك «فيلومتور» قد وكل إليه أمر آخر ذكر من نسله الشرعي وأمه هي الملكة «كليوباترا الثانية». وقد ضمن القائد إثبات حق هذا المدعي الجديد بشدة، واستعد فعلًا لإحضاره إلى مصر، بعد أن يعمل

على ما يكفل استيلاءه على تاج الملك.[٥] وتدل الأحوال على أن الفرصة كانت مواتية لخلع «إيرجيتيس» هذا الملك الطاغية؛ إذ كان الكل يُجمع على مقته وبغضه؛ ومن ثم أصبح تحت رحمة الجنود المرتزقين الذين كانوا سنده الوحيد. غير أن هؤلاء بدورهم كانوا قد أظهروا له كل وقاحة وتمرد؛ يبرهن على ذلك أنه اتفق ذات يوم أن الخزينة الملكية كانت مفلسة، ولم يكن في مقدورها صرف مرتبات هؤلاء الأجناد؛ وقد كان من جراء ذلك أن سُمعت أصوات احتجاجاتهم تدوي عاليًا مهددة بسوء العاقبة لدرجة أن هؤلاء المرتزقين وعدوا بانضمامهم إلى القائد «جالاتيس» الذي كان يهدد بسقوط ملك «إيرجيتيس»، ولكن في هذا الموقف الحرج قام أحد الحكام العسكريين الذي يُدعى «هيراكس» Hierax بتقديم المبلغ اللازم لصرف أجور الجنود، ومن ثم أوقف انفجار الثورة على الملك.

وعلى الرغم من تزعزع عرش «إيرجيتيس الثاني» فإنه بقي مدة طويلة لم يُصِبْهُ أذى. والواقع أننا لم نسمع أي شيء بعد عن الحركة التي قام بها «جالاتيس» ولا عن المدعي الجديد لعرش البلاد الذي كان في حيازته، ومن المحتمل أن عدم نجاح مؤامرة هؤلاء المهاجرين هو قلة المال الذي يمكنهم من أن يشرعوا في إشعال نار حرب أهلية. ومما يؤسف له أنه قد مرت بضع سنوات دون أن تمدنا المصادر التي بين أيدينا بأية حوادث في هذا الصدد.

(٤) سير الأحوال في سوريا

والظاهر أن أنظار المؤرخين وقتئذ كانت قد تحولت نحو سير الأحوال في «سوريا»؛ حيث كانت الأحداث هناك قد أقضت مضجع «كليوباترا» كبرى بنات الملك «فيلومتور»، فعانت من المصائب أكثر مما كانت تعانيه أختها «كليوباترا الثانية» في مصر.

وتفسير ذلك أن زوج «كليوباترا تيا» الثاني، وهو «ديمتريوس الثاني نيكاتور» كان قد قضى الست سنوات التي جاءت بعد انتصاره (عام ١٤٦–١٤٠ق.م) في محاربة رعاياه الذين فرض عليهم حقوق الفاتح المنتصر بكل قسوة، وعلى الثائرين الذين كانوا يقفون في وجه استبداده وعتوه. وقد كان من جراء ذلك أن رجلًا يُدعى «ديو دوتوس» وهو الذي كان يُلقَّب «تريفون» Tryphon قد جاء ومعه ابن «إسكندر بالاس» و«كليوباترا تيا» من

[٥] راجع: Diod., XXXIII, 20.

عند النباطيين، وأعلنه ملكًا على «سوريا» عام ١٤٦ق.م باسم الملك «أنتيوكوس السادس إبيفانس ديونيسوس». وقد أصبحت سوريا منذ ذلك الحين مقسمة فريقين؛ أحدهما: معسكر «تريفون» والملك الجديد واتخذ «أنطاكية» مقرًّا له، وكان يعارض هذا الفريق في فلسطين أمراء اليهود، أما الفريق الآخر: فكان على رأسه «ديمتريوس» الذي كان يسيطر على سائر البلاد وعلى «سليوس» الواقعة على نهر العاصي «الأرنت»، وهي التي اتخذها «ديمتريوس» عاصمة لملكه مؤقتًا. وعلى أية حال لم تَمْضِ مدة طويلة حتى تخلص «تريفون» من «أنتيوكوس السادس» (عام ١٤٣–١٤٢ق.م) ليحكم هو مكانه، والظاهر أن هذا الملك الفتى كان قد تُوفِّيَ على أثر عملية جراحية.[٦] ولا نزاع في أن «تريفون» كان قد أخذ درسًا عن «إيرجيتيس» الذي كان قد قدم تفسيرًا مقبولًا عن موت «بطليموس نيوس فيلوباتور».

(٤-١) ديمتريوس ملك سوريا وغرامه بالأميرة روديجين ونتائجه

وفي خلال تلك الفترة أحس «ديمتريوس» أنه بسبب هذه الاضطرابات قد تصبح أقاليمه التي في الشرق عرضة للوقوع نهائيًّا في يد البارثيين (إيران)؛ ومن أجل ذلك قام بحملة على هؤلاء الغزاة لاسترداد «إيران»، غير أن الحظ خانه هناك وهُزِم هزيمة منكرة، وأُخذ أسيرًا، وقد عزاه — في خلال مدة أسره — الحب الذي نشأ بينه وبين الأميرة «روديجين» ابنة الملك «متراداتيس» قاهره (١٣٨–١٣٧ق.م).

وعندما كان «ديمتريوس» يمني نفسه بالآمال في العودة إلى ملكه الذي حُرم منه، وذلك بمساعدة ملك «بارثيا»، وقد حاول الإفلات من أسره من وقت لآخر؛ نجد أن «أنتيوكوس» السيدي (أنتيوكوس السابع السيديتي) كان مستمرًّا في محاربة «تريفون». أما «كليوباترا تيا» التي كانت حبيسة مع ابنها وأطفالها في مدينة «سليوس» فقد وهبته نفسها وعرش الملك عندما علمت أن زوجها قد تزوج من الأميرة «روديجين».

وبذلك حل «أنتيوكوس السابع» محل أخيه بوصفه ملكًا وزوجًا؛ فكان بذلك بديلًا لأخيه من غير إكراه. والواقع أنه كان يعد نفسه بمثابة حارس لكل ما كان سيسلمه يومًا

[٦] راجع: Liv., Epit., LV; Joseph A. Jud., XXIIX,7, 1.

ما إلى الملك الشرعي الأسير (١٣٩–١٣٨ق.م)، والظاهر أن «أنتيوكوس السابع» أخذ بعد ذلك يلتفت إلى «تريفون»، وبخاصة أنه كان وقتئذ قد أصبح مكروهًا في «أنطاكية»، هذا فضلًا عن قيام خلاف بينه وبين اليهود؛ وفوق كل ذلك كان مجلس الشيوخ الروماني قد أظهر جفوته له وتغاضيه عنه، وذلك على الرغم من تقربه منه؛ ومن ثم ألقى بنفسه إلى التهلكة بما أظهره من قلة الحزم وعدم الروية، وفعلًا أدت كل هذه الأسباب مجتمعة إلى أن «تريفون» هذا قد أُسِرَ، ثم أُعْدِمَ بعد أربعة أعوام من اغتصابه ملك سوريا (عام ١٣٨ق.م). أما «أنتيوكوس» فإنه على الرغم مما أظهره من الميل إلى إعلان الحرب على «البارثيين» من أجل خلاص أخيه فإنه لم يكن في استطاعته القيام بهذه الحرب في تلك الفترة؛ إذ كان عليه قبل أن يقوم بهذا العمل الجبار أن يحول مجهوده نحو اليهود، ويرقبهم عن كثب، ثم يعلن عليهم الحرب في اللحظة المناسبة؛ أما اليهود فإنهم على الرغم مما كان بينهم من مشاحنات وخلافات داخلية، فإنهم أفادوا من المنازعات الخارجية التي كان «أنتيوكوس» مشغولًا بها لأجل أن يوطدوا استقلالهم الذاتي، هذا وكان اليهود قد تعودوا الالتجاء إلى مجلس الشيوخ عندما كانت تحل بهم كارثة أو تصيبهم مصيبة.

(٤-٢) مجلس الشيوخ يرسل بعثًا إلى الشرق لتفقد أحواله يرأسه «سبيون»

على أن مجلس شيوخ «روما» — الذي كان يُعتبر المهيمن على سياسة العالم وقتئذ — أراد أن يقف على جلية الأحوال في الشرق، وذلك بعد أن وردت إليه أخبار متضاربة؛ ومن أجل ذلك كلف بعثًا من عظماء رجاله؛ ليأتي إليه بالمعلومات الصادقة حوالي عام ١٣٦–١٣٥ق.م. وهذا البعث كأن يتألف من «سبيون أمليان» Scepion Emelien قاهر «قرطاجنة» وبصحبته «موميوس» الآخي والقنصل «ميتلوس» Metellus أخ «ميتلوس» المقدوني. وكان كل هؤلاء من الشخصيات الذين يحتلون مكانة في الصف الأول في مجلس الشيوخ، وقد كانت مهمتهم تنحصر في بحث أحوال الممالك المحالفة لروما. ولا بد أن نشير هنا إلى أن تاريخ هذا البعث كان موضع نقاش وجدال.[٧]

[٧] راجع: Justin, XXVIII, 8, 8.

(٤-٣) البعث يبتدئ بزيارة مصر

وتدل الشواهد على أن هذا البعث الروماني قد بدأ عمله بزيارة مصر. وقد وصف لنا بعض المؤرخين التناقض العجيب الذي ينطوي على سخرية لاذعة؛ وأعني بذلك التناقض الذي مُثل في الصورة التي وُضِعَتْ لكل من «سبيوس» و«بطليموس البطين» في كفتي الميزان، وذلك عندما تقابلا سويًّا في الإسكندرية؛ فقد ظهر البطل الروماني الجمهوري بمظهر الرجل البسيط في ملبسه والوقور في أخلاقه، ومعه صديقه الفيلسوف «بانيتيوس» Panetios وبعض الخدم الذين كانوا يرتدون ملابس محترمة تدل على ذوق سيدهم، في حين أن «بطليموس إيريجيتيس الثاني» قد ظهر بوجه سمج وجسم مثقل بالكسل، تبدو عليه علامات الانهماك في اللذات، يجر ساقيه المتراخيتين، ويبرز أمامه كرشه المنتفخ، مما جعله يستحق دون جدال أن يُطلق عليه لقب «البطين». هذا، ونلحظ أنه عندما رست السفينة التي كانت تقل البعث الروماني سار «سبيوس» إلى الأمام وقد غطى رأسه بعباءته لأجل أن يحجب نفسه عن أنظار العامة، ولكي يتفادى حب استطلاعهم، غير أنه لم يلبث أن اضطر إلى استجابة طلب الشعب الذي كان يهرع لرؤياه، وكشف عن وجهه، وتابع سيره بين الهتافات المعبرة عن الاعترافات بالجميل.

(٤-٤) وصف زيارة البعث لمصر

أما «إيرجيتيس الثاني» فنراه وقد أسرع في السير أمام ضيوفه، والواقع أن أهالي الإسكندرية قد فرحوا برؤيته وهو مرتدٍ ثوبًا خفيفًا يكاد يكون شفيفًا، وكان العرق يغمره وأنفاسه تتلاحق بسرعة كما كان يبذل مجهودًا جبارًا للحاق برجال البعث الذين كانوا قد أرادوا أن يهزأوا منه عندما رأوا أنه كان يجر ساقيه جرًّا في شوارع الإسكندرية بسبب بدانته. وفي خلال سير الموكب مال «سبيوس» على زميله «بانيتيوس» وهمس في أذنه قائلًا: لقد أفاد فعلًا أهالي الإسكندرية من زيارتنا؛ إذ يرجع الفضل إلينا في أنهم قد رأوا مليكهم يتنزه على قدميه.

ولقد كان من الطبيعي أن يستقبل «بطليموس» هؤلاء المبعوثين الرومان بكل أبهة وحفاوة وبكل ما لديه من جاه. والواقع أنه أقام لهم ولائم فاخرة، كما أطلعهم على النفائس التي كانت تحتويها الخزانة الملكية، وذلك أثناء جولاته معهم في قصره، ومما يلفت النظر في أخلاق المبعوثين الرومان أنهم كانوا يُمَيَّزُون بما جُبِلُوا عليه من فضائل

كريمة؛ فلم يتناول واحد منهم مما قُدِّمَ إليه من الطعام إلا ما كان ضروريًّا، هذا مع ترفعهم عن الأطعمة الغالية التي تدل على البذخ والإسراف؛ زعمًا منهم أنها تفسد الروح والجسم معًا. أما الثروات والنفائس التي كان الملك يُعْجَبُ بها ويعرضها أمامهم، فإنهم لم يأبهوا بها أبدًا؛ بل كانوا في الواقع يغضون من أبصارهم عنها أثناء سيرهم في جنبات القصر؛ ولكن من جهة أخرى كانوا يقبلون على مشاهدة ما كان يستحق الالتفات فعلًا؛ فمن ذلك أنهم فحصوا عن كثب موقع المدينة، وأهمية الفنار وخصائصه. وبعد ذلك نجد البعث يصعد في النيل حتى مدينة «منف» الخالدة. وفي خلال تلك المرحلة لمسوا مقدار خصوبة أرض مصر وقدروها حق قدرها، كما قدروا ما يسبغه فيضان النيل السنوي على البلاد من نفع، وكذلك عرفوا عدد مدن مصر وما فيها من سكان يخطئهم العد، كما عرفوا موقع مصر الحصين وأحوالها الممتازة التي تؤكد قيام إمبراطورية عظيمة وتضمن أمانها، وبعد أن رأوا — والدهشة تملأ نفوسهم — جموع السكان الفقراء، وكذلك تخطيط الأماكن المصرية، أجمعوا على أن هذه البلاد يمكن أن تصبح دولة قوية عظيمة إذا وُضِعَ على رأسها أسياد جديرون بتولي شئونها.

(٤-٥) مغادرة البعث مصر وتقريرهم عنها

وبعد أن انتهت جولة البعث في أرض الكنانة غادروها قاصدين جزيرة «قبرص»؛ ومن ثم ولوا وجوههم شطر «سوريا». والآن لا يسعنا في هذا المجال إلا أن نترك لرجال البلاغة والبيان العناية بنظم عقود المديح في فضائل رجال هذا البعث الذين اكتفوا من الحياة بأكل ما يسد رمقهم، ولم يغرهم ما عُرِضَ أمام أعينهم من النفائس والقناطير المقنطرة من الذهب، وعلى أية حال يمكن الإنسان أن يكون على يقين من أن رجال هذا البعث المتزنين قد دونوا ملاحظاتهم عن كل ما شاهدوه، وأن التفاتهم لم يكن بأية حال من الأحوال يرمي إلى غرض حتى لا يُفْهَم أنه كان شهوة أو رغبة شخصية. وقد حملوا معهم إلى «روما» الاعتقاد بأن بلادًا تزخر بالثراء مثل مصر لا يجب أن تفلت من يد الرومان، أما من جهة النصيحة الطيبة التي أمكنهم أن يقدموها إلى «بطليموس» بسلوكهم هذا فلا نعلم لها من أثر فعال؛ إذ الواقع أن «إيرجيتيس» ظل يعيش بين ندمائه الذين كانوا يشاطرونه متعه الرخيصة، وكذلك بين جنوده القدامى المدنسين. هذا، وقد كان مكروهًا من أهالي الإسكندرية أكثر مما كان في سائر بلاد القطر؛ إذ إن رجال الدين الذين عرفوا

فيه الغيرة على إقامة المعابد، وكما أن الأهالي بوجه عام تعرف فيه ميله لتخفيف عبء السخرة عنهم؛ ومن أجل هذا كانوا يميلون إليه بعض الميل.

(٤-٦) زيارة البعث أتت بنتيجة عكسية

وما لا شك فيه أن زيارة السفراء الرومان لمصر لم تَأْتِ إلا بنتيجة عكسية؛ وذلك أنها زادت في غضب مدينة الإسكندرية التي جُبِلَتْ من أول نشأتها على الكبرياء؛ فقد أحس الأهالي من هذه الزيارة أن ملكهم الطاغية كان يستند على مساعدة الأجنبي له. وقد انتهزت «كليوباترا الثانية» التي كان يحبها الشعب الإسكندري هذه الفرصة، وحركت النار التي كان وميضها متأججًا تحت الرماد؛ وذلك للانتقام لنفسها بما كانت تكنه من حقد دفين بين جوانحها لهذا العاتي الذي ارتكب معها أبشع جرائم القتل إن صح ذلك.

(٤-٧) قيام ثورة في البلاد وهرب إيرجيتيس إلى «قبرص»

وعلى هذا لم تلبث الثورة التي كانت مُنْتَظَرَة منذ زمن طويل أن اندلع لهيبها أخيرًا عام ١٣١-١٣٠ق.م. وعلى قدر ما يمكن أن نحكم به بما لدينا من تأريخ غير مؤكد فيما يخص هذه الحوادث المحزنة؛ نفهم أن الملك البطين أراد أن يقضي على بوادر هذه الثورة، وذلك بنشر الزعر والهلع في نفوس سكان الإسكندرية؛ فمن ذلك ما قِيل أنه ذات يوم أحاط ملعبًا رياضيًّا مكتظًّا بالشباب، وذلك بطائفة من رجال شرطته الذين ما لبثوا أن أشعلوا فيه النار، وقضوا على الذين نجوا من الحريق بالقتل.[٨] غير أن هذا العمل الأخير جعل الكيل يطفح والأمور تتأزم حتى بلغ السيل الزبى والحزام الطبيين ولم يَبْقَ في القوس منزع، لدرجة أن الشعب الذي خرج عن شعوره صمم على حرق هذا الطاغية في مقره، وإشعال النار في قصره. غير أن «إيرجيتيس» كان قد أحس بالخطر، ولم ينتظر حتى ساعة إنزال العقاب به؛ إذ نراه قد أفلت سرًّا مع زوجه الفتاة وأولادها وولد آخر كان قد رُزِقَ به من زوجه الأولى «كليوباترا الثانية» وهو الذي يُسَمَّى «المنفي» والذي كان لا يزال فتى، وقُدِّرَ له أن يكون بمثابة رهينة عنده، وقد عُلِمَ بعد فرار «بطليموس إيرجيتيس» بمدة وجيزة

---

[٨] راجع: Val. Max., IX, 2, Ex, 5.

أنه هرب إلى «قبرص»، وأنه جمع حوله هناك جيشًا من الجنود المرتزقين تمهيدًا لعودته على رأس هذا الجيش إلى الإسكندرية. ولا بد أن نلحظ هنا أن ثورة الشعب الإسكندري لم تهب على أسرة البطالمة؛ بل كانت ثورته بالذات على «بطليموس إيرجيتيس الثاني» شخصيًّا؛ وعلى ذلك فقد كان على الشعب أن يعلن سقوط هذا الملك الهارب، وفي الوقت نفسه يعترف بالملكة «كليوباترا الثانية» ملكة على مصر. غير أنهم أرادوا بعد ذلك أن يسيروا على نهج العادة المتبعة التي كانت تحتم وجود ذكر على عرش الملك، ومن أجل ذلك أخذوا يبحثون في الأسرة المالكة عن ذكر يمكن أن يقوم بدور الزوج للملكة «كليوباترا» سواء أكان ذلك حقيقة أم رمزًا على حسب قانون وراثة العرش. ومما يؤسف له أنه لم يوجد فرد تتوافر فيه الشروط المطلوبة؛ لأن أولاد «بطليموس السابع» الذين أنجبهم من «كليوباترا الثالثة» لم يقبل الإسكندريون ترشيح واحد منهم للملك، ولكن كان هناك ممثل واحد ذكر من الأسرة جدير بأن يقوم بهذا الدور وهو بكر أولاد «بطليموس السابع» الذي أنجبه من زواج غير شرعي من امرأة تُدْعَى «إيرن». ومن المحتمل أنه هو الذي كان قد وُكِّلَ إليه حكومة «سرنيقا». هذا، ولم يكن لدى أهالي الإسكندرية غير هذا المخرج.

(٤-٨) بطليموس السابع يقتل ابنه انتقامًا من والدته كليوباترا الثانية

ولكن «بطليموس البطين» علم بالخبر، وأفسد عليهم خطتهم بارتكاب جريمة جديدة؛ وذلك أنه طلب إلى ابنه ملك «سرنيقا» أن يحضر عنده في «قبرص»، وعلى أثر وصوله إلى «قبرص» قضى على حياته. وعندما سمع أهل الإسكندرية بهذا النبأ المفجع قاموا بتهشيم تماثيل «بطليموس السابع» تهشيمًا تامًّا، وقد كان جواب هذا الملك اللعين أفظع وأنكى على هذه الإهانة التي ادعى أن «كليوباترا الثانية» هي المسئولة عنها؛ فقد قام في الواقع بانتقام خسيس دنيء ماكر كالذي نسمع عن أمثاله في الأساطير، وبخاصة في قصة «أوزير» و«ست» عندما قطع الأخير جسم الأول ونثره في أنحاء أرض الكنانة، وذلك أن «إيرجيتيس» أمر بقتل ابنه «المنفي» على مرأى منه، ثم قطعه إربًا إربًا، ثم وضع أشلاءه في صندوق أرسله إلى أمه «كليوباترا» زوجه وأم الطفل القتيل إلى الإسكندرية بمثابة هدية لها في يوم عيد ميلادها.[٩] وإذا كان هذا الحادث قد وقع فعلًا على يد هذا البطين فإن

[٩] راجع: Diod., XXX–XXXV.

انشراحه قد كان يبدو بطبيعة الحال أكثر كمالًا إذا كان قد أمكنه أن يقدم لحم ابنه وابنها طعامًا لها كما حدث في الأسطورة التي تروي لنا قصة «أتري» Atree — ابن «بولبس» وملك «ميسيني» المشهورين — الذي كان يكره أخاه «تيست» Thyeste فانتقم منه أشنع انتقام يمكن تصوره، وذلك أنه ذبح تانتال Tantale و«بليستين» Plisthene ابنا «تيست» وقدم لحمهما طعامًا لوالدهما في وليمة. ولكن على أية حال نجد في هذه القصة أن الجاني قد قُتِلَ بيد «إيجيست» Egisthe وهو ابن آخر من أولاد «تيست». والواقع أن غضب الشعب الإسكندري وحنقه على «بطليموس البطين» قد بلغ أقصى مداه عندما سمع بهذه الجريمة التي لا يمكن أن تُجَارَى في شناعتها وشدة هول وقعها في نفوس الشعب.

والآن يتساءل الإنسان ماذا ستكون نتيجة الصراع الذي أصبح الآن بين أهالي العاصمة الذين لم يكن لديهم من القوة إلا ما ملكت أيديهم وحسب، لا سيما بعد أن أصبح من المؤكد أن سائر أهالي القطر لا يهمهم أمر هذه المنازعات التي كانت بين الإسكندريين وبين هذا البطين العاتي الحانق الذي جمع في «قبرص» أسطولًا وجيشًا ليدخل بهما الإسكندرية كرة أخرى، ويستولي على عرش الملك الذي طُرِدَ منه؟ والجواب على هذا السؤال ليس في الاستطاعة تقديمه هنا؛ لأن المصادر القديمة التي في أيدينا لا تسعفنا قط. غير أن المؤرخ الكبير «بوشيه لكلرك» أجاب على هذا السؤال مستفهمًا بدوره هل يجب علينا أن نتعرف على «إيرجيتيس الثاني البطين» بأنه هو «بطليموس الكبير» أو العجوز (أي بطليموس سوتر) الذي على حسب ما ورد في قطعة من «ديدور» قد أرسل القائد «هيجيلوكوس» Hegelachos ليحارب الإسكندريين الذين كان يقودهم رجل يُدْعَى «مارسياس» Marsyas، وأنه بعد أن هزم أهل الإسكندرية هزيمة منكرة أظهر كرمًا وحسن معاملة لم تكن منتظرة لمناهضة «مارسياس»؟

وعلى أية حال يحدثنا «ديدور» أن «بطليموس البطين» أخذ في تغيير اتجاهاته؛[١٠] إذ بدأ يظهر بمظهر الإنسان بتهدئة غضب الأهالي عليه. وكذلك يتساءل «بوشيه لكلرك» هل يكون «هيجيلوكوس» هذا هو الموظف الذي يُسَمَّى «لوكوس» Lochos بن «كاليميديس» Callimedes الذي كان في حمايته التجار الإغريق منذ استيلاء الملك «بطليموس» الإله المخلص (سوتر) على الإسكندرية، وقد أقاموا له تمثالًا في «ديلوس»؟[١١] والواقع أننا نعرف

[١٠] راجع: Diod., XXXIV–V, 20. والواقع أن «بطليموس سوتر» الذي نُسِبَ إليه هذا الحادث لم يُعْرَفْ عنه أبدًا أنه دخل الإسكندرية فاتحًا، والمحتمل أن هذه هفوة قلم.

[١١] راجع: B.L. II. p. 74.

أن «لوكوس» هذا قد أصبح حاكمًا حربيًّا على منطقة «طيبة» ويحمل ألقابًا تدل على عظم مكانته (راجع CIG., 4896 A–B = Strack 103 Obelisque of Philae).

(٤-٩) انفراد كليوباترا بالملك

وعلى أية حال فإن ما جُمِعَ من مصادر متفرقة عن هذه الفترة المظلمة يدل على أن «كليوباترا الثانية» قد انفردت بملك مصر باسم «كليوباترا فيلومتور سوتيرا» (= كليوباترا محبة أمها الإلهة المخلصة). غير أنه لم يكن لها من ناصر غير أهالي الإسكندرية، وغير جزء ضئيل من أرض الكنانة؛ إذ يبدو أن أهالي مدينة «طيبة» قد اعترفوا بها ملكة على غرار ما فعله أهل الإسكندرية.

ومما لا شك فيه أن هذه الحركة التي قامت على «إيرجيتيس» في «طيبة» وجعلتها تناصر «كليوباترا» كان سببها غياب حامية هذه المدينة وانهماكها في إخماد عصيان فلاحي بلدة «أرمنت» الواقعة على الضفة الأخرى من النيل، وقد أُخْمِدَ هذا العصيان فعلًا في مهده على يد الجيش الذي بقي على ولائه للملك «إيرجيتيس الثاني البطين». هذا، ولدينا رسالة تحدثنا عن هذا العصيان مُؤَرَّخَة بالثالث والعشرين من شهر كيهك من العام الخمسين من عهد «بطليموس إيرجيتيس الثاني» (= ١٤ يناير سنة ١٣٠ق.م)، كتب هذه الرسالة جندي يُدْعَى «استالداس» Esthaldas[١٢] كان عليه أن يذهب لينضم إلى فرقة حرس المقدمة في «أرمنت». وكان قد وصل إلى مسامع هذا الجندي أن الحاكم الحربي لمقاطعة «طيبة» المسمى «باوس» سيقود — إلى «أرمنت» في الشهر القادم (طوبة) — قوة كافية لقمع عصيان أهالي «أرمنت» ومعاملتهم معاملة الخارجين على السلطة الشرعية في البلاد.

(٤-١٠) ثورة طيبة على بطليموس السابع

هذا، وحوالي شهر أكتوبر عام ١٣٠ق.م خرجت مدينة «طيبة» على «إيرجيتيس الثاني البطين»، ولكن حامية مدينة «قفط» وكذلك الجزء الأعظم من الجنود الذين كانوا تحت

[١٢] راجع: Pap. du louvre. Ap. Révillout Mélanges. P. 295.

إمرة «باوس» الحاكم في هذه الجهة قد بقوا دائمًا على ولائهم للملك «البطين» ولزوجه وأولاده.

وعلى أية حال لم تُعرف المدة التي ظلت خلالها «طيبة» تقاوم «بطليموس البطين». أما ثورة «أرمنت» فقد قُضِيَ عليها على أكثر تقدير في ربيع عام ١٢٩ق.م، ويظهر أن ثوار «طيبة» لم يلقوا سلاحهم في نفس الوقت.

على أنه لدينا بردية مؤرخة بالثامن من شهر كيهك عام ٤٣ من حكم «بطليموس البطين» (= ٩ يناير سنة ١٢٧ق.م)، وهذه الورقة تتحدث عن كهنة وكاهنات خاصين بعبادة الأسرة المالكة، ومن ثم على أية حال يمكن أن نأخذ بما استنبطه المؤرخ «ماير»[١٣] القائل بأن المناوشات استمرت قائمة في «طيبة»، غير أنه لا يُستنبط من ذلك أن «البطين» لم يكن قد استولى فعلًا على الإسكندرية من جديد.

(٤-١١) الصلح بين كليوباترا وبطليموس السابع

والواقع أن حكم «كليوباترا الثانية» قد بدأ بوصفها ملكة منفردة على البلاد ثم انتهى في الإسكندرية لمدة قصيرة جدًّا؛ إذ يظهر أنها قدمت خضوعها نهائيًّا في خلال عام ١٢٩ق.م لمجريات الأمور.

ولا نزاع في أنه كان من الغريب بل من المدهش حقًّا أن نرى «إيرجيتيس الثاني البطين» بعد دخوله الإسكندرية دخول الظافر المنتصر كما حدثنا بذلك المؤرخ «ديدور» أخذ يظهر لين جانب وحسن معاملة لم تكن متوقعة منه أبدًا على حسب ما صوره لنا المؤرخون الذين قالوا عنه إنه كان محبًّا للانتقام فتاكًا بخصومه. ومن أجل ذلك نجد أن الإسكندريين قد ذُهِلُوا لهذه المعاملة السمحة حتى إنه لم يَكَدْ أحد يصدق أنه مخلص فيما يظهره من تغير مفاجئ لم يكن في الحسبان. أما من جهة «كليوباترا» فكان لديها من الأسباب الخاصة ما لا يجعلها تعتمد على سماحة «البطين» التي كانت في ظاهرها الرحمة وفي باطنها العذاب؛ ومن أجل ذلك فرت إلى جوار زوج ابنتها «ديمتريوس الثاني» ملك «سوريا» حاملة معها ما في خزانتها من نقود ومتاع. وقد أمرت أن تُوضع كل ثروتها

[١٣] راجع: Beitr., Z, Alt, Gesch, II (1902), P. 477–79.

معها في السفينة التي أقلعت بها إلى مخبئها الجديد. وكانت «كليوباترا» تأمل في أن تجد في «أنطاكية» ملجأ مأمونًا كما كانت تأمل أن تجد هناك العون والنجدة التي كانت قد طلبتهما في العام المنصرم ولكن دون جدوى.[١٤]

(٥) الموقف السياسي والحرب في سوريا

عندما رأى ملك «بارثيا» أن «أنتيوكوس السابع سيدتيس» قد قام بحملة على بلاده لتخليص أخيه «ديمتريوس» من الأسر؛ فطن لذلك وأطلق سراحه. وعلى أثر ذلك أتى «ديمتريوس» إلى بلاده، غير أنه وجد نفسه في موقف غريب حقًّا؛ وتفسير ذلك أن الملك «فرات الثاني» Phrate ملك «بارثيا» كان يعتمد على ما عساه أن يحدث من اضطرابات بسبب المنافسة بين الأخوين على الملك؛ إذ الواقع أنه لم يكن هناك في «سوريا» إلا عرش واحد وامرأة واحدة مشتركة بين الأخوين؛ وذلك لأن «أنتيوكوس السابع» كان قد تزوج من «كليوباترا تيا» بعد وقوع أخيه في الأسر، وكانت في الوقت نفسه لا تزال على ذمة أخيه الأسير. ولما كان «أنتيوكوس السابع» محبوبًا من الشعب بقدر ما كان أخوه مكروهًا، فإنه من أجل ذلك لم يكن في استطاعته أن ينزل لأخيه عن الملك حتى لو أراد ذلك، ولكن موت «أنتيوكوس السابع» على يد أهل «بارثيا» قد حل المشكل، وعلى الرغم من ذلك فإن هذا الحادث لم يجعل «ديمتريوس» يروق في أعين الشعب؛ بل الواقع أن الشعب قد زاد كرهه له في تلك الآونة أكثر من قبل أسره. يُضاف إلى ذلك أن زوجه التي أراد أن يعيد معاشرتها من جديد كانت تمقته؛ وذلك لأنها كانت لا ترى فيه إلا زوج «روديجين» ابنة ملك «بارثيا». هذا فضلًا عن أنه كان يظهر أمام الشعب بمظهر المتكبر العاتي. ويُلحظ أنه في تلك الفترة كان قد أرخى لحيته على الطريقة الشرقية، ومن ذلك يُفهم أنه كان مُرْتَدًّا عن الهيلانستيكية.[١٥] ولقد بلغ من كره الشعب لـ «ديمتريوس» بسبب سوء أخلاقه أن أصبحت دائرة حكمه محصورة في قصره؛ ومن ثم كانت الحروب الداخلية قاب قوسين أو أدنى، وأنه بقيام هذه الفتنة يمكن طرده من البلاد. وتدل الأحوال على أن «كليوباترا تيا» كانت هي التي تدبر العدة بنفسها لهذه الحرب، للخلاص من هذا الخائن لعهوده معها؛

---

[١٤] راجع: Justin, XXXVIII, 9, 1.

[١٥] راجع: Justin XXXIX, 1, 3.

وتفسير ذلك أنها قد آوت «سيزيك» Cyzique آخر ابن رُزِقَتْهُ من «أنتيوكوس السابع» في مكان أمين؛ ليتولى عرش الملك في اللحظة المناسبة، وهو الذي عُرِفَ بعد توليه العرش بـ «أنتيوكوس التاسع»، وكان يُطْلَق عليه لقب «سيزيك». وقد كان هذا الأمير مؤهلًا تمامًا لتولي عرش الملك؛ فقد كان حزب والده يعاضده، وقد كان العزم على الأخذ بهذا الرأي في حالة بقاء بكر أولادها وهو «سليوكوس» ومعه أخته «لأوديس» في «بارثيا» كما كان له الحق في الملك ويعاضده تمامًا حزب والده.

(٥-١) كليوباترا الثانية تصل إلى أنطاكية

غير أن وصول «كليوباترا الثانية» ملكة مصر إلى «أنطاكية» في هذه اللحظة المشحونة بالمتاعب والعقبات والاضطرابات ما لبث أن حول سوء الحال إلى حالة أحسن؛ إذ من المحتمل أن هذه الملكة قد عملت جل طاقتها لإصلاح ذات البين لتجعل الأمور تعود إلى مجاريها بين «كليوباترا تيا» ابنتها وبين زوجها، وذلك بما يتفق مع خطتها التي رسمتها لنفسها، وبما يتفق مع رأي «ديمتريوس» أن قيام حرب بينه وبين مصر يكون فيها خلاصه؛ وذلك لأن الجنود — الذين لم يجرؤ على جعلهم يزحفون على «جان هيركان» و«أدوم» في «فلسطين» خوفًا من أن يخونوه — كان من المحتمل أن يتبعوه عندما يهيئ لهم فتح مصر وإطلاق أيديهم في نهبها.

(٥-٢) وصول ديمتريوس في زحفه على مصر حتى «بلوز» وارتداده

وقد أفلحت «كليوباترا» في الوصول إلى تنفيذ خطتها، كما أفلح «ديمتريوس» في الزحف بجيشه حتى «بلوز»، غير أنه عندما لاقى بعض المقاومة تخاذل جنوده الذين كانوا يعقدون الآمال ويبنون القصور في خيالهم بما ينتظرهم من ثراء وفير دون عناء. وقد عصا الجنود أوامره؛[١٦] ومن ثم كان لزامًا عليه أن ينكص على عقبيه مذمومًا مدحورًا.

[١٦] راجع: Euseb. I. p. 254–258.

(٥-٣) قيام ثورة في أنطاكية

وقد زاد الطين بلة أنه في خلال هذه الفترة اندلعت نار الثورة في «أنطاكية»، وحذت حذوها «أبامي»، وعلى أثر ذلك امتدت الثورة شيئًا فشيئًا إلى المدن الأخرى، ولم يَمْضِ طويل زمن حتى سمعنا أن الثوار اتصلوا بالملك «إيرجيتيس الثاني» يرجونه أن يرسل إليهم ملكًا يختاره هو على شريطة أن يكون من سلالة «السليوكيين».[١٧] ولقد كان من أكبر دواعي سرور «إيرجيتيس الثاني» من المفاجآت السارة أن يسمع ويرى أنه يوجد ملك آخر في العالم غيره مكروهًا من شعبه أكثر منه، كما أنه اغتبط برؤية العاصفة التي كانت ستنقض عليه قد أخطأته، وانقضت على رأس أعدائه.

(٥-٤) مساعدة إيرجيتيس للثوار في سوريا

وسرعان ما عمل «البطين» على إجابة طلب أهل «أنطاكية»، غير أنه لما لم يجد في متناوله أميرًا من «السليوكيين» الحقيقيين فإنه أرسل وريثًا للملك من صنع يديه؛ إذ اختار شابًّا مصريًّا ابن تاجر يُدْعَى «بروتاركوس» Protarchos، وهو على حسب ما رواه المؤرخ «جوستن»[١٨] قد رُشِّحَ بوصفه أنه ابن كان قد تبناه «أنتيوكوس السابع». أما المؤرخ «يوزيب»[١٩] فيقول: إنه كان ابن «الإسكندر بالاس». وعلى أية حال أطلق «بطليموس إيرجيتيس الثاني» على صنيعته اسم «الإسكندر»، وهذا الاسم يعيد للذاكرة اسم «الإسكندر بالاس» الذي رشحه للملك فيما مضى في أحوال مشابهة «بطليموس فيلومتور»، وقد جهزه بجيش جرار. وفعلًا أبحر هذا المدعي الجديد قاصدًا «أنطاكية» وعند وصوله رحب به الشعب. ولم يَمْضِ على توليه العرش مدة حتى صك نقودًا مُثلت عليها صورته عام ١٢٨ق.م. وعلى الرغم من تولي هذا الدعي عرش الملك، فإن الأحوال لم تستقر له إلا بعد ثلاث سنوات قضاها في حرب مع مناهضه. وفي نهاية الأمر هُزِمَ «ديمتريوس» في «دماس»، كما هجرته «كليوباترا تيا»؛ فقد أوصدت أبواب «بطليمايس» في وجهه بعد أن أتى إليها فارًّا من ساحة القتال، وبعد ذلك نجده قد قُتِلَ في مدينة «صيدا» بأمر من الحاكم هناك،

[١٧] راجع: Joseph, A. Jud., XIII, 9, 3.

[١٨] راجع: Justin, XXXIX, 1, 4–5.

[١٩] راجع: Euseb., I. p. 257–8 schoene.

وذلك عندما كان يحاول الإبحار ليلتجئ إلى معبد «ملقارت»[٢٠] Melqart عام ١٢٥ق.م، وبعد هذه الحروب نرى «الإسكندر الثاني» الذي لُقِّبَ «زابيناس» Zabinas (أو العبد الذي اشتراه سيده من السوق) قد أصبح ملكًا على «سوريا» دون منازع، ولم يَبْقَ أمامه إلا إخضاع «فنيقيا» حيث كانت «كليوباترا تيا» لا تزال تحكم فيها باسم الأسرة الشرعية.

وتدل الأحوال أن الحظ قد ابتسم للملك «إيرجيتيس الثاني» أكثر مما كان يأمل عندما أراد أن يحذو حذو أخيه «فليومتور»؛ وتفسير ذلك أن «الإسكندر زابيناس» ملك سوريا كان مثله كمثل «الإسكندر بالاس» قد اعتبر نفسه صنيعة ملك مصر. ومن المحتمل أن الملك «البطين» أراد أن يسير في تقليده لأخيه حتى النهاية، فحاول أن يستغل خدماته لملك «سوريا» الجديد بأن يجعله ينزل له عن «سوريا الجوفاء» غير أن «الإسكندر زابيناس» لم ينزل على إرادة الملك «البطين»، وعندئذ رأى «بطليموس البطين» أن يفيد من سوء تقديره للأحوال التي كانت تجري حوله؛ ومن أجل ذلك وجد أنه من الخير له أن يعقد صلحًا مع أخته «كليوباترا الثانية»، وعلى أثر ذلك ولت وجهها شطر الإسكندرية لتأخذ مكانها على عرش مصر في الإسكندرية بوصفها الملكة الأخت بجوار ابنتها «كليوباترا الثالثة» الملكة الزوجة، وذلك في عام ١٢٤ق.م.[٢١]

(٥-٥) سياسة كليوباترا تيا في سوريا بعد قتل أبيها

وهذا الصلح أو التراضي الرسمي كان من آثاره انقلاب في مجرى السياسة المصرية؛ وذلك أن «بطليموس البطين» عرض وقتئذ على ابنة أخته «كليوباترا تيا» أن يعيد لها كل ملك «سوريا» وذلك بخلع «الإسكندر زابيناس». على أن «كليوباترا تيا» لم تعد بعد بالمرأة المستسلمة الخاضعة التي تنتقل من يد إلى يد أخرى بحد السيف؛ لأن مرارة تجارب الحياة وما قاسته من أهوال خلال حياتها التعسة قد جعلها تتحول إلى امرأة طموحة، ومن ثم أرادت أن تكون هي الآمرة بعد أن سئمت الاستسلام؛[٢٢] ومن ثم قبلت عرض «إيرجيتيس الثاني».

[٢٠] راجع: Justin, XXXIX, 1, 8.

[٢١] راجع: Justin, XXX, 2, 1–2.

[٢٢] راجع: Appien, Syr. 68.

ونحن نعلم أنها خانت زوجها «ديمتريوس» ولم تعارض في قتله، وبعد ذلك نجدها قد أمرت بقتل ابنها الأكبر «سليوكوس الخامس» الذي كان قد استولى على لقب ملك دون إذن منها عام ١٢٥ق.م، وفعلت فعلتها هذه لتعطي تاج الملك لابنها الثاني ابن «ديمتريوس الثاني»، وقد سُمِّيَ «أنتيوكوس الثامن» وهو الذي كان يُلَقَّبُ «جريبوس» Grypos (أي صاحب الأنف المعقوف)، وكان قد وعدها الأخير بأن يكون طوع بنانها، وأن يتركها تحكم البلاد بدلًا منه. ويقول المؤرخ «أبيان»[٢٣] إن سبب قتلها لابنها «سليوكوس الخامس» كان لأحد أمرين؛ إما لأنه كان يريد أن ينتقم منها لقتلها والده، أو لأنها كانت ثائرة على الكل. وعلى أية حال فإن ارتكاب مثل هذه الجرائم لم تكن تدعو الملك «البطين» لأن يبتعد عنها؛ إذ إنها في الواقع كانت تسير على نهج إجرامه فكلاهما سفاك … وعلى أثر توقيع المعاهدة بينها وبين «إيرجيتيس» بما عرضه عليها نجد أنه قد حافظ على عهده، ووضع جيشًا تحت تصرف «أنتيوكوس الثامن» ابنها؛ هذا فضلًا عن أنه زوَّجه من ابنته «كليوباترا تريفانا» Tryphaena؛ وذلك ليبرهن لسكان البلاد أنه قد وطد العزم على ألا يتخلى عن مرشحه لملك «سوريا».

والظاهر أن السوريين عندما رأوا أن الحظ كله قد تحول إلى «أنتيوكوس جريبوس» أسرعوا إلى الانفضاض من حول «الإسكندر زابيناس» وتخلوا عن معاضدته، وفعلًا دارت عليه الدائرة في أول واقعة التقى فيها مع عدوه، وقد حاول أن يقاوم في «أنطاكية»، غير أنه لما لم يكن لديه مال للاستمرار في الحرب فقد عرج على خزائن المعابد فاستولى على ما فيها، وقد كان من جراء التعدي على حرمة المعابد أن هب القوم في وجهه لانتهاك قدسية تلك المعابد، وقد كانت نتيجة ذلك أن فر «الإسكندر زابيناس»؛ ولكنه وقع في يد الناهبين الذين سلموه بدورهم لـ «أنتيوكوس الثامن» الذي أنهى الحرب الداخلية هذه بقتل مناهضه عام ١٢٣ق.م (راجع Justin, XXXIX, 2, 3–6.)

ومما تجدر ملاحظته هنا أنه منذ أن استتب الأمر في «سوريا» لم نَرَ «إيرجيتيس الثاني» — على ما يظهر — يهتم بأحوال هذه البلاد، ولا مراء في أنه كان في مقدوره أن يتتبع سير الأحوال في «سوريا» بما فُطِرَ عليه من برود الرجل الخبير بالدسائس الإجرامية التي كانت قائمة هناك، وهي التي أدت في النهاية إلى إنزال العقاب الإلهي على «كليوباترا تيا» عام ١٢١ق.م؛ إذ لاقت حتفها بيدها هي.

[٢٣] راجع: Appien, Syr. 69.

(٥-٦) موت كليوباترا تيا بالسم

وذلك أن هذه الملكة السفاكة الطموحة بعد أن ضحت بدم زوجها ومن بعده بدم ابنها؛ أرادت — تلبية لإرضاء شهوة الحكم التي كانت تسيطر عليها — أن تقضي على حياة ابنها «أنتيوكوس» (الأعقف الأنف) بدس السم له في كأس قدمتها له، غير أنه كان قد علم بذلك من قبل، ورفض تجرع الكأس، وفي الحال أجبرها على أن تشربها؛ وبذلك قضت نحبها بيدها،[٢٤] فكان جزاءً وفاقًا.

والظاهر أن «بطليموس إيرجيتيس الثاني» — الذي كان قد أخذ يطعن في السن — أمضى السنين السبع التي بقيت له من عمره في تنظيم أحوال أسرته بعد أن تدخل سنين عدة في شئون «سوريا» دون نتيجة فعالة (١٢٣–١١٦ق.م)، كما أخذ يكفر عن سيئاته وما ارتكبه من آثام.

(٦) سياسة إيرجيتيس الثاني في الفترة الأخيرة من حياته

(٦-١) بطليموس السابع ينقلب إلى إنسان ويصدر القوانين العادلة

من المدهش حقًّا أن ما وصل إلينا من المؤرخين القدامى عن الفترة الأخيرة من حياة «إيرجيتيس الثاني» يكاد يناقض تمامًا ما عرفناه عنه في خلال مدة حكمه الأولى؛ فقد ظهرت لنا أخلاقه ومعاملاته للشعب في ثوب جديد يدعو إلى الدهشة إذا ما قُرِنَ بأيام حكمه في بادئ عهده، وتدل الأحوال على أن ضميره قد استيقظ بصورة جلية؛ فكان أول ما قام به أنه أخذ يلتفت إلى إدارة البلاد، والسهر على راحة الشعب، وتخفيف عبء الحياة عن المظلومين بين أفراده، ومن ثم أخذ يتقبل بصدر رحب شكاوى رعاياه وتظلماتهم، كما أخذ يحميهم من تعسف الموظفين، ولا أدل على ذلك من التظلم الذي قدمه كهنة الإلهة «إزيس» صاحبة معبد الفيلة؛ فقد قدموا ظلامة بأنهم أُجْبِرُوا على القيام بتقديم كل لوازم الموظفين والأجناد الذين كانوا يمرون بهم أثناء تأدية أعمالهم، ومن ثم أصبح هؤلاء الكهنة في حالة خراب شامل من جراء ما ابْتُزَّ منهم من أموال ظلمًا وعدوانًا، وقد كانت هذه الحالة المحزنة ناشئة من الانقسام في حكم البلاد أيام الاضطرابات التي وقعت بين

[٢٤] راجع: Justin, Ibid 7–8; Appien Syr. 69.

هذا العاهل وبين «كليوباترا الثانية»، ومن أجل ذلك أصدر «إيرجيتيس» — حسمًا لكل المنازعات والشكاوى والتظلمات، ولوضع الأمور في نصابها — مرسومًا في عام ١١٨ق.م لتنظيم كل الأحوال في طول البلاد وعرضها، وهذا المرسوم صدر باسم الملوك الثلاثة (أي بطليموس إيرجيتيس الثاني، وكليوباترا الثانية أخته، وكليوباترا الثالثة زوجه)؛ ومن ثم نفهم أن المرأة قد بدأت تشترك في حكم البلاد بصورة جدية منذ هذه الفترة من عهد البطالمة. وهذا المرسوم وصل إلينا مُدَوَّنًا في ورقة عُثِرَ عليها في بلدة «أم البرجات» «تبتنيس» وقد نشرها العالمان «جرنفل» و«هنت» عام ١٩٠٢ ميلادية، وهذه البردية تُعتبر من أهم الوثائق التي تضع أمامنا صورة واضحة عن سير الحكومة البيروقراطية في عهد البطالمة المتأخر.

ويعتقد المؤرخ «بريسكه» Preisicke بحق أن هذا المرسوم يُعد بمثابة اتفاق بين «كليوباترا الثانية» والملك «بطليموس البطين». وسنرى أن «بطليموس» قد نزل عن أشياء كثيرة من حقوقه، ولا نزاع في أن الارتباك الذي كان ضاربًا أطنابه في البلاد وقتئذ يرجع سببه بدرجة عظيمة إلى الهبات التي كانت قد أُعطيت أيام الشقاق الذي كان سائدًا بين الحكومتين المتناهضتين وأتباعهما، وكانت تلك الهبات لم يُصَدَّقْ عليها إلا من حكومة واحدة، ومن ثم وُجد أن كثيرًا من الأهلين كانوا يملكون أراضي فعلًا دون مستند أكيد معتمد يثبت ملكيتهم لهذه الأراضي، يُضاف إلى ذلك أن معابد مصرية كانت قد انحازت لإحدى الحكومتين، وتسلمت منها هبات من الأراضي، وكذلك امتيازات من الملك «إيرجيتيس الثاني» أو الملكة «كليوباترا الثانية»؛ كل ذلك كان لا بد من إعادة النظر فيه من جديد. وعلى أية حال كان الغرض الذي يرمي إليه المرسوم أن يضرب صفحًا عما حدث في فترة الانشقاق، وأن تُعتبر الممتلكات الحالية فعلية من الوجهة القانونية الصحيحة. وعلى ذلك فإنه كان لزامًا على الملكة «كليوباترا الثانية» أن تعترف بالهبات التي وهبها «إيرجيتيس الثاني» لأتباعه أو بعبارة أخرى أعداء «كليوباترا الثانية»، كما يجب على «إيرجيتيس الثاني» بدوره أن يعترف بالهبات التي وهبتها «كليوباترا الثانية» لأتباعها أي لأعداء «إيرجيتيس الثاني»؛ وأن يأخذ كل من الطرفين على عاتقه بألا يتدخل في شئون الآخر.

هذا، ويُلحظ أن هذه الوثيقة قد عُنْوِنَتْ بعبارة عفو شامل، ولم يُسْتَثْنَ من هذا العفو إلا القتلة وأولئك الذين خرقوا الحرمات المقدسة، وكل الجرائم والأحكام الجنائية حتى ٩ برمودة العام الثاني والخمسين من حكم الملك «إيرجيتيس الثاني» (= ٢٨ مارس عام ١١٨ق.م).

وهاك بعض ما جاء في هذا المرسوم من مواد هامة:

أولًا: إعلان عفو شامل لكل الجرائم التي ارْتُكِبَتْ في البلاد قبل شهر برمودة من العام الثاني والخمسين، ولا يستثنى من ذلك إلا القتلة ولصوص المعابد.

ثانيًا: الأفراد الذين اشتركوا في النهب وهربوا بسبب ذلك سيُسْمَحُ لهم إذا عادوا إلى وطنهم أن يزاولوا حياتهم التي كانوا عليها من قبل ذلك، وما بقي من أملاكهم لا تستولي عليه الحكومة.

ثالثًا: يُلْغَى كل المتأخر من الضرائب إلا في حالة المزارعين الملكيين الذين يزرعون نصيبهم بمقتضى إيجار وراثي.

رابعًا: النزول عن ديون الحكومة التي كان قد فرضها الحاكم العسكري فيما يتعلق بتوليهم الوظيفة؛ (ومن المحتمل أن كل الموظفين أصحاب المكانة كان عليهم أن يدفعوا مبالغ ضخمة مقابل وظائفهم).[٢٥]

خامسًا: يجب أولًا على محصلي العوائد في الإسكندرية ألا يستولوا على البضائع التي كانت في منطقة «إكزهايرسيس» Exhairesis (وهي التي يمكن أن تُحْضَر إليها السلع دون ضريبة إلى المدينة)، وأية بضاعة محرمة استُولي عليها في «إكزهايرسيس» يجب أن تُوَرَّد إلى إدارة السكرتير المالي، ولن يكون المسافرون على الأقدام من المدينة إلى داخل البلاد عرضة لأي ضريبة يجمعها جباة العوائد، باستثناء العوائد القانونية (يُحْتَمَلُ أن ذلك يعني البضائع التي كانت تُحْمَل على ظهور الحمير والجمال)، ويجب أن تُفْحَص بأيدي مراقبي الضرائب، ولكن البضائع التي يحملها الإنسان على رأسه أو على ظهره أو في يده من الأشياء التي تُوجَد مع الفقراء؛ فإنه يُسْمَحُ أن تمر دون أخذ ضريبة عليها. وعلى أية حال فإن الأفراد الذين يسيرون على الأقدام عليهم أن يدفعوا عوائد عن الأشياء التي تُنْقَلُ بالقوارب من شاطئ لآخر، ولا يُسْتَوْلَى على البضائع التي ترد مهربة إلا عند البوابة التي تؤدي من الميناء إلى المدينة Xenixkon emporion.

سادسًا: في مقدور كل أولئك الذين يملكون أراضيَ فعلًا وكانوا قد استولوا عليها بطريقة غير قانونية في خلال الاضطرابات؛ أن يضموها إلى ملكيتهم بأن ينزلوا أولًا عن الأرض

---

[٢٥] راجع: Grenfell and Hunt, Tebtunis I. p. 33.

لملوكهم، فيدفعون إيجار سنة من المحصول، ثم يتسلمون الأرض ثانية من الملوك بوصفها هبة قانونية. هذا، ولن يُفْرَض عليهم غرامات عن السنين السابقة لسنة ٥٢ الحالية. كما يثبت الوطنيون المصريون الذين استولوا بصورة غير قانونية على أراضٍ من أراضي الجنود المرتزقة، وتصبح هذه الأراضي ملكًا لهم.

سابعًا: تُلغى بعض الخدمات التي كان على الجنود المرتزقة أن يفرضوها على أصحاب الأراضي الذين ذُكِرُوا في الفقرة السابقة.

ثامنًا: تثبت دخول المعابد الفعلية وتصبح ملكها، وكذلك الأراضي التي تديرها المعابد بنفسها فإنها تستمر في إدارتها دون تدخل أي فرد (والواقع أن هذا مشروع وضعه الملك يجب بمقتضاه ألا يتدخل عماله في أمور المعابد).

تاسعًا: تُلْغَى الضرائب المتأخرة على المعابد.

عاشرًا: تُدْفَع مصاريف دفن العجول المقدسة من الخزانة الملكية.

حادي عشر: تثبت ملكية وظائف الكهانة التي اشْتُرِيَتْ من الحكومة.

ثاني عشر: يثبت امتياز اللجوء لتلك المعابد التي تتمتع به.

ثالث عشر: يجب أن تُفْحَصَ المخالفات فيما يخص المكاييل والموازين التي يستعملها محصلو دخل الحكومة النوعي.

رابع عشر: أولئك الذين يزرعون من جديد أرض الكروم أو أرض بساتين الفاكهة التي كانت قد أصبحت بورًا؛ سيملكون هذه الأراضي دون ضرائب لمدة خمس سنوات، أما في السنين الثلاث التي تلي ذلك فيدفعون ضرائب مخففة. أما الأراضي التي تقع في الإقليم المرتبط بالإسكندرية فإن زارعيها يُعْطَوْنَ ثلاثة أعوام أخرى دون ضريبة.

خامس عشر: تبقى الأراضي أو المنازل التي اشْتُرِيَتْ من التاج ملكًا شرعيًّا للمشترين (ويظن المؤرخ «بريسكه» أن المقصود من هذه الفقرة هو أن كلًّا من «إيرجيتيس» و«كليوباترا الثانية» قد اتفقا على تبادل الاعتراف فيما يخص العقود والمعاملات بين جيران كل منهما).

هذا، ويُلحظ أن الأسطر التي أعقبت الفقرة السابقة قد وُجِدَتْ مهشمة من أول السطر ١٠٢ حتى السطر ١٣٣، ولا يمكن استنباط شيء منها يمكن الأخذ به. ثم يأتي بعد ذلك:

سادس عشر: إن أصحاب البيوت التي حُرِقَتْ أو دُمِّرَتْ يمكنهم أن يعيدوا بناءها كما كانت (أي دون استصدار أمر آخر كان يجب أن يُحْصَلَ عليه فيما يتعلق ببناء جديد)، وكذلك المعابد يمكن إعادة بنائها (والمعابد الصغيرة دون شك التي أقامها أفراد أو قرى؛ وذلك لأن الأحزاب المتناحرة كانت على ما يظهر لم تسكت عن هدم مباني بعضها بعضًا)، ولكن على شرط ألا يزيد ارتفاعها عن عشر أذرع، ويُسْتَثْنَى من هذا التنازل بلدة «بانوبوليس» (ولا بد أن هذه البلدة كانت مركز حركة ثورية. ويقترح كل من الأثريين «جرنفل» و«هنت» أن القطعة التي جاءت في «ديدور» وهي التي تتحدث عن «بانوبوليس» بمثابة معقل وطني للثورة في عهد «بطليموس فيلومتور» قد أُسِيء وضعها، وأن الحصار الذي كان قد ضُرِبَ حولها كان قد وقع فعلًا فقط قبل عام ١١٨ق.م بقليل، ولكن المؤرخ مارتن يضع هذا الحادث في عام ١٣٠ق.م،[٢٦] والظاهر أنه يُحتمل أن مكانًا مثل ذلك كان مركزًا للثورة الوطنية في عهد «فيلومتور» وقد ظل مكانًا ملائمًا بمثابة معقل حصين للثوار. ومن المحتمل أن المادة التي حرمت على «بانوبوليس» Panopolis أن تقيم معابد لا يزيد ارتفاعها على خمس عشرة قدمًا قد كانت إجراءً لضمان الأمن لا عقابًا؛ وذلك لأن المباني بالحجر التي تبلغ هذا الارتفاع كان من الممكن استعمالها لحرب الشوارع).

سابع عشر: إن أولئك الذين يعملون مزارعين أو عمال مصانع في خدمة الملك قد أصبحوا محميين من اضطهادات الموظفين مثل الحاكم الحربي للمقاطعة والسكرتير المالي وضباط الشرطة وغيرهم.

ثامن عشر: لا ينبغي لحكام المقاطعات الحربيين وكذلك الموظفين الآخرين أصحاب الرتب العالية أن يستولوا لأنفسهم على أرض جيدة ويزرعوها لا سيما إذا كانت تُزْرَع فعلًا من قبل بوصفها جزءًا من أرض التاج بزراع ملكيين.

---

[٢٦] راجع: V. Martin, Les Epistratèges P. 49.

تاسع عشر: لا ينبغي لطبقات خاصة من الناس أن يوطنوا عندهم جنودًا مرتزقين وهذه الطبقات تشمل: (١) الإغريق الذين يعملون في الجيش. (٢) الكهنة. (٣) الزراع الملكيين. (٤) أولئك الذين يشتغلون ببعض صناعات مُرَخَّص لهم بها بتصاريح من التاج؛ مثل: نساجي الصوف، وصناع النسيج، ورعاة الخنازير، ومربي الإِوَزِّ، وصناع الزيت والجعة، والنحالين. وفي الأماكن التي يكون فيها لأي عضو من الطوائف المذكورة بيت آخر خلافًا للبيت الذي يسكن فيه؛ فإنه يكون للجنود المرتزقين أصحاب الأطيان الحق في أن يسكنوا فيها بشرط ألا يحتلوا أكثر من نصف البيت المذكور.

عشرون: لا ينبغي لحكام المقاطعات الحربيين ولا للموظفين الآخرين أصحاب الوظائف العالية أن يجبروا أي فرد من الناس على أن يشتغل لحسابهم دون أجر.

واحد وعشرون: (هذه الفقرة معناها غامض غير أنه يُفْهَم منها أنها تعفي رجال الشرطة والحرس في كل البلاد من التزامات يمكن أن تُفْرَضَ عليهم بسبب ارتكاب مخالفات حدثت في الماضي).

اثنان وعشرون: تُرْفَعُ الغرامات التي فُرِضَتْ على أولئك الذين لم يؤدوها على حسب القانون، وذلك فيما يخص احتكار الزيت.

ثلاثة وعشرون: تُلْغَى الغرامات التي وقعت على أولئك الذين لم يقوموا بتوريد الحسك والبوص لإصلاح الجسور (جسور النيل).

أربعة وعشرون: تُلْغَى الغرامات التي وقعت على أولئك الذين لم يزرعوا قطع أرضهم على حسب القانون حتى عام ٥١ (من حكم هذا الملك). أما عن عام ٥٢ وما بعده فإن القانون يُطَبَّق.

خمسة وعشرون: تُلْغَى الغرامات التي وقعت على أولئك الذين قطعوا أشجارًا في حوزتهم دون إذن من الحكومة.

ستة وعشرون: (هذه الفقرة تحدد موضوع السلطة القضائية عند الإغريق وعند السكان المصريين. والقانون هنا يحدد أنه في الحالات التي يكون في حزب إغريقي يتنازع مع حزب آخر مصري فإن المسألة يحدد الفصل فيها على حسب اللغة التي دُوِّنَتْ بها الوثائق؛ فإذا كانت الوثائق باللغة الديموطيقية، فإن القضية يُنْظَر فيها أمام قاضٍ مصري؛ ليحكم فيها على حسب القانون المصري، وإذا كانت الوثائق بالإغريقية؛ فإن القضية تُقَدَّم أمام قاضٍ إغريقي Chrematistaie وإذا كان الفريقان المتخاصمان

مصريين فإن القضية يُفْصَل فيها أمام قاضٍ مصري Laokritai وقد تحدثنا عن هذا الموضوع في غير هذا المكان).

سبعة وعشرون: لا ينبغي أن يُحْجَز على أشخاص المزارعين الملكيين، وكذلك العمال الذين يعملون في المعامل التي يكون فيها للتاج مصلحة بسبب دين؛ إذ يمكن الحجز على سلعهم، ولكن ذلك لا يُطبق على الآلات اللازمة لأعمالهم.

ثمانية وعشرون: لا ينبغي أن يُجْبَر عمال النسيج على العمل للموظفين دون أجور مجزية.

تسعة وعشرون: لا يجوز لأي موظف أن يستولي على قوارب لاستعماله الشخصي.

ثلاثون: لا يجوز لأي موظف أن يسجن أي فرد من أجل مخاصمة شخصية أو من أجل دين له. وإذا كان لديه أية تهمة يوجهها لأي شخص فعليه أن يرفع دعواه أمام المحكمة المختصة.[٢٧]

هذه هي مواد مرسوم العفو الشامل الذي أصدره «بطليموس السابع» وشريكتاه في الملك «كليوباترا الثانية» أخته و«كليوباترا الثالثة» زوجه. ومن بين سطوره نفهم ما كانت عليه حالة البلاد من الناحيتين القضائية والإدارية، ولحسن الحظ لدينا قضية عن ملكية وقعت أطوارها في عهد هذا الملك، وتُعْتَبَر في الواقع المصدر الأصلي للمعلومات الخاصة بالنظام القانوني في عهد البطالمة بوجه عام. ومن أجل ذلك كان لزامًا علينا أن نذكر شيئًا عن هذه القضية الفذة في بابها، وأعني بذلك قضية «هرمياس».

(٦-٢) قضية هرمياس وأطوارها

الواقع أن القليل الذي نعرفه عن الاتجاه الذي كان يُتخذ في المحكمة أمام القضاة الإغريق والتعابير الخاصة بسلطتهم القضائية فيما يتعلق بسلطة الموظفين الإغريق؛ نحن مدينون به لملف قضية «هرمياس»، تلك القضية التي رفعها الأخير على بعض حانوتي «طيبة». وهذه القضية يمكن تتبع خطواتها مدة عشر سنين؛ أي من السنة الرابعة والأربعين حتى

[٢٧] راجع: Tebtunis I, No. 5.

السنة الرابعة والخمسين من حكم الملك «بطليموس إيرجيتيس الثاني البطين» (١٢٥–١١٧ق.م)، وفي خلال تلك المدة نشاهد كل مصادر هذه القضية الشهيرة والأوراق الخاصة بها قد حُرِّرَت باللغتين الديموطيقية والإغريقية. وقد عُثِرَ عليها جميعًا في حجرة حوالي عام ١٨٢٠ ميلادية. ولما كانت هذه البرديات قد بِيعت على مرات، كما هي العادة في مثل هذه الأحوال التي تباع فيها الآثار خلسة إذا لم تأت عن طريق حفائر منظمة؛ ومن ثم أصبحت مبعثرة في متاحف أوروبا. والغريب أن فحص كل أوراق هذه القضية لم ينته بعد.[٢٨]

والواقع أننا لم نجد في مجاميع أوراق البردي التي كشفت عنها أعمال الحفر مجموعة مثلها من الأوراق تضع أمامنا قضية كاملة متصلة الحلقات تبحث في موضوع قضائي يقدم لنا معلومات محسة عن موضوعات لا نعرف عنها إلا القليل فيما يخص مجلس المحكمين والموظفين، كما تكشف لنا الإجراءات الملتوية في القضايا المدنية.

وسنحاول هنا أن نقدم تحليلًا موجزًا عن تقلبات هذه القضية، ولأجل أن نصل إلى ذلك لا بد أن نرجع إلى الوراء من الناحية التاريخية؛ لنربط خيوط هذه القضية بما كان يجري قبل وقوعها.

فالظاهر أنه في بداية عهد الملك «بطليموس الخامس» كان إقليم «طيبة» — كما نوهنا عن ذلك من قبل — في ثورة عارمة، وكان جنود الملك قد اكتسحوا العدو نحو الحدود الأثيوبية. يُضاف إلى ذلك أن الأجانب من مقدونيين وإغريق وفرس قد عوملوا معاملة سيئة وطُرِدوا. ومن بين هؤلاء كان فارسيٌّ يُدْعَى «بطليموس»، وكان متزوجًا من حفيدة فرد يُدْعَى «هرمون بن هرمياس»، وكان «بطليموس» هذا يعمل في حامية بـ«طيبة»، وكان عليه أن يترك بيته والحرم الخاص به في «طيبة» لرئيس زوجه. ونجده بعد ذلك لم يهتم بالعودة إلى سكنى بيته هذا الذي نُهِبَ وأصبح خرابًا. ومن المحتمل أن «بطليموس» هذا قد استوطن هو وزوجه في «أمبوس»؛ حيث نجد ثانية أن ابنه «هرمياس» يعمل ضابط فرسان في الحامية المصرية هناك.

وقد مرت السنون دون أن يعلن «بطليموس» هذا ملكيته للبيت وحرمه؛ ومن أجل ذلك ظن أولاد عم «بطليموس» أنه في مقدورهم والحالة هكذا أن يقسموا هذا البيت وحرمه؛

---

[٢٨] راجع: Revillout, Le Procès d’Hermias d’après les Sources Dématiques et Grecs. Paris, I, 1884, II, 1906, 210. PP. 4. (Traduction du Pap. Taur., I PP. 183–194.).

لأنه ليس له صاحب، وقد حدثت فعلًا تقسيمات وبيوع قام بها أولاد الذين استولوا على البيت وأحفادهم؛ مما جعل عدد ملاكه يختلف من جيل لجيل. وأخيرًا بعد أن قُسم هذا الإرث إلى أجزاء بِيع على التوالي بالتجزئة إلى أسرة حانوتيين. وبعد أن أصبحت هذه الأسرة الأخيرة هي المالكة لكل أرض البيت وحرمه أو ما يقرب من ذلك بنى أفرادها البيت من جديد ووضعوا فيه أدواتهم. وفي أثناء ذلك عرف المدعو «هرمياس» بن «بطليموس» متأخرًا أنه قد وقع تصرف بهذه الصورة في متاعه. ونجده قد أفلح في إلغاء أحد البيوع الذي كان قد تم مؤخرًا، وهو البيع الذي كان قد عقده «أبوللونيوس» بن «داموت» لكاهن «آمون» المسمى «هرمياس» بن «نحمنيس» ووضع يده بذلك على قطعة أرض من البيت المتنازع عليه تبلغ مساحتها عشرين ذراعًا، وهي التي كان يملكها «أبوللونيوس».

ولكنه لأجل أن يصل إلى ذلك لجأ إلى القضاء، وحصل على شهادة من كاتب الملك، وذلك بمقتضى تقارير قدمها لكاتب المركز وكاتب القرية للإقليم، وقد اعترفا فيها بأن الأرض المتنازع عليها كانت مسجلة في سجل المساحة باسم «هرمون» بن «هرمياس» جد أم «هرمياس» المدعي. غير أنه لم يَدَّعِ آنئذ أكثر من ذلك؛ ويُحتمَل أن ذلك يرجع إلى أنه قد فطن في خلال سير القضية إلى أنه قد يكون من الصعب عليه أن يطرد من البيت الحانوتية الذين كان بأيديهم مستندات كان يجب عليه أن يفترض صحتها.

غير أنه ظهر أحد أقارب «هرمياس» وكان أشد منه مراسًا وعزيمة؛ وتفسير ذلك أنه في عام ٤٤ من حكم الملك «إيرجيتيس الثاني» (عام ١٢٧–١٢٦ق.م) ظهر فارس من الجنود المرتزقين في حامية «طيبة» يُدعى «أبوللونيوس» واسمه بالمصرية «بسمونت» Psmont بن «هرمياس» الذي يُسمى بالمصرية «بتينبهوت» Petenephot وأمه هي «لوبايس» Lobais، وقد تنبه «أبوللونيوس» هذا إلى أنه وارث المرحوم والده، وعلى ذلك لا بد أن يكون بذلك الوارث على أقل من نصف (٧ / ١٦) من هذا البيت الذي يحتله الحانوتية.

وقد ذهب بناء على ذلك في شهر توت عام ٤٤ من حكم «إيرجيتيس البطين» (أي عام ١٢٧ق.م) يطالب أولئك المعتدين بحقه، فأجابوه بالسب والضرب. وقد كان من جراء هذا الدرس الذي تلقاه عمليًّا من أيدي المعتدين أن أصبح في حيرة من أمره مدة عشرة أشهر. وأخيرًا قرر أن يكتب شكاية للملك، وكان ذلك في أبيب عام ٤٤ (يوليو–أغسطس عام ١٢٦ق.م)، وقد أشار في شكايته إلى أنه يرغب في أن يحيله الملك إلى قضاة أكفاء من الذين يقومون بالفصل في القضايا في كل إقليم «طيبة». وفي هذه اللحظة بالذات كان القضاة الإغريق يعقدون جلسة أو في طريقهم إلى ذلك في مدينة «بطليمايس»، وكان

«أبوللونيوس» قد وضع شكايته هناك في صندوق الرسائل الخاص بهذه المدينة. ومن المحتمل أنه كان يقصد بذلك أن يكون المحكمون قد ابتعدوا عن «طيبة» لأجل أن يفاجئ الحانوتية بأن يفرض عليهم إجراءات مستعجلة، وذلك بأن يكلفهم مشقة الانتقال الذي كان متعبًا لحضور الجلسة، كما كان يرمي في الوقت نفسه إلى إدخال الرعب في قلوبهم بأن يشعرهم بأن المسئولية القانونية تحتم بأنه سيكون في استطاعته أن يقدم شكوى أخرى يطلب فيها معاقبتهم على ضربهم له، وإحداث جروح في جسمه.

غير أن الحانوتية لم يجبنوا أمام تهديداته؛ إذ قد جمعوا معلوماتهم، وواجهوا بها «أبوللونيوس» بقوةٍ لدرجة أنه تخلى عن شكواه تمامًا. ويُحتمَل أن ذلك قد حدث بسبب بعض هدايا صغيرة قُدِّمَتْ له، وكان ذلك في الشهر التالي ٢٥ مسرى من عام ٤٤ من حكم الملك (= ١٣ سبتمبر سنة ١٢٦ق.م) أمام «هيراكليديس» الخبير الزراعي في منطقة طيبة. على أنه قد كان ممكنًا أن يكون أكثر مهارة إذا واجه القضية، وأفحم هذا الخصم الأول، وذلك بدلًا من جعله يسحب شكواه كأنه كان يخاف أن تُوضَع حقوقه تحت الفحص بوساطة قاضٍ.

ومن أجل ذلك نجد أن القائد «هرمياس بن بطليموس» وهو فارسي الأصل جدد القضية لحسابه وتابعها بكل حماس مدة عشر سنوات. ويتساءل الإنسان هل كان «هرمياس» هذا مقتنعًا بصحة حقه الذي تركه ساقطًا بسبب إهماله لمدة أربعين عامًا، أو أنه كان يأمل في أن يجعل الحانوتية يقررون بأن يشتروا السلام؟ والواقع أن هذا هو ما لا يمكن الإجابة عليه. وعلى أية حال كان «هرمياس» هذا يأتي من «أومبوس» إلى «طيبة» في خلال العام الأربعين كأنه رجل قد أُخْبِرَ حديثًا بأن بيته — وهو بيت والده الموروث عن الأسرة — قد احتله دون حق الحانوتية «حور» و«بزنخونسيس» و«خنوبريس» Chonopres وزوجاتهم، وهؤلاء كانوا يَدَّعُون حق ملكية البيت؛ لأنهم اشتروه من «لوبايس» Lobais ابنة «إريوس» Erieus. هذا، ونجد أن «هرمياس» بدلًا من أن يقاضي هؤلاء الحانوتية هاجم «لوبايس»، وهي — كما سنرى بعد — لم تكن إلا واحدة من الأفراد المسئولين بالنسبة للمشترين، وقد كانت الطريقة القانونية المثلى — كما قال محامي الحانوتية — هي أنه كان عليه أن يذكر أمام القضاء الملاك الأصليين الذين لهم الحق وحدهم في أن يدعوا بصفة ضامنين للبائعين. هذا، وقد وضع «هرمياس» شكوى في «طيبة» نفسها في الصندوق الخاص بالشكاوى بعنوان قاضي منطقة «طيبة» التي كان

يرأسها «ديونيسوس». وقد أُعْلِن الطرفان لحضور جلسة شهر بشنس (مايو-يونيو عام ١٢٥ق.م). وفي الجلسة اعترفت «لوبايس» بأنه لم يكن لها أبدًا حق ملكية في هذا البيت المتنازع عليه. وهذا الاعتراف هو الذي ثبت على الأقل حق ادعاء «هرمياس». من المحتمل أن «لوبايس» قد أعلنت أنها غير مسئولة أمام المدعي، أو أنه لم يكن في مقدورها أن تبرز في الحال مستندات كانت مشتبكة في عدد من التغيرات والتبديلات التي حدثت قبل هذا الوقت مثل عقود القسمة والبيع التي عملت بالتجزئة. وإن القضاة رأوا على أثر ذلك أنه ليس لديهم معلومات كافية؛ ولذلك فإنهم أَجَّلُوا النظر في القضية.

ومهما يكن من أمر فقد ظهر أن القضية قد رُتبت أو على الأقل هذا ما تظاهر به «هرمياس». وبعد ذلك عاد إلى «أومبوس»، ولكنه في العام التالي أُخبر بأن الحانوتية كانوا لا يزالون يحتلون البيت، وأنهم هيأوه لصناعتهم الدنسة،[٢٩] وقد أكد أن هذا البيت الذي أقاموا فيه هذه الصناعة الدنسة (التحنيط) يجاور محرابي الإلهة «هيراو» Hera (وهي الإلهة «موت» عند المصريين) والإلهة دميتر Demeter (= إزيس)، وهاتان الإلهتان تفزعان من الجثث، وأخيرًا وجد المدعي في ذلك البرهان الذي سيقدمه منذ الآن بعناد؛ وذلك على الرغم من كل التفنيدات؛ وهي أن قواعد الصحة العامة تحرم على الحانوتية أن يمارسوا حرفتهم أو حتى يسكنوا على الشاطئ الأيمن للنيل، وأنه يجب عليهم ألا يتعدوا مع عملائهم الموتى موقع «مومنيا» الكائن على الشاطئ الأيسر للنيل، وذلك مثل المحنطين الذين يريد أن يخلطهم بهم. ومعروف دون شك أن الحانوتية كانوا يمارسون في «طيبة» نفسها مهنة كَهَنِيَّة، وأنهم هم الذين كانوا يقومون بقيادة الموكب السنوي العظيم الذي كان ينقل قارب آمون إلى الضفة الأخرى للنيل ثم يعود بالإله «آمون» إلى معبده بعد انقضاء بضعة أيام، وأن هذه الرحلة الرمزية في النيل تؤلف جزءًا من المواكب الجنازية للعملاء (الزبائن) الذين يقودون لهم جنازهم. وأخيرًا لم يكن في مقدوره أن يخفي ضعف هذه الطريقة لإثبات حقه، وبعد أن برهن على أن الحانوتية قد استعملوا البيت لغرض منكر فإنه لم يبرهن في الوقت نفسه على أنه هو المالك الشرعي له.

وعلى أية حال نجد أن «هرمياس» لم يفكر بعد ذلك في أن يلجأ إلى القضاة الذين كان يعتقد أنهم معنتون متزمتون أكثر مما يجب. ولما عاد إلى «طيبة» قدم في عام ٤٦ مذكرة

[٢٩] صناعة التحنيط.

إلى الحاكم العسكري «هرمياس» الذي كان ينتظر أن يكون في صفه لبعض أسباب لا نعرفها على وجه التأكيد. غير أن الحانوتية لم يجيبوا على الادعاء الذي وُجِّهَ إليهم، ومن ثم أخذوا يماطلون ويسوفون القضية، وعلى ذلك لما ثبطت همة «هرمياس» بهذه الكيفية لزم الصمت مدة ثلاثة أعوام في حامية «أمبوس»، وفي نهاية العام التاسع والأربعين (١٢١ق.م) سنحت له فرصة حسبها أنها فرصة منقطعة النظير في صالحه؛ وذلك أن الحاكم العسكري الذي كان على ما يظهر في أغلب الأحيان يقوم بجولات في المقاطعتين أو ثلاث المقاطعات التي كانت تحت سيطرته قد حضر إلى «طيبة»، فأسرع «هرمياس» إلى مقابلته في شهر مسرى (أغسطس–سبتمبر عام ١٢١ق.م) ومن ثم توصل إلى أن يجعل الحاكم العسكري يعمل كل ما لديه من سلطان في موضوع قضيته، ولكن لما كان خصومه غائبين فإنه أمر «هرموجين» الذي كان يعمل معه قائدًا في هذه الفترة بأن يسلمه البيت، غير أنه على أثر سفره ثانية من «أومبوس» شوهد أنهم قد اندفعوا إلى البيت الذي كانوا لا يزالون يسكنون فيه حتى الآن وكأنهم سيل العرم. والواقع أن الحانوتية لم يهتموا إلا قليلًا جدًّا بدسائسهم الباطلة التي كانوا يأتونها فيما بينهم في تلك الخطة، وهي التي كانت تنحصر في أعمال تقسيم وبيع هذه الملكية المتنازع عليها، وكذلك عمل ترتيبات كان من نتائجها أن أصبح «حور» هو المالك الرئيسي للبيت المتنازع عليه من بين الحانوتية.

وفي هذه الأثناء نجد أن «هرمياس» أخذ ينكر هذه الطرق الملتوية التي كان يقوم بها خصومه، وقرر أن يضع قضيته أمام المجلس الأعلى القانوني الذي يشرف عليه قائد القوة الحربية لكل المقاطعة. ففي شهر أمشير من العام الخمسين من حكم «بطليموس السابع» (= فبراير–مارس ١٢٠ق.م) قدم «هرمياس» مذكرة إلى «هيراكليديس» الذي كان من بين رؤساء الحرس ورئيس الخيالة والحاكم العسكري لكل قوات منطقة «طيبة»، وقد استعرض فيها مظلمته وما اتخذ من تصرفات في القضية من قبل، وعلى أثر ذلك أمر «هيراكليديس» بإعلان الحانوتية بالحضور على يد المحضر «أرتيميدوروس»، غير أن الحانوتية ظلوا مثابرين على خطتهم في المماطلة؛ فقد تسلموا نسخة من الإعلان، ولكنهم لم يحضروا أمام الحاكم العسكري. ولما لم يحضروا ظن «هرمياس» أنه بعدم حضورهم يخدعونه لترك البيت لهم كما كانت الحال من قبل. ولكن من المحتمل أن الحانوتية كانوا يعرفون أن «هيراكليديس» سيرحل من هذه المنطقة، وأنه سيحل محله آخر في القريب العاجل، وبذلك فإن طلب حضورهم سيسقط من تلقاء نفسه. غير أن «هرمياس» كان قد فطن لذلك فقدم تظلمًا جديدًا لخلف «هيراكليديس» وهو قائد

جنود المقاطعة المسمى «بطليموس»، وكان يحمل لقب «السمير الوحيد وقائد الفرسان»، وأخيرًا تولى هذا القائد قضية «هرمياس» بصفة جدية؛ ففي الثامن من شهر بئونة عام ٥١ (= ٢٦ يونيو عام ١١٩ق.م) عقد «بطليموس» جلسة في المحكمة يساعده فيها «بطليموس» بن «أجاتاركوس» و«إريني» ابن «إريني» ويحمل نفسه الرتبة التي يحملها الرئيس و«أمونيوس» Ammonios الفارسي و«سيسوسيس» Sesoosis العقيد وغيرهم من القضاة. ثم فُتِحَت الجلسة. وقد حفظت لنا بردية موجودة بمتحف اللوفر التحقيق الذي جرى في هذه الجلسة. هذا، ولم يتخلف الحانوتية هذه المرة، فقد حضر «حور» وشركاؤه ومعهم محاميهم المسمى «دينون». ولم يكن «هرمياس» في حاجة إلى الكلام؛ إذ قرأ أمام أعضاء المحكمة المذكرة التي أودع فيها كل مظلمته، وقد وردت منها نسخة في المحضر، وقد جاء فيها كيف أن «حور» و«بنسخونيس» و«باناس» وزوجاتهم قد أفادوا مما أجبره عليه سوء طالعه، وهو نقل مسكنه إلى مكان آخر مما أدى إلى اجتياح بيته بالقوة الغاشمة، وهو الذي كان قد ورثه عن أجداده، ومن ثم أصبح هؤلاء الحانوتية يتصرفون فيه على حسب أهوائهم. وقد حاول مرات عدة استرداده ولكن دون جدوى، وها هو ذا الوقت قد حان أخيرًا لطرد المعتدين الذين تجاسروا على إحضار جثث موتى في مسكنه الذي اغتصبوه منه ظلمًا وعدوانًا.

على أن محامي الحانوتية لم يجد كبير عناء في هدم ما أقامه المدعي «هرمياس» من حجج؛ فقد طلب إلى «هرمياس» — إذا كان في استطاعته — أن يقدم بعض براهين تثبت أن هذا البيت المتنازع عليه كان فعلًا إرثًا جاء إليه عن أجداده، وعندما اعترف «هرمياس» بأنه ليس لديه أية حجة فإنه بذلك قد أظهر أنه كان يلف عبثًا حول «حور» وشركائه لأجل أن يخيفهم ويقودهم إلى الخسران. وقد اقتبس المحامي «دينون» الإجراءات القانونية التي عُمِلَت أخيرًا بين الحانوتية بعضهم بعضًا، وفضلًا عن ذلك ذكر مرسوم العفو الشامل الذي أصدره الملك «بطليموس السابع» وهو الذي بمقتضى مواده يمكن الاستيلاء على البيت حتى دون وجود مستندات في حوزة الحانوتية. وأخيرًا أربك محامي الحانوتية المدعيَ التعس بإحراجه، وذلك بأن طلب إليه أن يبرهن بأية وسيلة من الوسائل على أن أحدًا من أقاربه أو هو نفسه قد سكن أبدًا في «طيبة» أو أن هذا البيت موضع النزاع هو ملك لأسرته. ولما لم يكن في استطاعته الجواب على ذلك؛ فقد اسْتُنْبِطَ دون أي شك أنه قد ألف شكوى من قبيل التمحيك والإعنات الكاذب، وعلى ذلك فإن القائد «بطليموس» أصدر حكمًا مخيبًا لادعاءات «هرمياس»؛ وفي الوقت نفسه جاء الحكم مثبتًا لحق «حور»

ورفاقه في ملكية البيت المتنازع عليه. ومن البدهي أنه إذا كان الحكم الذي أصدره القائد هو حكم يجب نفاذه فإنه بمقتضاه كان لزامًا على «هرمياس» أن يفض قضيته؛ غير أنه كان من المفهوم أن «هرمياس» كان يريد بوضع قضيته أمام القائد بوصفه محكمًا لا قاضيًا ليفصل في مسألته، ومن أجل ذلك كان له أن يحتفظ لنفسه بحق المعارضة في هذا الحكم إذا لم يكن في صالحه.

وعلى أية حال نجد أن «هرمياس» لم يظهر بعد هذا الحكم بمظهر المغلوب؛ إذ نراه بعد ذلك يعود ثانية — كما كانت الحال من قبل — إلى كبار الموظفين الذين يمكنهم أن يثيروا قضيته من جديد ويستعملوا سلطانهم التنفيذي؛ لأجل أن يجعلوا هؤلاء الحانوتية يفرون من البيت المتنازع عليه. وقد سنحت له فرصة؛ وذلك أنه في شهر أمشير عام ٥٣ (= فبراير–مارس ١١٧ق.م) انتهز «هرمياس» فرصة مرور القائد الأعلى «ديمتريوس» لإقليم «طيبة» بهذه المدينة فوضع بين يديه شكايته، غير أن «ديمتريوس» هذا أمر بإحضار الحانوتية، ولكنهم على حسب عادتهم لم يحضروا. ولما لم يكن لدى القائد «ديمتريوس» الوقت للفصل في قضيته أعاد إليه شكايته بالبريد، ولما عاد «هرمياس» إلى بيته وجد أن شكايته قد رُدَّتْ إليه. فأهاجه ذلك، ولكنه في الشهر التالي (مارس–أبريل) ذهب بها إلى «لاتوبوليس» (إسنا) حيث كان يوجد وقتئذ الحاكم العسكري «هرمياس». وتدل شواهد الأحوال على أن الحاكم العسكري قد كتب إلى القائد «بطليموس» ليرسل إليه الحانوتية المتهمين، وقد كان «هرمياس» يأمل من وراء ذلك أن يكبد خصومه مشقة سفر متعب، ولكن أمله لم يُحَقَّق إلا فترة وجيزة. والواقع أن القائد العسكري كان يعرف دون أي شك كيف يستطيع أن يقف أمام هذا الحماس المصطنع من جانب رئيسه، يُضاف إلى ذلك أنه كان لا بد قد تكدر عندما رأى إعادة بحث شكاية كان قد حكم فيها، وبالاختصار فإن هذا القائد لم يحرك ساكنًا في هذا الأمر. وبعد انقضاء ثلاثة أشهر على ذلك؛ أي في شهر (يونيو–يوليو) كان قد زار الحاكم العسكري للمقاطعة المسمى «هرمياس» وكذلك القائد «ديمتريوس» مدينة «طيبة»، وذلك بمناسبة الاحتفال بموكب الإله الأعظم جدًّا «آمون»، وكان «هرمياس» هناك، فقدم للحاكم العسكري نسخة من المذكرة التي كان قد علق عليها من قبل، وهي التي كان قد قدمها «هرمياس» له في «إسنا»، وعلى ذلك نجد أن الحاكم العسكري فهم أن هذا الرجل اللحوح قد بدأ يتعبه من جديد؛ ومن أجل ذلك أمر بإحضار الحانوتية، غير أنهم بدورهم قد أصموا آذانهم لطلبه كما هي العادة ولم يحضروا، وعلى ذلك ركب سفينته، وعاد ثانية إلى المقاطعات الجنوبية، وقد كان في صحبته الشاكي المخدوع.

وفي هذه الأثناء لم يتطرق اليأس مع ذلك إلى نفس «هرمياس»، والواقع أن الحانوتية — كما يظهر — قد خالفوا أوامر رجال السلطة الذين كان في وسعهم في نهاية الأمر أن يحاسبوهم بسبب موقفهم الوقح، وكان «هرمياس» يعلم أن القائد «بطليموس» الذي كان قد خيب أمله في قضيته منذ عامين مَضَيَا قد حل محله القائد «هيراكليديس»، وها نحن أولاء نجد أن «هرمياس» قد قام بمخاطرة أخرى؛ فقدم مذكرة جديدة للقائد «هرمياس» ذكر فيها كل الإجراءات التي عملها منذ عشرة أعوام، وبطبيعة الحال لم يذكر الحكم الذي أصدره هذا القائد في غير صالحه عام ٥١، وقد أبرز في مذكرته عناد الحانوتية في ادعائهم، وطلب «هرمياس» هذه المرة وضع قضيته أمام المجلس الأعلى الذي كان يرأسه القائد «هيراكليديس»، وعلى ذلك سلم الحاكم العسكري للمقاطعة الوثيقة التي قدمها «هرمياس» بتاريخ ٢١ بابه عام ٥٤ (= ١٠ نوفمبر عام ١١٧ق.م) إلى «هيراكليديس» الذي كان يحمل لقب رئيس الحرس والقائد الأعلى في إقليم «طيبة»، والمشرف على دخل المقاطعة.

هذا، وقد فُتِحَتِ الجلسة للمناقشة أمام هذا الرجل العظيم الذي كان يساعده آخرون من أصحاب الرتب، وهم: «بطليموس» رئيس الحرس، و«هيراكليديس» آخر يحمل كذلك لقب رئيس الحرس، «أبوللونيوس» و«هرموجين» ويحمل كل منهما لقب السمير، و«بانكراتوس» Pancratos ويحمل لقب قائد الفرسان، و«بانيسكوس» Paniscos وآخرون كثيرون، وقد ترافع محامي كل من الطرفين المتخاصمين؛ فترافع «فيلوكيس» عن «هرمياس» كما ترافع «دينون» عن الحانوتية.

هذا، ونعرف المناقشات، وكذلك الوثائق المتعلقة بهذه القضية، والأدلة التي أثيرت على حسب القوانين والسوابق؛ من الملخص الذي وضعه الرئيس «هيراكليديس» وهو الذي وجهه لمساعديه، وهو ملخص يشمل الأشياء المنتظرة، والبواعث للحكم الذي كونه.

وقد رأينا فيما سبق من مناقشات عام ٥٠ أن «هرمياس» لم يكن لديه مستند يثبت ملكيته للبيت المتنازع عليه، وهو الذي يقول عنه إنه ورثه عن والده، في حين أن خصومه قد قدموا تراجم باللغة الإغريقية لعقد بيع حُرِّرَ باللغة الديموطيقية يرجع عهده إلى ما قبل قيام هذه القضية، ويثبت أن البيت الذي عليه النزاع — ويدعي «هرمياس» ملكيته — كان قد اشتراه آباء المُدَّعَى عليهم على دفعات. ولما لم تكن لدى «فيلوكليس» محامي «هرمياس» حجج مقنعة فإنه جنح إلى المعارضة في قيمة الوثائق التي قُدِّمَتْ للمحكمة، وقال بأنها لا قيمة لها من وجهة القانون المصري من جهة أنها لم تُسَجَّل بمقتضى

القانون الإغريقي في الماضي. وأخيرًا طلب تطبيق القواعد التي تحتم إبعاد الصناعات القذرة التي يقوم بها المحنطون على الحانوتية المغتصبين للبيت، وبمقتضى هذه القواعد يصبح الحانوتية غير قادرين على الحصول على بيت «هرمياس» بالشراء أو بالاحتلال مدة طويلة، وقد اقتبس — لتبرير دعواه — أحكامًا قضائية خاصة مشفوعة بحجج مكتوبة مقدمة من كهنة «آمون»، بتقارير ورسائل من كتبة المراكز وحكام المقاطعات، وكل هذه سوابق تثبت أن الحانوتية يجب أن يُطْرَدوا ويُغَرَّمُوا على يدي الرئيس دون محاباة.

أما محامي الحانوتية «دينون» فإنه حلل دفاعه بطريقة مفصلة بعض الشيء؛ إذ نجده قد دحض اعتراضات الخصم نقطة فنقطة، والواقع أنه كان قد درس تمامًا ملف القضية، وذلك لأنه كان قد ترافع من قبل عن الحانوتية أمام القائد «بطليموس»، وقد أظهر «دينون» أنه منذ اليوم الذي غادر فيه والد «هرمياس» طيبة؛ أي منذ بداية حكم «بطليموس الخامس» مع جنود آخرين ليستوطنوا الوجه القبلي، أي منذ ثمانٍ وثمانين سنة؛ فإنه لا هو ولا ابنه «هرمياس» قد سكن البيت المتنازع عليه. يُضاف إلى ذلك أن هذا البيت المذكور كان فعلًا في يد ملاك آخرين، وهو البيت الذي اشتراه الحانوتية في العام الثامن والعشرين من حكم الملك «بطليموس السادس» (عام ١٤٣–١٤٢ق.م) أي قبل رفع الدعوى الحالية بسبع وثلاثين سنة، وأن الحانوتية قد تمتعوا بملكية هذا البيت طوال هذه المدة دون معارض، وأن عقود البيع قد أصبحت لا قيمة لها؛ وذلك لأن مدة الملكية الطويلة هذه قد أكدت الملكية، وأسقطت كل حق. وعلى أية حال فإنه ليس هناك حاجة إلى الرجوع إلى هذه الحجة الأخيرة بالنسبة لموكليه؛ وذلك لأن عقود البيع كانت قانونية بسبب أنها قد استوفت شروط نقل الملكية لإدارة الضرائب على البيوع.

أما من حيث مستندات البائعين؛ فليس هناك ما يدعو للبحث عنها مع وجود مرسوم العفو الشامل (وهو الذي أوردنا فقراته فيما سبق)، وفضلًا عن ذلك يوجد حق الملكية بطول حق الاستعمال الذي نظم فيما سبق موقف الملاك الذين ليس لديهم مستندات، كما أعفى هؤلاء من تقديم براهين مدونة تثبت حقوقهم، و«هرمياس» لم يقدم أي مستند، وإذا كان هذا البيت إرثًا فقد كان من الواجب عليه أن يقوم بتسجيل مستنداته ويدفع الضرائب، وبسبب أنه لم يفعل ذلك فإنه سيكون ملزمًا بوساطة هذا الرئيس أن يدفع غرامة قدرها ألف درخمة مع سقوط حقوقه. وأخيرًا فإن التأخيرات التي مُنِحَتْ لاسترداد الحقوق المغتصبة كان لا يمكن أن تستمر أكثر من ثلاث سنوات على أكثر تقدير، وذلك لأولئك الذين لهم حق، والواقع أن لا «هرمياس» ولا والده قد احتج أبدًا على اغتصاب هذا البيت.

هذا، وقد امتدت القضية حتى ٢٢ هاتور عام ٥٤ من حكم الملك «بطليموس السابع» (= ١١ ديسمبر ١١٧ق.م)، يُضاف إلى ذلك أنه لما كان القائد «هيراكليديس» قد صادق على الحكم الذي حكم به سلفه «بطليموس» فإنه بناء على ذلك قد أصدر الحكم التالي: «نحن نأمر «هرمياس» بأن يتخلى عن أعمال العنف، وكذلك أمرنا «حور» ورفاقه بأن يستمروا في ملكية البيت الذي كان في أيديهم من قبل.»

وقد فهم «هرمياس» هذه المرة أنه لا فائدة من القيام بملابسات فيما يخص قيمة الحكم أو أن يحتج بعدم اختصاص الذين أصدروا الحكم. والواقع أنه لم يعتمد في تقديم شكايته إلا على ثقته بالحكام ولطفهم معه، غير أن هؤلاء قد ساءهم إلحاحه في رد أحكامهم. ولقد كان من البدهي أنه منذ ذلك الوقت لن يعطيه أي قائد أو أي حاكم عسكري أي حق أكثر من الحق الذي كانت البراهين العدة تشهد به.

ومما تجدر ملاحظته هنا عن القضاة الإغريق في هذه القضية أنهم لم يظهروا إلا في الذيل، والواقع أنهم كانوا حكامًا يميلون إلى التساهل في حقوقهم، ويمكن القول أنهم كانوا محكمين قد تركوا كل شيء عن طيب خاطر لرجال السلطة الإدارية الذين كان قد وُكِّل إليهم أمر العناية بترتيب الأمور التي كانوا قد أعطوا رأيهم فيها.

والواقع أن «هرمياس» لم يتجه إليهم بشكواه إلا مرة واحدة؛ وذلك عندما أراد أن يجعل القانون في جانبه. وفي نهاية الأمر نجد أنه قد صُدَّ عن ادعاءاته بما حكم به قائد كل قوات المقاطعة. ولا نزاع في أن هذا الإجراء المرتبك الذي سارت فيه هذه القضية قد أدى إلى نتائج لم يكن في الاستطاعة بموجبها عمل توفيق بين الفريقين المتخاصمين.

وذلك أنه إذا كانت محكمة القضاة الإغريق تُعتَبَر محكمة استئناف فلماذا لم يلجأ إليها «هرمياس» في أول الأمر منذ بداية النزاع؟ ومن جهة أخرى نجد أن «هرمياس» عندما رُدَّتْ دعواه في المرة الأولى بحكم القائد «بطليموس» التجأ إلى القيام بمناورات كان الغرض البين منها هو إلغاء الحكم السابق. وعلى أية حال نجد من الغريب أن أصحاب السلطة يسلمون له بذلك، ويتركونه يعارض في صحة الحكم القانوني الذي نطق به أعضاء محكمة نظامية. وحقيقة الأمر أن تحيزهم لم يكن فوق الشك؛ ففي بادئ الأمر تدخل حاكم المقاطعة العسكري المَدْعُو «هرمياس» لحظة وجعل الحانوتية يفرون، ومن الجائز أنه كان يوهم بأنه ينفذ قرار القضاة الإغريق الذي فسره ضابط يُوثَقُ بكلامه، ولكن كيف حدث فيما بعد أنه لا هو ولا القائد الأعلى لم يعارض الشكاوى الملحة التي قدمها «هرمياس» بأنها مخالفة للقانون؟ فهل السبب الوحيد في ذلك هو المجاملة أو لأجل

ألا يكون هناك جحود نحو مواطن إغريقي يناضل مصريين بائسين، وأن كلًّا منهما كان يظهر بمظهر الغيور على منفعته مع إصرار كل منهما في قرارة نفسه على ألا يعمل شيئًا مخالفًا للقانون؟

وخلاصة القول: أن هذا الإجراء الملتوي الذي اتُّبِعَ في هذه القضية لا يقدم لنا فكرة رفيعة عن النظام القضائي في مصر في خلال القرن الثاني قبل الميلاد، كما إنه لا يمدنا كذلك بقدر ما كنا نأمل عن العلاقات الخاصة بين القضاة الإغريق وبين القضاة المصريين والموظفين — الحكام العسكريين وقواد جيش المقاطعة — وهؤلاء هم الممثلون القضائيون الذين كان في مقدورهم أن يفصلوا في قضايا الناس.

والواقع أن ما نستنبطه بوضوح من قضية «هرمياس» هو أنه في إقليم «طيبة» الذي كان لا أكثر ولا أقل يُعْتَبَر إقليمًا محكومًا حكمًا عسكريًّا، ومن ثم على ما يظهر كان في حالة حصار مستمرة، كان عمل القضاة فيه ينحصر في أنهم كانوا يعملون بمثابة رجال فتاوى قانونية، في حين أن الأحكام التنفيذية كان يصدرها القائد الحربي للمقاطعة ومعه مساعده. وعلى أية حال نستطيع أن نفهم بعد سرد قصة هذه القضية وما فيها من ملابسات وتحايل على القضاء أن المرسوم الذي وضعه «إيرجيتيس الثاني» و«كليوباترا الثانية» و«كليوباترا الثالثة» بالعفو عن الكثير من الأشياء التي كان يئن تحت عبئها أفراد الشعب قد أفاد الحانوتية الذين كانوا من أصل مصري لكسب قضيتهم التي رفعها «هرمياس» وأراد أن يكسبها بوصفه إغريقيًّا بأية حال من الأحوال؛ غير أنه على الرغم من انتشار الفساد والرشوة سارت العدالة في مجراها، وظفر أصحاب الحقوق بحقوقهم في النهاية على الرغم من أنهم من أرومة مصرية.

هذا، ولدينا قضية أخرى من نفس هذا العهد، ومن نفس المكان غير أنها في هذه المرة رفعها مصري على مصري آخر، وتتلخص في أن المحنط paraschiste «بتنيفوتيس» Petenphotes رفع دعواه على زميله «آمينوتيس»، وقد قدم شكواه لنفس حاكم المقاطعة العسكري.[٣٠] ولما كان المتنازعان من أصل مصري فإن مناقشة القضية كان لا بد أن تكون أمام قضاة مصريين، هذا إذا لم يكن العقد الذي حُرِّرَ بينهما — في ١٣ بئونة من العام الخمسين من حكم «بطليموس السابع» (= أول يوليو عام ١٢٠ق.م)، وهو الذي

[٣٠] راجع: Pap. Taur., VIII.

انتهك حرمته «أمينوتيس» — لم يكن قد حرره كاتب إغريقي، وعلى ذلك كان لا بد أن يُحَقَّقَ أمام القضاء الهيلاني. وهكذا نرى أن الإغريق كانوا يتدخلون في المسائل القضائية بقدر المستطاع؛ حتى يكون زمام الأمور في أيديهم حتى ولو في أتفه الأشياء، ومن أجل ذلك كانت العداوة مستحكمة بين المصريين والإغريق؛ وبسبب ذلك قام المصريون منذ أواخر حكم «بطليموس الرابع» حتى نهاية الحكم البطلمي بعدة ثورات كان الغرض منها محاربة الظلم والعنصرية والقضاء على الاستعمار جملة من كل البلاد.

(٦-٣) نهاية عهد بطليموس السابع إيرجيتيس الثاني

تحدثنا النقوش التي على جدران معبد إدفو أن «إيرجيتيس الثاني» في آخر حياته؛ أي العام الرابع والخمسين من سني حكمه (١١ بئونة = ٢٨ يونيو عام ١١٦ق.م)؛ قد وضع أسس الجدار الكبير الذي يحيط بالمعبد وكذلك بواباته. وفي خلال العمل في وضع هذه الأسس وافته المنية[٣١] وخلفه ابنه على عرش الملك كما سنرى بعد. وتدل الظواهر على أن «بطليموس» هذا قد عاش عيشة هنية لا مشقة فيها ولا تأنيب للضمير حتى عام ١١٦ق.م وهو العام الذي حضرته فيه الوفاة وهو في حوالي الخامسة والستين من عمره؛ أي بعد أن حكم مع أخيه أو وحده مدة ٥٤ عامًا، تاركًا وراءه ذكريات جرائمه البشعة التي لا مثيل لها في تاريخ الإنسانية إلا النزر اليسير. هذا إذا صدقنا كل ما قيل عنه. وقد أدهش علماء الأخلاق كيف أنه مات على فراشة دون أن تنتقم منه العناية الإلهية فيموت ميتة المجرمين، وقد ذهبوا في تفسير ذلك كل مذهب.

أما «كليوباترا الثانية» شريكته في الملك فلسنا على يقين من أنها قد حضرتها الوفاة قبله — كما يصرح بذلك المؤرخ «جوستن» دون شك. وقد كان هذا هو الرأي المحتمل على حسب ما جاء في بيان رسمي مُؤَرَّخ ٢٢ مايو عام ١١٨ق.م؛ حيث لم يوجد اسمها

---

[٣١] راجع Dumichen. A. Z. VIII (1870) p. 4 & 11. حيث يقول المتن:

> وفي نهاية حياته في السنة الرابعة والخمسين من حكم هذا الملك الحادي عشر من شهر بئونة وُضِعَتْ أسس جدار الحرم والبوابة، وفي أثناء العمل في ذلك من كل الجهات (في هذا الجزء من المعبد) مات الملك.

فيه بوصفها شريكة له في الملك.[٣٢] غير أن اسم «كليوباترا الثانية» قد ظهر في أوراق «تبتنيس» بعد ٢٨ أبريل و٧ ديسمبر من عام ١١٨ق.م، يُضاف إلى ذلك أنه قد اقْتُبِسَ من ورقة بردية مؤرخة ٩ بابه السنة الثانية (٢٩ أكتوبر عام ١١٥ق.م) من عهد الملكة «كليوباترا» والملكة «كليوباترا» والملك «بطليموس سوتر»؛ وعلى ذلك فإن «كليوباترا» لم تَمُتْ قبل «بطليموس إيرجيتيس» اللهم إلا إذا كان هناك خطأ ارتكبه الكاتب في تكرار كلمة «كليوباترا».

هذا، وكان آخر عمل قام به «إيرجيتيس الثاني» لإرضاء طموح زوجه «كليوباترا الثالثة» — وهذا العمل كان في الوقت نفسه يُعْتَبَرُ خطأ سياسيًّا من حيث مبدأ أسرته — أنه ترك عرش البلاد تحت تصرف «كليوباترا» هذه؛ فقد أعطى لها حق اختيار من توليه من ولديها عرش البلاد ليكون لها شريكًا في الملك؛ ومعنى هذا أن «بطليموس إيرجيتيس الثاني» لم يتمسك بأية حال من الأحوال بالقاعدة التي كانت تحرم زواج ولي العهد قبل توليه الملك؛ فقد كان ابنه الأكبر «بطليموس سوتر الثاني» متزوجًا في حياة أبيه من أخته «كليوباترا الرابعة»، وعلى أية حال فإنه ترك لـ «كليوباترا» أن تختار من تشاء من ولديها لتولي عرش الملك دون تفرقة بين الصغير والكبير؛[٣٣] ويرجع السبب في ذلك إلى أنه هو نفسه كان في حرب على أخيه من جراء هذه الفكرة.

وقد امتد أجل هذه الحرب لهذا السبب مدة خمس وعشرين سنة، هذا فضلًا عن أنه كان يرجع في نظريته في أمر تولي الملك من يستحقه من أولاده إلى «بطليموس سوتر الأول»، وعلى ذلك كلفت «كليوباترا الثالثة» بأن تقرر إذا كان نظام الأحقية هو الذي يجب أن يُتبَع أو نظام السن هو الذي يؤخذ به. وقد كان من البدهي مهما كان اختيار «كليوباترا» أن الحرب الداخلية كانت لا بد آتية بعد فترة قصيرة. ولا شك أن اختيارها كان معناه الاستعداد لحرب داخلية. هذا، ويمكن القول — حتى بعد إقصاء الابن الأكبر إلى «قبرص» — أن المناوشات العدائية قد ابتدأت، والواقع أن «بطليموس إيرجيتيس الثاني» كان على مقدار عظيم من الذكاء لدرجة جعلته يتنبأ بهذا المستقبل القريب، وأن في ذلك ما يكفي للدلالة على أنه كان محبًّا لنفسه لدرجة جعلته لا يهتم بالعرش ومن سيتولاه بعده.

---

[٣٢] راجع: Strack. p. 200, 20.

[٣٣] راجع: B.L. II, p. 85 and note 3.

ومما زاد الطين بلة أنه قد ارتكب عملًا أكثر ضررًا؛ وذلك أنه في فقرة من فقرات وصيته التي كانت تتنافى مع الأخلاق ومع مصلحة البلاد في وقت واحد؛ أوصى هذا العاهل بملكه القديم في «سرنيقا» لابنه غير الشرعي المُسَمَّى «بطليموس إبيون» وهو ابن حظيته «إيرن» على ما يُظَن.[٣٤] والآن يتساءل الإنسان هل كانت «سرنيقا» قد مُنِحَتْ له بوصفها إقطاعًا لمدة الحياة أو بمثابة ملكية يمكن نزعها؟ والواقع أننا لا نعرف شيئًا عن هذا الموضوع من الوجهة القانونية، إلا ما جاء في تفسير رجال القانون في «روما»، وهؤلاء قد حكموا فيما بعد أن تكون «روما» هي الوريثة لـ «بطليموس إبيون». ولكن وجود نقود في «سرنيقا» مضروبة باسم «بطليموس سوتر الثاني» (١١٧–١١٦ق.م) يبرهن على أن الوصية — إذا كانت حقيقة موجودة — تترك بعض الشك في شروط الوصية التي عُمِلَتْ لصالح «بطليموس إبيون»، وأن ملك مصر كان في إمكانه التسلط على «سرنيقا» ما دام لم يقهره أخوه المناهض له.

ولا بد أن «إبيون» كان فعلًا حاكمًا أو نائب ملك على «سيريني» في مدة حياة والده «إيرجيتيس الثاني»، وأنه كان لا بد من إشعال نار حرب للاستيلاء منه على عرش «سرنيقا»، ولا بد أن «روما» التي كانت قد فرغت من حروبها الداخلية الطويلة، وهي التي كانت قد شغلتها بعض الوقت عن تنفيذ أطماعها في الخارج؛ قد أخذت تفكر في فتح بلاد الشرق، وذلك بعد أن أصبحت قدمها راسخة في «برجام» بوصفها الوارثة لملوكها.

ولا نزاع في أن الأحوال كانت مُهَيَّأة للرومان في تلك الفترة لتنفيذ أغراضهم؛ فقد كانوا في مصر هم الحاملين لمدة طويلة للملك «إيرجيتيس الثاني»، كما رأينا من قبل؛ ولا أدل على ذلك من أنهم قد تركوه هادئًا مطمئنًّا لمدة، وكانوا في خلال ذلك مصوبين أنظارهم إلى الجزء الذي يمكن فصله من المملكة البطلمية — أي «سرنيقا» — دون أن يقضوا على كل بنائها.

(٦-٤) حكم المؤرخين على إيرجيتيس الثاني

إن من يتتبع تاريخ «إيرجيتيس الثاني» في أول أمره يجد أنه — على حسب ما رواه الكتاب القدامى — كان سلسلة جرائم من أبشع ما عرفه التاريخ، ولكن نجد أنه بعد أن تقدمت

[٣٤] راجع: Justin, XXXIX, 5, 2.

به السن ظهر بمظهر الرجل المدقق اليقظ الذي كان يعمل على راحة شعبه والنظر في شكاوى رعاياه عن طيب خاطر؛ فكان يحميهم من عبث الموظفين ومظالمهم. والواقع أن من يقرأ مرسوم العفو الذي أصدره في عام ١١٨ق.م — وهو الذي أوردناه فيما سبق — يجد أنه على طرفي نقيض بالنسبة للصورة التي صورها لنا المؤرخون عن أخلاقه، والتي تناقلها الكتاب الأقدمون؛ ومن ثم تُعَدُّ صورة كاذبة أو على الأقل تُعْتَبَرُ صورة مبالغًا فيها إلى حد بعيد؛ ففي هذا المرسوم نجد بدلًا من الملك الطاغية الذي قتل أولاده وحصل على كل ما كان يريد أن يصل إليه بالدس والقتل كما ذكرت لنا التقاليد التي وصلت إلينا؛ قد مثل في صورة الإنسان الذي كان يسهر على راحة شعبه بوضع الإصلاحات الممتازة، كما كان يبذل جل همه في إقامة العدل بين الإغريق والمصريين على قدم المساواة؛ بل كان يقوم بنفسه في فحص شكوى الأفراد. وفي اعتقادي أن ما نُسِبَ إليه من قسوة وغلظة وتقتيل وتعذيب قد يكون بعضه صحيحًا، ويشفع له في ارتكاب مثل هذه الإجراءات — إلى حد ما — ما كانت عليه حالة البلاد من فتن داخلية واضطرابات متعددة ومفاجآت خارجية جعلته يقسو ويخرج عن حدود الإنسانية. وعلى أية حال فإن معظم ما نُسِبَ إليه من تقتيل وتعذيب لا يرتكن إلى حقائق تاريخية أكيدة محسة في عدد من الأحوال.

ومن الأشياء التي تدعو إلى الدهشة ما رُوِيَ عنه من تناقض في سلوكه، وأبرز مثال لذلك أنه بعد الذي حُكِيَ عنه من تشتيت شمل علماء الإسكندرية الذين فروا من البلاد المصرية خوفًا من عنفه وقسوته وسوء معاملته لهم؛ أن نعلم أنه كان أديبًا كبيرًا، وأنه من تلاميذ العالم النحوي الناقد «أريستاركوس»، وأنه كان صاحب ذوق، عالمًا بالمناقشات الخاصة بالألفاظ اللغوية وبالشعر والأساطير الهومرية؛ يدل على ذلك أنه قد اقتُبِسَ عنه تصحيح بيت شعر للشاعر «هومر». والواقع أن هذا الاتجاه كان هو النحو المتبع في عصره. فقد كان معاصره من الملوك هو «أتالوس الثالث فيلومتور» ملك «برجام»، وعلى الرغم مما اشْتُهِرَ به من رذائل كان في آن واحد يتصف بنفس الذوق الأدبي الذي اتصف به «بطليموس السابع»، ولا غرابة إذن أن نجد «بطليموس» قد لقب نفسه باللغوي، وهذا اللقب كان بلا نزاع يُعْتَبَرُ أشرف الألقاب التي كان يحملها. والواقع أنه اهتم بتنمية المكتبة و«الميزيون» وحماهما من المنافسة، وذلك بما ذُكِرَ عنه من منع تصدير البردي إلى الخارج، وإضافة كتب من مؤلفاته إليها؛ فقد ذُكِرَ أنه ألف مذكرات في أربعة وعشرين مجلدًا، وتعتبر هذه المجلدات موسوعة كدس فيها — على غير نظام — معلومات منوعة؛ هذا بالإضافة إلى بعض قطع خاصة بترجمته لنفسه وحكايات عن معاصريه، كما دون فيها كل ما

يعرفه من معلومات في التاريخ الطبيعي والجغرافية وعلم السلالات.[٣٥] وقد قص علينا في موسوعته هذه الأمور الشاذة والخلاعة التي كان يظهر بها عمه «أنتيوكوس إبيفانس»، كما وصف أدوات المائدة الخاصة بملك النوقديين «ماسينيسا» Massinissa ومدرسته للأطفال، كما كان يبتهج بذوق «بومنيبس» للخنازير السمينة التي كان يدفع عن الواحد منها ٤٠٠٠ درخمة، وغير ذلك من السخافات. هذا، وكان «بطليموس السابع» مؤلف كتب في السحر أيضًا،[٣٦] وقد قيل عن «بطليموس البطين» هذا أنه كان يرغب في أن يحل بمفرده محل العلماء الذين جعلهم يفرون من الإسكندرية. على أنه كان قد بقي بعضهم بالإسكندرية، ولم يكن لديهم ما يشكون منه من سوء تصرف «بطليموس»، نخص بالذكر منهم «باناريتوس» Panaretos تلميذ «أرسيسيلاس» Arcesilas وكان يتقاضى مرتبًا سنويًّا قدره اثني عشر تالنتا؛ وقد كان مشهورًا بصغر جسمه، وكان صديقًا حميمًا لـ «بطليموس إيرجيتيس الثاني». أما أستاذه «أرسيسيلاس» فهو المؤسس للأكاديمية الجديدة، وقد عاش في أوائل القرن الثالث قبل الميلاد. هذا، ويقول «بوزيدونيوس» الذي نقل عنه «سترابون» مع بعض الشك إن الملك «إيرجيتيس الثاني» هو الذي صرف على رحلة أُرْسِلَتْ لارتياد بلاد الهند، وكان يقودها الجغرافي «يدووكس» Eudoxe من أهالي «سيزيك» Cyzique، ويقال إنه عاد بسفنه محملة عن آخرها بالعطور والأحجار الثمينة، غير أن «إيرجيتيس الثاني» خيب آماله لاستيلائه على كل ما جلبه معه.[٣٧]

ومن الجائز أن «بطليموس السابع» قد يمكن أن يكون أكثر سخاء لو لم يكن في حاجة إلى مبالغ باهظة للصرف منها على المباني التي كان يقيمها في طول البلاد وعرضها، وقد كان يشجعه على ذلك ميله لإقامة المباني الدينية، هذا فضلًا عن أنه كان يريد أن يرضي الكهنة الذين كان في أيديهم زمام الشعب المصري كله. وسنتحدث عن مبانيه في فصل خاص.

ولا نزاع في أنه بعد موت «بطليموس السابع» أخذت مصر تنحدر نحو هاوية سحيقة إلى حتفها، ومن ثم فإن ما بقي من عهد البطالمة لم يكن إلا فترة نزاع موت طويلة امتد

---

[٣٥] راجع: Fragments, extraits Athenée in Carl Muller Historicom Graecorum III, p. 186–189.

[٣٦] راجع: Diterich in Jahrbb., f. Kl. Phil., Supplb. XVI (1886). p. 754, 9.

[٣٧] راجع: Strab., II, p. 98.

أجلها حوالي أقل من قرن من الزمان كانت في خلالها الأسرة الحاكمة قد لحق بها الدمار، وكان مثلها في ذلك كمثل دولة السليوكيين؛ فقد كانت كل من هاتين الدولتين جريحة بجراح لا يُرْجَى برؤها، وهذه الجروح ترجع في أصولها إلى المنافسات الأسرية، وقد كان «إيرجيتيس الثاني» هو الذي سبب لها هذه الجراح الفتاكة التي أصبحت لا يُرْجَى شفاؤها بعد موته، وانتهى أمرها بالقضاء على الأسرة نهائيًّا، وبخاصة عندما نعلم أن الرومان قد صوبوا أنظارهم نحو مصر، وأرسلوا البعوث لفحص كل نواحي حياتها وما فيها من خيرات لا تُجَارَى ووضعوا التقارير عنها، ومن ثم أخذوا يتدخلون في شئونها بصورة سافرة حتى وضعوا أيديهم عليها، وأصبحت درة في تاج الإمبراطورية الرومانية كما سنرى بعد.

والآن قبل أن نتحدث عن آثار هذا الملك التي خلفها في مصر يجب أن نقف هنا وقفة قصيرة لنفحص بعض الشيء مكانة شخصيتين غامضتين وإن شئت ثلاث شخصيات اختلط أمرهم على المؤرخين، ولا يزال الوصول إلى حل مرضٍ بشأنهم من الأمور المستعصية في تاريخ البطالمة، وأعني بهم «يوباتور» و«نيوس فيلوباتور» وأخيرًا «بطليموس المنفي»، وسنستعرض فيما يلي كل ما وصلت إليه معلوماتنا عن هؤلاء الأشخاص حتى يومنا هذا.

(أ) بطليموس الثامن يوباتور (؟)

لم يثبت مما لدينا من وثائق أن هذا الأمير قد حكم أرض الكنانة منفردًا. وقد ورد ذكره في جملة نقوش هيروغليفية وإغريقية وديموطيقية، غير أنه على الرغم من كثرة المعلومات التي تمدنا بها هذه النقوش فإنها مع الأسف لا تساعدنا على تبسيط تاريخه بصورة واضحة جلية، وعلى ذلك فإن التفسيرات المختلفة التي أمكن الوصول إليها من هذه المعلومات يجب أن توضع هنا أمام الباحثين الذين يريدون معرفة شيء عن حياة هذا الملك الغامض الذي تضاربت فيه الأقوال.

كان أول من وضع يده على أول خيط من خيوط تاريخ هذا الأمير هو الأثري «لبسيوس» وذلك في عام ١٨٢١ ميلادية عندما عثر على بردية كُتِبَتْ بالإغريقية في متحف «ليدين»؛ حيث دُوِّنَ فيها قائمة بملوك بطالمة مؤلهين بعد موتهم، ومن أجل ذلك كانت

تُقام لهم عبادة بوصفهم آلهة.[٣٨] وهذه البردية نشرها العالم «بوك» عام ١٨٢١، ثم نشرها ثانية «ليمان» عام ١٨٤٣ ميلادية.

يأتي بعد ذلك نشر ورقة إغريقية محفوظة في باريس تُدعى ورقة «كاساتي» رقم ٥[٣٩] حيث نجد هذا الأمير قد ذُكِرَ باسم «الإله يوباتور» Deos Eupator وقد وُضِعَ من حيث الترتيب بين «بطليموس إبيفانس» و«بطليموس فيلومتور». وقد استنبط «لبسيوس» من هذا الوضع منذ عام ١٨٥٢ ميلادية أن «يوباتور» كان الابن الأكبر للملك «إبيفانس»، في حين أن «فيلومتور» لم يكن إلا الابن الأصغر لنفس «إبيفانس»، ومن أجل ذلك سماه «بطليموس السادس» في سلسلة ملوك البطالمة، وجعل «فيلومتور» «بطليموس السابع».[٤٠] هذا وتوجد عدة برديات تؤكد هذا النظام بذكر «بطليموس» الإله «يوباتور» بين «إبيفانس» و«فيلومتور».[٤١] يضاف إلى ذلك أن المؤرخ «مهفي» قد قبل الترتيب الذي وضعه «لبسيوس»،[٤٢] وقد نهج على منهاجه كل من «بركش»[٤٣] و«بدج».[٤٤] ومن الغريب أن «بدج» قد ذهب إلى التأكيد بأن هذا الأمير كان مشتركًا مع والده في حكم البلاد لبضع سنين قبل موت «إبيفانس» غير أنه لم يقدم لنا دليلًا واحدًا على صحة ما قال، ثم أضاف أنه بعد ذلك قد حكم بعد موت والده بضعة أشهر أو على الأقل بضعة أسابيع.

ومع ذلك فإنه كانت توجد عقبة كأداء تقف في وجه هذه النظرية؛ وذلك أن النقش الإغريقي الذي عُثِرَ عليه في خرائب معبد للإله «أبوللو» (في جزيرة قبرص) يقول صراحة إن الملك «بطليموس» الإله «يوباتور» قد أنجبه الملك «بطليموس» والملكة «كليوباترا» (الثانية) الإلهان المحبان لوالدتهما.[٤٥] يُضاف إلى ذلك أن المؤرخ «ستراك» يضع — في عام ١٨٩٧ ميلادية بحق — «يوباتور» بعد والده «فيلومتور» ويقول عنه إنه «بطليموس السابع»،

---

[٣٨] راجع: Gauthier L.R. IV. p. 335 note 2.

[٣٩] راجع: Ibid. p. 835.

[٤٠] راجع: Gf. Abhandlungen der Konigl. Preuss. Akad. der Wiss., 1852, p. 458 et seq.

[٤١] راجع: British Museum Papyrus 20 Greek Pap. By Grenfell.

[٤٢] راجع: The Empire of the Ptolemics (1895) P. 329.

[٤٣] راجع: Thesauros, P. 863–4.

[٤٤] راجع: A History of Egypt. VII, P. 23.

[٤٥] راجع: Ph. Le Bas, Voyage Archéologique en Gréce et en Aaie Mineure. T. III p. 642, No. 2809, Strack. Die Dynastie der Ptolemaer. p. 198 n. 101.

في حين أن «فيلومتور» يُعْتَبَرُ «بطليموس السادس»،[٤٦] غير أنه يُلحظ فيما ذكره «ستراك» بعض عدم التثبت في موضوع تاريخ اختفاء «يوباتور» من الحكم؛ فنراه بعد أن أكد على حسب عملة «بافوس» بأنه كان مشتركًا في الملك مع والده في عام ٣٦ من حكم الأخير (١٤٥ق.م) وعلى حسب ما جاء في فقرة في المؤرخ «جوستن»[٤٧] بأنه دون أي شك حكم بضعة أيام بعد والده «فيلومتور»؛ يعلن في مكان آخر من كتابه أن «يوباتور» لم يحكم بعد وفاة «فيلومتور»، ولكن كان حكمه في نفس الوقت الذي كان عائشًا فيه كل من والديه «فيلومتور» و«كليوباترا الثانية».[٤٨] ويقول «جوتييه» إن هذا التفسير الأخير هو الصواب، وهذا ما ستؤكده لنا الآثار المؤرخة بحكم «فيلومتور»؛ حيث نجد بوضوح أن «يوباتور» قد كان مشتركًا في عرش الملك مع والده. غير أن هذه الآثار لا ترجع قبل عام ٢٩ من حكم والده (١٥٢ق.م). ولما كان الأخ الأصغر لـ «بطليموس فيلومتور» وهو «بطليموس إيرجيتيس الثاني» قد أصبح ملكًا للمرة الأولى في عام ١٧٠ق.م أي قبل «يوباتور» بثمانية عشر عامًا، وقد عد دائمًا سني حكمه من أول عام ١٧٠ق.م؛ فإنه يجب — على ذلك في الواقع — أن يُسَمَّى «بطليموس السابع»، وعلى ذلك يجب علينا أن نمنح ابن أخيه لقب «بطليموس الثامن» في سلسلة ملوك البطالمة، وهذه كانت من قبل فكرة المؤرخ «وادنجتون» Wadington، وقد أخذ المؤرخ الكبير «بوشيه لكلرك» بهذا الرأي، وعززه بالبرهان القاطع؛ حيث استعرض كل وجوه المسألة.[٤٩]

ولكن «جوتييه» يرى أن المؤرخ «لكلرك» قد غالى في حديثه في هذا الصدد عندما أراد أن يعتبر أن «بطليموس الثامن يوباتور» كان فعلًا قد نُصب نائب ملك أو ملكًا في حياة والده «فيلومتور» وبوصفه الخلف المباشر لهذا الملك الأخير على عرش مصر، وأنه كان قد حكم بكل الحق الشرعي في الإسكندرية لمدة بضعة أيام على الأقل، ثم ذبحه بعد ذلك عمه «إيرجيتيس الثاني»؛ وعلى أثر عودته من «سرنيقا» تزوج والدته، وبدأ عهد حكمه الثاني.[٥٠] والظاهر أن موت ابن «بطليموس فيلومتور» ووريثه على العرش كان قد بقي

---

[٤٦] راجع: Ibid 37-8.

[٤٧] راجع: Justin. XXXVIII, 8, 3.

[٤٨] راجع: Strack Ibid. P. 188.

[٤٩] راجع: Histoire des lagides tome II. p. 56 note 2.

[٥٠] راجع: Ibid., II, p. 56 et 62-63.

على أية حال سرًّا خفيًّا في هذه الأحوال حتى لا يشك أهل الإسكندرية في أن الملك الجديد كان هو المحرض على ارتكاب الجريمة. هذا هو رأي المؤرخ «بوشيه لكلرك»، في حين نجد أن «جوتييه» ينحاز إلى رأي كل من «جرنفل»[٥١] والأستاذ «جرفث» الذي تحدثنا عنه فيما سبق،[٥٢] وذلك على الرغم من المعارضات التي أقامها «بوشيه لكلرك» في وجه هذا الرأي القائل أن «يوباتور» قد مات وهو لا يزال أخضر العود في خلال حكم والده؛ أي إنه بعد العام الواحد والثلاثين من عهد «فيلومتور» لم يظهر «يوباتور» في الوثائق الرسمية بأنه حي يُرْزَق، بل ظهر بأنه مؤلَّه (أي مات وأصبح مؤلَّهًا)، وقد حُشر فعلًا قبل موت أبيه في المكان الطبيعي الذي يجب أن يحتله في سلسلة ملوك البطالمة المؤلَّهين؛ أي إنه وُضِعَ بين الملك «بطليموس الخامس إبيفانس» و«بطليموس السادس فيلومتور».

بطليموس يوباتور وقبرص

ذهب بعض المؤرخين إلى الزعم بأن «يوباتور» بن الملك «بطليموس فيلومتور» و«كليوباترا الثانية» كان قد نُصب نائب ملك، بل وقيل إنه تُوِّجَ ملكًا على «قبرص». ونحن نعلم من الأوراق البردية أنه كان قد اشترك مع والده في حكم مصر منذ أبريل عام ١٥٢ق.م، غير أنه من المحتمل أنه لم يكن مشتركًا معه في يناير عام ١٥٠ق.م وأنه في يوليو من نفس العام حضره الموت، وقد اقْتُرِحَ أنه كان قد تُوِّجَ ملكًا على «قبرص» لأجل أن يقوي حكومتها بسبب التهديد بالهجوم عليها من قبل «بطليموس إيرجيتيس الثاني» أو «البطين» كما كان يُدْعَى، وقد قام فعلًا هذا الهجوم عام ١٥٤ق.م كما ذكرنا آنفًا. يُضاف إلى ذلك أن فصل «قبرص» عن «مصر» كان يتمشى مع رغائب السياسة الرومانية. وكان من فائدة «فيلومتور» أن يرضى الرومان، وبخاصة عندما نعلم أنه كان على أبواب القيام بالتدخل في شئون سوريا في جانب «الإسكندر بالاس». ولكن مما يُؤْسَفُ له أن وجود «يوباتور» في «قبرص» وقتئذ لم تَقُمْ عليه دلائل قاطعة. وقد تحدث عن هذه الأوراق البردية الأثري «جوتييه».[٥٣] وعلى أية حال نجد أن «جوتييه» قد قبل وجود عملة — كما سنذكر بعد —

---

[٥١] راجع: The Tebtunis Papyri, Vol. I. P. 554.

[٥٢] راجع: Catalogue of the demotic Papyri in the J. Rylands Library Vol, III. p. 140–142.

[٥٣] راجع: Gauth. L. R. IV. PP. 335 ff.

تدل على أن السنة الأولى من عهد «يوباتور» تقابل السنة السادسة والثلاثين من عهد الملك «فيلومتور».[٥٤]

أما عن النقوش التي دُوِّنَت على شرف الإله «يوباتور» فإن واحدًا منها يبرهن على أنه كان ابن «فيلومتور» و«كليوباترا الثانية».[٥٥] هذا، وقد تحدث «باريتي»[٥٦] عن ثلاثة نقوش أَرَّخَهَا بعامي (١٥٣–١٥٢ و١٥١–١٥٠ق.م) مدعيًا أنها تبرهن على وجود «يوباتور» وقتئذ في «قبرص»؛ والواقع أنها لا تبرهن على ذلك، غير أنه يمكن القول أنه من الأشياء التي تلفت النظر أن ثلاثة التماثيل التي مُثل فيها «يوباتور» بوصفه ملكًا كانت كلها قد أُقِيمَتْ في «قبرص» في حين أنه لم يُعْرَف له حتى الآن أي تمثال في مصر. ومما يُؤْسَفُ له أنه في كل من هذه التماثيل الثلاثة قد مُحِيَ اسم المهدي، والمسلم به بوجه عام أن هذا المحو كان قد عُمِلَ بعد تولي «إيرجيتيس الثاني»؛ وذلك تمشيًا مع سياسة إنزال اللعنة على ذكرى «فيلومتور» ونسله.

هذا، ونجد من جهة أخرى أن الأثري «أوتو»[٥٧] Otto قد وضع أمامنا استنباطًا غاية في الفطنة؛ فقد قال إن ما تدل عليه أوراق البردي هو أن «يوباتور» قد ظهرت عبادته بوصفه إلهًا في عام (١٥٣–١٥٢ق.م)، وفي أبريل عام ١٥٢ق.م نجد أنه كان مشتركًا مع والده،[٥٨] وفي يناير عام ١٥٠ق.م لم يكن مشتركًا مع والده في الحكم. غير أنه لم يمت إلا بعد ذلك؛ لأنه على ما يظهر على حسب نكتة فاه بها «أنتباتور» الصوري منسوبة إليه جعلت موته يقع في وقت واحد مع كسوف كلي للقمر رؤي في مصر. وهذا الكسوف يشير إلى الثالث من يوليو أو الثامن والعشرين من ديسمبر عام ١٥٠ق.م، وعلى ذلك فإن النقوش الثلاثة تقع في الفترة ما بين (١٥٣–١٥٢) إلى ١٥٠ق.م. ولما كانت هذه النقوش تذكر «يوباتور» وحده ولم تذكر والده فإن «أوتو» قد استنبط من ذلك أن هذه

[٥٤] راجع: Ibid. p. 297 No. 1.

[٥٥] راجع: O. G. 1 S. 125, 126, 127.

[٥٦] راجع: L. Parete, Ricerche sui Tolemi Eupatore e Neo Filopatore in Atti acad. Torino, XLIII, 1907–8, 497–519.

[٥٧] راجع: W. Otto, zur Gesch. Der zeit des 6 Ptolemaers in Abh. Bayer Akad. Phil–hist. Abt., N.F. Heft XI, (1934) PP. 119 ff.

[٥٨] راجع: Anth Pal, VII, 241.

النقوش عندما حُفِرَتْ لم يكن «يوباتور» بعد مشتركًا مع والده في الملك؛ بل كان ملكًا منفردًا، وعلى ذلك فإن والده لم يعد بعد حاكمًا لـ «قبرص»، ومن ذلك نفهم أن «يوباتور» بعد انقضاء وقت ما بعد أبريل عام ١٥٢ق.م قد أصبح لا يشترك في حكم كل الدولة المصرية، بل أصبح حاكمًا مستقلًّا؛ أي ملكًا على «قبرص»؛ وذلك لأن «فيلومتور» قد نزل عن «قبرص» له. وقد اقْتُرِحَ أن «أميليوس لبيدوس» Aemilius Lepidus هو الذي نصب «يوباتور» بمثابة ملك في عام ١٥٢ق.م، وأن هذا هو موضوع عملة إغريقية مشهورة،[٥٩] وقد استعمل «أنتيباتور» كلمة ανοξ وهي اللفظة القديمة التي كانت تُطْلَقُ على أمراء «قبرص» لتصف «يوباتور» بأنه حاكم «قبرص»، غير أن البيان الذي قدمه لنا «أوتو» هنا ينطوي على نقطتي ضعف. فقد ذكر لنا المؤرخ «دتنبرجر» Dittenberger أنه فيما يخص قاعدة تمثال «إبيفانس»[٦٠] فإن تماثيل الحكم المشترك يمكن أن تقام كل منها على انفراد، وأن النقش يشير لكل منهما على انفراد باسم صاحبه.

ومن جهة أخرى لا يمكن أن نبني قضية تاريخية على نكتة شعرية.

ولكن على أية حال مهما كان غرض الخطة سواء أكان «يوباتور» قد نُصب ملكًا على «قبرص» أم لا فإنها قد أسفرت على لا شيء؛ وذلك بسبب القضاء على الملكية المشتركة لسبب مجهول وموت «يوباتور» وهو غض الإهاب. على أن هذا الموضوع قد أُحْيِيَ من جديد، وذلك أنه عُثِرَ على عملة في بافوس Paphos عليها تاريخ مزدوج يوحد السنة الأولى — لملك اشترك حديثًا في الملك — بالسنة السادسة والثلاثين من عهد الملك «فيلومتور»، وذلك يبرهن على أنه في عام (١٤٦–١٤٥ق.م) لا بد قد نصب ابنًا آخر معه على عرش الملك ليكون شريكًا له. وقد كان هذا الحادث دون شك في أمسية سفره على رأس الحملة التي قام بها إلى «سوريا»، وهي التي كان فيها القضاء على حياته. وهذه الحملة — كما ذكرنا من قبل — كانت لمساعدة «الإسكندر بالاس» لا عليه، وقد كان هذا الابن الذي نُصب شريكًا له هو الذي يُعْرَفُ عند المؤرخين باسم «نيوس فيلوباتور»، وهو الذي يُقال إن «بطليموس إيرجيتيس الثاني البطين» قد قضى على حياته في نفس اليوم الذي تزوج فيه من أمه «كليوباترا الثانية».

---

[٥٩] راجع: Hill. Hist. Rom. Coin. PP. 51 ff.

[٦٠] راجع: O. GIS, 93.

(ب) بطليموس فيلوباتور نيوس

والواقع أن كل ما لدينا من معلومات حتى الآن ليست بكافية لكشف النقاب عن شخصية هذا الأمير الذي لم يحكم البلاد أبدًا، وأن ما تحوم حول شخصيته من شكوك هي نفس الشكوك التي لفت شخصية «يوباتور» في ظلام دامس.

والغريب أن هذين الأميرين كثيرًا ما يختلط الواحد منهما بالآخر، وسنحاول فيما يأتي أن نذكر المصادر الأثرية التي جاء فيها ذكر هذا الأمير، وما قيل عنها من آراء متضاربة، ثم نختم الكلام برأي الأستاذ «شاسينا» في موضوع توحيده مع «بطليموس المنفي» على حسب متن جديد وُجِدَ بين نقوش معبد «إدفو» الكبير، ويرجع الفضل في حل معناه إلى هذا الأثري الكبير.

ظهر اسم هذا الأمير للمرة الأولى في بردية ديموطيقية محفوظة الآن بمتحف «برلين»، ومؤرخة بالثالث أو الخامس من بشنس من العام الثاني والخمسين من عهد الملك «إيرجيتيس الثاني» (= ١١٨ق.م)؛ أي بعد الأمير «يوباتور» بحوالي أربعين عامًا.

هذا، وكان الأثري «لبسيوس» يعرف هذه البردية منذ عام ١٨٥٢م، غير أنه عارض في أهميتها التاريخية، وذلك بقوله: إن الأمير «نيوس فيلوباتور» قد ذُكِرَ في المتون الهيروغليفية التي في معبدي «طيبة» و«أمبوس» (كوم أمبو الحالية)؛ ولا بد إذن أنه كان قد حُشِرَ اسمه في سلسلة الملوك الشرعيين، وكان يُعْبَد رسميًّا قبل عام ٥٢ من عهد الملك «البطين إيرجيتيس الثاني»،[٦١] ومن ثم نلحظ أن «لبسيوس» قد أخطأ في توحيد الأمير «نيوس فيلوباتور» بابن «فيلومتور» و«كليوباترا الثانية» الذي يُحْتَمَلُ أن «إيرجيتيس الثاني» قد قتله (؟)، وقد وحده «جوتييه» بالأمير «يوباتور». هذا، ونجد من جهة أخرى أن الأثري «جرنفل»[٦٢] قد أعلن صواب رأي «لبسيوس»؛ أي إن «فيلوباتور نيوس» هو «يوباتور». هذا، ونجد ثانية أن الأثري «ريفييو» Revillout قد رفض رفضًا باتًّا هذا التوحيد وقال: إن «نيوس فيلوباتور» هو ابن «إيرجيتيس الثاني» و«كليوباترا الثانية» وعلى ذلك كان أخ «يوباتور» من أمه، ولكنه لم يوحده بالأمير المنفي الذي وُلِدَ في «منف» خلال الاحتفال

---

[٦١] راجع: Uber eínige Ergebnisse der Aegyptischen Denkmaeler fur die Kenntnisse der Ptolemaer–Geschichte P. 14.

[٦٢] راجع: Grenfell (Greek Pap. In the Brit. Mus. Vol. I, p. 53).

الرسمي بتتويج «إيرجيتيس الثاني» ويقول «ريفييو»:[٦٣] إنه إذا كان هذا الأمير قد حُشِرَ بين شهر أمشير وشهر بشنس من السنة الثانية والخمسين في سلسلة الملوك المؤلَّهين فإن ذلك لم يكن إلا بمثابة إصلاح الخطأ جاء متأخرًا، وعمله هذا الملك لأجل الملكة العجوز «كليوباترا الثانية» التي رأت ابنها الثاني بوصفه وارثًا للعرش، ومن ثم كان إشراكه في عرش البلاد (ما بين عام ١٢٤ و١١٨ق.م) بمثابة ترضية نهائية لكبريائها من جانب «إيرجيتيس الثاني» عام ١٢٤ق.م، غير أن «كليوباترا الثالثة» كانت قد أكلت الغيرة صدرها من هذا الأمير، وعملت على التخلص منه حتى لا يرث العرش. هذا، وقد اعتبر المؤرخ «مهفي»[٦٤] أن «فيلوباتور نيوس» هو ابن خالة «يوباتور» الذي كان يعتبره هذا المؤرخ ابن «بطليموس الخامس إبيفانس»، وكان — كما يقول «مهفي» — ابن «فيلومتور» و«كليوباترا الثانية»، والأخيرة قد وضعته على عرش الملك بعد موت «فيلومتور» عام ١٤٦ق.م وذلك بمساعدة حزب اليهود في الإسكندرية، و«بطليموس فيلوباتور نيوس» هذا هو الذي نسب إليه «مهفي» النقش الإغريقي الذي وُجِدَ للإله «أبولو» (في جزيرة قبرص)[٦٥] على نقش عُثِرَ عليه في بلدة «بافوس» Paphos.[٦٦] وأخيرًا نُسِبَ إليه النقش الذي عُثِرَ عليه في جزيرة «حصه» وهو الذي كشف عنه الأثري «سايس» Sayce عام ١٨٩٥،[٦٧] وكذلك قال: إنه هو الذي قتله «إيرجيتيس الثاني» لا «يوباتور» في نفس اليوم الذي تزوج فيه من «كليوباترا الثانية» أرملة «بطليموس السادس» عام ١٤٥ق.م اللهم إلا إذا كان قد مات ميتة طبيعية، وهذا ممكن كما يقول «مهفي».[٦٨]

أما الأثري «بدج»[٦٩] فقد اعتنق بطبيعة الحال — بما عُرِفَ عنه من عدم الاهتمام في المناقشات النقدية البعيدة الغور — أفكار المؤرخ «مهفي»؛ فسمى هذا الأمير كما سماه «مهفي» «بطليموس الثامن»، كما أضاف أنه كان يُدْعَى على حسب بعضهم

[٦٣] راجع: Revue Egypt. III, P. 6–8.

[٦٤] راجع: Empire of the Ptolemaic, p. 32, No. 2 and P. 371 and note 1, p. 376.

[٦٥] راجع: G. L. R. IV, p. 339, §. V.

[٦٦] راجع: Ibid. p. 207 note 1.

[٦٧] راجع: Ibid., p. 339, § VI.

[٦٨] راجع: Empire of the Ptolemies, p. 330, NO. 2.

[٦٩] راجع: Budge Hist of Egypt, Vol. VIII. p. 39 and Book of Kings II. p. 130.

«يوباتور الثاني»، وعلى حسب بعضهم الآخر «نيوس فيلوباتور». ثم استمر في خلطه بين هذين الأميرين ما شاء له الخلط.

أما الأثري «ستراك» Strack[٧٠] فإنه يعتبر «نيوس فيلوباتور» «بطليموس التاسع» ولم يقتبس له أي نقش إغريقي.

وأخيرًا أعلن «بدج» كذبًا وبهتانًا بأنه لا يوجد أي نقش مصري لهذا الملك، على أن ذلك لم يمنعه على أية حال في كتابه عن ملوك مصر أن يقتبس خمسة أمثلة عن لقب «فيلوباتور نيوس» بالمصرية القديمة منسوبة إلى مصادرها (راجع Ibid. p. 262).

رأينا فيما سبق أن الأثري «ريفييو» قد اعتبر «فيلوباتور نيوس» بأنه ليس ابن «فيلومتور» بل ابن «إيرجيتيس الثاني»، وهذا هو نفس الرأي الذي أخذ به «ستيوارت بول» Stuart Poole في كتابه عن النقود الإغريقية في مصر، وكذلك كان هذا هو رأي «ستراك»، وقد ذهب الأخير إلى أبعد من هذا، ووحد هذا الأمير بالأمير «بطليموس المنفي» الذي وُلِدَ في عام ١٤٤ق.م في «منف» في خلال انعقاد أعياد تتويج «إيرجيتيس الثاني»، وأُعْدِمَ عام ١٣٠ق.م بيد والده نفسه، وذلك عندما كان الأخير قد طُرِدَ مؤقتًا من عرش الملك على يد أهالي الإسكندرية.[٧١] وهذا الرأي هو الذي اعترف به المؤرخ «بوشيه لكلرك» إلى أن تصل معلومات أكثر دقة كما يقول، غير أنه مع ذلك اقترح حلًّا آخر مؤداه أن «نيوس فيلوباتور» هو الابن البكر للملك «إيرجيتيس الثاني» و«كليوباترا الثالثة» لا ابن «كليوباترا الثانية»؛ أي إنه كان الأخ الأكبر لـ «بطليموس العاشر سوتر الثاني» الذي وُلِدَ حوالي عام ١٤٣ق.م أو ١٤٢ق.م، وأنه مات قبل والده (وهذا يفسر أنه لم يحكم). وهذه النظرية الأخيرة هي التي يميل «جوتييه» للأخذ بها، ويقول إنها هي النظرية الوحيدة التي يمكن أن يُفَسَّرَ بها لماذا لم يظهر «فيلوباتور نيوس» في النقوش التي على الآثار قبل عام ٥٢ من عهد «إيرجيتيس الثاني» (١١٨ق.م).

ومن كل ما سبق نرى أن المؤرخين الأحداث لم يتفقوا على رأي واحد في تحديد مكانة «بطليموس فيلوباتور نيوس» في التاريخ. غير أن الأثري «شاسينا» كما ذكرنا من قبل قد طلع علينا برأي جديد استنبطه من نقش كُشِفَ عنه في معبد «إدفو»، وهذا الرأي يتفق مع رأي كل من المؤرخين «ستراك» و«بوشيه لكلرك» في جملته، وسنضع ملخصًا لهذا البحث

---

[٧٠] راجع: Die Dynastie der Ptolemaer. P. 253.

[٧١] راجع: Die Dynastie der Ptolemaer. p. 179 note 1.

هنا لما فيه من طرافة ودقة وعمق في التفكير، وأعتقد أنه هو الرأي الصواب، وسنرى أن هذا الحل بما جاء فيه من أسانيد يدحض الرأي الذي اعتنقه الأثري «جوتييه».[٧٢]

(ج) لغز بطليموس المنفي وبطليموس نيوس فيلوباتور

لقد بقي موضوع قصة «بطليموس المنفي» ابن «بطليموس إيرجيتيس الثاني» و«كليوباترا الثانية» مثار جدل ومناقشات لم تَنْتَهِ بعد بصورة قاطعة. وقد كان آخر من تحدث عن هذه المسألة المعقدة الأستاذ «شاسينا» في مقال رائع له. وسنحاول أن نتناول فحص هذا الموضوع من جديد مستعينين بكل ما كتبه المؤرخون في هذا الصدد، وبخاصة ما كتبه كل من المؤرخ العظيم «بوشيه لكلرك»، والأثري «شاسينا»، وبخاصة الأخير الذي أمضى طوال حياته في البحث في نقوش البطالمة ونقلها.

والواقع أن الأستاذ «شاسينا» أراد أن يصل إلى حل لغز «بطليموس المنفي» من منظرين لَفَتَا نظره في محراب معبد «حور» في «إدفو»، وهذان المنظران قد مُثلا على الجدارين الشرقي والغربي لهذا المحراب على التوالي، وهما يشغلان مكانًا مواحدًا عند الطرف النهائي للصف الثاني من النقوش.[٧٣]

والمنظر الذي على الجدار الشرقي يظهر فيه الإله «تحوت» يقدم صولجانًا (ماكس) وثلاث جريدات من جريد النخل يتدلى من كل منها رمز العيد الثلاثيني للملك «بطليموس إيرجيتيس الثاني» وخلفه الملكة «كليوباترا الثانية» التي كانت تحمل الألقاب التالية: الابنة الملكية، والأخت والزوجة الملكية، والأم الملكية، والحاكمة ربة الأرضين «كليوباترا» الإلهة المحسنة، الأخت والزوجة لابن «رع» (بطليموس معطى الحياة أبديًّا، محبوب بتاح).

والواقع أن هذا المنظر كما يقول الأستاذ «شاسينا» ليس فيه ما يلفت النظر؛ لأنه لا يتميز عن المناظر الأخرى إذا لم يكن المفتن قد خالف المعتاد هنا ووضع بين الملك «إيرجيتيس الثاني» وزوجه «كليوباترا الثانية» صورة طفل يرتدي على رأسه تاج مصر المزدوج وعلى جبينه الصل، ويلبس نفس اللبس الذي يلبسه «بطليموس» وهو العباءة

---

[٧٢] راجع: Gauthier. L. R. IV. P. 343.

[٧٣] راجع: E. Chassinat, Le Temple d'Edfu, T. IV. P. 91–93 et 248–249; T. X, P1. LXXXVIII et XCIII; T. XIII, P1. CCCCXXXIX et CCCXLVI; Mélanges Maspero I, p. 513 etc.

الواسعة. يُضاف إلى ذلك أن صفة هذا الطفل في هذا المنظر التي ميزت فعلًا بالمكانة التي يحتلها في هذا المنظر وبالرموز الملكية التي يتحلى بها؛ قد حُددت كذلك بنقش حُفِرَ بالقرب من صورته جاء فيه: الوارث الملكي لمن أنجبه والملكة، وهو الذي يوجه سير السيد الأوحد، (وهذا التعبير يعني إحدى الوظائف التي كان مكلفًا بها في العبادة التي كانت تُؤَدَّى لوالده، وكان الملك نفسه يقوم بأدائها بوصفه كاهنًا للآلهة المختلفين)، والابن الملكي البكر محبوب الملك «بطليموس» بن «بطليموس إيرجيتيس الثاني» الإله المحسن. هذا، ولدينا متن آخر وُضِعَ فوق الزوجين الملكيين بصورة واضحة يفسر علاقة هؤلاء الأشخاص الثلاثة وهو: «الملك والملكة وابنهما.»

والمنظر المقابل لهذا المنظر الذي وصفناه يوجد على الجدار الغربي للمحراب، وهو صورة طبق الأصل من الأول مع رواية تختلف اختلافًا بسيطًا في التفصيل: فيُشَاهَد هنا «تحوت» وفي يده أربع جريدات نخل، ويكتب المدائح الملكية أمام «بطليموس إيرجيتيس الثاني» الجالس: ملك الوجه القبلي (وارث الإلهين الظاهرين، والمختار من «بتاح»، الذي يعمل العدالة لـ «رع»، تمثال آمون الحي)، الإله المحسن ابن «رع» (بطليموس العائش أبديًّا، محبوب بتاح)، والإلهة المحسنة «كليوباترا الثالثة» الحاكمة، ربة الأرضين، «كليوباترا» الزوجة الملكية لابن «رع» (بطليموس العائش أبديًّا، محبوب بتاح).

والنقش الخاص بالأمير الفتى جاء فيه: «الروح (كا) العائشة للملك، والروح النضرة، والنطفة الإلهية لسيد هذه الأرض، والابن الملكي الذي يحبه الملك العظيم، ابن «بطليموس إيرجيتيس الثاني».» وهنا كذلك نجد أن الرابطة الأسرية قد وضحت في متن أفقي وُضِعَ خلف الملكة «… المتعبدة الإلهية بجواره (أي بجوار الملك) وابنهما «شو»[٧٤] أمامهما.»

ولا نزاع في أن وجه الشبه هنا بين هذين المنظرين ليس ظاهرًا. وسنحاول فيما يلي أن نعرف ما هي أوجه الخلاف بينهما بوساطة شخصيات الأسرة الملكية الذين مُثلوا فيهما.

وقبل أن نتحدث عن ذلك يجب أن نشير هنا إلى أن الأثري «بروكش» قد نقل جزءًا من المنظر الأول، ولكنه أساء فهمه تمامًا[٧٥] كما سنرى بعد.

والواقع أن المتون كما تُقْرَأ على جدران المعبد لا تدع مجالًا لأي شك؛ وذلك لأن المطلع عليها لا يجد أي مجال لتصحيح في المتن؛ لأن ناقشها كما هو واضح لم يُسِئ

[٧٤] «شو» بن «رع» يلعب دور الملك هنا.

[٧٥] راجع: Brugech. Thesaurus. P. 886.

استعمال لقب، كما أنه لم يخلط بين أشخاصها؛ فالألقاب: الابنة الملكية والأخت زوج الملك والأم الملكية هي ألقاب الملكة «كليوباترا الثانية»؛ فقد كانت «الابنة الملكية» لأنها ابنة «بطليموس الخامس»، وكانت «الأخت الزوجة» بزواجها من أخيها «بطليموس فيلومتور»، وفيما بعد بزواجها من أخيها «بطليموس إيرجيتيس الثاني»، وأخيرًا كانت «الأم الملكية» لأنها أنجبت «بطليموس يوباتور» و«كليوباترا كوكي» وهما اللذان أنجبتهما من زوجها الأول؛ و«بطليموس المنفي» الذي رُزِقَتْ به من زوجها الثاني «إيرجيتيس الثاني»؛ وعلى ذلك فإن الأمير الصغير ليس «بطليموس فيلومتور» كما يقول «بركش»، بل هو ابن أخيه؛ أي ابن «بطليموس إيرجيتيس الثاني». غير أنه لسوء الحظ لم يَأْتِ مع اسمه وصف يميز نسبه؛ ومن ثم كان من المستحيل أن تميزه في أول الأمر.

وعلى أية حال عُزي لـ «بطليموس إيرجيتيس الثاني» أربعة أولاد ذكور؛ وهم: «بطليموس المنفي» وهو الذي أنجبته له أخته «كليوباترا الثانية» بعد موت «بطليموس السادس» وزواجها منه، و«بطليموس سوتر الثاني» و«بطليموس الحادي عشر الإسكندر» وقد أنجبتهما له زوجه الثانية «كليوباترا الثالثة»، وأخيرًا «بطليموس نيوس فيلوباتور».

والمؤرخون بوجه عام لم يتفقوا حتى الآن على بنوة الأخير من حيث الأم؛ فأحيانًا ينسبونه إلى «كليوباترا الثانية» وأحيانًا ينسبونه إلى «كليوباترا الثالثة» وبعضهم يخلطون شخصية هذا الأمير بشخصية «بطليموس المنفي».[٧٦]

والواقع أنه إذا قبل الإنسان النظرية القائلة بأن «نيوس فيلوباتور» هو الابن الأصغر للملك «إيرجيتيس الثاني» فإنه من المستحيل أن يوحده بالطفل الذي مُثل في المنظر؛ وذلك لأنه مميز فيه بأنه الابن البكر، وهو الذي نعرف بأنه يُدْعَى «المنفي» الذي وُلِدَ في عام ١٤٤ق.م في أثناء الاحتفال بعيد التتويج الذي أقيم لوالده في «منف». والواقع أن نعت «الوارث الملكي» يمكن أن يعود حقًّا على «نيوس فيلوباتور» بعد الموت المفجع الذي لاقاه «المنفي»، وحتى يمكن أن يُنْسَبَ إليه لقب الابن البكر كما كانت الحال مع «بطليموس العاشر سوتر الثاني» كما نعرف ذلك من النقش العظيم التاريخي الذي حُفِرَ على معبد «إدفو» وذلك بمناسبة موت «بطليموس إيرجيتيس الثاني»؛ حيث يقول المتن: إن الصقر «بطليموس السابع» قد طار إلى السماء، وابنه البكر «سوتر الثاني» جلس على

[٧٦] راجع: B.L.T. II, p. 82 note 1.

عرشه.[٧٧] غير أنه ليس من المحتمل أن تكون «كليوباترا الثانية» قد أنجبت ابنًا آخر في الفترة القصيرة التي تفصل بين ولادة ابنها «المنفي» وبين زواج «إيرجيتيس الثاني» من ابنة أخته في عام ١٤٣ أو عام ١٤٢ق.م أو قبل هذا الزواج؛ ومن ثم يمكن أن نفرض ولو مؤقتًا أن الطفل المُمَثَّل بالقرب من زوجة «بطليموس إيرجيتيس الثاني» الأولى هو «بطليموس المنفي» ولدينا حقائق كثيرة تساند هذا الفرض: أولًا: نجد أن الولدين الممثلين في المنظرين كانا فعلًا كبيرين، والواقع أنه لم يكن المقصود هنا عند وضع هذين المنظرين هو تفسير إصلاحي محض؛ وذلك لأننا نعلم أن أوجه المحراب الخارجية كانت لا تزال عارية من النقوش عندما بدئ في سبتمبر عام ١٤٢ق.م بافتتاح المعبد، وهو حفل أسهم فيه «بطليموس إيرجيتيس الثاني» ومعه كل من زوجيه. وكان المنفي في هذا التاريخ يبلغ السادسة عشرة من عمره، وكان الابن الأول للملكة «كليوباترا الثالثة» قد وُلِدَ أو على وشك أن يُولَد. وثانيًا: نجد أن حالة الخصومة السافرة كانت تسود منذ هذه اللحظة بين «إيرجيتيس الثاني» و«كليوباترا الثانية». وقد كان من جراء ذلك قيام الإسكندريين على ما يظهر بثورة في صالح الملكة، وهذه الثورة أسفرت عن هرب «إيرجيتيس الثاني» في عام (١٣١–١٣٠ق.م)، غير أنها لم تكن لتحدث عند هذا العاهل تأثيرًا حسنًا بالنسبة لعدوه اللدود وابنها الذي كانت قد شرعت في جعله يُعْلَن ملكًا مكان والده. والواقع أن خطف «المنفي» بمثابة رهينة ثم قتله وهو ما حدث بعد فترة وجيزة كان الغرض منه حرمان «كليوباترا» من سلاح سياسي خطر تحارب به «إيرجيتيس الثاني»، ويقول «ديدور الصقلي»: إن «المنفي» كان لا يزال صغيرًا جدًّا عندما أُعْدِمَ؛ إذ كان لا ينبغي وقتئذ أن يكون أكثر من ست عشرة سنة.[٧٨]

وعلى ذلك فإن إنجاز المنظر الذي نحن بصدده لا بد أن يكون — بضرورة الحال — قد تم بعد الصلح الذي أُبْرِمَ بين «بطليموس إيرجيتيس الثاني» و«كليوباترا الثانية» وهو الذي يُؤَرَّخُ بعام ١٢٤ق.م،[٧٩] وهو العام الذي أُقِيمَ فيه الاحتفال بإتمام المحراب الذي اشتركت فيه الملكة المسنة بالحضور. فقد ظهر اسمها في نقش الإهداء، وكان مقرونًا باسم الزوجة الثانية للملك «بطليموس إيرجيتيس الثاني»؛ أي «كليوباترا الثالثة».

[٧٧] راجع: E. Chassinat, Le Temple d’Edfu, T. VIII, P. 9.

[٧٨] راجع: Diod., XXXIV.

[٧٩] راجع: B.L. T. II, p. 81.

هذا، ونعلم أن تزيين المحراب من الخارج لم يكن إلا في بداية عهد «بطليموس الرابع»،[٨٠] ولم يُسْتَأْنَفِ العمل فيه إلا متأخرًا، والمحتمل جدًّا أن ذلك كان بعد عام ١٢٤ق.م على يد «إيرجيتيس الثاني»؛ فقد اهتم هذا العاهل أولًا ببناء قاعة العمد الأولى الصغيرة (١٤٠–١٢٠ق.م)، وقد انتهى العمل في الجزء الداخلي منها تمامًا في مدة حكمه، وبعد ذلك شرع في القيام بنقش أوجه المعبد الخارجية، غير أنه لم يمتد به الأجل ليرى نهاية هذا العمل.

وتدل شواهد الأحوال على أن جدران المحراب حيث يوجد المنظران اللذان نفحصهما هنا قد تم العمل فيها قبل موته. أما جدران قاعة العمد الأولى فقد تم تزيينها في عهد «بطليموس سوتر الثاني» وكذلك في عهد «بطليموس الحادي عشر الإسكندر».[٨١] والمنظران اللذان نحن بصددهما والممثلان لابني «إيرجيتيس الثاني» يُؤَرَّخَان على ذلك بنهاية حكم هذا الملك، ومن ثم يجب أن يُنْسَبَا إلى الفترة التي ما بين عام ١٢٤ و١١٧ق.م من حكمه. ويصرح المؤرخ «بوشيه لكلرك» أن «إيرجيتيس الثاني» أمر بوضع «بطليموس المنفي» في قانون العبادات الأسرية باسم «نيوس فيلوباتور»؛ وذلك لأجل إرضاء «كليوباترا الثانية» وهذا يُعَدُّ بمثابة تحية قدمها لذكرى ابنه بعد وفاته.[٨٢] على أنه لم يصل إلينا حتى الآن أي برهان يمكن أن ترتكز عليه هذه النظرية التي تُعْتَبَر أكثر قبولًا من بين النظريات العدة التي وردت عن هذا الموضوع. والظاهر أن تأكيد هذه النظرية قد جاء إلينا عن طريق واحد من هذين المنظرين ولو جزئيًّا على الأقل.

ويُلْحَظُ فقط أن اسم ابن «كليوباترا الثانية» قد تبعه نعت: «الإله المحسن»، ابن الملك، الأمير محبوب الملك (بطليموس بن بطليموس العائش أبديًّا)، الإله المحسن. وهذا النقش لم يظهر بعد طغراء ابن «كليوباترا الثالثة» الذي كان يُنْعَت: روح الملك الحية … (بطليموس بن بطليموس العائش أبديًّا، محبوب بتاح). وهذا النعت لا يمكن أن يُنْسَب لوالد «إيرجيتيس الثاني»، وإلا لكان قد كُرِّرَ في المنظرين، وفضلًا عن ذلك فإنه لما لم يكن هناك في النقش الخاص بالابن الأكبر ما يدل على أنه كان لا يزال على قيد الحياة؛ فإن النقش الخاص بالابن الآخر ينعته بأنه «روح الملك الحية»، وعلى ذلك فإنه ليس من

---

[٨٠] راجع: Ibid. T. IV, P. III–IV.

[٨١] راجع: Ibid. T. IV, p. 327–402; Ibid, IV, P. IV.

[٨٢] راجع: B. L. II, p. 82.

غير المعقول أن يُسْتَنْبَطَ أن «بطليموس بن بطليموس، محبوب بتاح، الإله المحسن» هو بلا شك «المنفي» الذي كان قد مات فعلًا، وأنَّه في اللحظة التي عُمِلَ فيها هذا المنظر، وهو الذي يُوَحَّدُ أحيانًا بالملك «نيوس فيلوباتور».

وعلى أية حال فإن هذا الاستنباط يقوم في وجهه اعتراض فيما يمس توحيد «بطليموس المنفي» بـ «نيوس فيلوباتور»؛ فإن أولهما يُنْعَتُ بـ «الإله المحسن»، والآخر يُنْعَتُ بـ «الطفل الإلهي محبوب والده». وعلى ذلك يظهر من الصعب أن نفسر أنه من الممكن أن نطبق هذين النعتين على شخص واحد بعينه، وأعتقد أنه من الجائز وجود حل لهذه المعضلة التي في ظاهرها تُعْتَبَرُ غير ممكن حلها عند فحص الحوادث التي تميز عصرًا من أظلم عصور حكم «إيرجيتيس الثاني»، وترتكز معرفة هذه الحوادث بكل أسف على وثائق ناقصة وغير كافية؛ مما أدى إلى وجود فجوات عدة في تاريخ هذه الفترة تفرض على الباحث في أغلب الأحيان أن ينهج تفسيرًا خياليًّا مرتجلًا؛ فمن ذلك أن المؤرخ «بوشيه لكلرك» استعرض حل هذه المسألة بصورة واضحة في ظاهرها، غير أن مَنْظَرَيْ معبد «إدفو» اللذين نحن بصددهما الآن يُحْتَمَلُ أن يسمحا بتغيير بعض ما جاء في هذا الاستعراض أو تكميل ما جاء فيه ناقصًا في بعض النقاط.

وتوضيح ذلك أن أهالي الإسكندرية بعد أن أعلنوا سقوط «إيرجيتيس الثاني» والاعتراف بـ «كليوباترا الثانية» بمثابة ملكة عليهم؛ كانوا قد فكروا على ما يُظَنُّ احترامًا للعادة المرعية في مثل هذه الحالة أنه لا بد من البحث في الأسرة الملكية عن وارث ذكر للعرش؛ لأجل أن يكون زوجًا شرعيًّا سواء أكان حقيقيًّا أو اسميًّا. ويقال: إنه قد وقع اختيارهم على ابن أكبر له من حظيته «إيرن»، وهو بالطبع ابن سفاح، ولكن والده لما علم بذلك أحضره من «سيريني» ثم أمر بقتله، وقد هاج أهالي الإسكندرية عند السماع بهذه الجريمة، وعلى أثر ذلك كسروا تماثيل هذا الملك المبعد عن العرش، وقد كان جوابه على هذا التحدي الذي نسبه إلى «كليوباترا الثانية» أن قتل ابنه «المنفي» وأرسل أشلاءه هدية لأمه في يوم عيد ميلادها.

وهذه القصة يعتمد جزء منها على ما ذكره لنا المؤرخ «جوستن»[٨٣] وحده، ولم يشاركه فيه مؤرخ آخر. وقد نُسِبَ إلى «كليوباترا» دور يدعو إلى الدهشة بالنسبة لها؛

[٨٣] راجع: Justin, XXXVIII,8, P. 11–13.

إذ نعلم أنها كانت على جانب عظيم من النشاط، والواقع أن الذين درسوا أخلاقها قد خالجهم الشك في أن تكون قد أقحمت نفسها في مؤامرة كان من نتائجها حرمان ابنها «المنفي» من حقوقه الشرعية. حقًّا نعلم أنها بطبيعة الحال قد أسهمت في الإسراع في سقوط «إيرجيتيس الثاني» الذي كان فعلًا غير محبوب، وذلك بشعور الحقد عليه من جهة، ولكن دون شك كذلك لأجل أن تبعد أولاد «كليوباترا الثالثة» من تولي عرش الملك، وكانت تخاف من نفوذها. ولا نزاع في أن العناية التي بذلتها لتمجيد ذكرى ابنها لتظهر أنها على الرغم من أنها قد خاب ظنها في أطماعها بالحوادث التي جاءت على عكس ما كانت تصبو إليه؛ فإنها لم تكن تجهل كذلك أن موتًا قبل ميعاده كان من الممكن أن يحدث، ويتساءل الإنسان كيف يمكن أن ترضى بقبول فكرة تقسيم السلطة مع خلف غير شرعي للملك «إيرجيتيس الثاني»؟ والواقع أن المتن الذي اقتبسه «بوشيه لكلرك» نقلًا عن «جوستن» يقدم لنا سببًا للجريمة الأولى، وهو خوف «إيرجيتيس الثاني» من أن يحل محله آخر على عرش الملك؛ هذا إلى أنه لم يُشِرْ بأية إشارة إلى مشروع محالفة زوجية سواء أكانت فعلية أم اسمية، وفضلًا عن ذلك فإن «المنفي» وهو الابن البكر والوارث الطبيعي للملك «إيرجيتيس الثاني» كان في مقدوره — على الرغم من صغر سنه — أن يحكم تحت وصاية أمه، ومثل هذه الحالة قد مرت بنا فيما يخص «بطليموس السادس فيلومتور» الذي كان يبلغ من العمر ست سنوات عند موت والده. ولم يكن لدى أهالي الإسكندرية أية حجة لحرمان ابن ملكة محترمة لأجل فائدة ابن سفاح من ظهر الملك الذي طُرِدَ من البلاد.

وعلى أية حال فإنا نجهل كل شيء عن هذا الأمير المجهول الاسم الذي لم يذكره أحد من المؤرخين إلا «جوستن»، وهو الذي في الوقت نفسه جعلنا منه ابنًا لمحظية الملك «إيرن»، دون الإدلاء بأي برهان يثبت ذلك. على أن إبعاد «المنفي» الذي اختطفه والده منذ هربه إلى «قبرص» لا يمنع أبدًا أن يُنصب ملكًا على البلاد على الرغم من أن ذلك لا يمكنه من الحكم بصورة فعلية، وهذا ما كان يجب أن يحدث، وإذا كان موت «المنفي» قد أكده كثير من الكتاب القدامى، فإنه ليس لدينا إلا مؤرخ واحد قد أشار إلى موت ابن الحظية «إيرن» المزعوم، وعلى أية حال — دون أن نلقي ظلًّا من الشك على حسن نية «جوستن» — فإن الشك قد غامر المؤرخ الفاحص في دقة هذا الخبر؛ إذ يجوز أنه قد غشه أحد أولئك القصاصين الذين لا يُعْتَمَد على آرائهم، أو أنه قد ضل السبيل بين التقارير المفككة والمتضاربة العديدة التي كانت تُرْوَى عن جرائم «إيرجيتيس» وأسبابها، وهذه الجرائم

كانت تُنْقَل من فم إلى فم بصورة مبالغ فيها، ولعب فيها الخيال دورًا هائلًا، ولا نزاع إذن في أن جريمتين شنيعتين كهاتين اللتين ذكرناهما، وجاءت الواحدة تلو الأخرى في مدة قصيرة، وكان لكل منهما علاقة بالأخرى؛ لا بد أن تكونا قد تركتا أثرًا في الأذهان، ومع ذلك فإن المؤرخين الذين كانوا يصغون كثيرًا إلى من يتهمه «جوستن» بأنه ارتكبهما لم يحافظوا إلا على واحدة. على أن صمت المؤرخين في ذلك يدعو الإنسان إلى أن يفكر في أنهم قد أهملوا الأخرى؛ لأنهم يعرفون أن الاتهام كان كاذبًا … وعلى ذلك فإنه حسب هذه النظرية يظهر أن المأساة التي كان سببها الانفعال السياسي الذي بلغ أشده في الإسكندرية قد زاد في عظم خطرها بسخاء حتى صور منها أسطورة شنيعة، وسنحاول أن نسلسل حوادثها بالصورة الآتية: عندما أصبحت «كليوباترا» صاحبة السلطان في الإسكندرية فإنها لا بد كانت قد نصبت ابنها «المنفي» بوصفه خلفًا لوالده «إيرجيتيس الثاني» ولقبته «نيوس فيلوباتور»، وبعد ذلك أمرت بكسر صور الملك المخلوع؛ لأجل أن تؤكد فقدان حقوقه في الملك بوصفه ملكًا مخلوعًا. وقد كان قتل الطفل «المنفي» الذي كان قد استولى عليه والده كرهينة عندما احتمى في «قبرص» هو النتيجة الأولى من أعماله، وبذلك نرى أن «إيرجيتيس الثاني» قد أزال العقبة الوحيدة التي كانت حائلة بينه وبين عرشه المفقود، وقد كان يتخذ الأهبة فعلًا لاسترجاعه بمساعدة جيش من الجنود المرتزقين.

وبعد مضي ستة أعوام على هذا الحادث أي في عام ١٢٤ق.م عندما قرر — لأسباب ليس للعواطف فيها دخل يذكر؛ بل دعت إليها الأحوال السياسية بعد أن تهادن مع «كليوباترا الثانية» — أن يمنح أمجادًا إلهية للطفل الذي كان قد قتله، وهذه الأمجاد هي التي تظهر أمامنا ممثلة في متن «إدفو» الذي نحن بصدده، ولم يكن في مقدوره — خوفًا من أن يظهر راضيًا عن عمل مرتبط بسقوطه المخزي — أن يعترف رسميًّا بالتسمية التي مُنِحَتْ لمناهضه المؤقت؛ لذلك عندما كرمه والده بعد مماته بلقب الإله المحسن، وهو لقب كانت تحمله كل من أخته وزوجه وهو بالمثل، فإنه قد بقي في التقليد محجوبًا بظل من الكتمان حقبة مؤلمة دامية في عهده، وهذا التوافق، وكذلك كل المصادفات التي نبتت عن موضوع توحيد «نيوس فيلوباتور» بالمنفي لا تقدم لنا الحل الواضح والنهائي في مسألة يخيم عليها حقيقة الغموض؛ إذ إن ذلك يترك أمامنا دون تفسير ذكر «الإله نيوس فيلوباتور» في المتون الهيروغليفية والديموطيقية والإغريقية التي كان ينبغي أن تُحْذَف منها، إذا كان الرأي الذي استعرضناه فيما سبق على أساس. حقًّا ظهرت هذه التسمية متأخرة، وذلك على ما يظهر فقط في نهاية حكم «إيرجيتيس الثاني» حوالي العام الثاني

والخمسين من حكمه، وبوجه خاص في عهد خلفه «بطليموس العاشر سوتر الثاني» في نقوش دير المدينة.[٨٤]

والآن هل ينبغي علينا أن نستنبط أن الملك المسن قد استسلم لتضرعات «كليوباترا الثانية» ورضى في النهاية — بعد أن عاد إلى صوابه أو لثقل السنين على كاهله — ليعيد إلى «المنفي» الاسم الذي كان ينبغي أن يحكم به، ويكتب اسمه في قانون الآلهة الأسريين بوصفه الإله «نيوس فيلوباتور»؟

وتدل شواهد الأحوال على أن تاريخ البطالمة مليء بالمواقف أكثر مما يجب التي لم يكن في الحسبان وقوعها، وهي التي نجد فيها حتى أصبح الشاذ مقبولًا، لدرجة تجعل مثل هذا التغير جائزًا. على أنه لا يمكننا أن نصدق ذلك دون تحفظ عندما تعوزنا الأدلة.

والتردد في ذلك على أية حال طبيعي؛ وذلك لأن القدامى أنفسهم لم يكونوا متأكدين من المكان الذي يليق بأن يُنْسَب إلى الإله «نيوس فيلوباتور» ليوضع فيه في القوائم الملكية، وهذا التردد الغريب يحتمل أن ينسب بصورة أكيدة إلى التغييرات التي عُمِلَتْ في هذه القوائم على أثر الإدراج المتأخر المصحح لضحيتي «إيرجيتيس الثاني» وهما الإله «يوباتور» والإله «نيوس فيلوباتور» والأخير قد حل محل «المنفي» بوصفه الإله المحسن، وهذا التغيير الأخير قد سبب في بادئ الأمر بعض التردد في نفس أولئك الذين لا يعرفون الأسباب الحقيقية التي كانت التدابير قد اتُّخِذَتْ لمنع إذاعتها بين الناس. ومهما يكن من أمر فإنه قد حصل على حقيقة جديدة مؤكدة، ويرجع الفضل في ذلك إلى المنظر الذي حُفِرَ على واجهة جدار محراب معبد «إدفو»، وهذه الحقيقة هي رفع ابن «إيرجيتيس الثاني» و«كليوباترا الثانية» إلى مرتبة الإله المحسن (إيرجيتيس) بعد موت الأول.

أما تفسير المنظر الذي يقابل السابق، وهو الذي ظهرت فيه «كليوباترا الثالثة» فليس فيه أية صعوبة، ومعناه واضح، وذلك أن الطفل الممثل فيه هو «بطليموس العاشر سوتر الثاني»، وشخصية الملكة في هذا المنظر مؤكدة باللقب الذي تحمله، وهو «زوج الملك» وهو اللقب الذي يميزها من «كليوباترا الثانية» التي كانت تحمل لقب الأخت الزوجة، وذلك في الفترة التي تلت مدة شقاقها مع «إيرجيتيس الثاني».

وعلى أية حال فإن «إيرجيتيس الثاني» عندما قدم تكريمًا لزوجه الأولى بوصفها أمًّا فإنه لم يكن في استطاعته أن ينسى أنه مدين إلى زوجه الثانية بالابن الذي دُعِيَ ليكون

---

[٨٤] راجع: Daressy Bull. de l’Inst. Franç. D’archeolog. Orientale, T. VI.

خليفته على ملك أرض الكنانة. ومن الجائز أنه كان يأمل كذلك من وراء هذا العمل الذي منح ترضية عادلة لكل من زوجيه قد جلب في هذه الأسرة الغريبة التي تتألف من زوج وامرأتين الهدوء والسلام الظاهرين الذين لم يذق طعمهما أبدًا على وجه التأكيد هذا الملك إذا كان كل ما نُسِبَ إليه صحيحًا.

وخلاصة القول أن هذا التفسير الذي أوردناه هنا لحل هذا الارتباك الأسري من حيث ترتيب ملوك البطالمة لا يخرج عن كونه نظرية في ظاهرها مقبولة غير أن الحل النهائي الحاسم لا يزال نفتقر إليه، وقد لا يكون بعيدًا ظهوره؛ لأن جوف أرض مصر مليء بالمفاجآت التي لا ينقطع معينها.

الآثار التي خلفها بطليموس السابع في مصر

لا نزاع في أن ما تركه لنا «بطليموس السابع» من آثار في أنحاء القطر المصري يضعه في الصف الأول من ملوك البطالمة الذين اهتموا بإقامة المباني الدينية وإصلاح ما كان منها مخربًا أو آيلًا للدمار في عهده. والواقع أنه أقام معابد عدة في كل أنحاء البلاد، وبخاصة في الوجه القبلي على حسب ما هو ظاهر أمامنا، وليس ببعيد أنه قد أقام كذلك مبانيَ كثيرة في الوجه البحري قد عفا عليها الزمن، وتلاشت بسبب طبيعة هذا الجزء من البلاد، وعلى أية حال نجده قد ترك لنا بعض الآثار التي تشهد له بفضله على رجال الدين.

(١) أسباب اهتمام «بطليموس السابع» بإقامة المباني

وقد يتساءل الإنسان لماذا اهتم «بطليموس السابع» كل هذا الاهتمام بإقامة الآثار الدينية العدة مع ما كان مشهورًا به من قسوة وسوء أخلاق؟ والجواب على ذلك سهل ميسور: فقد علمنا من قبل أن أرض الكنانة في عهده وفي عهد سلفيه كذلك كانت في حمة من الفتن والاضطرابات، بل والثورات والمؤامرات الداخلية، وأخيرًا الحروب الخارجية، وكان لا بد للملك الحازم في هذه الأحوال من وجود حزب قوي الشكيمة عظيم النفوذ في البلاد يمكنه أن يركن إليه ليكون سنده الأصيل عند قيام الفتن واندلاع الثورات في الداخل، وعونًا له ونصيرًا في حروبه الخارجية إذا اقتضت الأحوال ذلك، وكان أكبر حزب يمكن الملك أن يستند عليه في مصر في كل عصورها التاريخية هو حزب رجال الدين الذين كان بيدهم زمام الشعب من الناحية الروحية، ومن أجل ذلك نجد أن فراعنة مصر كانوا دائمًا يستميلون رجال الدين إلى جانبهم ويضمونهم إلى صفهم. وقد كانت هذه هي السبيل التي سلكها «بطليموس السابع»، ومن هنا عمل على إرضائهم بكل وسيلة، ولم يكن هناك

أحب إلى رجال الدين من العمل على تعظيم آلهتهم والإعلاء من شأنهم، وذلك بإقامة المعابد وحبس الأوقاف عليها، ولا يبعد أن «بطليموس السابع» الذي كان يُعَدُّ من علماء ملوك البطالمة العظام قد قرأ تاريخ الأسرتين التاسعة والعشرين والثلاثين، وما قام به بعض ملوكهما من مناهضة رجال الدين، والافتئات على حقوقهم، وسلب كنوزهم؛ فكانت النتيجة أن خُلِعُوا من عروشهم بسبب تعديهم على أموال المعابد وأوقافها. وفي الوقت نفسه قد وجدنا أن الملوك الذين أحسنوا إلى رجال الدين واتخذوهم إلى جانبهم وأقاموا المعابد العدة في طول البلاد وعرضها في نفس هاتين الأسرتين قد فازوا فوزًا عظيمًا، ولا أدل على ذلك من المباني العظيمة العدة التي تركها فراعنة هاتين الأسرتين، وبخاصة فراعنة الأسرة الثلاثين، وقد فصلنا القول في هذا الموضع في الجزء الثالث عشر من مصر القديمة. ولا نزاع في أن «بطليموس السابع» كان في حاجة إلى رجال الدين في الفترة الأخيرة من حكمه، ولذلك نجده لا يألو جهدًا في إرضائهم بإقامة المعابد وإصلاح المهدم منها، وسنرى فيما سنستعرضه هنا من الآثار التي أسسها هذا العاهل أو وُجِدَ اسمه عليها أنه كان صاحب باعٍ طويل في إقامة المباني الدينية.

والواقع أن ملوك البطالمة كانوا يتأثرون في ذلك خطى الفراعنة العظام.

(٢) نقوش إهداء لـ «بطليموس إيرجيتيس الثاني» على البوابة الثانية لمعبد الكرنك[١]

تدل المتون التي نقشها «بطليموس إيرجيتيس الثاني» على الجزء الأسفل من خدي الباب في كل جهة من جهتي الباب الأوسط من البوابة الثانية للكرنك على أن هذا العاهل كان على صلة طيبة بالإله «آمون» وبأهل إقليم «طيبة» بوجه عام، وذلك على الرغم من أن هذا الإقليم كان منذ الأسرة الواحدة والعشرين يُعْتَبَرُ كأنه دولة مستقلة بذاتها، وأن ملكه كان الإله «آمون». غير أن هذا الاستقلال كان يسير على حسب ما لملوك مصر من قوة وسلطان على البلاد، وقد كانت سياسة البطالمة كما ذكرنا مرارًا وتكرارًا هي مهادنة الكهنة والعمل على إرضائهم لما كان لهم من قوة روحية على أهل البلاد؛ ومن أجل ذلك كان ملوك البطالمة يقيمون المباني الدينية أو يصلحون ما كان قد تهدم منها بقصد إرضاء الكهنة وجعلهم

[١] راجع: A.S. Tome XLIV. P. III ff.

في جانبهم، وقد سار «بطليموس إيرجيتيس الثاني» على نهج هذه السياسة، وبخاصة بعد أن رأى ما حدث في عهد أخلافه من حروب طاحنة نشبت بينهم وبين أهل مصر، والمتن الذي نقشه هذا العاهل على بوابة الكرنك الثانية يدل دلالة واضحة على مقدار ما كان للإله «آمون» ولمدينة «طيبة» من سلطان في البلاد، كما يظهر في الوقت نفسه كيف أمكن «إيرجيتيس الثاني» أن يضم الكهنة إلى جانبه بعد نضال مرير حدث في عهد أسلافه، بل وفي عهده هو نفسه.

(٢-١) النقش الذي على الخد الشمالي

(١) إهداء الباب: يعيش الإله الكامل (وارث الإلهين الظاهرين، المختار من «بتاح»، ومن يعمل العدالة لـ «رع»، وصورة «آمون» الحية).

لقد جدد آثار الباب العظيم جدًّا والفاخر البهيج الذي يضيء الأفق في هذه التي هي في وجه سيدها (= طيبة)، وهي مكان البداية، ومصب ماء «نون» لهذا الذي اسمه خفي (= آمون).

(٢) خلق تربة «طيبة»: لقد صنعها (= طيبة) ونشأها وسواها بلهيب عينه في الأرض وعلى شاطئ الماء، وجعلها (حتى الآن) تتمتع بحرارة الصل العظيم اللهب.

(٣) خلق العالم: لقد أعلن الأشياء التي ستتأتى، وقد حدثت في الحال، وقد خلق ما قاله بصوته، ونظم القوانين التي تترتب على ذلك، ولم يأمر أبدًا بأشياء معيبة.

(٤) خلق الشمس: لقد برأ «تاتنن»، وضع الثامون (ثمانية الآلهة التي تُعْبَدُ في الأشمونين)، وشكل جسمه على هيئة طفل إلهي خرج من زهرة «البشنين» في وسط «نون» (= المحيط الأزلي)، وأضاء الأرضين بعينيه (= الشمس والقمر).

(٥) خلق الناس والآلهة: وفطر الناس والآلهة.

(٦) تنظيم الآلهة: لقد نظم تاسوع الآلهة، وأسس الثامون (أي ثمانية الآلهة في الأشمونين) بوصفه الأب الإلهي لخدامه، وجعل الإله «شو» بمثابة كاهن يحمل الناووس في المواكب، والإلهة «تفنوت» تخدمه بمثابة زوج إلهية.

(٧) تنظيم «طيبة» بوصفها عاصمة: لقد نظم المدينة التي تحمي «هذا الذي فيها» (= يقصد الملك الذي يحكم فيها)، والذي يحكم الأرض لوالده الذي أنجبه (= آمون).

(٨) حكم «آمون» ملك الآلهة، وأخلاقه على الأرض: لقد ظهر بوصفه ملكًا معافًا أمام الآلهة، وبوصفه ملكًا آمنًا على عرشه، وقد اتخذ اسم «آمون ملك الآلهة» منذ اللحظة

التي حكم فيها الخليقة، وقد تجدد بوصفه ملكًا على الوجه القبلي والوجه البحري وسيد التيجان للأرضين مكان «أوزير»، وأعطى الدخل المقدس للآلهة والإلهات، ووضع القوانين في المعابد.

(٩) ثراء «طيبة» وتعدده: لقد جعل «طيبة» أعظم ثراء من كل المدن مجتمعة؛ لأنها ملكتها، ووعاء مليون (يقصد الإله «آمون»؛ لأنه يظهر في عدد لا يُحْصَى من المخلوقات)، وقاعة جلسات ملك الآلهة (= آمون) التي يلمع فيها في هيئة اللامعين (= الشمس والقمر).

وقاعة «تاتنن».

وعرش الكبير (= حور أختي).

وعش الرياح لكل الأنوف.

والهرم الصغير (بن بنت) لسيد السادات (= آمون).

والتل الأزلي (الذي تستند عليه) العين المقدسة في الأزل إلى أن أصبحت الأرض غطاء «نون»، وإلى أن أصبح ارتفاعها (= الأرض) ارتفاع «طيبة»، وإلى أن امتص السماء نشاط الآلهة لدرجة أن الصلين (= العينين) قد امتلئتا، وإلى أن ابتهجت عين «حور» (= طيبة).

وهي عماد هذا الذي لا يعرف أحد كنهه (= آمون).

وبوابة الحياة (= آمون).

ومحبوب ... الآلهة (= آمون).

وواجهة محراب العزيز (=آمون).

ومحراب آلهة العناصر.

والمدينة الأبوية والبلدة الأموية لذكر الآلهة (= آمون).

والمكان اللائق لولادة «هذا الذي يظلل محراب الأرضين» (= آمون) وحامية المدن، ومعلمة المقاطعات.

...

مخزن غلال ...

ومقاطعة ثمانية الآلهة (التي تُعْبَدُ في الأشمونين).

ومدينة الصولجان للقويين (الشمس والقمر).

ومعبد الآلهة والإلهات للأرضين.

ومهد «أونوفريس» (أوزير المتوفى) الذي يظهر فيه النور.

وأرض الأجداد لـ «نون» العظيم (= آمون).

وبلاط ملك الآلهة (حور أختي) والعاهل (حور أختي) الذي يعيش أبديًّا.

(٢-٢) النقش الذي على الحد الجنوبي

(١) إهداء الباب: يعيش الإله الكامل ابن «آمون» والذي وضعته «موت» سيدة السماء، ابن «رع» «بطليموس» العائش أبديًّا محبوب «بتاح»، الإله المحسن. لقد جدد الباب العظيم دون أن يكون له مثيل في مصر، فالمصراعان اللذان يغلقانه مصنوعان من خشب أرز «لبنان» الحقيقي؛ وقد كُسِيَ بنحاس أسيوي، ونقشهما غاية في الجمال، وارتفاعه الكلي ٥٣ ٢/٣ ذراعًا، وعرضه ٢٠ ١/٢ ذراعًا، ويبتهج الإنسان برؤيته في النور. وارتفاع كل من المصراعين هو ٣٦ ذراعًا. وهذا يكفي (لعمل) بابين باسمه باب الأبواب الفاخرة مضيئًا مدينة صولجان «آمون رع»، عظيم المساكن (يقصد آمون) في وجه عين «رع»، وسيد الاحترام في الكرنك؛ وملكة المدن والمقاطعات، وشاطئ مرصد الإله الأزلي، والعين اليمنى لسيد العالم؛ وسماء هذا الذي أوجد نفسه (= آمون).

(٢) «طيبة» أكمة الخليقة: (أي المكان الذي ظهر للمرة الأولى في المحيط الأزلي عند بدء الخليقة).

لقد حدث عندما كان جلالته (= آمون) قد أخفى رأسه تجاه حدودها (= طيبة)، وعندما كانت الأرض في قاع الفيضان، فإنه (= آمون) قد وضع قدمه عليها (= طيبة) فخلع عنها خمودها كلية عندما جلس على وجهها، وكانت هناك الأرض التي أصبحت مثل التل الصلد الذي برز في البداية.

(٣) «طيبة» عاصمة كل المدن: وعندما ولدت الجنيات الإناث (حموس-وت) فإن تربتها (= طيبة) كانت قد قُسمَت بين جميع المدن، وعندما وُجِدَتِ المدن نفسها عُمِلَتْ الأقطار باسمها (أي إن الأقطار سُمِّيَتْ باسم المدن) أي باسم عواصمها التي أوجدتها.

(٤) «طيبة» القطب الذي تدور عليه الأرض قاطبة: وتُسَمَّى مدار الأرض قاطبة، وأحجارها ذات الزوايا قد وُضِعَتْ في الأعمدة الأربعة (أي الأعمدة التي تحمل عليها السماء) فهي إذن مع الرياح (أي في جهات العالم الأربع) وهي تحمل سماء «هذا الذي أخفى» (= آمون).

(٥) بقايا الشارات الأثرية المحفوظة في «طيبة»: إنها تحتوي على العصا المقدسة ملك قوة القوى (= آمون) وكذلك على صولجان «حور أختي».

(٦) وظيفة «طيبة» النظرية: ويُطْلَقُ عليها اسم «طيبة» المنتصرة سيدة الشجاعة؛ لأنها حمت كل الآلهة، وجلالها (= طيبة) فوق ملوك الوجه القبلي والوجه البحري منذ أن

قال «رع»: فليعمل على احترام قوانين السماء في «طيبة» وبالتبادل (أي يعمل على احترام قوانين «طيبة» في السماء)، وأنها تحمي أطفاله على الأرض (أي أطفال «رع» وهم الملوك) في عالمنا الحاضر بمثابة صوره (أي صور «آمون» الحية) على رأس الأحياء.

(٧) «طيبة» الأم العالمية: إن الآلهة والإلهات الذين من البطن الأول الذين وُلِدُوا فيها هم أولئك الذين أوجدوا المخلوقات (لأنه) عندما وُجِدَ «كنبح» (يقصد بهذه اللفظة إلهة الأشمونين ومعها «رع») أصبحت هي الأم، وملكة «بوتو» وسماء مصر وملكة «حتحور» الأرضين.

(٨) «طيبة» مدينة أبدية: إن جلالتها ستدخل لتملك نهاية الأبدية، وشمسها هي «أمونوريس»، وقمرها هو الذي يشرف على «بنبنت» (= خنسو)، وسكانها نجوم السماء تحت إمرة الإله «منتو» المنتصر، وإنها عين «رع» ملك الآلهة الذي فيها، وهي رمزه في العالم.

(٩) «طيبة» وفيضان النيل: والماء يرتفع بأمر صورته الإلهية (يقصد آمون) وهو الذي بقوته يكون الحصاد (آمون)، والمكان الذي يصل إليه «نون» (= آمون). وإن جلالة «حور أختي» الذي يقود إليه الموج بفطنة سريعة. وعندما تجف تربة مدينة الحياة فإن النيل يأتي (= بتاح) … الأبدية …

ومعابد «طيبة» في بحبوحة، والمذابح الخاصة بـ … (آمون).

(يأتي بعد ذلك متن مهشم.)

… الخيرات لآلهته لدرجة أنه لن يكون هناك هم يشغل أولئك الذين ينامون في قلبها … محاصيلها. والأطعمة تُصْنَعُ على حسب رغبتها (= طيبة) فما أكبر وما أشرف هذا الذي يكون في صحبتها، ويرى ما يمكن أن يتصوره قلبه، وجلالته (= آمون) مرتاح …

في معابدهم. ومصر مزدهرة بالحياة و«سخمت» (إلهة الوباء) لا تقذف وباءها، والفيضان ينبسط ويغمر الأرضين. وليس هناك نقص في السرور، ولا في الابتهاج عند الناس، وحصاد الحقول لم يكن متأخرًا. والأمير مطمئن على عرشه، وجميع البلاد الأجنبية تحت موطئ قدميه سرمديًّا.

(١٠) طيبة مقبرة «أوزير»: تُوجَد «طيبة» على رأس الأقاليم المصرية؛ لأن الذي أنشأها موجود في تربتها (= أوزير)، وفيها عضو في كل الأماكن (التي دُفِنَتْ فيها أعضاء «أوزير»)

والضواحي تطأطئ الرأس، وإن الذي يشرف على «الدب الأكبر» (يقصد الإله «ست») قد حُرِمَ من إقطاعه فيها (أي طيبة).

(١١) آلهة «طيبة» وأعيادها: إن القوية (= «وسرت» = اسم إلهة ظهرت منذ الدولة الوسطى) مع والدها في صورتها السامية «أمونت» العظيمة بين … وتاج الجنوب وتاج الشمال، وكذلك خصائص الآلهة ذكورًا وإناثًا. وفي أثناء أعياد الكرنك نعلم أن العدد مئات الآلاف بالحساب …

(١٢) «طيبة» هي الملكية المسيطرة: إن الكاهن «سمت» يتضرع إليها، وكذلك أطفاله؛ لأجل أن يطلبوا أن يصبح في صحة جيدة، وإنه يرفع الصوت … المنتقم للآلهة والإلهات، الإله الحالي … القبة الزرقاء. وقد منح «بتاح» اسمه على حسب منزلته؛ لأجل أن يجعله أكثر قوة من كل الآلهة مجتمعة … الذي يشرف على الكرنك، سيد السماء وملك الآلهة … وكل أولئك الذين يتنفسون هم رعاياه؛ وأنه مطمئن على عرشه. وليس له مثيل، ولا يوجد هناك من هو أعظم منه على رأس الملوك … ملك الوجه القبلي والوجه البحري (وارث الإلهين الظاهرين المختار من «بتاح» ومن يعمل العدالة لـ «رع» والصورة الحية لـ «آمون») وزوجه الملكة سيدة الأرضين «كليوباترا الثانية»، الإلهين الظاهرين. ليتهما يعيشان مثل «رع» أبد الآبدين.

(٢-٣) تعليق

لا نزاع في أن هذا المتن يرجع في أصله إلى أقدم عهود التاريخ المصري القديم؛ وذلك لأنه يحتوي على معلومات كثيرة ذكرت في الدراما المنفية التي تحدثنا عنها في عهد الملك «شبكا» أحد الملوك الكوشيين.[٢] وإذا دققنا النظر في تطور الأفكار الدينية في هذا المتن فإنا نشاهد وجود تعابير تثبت دون أي جدال التطور المعروف في الديانة المصرية القديمة من حيث صفات الآلهة ونعوتها. وتفسير ذلك أنه في خلال العهود الأخيرة بوجه خاص كان الإله إذا احتل مكانة عالية في نفوس القوم نجده يجمع لنفسه كل الصفات المرموقة التي كان يتحلى بها الآلهة الآخرون، ومن أجل ذلك نشاهد أن بعض الآلهة وبخاصة «آمون» كان

[٢] راجع: مصر القديمة الجزء الحادي عشر؛ حيث تجد أوجه شبه بين المتن الذي نحن بصدده الآن وبين متن الدراما المنفية، وبخاصة بين «منف» و«طيبة» وبين «بتاح» و«آمون».

يحل محل كل الآلهة التي كانت شائعة في عهده، وهذا السبب هو الذي أوحى لكاتب المتن الذي نحن بصدده في عهد «بطليموس إيرجيتيس الثاني» فكرة إضافته كل الأسماء الإلهية أو غالبيتها على الأقل المخصص المميز للإله «آمون»، وذلك بقصد إثبات أن كل هذه الآلهة قد توحدت في هذا الإله الأعلى؛ فنجد في الأنشودة التي وردت في المتن الذي نتحدث عنه هنا أن إله القمر «خنسو» قد وحد بالإله «آمون»، وفضلًا عن ذلك نشاهد أن «طيبة» قد سُمِّيَت تربة الأجداد للإله «آمون»، ومن الجائز كذلك أن مخصص الإله «آمون» كان قد أُضِيفَ هنا لاسم «نون» بيد الكاتب البطلمي.

وهذا المذهب الذي يدعو لتوحيد كل الصفات الخاصة بالآلهة في إله واحد يرجع إلى عهد سحيق في القدم على ما يظهر. وقد وضح لنا ذلك الأستاذ «ينكر»[٣] عندما وضع لنا ترجمة حديثة للدراما المنفية التي وُجِدَتْ على الحجر المنسوب للملك «شبكا» الكوشي. فقد برهن لنا على أن هذه كانت الفلسفة الدينية لهذا المتن القديم. وقد أرخ «ينكر» هذه الدراما بصورة قاطعة بعهد الأسرة الخامسة المصرية.

وفي هذه اللوحة نجد أن الإله «بتاح» إله «منف» قد وحد عن قصد بالإله نون(المحيط الأزلي) كما وحد بآلهة أخرى، وهي التي على حسب الأسطورة القديمة قد لعبت دورًا هامًّا في خلق الكون منذ الفوضى أو اللاشيء الأولى حتى ظهور الشمس وخصائصها، وكذلك الكونيات التي مهدت لولادة هذا النجم، وحتى زهرة البشنين التي تخرج من هذا النجم (= الشمس).[٤] وقد تعرف الأستاذ «ينكر» في هذا المذهب الديني استمرار الفكرة القديمة جدًّا القائلة بوجود إله عالمي سيد السماء يُدْعَى «ور» (= العظيم = أوريس)،[٥] وقد ورد ذكره في تركيب بعض الأسماء في الدولة القديمة، هذا بالإضافة إلى ظهوره في بعض الألقاب الكهنية العتيقة، وتدل الأحوال على أن الإله «آتوم» لم يكن إلا تسمية لهذا الإله الخاص بمدينة «هليوبوليس».[٦]

---

[٣] راجع: Junker, Die Gotteriehre von Memphis Schabaka Inschrift. Abhandl. Preus Akad, Wissensch, 1939 Phil. Hist. kl. 23.

[٤] راجع: Ibid. p. 17–20, 39 and 77.

[٥] راجع: Ibid. p. 25–30.

[٦] راجع: Ibid. p. 32–36.

ويقول الأستاذ «ينكر» إن نشاط هذا التقليد وحيويته التي وصلت إلينا من أعماق عهود ما قبل التاريخ كانت قوية جدًّا لدرجة أنه لم يكن في استطاعة أي إله محلي أبدًا في خلال مجرى التاريخ المصري أن يصل إلى المرتبة العليا دون أن يُوحَّد ضمنًا (ولو ظاهرًا؛ كما يبرهن على ذلك الأسماء المركبة تركيبًا مزجيًّا مثل «بتاح أوريس»، و«حور أوريس» و«آمون أوريس») بالإله العظيم «أوريس»، ويشكل أسطورته على غرار أسطورة «أوريس» هذا. وهكذا كان لا بد للإله «آمون» أن يمر بهذا الدور.[٧] وعلى أية حال فإن جمع الصفات الإلهية كلها في إله واحد هي التي أوحت إلى المؤلف البطلمي أن يحمل أكثر — مما يجب — مخصص الإله «آمون». فقد جعله يشمل على وجه التقريب كل الأسماء الإلهية التي وردت في هذه النقوش التي نحن بصددها؛ وهذا لم يكن في الواقع نهاية تطور في الآراء الدينية، بل كان في حقيقة الأمر يدل على التعبير عن علم لاهوت يرجع إلى عهد قديم جدًّا. وعلى ذلك فإنه ليس لدينا ما يدعو للدهشة إذا وجدنا الشاهد على ذلك في أقدم الوثائق. ولا نزاع في أن هذه الوثائق القديمة لا بد كانت محفوظة في مكتبات المعابد القديمة منذ أزمان بعيدة جدًّا، وأن الكهنة كانوا يخرجونها من أماكنها عند الحاجة، وبخاصة عندما كانوا يريدون أن يجعلوا الملوك يؤمنون بعقائدهم المتوغلة في القدم. وقد تجلى ذلك في العقائد التي كانت منتشرة في عهد البطالمة بصورة بارزة؛ إذ من البدهي أن المطلع على ألقاب البطالمة وأسمائهم لا يكاد يجد طغراءاتهم خالية من أسماء الآلهة العظام الثلاثة التي كانت صاحبة الشأن الأعظم في كل عصور التاريخ المصري بوجه عام، وأعني بذلك الآلهة «رع» و«حور» و«بتاح» و«آمون رع».

وفي اعتقادي أن هذه المتون التي نقشها «بطليموس السابع إيرجيتيس الثاني» على البوابة الثانية لمعبد «آمون رع» قد وُضِعَتْ عن قصد، فقد كانت على أغلب الظن ضمن سياسة رسمها «إيرجيتيس الثاني» لنفسه، وكان الغرض منها ضم كهنة «آمون» إلى جانبه؛ لأنهم كانوا قوة جبارة في البلاد في عهده كما كانوا في العهود التي سبقته، وباعترافه بمذهبهم الديني وبخاصة تعظيم إلههم العظيم «آمون» قد أرضاهم كل الرضى، وبخاصة لأن نزعة كهنة «آمون» كانت نزعة استغلالية طموحة منذ الأسرة الواحدة والعشرين الفرعونية.

---

[٧] راجع: Ibid. p. 31–32.

(٣) الآثار التي خلفها بطليموس السابع في «طيبة» بوجه عام

كان من عادة فراعنة مصر منذ احتلت «طيبة» مكانة مرموقة في التاريخ المصري أن يخلدوا ذكراهم في تلك البقعة؛ إما بإضافة بعض المباني، أو بإصلاح بعض المعابد المتهدمة، أو حتى بإضافة اسمهم وحسب ليُحْفَظَ في سجل الخالدين.

(٣-١) معبد الكرنك

ففي معبد الكرنك العظيم نجد أن «بطليموس السابع إيرجيتيس الثاني» قد نقش متن إهداء للإله «آمون رع» ملك الآلهة، وذلك عند مدخل البوابة الرابعة.[٨]

وكذلك وُجِدَتْ قطعة حجر مُثِّلَ عليها «بطليموس السابع إيرجيتيس الثاني» في صورة بولهول يقدم صورة العدالة للإله «تحوت».[٩]

(٣-٢) معبد خنسو

(أ) المدخل للمحراب

(٧٦) و(٦٨): يُشَاهَد هنا على سمكي الباب من الخارج بداية متن يدل على تجديد المعبد، والمحتمل أنه للملك «بطليموس السابع إيرجيتيس الثاني».

(ب) الدهليز الذي حول المحراب

(٦٩): يُشَاهَد هنا فوق الباب «بطليموس السابع إيرجيتيس الثاني» (مشهمًا) أمام «آمون رع» «كاموتف» (= ثور أمه) وأمامه «إبت» (إلهة الأقصر)، وكذلك أمام آلهة العناصر، والمتن الذي يصحب الإلهة «إبت» هو:[١٠]

> قول «إبت» العظيمة التي ولدت الآلهة والحامية العظيمة في «إبت الجنوبية» (أي القصر) والأم الإلهية لثور أمه (= لقب للإله آمون).

---

[٨] راجع: Porter & Moss. II. p. 28; L.D.Texte III, P. 21.

[٩] راجع: Porter & Moss Ibid., P. 66.

[١٠] راجع: L.D.T. p. 82.

(ج) المدخل لقاعة قائمة على أربعة عمد

(٧٧) الخارجة: يُشَاهَد هنا في النصف الأعلى صف طويل من الآلهة، ويُلْحَظ في هذا المكان أن الباب قد أصلحه «بطليموس إيرجيتيس الثاني»، ونقرأ هنا من بين الآلهة المذكورة على قائمتي الباب الإله «جب» إله الأرض على اليسار والإله «سبك» (= التمساح).

(٣-٣) معبد «إبت»[١١]

وهذا معبد صغير أقامه «بطليموس السابع»، ويقع بجوار معبد الإله «خنسو».

ويُشَاهَد فوق باب هذا المعبد «بطليموس السابع إيرجيتيس الثاني» أمام الإله «أوزير».

(أ) الحجرة الشمالية رقم ٨

(١١) و(١٢): يُشَاهَد هنا «بطليموس إيرجيتيس الثاني» في ثلاثة مناظر أمام آلهة.

(١٣): يُشَاهَد هنا «بطليموس السابع إيرجيتيس الثاني» في صفين مع آلهة.

(١٩): مُثِّلَ هنا «بطليموس السابع» مع صفين من النقوش أمام آلهة.

(٢٠): في صفين من النقوش هنا نشاهد «بطليموس السابع» ممثلًا؛ كما يُرَى الطفل «حور»، وكذلك الطفل «حور» ترضعه «إزيس» أم الآلهة. وفي الصف الأعلى نرى صورة الإله «آمون رع» والطفل «حور»، كما نشاهد الملك أمام «آمون رع» و«خنسو» في المنظر الذي على اليمين.

(٢١): مُثِّلَ هنا «بطليموس السابع» و«كليوباترا الثانية» أمام إلهات وآلهة في صفين من النقوش على التوالي.

(٢٣): نقرأ هنا متنًا خاصًّا ب «بطليموس السابع» و«كليوباترا الثانية».

(٢٤): ونجد هنا متنًا خاصًّا ب «بطليموس السابع» و«كليوباترا الثالثة» زوجه.

[١١] راجع: Porter & Moss II p. 86 (Plan).

المحراب

(٢٥) و(٢٦): مُثِّلَ هنا في الصف الأعلى «بطليموس السابع» أمام آلهة.

(٣٢) و(٣٣) و(٣٤): مثل الملك «بطليموس السابع» أمام صورتين من صور الإلهة «إبت» وأمام علم.

(ب) تعليق

ويُسْتَدَلُّ من نقوش هذا المعبد على أن الذي أقامه برمته هو «بطليموس إيرجيتيس الثاني»، ولكن لا بد أن يُلْحَظَ هنا أن زينته قد عُمِلَتْ في تواريخ مختلفة؛ فالقاعة التي تقع في الشمال قد أُهْدِيَتْ لـ «بطليموس الثامن» (؟) وحده. ولا يمكننا أن نحدد تاريخها؛ لأنه — كما نعلم — لم يحكم البلاد بمفرده. أما المحراب والقاعة الجنوبية فإنهما أُهْدِيَا إلى «بطليموس السابع» و«كليوباترا الثانية»؛ وذلك لأن الأخيرة سُمِّيَتْ هنا أخته. ولما كانت «كليوباترا الثانية» هذه قد حكمت مرتين مع «إيرجيتيس الثاني» فإن زخرفة هذه القاعات يمكن أن تكون قد تمت ما بين عام ١٧٠ وعام ١٦٤ق.م، وهذه هي الفترة الأولى لحكم الملك «إيرجيتيس الثاني»، أو ما بين عام ١٤٦ و١٣٤ق.م، وهذه هي الفترة التي تمثل حكمه الثاني حتى اليوم الذي تزوج فيه من «كليوباترا الثالثة». والمرجح أنها عُمِلَتْ في العهد الأول؛ لأنه قد جاء فيه ذكر الملك «نيوس فيلوباتور» وهو الذي مات في عهد «بطليموس السابع» قَاتِله كما يُقال.

وتدل الشواهد أن هذا المعبد كان موجودًا قبل عهده، وأنه هو الذي جدده كما يقول متن نُقِشَ على جدرانه جاء فيه: «لقد بُنِيَ مسكنها (أي الإلهة إبت) من جديد بعمل ممتاز خالد، وإنه قد أصبح جميلًا جدًّا كما كان من قبل.»

والظاهر أن «بطليموس السابع إيرجيتيس الثاني» لم يُتِم زخرفة هذا المعبد من الداخل، ولم يَقُمْ أحد من خلفائه بإتمام هذا العمل.

وفيما بعد نجد أن «بطليموس فيلوموتور فيلادلف» (نيوس ديونيسوس) أمر فقط بنقش قائمتي الباب الخارجيتين لباب الدخول؛ لأجل أن يكون للمعبد واجهة. وأخيرًا نجد

أنه في عهد الإمبراطور «أغسطس» تم زخرفة خارج المعبد حيث تُوجَد سلسلة من النقوش على الجدار تحتوي على عشرة مناظر.

وقد سُمِّيَ هذا المعبد بصورة عامة: «بر-ور» (= البيت العظيم أو المكان العظيم).

هذا، وقد جاء فيما كتبه الأثري «روشمنتيكس» أن هذا المعبد هو معبد الإلهة «إبت» العظيمة، ويقع في الجهة اليسرى لمعبد الإله «خنسو»، ويُعَبَّرُ عن اسم هذا المعبد بصورة مختصرة بأنه «بيت إبت» العظيمة، وكذلك كان يُسَمَّى هذا المعبد: «المكان الذي وُلِدَ فيه أوزير». ولم يَأْتِ في نقوش هذا المعبد إلا ذكر عيد واحد دون أن يُذْكَرَ فيه التاريخ الذي كان يُقَامُ فيه هذا العيد الذي يُسَمَّى: «نزهة الثور الظاهر في حقله.» (وذلك يعني: نزهة «آمون أوزير» الممتد على سريره الجنازي أو نعشه).

هذا، ونشاهد الملك ممثلًا مرة عند دخوله المعبد و«حور» يستقبله مرة أخرى وهو يمشي بذراعيه على جانبيه، ويتقدم على مهل نحو «أوزير»، وكذلك وهو يتعبد إليه. وفي كل المناظر الأخرى نشاهد الملك وهو يقدم القربات للإلهة «إبت» كما ذكرنا من قبل.[١٢]

(٣-٤) معبد «موت» بالكرنك (راجع: Porter and Moss (Vol. 2. P. 90

يظهر أن «بطليموس السابع إيرجيتيس الثاني» قد قام بعمل بعض إضافات في معبد الإلهة «موت» الملاصق لمعبد الكرنك؛ إذ نشاهد على جدرانه ما يأتي:

(أ) المدخل

(١) و(٢) و(٣) و(٤): يُشَاهَد هنا «بطليموس السابع» وقد مثل مع سبع مقاطعات من مقاطعات الوجه القبلي وست مقاطعات من مقاطعات الوجه البحري.[١٣]

---

[١٢] راجع: Rec. Trav. XX. p. 101 ff; Porter & Moss II, p. 84 ff.

[١٣] راجع: Ibid. p. 91.

(٣-٥) معبد «مدينة هابو» الصغير (راجع: Porter and Moss II. P. 166)

أُقِيمَ هذا المعبد الصغير التابع لمدينة «هابو» في عهد الملك «تحتمس الثالث».[١٤] وتدل الأحوال على أنه تمت فيه بعض إصلاحات في عهد «بطليموس السابع إيرجيتيس الثاني»، وقد نُقِشَ اسمه على الإصلاحات التي أتمها، ونخص بالذكر منها:

(أ) في الداخل: مدخل الباب

(٣): يُشَاهَد على عتب الباب «بطليموس السابع إيرجيتيس الثاني» ومعه «كليوباترا الثانية»، كما يُشَاهَد معه «كليوباترا الثالثة» أمام آلهة.

هذا، وقد قام بإصلاحات أخرى في المحراب.

(ب) مدخل المحراب من الداخل

(٢٩) و(٣٠): تُقْرَأ على عارضتي الباب متون باسم «بطليموس السابع إيرجيتيس الثاني» من الخارج.

(٤٠): نشاهد على مدخل الباب متونًا لـ «بطليموس السابع إيرجيتيس الثاني».
وعلى الإفريز متون تذكر الإصلاح الذي قام به «بطليموس السابع»[١٥] جاء فيها:

تجديد هذا الأثر الجميل الذي أتمه «بطليموس السابع» وأخته الحاكمة ربة الأرضين «كليوباترا».[١٦]

وقبالة هذا متن آخر جاء فيه:

جدد هذا الأثر الجميل الذي عمله ابن «رع» «بطليموس» العائش أبديًّا، محبوب «بتاح»، وزوجه الحاكمة ربة الأرضين «كليوباترا» الإلهة المحسنة ... إلخ.

---

[١٤] راجع: L.D.T. III, 154; Porter & Moss. Vol. 2, P. 167.

[١٥] راجع: Porter & Moss Ibid 169.

[١٦] راجع: L.D.T. IV. 3207-8.

هذا، ويُلْحَظ أنه في هذا المعبد مثل الملوك: «بطليموس» الثاني، والثالث، والرابع؛ أجداد «بطليموس إيرجيتيس الثاني» وهو يتعبد إليهم.

(٣-٦) معبد «تحوت» قصر العجوز (راجع Porter and Moss (Vol. II. P. 193

يقع هذا المعبد جنوبي مدينة «هابو»، ويحتوي على ردهة أمامية وقاعتين ومحراب، وقد أقامه «بطليموس السابع إيرجيتيس الثاني». وأهم ما جاء فيه من نقوش ما يأتي:

(أ) المدخل: القاعة الثانية

(١): يُشَاهَد على السقف نسر مجنح ومعه متن ذُكِرَ فيه «بطليموس السابع».

القاعة الثانية

(٤): يُشَاهَد على قائمة الباب في المنظر الأول الإله «خنسو–تحوت» برأس صقر.

(٦): وفي الصف الأعلى يُشَاهَد هنا أمام الملك الإلهة «رعت تاوي» (مؤنث رع) الكائنة في «طيبة».

(٧): يُشَاهَد هنا في الصف الأعلى الملك أمام الآلهة «تحوت» و«حو» و«سيا»، ويخاطب الملك كلًّا منهم فيقول: «تحوت» المزدوج العظمة رب الأشمونين نزيل «زامتت»، الذي يهدئ الآلهة، وصانع الحب للإلهات.

ويخاطب حو: «حو» رب الأغذية الفاخر ... تابع «تحوت» في «الأشمونين».

ويخاطب «سيا»: مخاطبة «سيا» رب الأغذية العظيم ... والأسماك، التابع لـ «تحوت».

وفي الصف الأسفل يُشَاهَد «بطليموس السابع إيرجيتيس الثاني» يقدم قربانًا أمام «آمون» وآلهة.

(٩) و(١٠): يُوجَد هنا صفان من مناظر القربات؛ ففي الصف (٩) عند القاعدة مثل الملك والملكة يقدمان القربات لإلهين، وعند القاعدة (١٠) نشاهد أشكال مقاطعات.

(١١): يُشَاهَد هنا صفان من القربات.[١٧]

---

[١٧] راجع: L.D. Texte III, P. 187.

(١٢): مثل الملك في الصف الأعلى أمام الآلهة «تحوت» و«حتحور» و«ماعت».[١٨] هذا، ويُشَاهَد على الإفريز متن إهداء جاء فيه أن «بطليموس السابع» و«كليوباترا الثانية» و«كليوباترا الثالثة» زوج الملك قد أقاموا أثرهم هذا لوالدهم «تحوت ستم» الإله العظيم نزيل «يات-ثامت»[١٩] (= الجزء الجنوبي من جبانة «طيبة»، وبوجه خاص الإقليم المجاور لمعبد مدينة «هابو»).

المحراب

(١٦): مُثل هنا في الصف الأعلى «بطليموس السابع إيرجيتيس الثاني» أمام «بطليموس الثاني» و«أرسنوي» المؤَلَّهين، وكذلك أمام «بطليموس الثالث إيرجيتيس الأول» و«برنيكي».

(١٧): مثل «بطليموس السابع» في الصف الأسفل أمام «تحوت».

(١٩): وكذلك يُشَاهَد هنا الملك في الصف الأعلى أمام «تحوت».

(١٨) و(١٩): يُشَاهَد الملك في الصف الأسفل ممثلًا وهو يطلق البخور أمام قارب «تحوت».

(٢٠) و(٢١): يُشَاهَد هنا في الصف الأعلى ستة مناظر مثل فيها «بطليموس السابع» والملكة أمام آلهة، نخص بالذكر منهم: «تحوت» و«ماعت» و«خنسو» و«إزيس» و«نحم عوات».

(٢٠): وفي الصف الأسفل هنا مثل «بطليموس» أمام آلهة العناصر الأربعة، كما يُشَاهَد ممثلًا أمام الإلهين «آمون» و«موت».

(٢١): مُثِّلَ في الصف الأسفل منظران يُشَاهَد فيهما «بطليموس» يقدم لـ «آمون رع» و«خنسو» ولأربعة آلهة.

(٢٢): يوجد هنا منظران مثل فيهما «بطليموس السابع» أمام آلهة، نخص بالذكر منهم: «آمون رع» و«رعتاوي» و«تحوت».

---

[١٨] راجع: L.D.T, III, p. 187 B.

[١٩] راجع: L.D.T. III, PP 189–190.

(٢٣) و(٢٤): يُشَاهَد هنا مناظر قربان؛ ففي الصف الأعلى يُشَاهَد «بطليموس السابع» يتعبد أمام «بطليموس الرابع فيلوباتور» و«أرسنوي الثالثة»، وأمام «بطليموس الخامس إبيفانس» و«كليوباترا». وفي الصف الأسفل يُشَاهَد الملك أمام ثلاثة آلهة.

وعلى الإفريز نقرأ إهداء آخر للمعبد أهداه ثلاثة الملوك الذين كانوا يحكمون البلاد وقتئذ سويًّا، وهم «بطليموس السابع إيرجيتيس الثاني» و«كليوباترا» الأخت و«كليوباترا» زوج الملك. ومعنى ذلك أن هذا الأثر كان قد أُقِيمَ في الأيام الأخيرة من حكم هذا الملك وشريكتيه، عندما هدأت الأحوال في البلاد بعض الشيء.

(٣-٧) قفط

عُثِرَ في مدينة «قفط» على قائمتي باب من معبد عليهما اسم «بطليموس السابع إيرجيتيس الثاني». فيُشَاهَد على القائمة اليمنى منظران مُثل فيهما «بطليموس السابع» أمام الإلهين «مين» و«حتحور»، وأمام «حربوخراتيس» و«إزيس». وقد عُثِرَ على هاتين القائمتين في أساس صرح عربي، وهما الآن في متحف «بوستون» بأمريكا.[٢٠]

(٣-٨) أرمنت

وُجِدَتْ بعض آثار الملك «بطليموس السابع إيرجيتيس» في فناء معبد «منتو» بأرمنت.[٢١]

(٣-٩) البوخيوم

أو مدافن العجل «بوخيس» بالقرب من «أرمنت».

عُثِرَ في البوخيوم على لوحة من عهد الملك «بطليموس السابع إيرجيتيس الثاني»، وهي مصنوعة من الحجر الجيري، ويبلغ ارتفاعها ٦٦ سنتيمترًا.

[٢٠] راجع: Reisner, Excavations in Egypt and Ethiopia in Boston Mus, Bull. June (1925), p. 28 (Lower).

[٢١] راجع: Porter & Moss, V. P. 157.

نُقِشَ في أعلاها:

«بوخيس» روح «رع» الحية، ومظهر «رع»، الذي ولد في «تي-حت».

وفي أسفل من هذا يُشَاهَد الملك واقفًا أمام العجل «بوخيس» يقدم له الحقول. والمتن الذي يصحب هذا المنظر يقول:

تقديم الحقول لوالده مثل «رع» أبديًّا.

وفي أسفل المنظر السابق جاء المتن التالي:

السنة الخامسة والأربعون، العشرون من شهر بابه، من عهد ملك الوجه القبلي والوجه البحري (وارث الإلهين الظاهرين، صورة «بتاح» ...)، ابن «رع» (بطليموس ...)، ومعه زوجه الحاكمة سيدة الأرضين «أرسنوي» Sic محبوبة «أوزير-بوخيس» الإله العظيم سيد بيت «آتوم»، والإلهين الأخوين المتحابين، والإلهين المحبين لوالدهما، والإلهين الظاهرين، والإلهين المحبين لوالدهما ... أن روح هذا الإله «بوخيس» صعدت إلى أعلى إلى السماء، وهو روح «رع»، ومظهر «رع» الذي وُلِدَ في ... واليوم الذي ولد فيه من أمه كان في السنة السادسة والعشرين في العاشر من طوبة (؟) في المدينة الجنوبية ... في مكان تنصيبه، وهو الذي قد جاء إلى الوجود قبل الميقات، بجانب والده «نون» القديم، وقد نصبه الملك نفسه.

الذهاب على قارب «آمون» مع قوارب الملك، وكل أهالي «طيبة» و«أرمنت»، والكهنة خدم الإله، وكان رؤساء الكهنة معه. وقد وصل إلى «أرمنت» مكان سكنه. وكان قد وُلِدَ في «تي-خرتيت»، وروحه صعدت إلى السماء (مثل رع؟). وطول حياته كانت ثمانية عشر أعوامًا وعشرة أشهر ... يومًا، وقد وضعه على عرشه لأجل أن يمنح كل البأس والقوة لابن «رع» (بطليموس العائش أبديًّا، محبوب «بتاح») مثل «رع» أبد الآبدين.[٢٢]

[٢٢] راجع: The Bucheum Vol. II. P. 9-10.

(أ) تعليق

يُلْحَظ في هذه اللوحة أن صيغة المتن ليست مفهومة تمامًا أو متطورة؛ إذ نجد أن طول حياة العجل هنا قد وُضِعَتْ في غير موضعها الطبيعي، كما أن كل ما يشير إلى دفنه قد حُذِفَ.

وتتلخص اللوحة فيما يأتي: وُلِدَ العجل في عام ٢٦ في العاشر من طوبة = ١٤٤ق.م.

ومات هذا العجل في عام ٤٥ في العشرين من بابه (؟) = ١٢٥ق.م. فيكون عمره ١٨ سنة وعشرة أيام.

ويُلْحَظ أن هذه اللوحة هي الوحيدة في مجموعة هذه اللوحات التي جاء فيها ذكر يوم الولادة، هذا إلى أن عدد الأشهر يمكن أن يُقْرَأ أحد عشر بدلًا من عشرة أشهر.

(٣-١٠) الجبلين: معبد الإلهة «حتحور»

عُثِرَ في هذا المعبد على قطع من البازلت الأسود من تمثال وُجِدَ ملقًى على الأرض، وهو من ناووس لـ «بطليموس إيرجيتيس الثاني»[٢٣] (؟).

(٣-١١) الكاب

يُوجَد بالكاب معبد من عهد البطالمة بدأه «بطليموس السابع» وهو غير معبد الكاب، وهو منحوت في الصخر، ويصل إليه الإنسان بسلم. وتدل الظواهر على أن هذا المعبد لم يكن قد تم بعد. ويُلْحَظ أن الجزء الأمامي منه كان مبنيًّا. أما المحراب فمنحوت في الصخر. وهاك المناظر الباقية على جدرانه: (٢): مُثل الملك «إيرجيتيس الثاني» على سمك الباب أمام الإلهة «نخبيت»: وتُسَمَّى «نخبيت» الأم العظيمة ربة «أشرت».

(٧) و(٨): يُشَاهَد على هذا الجدار في المحراب منظران مهشمان مُثل فيهما «بطليموس السابع إيرجيتيس الثاني» و«كليوباترا الثالثة» أمام آلهة، وكذلك مثل «بطليموس» في نفس المنظر يطهره كل من «تحوت» و«حور».[٢٤]

---

[٢٣] راجع: Frazer P. S. B. A. XV, PP. 497–8.

[٢٤] راجع: L.D.T. IV.P. 39 & 40 ; P. & M. V, P. 187.

(٣-١٢) معبد الفرعون أمنحوتب الثالث

يُوجَد معبد صغير مقام من الحجر الرملي للملك «أمنحوتب الثالث»، ويقع جنوب الكاب في الوادي خلف المدينة. وكان «أمنحوتب الثالث» هذا — كما هو معروف — يُعْبَد في عصره، واستمرت عبادته في الأزمان المتأخرة، وقد نقش «بطليموس السابع إيرجيتيس الثاني» اسمه على سقف هذا المعبد: ملك الوجه القبلي والوجه البحري «بطليموس» محبوب «بتاح» ابن «رع» (وارث الإلهين الظاهرين، المختار من «بتاح»، والذي يعمل العدل لـ «رع»، تمثال «آمون» الحي). وهذا المعبد قد أتم بناءه «بطليموس العاشر» و«بطليموس الحادي عشر»[٢٥] (؟).

(٣-١٣) المدمود

أقام «بطليموس السابع» خارجة في معبد «المدمود» الذي يرجع عهده إلى الدولتين الوسطى والحديثة، ولا تزال هذه الخارجة قائمة حتى الآن. (راجع P. & M. V. p. 138.)

(٢٥–٢٨): مُثل على الجدران التي بين العمد «بطليموس السابع» أمام آلهة.

(٣٠): يُشَاهَد على سمكي الباب أعمدة من النقوش عليها لقب الإله «منتو» ولقب «بطليموس السابع».

(٣١–٣٨) في الداخل: نشاهد هنا على هذه الجدران متن أفريز وبقايا مناظر؛ فنرى «بطليموس السابع» أمام آلهة وموكب آلهة نيل، هذا بالإضافة إلى أنشودة. وأهم ما يُرَى في المتن الذي على الإفريز إهداء المعبد.[٢٦]

(٣-١٤) طود

يُوجَد في بلدة «الطود» معبد يرجع عهده إلى الدولة الوسطى، وقد أضاف «بطليموس السابع» إلى هذا المعبد معبدًا صغيرًا.

---

[٢٥] راجع: L.D.T. IV, p. 43; P. & M. V. P. 189.

[٢٦] راجع: Porter and Moss, V, p. 140–141; L.D. T. II, P. 261 (middle).

فيُشَاهَد في قاعة هذا المعبد متن خاص بآلهة، نذكر منها: الآلهة «منتو»، «رعتاوي» «مين» صاحب قفط و«حربوخراتيس». هذا، ونشاهد هناك طغراءات «بطليموس السابع إيرجيتيس الثاني».[٢٧]

(٣-١٥) أسوان

عُثِرَ على قطع من الحجر مستعملة في مبانٍ بأسوان عليها اسم «بطليموس السابع إيرجيتيس الثاني».[٢٨]

(٣-١٦) جزير الحيسا

عُثِرَ في الطرف الأقصى لهذه الجزيرة على ناووس من الجرانيت الأحمر للملك «بطليموس السابع إيرجيتيس الثاني».[٢٩]

(٣-١٧) معبد دندره

بيت الولادة

وُجِدَت طغراءات «بطليموس السابع إيرجيتيس الثاني» على عمد قاعة العمد.[٣٠]

(٣-١٨) معبد إسنا

وُجِدَ في معبد «إسنا» في واجهة قاعة العمد منظر مُثِّلَ فيه «بطليموس السابع إيرجيتيس الثاني» يقدم قربات سائلة أمام والديه «بطليموس الخامس» و«كليوباترا الأولى».[٣١]

---

[٢٧] راجع: Porter and Moss, V, p. 168; L. D. T. IV, P. 12.

[٢٨] راجع: L.D. T. IV, p. 116.

[٢٩] راجع: Waigall, A Report on the Antiquities of Nubia. p. 56.

[٣٠] راجع: Porter and Moss VI, P. 105.

[٣١] راجع: Ibid. VI, p. 116; L.D. IV, p. 22. C.

(٣-١٩) معبد إدفو

تدل ما لدينا من وثائق على أن «بطليموس السابع إيرجيتيس الثاني» (البطين) قد اهتم اهتمامًا عظيمًا بإتمام معبد «إدفو» بعد أن كانت قد أُوقِفَتْ فيه الأعمال بسبب اندلاع الثورات في طول البلاد وعرضها، وبخاصة في الوجه القبلي. وقد كان أول عمل ابتدأه هو بناء السور الخارجي للمعبد والبوابة، وقد وافته المنية أثناء سير العمل في إتمام هذا المعبد. وقد دُوِّنَ هذا الحادث على جدران المعبد الخارجية بواسطة خلفه وابنه «بطليموس سوتر الثاني»، وفي ذلك يقول المتن:

> وفي نهاية حياته في الرابعة والخمسين من حكم هذا الملك في الحادي عشر من شهر بئونة وُضِعَ أساس جدران السور والبوابة، وفي أثناء سير العمل في كل النواحي (في هذا الجزء من المعبد) حضر الموت الملك وخلفه ابنه الأكبر على عرشه، ونقش باسمه حجرات المعبد الخارجية بوصفه «بطليموس سوتر الثاني فيلوماتور الثاني». وسنرى فيما يلي أنه قد أتم زخرفة حجرات كثيرة، وغطى جدران المعبد بالنقوش.[٣٢] وسنحاول فيما يأتي أن نعطي صورة عن المناظر التي ظهر فيها «بطليموس السابع إيرجيتيس الثاني» وما يتبعها من متون؛ لتكون دليلًا لأولئك الذين يريدون أن يفحصوا هذا المعبد ببعض التفصيل، وذلك جريًا على عادتنا مع الملوك الذين سبقوه.[٣٣]

(أ) قاعة العمد الخارجية (راجع Porter & Moss. VI. P. 130)

الواجهة

(٥٦): يُشَاهَد على قاعدة هذا الجدار إله نيل وآلهة حقل وطغراءات «الملك بطليموس السابع إيرجيتيس الثاني».

(٥٧–٥٩) و(٥٩) و(٦٠): يُشَاهَد على هذه الجدران التي بين العمد «بطليموس السابع إيرجيتيس الثاني» يقف أمام الإله «حور»، كما يُرَى وهو يقدم للإلهة «حتحور»

---

[٣٢] راجع: Dumichen, A.Z. VIII, p. 1–13; Porter and Moss, p. 129 ff.

[٣٣] راجع: مصر القديمة: الجزء الخامس عشر.

عصابة رأس، وأربع أوانٍ للإله «حور». وكذلك مثل هذا الملك أمام الإله «حور» وهو يقدم آنية عطر على هيئة بولهول للإلهة «حتحور» وأربع أوان للإله «حور». هذا، ويجب أن نلحظ هنا في وصف هذه المناظر أن الإله الأعظم في هذا المعبد كان الإله «حور» العظيم سيد «إدفو»، ثم يليه في الأهمية الإلهة «حتحور» زوجه التي كانت تسكن معبد «دندره»، وأخيرًا ابنهما الإله «أحي» الصغير، ومن هذه الآلهة الثلاث كان يتألف ثالوث «إدفو».

المدخل

(٦٥) و(٦٦): يُشَاهَد في مدخل الباب هنا شبه خارجات مُثِّلَ عليها الملك في هيئة بولهول أمام الإله «حور». هذا، ويُشَاهَد على قائمتي الباب أربعة صفوف من النقوش مثل فيها «بطليموس السابع إيرجيتيس الثاني» أمام آلهة، وعلى قاعدة الجدار (أي الجزء الأسفل من الجدار) يُرَى الملك يتبعه إله نيل على كل جانب، هذا بالإضافة إلى سطرين من الكتابة في أعلى، ذُكِرَ فيهما اسم الباب الذي يدخل منه الزائر.

(٦٧) و(٦٨) و(٧٠)–(٧٢): يُشَاهَد هنا على أسماك الجدران وعلى كل جانب ثلاثة عمد من المتون، وكذلك رموز زينة مع متون أفقية، وعلى الكرنيش طغراءات «بطليموس السابع إيرجيتيس الثاني». وعلى الإفريز يُشَاهَد منظران مهشمان مُثل فيهما الملك يُقَاد نحو آلهة.

(٧٣) و(٧٤) مدخل الباب من الداخل: يُشَاهَد هنا شبه خارجتين على كل منهما منظر مُثِّلَ فيه «بطليموس السابع» راكعًا بين «تحوت» و«حور» ومعه صولجان عيد «حب-سد» (أي العيد الثلاثيني)، كما يُشَاهَد على قائمتي الباب أربعة صفوف من النقوش مُثِّلَ فيها «بطليموس السابع» أمام آلهة. وعلى قاعدة الجدار يُشَاهَد الإله «تحوت» على الجانب الشرقي والإله «حور» على الجانب الغربي، وهما يصبان القربات السائلة.

(٧٥) و(٧٦): حُفِرَ هنا سطران من الكتابة، وقد مثل «بطليموس السابع» على الجانب الخارجي لكل من قائمتي الباب.

في داخل قاعة العمد الخارجية

(٧٧) و(٧٨): يُشَاهَد هنا على الجدران التي بين العمد منظران يمثلان أحفال تأسيس المعبد، وقد مُثِّلَ فيهما «بطليموس السابع» وهو يغادر القصر الملكي مع الكاهن «أنموتف» وأعلام، كما يُرَى وهو يقيس أبعاد المعبد مع الإلهة «سفخت عابو» (صفة لإلهة الكتابة «سشات») أمام «حور» الذي من أجله بُنِيَ المعبد.

(٨٠) و(٨١): يُشَاهَد على هذا الجدار في الصف الأعلى ستة مناظر مثل فيها «بطليموس السابع» وهو يطعن ثعبانًا بحربة أمام الإلهين «حور» و«حتحور»، كما يُشَاهَد وهو يذبح وعلًا أمام الإله «خنسو»، ويقدم العين السليمة (وزات) للإلهة «حتحور»، ويقدم إلى «بطليموس الرابع» المؤله وإلى «أرسنوي الثالثة» زوجه، كما يقدم عصابة رأس للإله «أوزير»، وأخيرًا مثل واقفًا ومعه «عصا الحقل» أمام «حور». وفي الصفين الثاني والثالث ستة مناظر مثل في كل منها «بطليموس السابع» أمام آلهة، وفي الصف الرابع ستة مناظر كذلك تشتمل على مناظر وضع أساس المعبد والأحفال الخاصة به؛ فمن ذلك صورة الملك وهو يحفر الأرض ويصب الرمل، وبعد ذلك يضع حجر الأساس، ثم يطهر المعبد، ويقدم «حتس» (وهذا رمز يدل على وضع أساس المعبد).

(٧٩) و(٨٠): يُشَاهَد على قاعدة هذا الجدار «بطليموس السابع» مع إله النيل وإلهة الحقل وحاملي قربات، كما يشاهد إله النيل وإلهة الحقل أمام ثالوث معبد «إدفو».

(٨٣) و(٨٤): يُشَاهَد على هذا الجدار من أول الصف الأعلى من النقوش حتى الصف الثالث ستة مناظر في كل صف، وقد ظهر في كلٍّ «بطليموس السابع إيرجيتيس الثاني» أمام آلهة، نذكر من بينها «حور» و«حتحور». وفي الصف الرابع توجد أربعة مناظر تحتوي على أحفال تأسيس المعبد التقليدية. فيظهر الملك وهو يغادر قصره مع الكاهن «إنموتف» والأعلام، كما يُشَاهَد وهو يضع لبنة ويقيس أبعاد المعبد مع الإلهة «سفخت عابو» ويقدم صناديق من النسيج الأحمر، وكذلك مُثل الملك وهو يجري وبيده مجداف.

(٨٣) و(٨٤): يُشَاهَد هنا على هذا الجدار في أسفل عند القاعدة «بطليموس السابع إيرجيتيس الثاني» ممثلًا مع «كليوباترا الثانية» أمام ثالوث معبد «إدفو».

(٨٥) و(٨٦) منظر تأليه الملك: يُرَى على هذا الجدار بين الأعمدة منظران خاصان بأحفال التأليه، فقد مثل فيهما «بطليموس السابع» وهو يغادر قصره ومعه الكاهن «إنموتف» وأعلام. ويقوم بتطهيره كل من «حور» و«تحوت».

(٨٨)–(٩١): يُشَاهَد على هذين الجدارين في الصف الأعلى حتى الصف الثالث ستة صفوف مثل في كلٍّ «بطليموس السابع» أمام آلهة، نخص بالذكر منها «حتحور» و«رع حور-أختي»، وفي المنظرين الثاني والرابع من الصف الأعلى مثل «بطليموس السابع» يقدم لوح كتابة ومحبرة للإله «تحوت» كما يقدم لـ «بطليموس الثاني» وزوجه «أرسنوي الثانية».

(٨٨) و(٨٩) و(٩٠) و(٩١): يُشَاهَد هنا في الصف الرابع أربعة مناظر، وهي عبارة عن أحفال تأليه الملك، فقد مُثل فيها الملك «بطليموس السابع» أمام الإله «حور»، كما مثل تحمله أرواح «ب» و«نخن» (= أي الملوك القدامى الذين أصبحوا آلهة)، وكذلك يُرَى الملك وهو يسير نحو الإله «حور» كما يُرَى وهو يُقَاد أمام «حور» و«حتحور».

(٨٦)–(٨٩) و(٩٠) و(٩١): يُشَاهَد هنا على قاعدة هذين الجدارين (المهشمين) «بطليموس السابع» ومعه «كليوباترا الثانية» وبينهما إله نيل وإلهة حقل ومحضرو قربات، كما يُشَاهَد كذلك إله نيل وإلهة حقل أمام ثالوث معبد «إدفو»، وفوق ذلك سطران من المتون.

(٩٣) و(٩٤): مُثل في الصف الأعلى هنا حتى الصف الثالث ستة مناظر ظهر في كل منها الملك «بطليموس السابع» أمام آلهة. وفي الصف الرابع ظهرت خمسة مناظر خاصة بأحفال تأسيس المعبد. فيظهر الملك هنا وهو يغادر القصر ومعه الكاهن «إنموتف» وأعلام، ثم يُرَى وهو يضرب الأرض بمعوله ويقيس أبعاد المعبد، ثم يقدم أربعة عجول، ويجري ومعه آنية «حس».

(٩٣) و(٩٤): يُشَاهَد هنا على نفس الجدار في أسفل عند القاعدة «بطليموس السابع» و«كليوباترا الثانية» يتبعهما آلهة نيل وإلهات حقول، وسبعة أرواح للإله وسبع «حمسوت» (مؤنث روح) أمام ثالوث معبد «إدفو».

إفريز فلكي من عهد «بطليموس السابع»

يُشَاهَد هنا في قاعة العمد الخارجية التي نحن بصددها على الجدارين الغربي والشرقي في الجزء الأعلى قوارب شمسية وقوارب قمرية، كما يُشاهد أربعة عشر إلهًا تمثل القمر وهو في مرحلته الثانية؛ أي في النصف الثاني من الشهر عندما كان آخذًا في النقصان شيئًا فشيئًا، وفي الجزء الأسفل زينة تتألف من صقور مجنحة وطغراءات.

هذا، ونشاهد على الجدارين الجنوبي والشمالي بين الخارجتين مناظر تمثل ساعات النهار ومعها متن مؤلف من ثلاثة أسطر نُقِشَتْ فوقها. وفي وسط الجدار الشمالي يُشَاهَد جُعْلٌ يجثم على العلامة التي ترمز للأفق بين صقرين مجنحين، كما يظهر الملك أمام آلهة على كل من الجانبين. ويُشاهد على الجدار الشمالي في أسفل المنظر الأخير الستة والثلاثون إلهًا التي ينقسم إليها السماء، كل واحد منها في قاربه، وكذلك نشاهد الآلهة التي تمثل أسابيع السنة وعددها ٣٦ أسبوعًا كل منها يحتوي على عشرة أيام،[٣٤] ومجاميع النجوم والكواكب. كما يُرَى أربعة عشر إلهًا تتأهب إلى صعود سلم القمر للإله «تحوت»، وكذلك أيام القمر والأشهر وآلهة تسند السماء.[٣٥]

الأعمدة التي في قاعة العمد الخارجية

يُشاهد على الخارجات هنا الملك يقدم قربانًا لآلهة تشمل «حتحور» وتاسوع «إدفو» وثامون «الأشمونين»، كما يقدم إلى «تحوت» سبعة «زاسو» الخاصة به (= وهي سبعة آلهة كل منها برأس كبش) وأحد عشر روحًا خاصة بالإله «رع».[٣٦]

(ب) المكتبة: بطليموس السابع

كان لكل معبد من المعابد الكبيرة مكتبة صغيرة نُقِشَتْ على جدرانها متون ومناظر تتحدث عن محتوياتها.

(٩٦): النقوش التي على الخارج والمدخل: (a, b) يوجد هنا متنان. هذا، ويوجد على المدخل الأيسر (d, e) متن مُؤَلَّف من أربعة أسطر مُثل فيها «أمحوتب» أمام «حور»، وفي أسفل على يمين المدخل نُقِشَ متن مؤلف من خمسة أسطر، كما مُثل الملك في أسفل أمام «حور». ويُشَاهَد على عتب الباب أربعة من آلهة «الأشمونين» الثمانية.

(٩٧): (i) يُشَاهَد هنا صفان من النقوش مثل فيهما الملك يقدم لوح كتابة ومحبرة للإله «تحوت»، ويضرب كرة من الطين أمام «حتحور». (j) يُشَاهَد في الصف الأعلى

---

[٣٤] راجع: Dictionnaire de la Civil Egyp. p. 80, cf. Reallexikon, p. 153.

[٣٥] راجع: L. D. Texte IV, p. 61; Brugsch., Thesaurus, p. 18–23, 147–50.

[٣٦] راجع: Chassinat Ibid. III. p. 312, 314–15, 317, 320.

الملك «بطليموس السابع إيرجيتيس الثاني» يقدم رمز العيد الثلاثيني (حب-سد) للإلهة «سفخت-عبو»، كما يُشَاهَد متن مؤلف من ستة أعمدة، ويحتوي على قائمة كتب، وفي الصف الأسفل يُشَاهَد كاهن مرتل يطعن الأعداء بحربة أمام الملك، كما يشاهد الملك وهو يطعن سلحفاة بحربة أمام «رع حور أختي». (k) يُرَى في الصف الأعلى هنا منظر مزدوج ظهر فيه الملك يحمل صولجانات أمام صور من صور «حور»، وفي الصف الأسفل منظر مزدوج يشاهد فيه الملك يطعن تمساحًا، ويطعن فرس بحر أمام شكلين من أشكال «حور». (L) ويُشَاهَد هنا في الصف الأعلى سبعة عمد من النقوش تحتوي على قائمة كتب حول خزانة، وقد صُوِّرَ الملك وهو يحرق أربعة أعداء في موقد مستطيل أمام الإله «حور» في صورة صقر، وفي الصف الأسفل ظهر الملك وهو يطعن حيوانًا بقرنين أمام «أوزير».

(جـ) حجرة الملابس

(٩٨) (q-r): يُشَاهَد هنا على يسار باب المدخل صفان من النقوش مُثِّلَ فيهما الملك ومعه أعلام، وكذلك الكاهن «أنموتف»، وعلى يمين المدخل يُوجَد صفان من النقوش ظهر فيهما الملك وهو يتقبل رمز الحياة من الإله «منتو» ومن الإله «حورسماتوي» (وهو الذي يوحد الأرضين)، وعلى عتب الباب مثلث أرواح «ب» و«نخن».

(١٠٠) و(١٠١) المدخل: ظهر كل من «بطليموس السابع» و«كليوباترا الثانية» أمام «حور» و«حتحور».

(د) حجرة النيل (رقم ١)

(١٢٦): نُقِشَتْ طغراءات «بطليموس السابع» و«كليوباترا الثانية» على إفريز حجرة النيل.

(١٢٧–١٢٩) و(١٣٠–١٣٣): يُشَاهَد هنا ثلاثة صفوف من النقوش مثل فيها «بطليموس السابع» يقدم لآلهة قربات معظمها من البخور والسوائل، كما يُرَى فيها الملك وهو يجري ومعه آنية «حس» في الصف الثاني على الجدارين الشمالي والجنوبي، كما يظهر الملك يتبعه إله النيل «حعبي» أمام «حور» وجماعة القضاة على الجدار الغربي.

(هـ) حجرة المعمل (رقم ٢)

(١٣٤): يُشَاهَد على قائمتي الباب «بطليموس السابع إيرجيتيس الثاني» أمام الإله «حور» رب «إدفو».

ساحة الخزانة (رقم ٣)

(١٤٠): المدخل من الممر (a, b) ظهر هنا على عتب الباب من الخارج «بطليموس السابع» ومعه «كليوباترا الثانية» أو الثالثة، وهو يقدم قربانًا لثالوث «إدفو». ونُقِشَ على قائمتي الباب ثلاثة صفوف مثل فيها «بطليموس السابع إيرجيتيس الثاني» وهو يقدم بخورًا وقربات سائلة وطعامًا وحقلًا أمام «حور». ويُرَى على قاعدة الجدار في أسفل إله نيل وإلهة حقل على كلا الجانبين.

(و) قاعة الإله «مين»

(١٨٣) (c, d): نُقِشَتْ هنا على سمكي الباب متون إهداء المعبد من «بطليموس السابع إيرجيتيس الثاني».

(ز) الحجرة رقم ٨: تحت السلم

(١٩٥): يُشَاهَد هنا في الجزء الذي تحت السلم على الجانبين وعلى السقف نسور مجنحة ومتون باسم «بطليموس السابع إيرجيتيس الثاني» (البطين).

(١٩٦): مُثِّلَ على عتب الباب الداخلي هنا «بطليموس السابع» تتبعه أربعة أشكال للإلهة «ترمو-تيس» (إلهة الحصاد) (مهشمة)، كما يظهر وهو يقدم قربانًا لكل من «حور» و«حتحور»، وعلى قائمة الباب الشرقية يقدم للبقرة «إحت» (وهي صورة من صور «حتحور») أمام مائدة قربات.

(ح) الممر الذي حول المحراب

(١٨٢) المدخل الغربي (a, b): يُشَاهَد هنا على قائمتي الباب متن مؤلف من ثلاثة أعمدة على كل من الجانبين، كما يوجد متن على القاعدة. ويُشَاهَد (c, d) على سمكي الباب متون

باسم «بطليموس السابع»، كما يُرَى وهو يقدم نطرونًا وقربانًا للإله «حور»، ويظهر الملك كذلك عند القاعدة وهو يقدم القربات لأربع جنيات في صور حيات ومن بينها الإلهة «ترموتيس» إلهة الحصاد، وكذلك نقش اسم الباب.

السلالم

السلم الغربي: الجدران: يُشَاهَد على جدران هذا السلم «بطليموس السابع» و«كليوباترا الثانية» أو الثالثة. كما نشاهد المواكب نازلة، وتتألف من كهنة يحملون أعلامًا ومحاريب صغيرة. هذا، ونجد متونًا خاصة بالكهنة الذين يحملون قربات ونواويس.

السلم الشرقي: المدخل: (٢٨٤): المدخل من قاعة العمد الداخلية يظهر على سبك الباب «بطليموس السابع» يقدم قربانًا سائلة للإله «حور».

(f, g, h, I): يظهر «بطليموس السابع» على جدران السلم الثاني يتبعه آلهة نيل على كل من النصفين.

الجدران

الجدار الأيمن (من عند بداية السلم): يظهر الملك في موكب من الكهنة، ومعهم أعلام وناووس، وحاملوا قربان وآلهة.

الجدار الأيسر (من عند بداية السلم): يظهر الملك و«كليوباترا الثانية» ومواكب نازلة من الكهنة والأعلام والنواويس وحاملي القربات والآلهة.

هذا، ويُشَاهَد على الإفريز متون خاصة بالملك و«كليوباترا».

القاعة الجنوبية بالقرب من القمة

توجد هنا متون باسم الملك «بطليموس السابع».

(ط) خارج المعبد الأصلي

(٢٩١–٢٩٤): يُشَاهَد في الصف الأعلى سبعة عشر منظرًا يظهر فيها «بطليموس السابع» أمام الآلهة: «حور» و«أوزير» و«حرمرتي» (إله بلدة «هربيط» من أعمال الدلتا)

والإلهة «منبيت-ورت» (إلهة السرير والعرش) (W.b.11.63) و«حتحور» و«رع» وثامون مدينة «الأشمونين»، و«بتاح» و«خنسو» والآلهة «سبقت» (اسم للإلهة حتحور) و«شو» و«تفنوت» و«خنوم» و«نفتيس». هذا، ويشاهد «بطليموس السابع» في المنظر الخامس عشر يقدم بخورًا وقربانًا سائلة أمام «بطليموس الثاني» و«أرسنوي الثانية» المؤلَّهين.

(٢٩١–٢٩٤): يُشَاهَد في الصف الثاني ميازيب ماء على هيئة أسود ومعها مناظر ومتون، ويوجد سبعة عشر منظرًا مُثِّلَ فيها «بطليموس السابع» أمام الآلهة: «حور» إله معبد «إدفو» الكبير، والإلهة «مرت» إلهة الموسيقى للوجه البحري، والإله «إحي» و«حتحور»، والتاسوع، و«أتوم» و«سكر-أوزير» و«محيت» (إلهة طينة في صورة لبؤة) و«خنت يابتت» و«ثننت» و«أنيت»[٣٧] (اسم بقرة من أسماء بقرة السماء). وفي المشهد الخامس عشر يظهر «بطليموس السابع» ومعه آنية ونسيج أمام «بطليموس الثاني» و«أرسنوي» المؤلَّهين (سُمِّيَتْ في المتن «كليوباترا» خطأ).

(٢٩١–٢٩٤): يُوجَد في الصف الثالث على هذا الجدار ثمانية عشر منظرًا مُثِّلَ فيها «بطليموس السابع» أمام الآلهة: «حور» و«حتحور» وأولاد «رع حور أختي» (= «منديس» و«حرسافيس» و«منحى» و«حارشدف») و«نترعمسمتف» Neteraem-semtef و«نبسحنو» Nebshenu و«بانرتي» Banerti و«خنتي-بحددت» و«نبحتاو» -«وعرت»، و«رع حور أختي» و«أحي» و«بتاح» و«سفخت-عبو» و«خنسو» و«نخبت» و«تحوت». (هذا بالإضافة إلى إقامة عمودين للإله «منفيس»[٣٨] في المنظر التاسع، وتقديم لوحة كتابة في المنظر الرابع عشر، كما يظهر «تحوت» يكتب أمام «بطليموس السابع» و«كليوباترا الثالثة» ومعهما «بطليموس العاشر» الطفل.)

(٢٩١) و(٢٩٢) و(٢٩٣) و(٢٩٤): يُشَاهَد على هذا الجدار في أسفل على القاعدة «بطليموس السابع» ومعه «كليوباترا الثانية» أو الثالثة يتبعه صور مقاطعات الوجه البحري، وأقاليم مستقلة بأقسامها، وكذلك اثنين من محضري القربان أمام ثالوث «إدفو».

(٢٩٥) و(٢٩٦): يُشَاهَد هنا ميازيب في صور أسود، ومناظر ومتون. هذا، ويوجد من الصف الأعلى حتى الصف الثالث ستة مناظر في كل صف، وقد مثل فيها «بطليموس السابع» يقدم القربان لآلهة، وتشمل هذه الآلهة ابنين للإله «حور» وجنيتين خاصتين

[٣٧] اسم بقرة مقدسة للإلهة «حتحور».

[٣٨] الثور المقدس في عين شمس.

بدندرة وكل منهما برأس حية، وكذلك جنيتين خاصتين بإدفو كل منهما برأس حية من المنظر الثالث في كل صف، ويُرَى في المنظر الأول من الصف الرابع «بطليموس السابع» يغادر قصره مع أعلام ومع الكاهن «أنموتف»، ويظهر الملك «بطليموس السابع» في المناظر من الثاني حتى السابع وهو يقدم للإلهين «حور» و«حتحور» ويشمل ذلك تدشين المعبد وتقديم حربة.

(٢٩٥) و(٢٩٦): يُشَاهَد على القاعدة «بطليموس السابع» و«كليوباترا الثانية» يتبعهما موكب آلهة النيل مع آلهة أخرى، وقربان أمام ثالوث «إدفو».

(٣٠٢–٣٠٥): يُشَاهَد على هذا الجدار في الصف الأعلى سبعة عشر منظرًا مُثل فيها «بطليموس السابع» أمام الآلهة: «حور»، «أوزير» و«وتست–حور» (= عرش حور = اسم مقاطعة إدفو) و«نحم–عاوت» (زوج تحوت)، و«آمون كاموتف» (= آمون زوج أمه) وثمانية أرواح للإله «رع» (مع أسماء أربعة عشر) و«تحوت» و«سفخت–عابو» (؟) و«جب» و«نوت» و«منديس» و«نفتيس» و«حتحور». وفي المنظر الخامس عشر يظهر «بطليموس السابع» ومعه بخور وآنية قربان سائل أمام «بطليموس الرابع» و«أرسنوي الثالثة» المؤلَّهين.

(٣٠٢–٣٠٥): يُشَاهَد في الصف الثاني ميازيب في هيئة أسود ومناظر ومتون وسبعة عشر منظرًا يظهر فيها الملك «بطليموس السابع» أمام الآلهة: «حور» إله معبد «إدفو» الكبير، و«أوزير»، و«مري» الوجه القبلي (إلهة الموسيقى)، و«حتحور»، وتاسوع «إدفو» الصغير، و«مين»، و«حورسماتوي»، و«منتات» (= إلهة في صورة لبؤة)، و«أنوبيس»، و«خنت–يابت» (= المقاطعة السابعة عشرة من الوجه البحري)، و«سوتيس» (الشعرى اليمانية)، و«عنقت». ويشمل هذا المنظر الملك مع الملكة يجران قارب «سوكاري» على زحافة. وفي المنظر الخامس عشر يُشَاهَد «بطليموس السابع» يقدم آنية ونسيجًا لـ «بطليموس الخامس» والملكة «برنيكي».

(٣٠٢–٣٠٥): يُشَاهَد في الصف الثالث ثمانية عشر منظرًا، كما يشاهد «بطليموس السابع» أمام الآلهة: «حور»، و«حتحور»، و«بوباستيس»، والأرواح الحية في «إدفو» «منديس»، «حارسفيس» «منحي» (= إلهة في صورة لبؤة)، و«حارشدف» Harshedef، و«نترعمسمتف»، و«نبسحنو» Nebshenu، وطائر «بنو» (= روح رع)، و«خنتبحدت» Khentibehdet، و«نبحتوعرت» Nebhetwaert، و«آمون–رع»، و«أوزير»، و«إحي»، و«رع حور أختي»، و«سخت عبو»، و«خنسو»، و«بوتو». يُضاف إلى ذلك تقديم أسرى

بمثابة قربان في المنظر الثالث، وضرب الأسيويين المجدلين في المنظر الرابع، والملكة «كليوباترا» تطعن بحربة الثعبان «أبوفيس» في المنظر الخامس، وكذلك سوق عجل في المنظر التاسع، وشعيرة فتح الفم في المنظر العاشر، ثم منظر الإله «تحوت» ومعه جريد نخل أمام «بطليموس السابع» و«كليوباترا الثانية» والطفل «بطليموس المنفي» في المنظر السادس عشر.[٣٩]

(٣٠٢) و(٣٠٣) و(٣٠٤) و(٣٠٥): يُشَاهَد على طول هذا الجدار في الصف الرابع، ثمانية عشر منظرًا، تحتوي على أحفال تأليه ومناظر قربان مُثِّلَ فيها الملك وهو يغادر القصر مع أعلام والكاهن «أنموتف» ويطهره كل من «تحوت» و«حور» كما تُتَوِّجُه كل من الإلهتين «بوتو» و«نخبت»، وتقوده الإلهة «حتحور» والإله «آتوم» والإله «منتو» والإله «حربوخراتيس» في المناظر الأربعة الأول، كما يُشَاهَد وهو يطعن بحربة حيوانًا في المنظرين الثامن والتاسع.

المنافذ

يُشَاهَد عليها متون.

(٣٠١)–(٣٠٣) و(٣٠٤) و(٣٠٥): مُثِّلَ هنا على قاعدة الجدار «بطليموس السابع» و«كليوباترا الثانية» يتبعهما صور مقاطعات الوجه القبلي ومراكز مستقلة مع أجزائها، كما يشاهد ثلاثة آلهة نيل وثلاث إلهات حقل أمام ثالوث «إدفو». هذا، ويشاهد فوق القاعدة سطران من النقوش خاصان بـ «بطليموس السابع».

(٣٠٦) و(٣٠٧): ميزاب على هيئة أسد مع مناظر ومتون. ويُشَاهَد من الصف الأعلى حتى الصف الثالث ستة مناظر مُثل في كلٍّ «بطليموس السابع» أمام آلهة بما في ذلك قرينين للإله «رع»، وكذلك أربع جنيات لـ «إدفو» برءوس حيات. وفي الصف الرابع يُشَاهَد في المنظر الأول «بطليموس السابع» يغادر القصر ومعه أعلام، والكاهن «إنموتف»، وفي المناظر من الثاني حتى السابع مُثل الملك يقدم للإلهين «حور» و«حتحور»، وكذلك نشاهد تقديس المعبد وتقديم حربة.

(٣٠٦) و(٣٠٧): يُرَى على قاعدة الجدار كلًّا من «بطليموس السابع» و«كليوباترا الثانية» يتبعهما آلهة نيل وإلهات حقول وآلهة مع قربان أمام ثالوث «إدفو».

---

[٣٩] راجع: Mélanges Maspero I, PP. 513–14.

ويُشَاهَد على الكرنيش زينة مع «نخبت» و«بوتو» في صورة صلين مجنحين وطغراءات «بطليموس السابع» ... إلخ.

(٣١٨) و(٣١٩): يُشَاهَد هنا فوق القاعدة متون بناء المعبد عملها «بطليموس الحادي عشر» وقدم لنا تواريخ بناء هذا المعبد وتزيينه في عهد البطالمة الثالث والرابع والخامس والسادس والسابع والعاشر والحادي عشر.[٤٠]

(ي) معبد رعمسيس الثالث جنوبي معبد «حور»

البوابة الجنوبية: (راجع الشكل رقم ٨).

(٨) و(٩): يُشَاهَد على قائمتي الباب بقايا مناظر ومتون لـ «بطليموس السابع» و«كليوباترا الثانية».

(ك) بيت الولادة (مميزي) بإدفو (راجع: Porter & Moss. Vo. 6. p. 170)

يقع بيت الولادة التابع لمعبد «إدفو» في الركن الجنوبي الغربي في المساحة التي أمام المعبد، وأقدم نقوش على جدران هذا المعبد ترجع إلى عهد «بطليموس السابع».

المحراب: المدخل

(٧٩) و(٨٠): يُشَاهَد على سمكي الباب رمز زينة وألقاب للملك «بطليموس السابع».

(٨١) و(٨٢): يُشَاهَد في مدخل الباب من الداخل «بطليموس السابع» وعلى عتب الباب نُقِشَ صفان مُثِّلَ فيهما إلهات القرين و«حمسوت» (مؤنث القرين) وكل من هذه الآلهة تمسك بطفل وبصورتين لإلهة فرس البحر ومع هؤلاء «إحي» الصغير و«حورسماتوي». هذا، ويُشَاهَد على قائمتي الباب ثلاثة صفوف من النقوش مثل في كل «حتحور» وهي ممسكة بالإله «حورسماتوي» بين الإلهتين «نخبت» و«بوتو»، كما يُشَاهَد الملك وهو يقدم العين السليمة للإله «حور» كما مثل واقفًا أمام «حور».

(٨٣)–(٨٦): يُشَاهَد هنا في الصف الأعلى في المنظر الأول الإله «خنوم» يقدم الطفلين «حورسماتوي» و«بطليموس السابع» للإله «حور» الذي بيده طفل، وفي الصف الثاني

---

[٤٠] راجع: A.Z. VIII., P1s. I, II, cf. PP. 2–5; brugsch, thes, 252–7 (B), A.Z. VIII, 109–10.

مُثل الإله «تحوت» يكتب أمام الإله «بتاح تانن» مع «حورسماتوي» و«حتحور» يمسكان طفلًا، وفي الصف الثالث يُشَاهَد الإله «أنوبيس» ومعه طبل أمام «إني» و«إزيس» التي ترضع طفلًا في أدغال البردي، وفي المنظر الرابع يُشَاهَد طبقات الشعب المصري الذي يتألف من الأشراف (بعت) والطبقة الدنيا (رخيت) ومن عامة الناس (حمموت) وأرواح بلدة «ب» وأرواح بلدة «نخن» (أي الملوك المتوفين) أمام الإلهين «تحوت» و«حور» ومعهما «حورسماتوي». هذا، ويُشَاهَد في الصف الثاني: المنظر الأول: الإله «خنوم» يصور الطفل «حورسماتوي» على عجلة صانع الفخار، كما تُشَاهَد الإلهة «حتحور» وهي تمنحه الحياة، وفي المنظر الثاني: نشاهد الإلهة «حقت» تركع أمام «خنوم» وهو يصور الطفلين «حورسماتوي» و«بطليموس السابع»، وفي المنظر الثالث: مُثِّلَتِ الإلهة «سشات-ورت» وهي تكتب أمام الإلهة «نخبت» وهي قابضة على الطفلين «حورسماتوي» و«بطليموس السابع»، وكذلك نشاهد الإلهة «بوتو» ممسكة بالطفلين «إحي» و«بطليموس السابع»، وفي المنظر الرابع: مُثِّلَتِ الإلهة «حتحور» وهي تقدم الطفل «حورسماتوي» إلى ثالوث «إدفو» وهم ممسكون بأطفال.

وفي الصف الثالث: مُثِّلَ في المنظر الأول: «بطليموس السابع» يقدم صدرية جعل للإلهين «حور» و«حورسماتوي»، وفي المنظر الثاني: مثل «بطليموس السابع» يقدم صدرية للإلهين «حور» و«حتحور»، وفي المنظر الثالث: مثل الإله «تحوت» يكتب اسم «بطليموس السابع» أمام «بطليموس السابع» المُؤلَّه (وذلك على غرار الفراعنة القدامى مثل «رعمسيس الثاني» في معبد أبو سمبل)، و«بطليموس العاشر سوتر الثاني» وهو لا يزال طفلًا، و«كليوباترا الثانية» و«كليوباترا الثالثة»، وفي المنظر الرابع: مثل «بطليموس السابع» وهو يطلق البخور أمام قارب «حور» الموضوع على قاعدة.

(٨٧)–(٩٠): يُشَاهَد هنا في الصف الأعلى في المنظر الأول: الإله «حقاو» يقدم الطفلين = «حورسماتوي» و«بطليموس السابع» للإله «حور» الذي يمسك بطفل. وفي المنظر الثاني: مُثِّلَ «بطليموس السابع» أمام الإله «مين». وفي الصف الثالث: نشاهد كلًّا من «حتحور» و«رع حور أختي» كلاهما ممسكًا بأطفال، وفي المنظر الرابع: نشاهد سبع بقرات معها طبول صغيرة، كما يُشَاهَد طفلان و«إحي» الصغير أمام الإلهة «حتحور» وهي ترضع طفلًا و«إحي». ويُشَاهَد في الصف الثاني في المنظر الأول: «آمون رع» جالسًا على أريكة مستندة على «نخبت»، وإلهتان أخريان على أريكة في أسفل، وفي المنظر الثاني: نشاهد «حتحور» على أريكة مع «حورسماتوي» بين «بوت» و«نخبت» مستندتين على

الإلهتين على أريكة في أسفل، وفي المنظر الثالث: نشاهد «حتحور» و«نخبت» على أريكة مع «هسيس» و«سخت حور» ترضعان أطفالًا، كما تُشَاهَد بقرتان مقدستان في أسفل، ومثل «بطليموس السابع» ومعه صناجات أمام سبع بقرات «حتحور» ترضع أطفالًا. وفي الصف الثالث توجد خمسة مناظر يُشَاهَد فيها «بطليموس السابع» يقدم بخورًا للإله «آمون رع» و«نخبت»، ويقدم ملابس لـ «حتحور» التي ترضع ولدها، ويقدم رمز الخلود للإله «آمون رع»، ويقدم لبنًا لـ «حتحور» على قاعدة.

وعلى قاعدة الجدار في النصف الجنوبي مُثِّلَ «بطليموس السابع» يتبعه عشرون إلهًا، ويُرَى وهو يقدم البخور لـ «حتحور» التي ترضع ابنها، وكذلك يُشَاهَد «بطليموس السابع» مع «كليوباترا الثانية» والإلهتان «ترموتيس» في صورتي ثعبانين، ويقدم قربانًا لـ «حور» و«حتحور» التي ترضع ولدها و«حورسماتوي».

وفي النصف الشمالي مُثِّلَ «بطليموس السابع» يطلق البخور و«كليوباترا» تحمل صناجتين، ويتبعهما أربع وعشرون آلهة مع صناجات أمام الإلهة «حتحور» التي ترضع طفلها. وكذلك مُثل «بطليموس السابع» مع «كليوباترا الثالثة» وإلهتان «ترموتيس» في هيئة ثعبانين، وهو يقدم القربان للإله «حور» والإلهة «حتحور» التي ترضع ولدًا و«إحي».

(٤) أعمال بطليموس السابع في معبد «كوم أمبو»

تدل شواهد الأحوال على أن «بطليموس السابع إيرجيتيس الثاني» قد ترك نقوشًا كثيرة في معبد «كوم أمبو» كما سنرى فيما يلي.[٤١]

(٤-١) قاعة العمد الداخلية (راجع Porter & Moss. VI. P. 186)

(أ) الواجهة

(٥١)–(٥٣): يُشَاهَد في الصف الأعلى ثلاثة مناظر مُثِّلَ فيها «بطليموس السابع» (مهشمًا) أمام الآلهة «سبك» و«حتحور» و«خنسو»، كما يُشَاهَد وهو يقدم العين السليمة

[٤١] راجع شكل رقم (٣).

للإله «حور» وللإله «بانبتاوي»، ويقدم النبيذ للإلهين «حور» و«سنوفيس»، وكذلك مُثل «بطليموس السابع» في الصف الثاني وهو يقدم صورة العدالة للإله «حور-ور» و«سنوفيس» و«بانبتاوي».

وفي الصف الثالث نشاهد ثلاثة مناظر مُثل فيها «بطليموس السابع» وهو يقدم طعامًا للإلهين «سبك رع» و«حتحور»، ويبارك المعبد أمام «حور» وآلهة (مهشمة).

(٥٤): يوجد هنا ثلاثة صفوف من النقوش مُثِّلَ فيها «بطليموس السابع» يقدم عطورًا للإله «حور» وأزهارًا للإله «سبك رع»، وسكينًا للإله «حور-ور». وعلى قاعدة الجدار نُقِشَتْ أنشودة لعين «أوزير».

(٥٥)–(٥٧): يُشَاهَد هنا في الصف الأعلى ثلاثة مناظر مُثل فيها «بطليموس السابع» (مشهمًا) واقفًا أمام «حور-ور» و«سنوفيس» و«بانبتاوي»، ويقدم طوقًا للإلهين «سبك» و«خنسو»، كما يقدم بخورًا للإلهين «سبك رع» و«حتحور» (مهشمة).

وفي الصف الثاني ثلاثة مناظر مُثل فيها «بطليموس السابع» وهو يقدم زهورًا للإلهين «جب» و«نوت»، كما يقدم لبنًا لكل من الإلهين «شو» و«تفنوت»، وفي الصف الثالث ثلاثة مناظر مُثل فيها «بطليموس السابع» واقفًا أمام ثالوث «سبك»، وكذلك مُثل وهو يطهر المعبد أمام «حور-ور» و«سنوفيس-تفنوت»، ويبارك المعبد أمام «سبك» وآلهة.

(٥١)–(٥٣) و(٥٥)–(٥٧): يُشَاهَد هنا على قاعدة الجدار موكب مُثل فيه «بطليموس السابع» و«كليوباترا الثانية» يسبقهما متون طويلة عمودية تحتوي على أناشيد، ويتبع ذلك إله نيل وإلهة حقل.

(ب) المدخل الشمالي

(٥٨) و(٥٩): مُثِّلَ على عتب الباب هنا منظر مزدوج ظهر فيه «بطليموس السابع» وهو يقدم بخورًا للإله «حور-ور» على الجانب الأيسر، ويقدم للإله «سبك رع» البخور، وكذلك على الجانب الأيمن، ويقدم مع كليوباترا البخور لثالوث «حور-ور» على الجانب الأيسر، ولثالوث «سبك» على الجانب الأيمن. ويُشَاهَد على قائمتي الباب خمسة صفوف ظهر فيها «بطليموس السابع» أمام آلهة، وعلى القاعدة خطاب للإلهين «حور-ور» و«سبك رع».

(ج) المدخل الجنوبي

(٦٤) و(٦٥): مُثِّلَ على عتب الباب من الخارج منظر مزدوج ظهر فيه «بطليموس السابع» يقدم نبيذًا للإله «سبك رع»، كما يظهر مع «كليوباترا الثانية» يقدم صورة «ماعت» لثالوث «سبك» على الجهة اليسرى، ويقدم نبيذًا للإله «حور-ور» ثم يقدم مع «كليوباترا الثالثة» صورة «ماعت» لثالوث «حور-ور» على الجانب الأيمن. وعلى قائمتي الباب خمسة صفوف يظهر في كلٍّ «بطليموس السابع» أمام إلهين كما يظهر مع خطاب للإله «حور-ور» و«سبك رع» عند القاعدة.

(٦٦) و(٦٧): نُقِشَ على سمكي الباب خمسة مناظر على كل جانب ظهر فيها «بطليموس السابع» أمام آلهة مع متن عند القاعدة.

(٧١)-(٧٢): يُشَاهَد في الصف الأعلى «بطليموس السابع» يقدم العينين السليمتين للإلهين «حور-ور» و«سنوفيس»، كما يقدم صورة العدالة للإله «آمون رع» وإله «مهشم».

(٧١)–(٧٣): الصف الثاني ظهر فيه «بطليموس» يقدم قربات سائلة للإلهين «سبك رع» و«حتحور»، كما يقدم رموزًا للإلهة «أوزير-وننفر»، «حتحور» (؟) و«نفتيس»، كما يُشَاهَد منظران صغيران الواحد منهما فوق الآخر يُشَاهَد فيهما «بطليموس» يقدم لحية على قاعدة وإلى إله برأس حية، كما يُشَاهَد واقفًا أمام ثلاثة آلهة؛ اثنان منهم في قارب. وفي الصف الثالث يُشَاهَد جزء من أحفال تأليه، وكذلك يُرَى «بطليموس» وهو يغادر القصر مع الكاهن «إنموتف» وأعلام، ويُرَى الملك وكل من «تحوت» و«حور» يطهره، وكذلك تُتَوِّجُه الإلهتان «نخبت» و«بوتو» أمام «حور-ور».

(٧٤): يُشَاهَد هنا في الصفين الباقيين «بطليموس السابع» يتعبد لستة آلهة قاعدين، كما يُشَاهَد ومعه «كليوباترا الثانية» و«كليوباترا الثالثة» يتسلم سيفًا من «حور-ور» وهو يحمل رمز العيد الثلاثيني.

(٧٥) و(٧٦): يُشَاهَد على هذا الجدار «بطليموس السابع» يقرب عينين سليمتين لثالوث «حور-ور».

(٧٥)–(٧٧): يُرَى هنا في الصف الثاني على هذا الجدار «بطليموس السابع» يقدم طعامًا للإله «أوزير-وننفر» و«إزيس» و«نفتيس»، ويقدم خبزًا للإلهين «سبك» و«خنسو». كما يُرَى ممثلًا أمام إله (مهشم)، وفي الصف الثالث ظهر «بطليموس السابع» يقوده كل من الإلهين «آمون رع» و«حور» إلى الإله «سبك»، وكذلك يقوده كل من الإلهتين

«بوتو» و«نخبت» إلى الإله «سبك-رع»، كما ظهر وهو يتسلم رمز العيد الثلاثيني من «حور».

(٤-٢) بيت الولادة (مميزي) في معبد «كوم أمبو»

يقع في الركن الجنوبي الغربي من المعبد ويطل على النيل. ويُلْحَظ هنا أن النصف الغربي من بيت الولادة في «كوم أمبو» قد اكتسحه النيل (انظر الشكل رقم ٩).

(أ) قاعة العمد

الواجهة

(٤) و(٥): يُشَاهَد هنا بقايا منظرين ظهر فيهما الملك أمام إله وإلهة، كما ظهر وهو يقدم صدرية لإله.

(٦) و(٧): يُشَاهَد هنا على قاعدة الجدار بقايا أعمدة متون جنازية، كما يشاهد «بطليموس السابع» ومعه قربان تتبعه «كليوباترا الثانية» ومعها طاقات أزهار.

الدهليز الداخلي

(١٧): يُشَاهَد على قائمة الباب من الخارج ثلاثة صفوف من النقوش مُثِّلَ فيها الملك واقفًا أمام الإله «سبك» وآلهة (مهشمة)، كما ظهر وهو يقدم صورة العدالة للإله «تحوت» وزوجه الإلهة «نحم-عاوت»، كما مُثِّلَ وهو يقدم الحقل للإلهين «سبك» و«حتحور».

(١٨) و(١٩): نُقِشَتْ هنا على سمكي الباب متون مؤلفة من ثلاثة أعمدة، كما ظهرت صورة كل من «بطليموس السابع» و«كليوباترا الثالثة».

(٢٠): مُثل على قائمة الباب من الداخل ثمانية صفوف إلهات في صورة فرس البحر، وتشمل صور «توريس»، «ترموتيس» و«مسخنت» في محاريب لها علاقة بشهور السنة وأيام النسيء، ويتعبها آلهة مختلفة. وظهر على قاعدة هذا الجدار «بطليموس السابع» و«كليوباترا الثالثة»، وصُوِّرَتْ ثلاث مقاطعات من مقاطعات الوجه البحري.

في الداخل

(٢١) و(٢٢): ظهر في الصف الأعلى الملك في منظرين وهو يقدم خبزًا للإله «سبك»، وطيورًا لآلهة ولإله صغير (كلها مهشمة). وفي الصف الأسفل مُثل الملك مع «حقاو» والإله «خدد» (إله صيد الطيور) في قارب يسير بين نبات البردي، ويُشاهَد معه في القارب إله نيل، وعند مقدمة القارب يقف طائر أليف، ويطير البط البري من بين نباتات البردي، كما تُشَاهَد صورة أسد صغير يتسلق إحدى السيقان! ويُلْحَظ هنا أن الملك يرتدي شعرًا مستعارًا مجعدًا تجعيدًا متقنًا وقميصًا قصيرًا. هذا، ويشرف على المنظر الإله «مين» رب الحياة والنباتات والخصب. وهذا المنظر في الواقع يُعَدُّ مثلًا من الأمثلة التي تدل على انحطاط الديانة في هذا العهد إذا ما قُرِنَ بالمناظر التي نراها مُمَثَّلَة على جدران مقابر أمراء الأسرة الثامنة عشرة.[٤٢]

الممر

(٢٢)–(٢٤): يُشَاهَد هنا بقايا منظر ظهر فيه الملك والملكة تتبعهما البقرة «سخات حور» و«نبرت» (إلهة القمح).

(٢٥) و(٢٦): مُثِّلَ هنا «بطليموس السابع» والملكة «كليوباترا الثانية» تتبعهما كل من «نايت» إلهة النسيج و«منقت» إلهة الجعة ومعهما قربات.

(٥) معبد الفيلة

(٥-١) معبد «إزيس»

أضاف «بطليموس السابع» بعض النقوش والمناظر على أجزاء من معبد «إزيس»، نخص بالذكر منها ما يأتي؛ أولًا: نجد اسم هذا الملك على الأجزاء العليا من سيقان عمد هذا المعبد وتيجانها، كما نُقِشَ متن على الخارجة وعلى الكرنيش، ونقش اسم «كليوباترا الثالثة» في قاعة العمد الثانية الشرقية.[٤٣]

---

[٤٢] راجع: Waigall, Guide, P. 389.

[٤٣] راجع: Porter and Moss Vol. VI, P. 219.

(أ) البوابة الأولى والردهة الثانية: (انظر شكل رقم ٥)

(٧٣): تُشَاهَد هنا المسلة الغربية التي أقامها «بطليموس السابع» أمام البوابة الأولى لمعبد «إزيس» في جزيرة الفيلة. والجزء الأسفل من هذه المسلة محفوظ الآن في (كنجستون لاسي دورست) Kingston Lacy Dorset أما قاعدة هذه المسلة فقد تُرِكَتْ في مكانها الأصلي.

ويوجد على هذه القاعدة بقايا متن إغريقي.

(٧٤): كانت تُوجَد هنا المسلة الشرقية التي تقابل المسلة الغربية السالفة، وقد نقلها إلى إنجلترا «بلزوني» عام ١٨١٩. وهي موجودة الآن في نفس المكان الذي فيه المسلة الغربية أختها. وهاتان المسلتان مصنوعتان من الجرانيت، والملكة التي جاء ذكرها على هذه المسلة هي «كليوباترا الثالثة» على ما يظهر. والنقوش الإغريقية التي على قاعدة هذه المسلة تشمل شكاوى كهنة معبد الفيلة للملك «إيرجيتيس الثاني» ورسالة الملك «لاخوس» Lachos.[٤٤]

الردهة الثانية الشرقية

نُقِشَ على الأجزاء العليا من سيقان العمد والخارجة والكرنيش اسم «بطليموس السابع» وكل من «كليوباترا الثانية» والثالثة (راجع: L.D. IV p. 39).

(ب) الحجرة الخامسة: (انظر الشكل رقم ١٠)

المدخل الشرقي

(١٤٤) و(١٤٥): ظهر الملك «بطليموس السابع» هنا على العتب الخارجي في منظر مزدوج تتبعه «كليوباترا الثانية» وهو يقدم نبيذًا لكل من الآلهة «أوزير-وننفر» و«إزيس» و«حور بوخراتيس»، ويقدم كذلك للآلهة «خنوم»، «حتحور» و«حرسئيسي». وعلى قائمة الباب الجنوبية يُوجَد ثلاثة صفوف من النقوش ظهر فيها الملك وهو يقدم صورة العدالة للإله «آمون رع» والإلهة «موت»، كما يقدم لوحة للإله «تحوت» وإلى آلهة «مهشمة»، ويقرب

---

[٤٤] راجع: Gauth. L.R.IV. p. 323–4; Mahaffy, Empire P. 397–390; Porter and Moss. Ibid., P. 214.

طعامًا للإلهين «أوزير-وننفر» و«إزيس» مع حاملتي قربات عند قاعدة الجدار، ويُشَاهَد الملك على قائمة الباب الشمالية وهو يقدم لإله وإلهة، وكذلك يقدم عطورًا للإلهين «شو» و«تفنوت». كما يقدم طعامًا لكل من «حور» و«حتحور» مع إلهي نيل عند قاعدة الجدار.

(١٤٧): يُوجَد صفان من النقوش على سمك الباب يظهر فيهما «بطليموس السابع» وهو يقدم بخورًا وقربات سائلة للإلهين «أوزير-وننفر» و«إزيس»، كما يُشَاهَد مع «كليوباترا الثانية» يقدم حقلًا لـ «إزيس».

باب الدخول المؤدي لمر ذي العمد

(١٥٤) و(١٥٥): الواجهة الداخلية: يُشَاهَد هنا فوق مدخل الباب خمسة رءوس «حتحور»، كما يُشَاهَد على عتب الباب منظر مزدوج ظهر فيه «بطليموس السابع» و«كليوباترا الثانية»، وهو يقدم للآلهة «أوزير»، «إزيس»، و«حربوخراتيس» طعامًا، وكذلك للآلهة «خنوم» و«حتحور» و«حارسئيسي».

ويُشَاهَد على قائمة الباب الجنوبية ثلاثة صفوف ظهر فيها الملك يقدم العين السليمة للإلهين «حور» و«نفتيس» كما يقدم عطورًا للإلهين «شو» و«تفنوت»، ويقرب الحقل للإلهين «أوزير» و«إزيس». هذا، ويُشَاهَد على قائمة الباب الشمالية الملك يقدم صورة العدالة للإلهين «آمون رع» و«موت»، ويقدم لوحة كتابة للإله «تحوت» والإلهة «وبست» (وهي إلهة تحرق الأشرار، وتُعْتَبَر إلهة جزيرة «بيجه»)، ويقدم حقلًا للإلهين «أوزير-وننفر» و«إزيس».

(١٥٦) و(١٥٧): نُقِشَ على سمكي الباب هنا متن مؤلف من عمودين، كما يُوجَد صفان من النقوش مُثِّلَ فيهما «بطليموس السابع» يقدم نبيذًا للإلهين «حتحور» و«حرسئيسي»، كما يُشَاهَد «بطليموس السابع» أمام آلهة (الرءوس هنا مهشمة) وعلى القاعدة يُشَاهَد «بطليموس» وإله نيل وإلهة حقل.

(ج) بيت الولادة في جزيرة الفيلة (انظر شكل رقم ٦)

بُنِيَ بيت الولادة في هذه الجزيرة بين البوابة الكبرى والبوابة الثانية، وهو يؤلف الجانب الغربي للردهة الأمامية لمعبد «إزيس» الكبير، وقد بُدِئَ في عهد «بطليموس السادس» على ما يُظَنُّ، ولكن الجزء الأعظم منه أقامه «بطليموس السابع إيرجيتيس الثاني» وأكمله أباطرة الرومان.

الردهة الأمامية

(١٦٥): تُشَاهَد هنا ثلاثة صفوف ظهر فيها «بطليموس السابع» يقدم نبيذًا لـ «إزيس» و«نفتيس»، كما يقدم الكتان للإله «خنوم» والإلهة «سوتيس» (الشعرى اليمانية)، والإلهة «عنقت» وتتبعه الملكة «كليوباترا» الثانية (؟)، ويقدم حقلًا للإلهين «أوزير-وننفر» و«إزيس».

(١٦٦): نُقِشَ هنا ثلاثة صفوف يظهر فيها «بطليموس السابع إيرجيتيس الثاني» يقدم طعامًا للإلهتين «إزيس» و«حتحور»، كما يقدم قربانًا للآلهة «شو» و«تفنوت» و«سخمت»، كما يظهر كذلك تتبعه «كليوباترا الثانية» (؟) ويقدم حقلًا للإلهين «إزيس» و«حور».

في الدهليز الداخلي

(١٧٢) و(١٧٣): المدخل الخارجي: يُشَاهَد على عتب الباب منظر مزدوج مُثِّلَ فيه «بطليموس السابع» يقدم نبيذًا للآلهة «أوزير-وننفر» و«إزيس» و«حربوخراتيس»، كما يقدم صورة العدالة للإله «خنوم» و«حتحور» و«حربوخراتيس»، ونُقِشَ على قائمة الباب الغربية ثلاثة صفوف ظهر فيها الملك يقدم أوراقًا للإله «مين» وعطورًا للإلهة «سخمت» وحقلًا للإلهة «إزيس»، كما يُشَاهَد الملك يتبعه إله نيل عند قاعدة الجدار لكل من القائمتين.

(١٧٤): يوجد هناك على سمك الباب متن مؤلف من ثلاثة أعمدة، والمتن عبارة عن أنشودة للإله «حربوخراتيس».

(١٧٥) و(١٧٦): المدخل من الداخل: يُشَاهَد على عتب الباب منظر مزدوج ظهر فيه الملك يقدم نبيذًا (الطغراء خالٍ) للآلهة «خنوم» و«حتحور» و«حربوخراتيس»، وكذلك يقدم للإلهين «إزيس»، و«حربوخراتيس». هذا، وقد نُقِشَ على قائمتي الباب ثلاثة صفوف يُشَاهَد على كل منها الإلهة «حتحور» ومعها دف، كما يُشَاهَد الملك أمام «إزيس».

(١٧٧): يُشَاهَد هنا على الجدار في الصف الأعلى الإلهة «مرت» (إلهة الموسيقى)، كما تُشَاهَد «حتحور» ومعها دف، وفي الصف الأسفل نشاهد الإلهتين «مرت» و«حتحور» (أي إلهة الموسيقى وإلهة الفرح والسرور تضرب على دفها).

(١٧٨) و(١٧٩): يُشَاهَد هنا في الصف الأعلى خمسة مناظر ولادة؛ فيُرَى في الأول الآلهة «آمون رع» و«إزيس» على سرير مرفوع إلى أعلى بإلهات على أريكة، كما يُشَاهَد

«آمون رع» مع «خنوم»، والإله «خنوم» يصور الطفل مع الإلهة «حقات»، وكذلك يُشَاهَد «تحوت» مع «إزيس» و«إزيس» يقودها «خنوم» و«حقات». وفي الصف الأسفل يُشَاهَد موكب مؤلف من الآلهة: «شو»، «تفنوت» و«جب» و«نوت» و«أوزير» و«إزيس» و«حور-ور» و«نفتيس» و«حور»، و«حتحور» و«بتاح تننت» و«إنيت» و«تحوت».

(١٨٠): مُثِّلَ الملك هنا في ثلاثة صفوف وهو يقدم أوانيَ لـ «آمون» وصناجات للإلهة «تفنوت» وتيجان للإلهة «بوتو».

(١٨١): يُوجَد هنا صفان من النقوش مُثِّلَتْ فيهما الإلهة «مرت» والإلهة «حتحور» مع الدف، في كل من الصفين.

(١٨٢) و(١٨٣): منظر ولادة: يُشَاهَد في الصف الأعلى ثلاثة مناظر يُشَاهَد فيها إله و«حقات» ممسكة بطفل أمام خمسة عشر إلها: «أنوبيس» ومعه قرص، و«إزيس» يقودها «خنوم»، وحقا (؟) للإله «رع» مع «تفنوت» في الخلف، وفي الصف الأسفل نشاهد ثلاثة مناظر مُثِّلَ فيها «آمون رع» و«مسخنت» يشرفان على منظر الولادة على أرائك، ويُشَاهَد «آمون رع» و«حتحور» مع الطفل المولود، و«إزيس» و«نخبت هزيس» و«سخات-حور» ترضع أطفالًا على أريكة.

(١٨٤): يُشَاهَد هنا ثلاثة صفوف ظهر فيها الملك يتعبد للإله «آمون رع»، ويقدم مرايا للإلهة «ساتيس»، وصولجانًا على هيئة ثعبان للإلهة «بوتو».

(١٧٦)–(١٨٠) و(١٧٥) و(١٨١–١٨٤): يُشَاهَد هنا على قاعدة الجدران إلهة نيل راكعة، وفي النهاية تُرى أشجار.

المحراب

(١٨٥) و(١٨٦) المدخل الخارجي: نُقِشَ على عتب الباب منظر مزدوج ظهر فيه الملك وهو يجري ومعه آنيتا (حس) نحو «أوزير» و«إزيس» و«حرسئيسي»، وكذلك يُشَاهَد وهو يجري نحو «خنوم» و«حتحور» و«حربوخراتيس». هذا، ويُشَاهَد على قائمة الباب الغربية ثلاثة صفوف مُثِّلَ فيها الملك يقدم البخور لـ «أوزير»، كما يقدم كذلك لـ «حور»، ويقرب حقلًا للإلهة «إزيس». وعلى قائمة الباب الشرقية يقدم الملك صورة «ماعت» للإله «رع»، كما يقدم قربانًا للإله «مين»، ويقدم الطعام للإلهة «حتحور». وعلى قاعدة الجدار يُشَاهَد الملك راكعًا ومعه قربان على كل من القائمتين.

(١٨٧) و(١٨٨): نُقِشَ على كل من سمكي الباب عمودان من الكتابة باسم «بطليموس السابع» و«كليوباترا الثالثة».

(١٨٩) و(١٩٠): على مدخل الباب من الداخل: منظر مزدوج ظهر فيه الملك يقدم لبنًا للآلهة «أوزير» و«إزيس» و«حرسئيسي»، كما يقدم أواني (حس) للآلهة «خنوم» و«حتحور» و«حربوخراتيس». وعلى قائمة الباب الشرقية ثلاثة صفوف مُثِّلَ فيها الملك يقدم ماء لـ «آمون رع» ومرايا للإلهة «موت» ويبارك القربات أمام «أوزير-وننفر». وعلى قائمة الباب الغربية يقدم الماء للإله «شو» وللإلهة «تفنوت»، ويبارك القربات أمام «إزيس».

(١٩١): يُشَاهَد هنا ثلاثة صفوف مُثِّلَ فيها الملك يقدم طعامًا للإله «أرسونوفيس» والقربات المحروقة لإله، كما يقدم عصابة رأس للإلهة «حتحور».

(١٩٢) و(١٩٣): مُثِّلَ هنا على هذا الجدار في الصف الأعلى أربعة مناظر ظهر فيها الملك تتبعه «كليوباترا الثالثة» (؟) وهو يقدم آنية للآلهة ثالوث الشلال وهم «خنوم» و«ساتيس» و«عنقت»، كما يقدم البخور (؟) للإله «تحوت» والعين السليمة للإله «حور»، وصورة العدالة لثالوث «طيبة». هذا، ويُشَاهَد هنا منظر صغير في الوسط (تحت النافذة) تُرَى فيه الإلهة «نفتيس» وإله صغير على زهرة اللوتس. وفي الصف الثاني ثلاثة مناظر مُثِّلَ فيها الملك يقدم صناجات لصورتي «حتحور» وللإله «حربوخراتيس»، وصدرية للآلهة «حور» و«وبست»، و«نخبت»، و«بوتو» وعطور المر لـ «أوزير»، و«إزيس» التي ترضع إلهًا صغيرًا و«نفتيس». وفي الصف الثالث خمسة مناظر ظهر فيها الملك تتبعه «كليوباترا الثالثة» ويقدم حقلًا لإله وإلهة ولـ «حور»، كما يُشَاهَد الملك كذلك يقدم بخورًا لـ «آمون رع» وأوراقًا للإله «مين كاموتف» (مهشمًا) وطعامًا لـ «إزيس» التي ترضع إلهًا صغيرًا ومرايا للإلهة «حتحور» مع إله صغير.

(١٩٤): نُقِشَ هنا ثلاثة صفوف مُثِّلَ فيها الملك يقدم صورة العدالة للإله «تحوت-بنوبس» ويقدم البخور للإله «أمحوتب» والكحل للإلهة «سشات» الكبيرة.

(١٩٥) و(١٩٦): يُشَاهَد على هذا الجدار في الصف الأعلى أربعة مناظر ظهر فيها الملك تتبعه «كليوباترا الثالثة» وهو يقدم نبيذًا للآلهة «حور» و«حتحور»، و«حورسماتوي»، كما يُشَاهَد الملك يقف أمام الإلهة «نبت حتب» (إلهة تقابل الإلهة «نحمت-عواي» زوج

«تحوت» في الوجه البحري)،[٤٥] ويقدم طوقًا لفرعون مُؤَلَّه، وصولجانًا على هيئة صل للإله «رع حور أختي»، و«شو» و«تفنوت». وفي الصف الثاني ثلاثة مناظر مُثِّلَ فيها الملك يقدم زهورًا للآلهة «خنوم» و«سوتيس» و«عنقت» ولوحة كتابة للآلهة «تحوت» و«سخمت» و«بوباستيس»، «نحمت عواي»، ويقدم نسيجًا للآلهة «آتوم» و«جب» و«نوت». وفي الصف الثالث خمسة مناظر ظهر فيها الملك مع «كليوباترا الثالثة» يبارك قربانًا أمام «حتحور» و«حرسئيسي» (؟) وكذلك يقدم النبيذ للإله «خنوم»، ومحاصيل بلاد «نبت» للإله «بتاح» في محراب صغير، ويقدم الطعام لـ «إزيس» التي ترضع «حور» الصغير (مهشمًا)، هذا إلى بقايا منظر تظهر فيه إلهة برأس بقرة.

(١٩٧) و(١٩٨): يُشَاهَد هنا في الصف الأعلى منظر مزدوج ظهر فيه الملك يقدم تيجانًا للآلهة «أوزير-وننفر» و«إزيس» و«حربوخراتيس» وعلامة الأبدية للآلهة «خنوم» و«حتحور» و«حربوخراتيس»، وفي الصف الثاني يُشَاهَد صور الآلهة «رع حور أختي» ومتن طويل وثعبان والإله «حور» في صورة صقر في دغل من البردي، ورجلان بصلين على قضيب، و«تحوت» مع خطاب للإله «حور». وفي الصف الثالث نرى الإلهة «نيت» وخطابًا للإلهة «بوتو» والإله «تحوت»، كما نشاهد «إزيس» ترضع طفلًا في أدغال البردي بين «تحوت» و«بوتو» والإله «سيا» على جانب والإله «آمون رع» و«نخبت» و«حو» على الجانب الآخر، وخطب للإله «حو» و«آمون رع»، و«نخبت».

(٥-٢) المعبد الرئيسي للإلهة إزيس

(أ) البوابة الثانية: المدخل

(٢٥٠) و(٢٥١) الباب الخارجي: مُثِّلَ فوق العتب في الجزء الأعلى نسر مجنح وطغراءات. وفي الجزء الأسفل نشاهد أربعة قردة على كل جانب من القرص المجنح مع متن يتألف من سطر أسفل كل جزء. ويُشَاهَد على عتب الباب نفسه منظر مزدوج ظهر فيه الملك على الجانب الأيسر يقدم نبيذًا لـ «آمون رع»، وكذلك يُرَى وهو يهرول مع دفه نحو «أوزير-وننفر» و«إزيس»، وعلى الجانب الأيمن مُثِّلَ الملك وهو يقدم نبيذًا للإله «حور»

[٤٥] راجع: Hans Bonnet ber Reallexikon, P. 512.

وهو يجري ومعه آنية (حس) نحو الإلهين «خنوم» و«حتحور». وعلى قائمة الباب الغربية أربعة مناظر ظهرت فيها «كليوباترا الثانية» تقدم طوقًا للإلهة «إزيس» والإلهة «نخبت»، كما مُثِّلَ الملك يقدم للإلهتين «موت» و«سخمت،» كما يقدم مرايا للإلهتين «حتحور» و«تفنوت» وحقلًا للإلهتين «إزيس» و«وبست». هذا، وتقدم «كليوباترا الثانية» صناجات للإلهتين «تفنوت» و«بوتو»، ويقدم الملك عطور المر للإلهتين «سوتيس» و«عنقت»، ويقدم كذلك لكل من «تفنوت» و«نوت»، ويقدم حقلًا للإلهة «إزيس» وإلى إله آخر.

(٢٥٢): حُفِرَ على سمكي الباب ثلاثة مناظر مُثِّلَ فيها الملك واقفًا أمام الإله «بتاح» في ناووس، وكذلك يقدم صورة «ماعت» للإله «تحوت» ويطعن حيوانًا بحربة (؟) أمام «حور» إله «إدفو».

(٢٥٣): يُشَاهَد على سمك الباب صفان من النقوش ظهر فيهما الملك يقدم البخور والقربان السائلة للإله «أوزير-وننفر» و«إزيس» و«حربوخراتيس»، وتتبعه الملكة «كليوباترا الثانية» ويقدم حقلًا للإلهة «إزيس».

(٢٥٥): يُوجَد هنا على سمك الباب أربعة أعمدة من المتون ذُكِرَ فيها «بطليموس السابع إيرجيتيس الثاني» وكل من «بطليموس الثاني» والثالث والرابع والخامس والثامن.[٤٦]

(٢٥٦): يُشَاهَد على سمك الباب ثلاثة صفوف من النقوش مُثِّلَ فيها «بطليموس السابع إيرجيتيس الثاني» يقدم نبيذًا للإله «رع حور أختي» وكذلك يطعن ثعبانًا بحربة أمام الإله «شو-رع»، ويقدم قربانًا للإله «جب».

(٢٥٨) و(٢٥٩) على مدخل الباب من الداخل: يُشَاهَد على عتب الباب «بطليموس السابع» مع «كليوباترا الثانية» يقدم آنية للإله «خنوم-رع» وللإلهة «حتحور»، كما يقدم بخورًا للإلهين «أوزير-وننفر» و«إزيس»، وعلى قائمة الباب اليسرى ثلاثة صفوف من النقوش ظهر فيها الملك يقدم جرة للإله «شو»، ويقدم عقد «منات» في هيئة بولهول للإلهة «نفتيس» ويقف أمام «حتحور»، وعلى قائمة الباب اليمنى كذلك ثلاثة صفوف من النقوش مُثِّلَ فيها الملك وهو يقدم خبزًا للإله «آمون-رع» وكذلك للإلهة «إزيس» والنبيذ لـ «إزيس» أيضًا.

---

[٤٦] راجع: Porter and Moss VI, p. 232; L. D. IV, 36a; Brugsch. Thes, 855.

(٢٦٢): يُشَاهَد على هذا الجدار من الصف الثاني حتى الصف الرابع «بطليموس السابع إيرجيتيس الثاني» يقدم صدرية للإله «آمون رع» والإلهة «موت»، كما يقدم طوقًا للإله «شو»، والعين السليمة للإله «حور» والإلهة «حتحور».

(٢٦٣) عمود مربع: يُشَاهَد على الواجهة الشمالية لهذا العمود أربعة صفوف يظهر فيها «بطليموس السابع» يقدم عطورًا للإله «رع حور أختي» ونسيجًا للإله «خنوم» ونبيذًا للإله «حور» ونطرونًا للإله «حور».

(٢٦٤): يُشَاهَد على هذا الجدار من الصف الثاني حتى الخامس «بطليموس السابع» يقدم صورة العدالة للإله «آمون رع» وللإلهة «موت» كما يقدم النبيذ للإله «رع حور أختي»، ويقدم ضحايا للإلهة «تفنوت» وقربانًا محروقة للإلهة «إزيس».

(٢٦٦): ظهر «بطليموس السابع إيرجيتيس الثاني» على نقوش هذا الجدار من الصف الثاني حتى الصف الرابع وهو يقدم جرة للإله «أوزير-وننفر» والإلهة «إزيس»، كما يقدم رموزًا للإله «أوزير» والإلهة «إزيس»، كما يقدم الأبدية (حح) لـ «أوزير» المحنط مع تقديم خطاب لـ «أوزير» فوق مدخل الباب.

(٢٧٦) عمود مربع: نقرأ على الواجهة الغربية عمودًا من النقوش الهيروغليفية، وعلى الواجهة الشمالية نشاهد أربعة صفوف مُثِّلَ فيها «بطليموس السابع» يقدم البخور للإله «خنوم»، ويقدم جرة عطور على هيئة بولهول للإله «أونوريس» والنبيذ للإله «حور» صاحب «بوهن» (وادي حلفا) واللبن لـ «حور» صاحب «أومبوس»، هذا بالإضافة إلى متن أسفل.

(٢٦٨) و(٢٦٩): يُشَاهَد هنا من الصف الثاني حتى الصف الخامس «بطليموس السابع» يقدم عطورًا وقربانًا سائلة للآلهة «أوزير-وننفر» و«إزيس» و«حور» و«نفتيس»، كما يتعبد لكل من «أوزير-وننفر» و«حربوخراتيس»، ويقدم زيتًا لكل من «إزيس» و«حربوخراتيس»، ويصب القربات السائلة على المائدة التي أمام «أوزير-وننفر» المحنط و«إزيس».

(ب) قاعة العمد

(٢٧٠) و(٢٧١): ظهر الملك «بطليموس السابع» في الصف الأعلى على هذا الجدار وهو يقدم بخورًا وقربانًا سائلًا للإله «أوزير» والإلهة «إزيس»، كما يقدم نبيذًا (؟) للإلهين «حور» و«نفتيس» (المسماة هنا «إزيس»). وفي الصف الثاني مُثِّلَ الملك واقفًا أمام

«أوزير-سوكاري» و«إزيس»، ويقدم أربعة أوانٍ للإلهين «أوزير-وننفر» و«إزيس». وفي الصف الثالث ظهر الملك وهو يقدم حقلًا للإلهين «أوزير-وننفر» و«إزيس».

(٢٧٢) عمود مربع: نُقِشَ على الوجه الجنوبي لهذا العمود متن مؤلف من عمودين، وعلى الوجه الشرقي ثلاثة صفوف ظهر فيها الملك يقدم بخورًا لـ «أرسونوفيس»، وصورة «رع» للإله «آمون» برأس كبش، ويقدم طعامًا إلى «توتو» (اسم إله محلي في صورة أسد).[٤٧]

وعلى الوجه الشمالي أربعة صفوف يُشَاهَد فيها أسد رابض وكلبان وإله برأس أسد واقف على ثعبان وإلهان برأس قرد، هذا بالإضافة إلى متن مؤلف من خمسة أسطر أسفل كل صف، كما نشاهد أربعة شياطين على القاعدة.

(٢٧٣) و(٢٧٤): ظهر في الصف الأعلى، الملك يقدم نبيذًا للإله «آتوم» وللإلهة «يوس عاس»، كما يقدم إوزة لكل من الإله «جب» والإلهة «نوت». وفي الصف الثاني يقدم الملك ماء للإله «خنوم» وللإلهة «حتحور»، ويقدم أزهارًا لكل من «حور» و«نفتيس». وفي الصف الثالث ظهر الملك تتبعه «كليوباترا الثانية» وهو يقدم أربعة عجول للإله «أوزير-وننفر» والإلهة «إزيس»، كما يقدم ضحايا لـ «إزيس» و«سخمت» و«حرسئيسي». وفي الصف الرابع بقايا مناظر من أعلى، والملك يغادر القصر.

(ج) العمد والمناظر التي عليها

(١) (a): يُشَاهَد في الصفين الثاني والثالث الملك يقدم شهدًا للإله «حربوخراتيس»، وبخورًا للإلهة «نفتيس». (b) يُشَاهَد في الصف الثاني والثالث يقدم للإله «مين» وللإله «أوزير-سوكار». (c) ثلاثة صفوف يظهر فيها الملك يقدم صورة العدالة لـ «آمون رع» والطعام للإله «حرسئيسي»، والنبيذ للإلهة «إزيس».

(٢) (a) & (b): يُشَاهَد في الصف الأعلى الملك ممثلًا وهو يقدم صورة العدالة للإلهة «إزيس» وتقدمه لإله. (c) & (d) يُشَاهَد هنا في الصف الأعلى الملك يقدم القوس والنشاب للإلهة «ساتيس» وعقد منات للإلهة «عنقت».

[٤٧] راجع: Wb V, p. 200.

(٣) (b): يُشَاهَد في الصف الأعلى الملك يقدم «حح» (الأبدية) للإله «حور»، وفي الصف الأسفل يُرَى عجل ومائدة قربان أمام «تحوت». (c) يظهر الملك في الصف الأعلى ومعه الصولجان أمام «حور». (c)–(d) في الصف الأسفل يُشَاهَد «تحوت» في إدارته، والملك خلف قرد على العرش.

(٤) (a) & (b): في الصف الأعلى يظهر الملك تتبعه «كليوباترا الثانية» وهو يقدم بخورًا وقربانًا سائلة للإلهة «أوزير–وننفر»، و«إزيس» و«حرسئيسي». (b) في الصفين الثاني والثالث مُثِّلَ الملك يقدم أوراقًا للإله «مين» ويطعن العدو بحربة مع فرعون.[48] (d) نقرأ هنا متن إهداء.

(٥) (a): ظهر الملك في الصف الأعلى يقدم أزهارًا للإله «حور»، وفي الصف الأسفل نشاهد أربع بقرات «حتحور» معها طبول. (b) في الصف الأعلى الملك يقدم إوزتين للإله «حور».

(c)–(d) في الصف الأعلى الملك يقدم طعامًا للإله «حور» ويتعبد لـ «حور»، وفي الصف الأسفل نشاهد الطائر إبيس والصقر والنسر على محاريب ومعها متن، وفي أسفل نرى الملك يقدم عطورًا وقائمة شعوب.

(٦) (c): يُشَاهَد هنا ثلاثة صفوف مُثِّلَ فيها الملك يقدم طعامًا للإلهات «إزيس» و«نفتيس» و«وبست»، ويقدم صناجات لـ «إزيس»، ويطعن العدو بحربة أمام «حور» الذي يحمل مقمعة وقوسًا ونشابًا. (d) يُشَاهَد هنا متن إهداء المعبد من «بطليموس السابع» و«كليوباترا الثانية».

(٧) (a): ظهر الملك في الصف الأعلى يذبح حمارًا أمام «حور»، وفي الصف الأسفل يُشَاهَد صقر والطائر أبو منجل ونسر ومتن. (b) في الصف الأعلى يطعن الملك إوزة بحربة أمام «حور». (d) في الصف الأعلى مُثل الملك وجزارون أمام «حور»، وفي الصف الأسفل تظهر صور الإلهات «حتحور» مع دفوف.

(٨) على هذا العمود ثلاثة صفوف من النقوش؛ (a) يُشَاهَد هنا الملك يقدم زهورًا للإله «حور–س–أوزير» وعطورًا للإله «شو» وعطور المر للإله «حرسئيسي». (b) الملك يقدم هنا لفرعون، كما يقدم صورة «ماعت» للإله «تحوت»، وطعامًا للإله «خنسو».

[48] راجع: Porter and Moss VI, P. 235.

(c) الملك يقدم لبنًا للإله «حور» وخبزًا للإله «حو» (إله الغداء) وأوراقًا للإله «مين».
(d) مُثِّلَ الملك هنا وهو يقدم بخورًا للإله «أونوريس-شو-رع»، كما يقدم قربانًا سائلًا للإله «سيا» وخمرًا للإله «حورسماتوي».

(٩) يُشَاهَد هنا رءوس آلهة: (a) يُشَاهَد في الصف الأعلى الملك يقدم صولجانات على هيئة أصلال للإلهة «نخبت». (b) ظهر الملك هنا في الصف الأعلى يقدم صناجات لإلهه.
(c) & (d): يقدم هنا الملك في الصف الأعلى مرايا للإلهة «سخمت» والإلهة «حتحور».

(١٠) (a): يُشَاهَد الملك في الصف الأعلى يذبح حيوانًا أمام الإله «حور»، وفي الصف الثاني يضرب الملك الثعبان «أبوفيس» أمام «تحوت»، وفي الصف الثالث يُشَاهَد قارب العجل «أبيس» وقرد على طوار مدرج يحمله كهنة. (b) يظهر الملك على هذا الوجه من العمود وهو يطعن عدوًّا أمام «حور»، كما يُرَى وهو يقدم أعداء على موقد بيضي الشكل للإله «تحوت» كما تُرَى كاهنات أمام «تحوت»، وفي الصف الثاني يظهر الملك وهو يطعن عدوًّا أمام «تحوت».

(د) النقوش التي على الوجهات الخارجة والسقف

الخارجات الأولى والثانية والثالثة

يُشَاهَد على هذه الخارجات قرص الشمس المجنح وطغراءات، وفي أسفل نرى سفينة شمس يتعبد إليها الملك ومع الآلهة «حو» و«سيا» والبصر والسمع وأرواح وقردة. كما نُقِشَ خطاب لقرص الشمس المجنح «عبي» على كل من جانبيه،[٤٩] وكذلك زينة مُثِّلَ فيها قرص الشمس المجنح على السقف.

الخارجتان الرابعة والخامسة: عليهما طغراءات الملك، وفي أسفلها متون.[٥٠]

الخارجتان السادسة والسابعة: عليهما طغراءات الملك، وفي أسفلها متون.[٥١]

---

[٤٩] راجع: Benedete, Le Temple de Philae in Mem. Miss., Arch, Fr XIII Pbt. XLIII–XLIV, XL (3), PP. 129–31.

[٥٠] راجع: Ibid. P1. XLV fig.1. PP. 131–2.

[٥١] راجع: Ibid. P1. XLV fig. 2., P. 132.

الرسوم التي بين الأعمدة من واحد إلى خمسة وعلى الخارجتين الثامنة والتاسعة وتحتوي على ساعات النهار، والرسوم التي بين العمد من السادس حتى العاشر والخارجات من العاشرة حتى الحادية عشرة تحتوي على ساعات الليل.[٥٢]

الخارجات التي في النصف الداخلي لقاعة العمد مُثل عليها صور أسطورية.[٥٣]

السقف: مثل في الوسط نسور مجنحة، وكذلك مُثِّلَتْ قوارب ومعها مناظر فلكية على الجوانب.[٥٤]

هذا، ونجد أحجارًا لم يُعْرَف موقعها في المعبد للملك «بطليموس السابع» نذكر منها: صفان من النقوش مُثِّلَ فيهما «بطليموس السابع» يقدم حقلًا لكل من الإلهتين «إزيس» و«حتحور» ويبارك كذلك قربات أمام الإلهة «إزيس».

هذا، ولدينا كذلك منظر من عمود يُشَاهَد فيه «بطليموس السابع» يقدم البخور للإله «خنوم».

(٥-٣) آثار أخرى للملك بطليموس السابع في الفيلة

(١) عُثِرَ للملك «بطليموس السابع» على ناووس في معبد الفيلة، عثر عليه الأثري «روزيليني» وهو محفوظ الآن بمتحف فلورنسا في إيطاليا، وقد جاء عليه: «حور» المسيطر على «ست»، عظيم البأس، رب الأعياد الثلاثينية، والده «بتاح» والد الآلهة، الذي يحكم مثل «رع» ابن «رع» (بطليموس العائش أبديًّا، محبوب «بتاح»)، وربة الأرضين «كليوباترا الثالثة».

(٢) **المتحف البريطاني: «ناووس من الفيلة»:** عُثِرَ على ناووس جميل من الجرانيت في خرائب الكنيسة القبطية بجزيرة الفيلة، وهو الآن بالمتحف البريطاني، وارتفاعه ثمانية أقدام وثلاث بوصات، ويتألف من قطعة واحدة، وفيه حفرة مستطيلة في الجزء الأعلى حيث كان يُوضَع تمثال الصقر المقدس أو أحد الآلهة أو الإلهات، وفوق هذه الحفرة كورنيش مؤلف من أصلال وثلاث أصلال مجنحة، وعلى الجوانب نقوش تحتوي على

[٥٢] راجع: Ibid. LI–LVIII, PP. 137–42.

[٥٣] راجع: Ibid. Pis LIX–LXV. P. 142–52.

[٥٤] راجع: Ibid. Pis. XLI–L. P. 133–7.

طغراءات «إيرجيتيس الثاني» وألقابه وزوجه «كليوباترا»، ويرجع تاريخه إلى حوالي عام ١٤٧ق.م.

وفي أسفل الحفرة كورنيش على هيئة جريد النخل وأقراص مجنحة، وصورتا إلهين يحملان السماء على أيديهما المرفوعة.[٥٥]

(٣) **المتحف البريطاني: لوحة من الكرنك:** تُوجَد بالمتحف البريطاني لوحة من الحجر الجيري مستدير أعلاها حُفِرَ عليها منظر يمثل «بطليموس السابع» وأخته «كليوباترا الثانية» وزوجه «كليوباترا الثالثة» وهم يتعبدون إلى ثالوث «طيبة»: «آمون رع» و«موت» و«خنسو». والمتن الذي في أسفل هذا المنظر يحتوي على أسماء «بطليموس السابع إيرجيتيس الثاني» و«كليوباترا الثانية» و«كليوباترا الثالثة». وارتفاع هذه اللوحة قدمان، وعرضها قدم وسبع بوصات، وسمكها إحدى عشرة بوصة.[٥٦]

(٤) **الفاتيكان: قطعة حجر:**[٥٧] تُوجَد قطعة حجر رملي عليها طغراء «بطليموس السابع إيرجيتيس الثاني» بمتحف الفاتيكان: (وارث الإلهين الظاهرين، المختار من «بتاح»، والذي يعمل العدل لـ «رع»، تمثال «آمون» الحي).

(٥) **معبد الفيلة:** لوحة تحتوي على مرسوم نُقِشَتْ على الصخرة تحت البوابة التي في شرقي معبد الفيلة الكبير، وهي مؤرخة بالسنة الرابعة والعشرين من شهر بيرديوس المقدوني الذي يقابل شهر أبيب المصري، وقد جاء عليها: «السنة الرابعة والعشرون،[٥٨] شهر برديوس، وهو الذي يقابل أول أبيب لأولئك الذين في أرض تاميرا (مصر)، الشهر الثالث من فصل الصيف في عهد جلالة «حور» ...» إلخ.

وقد دُوِّنَ في هذه النقش هبة للمعبد مؤلفة من كمية كبيرة من الأرض كانت تقع بين الفيلة وأسوان على الشاطئ الشرقي للنهر. وفوق النقش صورة الملك تتبعه زوجه تقدم حقلًا بمثابة قربان للإله «أوزير» والإلهة «إزيس» صاحبة الفيلة، كما يقدم بخورًا لـ «إزيس» وابنها «حور» في دابود ... إلخ.

---

[٥٥] راجع: Brit. Mus. Guide (1909). p. 271, No. 962; Ibid. Sculpture, p. 260–261.

[٥٦] راجع: Ibid. P. 260.

[٥٧] راجع: Gauthier, L.R. IV. P. 330.

[٥٨] راجع: L.D. IV, 27b = Text IV, P. 154–155.Budge Hist, VIII. 37–38.

(٦) الآثار التي خلفها بطليموس السابع إيرجيتيس الثاني في بلاد النوبة

(٦-١) معبد دابود

يقول «ويجول»: إن الملك الذي نقش معبد «دابود» وعمل زخارفه هو الملك «بطليموس السابع إيرجيتيس الثاني».

وقد عُثِرَ في هذا المعبد على ناووس مصنوع من الجرانيت الوردي.[٥٩] وقد جاء به ذكر اسم هذا الملك واسم زوجه الملكة «كليوباترا الثالثة». وهاك المتن: ابن «رع» (بطليموس العائش أبديًّا، محبوب «بتاح») مع زوجه الحاكمة ربة الأرضين «كليوباترا» الإلهان المحسنان.

(٦-٢) معبد الدكة

أضاف «بطليموس السابع إيرجيتيس الثاني» واجهة إلى معبد «الدكة» الواقع على الضفة الغربية، وهو المعروف بمعبد «تحوت» صاحب «بنوبس».

وأهم المناظر الباقية هي: (ينظر الشكل ١٥)

(١٠) الخارجة: يُشَاهَد هنا ثلاثة صفوف من النقوش مُثِّلَ فيها «بطليموس السابع إيرجيتيس الثاني» مع الإلهين «شو» و«تفنرت» (مهشمة)، كما يُشَاهَد «بطليموس» وهو يقدم لوحة للإله «تحوت» وزوجه «نحمت-عواي»، كما يقدم الماء للإله «خنوم-رع» والإلهة «حتحور».

(١١) يُشَاهَد هنا ثلاثة صفوف يظهر فيها «بطليموس السابع إيرجيتيس» مع إلهين، وهما الإله «آمون-رع» والإلهة «موت» (كلاهما مهشم)، ويقدم «بطليموس السابع» العين السليمة لكل من «حور» (؟) و«حتحور»، كما يقدم الحقل لكل من «أوزير» و«إزيس».[٦٠]

(١٠) و(١١): يُشَاهَد على قاعدة الجدار هنا «بطليموس السابع» و«كليوباترا الثالثة» يتبعهما إله نيل وإلهة حقل على كل جانب.[٦١]

---

[٥٩] راجع: Roeder, Les Temples emmerges de la Nubie, Dabod bis Bab Kalabsche I, p. 26–27 & 106–108.

[٦٠] راجع: Ibid., pp. 108–112.

[٦١] راجع: Ibid., pp. 98–100.

(١٢) و(١٣): الجدران التي بين العمد (كلها مهشمة) مُثِّلَ «بطليموس السابع» و«كليوباترا الثالثة» أمام الإله «تحوت» على الجانب الأيسر، وأمام «إزيس» على الجانب الأيمن.[٦٢]

(١٤) و(١٥) المدخل من الخارج: يُشَاهَد هنا بقايا إفريز، كما تُشَاهَد طغراءات «بطليموس السابع» وجعل مجنح مع متون، ونرى قائمتي الباب (مهشمتين). ويظهر الملك هنا أمام آلهة وإله النيل في أسفل على كل من القائمتين.

(١٦) و(١٧): كان على سمكي الباب متن إهداء من «بطليموس السابع» للإلهة «إزيس» والإله «تحوت» جاء فيه: لقد أقمنا هذا الأثر لأمنا «إزيس» سيدة «فيلة» والأراضي الجنوبية. (على قائمة الباب الغربي).

وجاء متن مماثل على الجانب الشرقي ذُكِرَ فيه إهداء المبنى للإله «تحوت».[٦٣]

(٧) آثار بطليموس السابع في الوجه البحري

(٧-١) منف: لوحات السربيوم والأوراق الديموطيقية التي من عهد «بطليموس السابع إيرجيتيس الثاني»

عُثِرَ على بعض لوحات للعجل «أبيس» مؤرخة بعهد الملك «بطليموس السابع إيرجيتيس الثاني» كُشِفَ عنها في «سرابيوم» «منف». وهذه اللوحات محفوظة بمتحف «اللوفر» ونخص بالذكر منها ما يأتي:

(أ) لوحة مؤرخة بالسنة السادسة من عهد «بطليموس السابع»[٦٤]

المتن:

في السنة السادسة التاسع من بشنس من عهد «بطليموس» بن «بطليموس» … العائش أبديًّا: حدث أن العجل «أبيس» الذي ولدته البقرة «تا-رنني» قد صعد

[٦٢] راجع: Ibid., pp. 115–117.

[٦٣] راجع: Roeder Ibid., p. 122.

[٦٤] راجع: A.Z. XXII. p. 131 ff.

> إلى السماء، وهو الذي كان قد ظهر في مدينة «دمنهور» في اليوم السابع من شهر برمودة، وقد فتح سرابيوم «أبيس» في اليوم الرابع من شهر بشنس.

وهذا العجل «أبيس» — كما ذكرنا من قبل — كان قد أصبح إلهًا في السنة الواحدة والعشرين من عهد الملك «بطليموس الخامس» حتى السنة السادسة من الحكم المشترك لكل من «بطليموس السادس والسابع» لأرض الكنانة.

هذا، ولدينا لوحة محفوظة الآن بمتحف اللوفر مؤرخة بالسنة الثامنة من عهد «بطليموس السابع» نفسه تؤكد لنا تاريخ «موت» هذا العجل جاء فيها:

> السنة الثامنة السابع من شهر بئونة من عهد الملك «بطليموس» بن «بطليموس»، وهي التي تقابل السنة الرابعة عشرة من عهد «أبيس» الحي الذي وضعته البقرة «تا-رنني»، وهو الذي في مدينة «دمنهور» (…) «أبيس» الحي في ضريحه في شهر برمودة في اليوم الثاني منه وفي اليوم الثلاثين.

ولحسن الحظ فإن الجزء المهشم من هذه اللوحة يمكن ملؤه من بداية نقش تذكاري نُقِشَ على باب السربيوم، جاء فيه:

> في السنة الثامنة في الثاني من شهر بئونة من عهد الملك «بطليموس بن بطليموس» وهي التي تقابل السنة الرابعة والعشرين من عمر «أبيس» العائش الذي ولدته البقرة «تا-رنني». وقد كلل ضريح العجل «أبيس» في اليوم الثاني وفي اليوم الثلاثين.

ومن ثم نفهم أنه كان قد مضى على وفاة العجل شهران ويومان؛ أي قبل إقامة جنازه بثمانية أيام، وهذا الجناز قد وقع في اليوم السادس عشر أو السابع عشر من شهر بشنس.

وهاتان اللوحتان — بقدر ما وصلت إليه معلوماتنا — هما الأثران اللذان وصلا إلينا من عهد حكم كل من «بطليموس السادس والسابع» المشترك. ولما كان قد ذُكِرَ على اللوحة الديموطيقية — وهي التي كانت قد دُوِّنَتْ قبل اللوحة الهيروغليفية بمدة ٦٢ يومًا — ملك واحد، في حين أنه قد ذُكِرَ على الأخرى ملكان؛ فإنه يمكن أن نقترح أنه ما بين

٧ برمهات و٩ بشنس من السنة السادسة من حكم الأخوين المشترك قد انتهى حكمهما معًا في الإسكندرية.[٦٥]

هذا، ولدينا لوحة مؤرخة بالسنة السابعة والعشرين ٢٦ بئونة من عهد «بطليموس السابع» جاء فيها:

> في السنة السابعة والعشرين في السادس والعشرين من بئونة من عهد «بطليموس» العائش أبديًّا؛ حدث وضع العجل «أبيس» بن البقرة «تاحور»، وهو الذي ظهر في مدينة «كرر–ن–حور» في مقاطعة «باتا–حو–نفر».[٦٦]

وقد برهن الأثري «بركش» على أن العام السابع والعشرين المذكور في اللوحة التي نحن بصددها يُنْسَبُ إلى عهد الملك «بطليموس إيرجيتيس الثاني»، وأن العجل «أبيس» المذكور أعلاه كان هو خلف العجل «أبيس» الذي مات في العام السادس من حكم «بطليموس السادس» و«بطليموس السابع» المشترك. وقد خلف «أبيس» هذا في العام الثامن عشر من عهد «بطليموس فيلومتور»، وكان في الواحدة والعشرين من عمره عندما تُوفي.

هذا، ولدينا تاريخان من عهد الملك «بطليموس السابع» قبل العام السابع والعشرين من حكمه؛ الأول: هو العام الخامس والعشرون من حكم الإلهين المحسنين (إيرجيتيس). والتاريخ الثاني: هو السنة السادسة والعشرون، جاء في ورقة إغريقية.[٦٧]

(ب) لوحة العجل «أبيس» الذي خلف العجل السابق

مؤرخة بالسنة الثامنة والعشرين من حكم «بطليموس السابع».

هذه اللوحة مصنوعة من الجرانيت الأسود، وهي محفوظة بالمتحف المصري،[٦٨] وهي مؤرخة بالسنة الثامنة والعشرين في الرابع والعشرين من طوبة، ومؤرخة بالسنة الثانية والخمسين من حكم «إيرجيتيس الثاني».

---

[٦٥] راجع: L.R. IV. p. 307–8.

[٦٦] راجع القائمة التي وضعها بركش لهذا الغرض في A.Z. XXIV. P. 21.

[٦٧] راجع: L.D.T. p. 73; Revillout, Rev. Egypt. IV, P. 158.

[٦٨] راجع: N. 4266 du Cat. Mariette.

وقد جاء على هذه اللوحة الحقائق التالية: (راجع A.Z. XXIV. p. 23).

(١) في السنة الثامنة والعشرين في الرابع والعشرين من شهر طوبة من عهد «بطليموس» وزوجه «كليوباترا» وُلِدَ العجل «أبيس» في معبد «منف».

(٢) وقد عاش حتى السنة الواحدة والثلاثين من شهر توت من عهد هذين الملكين عندما شاركته أخته «كليوباترا الثانية» منذ هذا التاريخ.

(٣) وفي العام الواحد والثلاثين في العشرين من شهر توت اقتيد هذا العجل إلى «هليوبوليس» ثم إلى معبد النيل.

(٤) وفي اليوم التالي؛ أي في ٢١ توت من نفس السنة ابتدأ عيد تتويج هذا العجل في معبد الإله «بتاح» بمدينة «منف»، وانتهى في الثالث والعشرين.

(٥) وفي السنة الواحدة والخمسين في الثاني والعشرين من شهر مسرى مات «أبيس» هذا.

(٦) وفي السنة الثانية والخمسين في الثامن والعشرين من شهر توت دُفِنَ.

(٧) وعمر هذا العجل هو ٢٣ سنة وستة أشهر و٢٩ يومًا.

وهذا العجل على ذلك قد مات في عهد «بطليموس السابع إيرجيتيس الثاني» بعد أن حكم خمسين سنة وأحد عشر شهرًا واثنين وعشرين يومًا.

وعلى ذلك فإن العجل «أبيس» هذا كان قد وُلِدَ عندما كان قد مضى من حكم «بطليموس السابع إيرجيتيس الثاني» سبعٌ وعشرون سنة وأربعة أشهر وأربعة وعشرون يومًا.

ومن ثم يكون هذا العجل قد عاش ٢٣ سنة وستة أشهر وثمانية وعشرين يومًا.

ترجمة اللوحة حرفيًّا

في السنة الثانية والخمسين اليوم السابع والعشرين من شهر توت في عهد جلالة … مثل والده «بتاح» والد الآلهة، والملك مثل «رع»، ملك الوجه القبلي والوجه البحري، (وارث الإلهين الظاهرين، المختار من «بتاح»، والذي يعمل العدالة لـ «رع» وصورة «آمون» الحية)، ابن «رع» (بطليموس العائش أبديًّا، محبوب «بتاح»)، مع أخته الملكة الحاكمة ربة الأرضين «كليوباترا الثانية» وزوجه حاكمة الأرضين «كليوباترا الثالثة» الآلهة المحسنين (الثلاثة)، ابن وابنة ملك الوجه القبلي والوجه البحري «بطليموس» و«كليوباترا» الآلهة الظاهرين.

في هذا اليوم حُمِلَ جلالة هذا الإله الفاخر «أوزير-أبيس» إلى هذا القبر في «كم» في «روستاو» (جبانة منف) في داخل التابوت المصنوع من الحجر الأسود، وبعد أن عُمِلَتْ كل الشعائر في المكان الطاهر (مكان التحنيط) بعد تمام سبعين يومًا بإشراف «أنوبيس» رب الأرض العالية (الجبانة = جسر)، وبجانب «إزيس» و«نفتيس». وقد وُلِدَ جلالة هذا الإله في «منف» في المعبد في السنة الثامنة والعشرين في الرابع والعشرين من شهر طوبة من عهد ملك الوجه القبلي والوجه البحري (وارث الإلهين الظاهرين المختار من «بتاح» والذي يعمل العدالة لـ «رع» وصورة «آمون» الحية) ابن «رع»؛ (بطليموس العائش أبديًّا محبوب «بتاح») مع أخته وزوجه الحاكمة ربة الأرضين «كليوباترا».

وقد عاش في معبد «منف» من عام ٢٨ حتى عام ٣١ أول توت من عهد جلالة ملك الوجه القبلي والوجه البحري (بطليموس العائش أبديًّا محبوب «بتاح») مع أخته الحاكمة ربة الأرضين «كليوباترا الثانية»، ومع زوجه الملكة الحاكمة «كليوباترا الثالثة». وفي العام الواحد والثلاثين في العشرين من توت ذهب (العجل) إلى «أون» (هليوبوليس) في معبد النيل هناك في ٢١ توت، واستُقْبِلَ في اليوم الثالث والعشرين من توت من عهد جلالة ملك الوجه القبلي والوجه البحري (بطليموس العائش أبديًّا محبوب «بتاح») مع أخته الملكة الحاكمة ربة الأرضين «كليوباترا الثانية» ومع زوجه الملكة الحاكمة ربة الأرضين «كليوباترا الثالثة». واتخذ مثواه في «منف» عشرين عامًا وأحد عشر شهرًا وواحدًا وعشرين يومًا. وقد صعد هذا الإله إلى السماء في السنة الواحدة والخمسين في اليوم الثاني والعشرين من شهر مسرى في عهد جلالة ملك الوجه القبلي والوجه البحري (بطليموس العائش أبديًّا محبوب «بتاح») مع أخته الملكة الحاكمة ربة الأرضين «كليوباترا الثانية» ومع زوجه الملكة الحاكمة ربة الأرضين «كليوباترا الثالثة». ومدة الحياة الجميلة لهذا الإله هي ثلاث وعشرون سنة وستة أشهر وتسعة وعشرون يومًا. لقد أقامها (اللوحة) ملك الوجه القبلي والوجه البحري (بطليموس العائش أبديًّا محبوب «بتاح») مع أخته الملكة الحاكمة ربة الأرضين «كليوباترا الثانية» ومع زوجه الملكة الحاكمة ربة الأرضين «كليوباترا الثالثة» الممنوحين كل الحياة والثبات والقوة، وكل الصحة، وكل انشراح الصدر، وكل النصر مثل «رع» أبديًّا.

ويُفْهَمُ من هذا المتن أنه في ٢٤ طوبة من العام الثامن والعشرين من حكم «إيرجيتيس الثاني» كانت أختة وزوجه الأولى — وهي «كليوباترا الثانية» أرملة «فيلومتور» — وحدها معه في الحكم. وفي التاريخ الذي أتى بعد ذلك كان زواجه من «كليوباترا الثالثة» ابنة «كليوباترا الثانية»، وقد حدث هذا الزواج الثاني ما بين ٢٤ طوبة من عام ٢٨ شهر توت وعام ٣١ من حكمه.

أهم الأوراق الديموطيقية التي بالمتحف المصري من عهد «بطليموس السابع إيرجيتيس الثاني»

(١) عقد اتفاق على زواج (= زواج عرفي) في عام ١٢٤-١٢٣ق.م

التاريخ: في السنة الثانية والأربعين من عهد الملك «بطليموس» والملكة «كليوباترا» زوجه الإلهين المحسنين، وفي عهد كاهن «الإسكندر» والإلهين المخلصين والإلهين الأخوين والإلهين المحسنين والإلهين المحبين لوالدهما والإلهين الظاهرين، والإله الذي والده شريف، والإلهين اللذين يحبان أمهما والإلهين المحسنين، وفي عهد الكاهنة حاملة هدية النصر أمام «برنيكي» الإلهة المحسنة، وفي عهد الكاهنة حاملة السلة الذهبية أمام «أرسنوي» المحبة لأخيها، وفي عهد كاهنة «أرسنوي» محبة والدها.

الطرفان المتعاقدان: الطرف الأول: الحاكم الوراثي (= إربعي؟) … والإلهان المخلصان والإلهان الأخوان والإلهان المحسنان والإلهان اللذان يحبان والدهما، والإلهان الظاهران «باحب» (= Paapis) ابن «باحب» و«تا-سبك-حعبي».

الطرف الثاني: للمرأة «تا-قد» ابنة «إربعي» و… الإلهان المخلصان والإلهان الأخوان والإلهان المحسنان «وننفر» و«تا أست».

نص العقد: يقول الطرف الأول للطرف الثاني: لقد شرحت قلبي بمبلغ الواحد والعشرين دبنًا فضة عن النصيب المؤجر أي ٢٠ + $\frac{5}{6}+\frac{1}{10}+\frac{1}{30}+\frac{1}{60}+\frac{1}{60}$ دبنات من الفضة أي ٢١ دبنًا من الفضة ثانية، وهي النصيب من خزانة «بتاح» المأكول وهي نفقتك. والأطفال الذين ولدتيهم لي يملكون جميع وكل شيء أملكه الآن وما سأكسبه في المستقبل من بيت

وحقل ومزرعة وما يتبعها، وقطع أرض وكروم وخمائل وجدران ومئونة (سعنخ) وعبد وأمة وثيران وحمير ... وكل ماشية صغيرة وكل شيء ... في العالم. وإني أعطيك ٧٢ مكيالًا من النبيذ = ٤٨ إردبًّا من القمح أي ٧٢ مكيالًا من النبيذ ثانية و٢ $\frac{٤}{١٠}$ دبنًا من الفضة وهو النصيب الذي أجر من خزانة «بتاح» ٢ + (٣ + $\frac{٥}{٦}$ + $\frac{١}{١٠}$ + $\frac{١}{٣٠}$ + $\frac{١}{٦٠}$ + $\frac{١}{٦٠}$)/(١٠) دبنات من الفضة؛ أي ٢ $\frac{٤}{١٠}$ دبنات من الفضة ثانية، وذلك بمثابة مئونتك وشرابك (نفقتك) سنويًّا في البيت الذي تريدينه. وإني تحت تصرفك فيما يخص ضمان طعامك وشرابك اللذين وقعا على عاتقي. وإني أعطيها إياك، وجميع ما أملكه الآن وما سأحصل عليه في المستقبل هو ضمان لمئونتك المذكورة أعلاه. ولا ينبغي لي أن أقول: خذي هذه المئونة المذكورة أعلاه؛ بل أعطيها إياك في الوقت الذي ترغبين فيه. وعندما يُطْلَبُ منك يمينٌ فإنه علي أن أؤديه في البيت الذي يكون في القضاة.

المسجل: المنجم (= إمن-ونو) لمعبد «تبتنيس»: «حرروزا» بن «حرماحس».

كتبه «باحب» بن «حعبي». لقد سرح المرأة.

كتبه ... في السنة الثالثة والأربعين (؟) في الثالث والعشرين من أمشير — ثلاثة عشر شهرًا الأكل والشرب: تأملي أنه سيقطع مأكلك ومشربك من أول عشرة برمهات من عام ٤٣ وما بعد ذلك.

ومفهوم من هذه الملحوظة أن الزوج أو الطرف الأول في العقد قد حل عقدة هذا الزواج بعد مضي سنة، وهذا ما يقابل عندنا في الإسلام بالضبط زواج المتعة.

هذا، وقد دُوِّنَ على ظهر الورقة ستة عشر شاهدًا.[١]

(٢) عقد زواج عرفي (مستند بمصاريف النفقة) من عهد «بطليموس السابع إيرجيتيس الثاني»[٢]

التاريخ: في السنة السابعة والأربعين في الرابع عشر من أمشير من عهد الملك «بطليموس» والملكة «كليوباترا» أخته والملكة «كليوباترا الثالثة» زوجه الآلهة المحسنين، وفي عهد كاهن «الإسكندر» والإلهين المخلصين والإلهين الأخوين والإلهين المحسنين والإلهين

[١] راجع: Spiegelberg. Cat. Gen. Demot. II, Text, p. 29 ff. No. 30607 (Tafe. XVI).

[٢] راجع: Ibid. p. 32, No. 30608.

المحبين لوالدهما والإلهين الظاهرين والإله الذي والده شريف والإله الذي يحب أمه والآلهة المحسنين، وفي عهد «هيروبولوس» كاهن «إزيس» السيدة، وأم الآلهة والإلهة العظيمة.

وفي عهد الكاهنة حاملة مكافأة النصر أمام «برنيكي» الإلهة المحسنة في «رقودة»، وفي عهد الكاهنة حاملة السلة الذهبية أمام «أرسنوي» محبة أخيها، وفي عهد كاهنة «أرسنوي» محبة والدها في «رقودة».

الطرفان المتعاقدان: الطرف الأول: إن الحاكم الوراثي و… المشرف على بحر «قما» والمشرف على بحر «رس-نب»، الصغير ابن باحعبي (= Paapis) الصغير ابن «باحعبي» وأمه هي «تاسبك» … «تاسوكونوبيس» Tasokonopis.

الطرف الثاني: يقول للمرأة «نب-ت-وزي» ابنة الحاكم الوراثي و… «با-ور» Sigeris ولـ «تارننوتت» (= ترموتيس).

نص العقد: لقد شرحت صدري بمبلغ الواحد والعشرين دبنًا من الفضة وهو النصيب المؤجر من بيت «بتاح» أي ٢٠ + (٩ + $\frac{٥}{٦}$+$\frac{١}{١٠}$+$\frac{١}{٣٠}$+$\frac{١}{٦٠}$+$\frac{١}{٦٠}$)/(١٠) دبنات من الفضة وهو النصيب المؤجر من بيت «بتاح»، وأن الأطفال الذين وضعتيهم يئول إليهم جميع ما أملكه الآن، وما سأحصل عليه في المستقبل من بيت وحقل ومزرعة وقطع أرض وكرم وخميلة ومبانٍ، ومؤن وعبد وأمة وثيران وحمير … (؟) … وكل حيوان صغير وكل مستند وكل أحكام قضائية. وإني أعطيك ٧٢ ميكالًا من النبيذ = ٤٨ إردبًّا من القمح؛ أي ٧٢ مكيالًا من النبيذ ثانية، وكذلك ٢$\frac{١}{١٠}$ دبنًا من الفضة وهو النصيب المؤجر من بيت «بتاح» = ٢ + (٣ + $\frac{٥}{٦}$+$\frac{١}{١٠}$+$\frac{١}{٣٠}$+$\frac{١}{٦٠}$+$\frac{١}{٦٠}$)/(١٠) دبنات من الفضة؛ أي ٢$\frac{١}{١٠}$ دبنات من الفضة ثانية، وهو النصيب المؤجر من «بيت بتاح»، وهو بمثابة مأكولك السنوي ومشروبك في البيت الذي تريديه. ولديك المستند على ضمان طعامك وشرابك، وهو الذي أصبح دينًا علي. وإني أعطيه إياك … وجميع ما أملكه الآن وما سأحصل عليه في المستقبل هو رهن لنفقتك المذكورة أعلاه. ولن يكون في استطاعتي أن أقول خذي نفقتك المذكورة أعلاه؛ بل الوقت الذي ترغبين فيه فإني أعطيك إياها (النفقة). وعندما يُطْلَب منك حلف يمين عليَّ أن أؤديه؛ فيجب عليَّ أن أؤديه في البيت الذي يكون فيه القضاة.

المسجل: منجم معبد «تبتنيس»: «حرروزا».

وفي أسفل هذا العقد كُتِبَ بخط آخر غير الذي كُتِبَ به العقد ما يأتي:

كتبه «باحعبي» الصغير ابن «باحعبي»:
لقد سرح المرأة.

وعلى ظهر البردية كُتِبَتْ أسماء ستة عشر شاهدًا.

مستند دفع للعقد السابق[٣]

التاريخ: في السنة السابعة والأربعين في الرابع عشر من شهر أمشير من عهد الملك «بطليموس» والملكة «كليوباترا» أخته (= كليوباترا الثانية») والملكة «كليوباترا الثالثة» زوجه الآلهة المحسنين، وفي عهد كاهن «الإسكندر» والإلهين المخلصين والإلهين الأخوين والإلهين المحسنين، والإلهين اللذين يحبان والدهما والإلهين الظاهرين والإله الذي والده شريف، والإله الذي يحب والدته والآلهة المحسنين. وفي عهد «هيروبوليس» كاهن «إزيس» السيدة وأم الآلهة، و(في عهد) حاملة السلة الذهبية أمام «أرسنوي» المحبة لأخيها في «رقودة».

الطرفان المتعاقدان: الطرف الأول: يقول الحاكم الوراثي و... المشرف على بحر «قما» والمشرف على بحر «رس-نب-أمنت» للإلهين المخلصين والإلهين الأخوين وللآلهة المحسنين، «باحعبي» الصغير ابن «باحعبي» وأمه هي «تاسوكونوبيس» Tasokonopis.

الطرف الثاني: للمرأة «نبت-وزي» ابنة الحاكم الوراثي و... «سيجريس» Sigeris و«تارموتيس» Tharmutis.

محتويات العقد: لقد شرحت صدري بالثمن. وجميع وكل ما أملكه الآن، وما سأحصل عليه في المستقبل من بيت وحقل ومزرعة وقطع أرض وكرم وخميلة ومبانٍ، ومؤن وعبد وأمة وثيران وحمير ... وكل حيوان صغير، وكل مستند وكل حكم قضائي وذهب وفضة ونحاس ... وكئوس ومعدات القبر وكل شيء في العالم ... وهو ملكك من اليوم

[٣] راجع: بردية رقم ٣٠٦٠٩.

المذكور أعلاه فصاعدًا. ولن يكون لأي إنسان في العالم ولا نفسي السلطة غيرك. وإن من سيأتي بسببها ضدك؛ فإني سأبعده عنك قهرًا وبدون تأخير. وإني أضمنها لك أمام أي مستند أو حكم قضائي، وكل كلمة في العالم، وملكك كل كتابة حُررت عنها، وكل مستند يكون قد حرره والدي أو والدتي عن ذلك، وكل كتابة أكون قد حررتها أنا عنها وكل كتابة تخصها؛ فإني أحميك. وإنها ملكك مع حقوقها، وإنك محمية فيما يتعلق بها، وأن اليمين أو البينة الذي تطلبينه فإني أؤديه. وإني أعطيك مستندا الدفع المذكور أعلاه. ولك الحق أن تطالبيني بحق مستند النفقه البالغ قدره واحدًا وعشرين دبنًا من الفضة وهو الذي سلمته لك. وإني سأؤدي لك حقك بمقتضى مستند الدفع. المجموع مستندان. وإني أوفي لك حقك.

المسجل: كالسابق.

وفي أسفل هذا المستند كُتِبَ بخط فرد آخر غير الذي كُتِبَ هذا المستند ما يأتي: كتبه: «باحعبي» الصغير ابن «باحعبي».

إنه سرح المرأة.

وعلى ظهر البردية ستة عشر شاهدًا.

تعليق

يلحظ أن البرديتين رقمي ٣٠٦٠٨ و٣٠٦٠٩ هما عبارة عن عقد واحد قُسم قسمين؛ أي عقد اتفاق وعقد دفع نقود. والأول يُسَمَّى هنا مستند نفقة (٣٠٦٠٨)، والثاني مستند (وهو = ٣٠٦٠٩)، والمستندات يتبع الواحد منها الآخر كما هي الحال في عقود البيع التقليدية.

هذا، ولدينا عقد بهذه الصورة من عهد «بطليموس العاشر» الإسكندر.[٤] وعلى أية حال فإن العقد الذي تحدثنا عنه رقم ٣٠٦٠٧ هو من هذا النوع، ومن المحتمل أن مستند الدفع الخاص به قد ضاع.

والآن يتساءل الإنسان ما هو الفرق بين عقود الزواج التي تُعْقَدُ بين الرجال والنساء كالتي ذكرناها هنا وبين عقود الزواج الشرعية العادية التي ذكرنا أمثلة كثيرة منها فيما سبق؟

---

[٤] راجع: Ibid. p. 5.

إن أول من تناول هذا الموضوع بالبحث هو الأستاذ «ميتيس»[٥] فهو الذي عرف الزواج الحقيقي هنا بأنه هو عقد الزواج المقدس الذي يتعهد فيه الزوج بالمعاشرة والشروط الخاصة بالمهر والممتلكات الأخرى التي تؤكد أواصر الروابط بين الزوجين، وهي التي وإن كانت قد أُكِّدَتْ بعقد إلا أن كلًّا من الطرفين لم يكن مرتبطًا باستمرار هذه العلاقة. وسنحاول فيما يلي أن نتتبع الخطوات التي خطاها موضوع الزواج من الوجهة المصرية في الوثائق التي بين أيدينا؛ لنستنبط منها شيئًا يمكن الأخذ به.

ويرجع الفضل للأستاذ «جرفث»[٦] في أنه قدم لنا البرهان من حيث المتون الديموطيقية؛ إذ يقول: إن كلمة امرأة كان يُعَبَّرُ عنها في اللغة الديموطيقية بلفظين مختلفين؛ أولهما: هو كلمة «سحيمت» (وبالقبطية «سحمي»)، والأخرى هي كلمة «حميت» (وهي بالقبطية «حيمي»).

والكلمة الأولى معناها مجرد الأنثى أو المرأة، والأخرى معناها الزوجة. وقد استمر هذا الاستعمال قائمًا في العهد القبطي. وكلمة «حميت» أي الزوجة تقابل في المصرية القديمة «نبت-بر» (= ربة البيت)، وقد دلت البحوث على أن كلمة «سحيمت» هي المرأة التي تعيش مع الرجل مؤقتًا بوصفها زوجة وينفق عليها أيضًا، وتُسَمَّى في هذه الحالة المرأة التي تتقاضى نفقة. والوثائق التي جاء فيها ذكر المرأة التي تعيش مع الرجل مؤقتًا مقابل نفقة معينة معروفة، وتُسَمَّى الوثيقة التي تُبْرَم بين الرجل والمرأة بهذه الصورة مستند نفقة. في حين أن عقد الزواج الشرعي الذي يُعْقَدُ بين الرجل وزوجه يسمى مستند زواج أو وثيقة زواج.

وعقود الزواج الشرعية الكاملة كثيرة العدد، وقد ذكرنا منها الكثير في الأجزاء السالفة من هذه الموسوعة وفي هذا الجزء أيضًا. أما عقود زواج التجربة أو زواج المتعة المؤقتة فلم تكن معروفة حتى العثور على الوثائق التي نحن بصددها الآن، وهذه الوثائق كشف عنها الأثري «جرنفل» ومساعده «هنت» في قرية «أم البرجات» («تبتنيس» القديمة من أعمال الفيوم)، ويقول عنها الأستاذ «سبيجلبرج» إنها اتفاقات أو عقود زواج مؤقتة، ومن هذه العقود العقدان ٣٠٦٠٨ و٣٠٦٠٩، وكل منهما يحتوي على مستندين.

---

[٥] راجع: Metties Archiv. I. 346.

[٦] راجع: Griffith, Stories, P. 87.

ويُرَى في النموذج التالي أن الرجل يعترف للمرأة بما يأتي:

(١) لقد أعطيتني مبلغًا من المال بمثابة مصاريف نفقة.
(٢) والأولاد المنتظرون يجب أن تئول لهم كل الممتلكات المنقولة وغير المنقولة.
(٣) وإني أعطيك أشياء عينية ونقدًا لأجل طعامك وشرابك، وأضمن ذلك بكل أملاكي.
(٤) ويمكننك أن تتسلمي النفقة أو المصاريف في أي وقت ترغبين فيه.
(٥) يجب علي أن أكون مستعدًا في كل وقت للإدلاء باليمين عند طلبك أمام المحكمة.

وفي الوثيقة ٣٠٦٠٩ نستخلص النموذج التالي:

(١) لقد أعطيتني هذه الفضة (= النقود).
(٢) وكل ممتلكات من عقار منقول وغير منقول يجب أن يكون ملك الرجل والمرأة مشتركين.
(٣) ضمان قانوني لحقوق المرأة في هذا الصدد.

وإذا قرنا التجديد الأساسي الخاص بعقد الزواج القانوني الكامل على حسب عقود عهد البطالمة يكون النموذج كالآتي:

(١) لقد اتخذتك زوجة.
(٢) ودفعت لك أجرك (مهرك).
(٣) التصديق على تسلم أثاث البيت الذي أحضرته المرأة معها، وهو الذي يعتبر ملكًا خاصًّا مضمونًا للمرأة في ذمة الرجل، وكذلك دفع التعويض في حالة الطلاق.
(٤) تحديد ما تتسلمه المرأة لقوام معيشتها في بيت زوجها.
(٥) الابن الأكبر هو الذي يجب أن يرث ممتلكات الأب والأم.
(٦) الغرامة العادية التي يجب على الرجل أن يدفعها عند الطلاق.

ولا نزاع في أن الفرق بين حالة الزواج المؤقت والزواج الشرعي ظاهر للعيان.
ففي حالة الزواج المؤقت لا نجد في العقد اعترافًا للرجل بأنه اتخذ المرأة زوجًا له، ومن أجل ذلك لا نجد فيه ذكرًا لحالة الطلاق. ويجب أن يفهم الإنسان هنا أن الرجل في

حالة الزواج المؤقت لم يدفع للمرأة صداقًا أو أجرًا أو بعبارة أخرى لم يشركها معه في ثروته؛ بل على العكس نجده قد تسلم منها مبلغًا؛ ومن أجل ذلك نرى أن الرجل والمرأة مشتركان في الملكية، وهنا نجد — دون جدال — التأكيد البين أن المرأة كانت متزوجة زواجًا مؤقتًا.

هذا، ويُلْحَظُ أنه وُجِدَ — في أوراق متحف القاهرة الثلاث السالفة الذكر — التوقيع التالي في البردية رقم ٣٠٦٠٧:

> كتبه «باحعبي» بن «باحعبي»: إنه سرح المرأة «سحميت» في السنة الثالثة والأربعين في ٢٣ من أمشير — ثلاثة عشر شهرًا. الأكل الشرب. تأملي: إنه سيقطع مأكلك ومشربك من أول العاشر من برمهات من عام ٤٣ وما بعده.

وفي البردتين ٣٠٦٠٨ و٣٠٦٠٩ كان التوقيع كالآتي:

> كتبه «باحعبي الصغير» بن «باحعبي»: «لقد أبعد المرأة».

فيظهر من التوقيع الأول أنه قد حدث فراق بين الرجل والمرأة؛ ومن ثم نفهم أنه كان زواج متعة لمدة معينة وقدرها سنة. وفي مثل هذه الحالة كان لا بد من تحرير عقدين؛ الأول كان يُسَمَّى عقد النفقة التي كانت لزامًا على الرجل أن يدفعها للمرأة طوال مدة هذا الزواج المؤقت، وكان عليه — على ما يُظَن — أن يحرر في مقابل ذلك على نفسه مستندًا آخر بالمبلغ الذي تسلمه من المرأة التي سيعاشرها اعترافًا منه بذلك. ومن ثم يمكن أن يفهم الإنسان ما جاء في قصة «ستني» التي أوردناها في الجزء السابق من هذه الموسوعة،[٧] وذلك عندما قبلت «تابوبو» أن تكون زوجًا لـ «ستني» وطلبت إليه أن يحرر وثيقة مزدوجة؛ إحداهما بمثابة مستند بالنفقة، والأخرى بمثابة دفع مبلغ. ومن ثم كانت بعيدة عن أن تُوصَم بأنها حظية بمقتضى هاتين الوثيقتين، وعلى حسب التفسير الذي أوردناه هنا يصبح من المستطاع فهم الفرق بين الزواج العرفي أو المؤقت وبين الزواج الشرعي.

---

[٧] راجع: مصر القديمة الجزء ١٣.

(٣) عقد زواج آخر

وعلى أية حال لدينا عقد زواج آخر يظهر فيه أمامنا حالة ثالثة عن الزواج جمعت طرفًا من كل من الحالتين السابقتين، وسنورد هذه الحالة هنا؛ لأنها في ذاتها تحتاج إلى تفكير، وهي من نفس العهد الذي دُوِّنَتْ فيه العقود الثلاثة السالفة الذكر، والخاصة بالزواج المؤقت. وهاك النص:

التاريخ: في العام الأربعين شهر توت من عهد الملك «بطليموس» و«كليوباترا» زوجه، الإلهين المحسنين، وفي عهد كاهن «الإسكندر» والإلهين اللذين يطردان الشر والإلهين الظاهرين، والإله الذي والده شريف، والإلهين اللذين يحبان والدتهما والإلهين المحسنين، وفي عهد حاملة هدية النصر أمام «برنيكي» المحسنة، وفي عهد الكاهنة حاملة السلة الذهبية أمام «أرسنوي» محبة أخيها، وفي عهد كاهنة «أرسنوي» محبة والدها وهم الذين مع الملك.

الطرفان المتعاقدان: الطرف الأول: يقول حامل الخاتم الإلهي «بيتزيس» Petesis ابن … وأمه هي «حروبستت» Erabastis.

الطرف الثاني: إلى المرأة (= سحيمت) «تاويس» Teos ابنة حامل الخاتم الإلهي «زحر» Taues وأمها هي «تا-اي-م-حتب» Taimuthis.

نص العقد: لقد جعلت منك زوجة لي «سحيمت»، وقد أرضيت قلبي بمبلغ سبعمائة وخمسين دبنًا فضة؛ أي ما قيمته ٣٧٥٠ ستاتر؛ أي سبعمائة وخمسين دبنًا من الفضة ثانية؛ أي ما يساوي كركين (أي تالنتين) و١٥٠ دبنًا (وعلى حساب الحساب بالأوبولات النحاسبة: ٢٤ ٢/١٠ أوبولًا عن كل قدت من الفضة). وقد تسلمتها من يدك؛ وقد انشرح صدري بها (أي: رضى)، وهي تامة (النقود) غير منقوصة. وإذا سرحتك بوصفك زوجي من اليوم المذكور أعلاه (أو) إذا ذهبت عني من تلقاء نفسك فإني أعطيك مبلغ ٧٥٠ دبنًا من الفضة التي ذُكِرَتْ أعلاه في مدة ثلاثين يومًا من اليوم الذي سرحتك فيه بوصفك زوجة. وهذا الوقت أحدده (؟) والوقت الذي تذهبين فيه عني فعليك أن تحدديه (؟)، وإذا لم أُعْطِك مبلغ السبعمائة وخمسين دبنًا من الفضة وهي المذكورة أعلاه في ظرف ثلاثين يومًا فإني أعطيك س مكاييل من النبيذ …

وإني أعطيك (؟) نصف هن (؟) زيتًا شهريًّا و٧ ٥/١٠ دبنًا من الفضة؛ أي ٣٧ ١/٢ ستاتر؛ أي ٧ ٥/١٠ دبنًا ثانية، وأوردها شهريًّا. والقيمة كلها تقريبًا؟ = ٢٠٠ دبن من

الفضة؛ أي مائتا دبن ثانية — وبحساب العملة النحاسية: ٢٤ ٢/١٠ (أبولًا عن كل قدت واحدة) وذلك بمثابة نفقتك (أو مصاريفك) السنوية في المكان الذي ترغبين فيه. ولديك الأمر فيما يخص ضمان مئونتك التي أخذتها على عاتقي، فلزامًا علي أن أورد لك زيتك ونقودك … التي تحملتها. وإني أعطيها إياك كلها. وإن ما أمتلكه الآن وما سأحصل عليه في المستقبل هو رهن لكل تقدير ذُكِرَ أعلاه.

تأمل: إن المرأة «حر–وبستت» ابنة حامل الخاتم الإلهي سخت (؟) و…

قال: تسلمي المستند أعلاه من يد حامل الخاتم الإلهي «بيتزيس» بن «بت» … و«حر–وبستت» ابني البكر المذكور أعلاه. وليته يعمل على حسب كل كلمة أعلاه بمقتضى ما هو مُدَوَّن أعلاه … كل كلمة أعلاه. وأن قلبي متفق على ذلك. وإن الذي لا يُعْمَل لك على حسب كل كلمة بمقتضى الكتابة أعلاه فإني سأنفذه لك قهرًا وبدون تأخير.[٨]

كتبه: …

تعليق

هذا العقد — كما يبدو لنا — يظهر أنه عقد زواج شرعي؛ وذلك لأن الرجل اعترف فيه بأن المرأة قد أصبحت زوجه الشرعية، ولكن من جهة أخرى نجد أن الاعتراف بما جاءت به الزوجة معها من متاع إلى بيت الزوجية لم يُذْكَر في العقد، وفي مقابل ذلك أعلنت المرأة أنها قد أعطت الرجل مبلغًا عظيمًا من المال، وقد اعتبر هذا المبلغ بمثابة مهر بقي ملكها هي.

وهذه الإجراءات التي تُعْتَبَر رسمية محضة قد أفسدت المقصود من كل من نموذجي عقدي الزواج السابقين؛ أي عقد الزواج المؤقت وعقد الزواج الشرعي، ومن ثم لا يمكن أن يُنْسَبَ هذا العقد إلى واحد من النموذجين السابقين، ولكنه في الوقت نفسه قد جمع بينهما في بعض النقاط. وعلى أية حال فإن تربة أرض مصر لا تزال مليئة بالمفاجآت، ولعلها تجود علينا بأمثلة أخرى تكشف لنا الغطاء عن حقيقة أمثال هذه العقود من الوجهة القانونية في نظر المصري.

---

[٨] راجع: Leidner Papyrus 185; Rec. Trav. 28. p. 194 ff.

(٤) عقد إيجار من عهد «بطليموس السابع»[٩] (٢ سبتمبر ١٢٤ق.م)

هذا العقد موجود الآن بمكتبة «هيدلبرج» من أعمال ألمانيا عُثِرَ عليه في «الجبلين».

الترجمة

التاريخ: السنة السادسة والأربعون الشهر الرابع من فصل الصيف (مسرى) اليوم الخامس عشر من عهد جلالة «بطليموس» الإله المحسن ابن «بطليموس» و«كليوباترا» الإلهين الظاهرين، والملكة «كليوباترا» زوجه، الآلهة المحسنين وأولادهم الذين يعيشون في «رقودة» (الإسكندرية) وفي «بوزي» (= «بطلمياس») والذين في مقاطعة «ني» (= «طيبة»).

الطرفان المتعاقدان: الطرف الأول: يقول الرجل الفيلي (من أهالي فيلة) في مقاطعة «أمبوس» (= كوم أمبو): «حور» بن «بتي-حر-ور» وأمه هي «تتشنيور»، والرجل الأسواني «بتي-أتوم» بن «وننفر» وأمه هي «نخوتيس» وهما معًا شخصان؛ بفم واحد.

الطرفان الثاني: للكاهن خادم الإله، وهو الكاهن الأكبر لعين شمس والكاهن الأكبر المؤله لمنف (وهذا اللقب يحمله كاهن معبد «الجبلين») … الإلهان المحسنان والإلهان اللذان يحبان والدهما والإلهان الظاهران، والإله الذي والده شريف، والإله الذي يحب أمه، والآلهة المحسنون (المسمى) «نخوتف» Nechuthes بن «باتاوي».

صيغة العقد: لقد أجرت لنا أرورا من الأرض من أرضك العالية التي تبلغ مساحتها أرورين. وهما اللذان يقعان في أرض أوقاف «حتحور» من ماء (أي فيضان) عام ٤٦ حتى عام ٤٧ (أي حتى فيضان عام ٤٧؛ أي مدة سنة). وحدودها (أي الأرض) هي كالآتي:

من الجنوب: أرض «بتوزيريس» بن «حرسئيسي».

من الشمال: بقية أرضك.

---

[٩] راجع: K. Sethe, Demotischen Urkunden zum Agyptischen Burg schaftscreche etc, p. 155 ff.

من الشرق: جزيرة ساحة المعبد.

من الغرب: التل.

وهذه هي جميع الحدود لكل الأرورا من الأرض العالية المذكورة أعلاه. ويجب علينا أن نعطيك ماء، وسنمدك ببصل ونباتات بمثابة راحة للأرض (أي ستُقَدَّمُ له هذه النباتات لإراحة الأرض من زرعها بمحصول واحد كل عام). وعلينا أن نحرثها لك، وعلينا أن نملأها بالثيران وبذر الغلة وبالرجال وبكل آلات الزرع شتاء وصيفًا (أي في فصل الزرع وفي فصل الحصاد)؛ ولك أن تقاضي بتهمة المزارع الذي يحدث لك تلفًا في الأرض، والتلف الذي حدث فيما يخص الميقات المذكور أعلاه. وعندما يحل وقت الحصاد فعليك أن تدفع بالكامل ضريبة المحصول لباب الملك من الغلة المذكورة أعلاه على حسب ما يقرره كاتب الملك علينا من دين يورد غلة. وعلينا أن نحضر حسابه بالدفع الكامل الذي دفعته باسمك، وعلينا أن نعطيك فائدة كمزارع باسم الأرض المذكورة أعلاه خمسة عشر إردبًّا من القمح نصفها ٧ $\frac{١}{٢}$ أرادب من القمح؛ فيكون المجموع خمسة عشر إردبًّا من القمح ثانية[١٠] بمكيال «إنس مين» (وهو مكيال خاص عند فرد يدعى بهذا الاسم، وكان يستعمله الناس؛ لأنه كيل واف) من عام ٤٧ الشهر الأول من فصل الصيف (٣٠ بشنس)، وكذلك إردبين من البصل نصفهما إردب واحد فيكون المجموع إردبين ثانية. وكذلك مائتي قطعة سلجم نصفها مائة قطعة، فيكون المجموع مائتي قطعة سلجم ثانية. وكذلك خمسة مكاييل من الخيار في يوم حصاد ناله، كذلك كل القرطم وكل الترمس Thrmws وكذلك قصرية أزهار.

ونحن سنقيم سورًا من طين النيل حول الأرض، وعليك أن تزرع عشرين شجرة وسنعطيك ماء من جديد (لريها). ولن يكون في استطاعتنا أن نعطي ميعادًا آخر فيما يخصها بعد الميقات المضروب أعلاه. أن نقول إننا قد أعطيناك غلة أو أي شيء آخر في العالم دون مخالصة يُسْتَنَد عليها. ولن يكون في استطاعتنا أن نقول إننا قد أدينا لك حق التأخير ما دام الإيجار المذكور أعلاه في يدك. ولن يمكننا بالنسبة لها (أي الأرض المؤجرة) إيجارها لسنة أخرى دون أن تكون قد أجرتها منا من جديد. وإن الذي يتخلى

---

[١٠] لا بد أن الأرورا في أرض الجبلين كان مساحته أكبر بكثير من الأرورا العادي؛ لأنه يكاد يكون من المستحيل أن ينتج الأرورا العادي خمسة عشر إردبًّا من القمح.

منا نحن الاثنان المتعاقدان (عن هذه الشروط) معك فعليه أن يدفع ثلاثة تالنتات للقربات المحروقة (التي تقدم) للملك، وكذلك عليه أن يدفع ثلاثة تالنتات لرفيقه منا.

وإنك ستطالب (أو تقاضي) من تريد منا نحن الاثنين لأجل أن يعمل على حسب كل كلمة ذُكِرَتْ أعلاه ثانية قهرًا وبدون مقاومة.

ويقول «باتي» الكبير ابن «بتي-سبك» وهو الذي يتسلم الملابس والأطعمة، كما هو مدون في بلدة آمور «كروكوديلوبوليس»: إني ضامن بأن أعطي القمح والأشياء الأخرى الباقية المذكورة أعلاه، وإذا لم أدفعها كاملة فإني سأدفعها كاملة، وأنك تصفي حسابك معي كما تصفي حسابك الذي ستعمله معه.

كتب هذه الوثيقة «نختمين بن نختمين» الذي يكتب باسم كاهن «حتحور» سيدة «إنتاجي» (حتحور-نبت انتايجيس) من الطائفة الخاصة للكهنة.

(٥) عقد هبة بيت مرهون من عهد الملك «بطليموس السابع إيرجيتيس الثاني»[١١]

هذا العقد هو عبارة عن هبة بيت وهبه «باتسعا» لابنه المسمى «نختوف»، غير أن هذا البيت كان مرهونًا لزوج «باتسعا» التي تُدْعَى «تشنبا هي» Tshen Pahe، ومن المحتمل أن هذا البيت كانت تدفع عليه ضريبة عن قيمة المبلغ الذي رُهِنَ من أجله.

التاريخ: السنة الثانية والخمسون. العشرون من شهر أمشير من عهد الملك «بطليموس» المحسن ابن «بطليموس» و«كليوباترا» الإلهين الظاهرين والملكة «كليوباترا» أخته والملكة «كليوباترا» زوجه، الآلهة المحسنين وأولادهم،[١٢] وفي عهد كاهن «الإسكندر»

---

[١١] راجع: Griffith. Rylands III. P. 142.

[١٢] يقول الأستاذ «جرفث»: إن الإشارة في هذه الورقة والتي ستلي بعد عن اشتراك أطفال «إيرجيتيس الثاني» معه في الحكم في خلال السنة الخمسين حتى السنة الرابعة والخمسين؛ كانت أول ما كُشِفَ عنه في هذا الموضوع. والظاهر أن مثل هذه المراجع يُبْحَثُ عنها بوجه خاص في برديات «الجبلين». وفي هذه يمكن أن تُرَاجَع إلى ما قبل عام ٥٢ من حكم هذا الملك. والأولاد المشار إليهم هنا يُحْتَمَل أنهم «فيلوباتور الثاني» وأولئك الذين حكموا باسم «بطليموس العاشر» والحادي عشر وأختاهما «كليوباترا الرابعة»، «وكليوباتراسلن»، ولكن سنرى أن الأولاد المشار إليهم هنا هما بطليموس «المنفي نيوس فيلوباتور الثاني» و«بطليموس الإسكندر الأول» كما جاء حديثًا على نقوش معبد «إدفو».

والإلهين المخلصين والإلهين الأخوين، والإلهين المحسنين، والإلهين اللذين يحبان والدهما والإلهين الظاهرين والإلهين اللذين يحبان أمهما والإله الذي والده شريف، وفي عهد حاملة هدية النصر لـ «برنيكي» المحسنة، وفي عهد الكاهنة حاملة السلة الذهبية أمام «أرسنوي» التي تحب أخاها، وفي عهد كاهنة «أرسنوي» التي تحب والدها، والذين استقرا في «رقودة» في «بوزي» (= المنشية) التي في إقليم «ني» (= طيبة).

الطرفان المتعاقدان: الطرف الأول: إن الكاهن وكاتب إقليم «ني» (طيبة) تشتريس (الإقليم الجنوبي) Tschetres المسمى «باتسعا» بن «بهيب» Phib وأمه هي المرأة صاحبة الدخل (= الغنية) «تشينيزي»؛ يخاطب:

الطرف الثاني: الرجل الذي يتقاضى مرتبًا بين رجال «لاخوس» والمقيد في فرقة بلدة آمور (= مدينة التمساح) «نخوتف» المسمى «يونوس» Eunous بن «باتسعا» وأمه هي «تخونس» Takhons.

نص العقد: لقد وهبتك بيتي وهو الذي فوق بوابة البئر، المجهز بكتل الخشب والأبواب، ويحتوي على حجرة ودهليز وسلم (؟) من أسفل إلى أعلى، وهو مبني ومسقوف، ويقع في الحي الشرقي من «باحتحور» التي تُسَمَّى البئر. والأراضي المجاورة له (أي الحدود) هي:

في الجنوب: بيت «أورشي» Uershe (؟) بن «حور».

في الشمال: بيت «بسحنبور» Pshenpuer بن «خنستحوت»، وهو الذي يملكه أولاده.

في الشرق والغرب: شارع الملك.

وهذه هي حدود البيت المذكور أعلاه المبني والمسقوف، المجهز تمامًا بكتل الخشب والأبواب، ويحتوي على حجرة (؟) وفناء وسلم من أسفل إلى أعلى، (وهو الموصوف) أعلاه.

لقد أعطيتك إياه، وهو ملكك، وهو بيتك المبني والمسقوف والمجهز تمامًا بكتل خشب وأبواب، ويحتوي على حجرة (؟) وفناء وسلم أسفل وأعلى (الموصوف) عاليه، وليس لي أي حق فيها عليك باسمه (أي البيت).

ولن يكون لأي رجل في العالم السلطة عليه إلا أنت من اليوم فصاعدًا، وأن الابن أو الحفيد أو الأخ أو الأخت أو ابن العم الذي سيأتي إليك بسبب البيت المذكور أعلاه فإن عليه أن يدفع خمسة عشر دبنًا نقدًا من قطع نقد خزينة «بتاح» النقية إلى القربات المحروقة الخاصة بالملك، وسيكون لك مع ذلك الحق على من يدعيه أن تجعله يعمل على حسب كل كلمة ذُكرت أعلاه.

والمرأة صاحبة الدخل، صاحبة النقد (أي الدين) «تشنأمون» ابنة «بشور» (= الآشوري؟) وأمها هي «تسحنا بحتي» Tshenapaehte، زوجه تقول: تسلم مستندًا من الكاهن خادم الإله المذكور أعلاه وهو كاتب إقليم «ني» (طيبة) (في؟) تشتريس، (المسمى) «باتسعا» بن «بهيب» وأمه هي المرأة صاحبة الدخل «تسحنيزي» Tshenesi، زوجي. وإن قلبي موافق على ذلك، وليس لي الحق عليه بمقتضى مستند الدخل ومستند النقد، وهو الذي حرره لي ليكون لي حق حاصلاته في جميع الأزمان. وليس لي أي حق على «نخوتف» الذي يدعى «يونوس» Eunous بن «باتسعا» وأمه «تاخنس» فيما يخص بيته، وأولئك الذين لهم حق ادعائه وهم الذين (وُصِفُوا) أعلاه دون الرجوع إلى أية براءة أو أية كلمة في العالم.

كتبه: «إسبنوتي» Espnute بن «جحو» وهو الذي يكتب باسم كهنة «سبك» سيد «أمور» التابع لطائفة الكهنة الخامسة.

ويأتي بعد ذلك الملخص الإغريقي، وهو: السنة الثانية والخمسون، الواحد والعشرون من شهر بشنس: لقد دفع لمصرف «كروكوديلوبوليس» الذي يشرف عليه «أبولونيوس» بمثابة ضرائب ١/١٠ من ثمن البيع، وذلك على حسب تقرير «بانيسكوس» Paniskos و«كيبالون» Kepalon وهما محصلا ضرائب. وقد وقع ذلك «بوليديكيس» Polydeukes المراقب و«نيخوتيس» Nikoutes الذي يسمى كذلك «بوتوموس» بن «باتسيوس» Pateseous، وذلك من أجل بيت مبني ومجهز بأبواب وألواح خشب على البوابة. وهو الذي رهنه والده «باتسيوس» بمبلغ ٢٠٠ درخمة من النحاس، وهي التي دفع عنها ٢٠٠ درخمة فرق عملة.

وعلى ظهر الورقة ستة عشر شاهدًا.

(٦) عقد اتفاق بيع معه إيصال مصرف من عهد «بطليموس السابع»[١٣]

١٥ أكتوبر عام ١١٧ق.م.

التاريخ: السنة الرابعة والخمسون الرابع عشر من شهر توت من عهد الملك «بطليموس» الإله المحسن ابن «بطليموس» و«كليوباترا» الإلهين الظاهرين، والملكة «كليوباترا» أخته، والملكة «كليوباترا» زوجه الآلهة المحسنين وأولادهم، وفي عهد كاهن «الإسكندر» والإلهين المخلصين والإلهين الأخوين والإلهين المحسنين والإلهين اللذين يحبان والدهما، والإلهين الظاهرين والإله الذي كان والده شريفًا والإله الذي يحب أمه والإله الذي يحب والده (نيوس فيلوباتور) والآلهة المحسنين، وفي عهد حاملة هدية النصر لـ «برنيكي» الإلهة المحسنة، وفي عهد حاملة السلة الذهبية أمام «أرسنوي» … محبة أخيها، وكاهنة «أرسنوي» التي تحب والدها، وأولئك الذين استقروا في «رقودة» وفي «بوزي»، التي في إقليم «ني» (طيبة).

الطرفان المتعاقدان: الطرف الأول: إن مرتل محراب «إزيس» في «بحتحور» المسمى «بشنأنوب» Pshenanup بن «حور» وأمه هي «تمخاس» Temkhas يقول:

الطرف الثاني: للمرأة «مايتحوت» Maithout ابنة «بشنأنوب» وأمها هي «تشنأمون» Tshanamun.

محتويات العقد: لقد جعلت قلبي يتفق على نقد الثمن عن ذراع ونصف (يقصد قصبة ونصف) ومقدارها ١٥٠ ذراعًا؛ أي ١ $\frac{١}{٢}$ ذراعًا من الأرض ثانية، وهي التي في وسط وغرب قسم «بحتحور». وحدودها هي:

في الجنوب: شارع الملك.

في الشمال والشرق: باقي قطعتي من الأرض البور (أي التي لا تزرع، ولكنها صالحة للبناء).

وفي الغرب: الأرض البور ملك «تشنأمون» ابنة «بليه». وهذه هي كل الحدود للأرض البور، ومقدارها ١ $\frac{١}{٢}$ ذراعًا (أي ١٥٠ ذراعًا معماريًّا).

---

[١٣] راجع: Griffith. Rylands III, p. 145–17 Pap. No. XVIII.

لقد أعطيتها إياك، وإنها ملكك الأرض المذكورة أعلاه. وإني قد تسلمت ثمنها فضة منك كاملًا غير منقوص، وقلبي موافق عليها، وليس لي أي حق في العالم عليك باسمها؛ ولن يكون لأي إنسان في العالم بما في ذلك نفسي سلطة عليها غيرك من اليوم فصاعدًا، وأن الذي سيأتي إليك بسببها باسمي أو باسم أي رجل في العالم فإني سأجعله يتنحى عنك. وإني سأطهرها لك من كل كتابة ومن كل براءة، ومن كل حق مخول بأية كلمة (أي شيء) في الأرض في أي وقت ومستندها ملكك، وبراءتها في أي مكان هي فيه، وكل كتابة قد عُمِلَتْ خاصة بها، وكل كتابة عُمِلَتْ لي بخصوصها، وكل المستندات التي يكون لي ملكيتها بمقتضاها فإنها ملكك؛ وكذلك الحقوق المخولة بها، وإن الذي يجعل لي الحق باسمها (أي المستندات) فإنه ملكك، واليمين — أو البينة — الذي سيُطْلَب منك في محكمة العدل باسم الحق المعطى إياك بالكتابة المذكورة أعلاه، وهي التي حررتها لك ليجعلني أؤديه؛ فإني سأؤديه دون الرجوع لأية براءة (؟) أو أية كلمة في الأرض مضادة لك.

كتبها «نختمين» بن «نختمين» الذي يكتب باسم كهنة «حتحور» سيدة «إنت» للإلهين الأخوين، والإلهين المحسنين، والإلهين المحبين لوالدهما، والإلهين الظاهرين، والإله الذي والده شريف، والإله الذي يحب والده، والآلهة المحسنين، من الطائفة الخامسة للكهنة.

مضمون العقد بالإغريقية

في الركن الأسفل من البردية على اليد اليسرى نلحظ أن الكاتب بدأ يجرب قلمه بكلمة، ثم كتب ما يأتي:

> في السنة الرابعة والخمسين في العاشر من شهر بابه: لقد دفع للبنك في «كروكوديلوبوليس»، وهو الذي يشرف عليه «بطليموس» قيمة ضريبة الـ ١ / ١٠ عن بيع أرض حسب تقرير «بانيسكوس» محصل الضرائب. وقد وقع على ذلك «أبولونيوس» مراقب الضرائب و«مايتوتيس» Maithotis ابنة «بزننوبيس» Psenenoupis عن أرض بور مقدارها أرورا ونصف، وهي التي ذُكِرَتْ حدودها في العقد المذكور أعلاه، وهي الأرض التي اشترتها من

«بزننوبيس» بن «حور» مقابل تالنت من النحاس؛ والضريبة بالعملة النحاسية التي أُخِذَ عليها فرق عملة هي ٦٠٠ درخمة.

المجموع ٦٠٠ درخمة.

الإمضاء: «بطليموس» مدير البنك

وعلى ظهر الورقة ستة عشر شاهدًا.

(٧) عقد اتفاق عن بيع نصيب من الأرض ومعه إيصالات من المصرف بالإغريقية[١٤]

هذا العقد من عهد الملك «بطليموس السابع إيرجيتيس الثاني» — (١٩ مارس عام ١١٨ق.م).

التاريخ: السنة الثانية والخمسون في الثامن والعشرين من أمشير من عهد الملك «بطليموس» الإله المحسن ابن «بطليموس» و«كليوباترا» الإلهين (الظاهرين)، والملكة «كليوباترا» أخته، والملكة «كليوباترا» زوجه، الآلهة المحسنين وأولادهم، (في عهد) كاهن «الإسكندر» والإلهين المخلصين والإلهين الأخوين والإلهين المحسنين والإلهين اللذين يحبان والدهما والإلهين الظاهرين، والإله الذي والده شريف والإله الذي يحب أمه والآلهة المحسنين، وفي عهد الكاهنة حاملة غنيمة النصر لـ «برنيكي» المحسنة، وفي عهد الكاهنة حاملة السلة الذهبية أمام «أرسنوي» المحبة لأخيها، وكاهنة «أرسنوي» التي تحب والدها، وأولئك الذين استقروا في «رقودة» وفي «بوزي» التي في إقليم «ني» (= طيبة).

الطرفان المتعاقدان: الطرف الأول: إن الرجل صاحب المرتب المقيد في … «حار ماحي» بن «حور» و«شلح» بن «حور» أخاه وأمهما هي «تا …» وهما شخصان؛ قد أعلنا بفم واحد.

الطرف الثاني: للرجل صاحب المرتب المقيد في بلدة «آمور» (المسمى) «بشنمنخ» Pshenmenkhe بن «بانيخاتي» Panekhate وأمه هي «كلوزي» Klûze.

[١٤] راجع: Ibid. p. 147 f.

نص العقد: لقد جعلت قلبي يتفق على الفضة ثمن الثلث من نصيبنا من الأرض الشراقي، وهي التي في الأرض الشراقي[١٥] التابعة إلى … في أرض أوقاف الإلهة «حتحور» سيدة «أنت»، وهي التي قد آلت إلينا من «حور» بن «باتو» (؟) والدنا. وحدودها هي:

في الجنوب: أرض «باتو» (؟) بن «بهيب».

في الشمال: أرض «بوريبت» Pueriebt.

في الشرق: أرض «كلوز» بن «بهيب».

في الغرب: الصحراء.

وهذه هي حدود الأرض كلها.

لقد أعطيته إياك وهو ملكك؛ أي ثلث المذكور أعلاه من نصيبنا في الأرض الشراقي، وقد تسلمت ثمنه نقدًا منك كاملًا غير منقوص، وقلبي متفق على ذلك. وليس لي أي حق في العالم عليك باسمها، ولن يكون لأي رجل في الأرض ولا أنا بالمثل القوة على استعمال السلطة عليه إلا أنت من اليوم فصاعدًا. وإن الذي سيأتي إليك بسببه باسمي أو باسم أي رجل في الأرض، فإني سأنحيه عنك. وإني سأطهره لك من كل كتابة، ومن كل براءة، ومن كل كلمة في الأرض في أي وقت. ومستنداته ملكك، وبراءته في كل مكان يوجد فيه، وكل كتابة قد عُمِلَتْ خاصة بها، وكل كتابة قد عُمِلَتْ لي خاصة بها، وكل جميع الكتابات التي باسمه ويكون لي بوساطتها الحق فيها (أي الأرض)؛ فإنها ملكك والحقوق المخولة بها، وأن الذي يخول إلي الحق باسمها (أي الكتابات) فإنه ملكك. واليمين — أو البينة — الذي سيُطْلَب منك في ساحة القضاء باسم الحق المخول بالكتابة المذكورة أعلاه التي حررتها لك لتجعلني أؤديه؛ فإني سأؤديه دون أن أرجع إلى أية براءة (؟) أو أية كلمة في الأرض ضدك. (ومعنى الجملة الأخيرة بصورة أبسط هي: وإذا حتم عليك في ساحة العدل أن تحصل على أداء شهادة معززة بقسم أمام القضاء، أو تجعلني أقدم دليلًا يؤكد الحق المخول لك بمقتضى العقد المذكور أعلاه، وهو الذي حررته لك، ويجبرني على أن أعمل لك هذه الأشياء؛ فإني سأحلف اليمين أو أقدم البرهان).

[١٥] الأرض الشراقي هي الأرض العالية التي تحتاج إلى ري صناعي.

كتبه «نختمين» بن «نختمين» الذي يكتب باسم كهنة «حتحور» سيدة «أنت» إلخ ... الإله الذي والده شريف، والإله الذي يحب أمه، والآلهة المحسنين، التابعين (يقصد الكهنة) لطائفة الكهنة الخامسة.

هذا، وقد كُتِبَتْ توقيعات ستة عشر شاهدًا على ظهر الورقة.

ويأتي بعد ذلك الملخص الإغريقي:

في السنة الرابعة ١٥ بئونة دُفِعَ في بنك «كروكوديلوبوليس» الذي يشرف عليه «أبوللونيوس» بمثابة ضريبة العشر عن نقل الملكية، بمقتضى تقرير «بانيسكوس» جابي الضرائب (؟) من يد «بسمنخيس» Psemmenkhes ابن «بانخاتس» Panekhates عن ١ / ٦ من ... الأرض الزراعية على اليابسة (؟) في السهل الذي حول «الجبلين» وهو الذي اشتراه من «هارمياس» بن «حور» بمبلغ تالنت واحد = ٢٠٠ درخمة.

تعليق

يلفت النظر أن بداية بردية البيع هذه وُجِدَتْ ممزقة؛ ومن ثم ضاع الثلث من كل سطر من كتابتها، وكذلك يُلْحَظُ أن اسمي البائعين قد ضاعا، وقد بقي فقط اسم المشتري وهو «بشنمنخي»، غير أنه مما لا نزاع فيه أن هذه الوثيقة هي من عهد الملك «بطليموس السابع إيرجيتيس الثاني». وعلى أية حال فإن الملخص الإغريقي يُفْهَم منه أن مقدار الضريبة عن نصف الأرض المباعة قد دُفِعَ في بئونة من السنة الرابعة. غير أن هذا التاريخ لا يمكن أن يكون في عهد «إيرجيتيس الثاني». يُضَافُ إلى ذلك أنه قد حفظ لنا هذا الملخص الإغريقي اسم أحد البائعين وهو «هرمايس» بن «حور»، ولكن لحسن الحظ عندما فُحِصَتِ البردية رقم ٢٤ المحفوظة بمجموعة ريلندز بواسطة العالم «جرفث»؛ ظهر أنها خاصة بنفس قطعة الأرض التي نفحصها في هذا العقد. والورقة رقم ٢٤ من نفس المجموعة تحتوي على براءة حُرِّرَتْ في حكم الملكة «كليوباترا الثالثة» و«بطليموس سوتر الثاني» عن بيع حرره «حرماحي» هو وأخوه «شلح» إلى «بشمنخي» Pshemmenkhi المذكور أعلاه. وهذه الوثيقة كانت قد حُرِّرَتْ في أمشير في العام الثاني والخمسين من حكم «إيرجيتيس الثاني». وبدهي أن هذا البيع كان هو البيع الذي ورد في البردية التي نحن بصددها، وهي التي عرفنا منها التاريخ واسم البائع الثاني. هذا فضلًا عن أنها أكملت وصف الملكية

الممزقة، ومع ذلك فإنه لا تزال لدينا صعوبة في حل لغز تاريخ السنة الرابعة الذي جاء في الملخص الإغريقي، وهو أربع سنوات بعد البيع الذي تتحدث عنه، والواقع أن تاريخ الورقة الرابعة والعشرين[١٦] قد وُجِدَ ممزقًا، غير أنه كان في شهر بئونة في سنة ما. ويظهر بدهيًّا أن البيع الذي حدث في وثيقتنا التي نفحصها لم يكن قد تم قط (ويحتمل أنه كان في الواقع رهنًا)، غير أنه لما كان هذا البيع قد أُلْغِيَ أو كان على وشك الإلغاء (أو أن النقد الذي كان قد سلف مقابل رهن هذه الأرض قد رُدَّ ثانية) كانت الضريبة قد دُفِعَتْ في شهر بئونة من العام الرابع، ومن ثم فإن (العام الرابع) شهر بئونة يصحح في أول الورقة الرابعة والعشرين. وبذلك نجد أن كلًّا من البرديتين تكمل الواحدة منهما الأخرى بطريقة مدهشة، وذلك بوساطة البردية الإغريقية. والظاهر أن الضريبة كانت قد دُفِعَتْ قبل فسخ العقد باثني عشر يومًا. ومن المحتمل أنه لا يوجد مثال آخر معروف عن دفع الضريبة مؤخرة لمدة طويلة، ثم تُدْفَع بعد تأخيرها مدة أربع سنوات؛ غير أن التفسير الذي اقترحه الأستاذ «جرفث» هنا لحل هذه المسألة يظهر أنه كاف.

ومما يجدر ملاحظته هنا كذلك أن الكاتب «نختمين» — الذي كتب الورقة التي نحن بصددها هنا — له بعض خاصيات في أسلوبه تميزه عن «إسبنوتي» Espniute وأهمها هي أنه قد حافظ على مركز «يوباتور» من حيث القدم في العبادة الملكية، وذلك بوضعه قبل والديه الإلهين المحبين لوالدتهما، أي «بطليموس السادس» وزوجه.

(٨) عقد اعتراف بدين على سلفية من القمح والنقود من عهد «بطليموس السابع»[١٧] (٩ أغسطس سنة ١٢٧ق.م)

التاريخ: السنة الثالثة والأربعون الشهر الثالث من فصل الصيف (أبيب) اليوم التاسع عشر من عهد الملك «بطليموس» الإله المحسن ابن الملك «بطليموس» والملكة «كليوباترا» زوجه الإلهين المحسنين، (وفي عهد) كاهن «الإسكندر» والإلهين المخلصين والإلهين الأخوين والإلهين المحسنين والإلهين المحبين والإلهين الظاهرين والإلهين اللذين يحبان والدتهما والإله الذي والده شريف والإلهين المحسنين، والآلهة المحسنين، وحاملة غنيمة النصر لـ «برنيكي» المحسنة، وكذلك الذين استقروا في «رقودة» (= الإسكندرية).

---

[١٦] من أوراق «شستربيتي»؛ أي الورقة التي نتحدث عنها هنا.

[١٧] راجع: Sethe, Dem. Urk. Ibid. P. 205.

الطرفان المتعاقدان: الطرف الأول: يقول حامل وطاب اللبن لـ «آمون جمي» (= مدينة هابو) «با-تم» بن «أنس نا-خو منو» Snachomneus وأمه هي «ستو-توتي» (= Stotoetis).

الطرف الثاني: للمرأة «شع-خبري» Sachperis ابنة «أمنحوتب» وأمه هي «تا-حبي».

صيغة العقد: يقول الطرف الأول للثاني: لقد طلبت إليَّ أربعة أرادب ونصف إردب من القمح ونصفها ١/٤ ٢ إردبًّا، (المجموع) أربعة أرادب ونصف ثانية وبحساب سعر العملة النحاسية: ٢٤ قدتًا من النحاس مقابل قدتين من الفضة ٢٠٠، ومبلغ ٢٠٠ قطعة من الفضة تساوي ٢٠٠٠ ستاتر تساوي ٢٠٠ قطعة من الفضة الثانية، وبسعر ٢٤ قدتًا من النحاس عن كل قدتين من الفضة بما في ذلك فائدتها، وذلك باسم قطع النقود الفضية والقمح الذي أعطيته إياي، وعلي أن أرد إليك أربعة الأرادب والنصف من القمح ومائتي قطعة من النقود الفضية المذكورة أعلاه، وذلك حتى عام ٤٤ الشهر الثاني من فصل الصيف (بئونة)؛ وتخصيصها هو: القمح في السنة الرابعة والأربعين الشهر الرابع من فصل الشتاء (برمودة)، والنقود في الشهر الثاني من فصل الصيف (بئونة)، على أن يكون قمحًا نقيًّا دون أن يكون فيه غلت (مادة غريبة) أو تبن وبمكيالك الذي تكيل به القمح، وهو الذي يتمشى مع المكيال قوس ٢٩.[١٨]

وعليك أن تحمله، وعليك أن تورده إلى يد وكيلك في بيتك بـ «طيبة» دون مصاريف أو أجور نقل أو أي شيء آخر في العالم حتى عام ٤٤ الشهر الرابع من فصل الشتاء شهر برمودة. والنقود حتى الشهر الثاني من فصل الصيف (بئونة). والنقود أو القمح الذي لا أورده من ذلك في مِيعَادَي الدفع المحددين المذكورين أعلاه، فإنه يحتم علي أن أورد القمح في صورة مبلغ ٣٠٠ قطعة من الفضة عن كل إردب من القمح؛ أي ١٥٠٠ ستاتر؛ أي ٣٠٠ قطعة من الفضة ثانية — بسعر كل ٢٤ قطعة من النحاس مقابل قدتين من الفضة — عن كل إردب من القمح. والنقود مع كل قطعة من الفضة خمس قدات لكل قطعة من الفضة في الشهر الذي يجب فيه الدفع قهرًا وبدون تأخير.

[١٨] وهذا مكيال متفق عليه كما هي الحال في كثير من القرى المصرية الآن؛ إذ تُوجَد كيلة يُتَّفَقُ عليها بين أهل القرية، وهي في العادة كيلة وافية.

ولن يكون في استطاعتي أن أعطيك ميقاتًا آخر فيما يخص ذلك بعد اليوم المحدد المذكور أعلاه، ولن يكون في قدرتي أن أقول: إني أعطيتك قمحًا ونقدًا من جديد أو أي شيء آخر في العالم دون وثيقة دفع تثبت ذلك. وتقول المرأة تشنباون T. Se-n-ps-wn ابنة «با-ون» وأمها هي «تشن-موت»: إني ضامنة أن أدفع بدلًا من «با-تم» بن «إنسن-نا-خو-منو» Snuchomneus ما هو مذكور أعلاه فيما يتعلق بالأربعة والنصف أرادب قمح والمائتي قطعة من النقد الفضة ثانية وميعادها المحدد المذكور أعلاه على حسب كل كلمة أعلاه. وإذا لم يردها إليك فإني أعطيها إياك في الميعاد المعلوم أعلاه، وعلى حسب كل كلمة أعلاه. وإنك تطالب الشخصين (الضامنين). وحق المستند أعلاه هو حق لك علينا وعلى أطفالنا، ولك أن تقاضي أو تطلب من أي منا نحن الاثنين من تحب بأن يفعل على حسب كل كلمة أعلاه.

ولكن عندما تحب أن تطالبنا نحن الاثنين، فإن لك أن تفعل ذلك أيضًا، ووكيلك هو الذي يأخذ قهرًا فيما يتعلق بكل الأشياء التي تحدثت معنا عنها باسم كل الأشياء المذكورة أعلاه. وإني (؟) سأفعلها لك على حسب أمرك في كل وقت دون أية مشادة.

كتب (هذا) «إنس-مين» Zminis بن «با-باس» وهو الذي يكتب باسم كاهن «آمون» ملك الآلهة والإلهين الأخوين والإلهين المحسنين والإلهين اللذين يحبان والدهما، والإلهين الظاهرين والإلهين اللذين يحبان أمهما، والإله الذي والده شريف والآلهة المحسنين، التابعين لطائفة الكهنة الخامسة.

(٩) عقد بيع قطع أرض من عهد «بطليموس السابع» عُثِرَ عليه في «الجبلين»

التاريخ: في السنة الثالثة والثلاثين من عهد الملك «بطليموس» الإله المحسن ابن «بطليموس» و«كليوباترا» الإلهين الظاهرين، والملكة «كليوباترا» أخته وزوجه، الإلهين المحسنين، وفي عهد كاهن «الإسكندر» والإلهين اللذين يطردان الشر، والإلهين الأخوين والإلهين المحسنين والإلهين اللذين يحبان والدهما، والإلهين الظاهرين، وفي عهد حاملة غنيمة النصر لـ «برنيكي» الإلهة المحسنة، وفي عهد حاملة السلة الذهبية أمام «أرسنوي» المحبة لأخيها، وفي عهد كاهنة «أرسنوي» التي تحب والدها، وكذلك أولئك الذين يستقرون في «رقودة»، وأولئك الذين يستقرون في «بوزي» (= المنشية؟) في مقاطعة «طيبة»، وفي عهد كاهن «بطليموس سوتر»، وفي عهد الملك «بطليموس» الذي

يحب والده، وفي عهد كاهن «بطليموس» الإله الظاهر الذي عمل الطيبات، وفي عهد كاهن «بطليموس» الذي يحب أمه، وفي عهد «بطليموس» الذي والده شريف، والإلهين المحسنين، وفي عهد كاهنة الملكة «كليوباترا»، وفي عهد كاهنة «كليوباترا» الأخت، وفي عهد كاهنة «كليوباترا» الأم الإلهة الظاهرة، وفي عهد الكاهنة حاملة السلة الذهبية أمام «أرسنوي» المحبة لأخيها.

الطرفان المتعاقدان: الطرف الأول: يقول الكاهن خادم الإله «ورم» والكاهن «سم» (= كاهن «حتحور» وكاهن «سبك» على التوالي)، وكاهن القرين (كا) للإلهين المحسنين وللإلهين اللذين يحبان والدهما وللإلهين الظاهرين، وللإله الذي يحب أمه، والذي والده شريف، وللإلهين المحسنين المسمى «باتوس» بن «حرسئيسي»، والمرأة التي تتسلم مرتبًا المسماة «تامنوس».

الطرف الثاني: لكاهن «حتحور» سيدة «الجبلين» «بسننئزيس» Psennesis وابن «بسنتوتيس» Psenthotes وأمه هي «تاتوس».

نص العقد: لقد جعلت قلبي يوافق على ثمن الأرض التي مساحتها اثنتا عشرة ذراعًا (قصبة) = ١٢٠ ذراعًا مختومة = ١٢ ذراعًا أرضًا (= قصبات) ثانية. وتقع في قطع في أرضي الصالحة للبناء في الحي الجنوبي (أي الربع الجنوبي) من «الجبلين». وحدودها هي:

في الجنوب الغربي: بقية أرضي الصالحة للزراعة.

في الشمال: بيت «بسننوبيس» Spenenupis بن «بورتيس» Portis.

في الغرب: بيت «توتيس» بن «كوللوتيس» Kolluthes.

وفي الشرق: طريق «آمون».

تأمل: هذه هي كل حدود قطع الأرض الخاصة بكاهن «حتحور» بن «توتوبوتيس» Totopoutis ابن ... ويملك فيها «باتوس» بن با ... ثلثًا آخر. وعلى ذلك تملك أنت الثلث الآخر، ومسطح القطعة كله هو أربع أذرع لكل قطعة، وهو ما يؤلف الاثنتي عشرة قصبة أرض في المجموع. وقد أعطيتها إياك، وهي ملكك أي قطعة أرضك للبناء المذكورة أعلاه، وقد تسلمت ثمنها نقدًا منك كاملًا غير منقوص، وقلبي منشرح لذلك، وليس لي أي شيء في العالم أطلبه منك باسمها، وليس لأي إنسان في العالم ولا نفسي سلطة عليها غيرك من اليوم فصاعدًا. وإن الذي يأتي إليك بخصوصها باسمي أو باسم

أي شخص في العالم فإني أبعده عنك. وإني سأطهرها لك من كل مستند، ومن كل نزاع قضائي، ومن كل قانون ومن كل شيء في العالم في كل وقت. وكل مستنداتها ملكك، وكذلك الأحكام القضائية في كل مكان تكون فيه، وجميع الكتابات التي كانت قد حُرِّرَتْ، وكل كتابات كانت قد صدرت مني بخصوصها، وكل كتابات يكون لي بمقتضاه حق؛ فإنها ملكك مع حقوقها، وكذلك ملكك ما يجعل لي حق باسمها.

والكاهن «ورم» والكاهن «سم» وكاهن القرين (كا) التابع للإلهين المحسنين والإلهين اللذين يحبان والدهما وللإلهين الظاهرين، وللإله الذي يحب أمه، والإله الذي والده شريف وللإلهين المحسنين (المسمى) «بتوزيريس» بن «حرسئيسي» وأمه «تائزيس» Taisis يقول: تسلمت المستند أعلاه من يد «باتوس» بن «حرسئيسي» والدي وقلبي موافق على ذلك. وعلى حسب ذلك استعمله في كل وقت قهرًا، وبدون مماطلة وبدون رفض.

كتبه «توتورتايوس» Tothortaios بن «نختمينيس» Mechtminis الذي يكتب باسم كاهن «حتحور» سيدة «الجبلين» والإلهين المحبين لوالدهما والإلهين الظاهرين والإله الذي يحب أمه والذي والده شريف والإلهين المحسنين التابع لطائفة الكهنة الخامسة.

وفي أسفل من هذا العقد كُتِبَ ملخصه بالإغريقية.

وأسماء الشهود الذين على ظهر البردية بلغ عددهم ستة عشر شاهدًا.

ومضمون هذا العقد يمكن تلخيصه فيما يأتي: هذه البردية عبارة عن عقد شراء جاء فيه أن الكاهن التابع لمعبد «الجبلين» وهو حانوتي الإلهة «حتحور» المبجلة في هذا المكان، واسم هذا الكاهن هو «بسننئزيس» وقد باع قطعة أرض مساحتها حوالي ٣٣٠ مترًا. ولكن الأخير كان قد باع قطعتين أخريين مساحة كل منهما تعادل مساحة القطعة المباعة هنا في هذا العقد، وفي نهاية العقد نجد أن «بتوزيريس» وهو أخ البائع من أمه قد تدخل في الموضوع بوصفه الضامن للبائع، ومن ثم تكون شجرة نسب أفراد الأسرة كالآتي:[١٩]

ومن ذلك نفهم أن «حرسئيسي» كان له زوجتان. هذا، ولا نعلم إذا كانت المرأة «تامنوس» التي جاءت بهذا الاسم كانت زوجة مؤقتة في قضية النزاع على الإرث الذي

[١٩] راجع: Rec. Trav. XXXV, p. 82–87.

جاء ذكره في بردية ستراسبورج هي نفس المرأة التي نحن بصددها هنا، وقد تحدث عنها المؤرخ «جرادنوتز». والواقع أن هذا الموضوع لا يزال معلقًا، وإن كانت شواهد الأحوال تدل على أنه كانت توجد علاقة.[٢٠]

تائزيس + حرسئيسي + تامنوس

باتوس بتوزيريس

(١٠) نظم جمعية دينية من عهد (بطليموس السابع) الديموطيقية عام ١٣٨ق.م

عُثِرَ على هذه الورقة في «أم البريجات» من أعمال الفيوم، وهي التي تُسَمَّى بالإغريقية «تبتونيس».

وقد وُجِدَتْ هذه البردية مهشمة، ومن ثم سنجد في الترجمة بعض الفجوات. وقد عُثِرَ على مثل هذه الوثيقة في نفس هذا المكان في عهد البطالمة الذين سبقوا «بطليموس السابع».

التاريخ: في السنة الثالثة والثلاثين، الحادي عشر من شهر بئونة من عهد الملك «بطليموس» و«كليوباترا» الإلهين المحسنين، وهما اللذان أنجبا «بطليموس» و«كليوباترا» الإلهين الظاهرين، وزوجه «كليوباترا» الإلهة المحسنة، وفي عهد كاهن «الإسكندر» والإلهين المخلصين والإلهين الأخوين والإلهين المحسنين، والإلهين اللذين يحبان والدهما، والإلهين الظاهرين، والإله الذي والده شريف، والإله الذي يحب والدته، والآلهة المحسنين، (المسمى) «ديونيسوس» بن «بريوس» (؟) Berios، وعندما كانت المرأة «بطوليما» Ptolema ابنة «بولينوس» Pulinus حاملة هدية النصر أمام «برنيكي» الإلهة المحسنة، وعندما كانت المرأة «ترموتي» Trmuti (؟) ابنة «مقنيس» Maknis حاملة السلة الذهبية أمام

[٢٠] راجع: Gradenwitz; Eine Erbstreit aus dem Ptolemaischen Aegypten, p. 30.

«أرسنوي» محبة أخيها؛ وعندما كانت المرأة «أرتما» Artma ابنة «سروتوس» Srutus كاهنة «أرسنوي» محبة والدها.

صيغة مواد النظم: نسخة من القانون الذي وافقت عليه الطائفة السادسة في المعبد، وهم الذين وقعوا في أسفل هذا بأسمائهم في قسم «بولمون» من ١٥ برمودة من عام ٣٣ حتى ١٢ برمودة عام ٣٤؛ أي ثلاثة عشر شهرًا + $\frac{1}{6}$ (= شهر أيام النسيء)، وقد تكلموا جميعًا (أي الأعضاء): إنا نؤديه (أي القانون) عندما نجتمع سويًّا في وليمة، ويكون العيد والموكب قد نُظم في اليوم الذي قُرر الاحتفال به في المؤسسة، وفيه نشرب — بصرف النظر عن العيد المبين أسفل — ونقدم القربات المحروقة والقربات السائلة للملك «بطليموس» والملكة «كليوباترا» الإلهين المحسنين اللذين أنجبا «بطليموس» و«كليوباترا» الإلهين الظاهرين، وللملكة «كليوباترا» زوجه الإلهة المحسنة وللآلهة «إزيس» و«أوزير» و«فرع» ولأجل آلهة مصر وإلهاتها، وللإله «سبك» صاحب «تبتونيس» وللإلهة «سبك» فنحن ندفنها ونحن نرافقها حتى مدافنها، ونحن ندفع خمسة دبنات فضة عن كل فرد منا، ونحن نشرب في «تبتنيس» في اليوم الثاني والعشرين من شهر بابه وفي ١٤ برمودة، ونحن نشرب في «ترموتيس» (= مكان الإلهة «رينوتت» ربة الحصاد) وفي الرابع والعشرين من شهر بشنس في موكب الإله «سوكونوبيس» (؟) ونشرب في ... التاسع وفي الخامس من شهر طوبة، ونشرب في «ترموتيس» في العاشر من شهر توت في المواقيت المبينة أعلاه قهرًا وبدون تأخير، وإن الذي منا لم يأت لأجل أن يشرب معنا والذي يعصي ... الذي نحن ... ونحن ندفع نقود وظيفتنا ونقود خدماتنا إلى يد المشرف على المؤسسة. وإن الذي لم يذهب منا إلى بيته فإنه يجب عليه أن يذهب إليه؛ ليحضر ضمانًا للنقد المذكور. وإذا حاول من هذه الناحية أن يرشي أحدًا فإن غرامته تكون ٣٠٠ دبن من الفضة، ويجب أن يُشدد عليه بألا يقصر فيما بعد في واجبه. ونحن نبني مجتمعًا ونعطي سويًّا نصيبنا في ٢ ... وخمس سلات، ونحن نعطي خمسة «أوش» عطورًا وأكاليل وزيتًا و(دهنا) (؟)، وإن الذي منا يُعْلَن عنه أنه لم يدفع نصيبه أو أن نصيبه لم يكن قد دُفِعَ فإن غرامته تكون ١٥٠ دبن من الفضة، ويجب أن يُشدد عليه أن يدفع ما عليه في المستقبل. وعندما يُعْلَن واحد منا بأن يأتي أمام القضاء فعليه أن يحضر، ولكن الذي لا يحضر فإن عقوبته تكون ١٥٠ دبن من الفضة. وإن الذي يُتَّهَمُ منها في قضية ظلمًا فإنه يجب علينا أن نقف بجواره جميعًا حتى يكسب قضيته.

وإن الذي منا لا يقف بجانبه فإن عقوبته تكون ٣٠٠ دبن من الفضة، وإن من يموت منا فيُدْفَع له ١٩ (؟) دبنًا لأجل دفنه، وإن من يموت من بيننا والده أو أمه أو أخوه

أو أخته أو حموه أو حماته؛ فإنا نعطيه «عل» (؟) فضة له. ونحن نرافقه في الجمعية التعاونية، ونحن نضيف جماعة أهله الذين رافقوه على حسب أمره. وإن الذي منا قد دُعِيَ ليحضر في البلدة المذكورة ولم يحضر فإنه يجب عليه ... يدفع لكل الجماعة (؟). وإن الذي منا يأتي لأجل أن ... أمام الإله فإنا نجعله يغرم خمسة دبنات فضة. وعندما يزور واحد منا أهل البلد فلا بد أن يأتي واحد ليرشده إليها، ونحن نجعله عدد ... أناسًا يمشون خلفه عندما يكون قد مضى سنة في بلدته.

(الباقي مهشم.)

يأتي بعد ذلك قائمة بأسماء المشتركين في الجمعية[٢١] وتبرعاتهم. ويُشَاهَد أن في العمود الأول قد ذُكِرَ أسماء الأعضاء على حسب أهميتهم، وأمام كل واحد منهم المبلغ الذي دفعه. وفي العمود الثاني جاء ذكر عشرة شبان جدد، وقد وُضِعَ أمام الأخير منهم مبلغ ٧٨ قطعة من الفضة، وقد وُضِعَ نفس هذا المبلغ أمام اسم السادس في العمود الثالث. والظاهر أن هذا قد أُضِيفَ فيما بعد بيد كاتب آخر، وهذا الاسم السادس من العمود الثالث المسمى «جلوز» (ابن) «جلوز» Kolluthes بن «حور» يظهر أنه آخر الأعضاء وأصغرهم سنًّا. وبعده يأتي اسم فرد ليس من أعضاء الجمعية؛ بل يُعْتَبَر الضامن، وهاك المتن الذي ذُكِرَ معه: «حار-تو» بن «ماراس» Marres. إنه هو الضامن فيما يخص «جلوز» بن «حور».[٢٢]

ومن ثم نفهم أن أعضاء هذه الجمعية كانوا ينقسمون قسمين: أعضاء لهم مكانتهم في المجتمع ويتبرعون بمبالغ محترمة، وأعضاء شبان جدد كان لا بد لقبولهم في الجمعية من ضامن كما يُفْهَم من المتن.

(١١) نظم جمعية دينية تعاونية (عام ١٤٨-١٤٧ق.م)[٢٣]

التاريخ: في السنة الرابعة والثلاثين في السابع من شهر كيهك من عهد الملك «بطليموس» و«كليوباترا» وهما اللذان أنجبا الإلهين الظاهرين، وعندما كان كاهن «الإسكندر»

[٢١] راجع: Spiegelberg, Cat. Gen. Dem. Text. p. 60 ff. (n. 30619).

[٢٢] راجع: Sethe, Ibid. p. 461.

[٢٣] راجع: Spiegelberg. Ibid., p. 290 ff.

والإلهين المخلصين والإلهين الأخوين والإلهين المحسنين والإلهين اللذين يحبان والدهما والإلهين الظاهرين والإله الذي والده شريف والإلهين اللذين يحبان والدتهما «قليكليس» Kallickles ابن «تيوقرتس» Tiukrts، وعندما كانت المرأة «أرنياس» ابنة «أنكسندروس» Anxandros حاملة هدية النصر لـ «برنيكي» الإلهة المحسنة، وعندما كانت المرأة «أسكليبايس» Asklebais ابنة «بطليموس» بن «أسكليبيادس» Asclepiades حاملة السلة الذهبية أمام «أرسنوي» محبة أخيها، وعندما كانت المرأة «أبولونيا» Apolonia ابنة «أسوكراتيس» كاهنة «أرسنوي» محبة أخيها.

مواد القانون: القانون الذي وافق عليه أفراد الطائفة السادسة وكهنة التمساح المقدس، وهم الذين اجتمعوا أمام «سبك» والإلهة «سبك» في وليمة في مثوى التمساح المقدس في مدينة «سبك» سيد «تطون» في قسم «بولمون» في مقاطعة «أرسنوي» وذلك عندما قالوا: نحن نؤديه (أي القانون) من شهر توت من عام ٣٤ حتى آخر يوم من شهر مسرى وفي أيام النسيء (حرفيًّا أيام المصابيح)؛ أي ما مقداره سنة =١٢ شهرًا وسدس؛ أي سنة ثانية. وقد قالوا سويًّا: لقد اجتمعنا (= جلسنا) سويًّا في وليمة أمام «سبك» والإلهة «سبك» في عيد «سبك» وموكبه، وفي أيام الأعياد التي وافق عليها رجال المؤسسة (= البيت) لنولم وليمة سويًّا فيها. ونحن نعطي نقودنا المقررة علينا كل شهر، هذا خلافًا لنقود الحيوان، وهي التي علينا أن ندفعها أيضًا، وندفعها في يد المشرف على المؤسسة، وهي المحدد دفعها كل شهر. وإن الذي منا لا يدفع النقد المقرر عليه كل شهر، على أن يدفعه في يد المشرف على المؤسسة كما هو مدون أعلاه في كل شهر؛ فإن المشرف على المؤسسة يجب عليه أن يذهب إليه ويأخذ منه ضمانًا على النقود المذكورة. ويجب أن يشدد على هذا الرجل أن يدفع غرامته وقدرها ٢٥ دبنًا، ويجب أن يطالب بأن يقوم بأداء واجبه من جديد. ونحن نجمع مكيالًا من النبيذ بمثابة جزية على كل منا، وإن الذي ... أفراد المؤسسة في أي وقت مكيالين من النبيذ من كل واحد منا، وذلك حينما يكون كل مكيال يساوي خمسة دبنات من الفضة. وينبغي أن تُعَطَى كفالة أو ضمان من الملح ومن العطور والأكاليل والزهور والزيت والشحم مقابل نقود المؤسسة. وإن الذي منا يُطْلَبُ إليه دفع نقد لأجل أيام الأعياد ولا يدفعها فإن غرامته يجب أن تكون (٢٥) دبنًا من الفضة، ويجب أن يُطَالَب بأن يقوم بواجبه من جديد، ويُسْتَثْنَى من أولئك المريض والسجين أو من يحارب من أجل أشياء الملك. ونحن نقدم القربات المحروقة وقربات المشروبات للملك «بطليموس» و«كليوباترا» وهما اللذان

أنجبا الإلهين الظاهرين العائشين أبديًّا، وكذلك القربات المحروقة والقربات السائلة لـ «إزيس» و«أوزير» و«فرع»، وكذلك القربات المحروقة وقربات الشرب للإله «سبك»، والآلهة التي في صورة «سبك» في العيد والموكب المذكورين أعلاه.

ونحن نجر الإلهة «سبك» ونحن نرافقها حتى دفنها. وإن الذي منا لا يخرج لجر الإلهة «سبك» وكذلك الذي لا يتبعها حتى دفنها؛ فإن غرامته تكون ٢٠ + س دبنًا من الفضة، وهذه الغرامة تُطَالَب منه عدا من استُثْنُوا، كما هو مذكور أعلاه. وعندما يموت واحد منا فإنا نحزن عليه، ثم نرافقه في الجمعية التعاونية جميعًا، ونعطيه النقود التي تقررها الجمعية من مال المشتركين؛ لأجل دفنه في قبره، وإن الذي منا لا يحزن عليه ولا يرافقه في الجمعية فإن غرامته تكون خمسة دبنات باستثناء الذين استثنوا أعلاه. وعندما يموت واحد منا خارج المدينة فإنا نقرر له عشرة رجال من المؤسسة، ونجعلهم يسيرون خلفه، ونعمل له كما هو مدون أعلاه، وإن الذي منا قد قُرِّرَ أن يسير خلفه من رجال المؤسسة ولم يذهب فإن غرامته ينبغي أن تكون عشرين دبنًا من الفضة باستثناء الناس الذين ذُكِرُوا أعلاه. وفضلًا عن ذلك فإن من يُتَّهَم في قضية ظلمًا فإنا نقف بجانبه ونعطيه من مال الاشتراكات ثانية، وهو الذي قرر رجال المؤسسة صرفها لتُقَدَّمَ إليه، ويجب أن يبقى المشرف على المؤسسة بجانبه، وكذلك نعمل على جمع عشرة مكاييل من النبيذ له. وإن الذي منا يصبح عدو الإله أو سجين معبد الإله يجب أن يبقى المشرف على المؤسسة بجانبه، ونحن نجمع له خمسة مكاييل من النبيذ.

وإن الذي منا يموت والده أو أمه أو أخوه أو أخته أو ابنه أو ابنته أو حموه أو حماته أو زوجه؛ فعلينا أن نحزن عليه، ونعمل له كما هو مدون أعلاه. وإن الذي منا يموت ابنه وهو صغير جدًّا فعلينا أن نشرب معه جعة ونشرح صدره.

وإن الذي منا يعلنه واحد منا أمام قائد أو حاكم قبل أن يعلن بذلك لرجال المؤسسة فإن غرامته يجب أن تكون خمسين دبنًا، ولكن إذا أعلنه بعد أن يكون قد طبق القانون، وفي هذه الحالة يكون قد نفذه فيمن اتهمه فإن غرامته تكون مائة دبن من الفضة. وإن الذي منا يلحق بواحد منا أذًى أمام قائد أو حاكم فإن غرامته تكون خمسين دبنًا. وإن الذي منا يقول لواحد من بيننا إنك مجذوم ولم يكن مجذومًا فإن غرامته تكون مائة دبن. وإن الذي منا يذهب مع زوجة واحد من بيننا فإن غرامته يجب أن تكون مائة دبن، ويجب أن يُطْرَد من أجل ذلك من المؤسسة. وإن الذي منا يجد واحدًا منا في الطريق … أو يقول ليت رجلًا يعطيني نقودًا لأني في ضيق ولا يعطيه

شيئًا فإن غرامته تكون خمسة وعشرين دبنًا مع استثناء الناس الذين يحلفون يمينًا أمام الإله «سبك» بقوله لواحد منا: لم يكن في مقدوري أن أعطيه. وإن الذي منا يشتم واحدًا من بيننا فإن غرامته يجب أن تكون خمسين دبنًا، وشتم الكاهن الإداري يقدر بخمسة وسبعين دبنًا، وإذا عاد الشاتم إلى ذلك ثانية فإنه يدفع مائة دبن، وسب آخر يُقَدَّر بستين دبنًا، وإن الذي يكرر ذلك يدفع ثمانين دبنًا. وسب الناس العاديين يُقَدَّر بتسعين دبنًا، ومن كرر ذلك يدفع ١٠٠ + س دبن. وإن الواحد منا الذي يلحق بواحد منا أذى فإن غرامته يجب أن تكون مائة دبن، وإصابة الكاهن الإداري تُقَدَّر بمائة وعشرين دبنًا، وإن من يعود لمثل ذلك ثانية فإنه يدفع مائة وخمسين دبنًا، وإصابة زميل تُقَدَّر بثمانين دبنًا، وإن من يعود إلى ذلك ثانية فإنه يدفع تسعين دبنًا. وإصابة الرجل العادي تُقَدَّر بمائة دبن، وإن الذي يعود إلى ذلك ثانية يدفع ١٠٨ (؟) دبنًا. وإن الذي منا يسب المشرف على المؤسسة، وكان يريد أن يقرب يده منه (أي أراد أن يرشيه) فإن غرامته يجب أن تكون خمسين دبنًا، ويجب أن يُطْلَب إليه بأن يعمل في المستقبل واجبه، والمشرف على المؤسسة هو الذي ينظم كل كلمة تكلمها معنا؛ أي كل كلمة ذُكِرَت أعلاه، ونحن على استعداد لعملها على حسب أمره قهرًا وبدون تأخير.

يأتي بعد ذلك أسماء أعضاء الجمعية وأمام كل فرد المبلغ الذي دفعه بمثابة اشتراك.

ثورة المصريين على الحكم البطلمي: أسبابها ونتائجها

حالة البلاد قبل قيام الثورة

قامت في مصر في أواخر عهد الملك «بطليموس الرابع» ثورة عارمة، وهذه الثورة كانت ترمي إلى القضاء على الحكم الأجنبي الغاشم الذي ظل يرزح تحت عبئه الشعب المصري الأصيل؛ لما كان يلاقيه من مذلة وهوان وفقر وحرمان على أيدي المستعمرين بوجه عام، ولا غرابة في ذلك؛ فقد كانت سياسة ملوك البطالمة منذ أن وطئت أقدامهم أرض الكنانة هي استغلال أرض مصر وأهلها بكل الطرق والوسائل مهما كانت ظالمة مجحفة بأهل البلاد ... وذلك في حين أن المستعمرين الذين جاءوا في ركاب ملوك البطالمة من إغريق ومقدونيين وجنود مرتزقة كانوا أصحاب امتيازات خاصة يتمتعون بها على حساب الشعب المصري المغلوب على أمره.

ولقد شعر الشعب المصري منذ بداية الحكم البطلمي بالامتيازات الهائلة التي كان يتمتع بها المقدونيون والإغريق من حيث المعاملة في كل مرافق الحياة؛ فكان المستعمر هو السيد في كل شيء، وآية ذلك أن كل الوظائف الرئيسية كانت في يد الأجانب المستعمرين، كما كانت التجارة الرابحة في أيديهم، والمزارع المثمرة هم ملاكها، والمساكن الفاخرة هم سكانها، وبلاط الملك يتألف من بينهم، والجيش يتألف منهم، وسفراء مصر في البلاد الأجنبية يُنْتَخَبُونَ من بين صفوفهم، وذلك في حين نجد أن أحقر الأعمال التي كانت تحتاج إلى الكد والكدح كان يقوم بها المصريون؛ بل ويجبرون على ممارستها لكسب ما يسد أودهم، وكانت أحقر الوظائف الثانوية تُسْنَدُ إليهم، ويشرف عليهم في تنفيذها أصحاب الوظائف العالية أسيادهم، ولم نسمع إلا نادرًا أن مصريًّا كان يتقلد وظيفة

كبيرة، أو حتى متوسطة، وكذلك من حيث الحرف والصناعات فإن الدنيء الخسيس منها كان لا يقوم بإنجازه إلا المصريون؛ فكان ضارب الطوب مصريًّا، ومربي الخنازير مصريًّا وصانع الفخار مصريًّا، وراعي الماشية مصريًّا … وهكذا. وفي أعمال الزراعة نجد أن زراعة الأرض وفلاحتها وجني محاصيلها كان يقوم به الفلاح المصري، وكان يعاني من جراء ذلك مغارم ومظالم لا قِبَلَ له بها لدرجة أنه كان أحيانًا يترك زراعته ويفر إلى المعبد حيث يلتجئ إلى حماه؛ إذ كان المعبد هو المأوى الوحيد الذي يمكنه أن يحتمي فيه من الظلم والاضطهاد وسوء المعاملة التي كان يلاقيها على أيدي أصحاب المزارع ومن عمال الملك الذين كانوا يشددون عليه الخناق في جمع الضرائب على كل شيء مهما كان تافهًا، بل على غير المعقول منها، ولا أدل على ذلك من أنه — كما قيل — كانت هناك ضريبة على من كان يتمتع بالهواء الطلق في فصل الصيف عندما تشتد حرارة الجو فوق أسطح المنازل.

أما الضرائب التي كانت تُجْبَى على الحرف والصناعات من المصريين؛ فكانت مضرب الأمثال في فداحتها لدرجة أن أصحاب هذه الحرف كانوا يضطرون أحيانًا إلى تركها هربًا من فداحة الضرائب التي كانت تُبتز منهم.

ولكن يتساءل الإنسان هل كان ما يقع على المصري من ظلم واضطهاد هو لجمع المال لحكومة البطالمة، وجشع المستعمرين ورغبتهم في الثراء على حساب المصري المغلوب على أمره؟ حقًّا كان هذا هو السبب الأول لذلك، غير أنه كان هناك سبب آخر حدثتنا به بعض الوثائق وهو التفرقة العنصرية؛ فقد جاء في بعض أوراق «زينون» أن موظفًا تظلم من عدم دفع مرتبه، وقد عُزي ذلك لأنه ليس هيلاني المنبت، ولا يتكلم الإغريقية؛ فيقول إنه لم يُدْفَعْ له مرتبه ولم يُعْطَ نبيذًا، بدلًا من النبيذ الحلو كما يُعْطَى الإغريق، ويحدثنا في ذلك بالحرف الواحد: حتى لأموت من الجوع وذلك لأني لا أتكلم الإغريقية، أو بعبارة أخرى: لأني لست مثل الإغريق. ويقول: ولكنهم يحتقرونني لأني لست إغريقيًّا. والمدهش أن كاتب هذه الرسالة عربي الأصل.

وعلى أية حال نجد أنه على الرغم من سيطرة المستعمرين على المصريين فإنهم مع ذلك كانوا لا يشعرون دائمًا بالأمان في الريف المصري، ولا أدل على ذلك من أن أحد كبار الموظفين الإغريق قد كتب إلى «زينون» يقول: إن محصول الكروم قد بدأ، ويطلب إليه إرسال عشرة حراس على الأقل، ثم ترحيل الموجودين عنده حتى لا يحدث ما لا تُحْمَدُ عقباه. هذا، ولدينا جزء من رسالة من إغريق أُرْسِلُوا لحراسة الكروم، وقد طلبوا إما إرسال مدد أو أن يُعْفَوْا من أعمالهم؛ وذلك لأن أحد الناس قد قال لهم: إن من خطل

الرأي استخدام شبان مصريين. ونقرأ في وثيقة أخرى أنه من جهة العلاقات مع الإدارة كان الإغريق أحيانًا حذرين من الموظفين المصريين.[1] وكانت الإدارة الإغريقية على أية حال لا تفكر — من حيث العلاقات الرسمية أو غير الرسمية — إلا في الفوائد التي كان يمكن انتزاعها من عمل السكان المواطنين. وقد كانت من نتائج هذه المعاملة التي تفرق بين الإغريقي والمصري أن أخذ بعض المصريين يتكتلون فيما بينهم إلى أن ظهر بينهم فعلًا تضامن في مواقف معروفة، وبخاصة عندما نعلم أن الشعب المصري الأصيل لم يَنْسَ أبدًا أن الإغريق وأسرة البطالمة لم يكونوا إلا أجانب ودخلاء على بلادهم، وذلك على الرغم من أنهم كانوا أحيانًا يلعبون — بكل سرور — دور المحامي الكريم فإنهم كانوا بوجه عام لا يفعلون ذلك إلا لأن أهل البلاد كانوا في نظرهم قوة عاملة لا غنى عنها لقيام إمبراطوريتهم، وأنه يجب من أجل ذلك استغلالهم بقدر المستطاع وبكل الطرق، ومن ثم نجد أنهم كانوا يحتقرونهم، ولكنهم في الوقت نفسه كانوا يخافون شرهم وبأسهم. ولم يكن لدى المصري في هذا الموقف سلاح يحارب به هؤلاء الأجانب المغتصبين إلا العمل على وحدة الأسرة وتضامن الشعب، وبخاصة طبقة الفلاحين، وبذلك أصبح عند المصريين قوة يحاربون بها الإدارة الإغريقية بقدر ما تسمح به الأحوال، وهذا التضامن القومي كان يتمثل بوضوح في غالب الأحيان في المقاومة السلبية التي كانت تتجلى في أفراد الشعب عن تدبير وروية؛ فكانوا في كثير من الأحيان ينالون مطالبهم على طول الخط. هذا، وقد أسهبنا الحديث عن العلاقات الإغريقية والمصرية من كل الوجوه في فصل خاص في: «مصر القديمة» الجزء الرابع عشر.

أول ثورة قامت في عهد البطالمة

ولقد ظل أفراد الشعب المصري يتحملون كل مظالم البطاملة وعسفهم، يعاونهم في ذلك رجال حكومتهم وأهل اليسار منهم من الإغريق والمقدونيين، بل وحتى اليهود إلى أن سنحت الفرصة التي مهدت لهم القيام بثورة كانت أولى الثورات في مصر البطلمية التي وصلت عنها معلومات إلينا حتى الآن. وهذه الثورة وقعت فعلًا في الفترة القصيرة التي تسنم فيها البطالمة قمة مجدهم وامتداد سلطانهم إلى درجة لم يبلغها حتى فراعنة مصر

[1] راجع: مصر القديمة الجزء ١٤.

العظام في عهد الأسرة الثامنة عشرة. ولسنا في حاجة إلى أن نتساءل مع المؤرخين الأحداث[٢] — الذين سبق أن كتبوا عن أسباب هذه الثورة — لا سيما أنهم ذهبوا فيما أتوا من أسباب قيامها كل مذهب؛ فالأسباب معروفة الآن بعد فحص ما جاء في أوراق «زينون» من وصف الحياة المصرية وما كان بين المصريين والإغريق من مواقف اقتصادية وعنصرية، وهذا ما ألمحنا إليه هنا، وما فصلناه في الفصل الخاص الذي كتبناه في الجزء الرابع عشر من هذه الموسوعة.

الثورة في عهد بطليموس الثالث

لقد كان الشعب المصري مُهَيَّأً للقيام بأي عمل يظهر فيه غضبه وعدم رضاه عن موقفه بالنسبة لملوك البطالمة والمستعمرين الذين كانوا مسلطين على المصريين من إغريق ومقدونيين. وقد أُتِيحَتْ هذه الفرصة عندما قام «بطليموس الثالث» في السنة الأولى من حكمه — مضطرًّا — لمساعدة أخته «لاؤديسيا» وابنها ملك «سوريا» كما فصلنا القول في هذا الموضوع من قبل، وكان قد تقدم في زحفه في إمبراطورية السليوكيين حتى وصل إلى بلاد الهند[٣] على ما يُظَن.

وفي الفترة التي كان فيها «بطليموس إيرجيتيس الأول» غائبًا عن مقر ملكه بدأت أول حركة ثورية، وقد كانت هذه الثروة بمثابة إيذان له أن الشعب المصري ليس براضٍ عن حكم أسرته. وكان من جراء قيام هذه الثورة أن اضطر «بطليموس الثالث» إلى العودة إلى بلاده دون إتمام ما كان عازمًا عليه من فتوح شاسعة، ولا نزاع في أنه لولا شبوب نار هذه الثورة لكان في استطاعته أن يستولي على كل الإمبراطورية السليوكية — كما عبر عن ذلك المؤرخ «جوستن» ومن بعده «سنت جيروم».[٤]

والظاهر أن «بطليموس الثالث» عندما عاد إلى البلاد وهدأ الثورة أخذ يفطن إلى ما كانت تنطوي عليه نفوس الشعب المصري من كراهية وحقد بالنسبة للبطالمة والمستعمرين

[٢] نخص بالذكر منهم الآنسة «كليربرييو» منذ كتبت عن الثورة المصرية في عهد البطالمة بطريقة خاصة (راجع Chronique d'Egypte (1936) PP. 522 ff).

[٣] راجع: Bolyen, VIII, 50.

[٤] راجع: Justin XVII, 1, 9.

معًا. وقد كان من أبرز الأسباب التي دعت إلى تذمر المصريين فداحة الضرائب، وكثرة توزيع الأراضي الزراعية على أسرى الحروب[٥] الأسيوية والجنود المرتزقين من الإغريق والمقدونيين الذين كانوا يفدون إلى مصر لمدد قصيرة، غير أنهم لا يلبثوا أن يستولوا على أراض زراعية ويستغلونها لحسابهم بأيد مصرية. هذا، وتحدثنا المصادر أن «بطليموس إيرجيتيس الأول» قد وقع في أيامه قحط كاد يودي بحياة الشعب في عهده، وكان ذلك في أول حكمه للبلاد، ومن المحتمل أن هذا الحادث قد قضى على البقية الباقية مما عند المصريين من صبر على ما هم فيه من ضنك وضيق، وذلك على الرغم من أن هذا الملك اشترى لمصر الحبوب من الخارج لسد حاجتها وتلافيًا للقحط.

ولدينا بردية عُثِرَ عليها في «تبتنيس»[٦] (= أم البرجات) يمكن إرجاع نوع كتابتها إلى النصف الثاني من القرن الثالث. فإذا نسبنا هذه البردية إلى عهد «بطليموس الثالث» فإنه في الإمكان أن يتخيل المرء — مما جاء فيها — حالة الاضطرابات التي كانت موجودة وقتئذ في مصر. وهذه الوثيقة تحتوي على منشور يتحدث عن إدارة حكومية كانت قد تحولت عن مجراها الأصلي. وهذا المنشور مثله كمثل المنشورات التي كان يسير الشعب على هديها؛ وذلك لأنها تشير إلى سوء تصرفات بعض الموظفين[٧] مع المصريين، كما تظهر لنا غرور الجامحين؛ يُضَافُ إلى ذلك أن هذا المنشور جاء فيه تلميحات عن تهرب الجنود من الانخراط في سلك الجندية أو بعبارة أدق خيانة الجنود المصريين. والواقع أن هذا المنشور قد أوضح لنا رد الفعل على الحكومة المركزية فيما له علاقة بالضرر المزدوج الذي كان ينخر في أصول نظام الإدارة المصرية، والمقصود بذلك سوء التصرف الإداري والتراخي المنتشر بين عامة الشعب فيما يخص أداء واجباتهم نحو بلادهم. غير أن توافق ما جاء في هذا المنشور على إثر موقعة «رفع» لا يجعل في استطاعتنا والحالة هذه أن نقرر فيما إذا كان ينبغي علينا تأريخ هذا المنشور بأوائل حكم «بطليموس إيرجيتيس الأول» أو في بداية حكم خلفه «بطليموس الرابع».[٨] وعلى أية حال فإن هذا المنشور يكشف لنا

---

[٥] راجع: Pap. Petrie II, XXIXe P. 101.

[٦] راجع: P. Tebtynis 708.

[٧] راجع: Ibid, 41. 40–49.

[٨] راجع: هذا الموضوع في المقدمة التي كتبها العالم «روستوفتزف» في أول ورقة «تبتنيس»: P. Tebt. 703.

عن حالة الاضطرابات التي تميز بها النصف الثاني من القرن الثالث ق.م، وأخيرًا إذا صدقنا ما قصه علينا العالم الروسي «ستروف»[٩] فإنه من المحتمل أن قصة وحي صانع الفخار قد أُلِّفَت على ما يُظَن في عهد «بطليموس الثالث». وهذه القصة هي عبارة عن تنبؤ وُضِعَ بالديموطيقية، وقد حُفِظَتْ لنا منه نسخة كُتِبَتْ بالإغريقية، ويرجع تاريخها إلى القرن الثالث قبل الميلاد. وهذا الأثر يميط لنا اللثام عن كراهية شديدة للإسكندرية تكنها قلوب الشعب المصري للإغريق سكان هذه المدينة الواقعة على البحر، مما يمكن أن يؤدي إلى انفجار ثورة مصرية وطنية. وقد تساءل بعضهم فيما إذا كان هذا الكره الذي جاء ذكره في وحي صانع الفخار، كان المقصود به «بطليموس الثالث» وبطانته. هذا، ونجد من ناحية أخرى أن ما ذكره المؤرخ «أتو»[١٠] من تلميحات جاءت فيما يتعلق بالحملات الباهرة والخيرات التي أغدقها هذا الملك — وهي التي تشير من بعيد إلى التماثيل المصرية التي كان قد اغتصبها الأعداء «المتمنطقين بأحزمة» — أنها ليست إلا مجرد عبارات فخار ومدح لا ترتكز على حقائق تاريخية صحيحة؛ بل مجرد عبارات كان يتناقلها ملوك البطالمة الواحد عن الآخر، وذلك على غرار ما كان يفعله الفراعنة، وبخاصة في العهود الأخيرة، وليس أدل على ذلك من قوائم الممالك التي فتحها فراعنة مصر في عهد الأسرة الثامنة عشرة، والتي أخذ الفراعنة المتأخرون ينقلونها كأنها من عملهم، وأنهم قد قاموا بهذه الفتوح كرة أخرى، أو أنها من عملهم لا عمل من سبقهم.

وعلى أية حال فإن الحقائق التي تشهد بوجود قلاقل واضطراب في البلاد كانت تتجمع أسبابها وتظهر بوادرها مما لا يجعلنا نميل إلى رأي كل من المؤرخين «جوستن» و«سنت جيروم» وهما اللذان يدهشان ويستبعدان قيام ثورة وطنية في تلك الفترة التي كان فيها ذلك الملك المظفر — الذي فتح «آسيا» — يحيط نفسه وبلاده بهالة من الفخار الحربي الذي كان ينبغي للمصريين أن يرفعوا به رءوسهم عاليًا. وقد تحدثنا عن هذه الفتوح في غير هذا المكان. ومهما يكن من أمر فإن هذه الثورة التي كانت كل الأحوال في البلاد مهيأة لها لم يكن سببها في بادئ الأمر قاصرًا على كره المصريين للمستعمرين وحسب؛ بل كان كسب لقمة العيش وضيق الحال من أهم الأسباب التي دعت إلى اشتعال لهيبها.

---

[٩] راجع: Streuve, Zum Toperorakel, Baccolta Lumbroso 1905, PP. 273–281.

[١٠] راجع: W. Otto, Beitrage sur selurkidengeschicht, p. 69, No. 5.

وعلى أية حال لا نعرف على وجه التأكيد مدى انتشار الثورة في البلاد، ولا أمد استعارها. ولما مات الملك «بطليموس الثالث» عام ٢٢١ق.م لم يترك وراءه خلفًا صالحًا لتولي العرش في فترة كانت البلاد في حاجة إلى ملك حازم. والواقع أن ابنه «بطليموس فيلوباتور» لم يكن الملك الذي تتطلبه مصر في هذه اللحظة، وبخاصة عندما نعلم أنه كان على عرش السليوكيين فتًى في مقتبل العمر ممتلئًا نشاطًا وقوة عزيمة في حين كان على عرش مصر شابًّا غرًّا لا يهتم قبل كل شيء إلا بالتمتع بملاذِّ الحياة ومباهجها. وقد وصفه لنا «بوليبيوس» بأنه كان ملكًا خاملًا، وفي الوقت نفسه يعرف من كل شيء طرفًا، كما كان مغرمًا بالبحث في الأمور الدينية الخفية، ولم يكد ينقضي على موت «بطليموس الثالث» إلا فترة وجيزة حتى ظهرت علامات حرب أكيدة كان لا مناص من وقوعها في مديريات «آسيا الصغرى» التابعة للإمبراطورية البطليمية. وقد تحدثنا عن هذه الحروب مليًّا في غير هذا المكان.

وفي هذه الفترة كان الرجل الذي يقوم بأعباء الوزارة هو «بطليموس» المسمى «سوسيبيوس» وكان سياسيًّا محنكًا، ومن ثم مد أجل المفاوضات مع «أنتيوكوس الثالث» بقدر ما وسعته الحيل، وكان في خلال ذلك يعمل على تمرين جيش عظيم من أبناء الشعب المصري للمرة الأولى في تاريخ البطالمة. هذا، وكانت الجنود المرتزقة تُجَنَّد بأموال باهظة في حين كان الجنود المصريون يُدَرَّبُون على فنون الحرب على الطريقة المقدونية.[١١] غير أنه مما يؤسف له أن روح الخيانة كانت تحلق فوق رءوس الجميع، وما لبثت أن ظهرت هذه الروح الخبيثة في علية القوم وفي الإغريق الذين كانوا مقربين من الملك والذين كانوا في ضيافته. وقد فطن لذلك «سوسيبيوس» في الحال، وأمر بأن يُقْضَى عليهم سرًّا. هذا، وقد رأينا — فيما سبق — أن ملك سبارتا «كليومنيس» والذي كان لائذًا ببلاط الإسكندرية بعد نفيه، لما رأى أنه قد صُدِمَ في آماله ولم يساعده «بطليموس» على استرجاع ملكه خرج عن عزلته وسار في شوارع الإسكندرية ومعه فئة قليلة من أتباعه مناديًا الشعب المصري بالقيام بثورة باسم الحرية. وقد كان أشد خطرًا من ذلك تلك الخيانة التي قام بها «تيودوتوس» Theodotos حاكم «سوريا» فقد كان من جراء ذلك خيانة الجنود وخروجهم على مصر، وذلك أن ما أحرزه هذا الحاكم من انتصارات في بادئ الأمر على

[١١] راجع: B. L. Hist. I. Pl. 304–6.

«أنتيوكوس» قد أثارت عليه حقد رجال بلاط الإسكندرية المقربين من الملك، لدرجة أنه خاف أن يُبْعَدَ عن سلطانه بل خشي أن يُغْتَال، وتدل شواهد الأحوال على أنه كان على حق.

والدليل القاطع على ذلك هو الاستعراض الذي وضعه أمامنا المؤرخ «بوليبيوس» وهو الخاص بالمنافسات التي ساقت حاكم «سوريا الجوفاء» هذا — الذي نحن بصدده — إلى خيانة «بطليموس» مليكه فإن الإنسان يفهم منها — من الوجهة النفسية — مفعول إحدى القوى التي تُعَدُّ من أعظم الأخطار التي قضت على كيان الدولة البطلمية. والمقصود من ذلك هو عادة اتباع سياسة شخصية، والسير على مقتضاها عند عظماء رؤساء الإغريق سواء أكانوا موظفين أو رؤساء أو مرتزقين، ولا غرابة في ذلك فإن الخيانة في صفوف الجنود المرتزقين كانت من الأمور العادية في الممالك الهيلانية التي كانت تستخدم هؤلاء الأجناد في شئونها الحربية، ولا أدل على ذلك من المواد المريبة التي نقرؤها في العقد الذي أبرمه «يومنيس» ملك «برجام» (٢٦٣–٢٤١ق.م) مع بعض رؤساء الجنود المرتزقين؛ حيث نرى كيف أن هؤلاء القواد كانوا مستقلين في تصرفاتهم، وأنه بمقتضى هذه المواد كان من أسهل الأمور عندهم خيانة من كانوا في خدمته.[١٢]

ولم يقتصر الأمر على ذلك؛ إذ نجد أن الحملة التي لعب فيها المصريون دور بطولة للمرة الأولى وكان لهم فيها القدح المعلى في إحراز النصر؛ كانت لحمتها وسداها تلك الخيانات على يد أولئك الأجناد الإغريق الذين وهبهم ملوك البطالمة أراضيَ شاسعة في أنحاء القطر مقابل خدماتهم الحربية. فقد رأيناهم في وقت تجمع الحشود لشن الحرب على العدو قد أخذت غيرتهم تنطفئ وحميتهم تتزعزع وعزيمتهم تخور. فمن ذلك ما نقرأه في بردية محفوظة الآن بمتحف «فرنكفورت» من أن هؤلاء الأجناد المرتزقين الذين كانوا يملكون أراضيَ في مصر وفي «سوريا» أصبحوا يفضلون البقاء في أراضيهم الزراعية على الذهاب إلى ساحة القتال مع العلم بأن هذا كان واجبهم الأول، والذي كان من أجله جلبهم ملك مصر من بلادهم.

هذا وقد فصلنا القول في المصادر التي يمكن الاعتماد عليها فيما يخص موقعة «رفح» الفاصلة فيما سبق.

[١٢] راجع: W. Dittenberger, Grientis Graeci Inscriptiones selectae. p. 266.

موقعة «رفح» ونتائجها

والواقع أن قصة هذه الواقعة قد وصت إلينا من مصدرين رئيسيين؛ أولهما: ما رواه المؤرخ «بوليبيوس» المؤرخ البطلمي الذي كان معاصرًا للملك «بطليموس الخامس» وابنه «بطليموس السادس». وقد حدثنا عن هذه الموقعة في كتابه الخامس؛ والمصدر الثاني: هو ما جاء في الرواية الديموطيقية التي وردت في مرسوم كُتِبَ بثلاث لغات وهي المصرية القديمة والديموطيقية ثم الإغريقية، وهذا المرسوم أصدره مجلس «منف» الكهني بعد انتصار المصريين في هذه الموقعة في ٢٢ يونيو عام ٢١٧ق.م وقد فصلنا القول فيه فيما سبق. ومما يلفت النظر في هذا المرسوم هو أنه على الرغم من أن الكهنة المصريين كانوا قد أصدروه كغيره من المراسيم للتمدح بمناقب الملك وما له من أيادٍ بيضاء على الكهنة وأهل البلاد عامة، فإنه لم يفتْهم هنا ذكر بعض التفاصيل التي وقعت أثناء المعركة؛ فمن ذلك أنه أُشِيرَ في المتن عن خيانة قام بها القواد مما يوحي إلى أنه كانت هناك فكرة القيام بعصيان في صبيحة النصر الذي أحرزه المصريون، مما اضطر الملك أو القائمين بالأمر إلى عقد صلح مشوه عزا المؤرخ «بوليبيوس»[١٣] سببه إلى رخاوة الملك وجبنه. ولسوء الحظ نجد أن متن المرسوم عند هذه النقطة غامض أو لم نصل إلى فهمه حتى الآن (سطر ٢٥ في الأصل)، وقد زاد الطين بلة أن كلًّا من المتنين الهيروغليفي والإغريقي وهو المقابل للمتن الديموطيقي قد ضاع عند هذه النقطة، ومن أجل ذلك نجهل إذا كانت الجملة الآتية وهي: «وعلى أثر خيانة القواد قد مهد ذلك لـ «أنتيوكوس» لأن يؤلف جيشه في مدة سنتين وشهرين، وبذلك عاد إلى مصر»؛ يُقْصَد بها القواد الإغريق الذين قاموا بالخيانة في أول المناوشات،[١٤] أو يُقْصَد قيام حركة عصيان كانت قد انفجرت بين الجنود قبل نهاية المعركة؟ وعلى أية حال فإنه لا يمكن القطع في معنى هذه الجملة الغامضة، وبخاصة عندما نعلم أن الأستاذ «سبيجلبرج» قد ترجمها بصورة مخالفة …

ولا نزاع في أن المصريين الذين كانوا يحاربون جنبًا لجنب مع هؤلاء الإغريق والمقدونيين المأجورين قد لاحظوا ما كانت تنطوي عليه نفوسهم من خيانة وأنانية؛

[١٣] راجع: Polyb., V. 7, 8-9.

[١٤] راجع: Gauthier — Sottas un decret trilinge. P. 57.

ومن ثم كان ذلك حافزًا لهم على أن يقوموا بدورهم بالمطالبة بحقوقهم المهضومة، تلك الحقوق التي كان ينكرها عليهم المستعمر الإغريقي والمقدوني وعلى رأسهم «بطليموس» نفسه. والواقع أن المصريين قد شعروا بعزتهم وقوتهم بعد أن برهنت الأحداث التي وقعت في واقعة «رفح» أن النصر الذي أُحْرِزَ فيها كان على أيديهم.

وتدل شواهد الأحوال على أن مطالبتهم بحقوقهم كان على أعقاب موقعة «رفح» بمدة قصيرة؛ فقد هبوا بثورة على حكم «بطليموس الخامس» نفسه. وعلى أن «بطليموس» عندما جند المصريين لمحاربة «أنتيوكوس الثالث» قد انتهج السبيل الذي يلائم موقفه لإخراجه من الورطة التي وُجِدَ فيها، غير أنه في الوقت نفسه قد كبل نفسه من حيث المستقبل؛ فقد كان الشعور السائد بين الأجانب والبطالمة بوجه عام هو عدم الثقة بالمصريين الذين كانوا يستعملونهم كعبيد أرقاء في زراعة الأرض والصناعات التي تحتاج إلى أجهاد وعناء، أما المصريون؛ فإنهم بعد خروجهم من موقعة «رفح» أخذوا يفخرون بما نالوه من نصر مؤزر؛ ومن ثم بدأوا يظهرون عدم الطاعة لأولئك الأسياد الذين لولا مساعدة المصريين لهم لضاعت مصر. ومنذ هذه اللحظة أخذ المصريون يبحثون عن عظيم من أبناء جلدتهم الأماجد ليكون رئيسًا لهم، ويمكنه أن يقودهم إلى الحصول على مطالبهم، ولم يَمْضِ طويل زمن حتى حصلوا على أمنيتهم، وإن كان بعض الأثريين يظن أن مدة البحث أخذت بعض الوقت.[١٥] وعلى أية حال فإن قيام المصريين بثورة مضافًا إلى خيانة القواد الإغريق قد جاء ضغثًا على إبالة؛ مما أدى إلى انتشار الفوضى في كل مرافق الحياة في مصر، وبخاصة في الوجه البحري في بادئ الأمر، وقد تحدثنا — فيما سبق — عن الأسباب التي كانت تتجمع شيئًا فشيئًا حتى وصلت إلى نقطة كان لا بد من أن تنفجر عندها الثورة، ولكن إذا استعرضنا هنا ما كان يراه المؤرخ «بوليبيوس» من حقائق أدت إلى قيام هذه الثورة لوجدناها قليلة بالنسبة إلى رأينا، على الرغم من أنها قد كانت كافية في نظره.

ولا نزاع في أنه من المبادئ الأولية لقيام ثورة في أي بلد أن يكون الشعب في غالب الأحيان قد أجمع رأيه على كراهية الحاكم الذي يسيطر على البلاد، وكذلك بغضه لنظام الحكم الذي تسير على نهجه الحكومة. أما «بوليبيوس» فكان ينظر إلى مجريات الأمور في

[١٥] راجع: Sottas, Revue de l’Egypte Ancienne I. P. (1924) P. 237, No. 1.

التاريخ بأنها تطور في القوى يتغير على حسب الأحوال؛ ومن أجل ذلك نجد هذا المؤرخ قد فسر ما كان يجري في مصر على أثر انتصار المصريين في موقعة «رفح» على أنه تغير في صلة القوة التي كانت بين الملك ورعاياه المصريين؛ ومن ثم نلحظ أنه لم يبحث الأسباب الاقتصادية والاجتماعية التي يصفها لنا. وقد أوضحنا في المقدمة التي أوردناها في هذا الفصل الأسباب التي أدت إلى هذه الثورة …

وعلى أية حال نعود هنا ونتساءل: هل يجب علينا أن نبحث عن أسباب هذه الثورة أو الثورات في الانفعالات النفسية المعادية للهيلانية أو بعبارة أدق للمستعمرين بوجه عام؟ حقًّا يجب علينا قبل كل شيء أن نعلم أن الخيانات التي ارتكبها الإغريق أنفسهم في ساحة القتال قبل الحملة بل ومن المحتمل عندما دقت ساعة النصر؛ هي التي كشفت لنا عن ضعف الملك وخوره، بل وضعف أداة الحكم وتفككها أيضًا.

هذا، ولن يفوتنا أن نذكر هنا أن الإسكندريين كانوا — كما سنرى على طول الخط طوال التاريخ البطلمي — هم الذين يحملون راية العصيان الذي كان ينتشر في البلاد فيما بعد في صور مختلفة، وقد دلت الحوادث على أن أهالي الإسكندرية هم الذين في أيديهم مصير ملوك البطالمة بسرعة خاطفة أكثر من سائر مصر، وذلك لأنهم كانوا على مقربة من الملك، ويعلمون بمجريات السياسة في العاصمة؛ ومن ثم كانوا على علم بالأسباب التي كانوا يعزلون بها الملك عندما يتراءى لهم ذلك في أي موقف من مواقف البلاد الحرجة، وبخاصة في المنازعات الأسرية، وبعد ذلك نتساءل: هل الثورة التي تنشب في البلاد، وتكون ضاربة بأعراقها الوطنية، ونابعة من وعي مصري مجمع عليه؛ لا يكون من بين صفوفها كل رجال الدين في البلاد؟

والواقع أن الجواب على ذلك يجب أن يكون بالإثبات؛ إذ تدل شواهد الأحوال على أن مركز الكهنة في هذا الوقت يشير إلى وجود روح ثورية على الرغم من أننا لا نعرف ما الحالة النفسية التي كانت عليها نفوس أتباع الإله «آمون» في تلك الفترة من تاريخ البلاد، ومن ثم قد لا يكون من الجزم أن نعطي رأيًا محايدًا؛ وذلك لأنه يجب على المؤرخ الفاحص أن يميز بعناية الفرق بين الولاء الذي كان يظهره كل من كهنة الوجه القبلي وكهنة الوجه البحري للملك؛ فقد كان هوى كهنة الوجه القبلي مع الثوار في حين أن هوى

كهنة الوجه البحري كان مع الملك؛ لما كان يغدقه عليهم من هبات وأعطيات[١٦] مما كمم أفواههم وأرضى أطماعهم …

ومهما يكن من أمر فإن مجمع الكهنة الذي عُقد في «منف» في السنة التاسعة من حكم «بطليموس الخامس» قد أصدر القرار الذي نُقِشَ على حجر رشيد الشهير. وفي هذا المرسوم يهنئ الكهنة الملك الشاب على معاقبته للثوار الذين عكروا صفو حياة المعابد وأتلفوها. وهكذا نجد أن الثوار قد هاجموا المعابد. ولكن يتساءل المرء: هل الهجوم على المعابد هذا كان القصد منه إلحاق الضرر بالمعابد نفسها ونهبها أم لأن الكهنة كانوا يظهرون ميولهم إلى الملك كما هي الحال في كل زمان ومكان؟ وعلى أية حال قد نجد جوابًا على هذا السؤال في الثورات التي ستأتي بعد. ويقول بعضهم: إنه يكفي أنه قد ذُكِرَ هنا أن هذه الثورة لم تكن موجهة للإغريق فحسب؛ لأنه لم يكن الكهنة ضمن صفوفها، وذلك لأن رجال الدين في الوجه البحري على الأقل كانوا هدفًا لهجوم الثوار، وقد قيل إن ولاءهم لـ «بطليموس فيلوباتور» كان سببه ما أسبغه عليهم من نعم. وقد جاء بيانه في صورة جلية في المرسوم الذي أصدره في «منف» وهو الذي عُثِرَ عليه في «بتوم» (تل المسخوطة الحالية). وفي اعتقادي أن هذا ليس بالبرهان القوي؛ وذلك لأنه قد تُوجَد في كل بلد أحزاب متناحرة متباينة في مبادئها، غير أنه يكون هناك في أغلب الأحيان وفي الوقت نفسه حزب قوي له الغلبة في نهاية الأمر، وهذه كانت الحالة في مصر.

وعلى أية حال كانت الثورة قائمة على قدم وساق، وقد كان لها رئيس كما يقول «بوليبيوس»، غير أنه كان ينقصها الوحدة والرابطة التي تربط بين أفرادها. وكان لا بد للملك أن ينصرف عن حياة المتعة واللهو؛ ليعلن الحرب على هؤلاء الخارجين، ولكن دون أن يشتبك معهم في موقعة منظمة أو حرب بحرية أو حصار أو أي شيء يستحق الذكر من الوجهة الحربية، اللهم إلا ما كان يُرْتَكَبُ من أعمال القسوة من كلا الطرفين، هذا بالإضافة إلى احتقار كل ما يشعر بالخلق الكريم[١٧] في هذه الحروب.

يدل على ذلك ما جاء في ورقة محفوظة الآن بمتحف برلين[١٨] يرجع تاريخها إلى نهاية القرن الثالث، تحدثنا كيف كانت تنظم مقاومة عصابة من الثوار في حومة الوغى القاسية

[١٦] راجع: Otto Pirester und Tempel I, PP. 204–206, Plutarch, De Iside and Osiride 21c.

[١٧] راجع: Polyb., frag XIV, 12.

[١٨] راجع: Berliner, Griechiche Urkunden (Agyptische Urk aus der Konigl. Museum zu Berlin. p. 1215).

التي يشير إليها «بوليبيوس». وهذه البردية هي قطعة من تقرير كان قد حرره — دون أي شك — ضابط شرطة، وهاك ما جاء في هذه الوثيقة:

> د ... اليوم الأول من الشهر هاجم المصريون الحرس ثم كمنوا في المكان، وعندما أُخْبِرَ الحرس بذلك جاءوا إلى قرب المكان، وعندئذ توجه المصريون نحو بيوت المنحنى، وعندما قربوا آلتهم من بيت «نختنبس» Nechthenibis الذي كان يقع عند ساحة المعبد بدأوا الهجوم. ولكن لما أخذ الحرس في هدم جزء من المتاريس عليهم تقهقروا. واعلم أن المصريين كانوا لا يحرسون القرية كما أمرناهم في بادئ الأمر؛ وذلك لأن «كالياس» Callias لم يحرر تقريره ...

وتدل الشواهد على أن الحرب التي كانت تقوم بين الطرفين كانت عبارة عن حرب كر وفر؛ أي مهاجمة جماعة من الحرس أو حصار بيت أو حصن يأوي عصاة، أو مهاجمة قرًى محصنة بالمتاريس كما حدثنا عن ذلك «بوليبيوس». هذا ولم يستثن من ذلك بيت المصري الخائن. والظاهر أن كل سكان القرية لم يكونوا في جانب الثائرين كما هي الحال في كل زمان ومكان؛ والسبب في ذلك أنهم كانوا يظهرون بمظهر عدم الاكتراث والتزام السكون خوفًا مما عساه يحيق بهم من عقاب على يد الحاكم الإغريقي على ما يظهر. والمعتقد أن الثوار كانوا يأتون من القرى؛ وذلك لأن الثورة لا تولد في داخل البلدة، وحقيقة الأمر أن عصابات أولئك الذين خرجوا على القانون كانوا يتخذون الصحراء ملجأً لهم، ويعيشون من الغارات التي كانوا يشنونها على المناطق الآهلة بالسكان. وهؤلاء المشردون كانوا من الذين فروا من أراضٍ كان إيجارها باهظًا لا قِبَلَ لهم به، أو من قرية كانت فيها أعمال السخرة لا تُحْتَمَل، أو من مصنع كان مؤجرو الملك يتطلبون من عماله مجهودًا لا يحتمله المرء. ومن ثم يمكن للإنسان أن يتصور بحق كيف أن الكثير من هؤلاء المتشردين قد انقلبوا إلى لصوص محترفين يعيشون من السلب والنهب من المناطق الآهلة بالسكان.

وعلى ذلك فإنه ليس لدينا أي شك في أن المتاعب التي وُصِفَتْ في مرسومنا يمكن أن تميز لنا منذ تلك اللحظة بأن العصيان الذي قام في أنحاء البلاد على النحو الذي وصفناه كان موجهًا على المراكز التي كانت فيها الحياة الاجتماعية لا تزال منظمة تنظيمًا حسنًا كالقرى والمعابد، وكان يقوم بهذا العصيان أولئك الذين كانوا قد أفلتوا من قبضة مطالب الحكومة الباهظة التي كانت قد تخطت وقتئذ حد المألوف من حيث الشدة، ومن ثم أصبح هؤلاء الخارجون لا يؤلفون جزءًا من المجتمع الذي يسير على حسب قوانين ينفذها الأسياد

المستعمرون الإغريق والمقدونيون على حسب أهوائهم ومصلحتهم ومصلحة خزانة الملك. هذا، وسنحاول فيما يلي أن نتحدث بصفة عامة عن هذه الناحية من الثورة التي يظهر أنها كانت تحوم في أفق البلاد. فنرى أنه على الرغم من أن سلطان «بطليموس» كانت تعمل على تقويض أركانه خيانات رؤساء البلاد من الإغريق والفتن التي كان يقوم بنشرها في البلاد أهل الريف، وهي التي كانت في الوقت نفسه حربًا على المستعمر وخرابًا للبلاد؛ فإنا نجد كذلك أن السلطة الملكية كانت معرضة لخطر هجوم عدو وافد من الجنوب، وهو الذي كان منذ قيام الأسرة الآمونية في مصر العليا واستقلالها في طيبة تلك البلد التي كان يحكم فيها «آمون» بوصفه ملكًا مستقلًّا منفصلًا عن الدلتا، ومن ثم كانت تقوم في وجه كل ملك آتٍ من الدلتا يسلب منها استقلالها، فكانت بذلك مملكة في وسط مملكة أخرى مستقلة، أو إن شئت فقل إقطاعًا مستقلًّا كما يقول بعضهم، غير أن «طيبة» كانت — كما سنرى — المحور الذي كانت تدور فيه الثورة.

الفرعونان «حرمخيس» و«عنخمخيس» والثورة التي قاما بها على البطالمة

لدينا عدة عقود ديموطيقية عُثِرَ عليها في الإقليم الطيبي مُؤَرَّخَة بسني الملكين «حرمخيس» و«عنخمخيس». وكان أول من كشف النقاب عن هذين الملكين المصريين اللذين قاما في وجه الاستعمار الإغريقي في عهد كل من «بطليموس الرابع» و«بطليموس الخامس» وأسسا لهما ملكًا في قلب المملكة البطلمية مكث نحو عشرين عامًا؛ هو الأثري «ريفييو». وذلك على حسب ما جاء في عقود ديموطيقية محفوظة الآن في «لندن» ومرسليا وبرلين. وقد تبعه في هذا البحث غيره من علماء الآثار، نخص بالذكر منهم «بركش»[١٩] و«بابيه» Baillet. وقد وصل فعلًا الأثري «ريفييو» إلى تحقيق اسمي هذين الملكين وقراءتهما قراءة صحيحة،

---

[١٩] راجع: Revillout ;(Bevue Archeologique, 1877 Novembre; A.Z. (3e et 4e Nos. 1879 Chrestomatic Demotique LXXXVI et suiv., Brugsch. A.Z. 1878, 2e Partie p. 48, et Baillet .sur le roi Hormhou; Rev. Egypt., 1re année p. 148, 2e année p. 8, 106; 109)

وعن المتون المؤرخة بعهد هذين الملكين الطيبين راجع: Nouvelle Christ. p. 109 et suiv., 126 et suiv.; Rev. Egyptol. 1er année, p. 121, 2e année, p. 16. See also in the number: Contract .de marriage de l'an 14 d'Anchmachis, p. 148 note 7

وذلك بعد أن وقع في يديه عدة عقود ديموطيقية مؤرخة بعضها بحكم الملك «حرمخيس» وبعضها الآخر بحكم الملك «عنخمخيس». هذا، وقد وضع العالم «لاكو» قائمة بالعقود التي من عهد هذين الملكين،[٢٠] وقد عاشا بوجه عام في حكم الملك «بطليموس الخامس إبيفانس» كما ذكرنا من قبل. وقدم لنا العالم «ريفييو» البرهان على ذلك بقوله: إنه في عام ١٨٧٩ ميلادية قدم له الأثري «لبسيوس» عقدين جديدين من عهد الملك «حرمخيس» كان قد اشتراهما حديثًا، وحوالي نفس الوقت كان متحف «برلين» قد اشترى بردية أخرى لا تقل أهمية عن سابقتها، وهذه الورقة الأخيرة حصل منها «ريفييو» على صورة تابعة لورقتي برلين المؤرختين بالعام السادس من عهد «حرمخيس»[٢١] وتحمل الأولى رقم ١٤٣ والثانية رقم ١٤٤. ونجد في هذه الأوراق أن امرأة تُدْعَى «تانفر» ابنة «بسيتون» قد نزلت إلى امرأة أخرى تُدْعَى «تستمن» ابنة «باخنوميس» عن نفس السدس الذي تملكه في ثلاثة حقول تقع في غربي «طيبة» وقد ذكرت حدودها بعناية. والواقع أن البردية الثالثة الجديدة التي تحمل رقم ١٤٦[٢٢] في متحف «برلين» تحتوي على ورقة واحدة، وقد دُوِّنَ عليها عقد النقد وعقد النزول كما هي العادة في الأوراق الديموطيقية الخاصة بعقود البيع. وفي هذه الورقة نجد أن «تستمين» تبيع ثانية بدورها نفس هذه الملكية إلى شخص آخر. وقد أُرِّخَ العقدان اللذان تحويهما هذه الورقة بالسنة السابعة من حكم الملك «عنخمخيس». وقد وجدنا اسمه في عقد من عهده موجود الآن بمتحف «مرسليا»، وعلى ذلك فإن الترتيب التاريخي لهذين الفرعونين قد أصبح ثابتًا بصورة قاطعة؛ فالفرعون «حرمخيس» هو الذي أُعْلِنَ أولًا فرعونًا على البلاد في «طيبة» في السنة الأخيرة من حكم الملك «فيلوباتور»، وخلفه «عنخمخيس» وهو الذي حارب «بطليموس الخامس إبيفانس» مدة طويلة، واستمر في محاربته حتى العام التاسع عشر من حكم الأخير. هذا، ونجد أن بين العقود الديموطيقية عقدًا مؤرخًا بالسنة السادسة من عهد «حرمخيس»، وفي عقد آخر السنة الرابعة عشرة من عهد «عنخمخيس»؛ أي إنهما قد حكما حوالي عشرين عامًا تقريبًا.[٢٣]

---

[٢٠] راجع: M. Lacon, Un graffite égyptien d'Abydos éctrit en lettre Grecque. Etude de Papyrologie II (1934) p. 242, No. 1.

[٢١] راجع: Nouvelle Chrestomathie, p. 122 ff.

[٢٢] راجع: Chrest. P. XCVIII.

[٢٣] راجع: Rév. Egypt. II année. p. 145, ff.

وعلى أية حال كان لا بد لنا من تمهيد بكلمة هنا عن تاريخ هذين الملكين المصريين البطلين حتى يمكن الدخول في الدور الجدي الذي قاما به للنضال عن حقوق المصريين في وجه الحكم البطلمي الجائر. وعلى الرغم من أن هذه الثورات التي قام بها أبناء مصر كانت المعول الأساسي لهدم أركان الحكم البطلمي في مصر والتمهيد لدخول الرومان؛ فإنا نجد بعض المؤرخين يقللون من أهمية الدور الذي لعبه كل من «حرمخيس» و«عنخمخيس»، ولا أدل على ذلك من أن بعض المؤرخين مثل «بڤان» قد ذكر — في كتابه عن تاريخ مصر — هذين الملكين في جملة واحدة عارضة كأنهما ليسا بالشخصيتين اللتين يُؤْبَه لهما. وفي ذلك يقول: إن العصابات المعادية كان يديرها رجلان اسمهما «إنماخس» و«حرماخيس» ويمكن أن يكونا مصريين يطمحان إلى حمل الألقاب العليا.[٢٤] ومن عبارة المؤرخ «بڤان» نفهم أنه لم يهتم حتى بذكر اسمي هذين الملكين على حسب الترتيب التاريخي لحكمهما البلاد. غير أننا نلتمس المعاذير للمؤرخ «بڤان»؛ لأنه قال في مقدمة كتابه إنه قد عني في كتابه بمصر الإغريقية أو البطلمية لا بمصر الفرعونية. أما عن جنسية هذين الملكين التي حامت حولها الشكوك؛ فليس هناك شك في أنهما كانا مصريين لحمًا ودمًا لمن درس تاريخ مصر وبلاد النوبة.

استمر نضال هذين الملكين في «طيبة» مدة تبلغ حوالي عشرين عامًا. غير أن بعض المؤرخين يتشكك في أنهما كانا مسيطرين طوال هذه المدة على «طيبة» وإقليمها؛ فمن ذلك أن المؤرخ «بوشيه لكلرك» يقول: إنه ضرب من المبالغة أن يتحدث المرء عن «طيبة» المستقلة.[٢٥] ولكن من جهة أخرى نجد أن المؤرخ «كرول»[٢٦] ينظر إلى هذين الملكين بأنهما كانا نوبيين، وأن غزوهما لـ «طيبة» كان آخر هجمة قام بها السودانيون لحكم مصر. غير أنه ليس لدينا — على أية حال — براهين تثبت أن البطالمة كان لهم سلطان على إقليم «طيبة» في تلك الفترة. والواقع أنه ليس لدينا حتى الآن أية وثيقة يمكن أن تُعزا بصورة أكيدة إلى عهد الملك «فيلوباتور» وتحمل رقمًا بعد العام السادس عشر من حكم هذا الملك في هذا الإقليم. وخلاصة القول: أن «طيبة» قد خرجت عن نطاق الحكم البطلمي، وأنه لم

---

[٢٤] راجع: Bevan, Hist. p. 260.

[٢٥] راجع: B.L. Hist. I. p. 365, No. 2.

[٢٦] راجع: Studien zur Geschicte der Alten Egypten, II, 3 Sitzungberichte der Wiener Akad, 1884, P. 369.

يُجْبَ منها ضرائب للبطالمة؛ إذ في الواقع ليس لدينا وثيقة واحدة تثبت أن ملوك البطالمة كانوا يجبون ضرائب من إقليم «منف»، وأظن أن في هذا ما فيه الكفاية للرد على كل أولئك المؤرخين الذين كانوا يظنون أن هذه الثورة كانت مجرد عصيان وأن «طيبة» وملوكها المصريين لم يكونوا مستقلين فيها.[٢٧] هذا، ونعلم أنه في العام السادس عشر من حكم «بطليموس الخامس» (٢٠٦ق.م) على وجه التأكيد أن أعمال البناء كانت قد أُوقِفَتْ في معبد «إدفو»، وذلك من جراء انفجار ثورة؛ وقد احتمت عصابة الثوار في داخل المعبد في حين كان القتال كذلك دائرًا في جنوب البلاد.[٢٨] وعلى أية حال فإن المطلع على تاريخ مصر يعرف جيدًا أن إقليم الجنوب وبخاصة إقليم «طيبة» الذي أُقِيمَتْ فيه المملكة المستقلة كان دائمًا موطن القلاقل المستمرة في العهد المتأخر من العصر الفرعوني، وبخاصة الفراعنة الضعفاء منذ الأسرة التاسعة عشرة. وكان «فيلوباتور» البطلمي ملكًا ضعيفًا نشأ في عهده حزب مصري يطالب باستقلال البلاد وإعادتها إلى ملوك تناسلوا من الفراعنة. وأعتقد إذن أن النوبيين لم يكن لهم وقتئذ ضلع يُذْكَر في هذه النهضة المصرية البحتة.

وعلى أية حال فإنه على أثر موت «فيلوباتور» نجد في واقع الأمر أن هذه الثورة الوطنية قد تطورت إلى أوجه ثلاثة. يرجع السبب في قيامها إلى ضعف إرادة الملك، وسوء الحالة الاجتماعية والاقتصادية، والشقاق الديني الذي كان متفشيًا في البلاد؛ وأخيرًا عدم الاستقرار السياسي في داخل البلاد وخارجها.

ففي الإسكندرية الثائرة من جراء قتل «أرسنوي الثالثة» أطاحت الثورة بحياة «أجاتوكليس» وبطانته — كما فصلنا القول في ذلك — وقد كان في ذلك شاهد عدل على تعلق الشعب الإسكندري بالملك «بطليموس الخامس» الطفل الذي لم يكن قد دنس بعد؛ غير أن هذه الثورة تكشف في الوقت نفسه عن الشهوات التي كانت تعرض النفوذ الملكي للمخاطر. وقد تحدثنا كيف كان «بطليموس الخامس» لعبة في أيدي الأوصياء الذين أُقِيمُوا عليه، وكيف أنهم في نهاية الأمر أفسدوا أخلاقه، وعرَّضوا البلاد للخطر.

وفي ريف البلاد نجد أن الفلاحين الذين كانوا قد سئموا نظام الحكم الذي كان غرضه الأول ابتزاز كل ما كان يمكن ابتزازه منهم وإفقارهم بكل الوسائل بجمع المال للخزانة

[٢٧] راجع: Chronique d’Egypte (1936), P. 531–532.

[٢٨] راجع: Dumichen. A.Z. (1870), p. 3 and PP. 8–9; Pl. II, P. 23–25.

على يد رجال الإدارة؛ قد قاموا بهجوم عارم في كل مكان على كل ما يمثل الثراء والسلطان والقوة الغاشمة دون أي تمييز؛ فهاجموا القرى والمعابد ومخافر الشرطة والموظفين الإغريق.

وفي إقليم «طيبة» نجد أن الثورة قد تمركزت وظهرت بأجلى معانيها؛ ففي مدينة «طيبة» نجد أن الإله «آمون» يستقبل النوبيين كما حدث ذلك كثيرًا جدًّا، وبخاصة في عهد «بيعنخي»؛ وذلك كراهية منه لنظام الإقطاع القديم الذي يقوم على مناهضة ملك ظن أنه قوي ويشعر أنه مزعزع السلطات في الوقت نفسه. ومن ثم نرى في المظهرين الأخيرين من مظاهر الثورة وأعني بهما ثورة الفلاحين وأصحاب الحرف وثورة أتباع «آمون»؛ كانت تصبغهما صبغة كراهية الهيلانيين. والواقع أن هذين المظهرين قد صادفناهما في جميع تاريخ الدولة الحديثة في عهد مصر الفرعونية؛ فقد لاحظنا قيام العمال بالإضرابات في جبانة «طيبة» وذلك لعدم دفع أجورهم أو لضآلة هذه الأجور في الوقت الذي كانت الأسرة المالكة في حالة فقر، كما حدث ذلك في جبانة «طيبة» الغربية في عهد الملك «رعمسيس» الثالث.[٢٩]

أما كهنة «آمون» فنعلم أنهم قد انشقوا على حكم الفراعنة في عهد الأسرة الواحدة والعشرين، وقد مهدوا لذلك بالثورة التي قاموا بها في عهد الملك «رعمسيس التاسع» كما فصلنا القول في ذلك (مصر القديمة الجزء الثامن). ولا نزاع في أن المظاهر الثلاثة التي تقمصتها الثورة في مصر كانت تعمل جنبًا لجنب على هدم سلطان البطالمة في مصر، وهذه المظاهر هي التي أدت إلى ضعف مصر في الخارج أيضًا، وسببت ضياع إمبراطوريتها على كر السنين، وبخاصة تدخل النفوذ الروماني الذي كان آخذًا في التزايد بصورة تلفت الأنظار.

فبعد أن قُضِي في الإسكندرية على الفئة الضالة التي كانت مقربة لـ «بطليموس الرابع» قضاء شاملًا نجد أن المربين أو الأوصياء الذين نُصبوا على التوالي لتنشئة «بطليموس الخامس» الطفل قد كانوا مُرَاقَبِين من قبل مجلس الشيوخ الروماني الذي فرض نفسه على مراقبة أحوال مصر، وقد رأينا كيف أن هؤلاء الأوصياء قد هوى الواحد منهم تلو الآخر بسبب الدسائس التي كانت تُحَاك لهم من نفس أفراد بطانة الملك وحاشيته. وقد كانت لكل من هؤلاء الأوصياء عيوب ونقائص قضت في النهاية عليه، ولا أدل على ذلك

---

[٢٩] راجع: Journal of Near Eastern Studies, vol. X. No. 8 July 1951, p. 137.

من المصير الذي لاقاه «تليبوليموس» الذي اشْتُهِرَ بجمع المال ومعاقرة الخمر، ثم خلفه «سكوبوس» الأتولي الذي أفلس الخزانة الملكية، ولا نزاع في أن هذين الوصيين قد مهدا لهزيمة «بانيون» مما كان سببًا في تمهيد الأحوال للأحزاب الثائرة في البلاد للقيام بأعمال التخريب، فزاد ذلك في تعقيد الأمور، وقد فصلنا القول في ذلك في مكانه. هذا، وفي الوقت الذي نجد فيه في الإسكندرية أن الإغريق يمزقون أوصال مملكة البطالمة التي كانت قد أصابها الهزال والضعف تحت ستار أنهم يقومون بخدمتها؛ إذ وصلت بهم الجرأة إلى أنهم باعوا — في المديريات الأسيوية التابعة لمصر — مدينة كان البطالمة قد فتحوها، وأصبحت ضمن أملاكهم، وأعني بذلك بيع مدينة «كونوس» لأهل «رودس» وذلك مقابل مائتي تالنتا،[٣٠] وفي نفس الوقت نجد أن ضباطًا من المصريين من الحرس الملكي يقدمون الولاء والطاعة للملك الصبي.[٣١]

وفي هذه الأثناء نجد في الوقت نفسه أن الخارجين الذين كانوا يتحرشون بالجنود الموالين لـ «بطليموس» يتجمعون في بعض الأماكن حيث كانت تنظم حصارات منظمة، ومن الجائز أن أحد هذه الأماكن المحاصرة هي بلدة «العرابة المدفونة» التي إن صح ما قاله كل من الأثريين «بردريزيه» Perdrizet و«لفبر» Lefebvre؛ وذلك على حسب ما جاء في نقش دونه جندي على جدار «ممنونيون» Memnonion في «طيبة» الغربية جاء فيه: إني «فيلوكليس» Philocles بن «هيروكليس» Hierocles من «ترزين» Trezene، لقد أتيت لأعبد «سرابيس» أثناء حصار مدينة «أبيدوس» (العرابة المدفونة) السنة السادسة الثامن والعشرون من شهر بئونة. ولدينا كذلك نقش مصري آخر كشف عنه الأثري «لاكو»[٣٢] وقد يجوز أنه من نفس العصر الذي نتحدث عنه، وهو لملك يُدْعَى «هورجونافور» Hurgonaphor ويحمل نفس الألقاب الملكية التي كان يحملها الملكان «حرمخيس» و«عنخمخيس» سالفَا الذكر، وهذا النقش دَوَّنَه نوبي كان يتحرق شوقًا ليكتبه بأحرف إغريقية في نفس المعبد، وقد عزا الأثري «جوجيه» هذا النقش السالف الذكر إلى عهد

[٣٠] راجع: Polyb., XXXI, 7, 6.

[٣١] راجع: Strack, Inschriften aus Ptolemaischer Zeit, Archiv. Fur Pa-pyrusforschung, II (1903) p. 548, No. 27.

[٣٢] راجع: Lacau, Un graffito d’Abydos écrit en lettres Grecques, Etudes de Papyrologie II (1934) PP. 229–246.

الملك «فيلومتور» وحصار «العرابة»؛ وأن الملك الجديد النوبي السالف قد عاش في عهده. ومهما يكن من أمر فإنه كانت هناك حرب دائرة رحاها في مصر العليا في بداية حكم الملك «بطليموس الخامس إبيفانس»، ولا أدل على ذلك من الإشارة التي لمح بها «شتراك»[٣٣] يذكر فيها بالخدمات التي قام بها والده في هذا العهد. وعلى أية حال ليس لدينا من البراهين ما يثبت أحد الرأيين.

ومن جهة أخرى لدينا حصار معروف تمامًا كان قد أُقِيمَ حول مدينة «ليكوبوليس» من أعمال الدلتا، ويرجع تاريخه إلى العام الثامن من عهد الملك «بطليموس الخامس». ذكر لنا هذا الحصار المؤرخ «بوليبيوس».[٣٤] وقد جاء ذكر نفس هذا الحصار في مرسوم «حجر رشيد». ومما تجدر الإشارة إليه هنا بصورة خاصة أن الرواية المصرية قد دُوِّنَتْ بصورة تنم عن حيوية أكثر وتفصيل أمتع إذا ما قرنت بالرواية التي جاءت في «بوليبيوس» عن نفس الحادث، وعلى ذلك فإنه من خطل القول والتحيز البين أن نحكم جزافًا دون درس وفحص بأن قصص الانتصارات التي وردت في المراسيم واللوحات الهيروغليفية قد أُلِّفت بصورة واحدة تقليدية، ولا أدل على كذب هذا الاعتقاد مما جاء في المتن التالي: «لقد سار الملك شطر «ليكوبوليس» وهي من أعمال مقاطعة «بوصير» وهي التي كانت قد اسْتُولِيَ عليها وحُصِّنَتْ، بغية حصار، بمستودعات عظيمة من السلاح وكل أنواع المؤن والذخائر. وقد كانت روح الثورة متغلغلة منذ أمد بعيد بين الكفرة الملحدين الذين كانوا قد تجمعوا هناك، وأحدثوا أضرارًا جمة في معابد مصر وسكانها. وقد أحكم الملك الحصار، وأحاط المدينة بسدود وخنادق، كما أقام جدرانًا عدة، وكذلك طم الترع التي كانت توصل الماء إلى هذه المدينة المذكورة، ولم يعمل قبل ذلك أبدًا الملوك شيئًا مثل هذا، ومن أجل ذلك أنفق أموالًا كثيرة. هذا إلى أنه أصدر أوامر للجنود المشاة والفرسان بحراسة هذه الجسور، وأن يتأكدوا من متانتها لمقاومة فيضان النيل الذي كان قد تجاوز في العام الثامن (من حكمه) مستوى الترع المذكورة، وهي التي كانت تحمل المياه لحقول عدة تقع في مستوى أسفل منها. وفي مدة قصيرة استولى على المدينة عنوة، وذبح كل الكفرة الملحدين الذين كانوا في داخلها، كما قضى «هرميس» (تحوت) و«حور» بن «إزيس» و«أوزير» فيما مضى في نفس المكان على الثوار.»

[٣٣] راجع: P. Turin., I, col. V, 1. 26.

[٣٤] راجع: Polyb., XXI, 19 (Ed. Didot).

ومما تجدر ملاحظته أن العصاة الثائرين هنا قد أُطْلِقَ عليهم لقب الكفرة، وأن الكهنة كانوا يُدعون موالين للملك. وكذلك نجد في نهاية هذا المتن أن العمل الذي قام به الملك وهو انتصاره قد شُبِّهَ بانتصار عظيم مماثل قام به الآلهة. ولا نزاع في أن الكهنة عندما كتبوا هذه المقارنة كانوا يرجعون في ذلك إلى أصل تاريخ قديم؛ فالملك «بطليموس الخامس» هنا هو «حور» العائش الذي نعرف مثيله في التاريخ المصري القديم منذ عهد بداية تاريخ مصر من لوحة «نعرمر» الذي مُثِّلَ عليها الملك في صورة صقر وهو يقهر أعداءه في الوجه البحري؛ ومن ذلك يجب علينا أن نفهم تمامًا أن كهنة مصر في عهد البطالمة عندما نقشوا هذه المراسيم في «منف» كانوا على علم تام بتاريخ بلادهم الذي توارثوه أبًا عن جد، وأنهم لم يدونوا كلمات خالية من المعنى.

وعلى حسب ذلك فإن هذه الثورات التي كانت مستقرة في البلاد تذكرنا بالثورات التي كانت تقوم في البلاد في أقدم العهود في مصر، وأن الآلهة الذين كانوا يعتبرون أول فراعنة حكموا مصر قد سيطروا عليها وأخضعوها.

وعلى ذلك فإن هذه الثورات كانت موجهة لمقاومة ملك مصر على حسب رأي الكهنة؛ غير أن «بوليبيوس» المؤرخ المعاصر لهذه الثورات كان يرى فيها أنها حركة عدائية قامت على الإغريق المستعمرين. وفي اعتقادي أن «بوليبيوس» كان على صواب عندما عبر عن هذه الثورة بهذه الصورة؛ إذ الواقع أن الملك كان قد ترك مقاليد الأمور في يد مواطنيه من الإغريق والمقدونيين كما فعل أسلافه من قبل فطغوا وتجبروا وابتزوا الأموال من الأهالي المعوزين مما أدى إلى قيام الثورات في كل أنحاء البلاد بعد أن طفح الكيل، ولم يصبح أمام الأهالي مخرج غير العصيان على سلطات الملك نفسه الذي كان في نظرهم بمثابة إله. وقد زاد الطين بلة أن هذا الملك كغيره من ملوك البطالمة لم يشرك المصريين أهل البلاد في إدارة شئونها؛ بل كان كل شيء في يد المستعمرين، ومن هنا كان التمييز العنصري الذي أحفظ الشعب المصري على الإغريق والمقدونيين.

غير أننا عندما نفحص طبيعة الإعفاءات الملكية التي وردت في مرسوم رشيد يمكن أن نقرأ فيها الغرض الذي كان يرمي إليه الشعب وهو تحسين حالتهم المادية، وأنهم لم يكونوا يبغون أكثر من ذلك. هذا هو تصوير الكهنة لمجريات الأحوال بما يتفق مع أطماعهم. والواقع أن ما عبر عنه «بوليبيوس»[٣٥] من طموح المصريين إلى ما هو أغلى وأثمن

[٣٥] راجع: Polyb., V, 107, 1.

من ذلك وأعني الحرية والاستقلال وطرد المستعمر؛ كان صحيحًا، ولا غرابة في ذلك؛ فإن المصري طوال مدة تاريخه لم يخضع لذل الاستعمار إلا عندما تضيق في وجهه السبل، ثم نجده يفرج عن نفسه بالثورات حتى ينال حريته في النهاية.

وعلى أية حال نجد أن موقف «بطليموس الخامس» في هذه الفترة التي كان فيها سلطانه في أيدي خليط من الفئات من الملتفين حوله، والذين كانوا يعملون على هدمه؛ يعتبر أعجوبة لحفظ التوازن في البلاد. فتخفيف الضرائب من ناحية عن كاهل الشعب يبرهن على أن الثورة قد ساعدت على استرداد الشعب بعض المطالب ذات الصبغة الاقتصادية والاجتماعية التي من أجلها قام بثورته، ومن ناحية أخرى نجد أن الهبات والامتيازات التي منحها الملك للكهنة وهي التي قد أصابت الاحتكارات الحكومية في الصميم؛ تبرهن على أن الكهنة الذين لم يكونوا في جانب الثوار قد فازوا بنصيب الأسد على حساب الثوار وعلى حساب الملك نفسه من الوجهة الاقتصادية.

ومع ذلك فإن محاولة الوصول إلى وفاق بين الشعب والملك بما جاء في مرسوم مجلس «منف» لم يَأْتِ بنتيجة إيجابية. ويتساءل الإنسان عن سبب فشل هذه المحاولة: هل كان هذا الفشل سببه أن ما منحه الملك من إعفاءات وهبات غير كافٍ في نظر الشعب الثائر؟ أو هل كانت هذه المنح — كما حدث غالبًا في العهد البطلمي — مجرد حبر على ورق في نظر الموظفين الإغريق الذين كُلِّفُوا بتطبيقها؟ الواقع أن الثورة لم تكن ترمي إلى الحصول على حقوق اقتصادية وحسب؛ بل كان لها غرض أسمى وهو الاستقلال والقضاء على فئة الحكام الإغريق الذين كانوا يتصرفون في مصائرهم، ومن أجل ذلك لم يَرْضَ الشعب المصري بأنصاف الحلول التي — مع ذلك — كان تنفيذها في أيد أجنبية. أما الكهنة فقد أخذوا نصيبهم ورضوا به على حساب الشعب المغلوب. وعلى ذلك نجد أن الثورات والفتن والاضطرابات قد استمرت وعلى رأسها ملك مصري شرعي اعترف به المصريون وهو «عنخمخيس» في الوجه القبلي، وقد ظل هذا الملك المقدام في نضاله إلى أن غُلِبَ على أمره. هذا، ولدينا رواية ديموطيقية لمرسوم إعفاء حُفِرَ على جدران معبد الفيلة، وقد فسر لنا مضمونه الأستاذ «زيته»[٣٦] على الرغم مما فيه من صعوبات لغوية ومحوٍ؛ بصورة رائعة تدعو إلى الإعجاب. ونعلم من هذا المرسوم أنه في العام التاسع عشر من

---

[٣٦] راجع: K. Sethe, Die historische Bedeuting des 2 Philadekrets aus der zeit des Ptolemaios Epiphanes, A. Z. (1917), PP. 35–49.

عهد الملك «بطليموس إبيفانس» أن رئيسًا — ظل اسمه غامضًا لدينا — قد أسر الملك «عنخمخيس» حيًّا ومعه جنوده الأثيوبيون. وقد وصف المرسوم البطلمي هذا الملك بأنه شرير وكافر؛ وليس ذلك بغريب، فإن هذا كان الوصف الذي يُوصَفُ به الأعداء دائمًا، وكذلك قيل عنه: إنه كان يجمع الضرائب في «طيبة»، مما يدل على أنه كان مسيطرًا على إقليم «طيبة» في هذه الفترة.

وتدل شواهد الأحوال كما يقول الأستاذ «زيته» الذي حلل المرسوم من الوجهة اللغوية تحليلًا دقيقًا أن الدقة النحوية في اللغة المصرية القديمة قد أكسبت هذا المرسوم قيمة تاريخية؛ إذ يقول: إذا كان اسم الملك «عنخمخيس» قد خُصِّصَ بعلامة تدل على أنه أجنبي، فإن المخصص الذي وُضِعَ بعد اسم الجيش الملكي هو مخصص يدل على أنه أجنبي أيضًا. وفي اعتقادي أن هذا المخصص الدال على أن الملك «عنخمخيس» أجنبي الأصل هو من صنع الكهنة، وقد عُمِلَ إرضاء الملك وبطانته. والأمر الذي لا مراء فيه هو أن «عنخمخيس» مصري قح.

وهذا النصر الذي أحرزه «بطليموس الخامس» في السنة التاسعة عشرة من حكمه قد دُوِّنَ على جدران معبد «إدفو» كما أشرنا إلى ذلك من قبل، هذا إلى أن الهدنة التي نُقِشَتْ على جدران معبد «إدفو» قد أعادت السلام في ربوع الوجه القبلي؛ فنجد أن معبد الإله «حور» الذي أقامه البطالمة لهذا الإله قد اسْتُؤْنِفَ العمل فيه بعد أن كان قد أُوقِفَ نحو عشرين عامًا. ويقول بعض المؤرخين: إن هذا النصر الذي أحرزه الملك «بطليموس الخامس» كان نصرًا على بلاد النوبة، وذلك بحجة أن الملك «أرجمنيز» — الذي كان يُعْتَبَر تلميذًا للملك «بطليموس الثاني»، وكان يُعْتَبَر محالفًا لـ «بطليموس الرابع» لا غازيًا للديار المصرية؛ قد اعتبر في عهد «بطليموس الخامس» ضمن الذين حاقت بهم البغضاء لكره كل ما هو نوبي؛ فقد رأينا أن الملك «بطليموس الخامس» أمر بمحو الطغراءات الخاصة بملوك النوبة التي كانت تتبع طغراءات «فيلوباتور»[٣٧] والده. وفي اعتقادي أن هذا المحو ليس له أية علاقة بالملك «عنخمخيس» الذي كان يُعْتَبَر ملكًا مصريًّا دمًا ولحمًا، ويعزز هذا الرأي أن «بوليبيوس» يحدثنا بقوله: إن «بوليكراتيس» قد أخضع آخر رؤساء الثورة في الوجه البحري، وتدل أسماؤهم على أنهم من أصل مصري.[٣٨] ومن ثم نفهم أن الثوار لم

---

[٣٧] راجع: Gauthier L. R. IV, P. 423–429.

[٣٨] راجع: Polyb., XXI, 20.

يكونوا في الوجه القبلي فقط؛ بل كانوا كذلك في الوجه البحري، وأنهم كانوا جميعًا يدافعون عن مبدأ واحد وهو استقلال مصر، وبالقول: مصر للمصريين لا للإغريق والمقدونيين.

وهؤلاء المناضلون المصريون قد عُذِّبُوا في «سايس» (صان الحجر) بصورة بشعة، كما فصلنا القول في ذلك.

تدخل الملك في إعادة النظام

هذا، ونجد في ترتيبات إعادة التنظيم، وهي عبارة عن مراسيم الإعفاء، أن التوبيخ الملكي للموظفين كان أكثر تطورًا مما نجده في بردية «تبتنيس» رقم ٧٠٣، وبخاصة هؤلاء الذين كانت تصرفاتهم سببًا في قيام الثورة. ومما تجدر ملاحظته هنا أن الملك كان قد عين حاكمًا عسكريًّا في منطقة «طيبة» في نهاية حكم «إبيفانس» ليكون على اتصال وثيق بما يقوم به الثوار. هذا، وكان هناك في نفس الوقت حاكم عسكري آخر في مصر الوسطى[٣٩] مما يدل على أن الثورة كانت على أشدها في كل أنحاء مصر، وأن الملك كان مهتمًّا بتتبع سير الثورات بنفسه. وفي عام ٢٢ من حكمه (١٨٤–١٨٣ق.م) نجده قد أصدر مرسومًا بأن يُحَالَ إلى الملك نفسه — الذي نصب نفسه قاضيًا خاصًّا[٤٠] — الموظفون الذين يُعْتَقَد أنهم قد ارتكبوا مخالفات عن قصد، وكذلك الذين ألقوا القبض على أفراد من الشعب ظلمًا وعدوانًا دون أسباب معلومة.

ولقد كان من جراء اهتمام الملك برعاياه إلى هذا الحد أن خفت وطأة الثورة نسبيًّا في البلاد في ظل حكم متطور، وذلك بتدخل الملك شيئًا فشيئًا بين القوى المختلفة الهدامة التي كانت تهدد بتدهور البلاد وانحلالها.

ولا غرابة في ذلك؛ فقد كان هناك قواد ووزراء من الإغريق ممن كانت شهواتهم تجنح إلى كسب الفخار وجمع المال بأية طرق، كما كان الكهنة من ناحية أخرى لا تنقطع طلباتهم لتثبيت امتيازاتهم دون مراعاة أي اعتبار آخر، أضف إلى ذلك كله أن الشعب المصري الأصيل كان قد نفد صبره من جراء ظلم الحكام الإغريق أكبر أعداء له، وبخاصة

[٣٩] راجع: OGIS. p. 103; P. Tebt., 778.

[٤٠] راجع: Sammelbuch, 5675 ; cf. E. Berneker Sondergerechtsbarkelt imgriechischen Recht Aegypten, Munchener Beitrage zur Pa–pyrusforschung and Antiken Rechtsgeschichte XXII, 1935, p. 61.

فئة الجباة منهم؛ فإنهم كانوا يمقتونهم من أعماق نفوسهم، هذا بالإضافة إلى ما كان يرتكبه الموظفون الإغريق الذين كانوا يحرصون على أن يظلوا رؤساء على المصريين دون قيد أو شرط بمقتضى القانون.

سوء الحال في البلاد بعد موت «فيلومتور»

ويُقَالُ إن النوبيين كانوا قد أخذوا يزحفون على حدود مصر في تلك الفترة. وعلى أثر موت «بطليموس الخامس» عام ١٨٠ق.م ساءت الأحوال في البلاد المصرية؛ وذلك لأن خليفته كان طفلًا لم يتخط الرابعة من عمره، وكان بطبيعة الحال تحت الوصاية، وقد كان صغر سن هذا الملك محرضًا لـ «أنتيوكوس الرابع» على مهاجمة مصر. غير أن الأمر في هذه المرة كان على العكس؛ إذ نجد أن مصر هي التي مهدت السبل لمهاجمة السليوكيين لها، فعندما كان «بطليموس السادس» لا يزال في الخامسة عشرة من عمره قام «أنتيوكوس إبيفانس» بهجوم على مصر عام ١٧٠–١٦٩ق.م للمرة الأولى، وقد تحدثنا عن هذه الحرب فيما سبق. والواقع أن الخيانة في الجيش المصري والخوف قد فكك أوصال المقاومة، يُضَافُ إلى ذلك أن هرب الملك بعد هذا قد جعل أية مقاومة لا جدوى فيها، وعلى أثر ذلك استولى ملك سوريا «أنتيوكوس الرابع» على زمام الأمور في مصر. وعلى الرغم من أن قصة هذه الحملة السورية على مصر قد قصها علينا المؤرخ «سنت جيروم» وصدق على ما رواه مؤرخون غيره، فإن قصة هذا الغزو المخرب للديار المصرية قد ظهر أنه مبالغ فيها لدرجة محاولة التقليل من نتائجها وأهميتها.

والواقع أنه لدينا الآن برديتان عُثِرَ عليهما في «أم البرجات» (تبتنيس) يمكن بوساطتهما أن يفهم الإنسان ما ذكره لنا «سنت جيروم» دون شك. وذلك أن «أنتيوكوس» قد سيطر فعلًا على السلطات الملكية في بلاد البطالمة، ولا أدل على ذلك في الواقع من أنه قد بقي لنا عنوان منشور أعطاه للجنود المرتزقين أصحاب الأراضي في «الفيوم» وقد سماها على طريقته «كروكو ديلوبوليت» بدلًا من الاسم الذي كانت تُسَمَّى به وهو «أرسنوي»، وكان ذلك بمثابة تذكار للملكة «أرسنوي». وعلى ذلك يجب أن نرى مع المؤرخ «فان جروننجن»[٤١] Van Gronengen أن «أنتيوكوس» كان يقصد بهذا أن يمحو أي تقليد

[٤١] راجع: B. A. Van Gronengen, Petite note sur Pap. Tebt. 698, Aegyptus 14 (1934), p. 120.

بطلمي في البلاد، ومن أجل ذلك محا اسم «أرسنوي» ووضع مكانه «كروكوديلوبوليت»،[٤٢] وفي خلال ذلك أعلن أهالي الإسكندرية الأخ الأصغر للملك «فيلومتور» ملكًا على البلاد وهو الذي أصبح فيما بعد «إيرجيتيس الثاني»، وعلى أثر ذلك حاصر السليوكيون — دون جدوى — المدينة التي كان يحكم فيها أخو الملك الفار وأخته. وبعد ذلك نعلم أنه عندما غادر «أنتيوكوس الرابع إبيفانس» الديار المصرية دخلها ثانية «فيلومتور» وتصالح مع أخيه، وقد كان من جراء هذا الصلح الذي لم يكن يتوقعه «أنتيوكوس» أن صمم على غزو الديار المصرية من جديد، وقد خرب في خلال هذا الغزو المعابد والقرى. وتشير ورقة بردي عُثِرَ عليها في «تبتنيس» رقم ٧٨١ إلى هذا التخريب، وهي مؤرخة بالسنة الثانية من حكم الأخوين المشترك بعد صلحهما، وكذلك حكم أختهما «كليوباترا الثانية» معهما عام ١٦٨ق.م. ولا نزاع في أن تخريب المعابد ونهبها على يد جيش كان يُعَدُّ أكبر إذلال لمصر يمكن أن يتصوره إنسان. ولا بد أن ذكرى الملك «قمبيز» وما عمله من مساوئ في مصر، وهي تلك الذكرى التي كثيرًا ما تُذْكَر في النقوش والتواريخ المصرية؛ قد أعاد إلى أذهان أفكار أولئك الذين كانوا لا يزالون يعرفون ماضي الديار المصرية الذكريات المؤلمة. وعلى أية حال فإن غزو مصر وتخريبها قد أحدث آلامًا كثيرة في نفوس الشعب، كما أوجد في نفوس علية القوم من أصحاب الضمائر الواعية في المجتمع المصري الكثير من الحقد والبغضاء، وكان من جراء ذلك أن ظهر في البلاد القحط والبؤس، وكذلك انحطت بصورة مفاجئة قيمة العملة.[٤٣] وقد أُوقِفَ الزحف السوري عند «إليوسس» Eleusis عند جدران الإسكندرية التي أخذت تقاوم.

وقد جاءت النجدة من قبل «روما» التي كانت لا تسمح بأن تُنْتَزَعَ منها مصر التي كان تُعْتَبَر غنيمتها. فقد أرسلت سفيرها «بوبيليوس لاناس» إلى «أنتيوكوس الرابع» فكان في ذلك القول الفصل؛ إذ اضطر إلى فك الحصار ومغادرة مصر على الفور.

ولقد كان من الطبيعي أن يرى الإنسان في مصر — التي نجت من بين «أنتيوكوس الرابع» — ثورة البؤس والهزيمة. هذا إلى أن الإسكندرية قد كشفت عن حقيقة ملوكها

[٤٢] ونحن نشاطر الأثري «أوتو» عندما قال عن هذا الحادث إنه كان أول ناقوس الخطر الذي أعلن بقرب نهاية الدولة البطلمية بصورة بارزة.

[٤٣] راجع: F. Heichelheim, Wirtschafliche Schwankungen der Zeit von Alexander bis Augustus, Jera (1930), PP. 31–32.

الذين كان الواحد منهم على أثر ثورة شعبية يُنْزَعُ من الملك، ثم لا يلبث أن يُطْرَدَ تمشيًّا مع نزوة يبديها الإسكندريون، ويحل محله آخر، فكان مثلهم كمثل ريشة في مهب الريح في نظر الشعب الإسكندري.[٤٤]

البطل «ديونيسوس-بتوسرابيس»

وفي غمرة هذه الأحداث الجسام ظهر — في أفق سياسة مصر الداخلية — رئيس من أبناء الوطنيين برهن على أن رجالات الشعب المصري الأصيل لا يزالون ينحدرون من أصلاب أبطال مصر الذين دوخوا العالم في غابر الأزمان، وأثبتوا أصالة مجدهم وعلو همتهم في المواقف الحرجة. ذلكم الرجل هو «بتوسرابيس» الذي اتخذ لنفسه اسمًا آخر إغريقيًّا وهو «ديونيسيوس».

لقد شهد هذا الرجل العظيم الأحداث التي كانت تجري بين «فيلومتور» وأخيه «إيرجيتيس الثاني» وصمم بما له من مكانة في بلاط الإسكندرية[٤٥] وقتئذ أن يجعل الشعب الإسكندري ينشق على «فيلومتور» وبعد ذلك يلتفت إلى «إيرجيتيس الثاني» فيقلب له بدوره ظهر المجن، وذلك بعد أن فشلت محاولات أبناء جلدته من المصريين في القضاء على نسل البطالمة الذين أذاقوا المصريين الأمرين، ونكلوا بزعمائهم أفظع تنكيل في عهد «بطليموس الخامس».

غير أن «بتوسرابيس» لم يُصِبْ نجاحًا في إثارة الإسكندريين، ولكنه قام في الحال بعد ذلك بإثارة المصريين الذين استجابوا لندائه وأعلنوا الثورة. وقد التف حول هذا البطل حوالي أربعة آلاف مقاتل من بني جلدته من الجنود الثائرين. ويتساءل المرء هل كل هؤلاء كانوا من جنود المشوش؟ الواقع أننا لا نعرف لذلك جوابًا. وعلى أية حال فإن جنود البطالمة الموالين لحكمهم قد تغلبوا عليهم كما تدل شواهد الأحوال، غير أن هذا الحادث في حد ذاته كان إيذانًا بقيام ثورة في مصر. كما فصلنا القول في ذلك فيما سبق.

[٤٤] راجع: Otto: Zur Geschichte der Zeit des 6 Ptolemaere, D. 88 ff.

[٤٥] راجع: Diodonus XXXI, 15a.

وقد كان من جراء هذه الثورة أن عم البؤس والشقاء بين الفلاحين حتى بلغ قمته؛ فقد كان النهب الذي نظمه الوزراء الإغريق في البلاد، والذي بلغ ذروته بما قام به «أنتيوكوس الرابع» من إشاعة الخراب بحملته على مصر، هذا بالإضافة إلى الحروب المضنية، وسوء سير الأحوال في البلاد، وانحطاط سوق التجارة مع الخارج؛[٤٦] كل هذه الأشياء قد كانت سببًا في نفاد كل مصادر خزانة الدولة حتى أصبحت قاعًا صفصفًا. وتدل شواهد الأحوال على أن هؤلاء الموظفين — المسئولين وقتئذ عن مالية الدولة — قد أصبحوا في حيرة من أمرهم؛ فقد كان عليهم أن يمدوا خزانة الدولة بأموال طائلة كان يتطلبها «بطليموس» الملس، وفي الوقت نفسه كانوا يخشون إرهاق الفلاحين الذين كانوا قد وصلوا إلى قمة الفقر والعوز. ولقد بلغ اليأس بهؤلاء الموظفين الغاشمين بسبب سوء التصرف إلى أن انقلب فريق منهم إلى ناهبين بدلًا من جامعي ضرائب، في حين أن فريقًا آخر منهم كان يخترع مبدأ المسئولية التضامنية للقرية، وكانوا يفرضون على أضعف الذين تحت إدارتهم — بكل حماقة — مسئولية فلاحة الأرض وزراعتها.[٤٧] ولا نزاع في أن مثل هذا السلوك في تسيير أمور الدولة كان يودي بسرعة على انحلال المجتمع وتفككه؛ ومن ثم وجدنا أن البلدان أخذت تنحل عراها.

وهكذا أصبحت مصر تعيش في ظل الفوضى والامتناع عن القيام بأي شيء إيجابي؛ فالنساء أصبحن يعشن وحيدات في قراهن، في حين أن الرجال — الذين لم يكونوا قد أخذتهم الحرب أو الثورة — كانوا يهربون من الأرض التي كانت تكلفهم ما لا طاقة لهم به من ضرائب. أما أولئك الذين كانوا أقل قوة وأقل احتمالًا لركوب المخاطر فلم يجدوا لأنفسهم ملجأ يأوون إليه في مثل هذه الشدة إلا الرهبنة، وهي الملاذ الوحيد الذي كان يلجأ إليه الإنسان عندما يرى أن كل ما حوله كان قاسيًا عليه. وقد كان في مصر وقتئذ مثل هذا الملجأ؛ فكان إله السرابيوم يدعو أمثال هؤلاء البائسين إلى جواره، ويبقي عليهم، وبذلك ينتزعهم من مجتمع غاية في الظلم والوحشية.[٤٨] ومن هذا نفهم أن أمثال هؤلاء الرهبان كانوا يتركون أسرهم تتقلب على أحر من جمر اللظى. ولقد تحدثنا فيما سبق

---

[٤٦] راجع: Restovizeff. The Hellenistic World and its economic Development. The American Historical Review, 41, (1936), PP. 223–252.

[٤٧] راجع: U. P. Z. 110.

[٤٨] راجع: Wilcken, Urkunden der Ptolemerzeit I, PP. 52–82.

عن أنات الألم التي كانت تنبعث من أمثال هؤلاء الرهبان الذين كانوا يأوون في سرابيوم «منف». ونخص بالذكر منهم هنا «بطليموس جلوسياس» الذي كان يُطْلَقُ عليه لفظة «الملبوس» (عليه عفريت). فقد لجأ إلى جوار ربه «أوزير-أبيس» (سرابيس) ومعه بعض رفاقه في مدة الاضطرابات.[٤٩] وعلى أية حال يظهر أنه كان آمنًا في هذا الملجأ حيث كان أفراده يقومون بإدارة شئونهم بهدوء وسكينة، وحيث كانوا أحيانًا يرفعون قضايا على ما أصابهم من ظلم وجور، ثم إنهم كانوا يسمعون ما يجري — في العالم الخارجي عن دائرتهم — من بؤس وشقاء؛ فقد كتبت زوج أحد هؤلاء الرهبان المسمى «أسياس» تقول له:

> إنك لم تَعُدْ في حين أن كل الآخرين قد عادوا. إني أجد ذلك شنيعًا، وإني بعد أن قدت قاربي إلى بر السلام، وكذلك قارب طفلك في وسط عذاب شديد، وإني بعد أن وصلت به إلى منتهى ما يمكن من الشدة بسبب ثمن القمح، فإني قد أملت بفضل عودتك أن أتذوق فضلة من الراحة، غير أنك لم تهتم بالعودة، كما إنك لم تقدر أبدًا سوء حالتنا.

وهذه الرسالة المؤثرة التي تتحدث عن نفسها يرجع تاريخها إلى عام ١٦٨ق.م؛ أي في الوقت نفسه الذي انفجرت فيه الثورة التي كان يديرها المصري «بتوسرابيس». وعلى أية حال فإني لست في حاجة إلى القول بأنها تصور لنا حالة الوسط الذي كانت تنمو فيه الثورة وتتطور، ولا نزاع في أن المجتمع المصري وقتئذ كان قد وصل إلى أقصى درجة من الفقر والآلام وسوء الحال.

حقًّا إن هذه الثورة التي قام بها المصريون وقتئذ على الأجانب وحكمهم قد ضمت بين جوانحها غير المصريين من الذين عضهم الفقر وسوء النظام الإداري في البلاد الذي كان يصب صوت عذابه على الفقراء عامة سواء أكانوا مصريين أو أجانب. ومن هنا يتجه نظرنا مرة أخرى إلى ما كانت عليه البلاد وقتئذ من نظام اجتماعي واقتصادي، وقد أخطأت المؤرخة «كليربريو» عندما قالت: «ومنذ الآن إذا اعتقدنا أن الثورة — التي أتت على أعقاب الغزو المزدوج الذي قام به «أنتيوكوس الرابع» على مصر — كانت ثورة اجتماعية

---

[٤٩] راجع: U. P. Z 14, 1, 9.

كما كانت سلالية، فإنا ندهش أكثر عندما نرى هؤلاء الثوار المصريين يقومون بالهجوم على الأماكن التي يجب أن تكون المعسكر العام لثورة مصرية لا تشوبها أية شائبة، وأعني بذلك المعابد.» والواقع أنه قد فات الآنسة «كليربريو» أن الثورة كانت في بدئها قد شُنَّتْ على ظلم الإغريق والبطالمة وفداحة الضرائب التي كان يدفعها الفلاحون وأصحاب الحرف، وقد كان ضلع الكهنة مع الملك الذي كان يسبغ عليهم الهبات والإنعامات مما كمم أفواههم وجعلهم يسيرون في ركابه. وعلى الرغم من أنهم كانوا يسيطرون على عقول الشعب؛ فإنهم مع ذلك كانوا لا يبحثون إلا عن فائدتهم وفائدة طائفتهم، ولا بد أن الجوع والفقر والبؤس التي كانت تغرس أنيابها في ضلوع الفقراء قد نبهتهم إلى نفاق الكهنة عند اشتداد الأزمات؛ فكانوا يقومون بثوراتهم دون تمييز بين ما هو ملك الإغريق وبين ما هو ملك المعابد.

وقد حدث مثل ذلك في عهد الأسرة الواحدة والعشرين عندما قام الشعب بنهب المعابد ومقابر الملوك الذين كانوا يعدون في نظرهم آلهة؛ وسبب ذلك أن الجوع كافر. هذا، وقد ضربت الآنسة «كليربريو» مثلًا يؤكد ما قلناه، وذلك عندما اقتبست بعض سطور عن عبث الأهالي بالمعابد وغيرها[٥٠] نذكرها فيما يلي:

> من رسالة تظلم موجهة للحاكم الحربي لمقاطعة «أرسنوي»[٥١] ورئيس معبد «الأمونيون» الخاص بالجنود المرتزقين أصحاب الأراضي، وذلك فيما يتعلق بخمسة وأربعين أرورا من مقاطعة «موريس» (من أعمال الفيوم) وهي: أن (محراب) المعبد المذكور قد (نُهِبَ) على يد قوم «أنتيوكوس» في الـ … العام الثاني (١٦٨)، وبعد ذلك استولى على الأرض المقدسة من جديد، وأصلح محراب المعبد القديم، وبعد أن هجم عليه الثوار المصريون، لم يكتفوا بتخريب بعض أجزاء ملحقة به؛ بل نجدهم هدموا أعمال المباني الخاصة بالمحراب، وكذلك أتلفوا أبواب الدخول والأبواب الأخرى التي يبلغ عددها مائة وعشرة بابًا، وكذلك هدموا جزءًا من السقف. أما أنا فإني بعد مضي بعض الوقت … دخلت في النضال، فأقمت متاريس حول كل الأبواب والمداخل؛ لأجل أن تظل بقية العمد محفوظة …

[٥٠] راجع: Chronique d’Egypte Ibid., P. 540.

[٥١] راجع: F. Tebtynis 781.

وعند هذه النقطة كُسِرَت الشكوى، وقد ظنت الآنسة «كليربريو» أن القائمين بأعمال النهب في هذه الحالة لم يميزوا بين ما هو مصري وما هو إغريقي، مما ألقى ظلًّا من الشك والريبة على الصبغة الاجتماعية للثورات، ونحن نجد نفس هذه الحال عندما قامت الثورة في عهد الأسرة الواحدة والعشرين، فإنها لم تميز بين ما هو ملك الإله وبين ما هو ملك الأفراد. لقد دفع الجوع الأهالي إلى ارتكاب كل ما يمكن الحصول به على لقمة العيش، وقد يكون أنهم هاجموا المعبد؛ لأن رجال الدين كانوا يساندون الإغريق أعداءهم، ومن ثم يمكن أن نعتبر أن أملاك الكهنة — الذين كان ضلعهم مع البطالمة — حلٌّ لهم. على أن ذلك لم يكن المثال الوحيد؛ بل هناك أمثلة أخرى في هذا الصدد تدل على روح العصر، وما كان ينطوي عليه من فوضى. ففي حوالي نفس العصر نقرأ أن بلدة «ديمة» الواقعة في الشمال الغربي من الفيوم قام فيها الثوار المصريون بثورة أجبروا فيها الأهالي على أن يسلموهم عقود الإيجار التي تشهد بحقوق الملكية، فأحرقوها بكل وحشية.[٥٢] ونعلم ذلك من التقرير الرسمي الخاص بالأسلوب الشرعي الذي بموجبه أُعِيدَت الحقوق للمصري ثانية. والمجني عليه في هذه الحالة كان مصريًّا ولا بد أنه كان من حزب الملك. وعلى أية حال فإن مثل هذا المنظر يقدم لنا صورة من صور الثورة التي كانت قائمة في البلاد، وتدل شواهد الأحوال على أن أساسها كانت حركات عدائية اجتماعية يقوم بها الفقراء المصريون على نظام أهل الثراء المجحف الذي كان سائدًا في البلاد.

وأصحاب الثروة — كما نعلم — وقتئذ كانوا هم الإغريق والملك. ومهما يكن من أمر فإن هذه الثورة كانت في بادئ أمرها موجهة على المستعمرين الذين نزفوا دماء الفلاحين والعمال من أهل البلاد المصريين، ولذا قام المصريون أهل البلاد لمحاربة من تعدى على أرزاقهم سواء أكان إغريقيًّا غنيًّا أو آخر ينتمي إليهم أو يساعدهم. ولست أوافق «كليربريو» عندما تقول إن هذه الثورة الشعبية كان منشؤها في الأصل ثورة اجتماعية شجعتها — من باب الصدفة — كراهية الشعب للإغريق؛ وذلك لأن الإغريق منذ البداية هم أس كل ما أصاب المصري من فقر وذل، ومن ثم تولد بغض المصريين لهم؛ فحاربوهم بسبب كل ما أصابهم من فقر وسوء حال ومظالم لم يكن لهم بها قِبَل.

وعندما ننظر ونفكر في الحروب الدينية في الوجه البحري حيث وجدنا أن القوم كانوا متجمعين تحت لواء واحد — بطبيعة الحال — من الوجهة الدينية والوطنية والاجتماعية؛

---

[٥٢] راجع: P. Amherst, 30.

فإنا نجد أن رجال الشرطة كانوا يسلكون مسلكًا مشينًا لا يختلف في شيء عن مسلك الثوار أحيانًا من حيث التمييز العنصري. وقد حفظت لنا أوراق السرابيوم صدى مناظر تفتيش انقلبت إلى سلب ونهب، وآية ذلك أن رجال السلطة الدينية والمدنية كانوا يفتشون الأماكن المختلفة هناك بحثًا عن أسلحة مُخَبَّأَة؛ لأجل أن يعملوا على عدم انقلاب المشاحنات إلى مذابح دموية؛ غير أنهم كانوا أثناء قيامهم بحملة التفتيش يرتكبون نفس الأعمال المشينة التي كان يرتكبها الثوار. يدلك على ذلك أن «بطليموس جلوسياس» الراهب قد سيئت معاملته مرتين في مدة شهر واحد؛ الأولى[٥٣] على يد مفتشي رجال الشرطة، والأخرى على يد مفتشي المعبد الذين شددوا عليه الخناق أثناء التفتيش[٥٤] لأنه إغريقي، ومن ثم نجد أن العنصرية كانت متوطنة في نفوس رجال الدين.

وعلى أية حال فإنه على الرغم من قيام الثورة في البلاد وانتشار البؤس لم تشل أبدًا حركة الحياة في مصر؛ فقد كانت تُحَرَّر العقود بين الأفراد في أنحاء البلاد كالعادة، كما كانت تأخذ العدالة مجراها، وتُجْبَى الضرائب من الأهلين؛ غير أنه لوحظ أن المحاكمات قد ازداد عددها في طول البلاد وعرضها، وكان معظم هذه المحاكمات ترجع إلى بواعث خلقية نجمت عن مطالبات مالية، ومن هنا نجد أن هذه المحاكمات قد كشفت لنا عن ارتباك فاضح في السلطة الملكية مما كان يتطلب — بإلحاح — الإسراع في القيام بعمل إصلاحات.

وتدل الظواهر على أن الثورة قد انتهت في عام ١٦٣ق.م غير أن مذاق شدتها وما جلبته من شرور كان لا يزال باقيًا. وعلى أية حال لم تصل إلينا حتى الآن أوراق بردية أو قطع استراكا أو نقوش تدل على أنه قد حدثت قلاقل خطيرة في إقليم «طيبة» ما بين عام ١٨٦ وعام ١٨٤ق.م اللهم إلا نبذة جاءت فيما كتبه المؤرخ «ديدور» في تاريخه العام تحدثنا عن حدوث قلاقل في مصر.[٥٥] ويقول «ديدور» إن الملك «بطليموس السادس» قد قام على رأس قوة لإخمادها. وهاك النص حرفيًّا: «لقد زحف الملك «بطليموس» نحوهم بقوات كثيرة العدد فاستعاد إليه إقليم «طيبة» في يسر إلا مدينة تُدْعَى «بانوبوليسن» التي أُقِيمَتْ على مرتفع قديم من الأرض، وظهر أنها أبدت مقاومة بسبب الصعوبات

[٥٣] راجع: U. P. Z. 5.

[٥٤] راجع: U. P. Z. p. 7.

[٥٥] راجع: Diod., XXXI, 17 b.

التي كانت تؤدي إليها. وقد سارع أنشط الثوار إلى الاحتماء فيها؛ وقد كان «بطليموس» يعلم من قبل ما انطوى عليه هؤلاء الثوار المصريون من جرأة لا سيما أن اليأس دفعهم للمقاومة والنضال عن هذه المدينة، ومن أجل ذلك ضرب الملك عليها حصارًا منظمًا. وقد استولى على المدينة بعد أن تحمل كل أنواع الخسائر، وعاقب المجرمين، ثم عاد بعد ذلك إلى الإسكندرية. والظاهر أن هذا الحادث قد وقع في عام[٥٦] ١٦٥–١٦٤ق.م.

وقد شاهدنا أن الثورة في هذه المرة قد تبلورت في موقع من المواقع المحصنة في إقليم «طيبة» الذي ورث حب النضال عن الماضي. وقد تساءلت «كليربريو» فيما إذا كان قد حدث تحالف نوبي وانفصال؛ أي إن النوبيين قد أغاروا على إقليم «طيبة» من جديد؟ وردت على هذا السؤال بالإيجاب على شرط أن تجعل الملك الذي قام بذلك هو «هورجونافور» Hurgonaphor والحصار الذي أُقِيم كان حول بلدة العرابة المدفونة في السنة السادسة من حكم الملك «فيلومتور» بدلًا من وقوعه في السنة السادسة من عهد الملك «إبيفانس»؛ أي في عام ١٦٤–١٦٣ق.م. وعلى ذلك تكون قد قامت هجمة جديدة من بلاد النوبة على مصر العليا على ما يُظَن، وبخاصة عندما نعرف ما كان يبديه الملك «فيلومتور» من اهتمام ظاهر لتحصين الحدود الجنوبية. واستشهدت على صدق هذا الزعم بما كان يقوم به «بوئتوس» Boethos الكاري — وهو شخصية غريبة في بابها — فقد كان يشغل وظيفة حاكم حربي، وفي الوقت نفسه كان يقوم بعمل قائد الجنود ونائب الملك، وهو الذي قام بتأسيس عدة مدن، وكذلك كان يقوم بوظيفة الكاهن الأكبر للآلهة في الفيلة.[٥٧] وعلى أية حال فإن ما ذكرته الآنسة «كليربريو» إنْ هو إلا محض فرض فحسب، وفي اعتقادي أن الحدود — من جهة بلاد النوبة — كانت قد وُطِّدَتْ في عهد «بطليموس الخامس» وأصبحت في أمان تام كما جاء في لوحة القحط. أما في الإسكندرية فإن الأحوال لم تكن مستقرة؛ إذ نعلم أن الإسكندريين قد طردوا منها «فيلومتور» منذ زمن وجيز قبل موته الذي وقع عام ١٤٥ق.م، ولم تكن مصر وقتئذ في حالة هدوء؛ إذ قام رجال الشرطة في عام ١٤٣ق.م بعمليات حربية في إقليم «اللبرنت» فقضوا هناك على عصابات من رعاع

---

[٥٦] راجع: Grenfell and Hunt. P. Tebt. 5.

[٥٧] راجع: O.G.I.S. III cf. V. Martin, Les épistratèges, PP. 173–174 et P. Gless. 36, No. 1/2. وتجد في هذه المصادر المتون التي عرفت عن هذا الحاكم العسكري.

القوم كانوا يقومون بأعمال النهب والسلب. راجع: Marter, Les Papyrus et l'histoire Administrative d'Egypte grec. Romaine, loc. Cit.

على أن الفرق بين أعمال النهب والسرقة هذه وبين العصيان الذي كان يقوم به الفلاحون يكاد يكون طفيفًا، فكل من الفريقين قد اضطرته الفاقة إلى ارتكاب ما قام به، ولا نزاع في أن نقائص أنظمة الحكم في البلاد كانت لا تزال موجودة؛ وذلك لأن النظام لم يعد إلى نصابه؛ فمن ذلك أن الحركة التي قام بها رجال الدين — وهي التي كسبوا بها بطريقة منظمة استقلالهم الذاتي — تتمثل أمامنا في الامتيازات التي نالوها في العام الواحد والعشرين (١٤٠-١٣٩ق.م) من حكم «بطليموس فيلومتور».[٥٨] وهكذا نجد أن القوى التي كانت تهدم سلطة الملك العليا قد كانت تسير قدمًا وبلا هوادة دون قيام أية ثورة علنية معروفة لنا حتى الآن.

وفي خلال هذه المدة كانت الإسكندرية تمهد لقيام ثورة على ملك البلاد الفاجر «إيرجيتيس الثاني» وذلك في السنة الأربعين من حكمه (١٣٠ق.م)؛ إذ أظهر الملك بتصرفاته أنه ليس خليقًا لحكم أرض الكنانة. وكان في قدرة أهالي الإسكندرية أن يعزلوا أي ملك لم يكن يسير على حسب أهوائهم ورغائبهم، وقد نصب بعده الإسكندريون على عرش الملك أخته وزوجه الأولى «كليوباترا الثانية»، وفي تلك الأثناء فر «بطليموس السابع إيرجيتيس الثاني» هو وزوجه الثانية «كليوباترا الثالثة» ابنة زوجه «كليوباترا الثانية» و«بطليموس السادس»، وقد تحدثنا عن ذلك فيما سبق، وقد فصل القول في هذا الموضوع المؤرخون القدامى والأحداث،[٥٩] وذكروا ما وقع من أحداث بشعة عُزيت إلى هذا العاهل، وفي الحال اتخذ فرار الملك هذا بمثابة حجة لعدم التعاون الاجتماعي معه، وقد أعلن ذلك في الوثائق الإدارية في العام الأربعين من حكم هذا الملك.[٦٠] وتدل الظواهر على أن الثورة في هذه المرة لم تظهر في صورة حدوث قلاقل أو عدم نظام؛ بل كانت تتمثل في المقاطعة، أو بعبارة أخرى الإضراب. ومهما يكن من أمر فإن الحال قد أسفر عن تمزيق البلاد إلى

[٥٨] راجع: P. Tebtynis. 6.

[٥٩] راجع: Diod., XXXIII, 28a; Justin XXXVIII, 8, II; Valere Maxime IX, 2, 5, cf. Strack, Die Dynastie der Ptolemaer, PP. 48–47; Bouche–Leclerq, Histoire des Lagids II, PP. 71–72.

[٦٠] راجع: P. Tebtynis 72, II, 45–46 ; 61(b), II. 30–31 ; P. S. I. 171, I. 34 ; P. London 401, I. 20.

حزبين؛ أحدهما موالٍ للملكة، والآخر موالٍ لـ «بطليموس السابع إيرجيتيس الثاني». ثم إن الثورة في هذه الفترة من تاريخ البلاد قد اتخذت صورة إضراب عام في المعاملة بين الجهات الموالية للملكة والجهات الموالية للملك. والواقع أن تقارير مديري الضياع الملكية قد ذكرت لنا نوعًا من الانفصال في فترة العزلة هذه (راجع P. Tebtynis 72, II, 45–46). ولا نزاع في أن هذه الحالة تشعرنا بمقدار الاضطرابات الداخلية في البلاد التي لا شك قد شلت حركة الأقاليم مثل منطقة الفيوم حيث كانت الإدارة الملكية يسير على نهجها مجتمع الفلاحين المزارعين.

أما في منطقة «طيبة» فكانت الأمور على العكس من ذلك؛ فإن الاضطراب فيها كان دائمًا يُصْبَغ بصبغة سياسية بارزة. ذلك أن المقاومة هناك كانت منحصرة في البلدان المحصنة؛ فكانت المدن تحمل الواحدة منها على الأخرى، ومن ثم لم نلمح فيها صدى الحركة العظيمة الجماعية، بل كان ما يُرى فيها هي الحرب الصغيرة بين قرية وأخرى حيث تظهر بصورة أكيدة روح لجولات لمجتمع ثائر على مبدأ تمركز السلطة الملكية. أما من حيث طريقة التأريخ في هذه البلاد التي كانت يتنازع السلطة فيها ملكان، كل يدعي أنه هو الملك الشرعي، فإنه يمكن تحديد تأريخ الأوراق البردية والاستراكا في أقاليم «طيبة» حيث كان يُعْتَرَف بحكم الملكة «كليوباترا الثانية» في فترة الشقاق. ففي «طيبة» و«الجبلين» لدينا قائمة تحتوي على وثائق مؤرخة تأريخًا متسلسلًا بسني حكم «إيرجيتيس الثاني» مما لا يدع مجالًا للشك في أن «كليوباترا الثانية» لم تكن تحكم في هذه المنطقة، ومن جهة أخرى وُجِدَتْ في «أرمنت» متون مؤرخة بالسنة الأولى والثانية من حكم هذه الملكة. وحقيقة الأمر أنه في يناير من العام الأربعين من حكم «إيرجيتيس الثاني» كانت تُجَهَّزُ حملة على «طيبة» لمحاربة بلدة «أرمنت». ونعلم هذا الحادث من رسالة جندي[٦١] يطمئن فيها والديه، وبأن يبقيا في «الجبلين» على ولائهما، ويخبرهما بالخبر التالي: «لقد علمنا أن «باوس» قد صعد في النيل في شهر طوبة ومعه قوات كافية لإعادة النظام في «أرمنت»، وليعامل أولئك الذين حرضوا على القلاقل بمثابة خارجين.»

و«باوس» هذا كان القائد الحربي. وقد دُهِشَتِ المؤرخة «كليربريو» عندما وجدت أن مصريًّا كان يقود الجنود الموالين للملك، كما دُهِشَتْ عندما رأت أن مصريين كانوا يهاجمون المعابد ويحرقون عقود أملاك مواطنيهم، وقد علَّقت على ذلك بقولها: «إن هذا

[٦١] راجع: Wilckens, Chrestomathie No. 10.

يجعلنا نتخلى عن الفكرة القائلة بأن ثورات المصريين في عهد البطالمة قد كانت في الأصل ناشئة عن الكراهية للهيلانيين. ثم تقول: إننا نقبل الحقائق دون أن ندهش، ونجتهد في أن نستخلص منها ما توحي به.» والواقع أن ما فعله القائد المصري كان ثمنًا للوظيفة التي مُنِحَهَا، والتي كانت في العادة لا يُنَصَّب فيها إلا إغريقي. أما مهاجمة المعابد وحرق عقود الملكية فقد قام به الثائرون لأن رجال الدين كان ضلعهم مع الملك لما أغدقه عليهم من نعم، كما أن حرق العقود لا بد أن سببه كان من تحيز أصحابها للإغريق وقبول حكمهم الجائر مقابل مساعدتهم على إخماد الثورة، وهذا ما يحدث في كل زمان ومكان بين أولئك الذين يخونون بلادهم من أجل مصالحهم الخاصة![٦٢]

وعلى أية حال نجد أن «إيرجيتيس الثاني» في العام الثالث والخمسين من حكمه قد كان لا يزال في حملته على «كليوباترا»[٦٣] وفي العام الرابع والأربعين يحتمل أنه كان في حملة في الوجه القبلي، وفي العام الثامن والأربعين من حكمه كانت كل من «أرمنت» و«كركوديلوبوليس» — التي في منطقة «طيبة» — معلنة الحرب عليه. وكانت طرق الهجمات التي يقوم بها الثوار في مثل هذه الجهات دائمًا واحدة لا تتغير، وذلك أنه أثناء الليل كانت تقوم فئة من الرجال من الذين أوتوا بسطة في الجسم مسلحين بنبابيتهم فيوقعون الأذى بالحراس الذين كانوا يحرسون السدود، ثم يقومون بعد ذلك بعمل ثغرة في الجسور مما يسبب إغراق أرض العدو وإتلاف زرعها.

وفي العام التاسع والأربعين ثارت المقاطعة «الطينية»[٦٤] أيضًا.

هذا، ومن المحتمل أنه في العام الثاني والخمسين من حكم هذا العاهل ينبغي أن نذكر ضرب حصار لمدينة «بانوبوليس».[٦٥] هذا، ونعلم أنه في العام الثالث والخمسين من حكمه، ومن الملف الصغير الخاص بمقاطعة «طينة» المحفوظ الآن في فلورنس قد كان هناك هجوم جديد على سدود الحياة.[٦٦]

ومن كل ذلك نعلم أن الثورة الطيبية كان لها إذن طابع فريد في بابه؛ ففي حين نرى أنه في الوجه البحري وفي مصر الوسطى كانت الثورات التي يقوم بها الناس تتمثل

[٦٢] راجع: Chronique d’Egypte Ibid., p. 544 No. 3.

[٦٣] راجع: Wilckens, Chrestomatie No. 11.

[٦٤] راجع: P. S. I. 171, 1. 34.

[٦٥] راجع: P. Grenfell et Hunt, Commentaire à P. Tebtynis I, 5, II, 134–138.

[٦٦] راجع: P. S. I. 168.

في الإضراب عن العمل الذي كان بصورة جماعية، بينما نجد في الجنوب أن البلاد كانت مقسمة إلى قرى معادية. ولم نعثر في النقوش أو الوثائق في تلك الفترة على نشوب حرب بين حزب مصري وحزب إغريقي، ومرجع ذلك على ما يُظن أن سكان القرى كان معظمهم من المصريين بينما كان إغريق القرى في معظم الأحيان من الطبقة الفقيرة التي كانت ترزح تحت أعباء ضرائب فادحة، شأنهم في ذلك شأن المصريين.

ولم يقتصر المجهود الذي يبذله الملك لمقاومة هذه الاضطرابات الوطنية بوساطة رجال الشرطة وحسب؛ بل كان يتدخل القضاء في تهدئتها أيضًا، ولا أدل على ذلك من أنه منذ عهد الملك «فيلومتور» — ومن المحتمل كذلك في عهد «بطليموس السابع إيرجيتيس» — صدرت الأوامر والمنشورات الدورية؛ لتحدد في غالب الأحيان مركز الملك بالنسبة للقوات الخارجة على النظام، وهذه الأوامر والمنشورات قد أعطتنا الفرصة لنرى نمو هذه القوات المعادية وتؤكد نجاحها.[٦٧] وسلسلة المراسيم التي أصدرها «إيرجيتيس الثاني» في العام الثاني والخمسين من سني حكمه (١١٨ق.م) تُعْتَبَر من أثمن الآثار التي قدمتها لنا الأوراق البردية،[٦٨] وقد كان الغرض من هذه المراسيم — كما فصلنا القول سابقًا — ألا يكون قاصرًا على حسم القلاقل وأثرها السيء؛ بل كذلك لإيقاف المظالم التي كانت فاشية. وتقول الآنسة «كليربريو»: إنه ليس لدينا — مما بقي من هذا التشريع — ما يشعر بتصحيح مركز سلالة بالنسبة إلى سلالة أخرى، أي ما يشعر بتصحيح مركز المصريين بالنسبة للإغريق وغيرهم من أصحاب المكانة الرفيعة. والواقع أن الإغريق كانوا هم الرؤساء وأصحاب اليسار في البلاد، ومن ثم لم يكن هناك أية مقارنة بينهم وبين المصريين الذين كانوا يعملون لإسعادهم وإسعاد الملك. وعلى أية حال فإن الإعفاءات والإصلاحات كانت ممزوجة بالرسومات التي صدرت لإصلاح المظالم؛ فكانت الإعفاءات تشمل الجرائم والأضرار التي أحدثتها الحروب الأهلية. هذا، وينبغي أن نضع هنا جانبًا مناظر العنف العادية والحرائق، وأعمال التخريب وهي التي نجدها مشتركة في الثورات، ولدينا أعمال أخرى ذات طابع تجريبي ذي أهمية أكثر؛ فمن ذلك ما نسمعه كثيرًا عن سلب المعابد كما ذكرنا الأمثلة على ذلك، وهذا يؤكد أن الكهنة لم يترأسوا الحركات الثورية؛

[٦٧] راجع: P. Tebtynis 703, OGIS 90, U. P. Z. 110, P. Tebtynis 6.

[٦٨] راجع: P. Tebtynis 5 ; Preisiche, Die Friedenskundgebung des Konings Eurgetes II, Archiv. F. Pap., V (1913) PP. 301–16.

لأنهم لم يكونوا في حاجة للقيام بأية ثورة لا سيما أنهم نالوا من الملك كل حقوقهم وأكثر منها، وبذلك ضمهم إلى جانبه.

ولا ريب في أن علامات سوء النظام الذي كان متوغلًا في البلاد بسبب إجحاف الأجانب وشره ملوك البطالمة كان يتمثل بأجلى مظاهره في الأرض التي تركها زراعها، وفي الرجال الذين تركوها وأصبحوا يعيشون على السلب والنهب، وفي الضرائب وخراج الأطيان التي لم تُدْفَع، وفي الحقول التي تُرِكَتْ بورًا، وفي أعمال الري التي أُهْمِلَتْ، وفي التوريدات التي بقيت مستحقة للاحتكار الملكي، وأعمال السخرة التي لم تؤد، والضياع الملكية التي اغتصبها أولئك المزارعون الذين يزرعونها مدعين حق ملكيتها بصفة مستديمة، ولا نزاع في أننا قد لحظنا فعلًا مثل هذه الصورة في عهد الملوك السابقين، هذه الصورة التي تتمثل أمامنا في مصر دائمًا عندما يكون على رأسها ملوك ضعفاء لا سلطان لهم، ولا أدل على ذلك من عهد الثورة الاجتماعية العارمة التي قامت في مصر بعد سقوط الدولة القديمة، وهي تلك الثورة الجبارة التي تُعد في نظر التاريخ أول ثورة اجتماعية في التاريخ القديم، وبها بدأ الإنسان الفقير — للمرة الأولى — يطالب بحق الحياة الكريمة جنبًا لجنب مع صاحب الثراء (راجع مصر القديمة الجزء الأول).

وعلى أية حال يمكن الإنسان أن يخمن كم من تقصير في تأدية الواجبات المدنية كالتي ذكرناها هنا كانت سببًا في إفلاس الملك ماديًّا والتطويح بعرشه. والواقع أن الملك عندما يكون متحليًا بحس سياسي صادق حكيم فإنه يصبح في مقدوره أن يبتعد عن الصدام مع شعب بأكمله قد سِيئَتْ إدارته على يد حكام ظالمين؛ بل على العكس ينبغي عليه أن يستميح شعبه عذرًا؛ إذ إنه لا يعتبر أن شعبه عدوه، ومن أجل ذلك يجب عليه أن يعاقبه، وفي الحق أن عامة الفلاحين في مصر لم يكونوا يحقدون على الملك؛ بل كان كل حقدهم منصبًّا على موظفيه، ولا شك في أن هؤلاء الفلاحين وهم الذين يؤلفون القوة الخارجة على السلطان الملكي قد كانوا محقين في خروجهم على كبار الموظفين؛ إذ في الواقع نرى هؤلاء كانوا يدعون لأنفسهم امتيازات ملكية ليست من حقهم؛ فمن ذلك أن موظفي الجمارك كانوا يستولون دون أي حق على البضائع التي تدخل الإسكندرية، وكذلك يحصلون أو يفرضون ضرائب لم تكن في الحسبان. يُضاف إلى ذلك أنهم لما كانوا هم الذين يديرون الأراضي المقدسة؛ فإنهم كانوا يضمون أحسن الأراضي التي كانت تملكها الآلهة إلى ضياع الملك الحقيقية، وفضلًا عن ذلك كانوا يفرضون ضرائب فادحة على الفلاحين الملكيين لا قِبَل لهم بدفعها، ويحتالون على ذلك باستعمال مكاييل مزيفة أكبر من المكاييل القانونية،

وذلك عند تسلمهم ضريبة القمح المفروضة على كل فلاح حسب الأرض التي يزرعها. هذا، وكانوا يستولون لأنفسهم على أحسن الأراضي من حيث الخصب، وكذلك نجدهم يسخرون — لخدمتهم الخاصة — رجال الملك من الفلاحين، وكذلك العمال الخاصين بالاحتكار.

ومما زاد الطين بلة أنهم كانوا يحفظون لأنفسهم الأموال المحصلة للخزانة الملكية.

وأخيرًا وليس آخرًا كان جماعة هؤلاء الموظفين يحاكمون رعايا الملك ويحبسونهم دون محاكمة، ولا شك في أن هذا التصرف يُعَدُّ أخطر علامة تدل على ازدياد قوة هؤلاء الموظفين واستقلالهم وعدم الاكتراث بأي قانون ملكي. وفي هذه الفترة نجد أن الصورة كلاسية لعصر تضعف فيه الملكية. فالسلطة الملكية تتمزق وتوضع في أيدي الموظفين الذين يدعون حقوق الرياسة ليصبحوا أصحاب السيطرة الفعلية، وهذا هو نفس الموقف الذي وقفته مصر في اللحظة التي تسلم فيها الفرعون «حورمحب» مقاليد الحكم بعد أزمة «تل العمارنة». ومن الغريب المدهش أن كل هذه الأعمال التي تدل على العسف والظلم والاضطهاد كانت لا تزال مميزة للمساوئ التي كانت تُرْتَكَب في حكم الملك «إيرجيتيس الثاني» وهو الذي حرم العمل بها، وقضى عليها جملة بالمراسيم التي أصدرها على الرغم مما عرف عنه من ارتكاب أبشع الجرائم وأفظعها. وعلى أية حال لم يَكْتَفِ بإصدار هذه المراسيم؛ فقد رأى — لأجل جعل وقوع مثل هذه الموبقات أمرًا مستحيلًا — أنه من الواجب عليه أن يغير قانون الموظفين، وذلك بعدم جعله ضمن مسئوليتهم، وقد كان هذا هو العلاج الوحيد؛ غير أن ذلك لم يكن بالأمر الذي يمكن تفهمه في هذا الوقت. يُضاف إلى ذلك أن المراسيم في نظرهم كانت مجرد حبر على ورق، ولا أدل على ذلك من أنه في عام ١١٤ق.م ثارت قرية من قرى «الفيوم» على الحكام الملكيين الذين أساءوا استعمال سلطتهم.[٦٩] ويطيب لنا أن نذكر هنا أنه كانت توجد سلطة أخرى — بجانب سلطة الموظفين — تدعو إلى الانحلال في طول البلاد وعرضها وهي سلطة المعابد، أو بتعبير أدق سلطان رجال الدين الذين كانوا منتشرين في كل ركن من أركان البلاد في المدن والقرى صغيرها وكبيرها. وهذه الطائفة كان جل هم رجالها أن يحصلوا لأنفسهم على استقلال ذاتي سياسي، وقد كان هذا أكبر خطر يتهدد البلاد؛ لما لهم من نفوذ روحي على الشعب. ولم يُبْدِ الملك أمام قوة الكهنة هذه أية مقاومة، فقد كان يعطيهم امتيازات وإعفاءات، ولم يحتفظ لنفسه إلا بشيء واحد هو وراثة الوظائف التي اشتراها بيت المال؛ وذلك لأنه رأى

---

[٦٩] راجع: P. Tebt. 15.

أنه إذا منح الكهنة — بالإضافة إلى المنح والإعفاءات التي نالها الكهنة بمقتضى مراسيم عدة — وراثة الوظائف أيضًا فإن ذلك كان يضع في أيديهم قوة إقطاعية حقيقية، وإذا كان من الواجب عليه أن يحرمها فإن الأمر كان فعلًا قد وُضِعَ على بساط البحث.

ونجد في الوقت نفسه الذي كان فيه الملك يخفض من عدد الموظفين أنه كان يبحث في أن يضم إليه قوة الصناع الذين كانوا مصدر ثرائه. فقد انتزعهم من شر الآفات التي تعمل على القضاء عليهم؛ لأجل ألا تخلو منهم المصانع والحقول الملكية[٧٠] ومن أجل ذلك أعفاهم من توريد ما كانوا يدفعونه كل ثلاثة أشهر من كراء للجند،[٧١] كما منح أولئك الذين اشتروا عقارات من الخزانة حق الملكية التي لا نزاع فيها، على أن تكون حرة من الالتزامات الشرعية.[٧٢] وبهذه الإجراءات يُلْحَظ أن هذا العاهل كان يعمل على تثبيت رعاياه في أعمالهم وفي أماكنهم، وهذه كانت ضرورة لسياسة استغلال خيرات البلاد لسد حاجة الخزانة. يُضَاف إلى ذلك أن المراسيم كانت تزيد — في نفس العصر — في محتويات حقوق الجنود أصحاب الأطيان في الأرض التي يزرعونها، وكانت كذلك تتسابق إلى نفس الغرض[٧٣] المضعف للدولة.

وأخيرًا عمل «بطليموس السابع إيرجيتيس الثاني» على محو بعض الارتباكات في الإجراءات القانونية؛ وذلك بأن حد بوساطة العقود من سوق القضايا التي كان يمكن أن تُقام بين الأفراد المتعاقدين، وهذه كانت عملية بسيطة لوضع الأمور في نصابها.[٧٤]

غير أن هذا المجهود التشريعي لم يُجْدِ نفعًا؛ وذلك لأن الأوامر التي صدرت في عام ١١٨ق.م أي في عهد «إيرجيتيس الثاني» لم تُوجِدْ توازنًا بين القوى المضادة في البلاد؛ إذ رأينا أنه منذ عام ١١٤ق.م كان الشجار قائمًا في الفيوم، في حين نجد في إقليم «طيبة» أن تمزيق البلاد كان يزداد ويشتد، وقد وصلت الحالة هناك إلى درجة أنه ما بين عام ٨٨ وعام ٨٥ق.م بعد ثلاثة أعوام، وكان حرب العصابات فيها على قدم وساق؛ اضطر «بطليموس سوتر الثاني» إلى تخريب مدينة «طيبة» التي كانت تُعْتَبَر وكر المقاومة. وكما جرت العادة

---

[٧٠] راجع: P. Tebtynis I, 5, 221–247.

[٧١] راجع: Ibid., II 168, 177.

[٧٢] راجع: Ibid., II, 99–133.

[٧٣] راجع: P. Tebtynis, 124.

[٧٤] راجع: Ibid., II. 207–220.

نجد أن هذه الانطلاقة الثورية في البلاد قد جاءت في أعقاب عصيان أهالي الإسكندرية. وقد حدثنا في ذلك المؤرخ «بوزانياس»[٧٥] Pausanias: «كان من جراء كشف النقاب عن موت «كليوباترا الثالثة» وهرب «بطليموس الإسكندر» خوفًا من أهالي الإسكندرية أن عاد ثانية «بطليموس سوتر الثاني» من «قبرص» (كما هي العادة) وحكم مصر للمرة الثانية. وقد أعلن الحرب على «الطيبيين» وأخضعهم بعد مضي ثلاث سنوات على انفجار الثورة. ولقد قسا عليهم لدرجة أنه لم يُبْقِ على أية ذكرى من سعادتهم الغابرة.» هذا، ولدينا بعض أصداء عن القلاقل التي مهدت للأزمة، ثم التجهيزات التي اتخذت للحملة التأديبية؛ ففي العام التسعين ق.م (أي الرابع والعشرين من حكم «بطليموس الإسكندر») أعلن كاتب المركز الواقع جنوبي مقاطعة «الجبلين» هجوم ثوار على أراضي «لاتوبوليس» و«الجبلين» الملكية.[٧٦]

وفي متناولنا بعض رسائل مؤرخة بالعام ٨٨ق.م؛ أي في السنة السادسة والعشرين من حكم «بطليموس الإسكندر»، كما لدينا أخرى مؤرخة بالعام الثلاثين من عهد «بطليموس سوتر الثاني» باسم فرد يُدْعَى «بلاتون» (أفلاطون) الذي كان يشغل وظيفة قائد جيش إقليم «طيبة»، والواقع أنه كان يشغل وظيفة القائد الأعلى. ويدل ما جاء في هذه الرسائل[٧٧] على أن ما قصه علينا المؤرخ «بوزانياس» كان غاية في الدقة؛ فالثورة التي قامت في «طيبة» كانت قد بدأت قبل عودة «بطليموس سوتر الثاني» من المنفى، وعلى ذلك فإنها لم تكن مرتبطة بتقلبات أحوال الملك. وبعد ذلك نرى أن «الطيبيين» لا يؤلفون كتلة واحدة جمعتهم على كلمة واحدة، وكان «بلاتون» قد كتب في ٢٨ مارس عام ٨٨ لأهالي «الجبلين» الذين كانوا على ولاء للملك — والظاهر أنهم كانوا مهددين — رسالة يدعوهم فيها للهدوء والسكينة، كما رجاهم أن يساعدوا «نختيريس» الذي كان قد كلفه بتنظيم المقاومة. وقد اتجه بنفسه نحو المدينة المهددة، وكذلك كتب إلى «نختيريس» في الوقت نفسه يخبره بأنه قد أخذ على عاتقه إخضاع الثوار، وأنه يصل إلى «لاتوبوليس»، ورجاه بأن يشرف على الإقليم، وأن يعمل على أن يسود الهدوء والطاعة.[٧٨] ويمكن الإنسان

---

[٧٥] راجع: Pausanias, I, IX, 3.

[٧٦] راجع: P. dem. Berlin No. 13608, A. Z. 55 (1930) PP. 53–57.

[٧٧] راجع: Chronique d’Egypte Ibid. p. 548 note 4.

[٧٨] راجع: P. Bouriant, 10.

أن يستنبط من بين سطور هاتين الرسالتين مقدار الذعر الذي كان ينذر باقتراب انفجار الثورة.

وكان الخوف من حلول القحط في المدينة المحاصرة قد جعل الهلع يدب في نفوس السكان، وقد فكر «بلاتون» من أجل ذلك في تموين المدينة المحاصرة؛ وبسبب ذلك كتب في ثلاثين مارس إلى «نختيريس» على أن يعمل كل ما في وسعه على أن يكون لدى كل فرد في المدينة إردب من القمح احتياطيًّا؛ أي ما يكفيه مدة شهرين، وكذلك يكون لديه خبز وشعير.[٧٩] وعلى ذلك نجد هنا ثانية أن النضال كان قائمًا بين «الجبلين» الموالية للملك وبين «طيبة» الثائرة عليه، وهذا هو نفس ما كان قد حدث في عام ١٣٠، وفي عام ٩٠ق.م. على أن الشيء الذي يدعو إلى الدهشة هو أن نرى مدينة «الجبلين» يدافع عنها مصري، ولكن ليس هناك ما يدهش في ذلك؛ لأننا نرى في وقتنا الحاضر وفي كل زمان أن الجنود الرسميين يحاربون الثوار سواء أكانوا من سلالتهم ومن وطنهم أم أجانب، وأعتقد أن السبب الذي أوردته الآنسة «كليربريو» في هذا الصدد وهو عدم وجود كراهية بين المصريين والإغريق لا يطابق الواقع. وعلى أية حال فإن الحصار إذا كان قد أقامه الثوار فإنه لم يُفك بسرعة؛ وذلك لأنه في أول نوفمبر عام ٨٨ق.م خاطب «بلاتون» الكهنة وأهالي «الجبلين» الآخرين. فاستمع لما قاله: «سلام. لقد كتب إلى «فيلوكزينوس» Philoxenos أخي في رسالة حملها إلى «أورسيس» أن الملك «سوتر» الإله العظيم جدًّا قد وصل إلى «منف» وأن «هيراكس» Hierax قد عُيِّنَ لإخضاع إقليم «طيبة» بقوات عديدة، ولأجل أن يحوز هذا الخبر ثقتك الطيبة فإنا قد قررنا أن نخبرك به. تحريرًا في العام الثلاثين التاسع عشر من شهر بابه.» ومن ثم نفهم أن كهنة «الجبلين» كانوا يديرون المقاومة.

ويرجع السبب في ذلك إلى أن كهنة «الجبلين» هؤلاء كانوا خدام الإلهة «حتحور» وقد كانوا منذ زمن بعيد يحملون في نفوسهم حقدًا كمينًا على كهنة آمون.[٨٠] وعندما نرى أن كهنة «حتحور» كانوا موالين للملك فلا بد أن نفهم أن من كان يعارض السلطة الملكية في «طيبة» لم تكن طبقة الكهنة؛ بل كان «آمون» أو بعبارة أدق مذهب «آمون» وأتباعه وحسب. ومنذ ذلك الوقت نجد ثانية رابطة تقليدية تضرب بأعراقها إلى الأزمة التي أوجدها «إخناتون» والتي كانت ترمي إلى القضاء على عبادة «آمون». وقد أفلح فعلًا هذا الملك

---

[٧٩] راجع: Ibid. 11.

[٨٠] راجع: Jouguet Bull. De-Corr. Hell. 21. (1897) P. 147.

الذي يُعْتَبَر أول من وحد بالله في تاريخ البشرية بصورة واضحة لا لبس فيها ولا إبهام. وتدل شواهد الأحوال على أنه منذ ذلك العهد لم نسمع أن واحدًا من أولئك الملوك الذين أرادوا أن يكون لهم سلطان قوي كان على وفاق ومصادقة لمدة طويلة مع مذهب «آمون» وأتباعه. هذا، ونجد في عهد البطالمة أن إله «طيبة» وهو «آمون» كان يحافظ على ذكريات القرون التي سبقت عهد النهضة الساوية التي بدأت في بلاد السودان، وهي التي تعتبر نهضة ملكية يساندها أتباع «آمون»، على أن ذلك لم يكن بالأمر الهام في نظر المصريين الذين كانوا يريدون أن يتخلصوا من الحكم الأجنبي ومساوئه، ومن ثم نجد أن الشجار كان في الواقع بين المصريين والإغريق والمقدونيين المستعبدين، ومن أجل ذلك فإني لا أتفق مع الآنسة «كليربريو» في أن الحرب في مصر — كانت في نهايتها — حربًا بقوة السلاح بين مبدأي الإقطاع ومبدأ الملكية، والواقع أن هذه الحرب قد جاءت عرضًا ولم تكن أساسًا، بل الأصل كان قيام الشعب المصري — منذ أن وطئ الإغريق والمقدونيون أرض الكنانة — لمقاومتهم والتمتع ببلادهم حرة يحكمها مصري من أبناء مصر، كما أظهرت الحوادث التي سردناها في هذا الصدد منذ قيام الثورة بصورة جديدة في نهاية عهد «بطليموس الرابع». وقد استمر المصريون في نضالهم ومقاومتهم ملوك البطالمة وبطانتهم من الإغريق والمقدونيين حتى قبل نهاية الحكم البطلمي بمدة وجيزة.

والاضطرابات والقلاقل التي قامت في العام التسعين قبل الميلاد، والتي جاء ذكرها في ورقة برلين الديموطيقية؛ قد تكون هي بداية هذه الثورة، وبذلك فإن حملة «هيراكس» تكون بمثابة إيذان لانتهاء الشجار، وعلى ذلك تكون الثلاث السنوات التي حددها المؤرخ «يوزانياس» قد انتهت عام ٨٨ق.م. أما إذا كان ينبغي على العكس أن نجعل هذه الحرب تبتدئ — كما يقول مؤرخنا — برجوع الملك «بطليموس سوتر الثاني» إلى عرش الملك فإنه ليس لدينا في مراسلات «بلاتون» السالف الذكر إلا المرحلة الأولى من هذه الحرب.

هذا، وتقدم لنا ورقة «باد» رقم ١٦ Bade No. 16 كذلك تفصيلًا عن المقاومة التي أبدتها بلدة «الجبلين». وما جاء فيها في هذا الصدد هو تهاني للكهنة من أجل القرارات التي اتخذوها. هذا، وقد دعاهم «بلاتون» فضلًا عن ذلك لحماية المكان لأجل «السيد الملك».[٨١] ولا يفوتنا أن نذكر هنا الدور الذي كان يقوم به الكهنة في هذه البلدة؛ فقد كانوا مكلفين بالقيام بالحكومة المدنية فيها، مما يدل على ما كان لهم من أهمية سياسية في

[٨١] راجع: Chronique d’Egypte, Ibid. p. 550 No. 8.

شئون هذه البلاد التي كانت آخذة في الانحلال والإفلات من سلطان الملك الذي قد أصبح بدوره في نهاية العهد البطلمي لا شيء على وجه التقريب. والمهم هنا أن هؤلاء الكهنة لم يكونوا من أتباع «آمون» بل كانوا من عباد الإلهة «حتحور».

وعلى أية حال فإن كسر شوكة المقاومة في إقليم «طيبة» لم يُعِدْ للبلاد هدوءها ونشر السلام فيها؛ وذلك لأن المقاومة في «طيبة» لم تكن روح الثورة التي ترمي إلى طرد الإغريق من البلاد؛ بل كانت مجرد نقطة مقاومة يسكنها الإله «آمون» الذي كان له سلطان عظيم فيما مضى، وأن مقاومة المصريين كانت مستمرة للعمل على طرد الأجنبي الإغريقي من البلاد التي أصبح يستغلها على حسابهم حتى أصبحوا في فقر مدقع وبؤس شامل. وهذا هو ما تحدثنا به الآثار؛ فلدينا بعض الأوراق البردية التي عُثِرَ عليها في «أهناسيا المدينة» يرجع تاريخها إلى العام الخمسين قبل الميلاد وصفت لنا ما كان عليه ريف مصر من حالةٍ تدعو إلى الحزن والأسى؛ إذ قد أصبحت قرًى برمتها خاوية على عروشها؛ فرجالها كانوا يفرون من وجه الفقر والضغط لابتزاز الأموال ظلمًا وعدوانًا.[٨٢] أما أولئك الذين كانوا لا يزالون مرتبطين بالأرض التي كانوا يزرعونها؛ فكانت تُفْرَض عليهم مصاريف باهظة من أجل الزراعة.[٨٣] وكانت المعابد مقصدًا للصوص والناهبين.[٨٤] أما الموظفون فناهيك بهم؛ فقد كانوا يسيئون استعمال سلطتهم. وقد كانت الالتزامات المالية وقتئذ قد بلغت من الفداحة والإرهاق ما جعل سكان مصر لا حول ولا قوة لهم على تحملها لدرجة أن مالية مصر أعطيت أحد الرومان، وآية ذلك أن «بطليموس الزمار» ملك مصر كان قد أصبح في واقع الأمر مدينًا بأموال طائلة إلى المرابي «رابيريوس بوستوموس» Rabirus Postumus، وبدلًا من أن يوفي له ما عليه من دين في عام ٥٥ق.م فإنه عين صاحب الدين مشرفًا على مالية مصر.[٨٥] ويمكن الإنسان أن يتنبأ مقدار فداحة الأموال التي كان يبتزها مثل هذا المرابي، ومقدار السلب والنهب الذي كان يستنزفه من دماء الفلاحين المصريين، على أن مصر وأهلها كانوا يعرفون وقتئذ من المخرب لديارهم، ومن المستنزف لدمهم على مرأًى منهم.

---

[٨٢] راجع: B. G. U. 1843.

[٨٣] راجع: B. G. U. 1815.

[٨٤] راجع: B.G.U. 1835 cf, Ibid., 1888.

[٨٥] راجع: Cicéron, Pro Rabiro Postumus, cf. P. GUIRAUD, Histoire d'un financier romain, Revue de Paris (1903) PP. 355–378 ; B. L. II PP. 168–271.

وليس بغريب أن يبلغ البؤس أشده والصبر نهايته؛ مما أدى من جديد إلى انتشار الإضراب حتى عم البلاد. ولدينا قطعة بردي تكشف لنا في وقت واحد عن ولاء السكان وكراهيتهم التي كانوا يصرحون بها عن تصرفات رجال الإدارة الخائنين. فاستمع إلى بعض ما جاء عن حادث مدهش في بابه، وهو عبارة عن محضر محادثة جرت بين العمال وبين الممثلين الرؤساء للحكومة الذين يصغون إلى مظالمهم وتهديداتهم:

> … في الصباح الباكر اجتمع جم غفير من الناس أكثر من أولئك الذين اجتمعوا عند صرح (نافذة المقابلة) وطلبوا غوث الملكات والجنود، وقد قابلهم الحاكم العسكري ومعه «مقدمه» المسمى «خايراس» Chairas، وقد علم من جديد عن ارتكاب مساوئ كثيرة مع كل فرد على يد قوم «هرمايسكوس» Hermaiscos. وقد أصر الشاكون على أن يرفضوا القيام بأي عمل حر أو ملكي إذا لم يقم الحاكم العسكري بعمل تقرير للملكات ولوزير المالية بمقتضاه بطرد قوم «هرمايسكوس» من المقاطعة. غير أن الحاكم العسكري والآخرين قد نصحوهم بالتزام السكينة، ووعدوهم بأن يقدموا تقريرًا باتهاماتهم، وعلى ذلك انصرفوا. هذا هو السبب الذي من أجله نعمل هذا التقرير.

ويُلْحَظُ أنه ليس هناك فرق أساسي بين هذا الإضراب الشديد الذي أدى في الحال إلى العصيان والإضرابات التي ذكرناها من قبل في أوراق «زينون» التي يرجع عهدها إلى القرن الثالث قبل الميلاد. غير أن المساوئ في العهد الأخير — الذي نحن بصدده — قد ازدادت، كما اشتد البؤس، ولكن الأحوال الاقتصادية والاجتماعية التي كان يرزح تحت عبئها أفراد الشعب كانت كما هي، وسببها ضغط المستعمرين الأجانب وشره ملوك البطالمة؛ ومن ثم نشأت كراهة المصريين للإغريق.

ولا نزاع في أن استمرار هذه الحالة في البلاد هي التي يجب أن توضح بعد هذا البحث الطويل.

وفي الحق إذا نظرنا بعين فاحصة في تقلبات الأحوال في الديار المصرية منذ دخول «الإسكندر الأكبر» أرض الكنانة واحتلالها حتى نهاية العهد البطلمي تقريبًا؛ لاتضح لنا أن النضال بين المصريين وبين المستعمرين من الإغريق والمقدونيين كان قائمًا دون هوادة. وقد تطورت القوى المناهضة للمستعمر على حسب قوة الملك الحاكم وضعفه، وعلى مقدار ما كان يتطلب من الشعب المصري من تضحيات مادية لتنفيذ سياسته في داخل البلاد

وخارجها، وذلك على حساب الفلاح المصري والعامل المصري وحسب. ولم يترك البطالمة — طوال مدة حكمهم البلاد — فرصة سمحة للشعب المصري ليشترك مع من أتوا معهم من بلاد الإغريق و«مقدونيا» في حكم البلاد؛ بل جعلوا كل السلطة في أيديهم من الوجهة الاقتصادية والسياسية وجعلوا مركزهم الرئيسي في الإسكندرية وبعض مدن أخرى في الديار المصرية. ومن ثم أصبحوا يؤلفون حزبًا خاصًّا حاكمًا في البلاد، وبذلك كانوا هم المسيطرين على سياسة البلاد في البلاط، وقد أخذ سلطانهم يزداد حتى أصبح في أيدي الإسكندريين الأجانب الحل والعقد في الأمور السياسية عندما يتراءى لهم ذلك. وقد رأينا في خلال سرد تاريخ ملوك البطالمة في العهد الأخير كيف كانوا يعزلون ويولون الملوك دون كبير عناء، وذلك بإعلان الثورة على كل ملك يرون أنه حاد عن جادة الصواب، وأن في بقائه خطرًا على البلاد، كما كانوا يشنون الحرب على كل حكومة لم تكن في نظرهم تنهج الطريق السوي في تدبير شئون الدولة. وبذلك كان حزب الأجانب في البلاد من الإغريق والمقدونيين الذي يسكن العاصمة صاحب سلطان قوي في سياسة البلاد؛ بل كان هو الحزب الذي له السيادة المطلقة. ومن أجل ذلك كان خطرًا يهدد ملوك البطالمة، وكم من رجال هذا الحزب قد استغل منصبه في ابتزاز الأموال من الأهلين، وجر البلاد إلى حروب طاحنة كان من نتائجها في نهاية الأمر القضاء على هيبة مصر وضياع ممتلكاتها في الخارج؛ بل واحتلالها احتلالًا عسكريًّا. هذا فضلًا عن أنها أصبحت في أواخر أيامها تحت وصاية الرومان إلى أن احتلوها وأصبحت ضمن أملاكهم.

ولقد كان من جراء تسلط الحكام الإغريق وإجحافهم بحقوق الشعب المصري الكادح أن أخذ الأخير يشعر باضطهاد الأجنبي وظلمه له، فقام بثورات مطالبًا باستقلاله ورد حقوقه إليه، وبدأت هذه الثورات في الوجه البحري، ثم انتشرت في الوجه القبلي. وقد كان على الملك والحكام الإغريق أن يقاوموا هذه الثورات ويخضعوها بحد السيف تارة وبالمهادنة وتخفيف الضرائب تارة أخرى؛ بل أحيانًا بالإغراء بمنح بعض الوظائف الكبيرة في الإدارة أو حتى في الجيش، وبذلك كان المستعمر يحرض — في كثير من الأحوال — المصريين بعضهم على بعض لإحباط الثورة التي كانت في أساسها إرجاع الحقوق إلى أصحابها. ولقد بلغ من إغراء الإغريق للمصريين أن استعملوا المنافسات الدينية بين أهل الشمال وأهل الجنوب. ومع ذلك فإن الأبطال المصريين الذين كانوا يدافعون عن استقلال مصر قد أسسوا لهم ملكًا على غرار ملك الفراعنة حتى أصبحت مصر مقسمة قسمين؛ يمثل أحدهما الشعب المصري الأصيل، والآخر يمثل البطالمة والأجانب. ولولا الخيانات وقلة

المال لأفلح المصريون في طرد البطالمة من ديارهم، وعلى الرغم من تغلب الإغريقي على المصري؛ فإن ثورات الأخير لم تنقطع حتى نهاية الحكم البطلمي، وكانت المعول الجبار في هدم سلطان ملوكه. هذا، وتدل الأحداث التي وقعت خلال هذا النضال المرير بين الشعب المصري الأصيل وبين ملوك البطالمة والموظفين الأجانب من الإغريق والمقدونيين على أنه من أكبر العوامل — التي أفسدت خطط المصريين المجاهدين — ما كان عليه رجال الدين من تذبذب؛ بل انحياز ظاهر لملوك البطالمة الذين أفسدوهم بما كانوا يغدقون عليهم من هبات وامتيازات جعلتهم يميلون إليهم كل الميل؛ مما أفسد نضال الأبطال المصريين، وشل نشاطهم إلى أبعد حد، ومع ذلك فقد كانت فئة منهم تميل إلى نضال المواطنين أحيانًا.

ومن ثم نرى أن كل هذه العوامل التي ذكرناها هنا كانت السبب في قيام الشعب المصري على الهيلانيين. ولست أرى رأي الآنسة «كليربريو» عندما قالت إن عبارة «طرد الإغريق» لم تكن على ما يحتمل إلا صيحة حرب، وأن ذلك لم يكن الغرض الأول، ولا السبب العميق للثورة المصرية التي لم يخمد لهيبها، وذلك أن بيت الداء هو الحكم الهيلاني الأجنبي وما كان يرتكبه رجال الإدارة والقضاء من مظالم مع المصريين، فإذا زال هؤلاء الحكام زالت معهم كل المساوئ التي كان يتألم منها المصري ويئن تحت أعبائها، وبخاصة التفرقة العنصرية التي كانت بادية في كل مكان وفي كل أوجه النشاط في البلاد، وبذلك أعتقد أن كل كره المصري وما قام به من ثورات — مهما كان لها من ألوان مختلفة في ظاهرها — فإن أساسها كان التمييز العنصري واستغلال الشعب المصري المسالم بكل الوسائل. وقد ساعد ملوك البطالمة في ذلك لإرضاء شهواتهم وأطماعهم على حساب الشعب المصري النبيل المسالم الذي لم يَثُرْ إلا بعد أن طفح الكيل ولم يبق في القوس منزع.

لمحة عن عبادة الحيوان بوجه عام وعبادة الثورين «أبيس» و«بوخيس» بوجه خاص

مقدمة

تحدثنا في الأجزاء السابقة من هذه الموسوعة عن تقديس الحيوان عند قدماء المصريين كلما اقتضت الحال، وبخاصة فيما يتعلق بالحيوانات التي كانت تلعب دورًا هامًّا في حياة المصري القديم منذ فجر التاريخ وما قبله؛ على أن عبادة الحيوان لم تكن قاصرة على مصر؛ بل وجدناها في كثير من بلاد العالم القديمة، غير أنها لم تكن سائدة مسيطرة على عقول الشعوب الأخرى كما كانت آخذة بزمام عقول المصريين منذ أن عرفنا شيئًا عن تاريخهم، هذا ولا يزال — على الرغم من البحوث العدة التي كُتِبَتْ عن كنه الديانة المصرية القديمة — موضوع عبادة الحيوان عند قدماء المصريين بوجه خاص من أعجب الظواهر وأكثرها تعقيدًا، ولا يزال علماء الآثار حتى يومنا هذا يضعون النظريات عن كنه هذه العبادة وكيفية نشأتها وترعرعها في مصر، وقد انتشرت هذه العبادة في البلاد المتاخمة لمصر في صور مختلفة، وعلى الرغم من اختفائها بظهور الأديان السماوية التي أخذت مكانها فإن رواسبها لا تزال باقية في مصرنا الحديثة حتى يومنا الذي نعيش فيه، وبخاصة عند الطبقة الدنيا من الشعب؛ فالقطة لا تزال تُقَدَّس عند عامة الشعب، والثعبان لا يزال يُقَدَّس في كثير من جهات القطر.

والآن يتساءل الإنسان عن سبب عبادة المصري للحيوان منذ أقدم عصور التاريخ حتى أتت الديانة المسيحية وقضت على هذه العبادة بعد نضال وحروب امتدت أجيالًا

طويلة؟ ولفهم هذا الموضوع لا بد أن نعترف أولًا أن الحيوانات كانت تلعب دورًا غير عادي في الديانة المصرية القديمة. وقد لفتت هذه الحقيقة أنظار الكتاب القدامى من الإغريق والرومان والمسيحيين كما سنفصل القول في ذلك فيما بعد. وعلى أية حال لا يمكن الباحث في أصول الديانة المصرية القديمة أن يتجاهل الحقيقة القائلة إن أصل نشأة العبادات بوجه عام لم تصل إليه معرفتنا، كما إنه لن يكون في استطاعتنا أبدًا أن نعرف ارتباط بعض الآلهة ببعض الحيوان. فلدينا آلهة كثيرة جدًّا ظهرت فيها هذه الارتباطات مع الحيوان، وعبادتها منتشرة بصورة فوق العادة بالنسبة لفهمنا. وعلى ذلك لا يمكننا أن ندعي فهم الديانة المصرية القديمة دون أن نحاول هنا على الأقل وضع تفسير لهذا الموضوع الذي يُعَدُّ أعوص موضوعات الديانة المصرية القديمة وأعقدها، وفي الوقت نفسه يُعْتَبَر أغرب ظاهرة في التاريخ المصري القديم.

وقد يكون من خطل الرأي القول بأن عبادة الحيوان هي ظاهرة وصلت إلينا عن طبقة بدائية للديانة المصرية القديمة. وهذا هو الرأي الذي نجده مكررًا كثيرًا في أمهات الكتب التي وُضِعَتْ حديثًا عن الديانة المصرية. ولا نزاع في أنه رأي تعضده في الظاهر بعض الحجج والآراء، غير أنها عندما تُفْحَصُ جيدًا يبدو بطلانها. فقد قيل مثلًا إن عبادة هذه الحيوانات غالبًا ما تكون ذات طابع محلي محض. ومعنى ذلك أنها تدور حول مخلوقات لا أهمية لها بالمرة فعلًا في حياتنا اليومية مثل عبادة الضفادع أو «أم أربع وأربعين»، ومن أجل ذلك يجب علينا أن نضع الحيوانات المقدسة على قدم المساواة مع أشياء أخرى خاصة قدسها المصري. مثال ذلك السهمان المتقاطعان اللذان يُرْمَزُ بهما للإلهة «نيت» التي تُعْبَدُ في بلدة «صا الحجر» من أعمال الوجه البحري. وعلى هذا الزعم يمكن القول أن كل هذه الإشارات تُعْتَبَرُ مجرد رموز اتُّفِقَ عليها للرفع من شأن الوحدة القبلية. ومن جهة أخرى فسر هذه الإشارات طائفة أخرى من العلماء على أنها «طوطم».[١] غير أن الصفات الخاصة بمذهب الطوطمية مثل الزعم بالتناسل من الطوطم والتضحية من أجل عيد قبلي رسمي، أو الزواج من خارج أفراد القبيلة؛ كل هذه المميزات الخاصة بالقبائل المعتنقة مذهب الطوطمية لم نعثر عليها أبدًا فيما وصل إلينا من المصادر المصرية.[٢] يُضَافُ إلى ذلك أن معالجة موضوع الحيوانات المقدسة بقصد إبراز أهميتها

---

[١] ومعنى كلمة طوطم هو انتساب قبيلة إلى حيوان أو نبات وأي شيء آخر.

[٢] راجع: A. Van Gennep, l’Etat Actuel du Probleme Totemique, Paris (1922).

المحلية أو السياسية على حساب أهميتها الدينية لا جدال يخالف الواقع. فمما لا يمكن إنكاره أنه يوجد بعض شيء غريب كلية فيما يتعلق بالمعنى الذي تدل عليه الحيوانات بالنسبة للشعب المصري القديم، وذلك عندما نقرنه بالمعنى الذي تدل عليه الحيوانات في إفريقيا أو أمريكا الشمالية. فمثلًا نجد في هذه البلاد على ما يظهر أنه إما الفزع من القوة الحيوانية أو الرابطة القوية؛ أي التضامن المتبادل بين الإنسان والحيوان؛ يفسر لنا عبادة الحيوان، وذلك في حين أننا نجد في مصر أن الحيوانات من هذه الناحية — دون النظر إلى طبائعها المميزة لها — كان لها على ما يظهر فوق ذلك معنى ديني، وهذا المعنى كان خطيرًا لدرجة أنه — حتى التفكير الناضج الذي وصل إلينا في الأزمان المتأخرة — لم يستغن إلا نادرًا عن الأشكال الحيوانية في التصوير المجسد أو التصورات الأدبية التي تشير إلى الآلهة.

ولكن لا بد أن نشير هنا إلى عدم وجود أي شيء مجازي فيما يخص الرابطة بين الإله والحيوان في مصر. وليس الأمر هو وجود بعض صفات إلهية ناطقة بوساطة الحيوان كما يفسر النسر أخلاق الإله «زيوس» عند الإغريق؛ بل على العكس نلحظ رابطة غريبة بين الإله والحيوان الفعلي، وعلى ذلك فإنه في زمن تدهور البلاد المصرية قد كسبت صورة جامدة فظيعة. ومن أجل ذلك نجد في فترة التدهور هذه قططًا محنطة وكلابًا وصقورًا وثيرانًا وتماسيح وغيرها قد دُفِنَتْ بالمئات في جبانات شاسعة، مما ملأ صدور علماء الآثار بالحيرة المؤلمة؛ وذلك لأن هذا — وهو ما يجب الاعتراف به — هو الشرك الفاحش. ومع أن هذه علامات غريبة، غير أنها معبرة عن سمة خاصة في الديانة المصرية القديمة تتميز بها.

ولأجل أن نفهم هذه السمة يجب علينا أولًا أن ندرك أن الصلة بين الإله والحيوان الذي يتقمصه يمكن أن تختلف اختلافًا عظيمًا. فإذا قيل إن الإله «حور» هو صقر عيناه تمثلان الشمس والقمر ونفسه هو ريح الشمال المنعش، فإنه في استطاعتنا أن نفكر في أن هذا هو مجرد صورة لوصف إلهٍ مؤثر للسماء. غير أننا نعرف أن هذا الإله كان قد صُوِّرَ في صورة طائر منذ أقدم العهود، وكان المعتقد ظاهرًا أنه قد تجلى إما في طيور فردية أو في النوع، وكذلك كان الإله «تحوت» يتجلى في صورة القمر، كما كان كذلك يظهر في صورة قرد، وفي صورة «إبيس» (أبو منجل)، ولا نعلم إذا كانت توجد أية صلات يُظَنُّ أنها قائمة بين هذه الرموز المختلفة، وإذا كانت تُوجَد فعلًا صلات فما هي؟ والعلاقة بين الثور «منيفيس» (من-ور) الذي كان يُعْبَدُ في عين شمس وبين إله الشمس «رع»، وبين الثور

«أبيس» وإله الأرض «بتاح» كانت مختلفة ثانية. فالإله «بتاح» لم يمثل أبدًا في صورة ثور أو كان متقمصًا ثورًا؛ ولكن ثور «أبيس» كان يسمى «أبيس الحي»، رسول «بتاح» الذي يحمل الصدق إلى عين صاحب الوجه الجميل (أو الكامل). وكان الثور «منيفيس» يحمل لقبًا مشابهًا للذي يحمله الثور «أبيس» بالنسبة للإله «رع»، وفضلًا عن ذلك فإن الحديث هنا بالنسبة للثورين لا يعالج أنواعًا من الحيوانات تعتبر مقدسة؛ بل يتحدث عن حيوان بعينه مميزًا بعلامات خاصة، وفي هذه الحالة — كما يقول بعض الأثريين — فإنه لا يتقمص الحيوان؛ بل يُعَدُّ الخادم الإلهي للإله. وهناك حيوانات أخرى كان يتصورها الإنسان في العادة في صور حيوانات، وحتى في حالة هذه الحيوانات فإن التقمص لم يحدد قواها بل ولم يعرفها. فمثلًا الإله «أنوبيس» كان يمثل في صورة ابن آوى جاثمًا على الأرض وباسطًا ذراعيه في معظم مظاهره، غير أنه لم يكن — بأية حال من الأحوال — حيوانًا مؤلَّهًا. فنلحظ أنه في أقدم المتون التي جاء ذكره فيها كان يظهر بمثابة إله الجبانات الصحراوية، وكان يضمن للمتوفى دفنة لائقة به؛ وعندما أصبح التحنيط شائعًا فقد اعتبر سيد التحنيط. وهذا الإله كان يُصَوَّرُ في الأوراق البردية وعلى جدران المعابد والمقابر بجسم إنسان ورأس الحيوان المعروف بابن آوى.

ومثل هذه الآلهة التي تُصَوَّرُ برأس إنسان وجسم حيوان كانت شائعة في الفن المصري، وتفسر نظرية التطور العادية مثل هذه الأشكال الإلهية بأنها صور انتقالية تحتل مكانة وسطًا بين عبادة الحيوانات الساذجة أي في صورتها الأصلية، وبين الآلهة التي تُمَثَّلُ في صورة بشر، وهي التي ظهرت في عهد أكثر مدنية من سابقه الذي كان يُعْبَدُ فيه الحيوان في صورته الطبيعية. غير أن أصحاب هذه النظرية قد تجاهلوا حقيقة هامة، وهي أن أقدم التماثيل الإلهية التي حُفِظَتْ لنا حتى الآن قد تمثل فيها الإله «مين» في صورة إنسان وحسب. وعلى العكس من ذلك نجد أنه حتى نهاية عهد استقلال أرض الكنانة كان الاعتقاد أن الآلهة كانت تظهر في حيوانات أو بعبارة أخرى تتقمص حيوانات. فمثلًا الإلهة «حتحور» تظهر في الأوراق البردية المتأخرة وحتى في التماثيل الملكية في صورة بقرة، يدلك على ذلك صورة البقرة «حتحور» التي تحمي الملك «بسمتيك الأول» وهي محفوظة الآن بالمتحف المصري، ومع ذلك وجدنا أن هذه البقرة «حتحور» منذ أقدم العصور التاريخية أي منذ عهد الأسرة الأولى ممثلة على لوحة الملك «نعرمر» بوجه بشري مُحَلًّى بِقَرْنَيْ وأُذُنَيْ بقرة. وقد عُلِّلَ ظهور الملامح البشرية في عصر مبكر كهذا بأنه كان شيئًا منتظرًا؛ لأن الإله كان قوة مشخصة، والتشخيص على أية حال يتطلب صورة بشرية،

وهذا أمر ممكن الحصول عليه بسهولة. وعلى أية حال دلت المشاهدات على أن الآلهة لم يكن ظهورهما محصورًا في هيئة واحدة معينة. فقد رأينا أن الإله «تحوت» قد ظهر مرة في صورة قمر، ومرة أخرى في هيئة قرد، وثالثة في صورة الطائر أبو منجل «إبيس»، وعلى ذلك يكون من الخطل أن نتحدث في مثل حالة هذا الإله عن شكل متحول من صورة إلى أخرى. فليس هناك حاجة للتحول. وحقيقة الأمر على ما يظهر أن هذا الإله كان يظهر كما يرغب في أحد مظاهره المعروفة، ومن جهة أخرى كانت هناك حاجة معينة لتمييز الآلهة عندما كانت تُصَوَّرُ في هيئة بشرية، وفي مثل هذا النظام يمثل الصورة الإنسانية التي لها رأس الطائر أبو منجل الإله «تحوت»، وإني أشك في أن المصريين لم يقصدوا من صورهم التي تجمع بين الإنسان والحيوان بأنها تعبيرات عن حقيقة متخيلة قط، وأنه يجب علينا إذن ألا نفهم الآلهة التي لها رأس حيوان كما تظهر لنا. فمن المحتمل أن هذه الصور كانت صورًا كتابية لا صورًا تمثل الحقيقة؛ فالإلهة «حتحور» تُمَثَّلُ في العادة في هيئة بقرة، أو في صورة وجه امرأة بقرني بقرة، أو في صورة امرأة ترتدي تاجًا له قرنا بقرة؛ كما يُشَاهَد ذلك في أحد مناظر معبد «سيتي» بالعرابة المدفونة حيث تراها ممثلة قاعدة مع الملك «سيتي الأول». وعلى ذلك فإن المعنى المقصود من كل من هذه الصور هو: هذه هي الإلهة التي تظهر في صورة بقرة. وعلى ذلك فإن الصور التي لها رأس حيوان ليست صورًا حقيقية أبدًا بل صورًا آلية وحسب، ومن ثم ليس هناك أي فرق إذا كان الشيء المركب على الجسم الإنساني هو رأس حيوان من ذوات الأربع أو رقبة أبو منجل أو الجزء الأمامي من حية. ويمكن تفسير هذا بسهولة إذا كان المقصود هنا صورة تدل على فكرة، ويعزز هذا التفسير ما نشاهده في الصور الحيوية القليلة التي اخترعها المصريون، مثال ذلك الإلهة «تواريت» فهي صورة ذات دلالة مقنعة، وإن كانت أجزاء جسمها مؤلفة من أعضاء متنافرة؛ إذ نشاهد أن رأسها هو رأس فرس البحر، والظهر والذيل لتمساح، والصدر لمرأة، أما مخالبها فمخالب أسد.

وعلى أية حال فإن النظرة السريعة التي ألقيناها هنا عن العلاقات المختلفة بين الآلهة والحيوانات في مصر لم توضح لنا الدور الذي تلعبه الحيوانات، ولكن نفس عدم وجود قاعدة عامة عن هذا، بالإضافة إلى تنوع المخلوقات المتعلقة بذلك؛ يوحي — كما يظهر — بأن ما هو مميز في هذه العلاقات كانت رهبة دينية خفية يشعر بها الإنسان أمام كل الحيوانات الكائنة، وبعبارة أخرى يخيل أن الحيوانات بهذه الصورة كانت تنطوي على معنى ديني بالنسبة للمصريين. ومن الممكن أن حالتها هذه قد نبعت من تفسير ديني،

يعني أن الحيوانات كانت تعتبر عالمًا آخر يختلف عن عالم الإنسان. والاعتراف بغيرية الحيوان نجده متضمنًا في جميع الشعور الديني الخاص كما برهن على ذلك الأثري «أتو».[٣] ويُسْتَخْلَصُ من ذلك أن المصريين قد فسروا ما ليس ببشري بأنه خارق للطبيعة البشرية، وبخاصة عندما رأوا ذلك في الحيوان؛ في حكمتها الصامتة وتأكدها، وأعمالها العظيمة التي تقوم بها دون تردد، وفوق كل شيء حقيقتها الثابتة؛ فيُشَاهَد في الحيوان أن تتابع الأجيال المستمرة لا يأتي بأي تغير عليها، وهذه ليست حجة معنوية متكلفة بل هو شيء يُوحَى بنفسه كما عبر عن ذلك الشاعر الإنجليزي «كيتس» Keats في أنشودته للكروان حيث يقول:

إنك لم تولد للموت أيها الطائر الخالد
فلم تطأك بالأقدام أجيال ذات مسبغة
وأن الصوت الذي أسمعه هذه الليلة المنصرمة قد سمعه
في الأيام الخوالي العامل والفلاح.

والحيوانات لا تتغير أبدًا، ومن هذه الوجهة يظهر أنها تشارك — بدرجة غير معروفة — الإنسان في طبيعة الخلق الأساسية. وقد دلت البحوث الحديثة على أن المصري كان ينظر للعالم الحي بأنه يسير على حسب دورة منظمة محصورة في وحدة لا تغيير فيها ولا تبديل، وقد ظهر هذا الرأي في نظامهم الاجتماعي. والحقيقة أن هذه الدورة المنظمة للعالم قد حددت نظر المصري للعالم لدرجة أنه كان يفهمها بأنها تفسير بدهي لنظام الكون، ومن أجل ذلك كان لا بد من الارتباط به. ونحن بدورنا نعلم الآن أن الإنسانية لا يمكن أن توجد بهذه الحالة؛ وذلك لأن خاصيات الإنسان الفردية تتفوق على كل ما سواها من حيث أوجه الشبه. غير أن الحيوانات تعيش في نوعها الذي لا يتغير متبعة في ذلك طرق حياتها التي قُدِّرَتْ لها من قبل دون النظر إلى تعويض الشخصيات. ومن أجل ذلك كانت تظهر حياة الحيوان في نظر المصريين فوق حياة البشر بوصفها أنها كانت تشترك مباشرة وبصورة واضحة في حياة العالم الثابتة. ولهذا السبب فإن الاعتراف بأن الحيوانات تُعْتَبَرُ شيئًا آخر مختلفًا في نظر المصريين هو اعتراف بألوهيتها.

[٣] راجع: Rudolf Otto. The Idea of the Holy (Oxford 1943).

وهذا التفسير لعبادة الحيوانات عند قدماء المصريين يحتاج إلى تحديد من وجهتين؛ وذلك لأن هذا التفسير يتوقف بطبيعة الحال على القوة التي يمكن بها البرهنة على أن المصريين كانوا يسيطرون حسب رأيهم على العالم، واعتقادهم أنه لا يتغير؛ وكذلك يحتاج هذا التفسير إلى البراهين التي تثبت ذلك. وقد جمع هذه البراهين الأستاذ «فرنكفورت» في كتابه عن الديانة المصرية القديمة.[٤] وفضلًا عن ذلك فإنه لو كانت حقًّا أن الحيوانات بوجه عام قادرة على أن تبعث في نفس كل مصري شعور رهبة دينية، فإن هذا الشعور قد اتخذ أشكالًا معينة مختلفة في كل العبادات الناتجة عن ذلك. وتنوع هذه العبادات ينعكس ضوؤها على العلاقات التي كان يدعي وجودها بين الإنسان والحيوان سواء أكانت في فرد واحد من هذه الحيوانات أم في كل نوعه.

وسنرى فيما بعد أن عبادة هذه الحيوانات كانت منتشرة في جميع البلاد المصرية وبعضها كان محصورًا في مناطق أو منطقة معينة، وأن ما يُعْبَدُ في منطقة كانت تكفر به منطقة أخرى وتتخذه عدوًّا لها.

[٤] راجع: Frankfort Ancient Egyptian Religion 1948.

ما دونه الكتاب القدامى وأثبتته الكشوف عن عبادة الحيوان في مصر القديمة

تحدثنا فيما سبق عن الأصل المحتمل الذي حفز المصريين على عبادة الحيوانات بوجه عام، ولا نزاع في أن ما يظهره الإنسان من تقديس إلهي لكل أنواع الحيوانات تقريبًا سواء أكانت تلك الحيوانات مضرة أم كانت تُعْتَبَر خطرًا على حياته. وهذا الموضوع لا بد أنه كان دائمًا ذا أهمية عارمة جدًّا تثير شعور الجميع، وذلك بصرف النظر عما إذا كان هذا الرأي شخصيًّا أم جاء عن طريق التقليد بالنسبة لقدماء المصريين، ومن أجل ذلك وجدنا أن «هردوت» — وهو أبو التاريخ، ويعد أقدم مؤلف إغريقي وصلت إلينا كتاباته في هذا الموضوع — قد خصص مكانًا فسيحًا لموضوع عبادة الحيوانات عند قدماء المصريين. ولا بد أن من سبقه من المؤرخين الذين زاروا مصر أمثال «هيكانوس الميلزي»، يُضاف إلى ذلك سلسلة طويلة من المؤرخين الإغريق واللاتين والجغرافيين والذين كتبوا في التاريخ الطبعي، والفلسفة والشعر والأدب بوجه عام؛ هؤلاء جميعًا قد جاءت في كتاباتهم معلومات غزيرة عن عبادة الحيوانات. وأخيرًا جاء دور أصحاب التأليف من المسيحيين الذين يُعْرَفُونَ بكتَّاب الكنيسة. وهؤلاء قدموا لنا معلومات غريبة وطريفة أحيانًا عن عبادة الأوثان.

وعلى الرغم من أن «هردوت» قد ذكر لنا الكثير بإسهاب عن الحيوانات المقدسة التي كانت تعيش على ضفاف النيل؛ فإنه لم يشفع ما كتبه بحكم له عن عبادة الحيوانات. وكذلك كانت الحال مع الجغرافي «سترابون» الذي زار البلاد المصرية وكتب عنها الكثير؛ فإنه لم يُبْدِ أي رأي في عبادة الحيوانات. وأخيرًا نجد أن المؤرخ «ديدور الصقلي» قد سار على نهج سلفيه فلم يذكر أي رأي له عن عبادة الحيوانات أيضًا. ولكن لما كان هؤلاء الكتاب الثلاثة — «هردوت» و«استرابون» و«ديدور» — قد قدموا لنا رأيًا حسنًا عن

معبودات المصريين وعاداتهم؛ فإنه قد يصبح لزامًا علينا أن نفرض أن آراءهم في عبادة الحيوانات كانت لا غبار عليها، وأنها كانت موضع احترام في نظرهم أو على الأقل في نظر «هردوت» فقد كان يشير إلى ذلك بشيء من التحفظ والرهبة. يُضاف إلى ذلك أن المؤرخ «بلوتارخ» قد اعتبر أن عبادة الحيوان لا بد قد جاءت عن تفكير فلسفي عميق، وعلى ذلك ينبغي علينا أن نعتقد أنه قد أخذ هذا الرأي من مصادر حسنة. ولكن في حين نجد أن مثل هذا الرأي قد أخذ به الكثير من الكتاب الآخرين الذين عاشوا في تلك الفترة، ونذكر من بينهم «بورفيروس»، فإنا نجد من جهة أخرى أن عددًا كبيرًا من الكتاب الوثنيين قد نظروا لعبادة الحيوانات عند قدماء المصريين نظرة تدل على أن المصريين قد ضلوا السبيل، ونذكر من بين هؤلاء الفيلسوف «سيسرو»[١] Cecero الروماني فهو الذي يقول: «إن المصري يستحق على ذلك أن يكون موضع الاحتقار.» على أن أقسى اتهام اتهمه وثني للمصريين بسبب عبادتهم للحيوانات هو ما شنع به «جوفينال».[٢]

ومما لا جدال فيه أن عبادة الحيوانات عند قدماء المصريين كانت لها تأثير سيئ كريه عند اليهود والمسيحيين من بعدهم، ولا غرابة في ذلك؛ فقد كان كل من اليهود والمسيحيين يعتقدون في وحدانية الله العلي العظيم، ومن أجل ذلك كانوا يرون أن تقمص روح الإله جسد حيوان من أخزى الأمور وأكثرها معرة وضلالًا. وقد أظهر قبلًا الكثير من كتاب اليهود سخف آراء المصريين لعبادتهم الحيوانات، وانهالوا عليهم بكل أنواع التهكم والسخرية. ونذكر هنا — على سبيل المثال — ما جاء على لسان «فيلو» اليهودي الإسكندري، فاستمع لما يقول:[٣] «أي شيء يمكن أن يثير الضحك أكثر من هذه العبادة؟ وبطبيعة الحال لا بد أن الأجانب الذين كانوا يفدون على مصر للمرة الأولى كانوا يموتون من كثرة الضحك طالما لم يعوا في نفوسهم هذا الضلال … إلخ.»

وكذلك نقرأ مثل هذا الحكم القاسي على عبادة الحيوانات فيما تركه لنا كتَّاب الكنيسة المسيحية؛ فمن ذلك ما ذكره «أريستيدس»[٤] إذ يقول: «لما كان المصريون على أية حال سواء وأقل بصيرة بين كل أمم الأرض، فإنهم سقطوا أكثر من أي أناس؛ وذلك أنهم

[١] راجع: Cicero, de Nat. deor. 36, 100–101.

[٢] راجع: Juvenal (Sat. XV).

[٣] راجع: Philo (decal., 80), 194 M.

[٤] راجع: Apologet, Aristides (12) ; Zimmermann, Die Aegypt. Rel. p. 87 ff.

لم يرضوا بتمثيل ديانة البرابرة أو ديانة الإغريق، بل اتخذوا بعض الحيوانات آلهة لهم ... وبذلك خسروا كل شيء حتى أصبحوا مجانين ونجسين أكثر من أية أمة على ظهر الأرض.»

وأفظع من هذه الاتهامات السالفة ما حدثنا به أسقف قبرص «إبيفانس» الذي عاش في القرن الرابع بعد الميلاد فاستمع لما يقول: «لقد حاد المصريون بطريقة أسوأ، أكثر من سائر الأمم؛ وذلك عندما لم يقصروا شهواتهم على تقديس الجماد؛ بل تخطوا ذلك، واتخذوا معبودات لهم من الطيور والحيوانات ذوات الأربع وحيوانات البر والبحر، وحتى بعض الحيوانات المردة، وكان كل حيوان مقدسًا عندهم، ومن ثم عبدوه، وبهذه الطريقة عكسوا الترتيب الطبعي عندما اتخذوا الحيوانات معبودات لهم، ولذلك لم يخجلوا من عبادة الكلاب النابحة والغنم الثاغية، وأبو منجل آكل الديدان والحدأة والصقر والثعابين المردة.»

هذا، وقد أنحى «أريستاس»[٥] باللائمة على قدماء المصريين بألفاظ غلاظ، ونقد لاذع لا يخرج عما ذكره «أريستيدس»؛ فقد قال ما معناه: «ماذا ينبغي للإنسان أن يقوله عن عمى المصريين عن الآراء الأخرى. فقد كانوا يضعون ثقتهم حتى في الحيوان؛ إذ كانوا يولون وجههم كثيرًا نحو الزواحف والحيوانات البرية، وكانوا لا يكتفون بعبادتها وتقديم القربان لها وهي حية؛ بل كانوا كذلك يعبدونها بعد مماتها.»

سنت كلمنت الإسكندري

ومن ألذع ما كُتِبَ في التهكم على ديانة قدماء المصريين ما كتبه «سنت كلمنت الإسكندري» عندما وصف لنا ديانة المصري جاره، فاستمع لما يقول:

> بين (المصريين) تُحاط المعابد بالخمائل والمراعي المقدسة الممدودة ببوابات هائلة، وردهاتها محاطة بعدد من العمد يخطئها العد، وجدرانها تسطع بالرخام الأجنبي وباللوحات الملونة التي تنم عن أرفع فن؛ وقدس الأقداس فيها

[٥] راجع: Aristeas brief 138 (Kausch de Apokryphin etc II 168).

> يضيء بالذهب والفضة والسام وبالأحجار الكريمة الكثيرة العدد والمختلفة الألوان التي أُحْضِرَتْ إليها من الهند وأثيوبيا، والمحراب الذي في هذا المعبد مغطى بستار مصنوع من الذهب، ولكن إذا ما مشيت خلف كل ذلك إلى أقصى جزء في حرم المعبد منتظرًا رؤية شيء يفوق كل ما رأيت، ثم صوبت النظر إلى الصورة التي تسكن المعبد فإنك ترى هناك كاهنًا مرتلًا أو أي كاهن آخر يرتل أنشودة نصر باللغة المصرية القديمة بنغمة فخمة، ثم يزيح إلى جانب جزءًا صغيرًا من ستارة كأنه على وشك أن يرينا الإله، ولكنه بدلًا من ذلك يجعلنا نتفجر بضحكة عالية؛ لأنه لا يوجد هناك إله، ولكن يُرَى قِطٌّ أو تمساح أو ثعبان خارجًا من جوف الأرض، أو بعض حيوان متوحش … والإله المصري يظهر أمامنا في صورة حيوان يتمرغ على غطاء من الأرجوان.

ومن جهة أخرى نجد بعض الكتاب المسيحيين قد أعطوا آراء وأحكامًا طيبة فيما يخص عبادة الحيوان عند المصريين القدامى. وهذه الطبقة من الكتاب هي التي سارت على نهج الكتاب الكلاسيين الذين كانوا يرون أن المصريين هم أحكم شعوب العالم وأكثرهم علمًا، وكان يُخيل إليهم أن عبادة الحيوانات لا يمكن أن تصور بأنها فكرة خاطئة كما لحظ ذلك المؤرخ «سمرمان»؛[٦] إذ — على حسب رأيه — إن في ذلك حكمة دينية لمعرفة الإله الواحد الحقيقي، وقد اختفت تحت غطاء صورة مضت.

ولا نزاع في أن «هرودت» هو أقدم من كتب عن الديانة المصرية القديمة، ومع ذلك لم يقدم لنا أية معلومات عن عبادة الحيوانات؛ بل كثيرًا ما نجده يلتزم الصمت عندما تكون الحاجة ماسة لإبداء رأيه فيقول مثلًا: «ولكن إذا كان لزامًا عليَّ أن أقدم أسبابًا عن تقدها، فلا بد لي أن أنزل في تاريخي إلى المسائل الدينية، وهذا ما أتحاشى ذكره بقدر ما أستطيع.»[٧] وقد تناول الكثير من الكتاب موضوع عبادة الحيوانات فذكروا آراء بعضها فلسفي وبعضها خرافي لا يتصوره العقل.

---

[٦] راجع: Zimmermann Ibid. p. 89.

[٧] راجع: Herod. II, 65.

عبادة الحيوان في المقاطعات

إن المطلع على ما كتبه الإغريق والرومان في البحث عن الوصول إلى أصل عبادة الحيوان في مصر يجد أنهم قد أخفقوا في معرفة ذلك، كما أنهم لم يقفوا إلى معرفة السبب في أن الحيوانات التي كانت تُقَدَّسُ لم تُعْبَدْ في كل المقاطعات على السواء؛ بل كانت تختلف عبادتها في كثير من الأحيان من مقاطعة لأخرى. وفي الحق نجد أن هذه الظاهرة قد اهتم بها الكتاب الإغريق دائمًا؛ فقد حدثنا عنها «هيردوت» إذ يقول:[٨]

> تجد عند بعض المصريين أن التماسيح كانت مقدسة، وعند بعضهم الآخر لم تكن مقدسة؛ إذ كانت تُعَامَل على أنها أعداء لهم. فهؤلاء الناس الذين يسكنون حوالي «طيبة» وبحيرة «موريس» يعتبرون التماسيح مقدسة جدًّا. وكان كل واحد يدرب تمساحًا فيعلمه حتى يصبح أليفًا تمامًا، وكانوا يضعون في أذنها أقراطًا من البلور والذهب، وأساور في مخالبها الأمامية، وكانوا يقدمون لها طعامًا مقدسًا معلومًا، وكانوا يعاملونها مدة حياتها بقدر المستطاع بالحسنى؛ وعندما تموت كانوا يحنطونها ويدفنونها في كهوف مقدسة. وعلى النقيض من ذلك نجد أن القوم الذين كانوا يسكنون الفنتين كانوا يأكلون لحومها، وعلى ذلك لم تكن في نظرهم مقدسة.

وقد حدثنا كذلك «هردوت»[٩] عن فرس البحر، فقال إنه كان يُقَدَّسُ في منطقة «بامبرميس» Pampremis، ولكن لم يقدس في سائر مصر.

ويقول «بلوتارخ» — الذي عاش من ٤٦ إلى ١٢٠ ميلادية — أن الغنم كانت تعتبر — في كل مكان في مصر — مقدسة، وعلى ذلك أصبحت من الحيوانات التي حُرِّمَ إلحاق أي ضرر بها.

ومن الفقرات الهامة التي أتت فيما كتبه «سترابون» عن الغنم قوله: «إن غنم إقليم «طيبة» وإقليم «سايس» وكذلك ذئب مقاطعة أسيوط، وقرد «الأشمونين»، ونسناس «بابليون» (مصر العتيقة)، ونسر «طيبة»، وأسد «تل المقدام»، وتيس «منديس»، ونمس «تل أتريب»، وحيوانات أخرى في مدن أخرى؛ كانت تُقَدَّسُ على التوالي كل في مقاطعته.»

---

[٨] راجع: Herod., II. 69.

[٩] راجع: Herod., II. 71.

وقد تحدث عن هذه العبادات المختلفة المؤرخ «جوسيفوس»[١٠] وغيره من الكتاب في المقاطعات المختلفة كل على حدتها.

ولدينا بطبيعة الحال كذلك فقرات عدة كالتي أوردناها فيما سبق نقلًا عن «هردوت» حيث نجد أن حيوانًا كان يُعْبَدُ في مقاطعة ويُنْبَذُ في أخرى.

ولحسن الحظ نجد أن اختلاف عبادة الحيوانات في كل مقاطعة على انفرادها قد ورد في الآثار التي كُشِفَ عنها أثناء أعمال الحفر في كل أنحاء القطر بصورة واضحة لا لبس فيها ولا إبهام.

وقد ذكرنا أسماء الآلهة التي مثلت أو تقمصها حيوانات في كل مقاطعة من مقاطعات الوجهين القبلي والبحري في كتاب أقسام مصر الجغرافية، وهذه الأسماء يرجع عهدها إلى الدولة الوسطى على حسب قائمة أسماء المقاطعات التي أوردها «سنوسرت الأول» على جدران معبده الصغير الذي عُثِرَ على أحجاره في البوابة الثالثة في الكرنك، وقد أقيم من جديد في معبد الكرنك.[١١] ويلفت النظر هنا أنه على مر الدهور أي حتى نهاية العهد الروماني في أرض الكنانة؛ كان في كل من هذه المقاطعات التي كانت تحتوي عليها البلاد، والتي كان يختلف عددها باختلاف الأحوال السياسية؛ توجد عدة آلهة تُعْبَد في نفس المقاطعة جنبًا لجنب، فنجد أن كل مقاطعة وكل مدينة كبيرة لا تقتصر عبادتها على الحيوان الرئيسي المقدس الذي كان يتقمصه الإله؛ بل كانت بطبيعة الحال تقدس كذلك تلك الحيوانات التي كانت من نوع الحيوان الذي يتقمصه الإله. وقد حدث أن بعض الحيوانات مما يوجد بوجه عام في كل مصر كانت محترمة ومعني بأمرها، وينطبق ذلك مثلًا على البقرة التي كانت تعتبر أنها تتقمص الإلهة «حتحور»، وقد كانت مقدسة في صور مختلفة محلية في جهات مختلفة في أنحاء البلاد؛ وكذلك القطة فهي حيوان مثل «حتحور» فكانت تتمثل فيها الإلهة «باست» ربة بلدة «بوبسطة» القريبة من الزقازيق الحالية، والحيوان ابن آوى كان يُقَدَّسُ بوصفه يمثل الإله «أنوبيس»، وأخيرًا لدينا الطائر «أبيس» (أبو منجل) وكذلك الصقر وهما طائران من أشهر الآلهة المصرية، وأعني بذلك الإلهين «تحوت» إله العلم والمواقيت ثم «حور» إله الشمس، وكذلك ابن «أوزير» و«إزيس».

[١٠] راجع: Joseph., C. Apion, I, 225.

[١١] راجع أقسام مصر الجغرافية في العهد الفرعوني.

هذا، ويُلْحَظ أن هذه الحيوانات قد ذكرها الجغرافي «سترابون»[١٢] باستثناء البقرة بوصفها حيوانات مقدسة، ولكنه أضاف إلى ما ذكرنا الثور والسمكة Lepidotus وسمكة أهناسية المدينة Oxyrhynchus.

على أن عدم التوافق في عبادة الحيوانات المقدسة في أنحاء القطر يرجع — كما يقول بعض الكتاب القدامى — إلى الأزمان العتيقة عندما كانت القبائل المختلفة تقف كل واحدة منها منفصلة عن الأخرى، وكان سكانها يعبدون حيوانهم الخاص بهم. وقد حدثت في خلال تلك المدة الطويلة التي جاءت قبل توحيد البلاد المنافسات والحروب، كما يحدثنا بذلك بعض المؤرخين الإغريق والرومان الذين أرادوا أن يخترعوا أسبابًا لاختلاف تلك العبادات في طول البلاد وعرضها. فمن ذلك ما ذكره المؤرخ «بلوتارخ»:[١٣] «أنه في زمنه؛ أي في القرن الثاني بعد الميلاد قد اندلعت نار حرب بين أهالي البهنسا الواقعة في مديرية المنيا مركز بني مزار (وتقع في المقاطعة التاسعة عشرة من مقاطعات الوجه القبلي) وبين أهالي مقاطعة أسيوط (المقاطعة الثالثة عشرة من مقاطعات الوجه القبلي). وسبب ذلك: أن أهالي مقاطعة أسيوط أكلوا السمكة التي كانت تُعْبَدُ في البهنسا. وقد انتقم أهالي البهنسا لأنفسهم بأن قبضوا على كلاب أكلوها انتقامًا لأكل السمكة التي كانوا يعبدونها، ومن أجل ذلك نشبت الحرب بين الطرفين مما أدى إلى حدوث أضرار لكليهما، إلى أن تدخل الرومان وفصلوا بين المتحاربين.» وقد ذكر لنا الكاتب «جوفينال»[١٤] مخاصمة كالسابقة حدثت بين مدينة «كوم أمبو» ومدينة «دندرة»، وقد اشتدت بينهما المخاصمة والأحقاد لدرجة أن أحد أهالي «كوم أمبو» قبض على واحد من الأعداء وأكل لحمه — وفي غالب الأحيان نجد أنه عندما يُضطهد حيوان مقاطعة بعينها كان يُكْتَفَى بقتله، كما يحدثنا بذلك الكاتب اليان[١٥] بقوله: «إن سكان مدينة «قفط» قد انتقموا لأنفسهم من أهالي «دندرة» اللذين صلبوا الصقر معبودهم المحبب، وذلك باضطهادهم التمساح معبودهم المقدس.»

أما من حيث تقديس أنواع الحيوانات؛ فإن «هردوت» قد ذكر بحق أن المصريين قد اعتبروا كل ما عندهم من حيوانات مقدسًا بما في ذلك الحيوانات المستأنسة وغير المستأنسة،

---

[١٢] راجع: Strabo, XVIII, 812.

[١٣] راجع: Plut., Ibid. 72.

[١٤] راجع: Juvenal, Sat. XV.

[١٥] راجع: Aelian, X, 24.

ولكنه ذكر لنا فقط خمسة عشر نوعًا.[١٦] وذكر «سترابون» عشرة أنواع وحسب، في حين أن «ديدور» ذكر أحد عشر نوعًا. أما «بلوتارخ» فقد دون لنا سبعة عشر نوعًا. وأخيرًا ذكر «اليان» عشرين نوعًا. يُضَافُ إلى ذلك بعض حيوانات لم يَأْتِ ذكرها فيما كتبه هؤلاء الكتاب القدامى ولكن جاء ذكرها فيما كتبه بعض الكتاب المسيحيون.

وتدل الإحصاءات التي عُمِلَتْ عن أنواع الحيوانات في مجموعها على حسب ما جاء على لسان الكتاب الإغريق والرومان أنها كانت اثنين وثلاثين نوعًا. وهؤلاء الكتاب هم «هردوت» و«سترابون» و«بلوتارخ» و«اليان».

أما هذه الأنواع فهي: (١) القرد والبابون والقرد الأخضر. (٢) القنفد. (٣) القطة. (٤) الأسد. (٥) الفهد. (٦) الكلب. (٧) الذئب. (٨) النمس. (٩) الدب (وقد ذكره «هردوت»). (١٠) الأرنب. (١١) فرس البحر. (١٢) الثور والبقرة والعجل «أبيس» والثور «منيفيس» والثور «بوخيس». (١٣) الكبش. (١٤) التيس. (١٥) الوضحى. (١٦) الغزال. (١٧) النسر. (١٨) الصقر والباشق. (١٩) البومة. (٢٠) الغراب Corvus. والغرابCornix (٢١) الحمام. (٢٢) البجعة. (٢٣) الوطواط. (٢٤) أبو منجل. (٢٥) الطاووس. (٢٦) الإوز. (٢٧) التمساح. (٢٨) الثعبان بأنواعه. (٢٩) الضفادع. (٣٠) السمكة Latus والسمكة Lepidotos والسمكة Maotes والسمكة Oxyrhynchus والسمكة Physa والسمكة Aal. (٣١)الجعل (الجعران). (٣٢) الأفعى. (٣٣) ابن عرس. (٣٤) ثعلب الماء. والنوعان الأخيران لم يمكن تتبع عبادتهما، ومن المحتمل أن المقصود هنا بثعلب الماء هو نوع من النمس،[١٧] والمقصود بالنمس هو القط المقدس ...

ويدل ما جاء على الآثار وكذلك ما عُثِرَ عليه من موميات حيوانات أن عدد الحيوانات التي كانت تُقَدَّسُ عند قدماء المصريين لم يَنْتَهِ عند ما ذكره الكتاب القدامى؛ بل نجد فضلًا عن ذلك الفأر والوشق Lynx ومالك الحزين[١٨] والسلحفاة، وكذلك نوع خاص من الضب والجندب[١٩] (وهو ضرب من الجراد) فكلها كانت تُقَدَّسُ في بعض جهات البلاد المصرية.

---

[١٦] راجع: Herod., II. 65.

[١٧] راجع: Ammian 22, 15.

[١٨] راجع: Zimmermann Aegypt Rel. P. 130.

[١٩] راجع: Pyramid. T. 860.

الفنكس

وفضلًا عما ذُكِرَ، حدثنا الكتاب الإغريق والرومان عن طائر خرافي يُدْعَى «فنكس» (العقاب) كما حدثنا عن «سفنكس» (بولهول) وكانا يُعْبَدَان في صورتي تمثالين.

والطائر فنكس كما ذكره الإغريق والرومان هو طائر خرافي، ومن الجائز أنه الطائر «بنو» الذي جاء ذكره في المتون المصرية، وهو من فصيلة الطائر مالك الحزين وكان يُقَدَّسُ فعلًا، غير أنه لم يَأْتِ ذكره في عداد الحيوانات التي كانت تُعْبَدُ في مصر. وتدل شواهد الأحوال على أن هذا الطائر لم يكن ماردًا خرافيًّا بل كان طائرًا موجودًا فعلًا. وقد قص عنه كتاب الإغريق قصة خرافية، ولم يكن على حسب ما اقترحه «هردوت» نسرًا؛ بل كان الطائر مالك الحزين، والظاهر أنه في عهد مبكر كان قد اختلط أمره بالطائر «إبيس» ذي العرف الذي يرمز به للنور «خو» أو الروح المضيئة. وكان في الواقع يمثل روح إله الشمس «رع». وقد تحدثت عنه الأساطير التي جاءت متأخرة فقالت إنه وقف على قمة شجرة في «هليوبوليس» وغنى، في حين أن لهيبًا اندلع بجواره، وأشرقت الشمس من سماء الصبح، وعند الغروب صار هذا الطائر «أوزيرًا»، ودُفِنَتْ موميته في «هليوبوليس» ولكنها تُبْعَثُ ثانية إلى الحياة عند ظهور أول أشعة للشمس المشرقة. ومن أجل ذلك كان هذا الطائر يُعْتَبَر عند الكتاب المسيحيين رمزًا للبعث، وعلى هذا الزعم قص علينا الكاتب «سنت كلمنت» الروماني قصة هذا الطائر كما يأتي: كان يوجد طائر خاص يُدْعَى «فنكس»، وكان الوحيد من نوعه الذي يعمر خمسمائة سنة. وعندما كان يقرب وقت فنائه — وهو إلى الزوال لا بد صائر — كان يبني لنفسه عشًّا من العطور والمر والأفاويه الأخرى، وكان يدخله عندما يشعر بدنو أجله ويموت فيه. ولكن لما كان لحم هذا الطائر مصيره إلى التحلل فإنه كان يتولد منه دودة من نوع خاص تتغذى من عصارة الطائر الميت ويتولد لها ريش. وعندما كانت هذه الدودة تنمو وتكتسب قوة، كانت تحتل العش الذي فيه عظام والدها الذي تخلقت منه، ثم تحملها وتطير من بلاد العرب حتى تصل إلى مصر لتسكن في مدينة «هليوبوليس» وبعد ذلك تطير في وضح النهار على مرأى من كل الناس، وتضع هذه العظام على مائدة قربان الشمس. وبعد انتهاء هذه العملية تسارع راجعة إلى مسكنها السابق، وكان الكهنة بعد ذلك يتصفحون سجلات التاريخ؛ فيجدون أنها عادت بالضبط في السنة الخمسمائة.[٢٠]

[٢٠] راجع: Herod., II 73; Pleny N. H. X 2; Tertullian de Resurr. p. 3.

وكذلك كان سفنكس (بولهول) بطبيعة الحال يُعَدُّ عند الإغريق حيوانًا خرافيًّا له جسم أسد ورأس إنسان، وكان يُعْتَبَرُ حارس الجبانة، وقد فصلنا القول فيه في كتاب خاص فليرجع إليه.[٢١]

وقبل أن نتحدث عن طبقات الحيوانات المقدسة يجدر بنا أن نضع قائمة عن كل من مقاطعات الوجه القبلي والوجه البحري، ونذكر فيها اسم المقاطعة والمدينة الرئيسية التي يُعْبَدُ فيها الحيوان، ثم اسم الإله الرئيسي، وأخيرًا نذكر الحيوان المقدس الذي كان يتقمصه أو يتمثل فيه هذا الإله. (راجع: مصر القديمة، الجزء الأول. حيث يوجد في آخر الكتاب قائمة مفصلة عن مقاطعات مصر ومعبوداتها بصورة مفصلة).

طبقات الحيوان المقدس

نجد في الحيوانات المصرية المقدسة في كل نوع منها ثلاثة ضروب أو طبقات، ويمكن الإنسان أن يسميها طبقات مميزة من حيث الرتبة، ولم تكن كل طبقة منها تتمتع بنفس المكانة التي تتمتع بها الطبقتان الأخريان؛ بل كانت تتمتع بميزة خاصة بها على حسب درجتها من التقديس. وقد تعرف على ذلك «هردوت»[٢٢] فيما يخص طبقات التيوس أو الكباش؛ إذ يقول: «وعلى أية حال كان أهل «منديس» يقدمون احترامهم لكل التيوس، وبخاصة للذكور منها أكثر من الإناث (وكان راعي التيوس يصيبه شرف أكثر من غيره)؛ فكان التيس عند موته تُقَامُ له شعائر الحزن عامة.» وكذلك لاحظ «سترابون»[٢٣] نفس الملحوظة فيما يخص الثور، فيقول: «إن كلًّا من الثورين «أبيس» و«منيفيس» كان يعتبر إلهًا، أما سائر الثيران الأخرى التي كانت توجد في أماكن كثيرة في أرض الدلتا فكانت تطعم، غير أنها لم تكن معتبرة آلهة، ولكن مع ذلك كانت مقدسة سواء أكانت ذكورًا أم إناثًا.» وقد فحص المؤرخ «فيدمان»[٢٤] في مقال له طبقات الحيوانات المقدسة وقال إنها طبقتان، وعلى حسب فحصه يمكن أن نميز بين هاتين الطبقتين فيما يلي: أولًا: حيوانات

[٢١] راجع: The Sphinx and its History in the Light of Recent Excavations.

[٢٢] راجع: Herod., II, Par 46.

[٢٣] راجع: Strabo. XVII, 807.

[٢٤] راجع: Wiedemann Alten Orient XIV, 1, p. 22 f.

تبقى حتى موتها ممثلًا فيها إله معين، وهذا الحيوان يعيش في المعبد، ولا يوجد في كل معبد إلا حيوان واحد من نفس النوع، وعلى ذلك فإن مثل هذه الحيوانات كانت تحترم احترامًا فائقًا بوصفها الحيوانات التي تتقمصها آلهة تأوي المعابد؛ وكان يسمى هذا الحيوان كذلك حيوان المعبد (أي الذي يسكن المعبد).

والطبقة الثانية: هي الحيوانات التي من فصيلة حيوان المعبد المؤله. وهذه الطبقة لا تتخذ آلهة؛ أي إنها لا يتقمصها إله، ولكن تعتبر مقدسة، ولا يصيبها من الناس سوء بوصفها محببة عند حيوان المعبد الذي تقمصه الإله.

ومما يطيب ذكره هنا أن الحيوان الذي كان يتقمصه الإله كان يُمَيَّزُ بطبيعة الحال بعلامات خاصة لا بد من وجودها فيه. وقد كتب عن هذه العلامات الكتاب الإغريق والرومان، وكذلك وجدنا هذه العلامات مذكورة في النقوش الأثرية؛ مثال ذلك ما جاء في لوحة منديس التي تحدثنا عنها مليًّا في الجزء الخامس عشر من هذه الموسوعة. وهذه العلامات على أية حال قد تحدث عنها الكتاب القدامى بتفصيل طويل ودقة بالغة. فقد ذكروا أكثر من تسع وعشرين علامة مقدسة للثور «أبيس». والمعلومات الخاصة بهذه العلامات كانت مدونة في كتب مقدسة محفوظة في مكتبة المعبد، والظاهر أنها كانت تحت إشراف طائفة خاصة من الكهنة، وهؤلاء هم الكتاب المقدسون. وكانت كل علامة في نظرهم تدل على معنى رمزي بالنسبة لمكان الإله في أماكن عبادة مختلفة قد تكون مرتبطة به أساطير مختلفة، ومن الجائز كذلك أنه كان لكل حيوان متقمص من نفس النوع في أماكن مختلفة على الأقل بعض علامات مميزة مختلفة. مثال ذلك أنه يمكن أن يكون لكبش معبد «طيبة» علامات غير العلامات التي كان يتميز بها كبش آمونيوم في سرت، أو أن بقرة «حتحور» المقدسة في «منف» كانت لها علامات أخرى غير التي كانت لبقرة «قوص»، أو أن «حور» هو الصقر المقدس صاحب «إدفو» كان له علامات مميزة غير علامات صقر «تانيس»، أو أن الإله «سبك» التمساح المقدس صاحب الفيوم كان له علامات غير علامات تمساح معبد آخر في مكان آخر يُعْبَدُ فيه التمساح. ولا نزاع في أن مثل هذه الاختلافات في العلامات لنفس حيوان المعبد على حسب تصور أهل البيئة المحلية التي كان يُعْبَدُ فيها هذا الحيوان المتقمص؛ كانت لا بد — بضرورة الحال في بعض الأحيان — قد شغلت بال كل الشعب عندما كان يُراد إيجاد حيوانات عدة للمعابد المختلفة من نفس النوع. وعلى الإنسان أن يفكر على سبيل المثال كم من كباش الإله «آمون» وكم من كباش الإله «خنوم»، وكم من بقرات الإلهة «حتحور»، وكم «أبيس» الإله «تحوت»

(أبو منجل) وكم من تماسيح الإله «سبك»؛ كان لا بد من العناية بها والمحافظة عليها في المعابد العديدة التي كانت في أنحاء أرض الكنانة؟

والظاهر أن موضوع الولادة الخارقة للطبيعة لم يكن قاصرًا على الثور «أبيس» وغيره من العجول المقدسة؛ بل كانت أمرًا ضروريًّا للحيوانات الأخرى التي كانت تُعْبَدُ في المعبد. وقد كان الكشف عن حيوان معبد تتوافر فيه كل العلامات المقدسة من أصعب الأمور أحيانًا، ومن أجل ذلك كان الملك بطبيعة الحال يخصص جائزة مالية لمن يكشف عن الحيوان الذي فيه كل العلامات المقدسة التي لا بد منها. ولدينا برهان محس على ذلك؛ فقد خصص الملك «دارا» ملك الفرس مائة تالنتا لمن يجد عجل «أبيس» جديدًا، وهذا المبلغ الذي خصصه «دارا» لهذا الغرض يُعْتَبَرُ مبلغًا ضخمًا لم يُسْمَعْ بمنح مثله مكافأة لمثل هذا الغرض. غير أن سبب ذلك كان يرجع لأمر خاص؛ فقد كان ملك الفرس يريد بذلك أن يهدئ غضب الشعب الثائر على شطربته، والذي كان قد جاوز حد المألوف في تصرفاته، وعلى أية حال لم يصل إلينا فيما تركه ملوك مصر القدامى مثل هذه المكافأة. وإذ اتفق أن الحيوان الذي كانت فيه كل هذه العلامات قد تعرف عليه أهل الخبرة في هذا الموضوع عند أحد الأهالي سواء أكان هذا الحيوان ثورًا أم كبشًا أم إوزة؛ فإنه كان يُؤْخَذُ منه في الحال، ويكافأ مقابل ذلك مكافأة حسنة.

وعند العثور على الحيوان المطلوب كانت تقام الأفراح العظيمة التي كان يشترك فيها أحيانًا الملك وأسرته، وغالبًا كل رجال كهنة مصر، أو على الأقل كانوا يمثلون في الاحتفال بذلك. وكان حيوان المعبد المُكْتَشَف حديثًا يقاد إلى معبد سلفه، ويقدس هناك في احتفال بوصفه الروح العائشة أو حياة الإله المجددة. وفي حالة «أبيس» كان يُعْتَبَرُ نائبًا عن الإله «بتاح». ومن أجل ذلك كان الكشف عن حيوان معبد وظهوره على الأرض متقمصًا إلهًا يعتبر حادثًا سعيدًا للغاية يدل على التفاؤل الحسي للبلاد، وكان القوم يعبرون عن فرحهم وحسن تفاؤلهم بطرق عدة؛ فكانت تُنظم المواكب، ويأتي الحجاج من كل فج ترحيبًا بإشراق الإله الجديد، ثم تُقام له الولائم وتُنْصَب حفلات الرقص وتُقَرَّبُ له العطور، وتقام الأحفال والقربات، تُنْشَدُ المدائح وتشرب الجعة ويُحْتَسَى النبيذ، وتؤكل لحوم العجول والإوز المطهي، ويلعب بالصناجات وينفخ في الناي ويضرب على آلات الطرب؛ ويسود السرور وتنتشر الأفراح بسبب ولادة الإله الرفيع من جديد.

على أن الاحتفال بتقديس حيوان المعبد لم يكن عبارة عن مظهر من مظاهر الفخفخة والأبهة كما يحدث في الكنائس الآن؛ بل كان يعد عيدًا شعبيًّا. ويُلْحَظُ في الاحتفال بحيوان

مثل الثور «أبيس» الذي كان يعتبر غاية في القداسة، وكذلك في الاحتفال بالعجل «منيفيس» أو العجل «بوخيس»؛ أن مصر كانت في مثل هذه المناسبة تكون في عيد من أول الفنتين حتى مصبات النيل. وبطبيعة الحال لم يكن يشترك — في مثل هذا العيد العظيم — المعابد التي كانت تدين بدين الإله «ست» (إله الشر)، ومن الجائز أن يكون ظهور كبش المعبد المقدس في «طيبة» أو كبش معبد «منديس» أقل في العظمة والأبهة بالنسبة للعجلين «أبيس» و«منيفيس»، ومن جهة أخرى نشاهد أن الاحتفال بالكشف عن تمساح معبد جديد تتوافر فيه الشروط اللازمة، في أي معبد مهما كان صغيرًا أو غير شهير في الفيوم؛ كان يُعْتَبَرُ يوم راحة أو يوم إجازة لفلاحي القرى المساكين.

ومن المعلوم أن نفس الإله يمكن أن يتقمص نوعين أو أكثر من الحيوانات؛ فتجد مثلًا أن الإله «تحوت» يتقمص الطائر أبو منجل ويتقمص قردًا أيضًا، والإله «حور» كان يتقمص صقرًا ويتقمص أسدًا، وكذلك كان يتقمص فأر السم. والإله «آمون رع» كان يتقمص الكبش والأسد والإوزة. ولكن مما يؤسف له جد الأسف أننا لسنا متأكدين مثلًا فيما إذا كان الإله «تحوت» يعبد في المعبد في مكانه الرئيسي بوصفه قردًا أو بوصفه الطائر أبو منجل، ونعلم كذلك على وجه التأكيد أن الإله «حور» في «تانيس» كان يتقمص أسدًا، ومع ذلك يظهر في نفس المكان متقمصًا صقرًا، ويُعْبَدُ هناك بهذه الصورة. وقد أبرز بدقة ومهارة الأثري المؤرخ «فيدمان» من محتويات نقش جاء على لوحة أن مهدي اللوحة وهو إسكافي كان يتعبد للإله «آمون رع» في أربع صور مختلفة؛ فقد تعبد إليه في صورة رجل وفي صورة إوزة وفي صورة كبشين.[٢٥] ويمكن ذكر أمثلة كثيرة أخرى من هذا النوع، ومن ذلك يستطيع الإنسان أن يستنبط أن الإله في مصر يمكن أن يُقَدَّسَ في نفس المكان في مظاهر مختلفة، وفي كل حالة يكون هذا الإله له شخصيته الخاصة به، وفي الوقت نفسه يمكنه أن يتقمص صورة مختلفة، وبذلك يمكن الإنسان أن يتصور تمامًا أنه في معبد الإله «تحوت» يمكن هذا الإله أن يتقمص قردًا، وكذلك في استطاعته أن يتقمص الطائر أبو منجل في وقت واحد، ويحفظان في معبد بعينه بوصفهما الحيوانين اللذين يتقمصهما الإله «تحوت».

ومما يجدر ذكره هنا بوجه خاص أنه لم يكن يُعْبَدُ في المعبد الواحد إله واحد؛ بل كان لكل معبد ثالوث من الآلهة يعبد فيه، وهذا الثالوث هو ما يُعَبَّرُ عنه بالأسرة الإلهية، ويتألف

[٢٥] راجع: Widemann Stele No. 7293 Berlin. Mélanges Charles des Harlez, p. 377.

من الأب (وهو الذي يتقمص الحيوان الأعظم في المعبد) والأم والابن. والثالوثات الأكثر شهرة ومكانة في مصر هي ثالوث «أوزير» و«إزيس» و«حور»، وثالوث «آمون» و«موت» و«خنسو»، وثالوث «بتاح» و«سخمت» و«نفرتم» في منف، وثالوث «سبك» و«حتحور» و«خنس»، وثالوث «إدفو» ويتألف من «حور» و«حتحور» و«أحي». وقد يكون الثالوث مؤلفًا من زوج وامرأتين مثل ثالوث الشلال، ويتألف من «خنوم» و«ستيت» و«عنقت». هذا، وقد ذكرنا ثالوثات أخرى في سياق الحديث عن المعابد المصرية في العهد المتأخر مثل ثالوثا معبد «كوم أمبو». ونجد أحيانًا في نفس المعبد عدة آلهة متجاورة وتُعْبَدُ كلها، وأحسن مثال على ذلك الآلهة التي كانت تعبد في معبد «سيتي الأول» بالعرابة المدفونة. فقد عُبِدَ هناك ثالوث «أوزير» بالإضافة للآلهة «بتاح» و«حور أختي» و«آمون» والملك «سيتي» الأول نفسه الذي أله نفسه.

وعلى الرغم من تعدد الآلهة في معبد واحد فإنه كان لزامًا أن يكون فيه إله واحد يتقمص الحيوان المقدس الرئيسي، وكانت الآلهة الأخرى في المعبد توضع تماثيلها في قوارب صغيرة، وكان الحيوان المتقمص يسير في موكب بعظمة وفخار، وكان تمثاله يُحْمَلُ على أكتاف الكهنة كذلك في قارب كما تحدثنا بذلك الآثار، أما الآلهة الأخرى التي في المعبد فكانت تسير في ركابه في الموكب.

وأعظم مكان مقدس في المعبد المصري هو الذي يوجد في نهاية المبنى، وكان المفروض أنه في هذه البقعة من المعبد يسكن الإله الأعظم الذي يتقمص الحيوان المقدس كما وصفه لنا «سنت كلمنت» فيما سبق. ومأوى الإله هذا كان يُسَمَّى قدس الأقداس.

ولقد كان من المفهوم تمامًا أن الحيوانات الصغيرة الحجم التي كان يتقمصها الإله الخاص لكل منها، وبخاصة التي كان يمكن أن تختبئ بسهولة أو تهرب مثل فأر السم أو الثعبان أو الضفدعة أو النمس؛ كانت حراستها صعبة جدًّا، ومن أجل ذلك كانت تُوضَع في أقفاص؛ أي نواويس مصنوعة من الخشب أو الحجر، ويُحَاطُ كل قفص بسياج مجهز بقضبان يمكن بوساطتها أن يصل الإنسان إلى الحيوان المتقمص، ويقدم له ما يريد من طعام وشراب، وفي الوقت نفسه يضمن عدم اختفائه.

أما الحيوانات الكبيرة الحجم التي كانت تتقمصها آلهة أو تمثل آلهة مثل الثور المقدس والكبش والتيس والغزال والأسد؛ فكانت — بطبيعة الحال — تُحْفَظُ في أماكن

رحبة واسعة، وكان بعض هذه الأماكن يُعْمَلُ لها سياج فتحجز الحيوان عن الكهنة والشعب معًا؛ وذلك بسبب خطورة بعضها إذا ما اقترب الإنسان منها مثل التمساح والأسد. أما فيما يخص الطيور التي كانت تتقمصها آلهة فكانت بطبيعة الحال تُصْنَعُ لها أقفاص فسيحة يتخللها الهواء، وبذلك يمكن أن يسكنها الطائر في أمان وراحة.

وأما الأسماك المقدسة فكان يُعْمَلُ لها نواويس في هيئة أحواض تُمْلَأُ بالماء بطبيعة الحال. ومن المحتمل أن الناووسين الهائلين اللذين صنعهما الملك «أحمس الثاني» في «تمويس»، Thumuis من أعمال الدلتا[٢٦] وكذلك الناووس الذي أقامه «نقطانب الأول» وأهداه لمعبد «صفط الحنة» كانت لمثل هذا الغرض.

كذلك ذكر «هردوت» ناووسًا هائلًا في معبد الإلهة «وازيت»،[٢٧] وهو مصنوع من قطعة واحدة من الحجر، ويقول في وصفه: يوجد في داخل هذا الحرم معبد للإلهة «لاتونا» Latona مصنوع من حجر واحد في ارتفاعه وطوله، وكل جدار من جدرانه مماثل الواحد منها للآخر؛ وكل منها يبلغ طوله أربعين ذراعًا، أما السقف فقد وُضِعَ عليه حجر آخر له كرنيش عمقه أربعة أذرع. وقد تحدث كل من «لوكيان»[٢٨] و«كلمنت»[٢٩] و«سترابون»[٣٠] و«سيلسوس»[٣١] على التوالي عن حجرات المعابد.

وفضلًا عن ذلك نجد على الآثار أن حيوانات المعبد غالبًا ما تمثل في أقفاصها كما جاء في لوحة «بيعنخي» التي تحدثنا عنها في الجزء الحادي عشر من هذه الموسوعة. وتدل الظواهر على أنه كان هناك اهتمام خاص بالمسكن الذي كان يأوي فيه الحيوان المتقمص في المعبد، ولا أدل على ذلك من التمساح الذي كان يسكن في المعبد؛ فكان له حوض مملوء بالماء يسبح فيه، وكان يُعْمَلُ بالمثل — على نطاق أصغر — للضب (الورل) والضفادع والسلحفات؛ إذ اتفق أنها عُبِدَتْ في المعبد بوصفها حيوانات تتقمصها آلهة، ومن ثم كانت تعتبر أنها الآلهة الرئيسية في المعبد.

---

[٢٦] راجع: Hopfner, Turkult der Alten Aegypten. P. 15.

[٢٧] راجع: Herod., II. 155.

[٢٨] راجع: Lukian, Bilder II.

[٢٩] راجع: Klemens, Paedagog, III, 2.

[٣٠] راجع:Strabo XVII, 805.

[٣١] راجع: Celsus (origines, III, 412 ; VI, 8, 8).

إطعام الحيوانات المقدسة

لقد كانت العناية بأمر هذه الحيوانات المقدسة لزامًا من حيث المأكل والمشرب؛ فكان يحتم ألا ينقصها شيء أبدًا من هذه الناحية، وقد تحدث إلينا في ذلك الكتاب القدامى، وسنكتفي هنا بما قصه علينا «ديدور»[٣٢] في هذا الصدد، وهو حجة في ذلك؛ فقد عاصر تلك الأحداث. فيقول: كان يُقَدَّمُ للحيوانات المقدسة أثمن أطعمة. فكان القوم يمدونها دائمًا بالعصيدة المصنوعة من فطير الدقيق أو من القمح المقشور واللبن؛ هذا بالإضافة إلى كل أنواع الفطائر المصنوعة بالشهد، ومع هذه الأشياء كانت تُقدم لحوم الإوز المسلوق أو المشوي. أما الحيوانات آكلة اللحوم فكان يُقَدَّمُ لها لحم الصيد الذي كان يُطْهَى على أشكال منوعة. وكان يعنى بهذه الحيوانات بوجه خاص من حيث النظافة؛ فكانت تحضر لها الحمامات الساخنة، وتُعَطَّرُ بأغلى العطور وأثمنها، كما كانت تُبَخَّرُ بكل أنواع البخور، وكانت تقدم لها أسرة ثمينة لينة، كما كان يعتنى بها اعتناء عظيمًا لدرجة أنه كان يُقَدَّمُ ما يلزم لإشباع غريزتها الجنسية؛ ومن أجل ذلك كان يقدم لكل ذكر منها أنثى تعيش بجواره تسمى حظية، وكان يعنى بها عناية تامة من حيث الإنفاق عليها ورعاية شئونها من كل الوجوه.

الأموال التي كانت تُنْفَقُ على هذه الحيوانات

وكانت الأموال التي تنفق على هذه الحيوانات التي تُحْفَظُ في المعابد يأتي معظمها من دخل الأطيان التي كانت موقوفة على كل معبد من هذا الصنف.

ولدينا معلومات كثيرة عن الحقول التي كانت موقوفة على مثل هذه المعابد، ويُصْرَفُ من دخلها على مختلف أنواع هذه الحيوانات المقدسة، وبوجه خاص في العهد البطلمي الذي انتشرت فيه عبادة الحيوان بصورة تسترعي الأنظار. فلدينا من ذلك حقول محبوسة على القطط والصقور وأبو منجل في مقاطعة بلدة جبل السلسلة (بتيريس).[٣٣] أضف إلى ذلك

---

[٣٢] راجع: Diod., I, 82.

[٣٣] راجع: Temperlurkunden von Edfu Inschr. & Tafel I, Z. 16.

عن أوقاف القطط ستة أرورات، وعن حقول الصقر خمسة أرورات، وعن حقول إبيس (أبو منجل) ٣٠ أرورا، وكذلك كانت لإبيس حقول في الفيوم.

راجع Pap. Tebt. 1, 62, 19 & 23; 63, 82; 64a, 9 ff; 32, 38 & 43; 98, 34.

أنه قد ذُكِرَتْ مراعٍ خاصة بالإله «إبيس» (أبو منجل) في مقاطعة «إسنا».[٣٤] وفضلًا عن ذلك كان الأهالي أنفسهم يقدمون هبات من عندهم، كما حدثنا بذلك «هردوت»؛[٣٥] إذ يقول: «كان عندهم (يقصد المصريين) عادة خاصة بالحيوانات، وهي الآتية: كان يُعَيَّنُ مشرفون يتألفون من رجال ونساء لأجل إطعام كل نوع من الحيوان المقدس على حدته، وكان الابن يخلف والده في وظيفته. وكان سكان المدن يؤدون واجباتهم للمشرفين بالطريقة التالية: بعد تأدية واجبهم للإله الذي يمثله الحيوان، كانوا يحلقون رءوس أطفالهم أو نصف الرأس أو ثلثه، ثم يضعون الشعر في إحدى كفتَي الميزان، وفي الأخرى يضعون فضة، ومهما يكن مقدار الوزن من الفضة فإنهم كانوا يقدمونه للمشرف على الحيوان.» وقد روى لنا «ديدور» ذلك بصورة أخرى مماثلة فيقول: إنه بعد الشفاء من المرض كان المريض يوزن الشعر مقابل فضة (أو ذهب) ثم يُعْطَى النقد لخادم الحيوان المقدس. وكان يشتري به العلف اللازم للحيوان المقدس. ومن ثم نفهم أن الشعب لم يكن مجبرًا على دفع ضرائب في هذا الصدد؛ بل كان يقدم العطايا من تلقاء نفسه بصفة نذر أو هبة كما هي الحال في أيامنا هذه. على أن ملك البلاد لم يكن بطبيعة الحال بأقل حماسة وغيرة في تقديم الهبات لهذه الحيوانات، ولا أدل على ذلك مما ذكره «بطليموس الثالث» والملكة زوجه في اللوحة التي أقامها مجمع كهنة البلاد اعترافًا بالإنعامات التي بلغت من السخاء حدًّا بعيدًا، وهي تلك الهبات التي قدمها لكل من العجل «أبيس» والعجل «منيفيس» في مرسوم «كانوب» الذي تحدثنا عنه في الجزء الخامس عشر من هذه الموسوعة. يُضَافُ إلى ذلك ما قدمه الملك «بطليموس الثاني» من القربات والهبات العظيمة لتيس «منديس» في معبده ببلدة «منديس» وقد فصلنا القول في ذلك في الجزء ١٥ كذلك من هذه الموسوعة.

خدام الحيوانات المقدسة

كان يوجد بطبيعة الحال خدام يسهرون على راحة حيوانات المعابد المقدسة. وهؤلاء كان بعضهم مربين وبعضهم الآخر كهنة. وقد حدثنا «هردوت» عنهم فاستمع لقوله: «إن كل

[٣٤] راجع: Esna Inschr. 2 Taf. 11, Z. 2–3.

[٣٥] راجع: Herod II. 65.

حيوان كان له حراس من الرجال والنساء على السواء من الشعب المصري، وكان الولد يرث والده في هذه المهنة.»[٣٦] وكذلك ذكر لنا «سترابون»[٣٧] أن التمساح المقدس كان له خدم في مدينة الفيوم يقدمون له العلف. وكذلك نجد أن خدمة الحيوانات المقدسة وكهنتها قد جاء ذكرهم على الآثار التي كشف عنها. فكان خادم الحيوان يُسَمَّى حارسه، في حين أن الخادمة الأنثى كانت تُدْعَى مربية، وكانت وظيفة كل منهما محترمة؛ ومن أجل ذلك نفهم على حسب ما ذكره «ديدور»[٣٨] أنهم كانوا يحملون شارات خاصة بهم، كما كانوا يُحَيَّوْنَ بكل تجلة ورهبة. وقد جاء ذكر هؤلاء الحراس في الأوراق البردية.[٣٩] هذا، وقد جاء ذكر طبقة الكهنة الذين يقومون بخدمة الحيوان المقدس على بطاقة وومية محفوظة الآن بمتحف «ستراسبورج». فمن هؤلاء الكهنة من يُطْلَقُ عليه لفظة «باستوفوروس» Pastophoros وهو ما يقابل عندنا الحانوتي أو المتعهد، وهو الذي كان يقوم بعمل كل الترتيبات اللازمة للتحنيط والدفن. وفضلًا عن ذلك ذكر لنا «اليان» Aelian طبقة[٤٠] الكهنة أصحاب المنزلة العالية، وهؤلاء هم الذين كان يطلق عليهم لقب «الكتاب المقدسون»، وكانت وظيفتهم فحص العلامات الخاصة التي كان لا بد من وجودها في الحيوان الذي كان سيخلف حيوان المعبد المقدس الذي رفع إلى السماء، ولدينا مثال قيم في هذا الصدد جاء ذكره على لوحة «منديس» التي فحصنا محتوياتها في بداية الجزء السالف من هذه الموسوعة.

وعلى أية حال فإن ما ذُكِرَ هنا من كهنة وخدم لم يستوعب بعد أنواع الخدم الذين كانوا يقومون على راحة حيوانات المعبد، ومن أجل ذلك ينبغي علينا أن نفرض وجود عدد كبير من الكهنة كان يقوم بحفل تقمص الإله العظيم لحيوان المعبد. ولدينا متن بالهيروغليفية نشره الأستاذ «سبيجلبرج»[٤١] وهذا المتن يشير إلى موضوع دفن البقرة

---

[٣٦] راجع: Herod. II. 65.

[٣٧] راجع: Strabo. XVII, 812.

[٣٨] راجع: Diod., 1, 83.

[٣٩] راجع: Urk. D. Kgl. Mus. zu Berlin III, 734, Z. 2, 7, 33, Cronert in Stud zur Palliogr. Und Papyruskunde, 4 Helft ; Pap. Tebt I, 72, 41.

[٤٠] راجع: Aelian XI, 10.

[٤١] راجع: A. Z. 43 (1906) p. 129 ff.

المقدسة «حسات» ويعدد لنا فيه أنواع الكهنة الذين اشتركوا في دفن هذه البقرة المقدسة، وهم:

(١) الكاهن «محى».
(٢) الكاهن «سمن-حات».
(٣) الكاهن خادم الإله.
(٤) الكاهن والد الإله.
(٥) كاهن الساعة.
(٦) الكاهن كاتب الإله.

ويقول المتن إن هؤلاء الكهنة كانوا يعنون بأمر دفنها كما هو مدون في الكتب.

وعلى أية حال سنتحدث فيما بعد عن طائفة الكهنة الخاصين بدفن الحيوانات المقدسة وعبادتها بعد موتها.

تقديس الحيوانات المتقمصة

كان الحيوان الذي تتقمصه روح الإله يتمتع بطبيعة الحال باحترام إلهي من الكهنة والشعب على السواء؛ فكثيرًا ما نرى على الآثار كهنة يتعبدون أمام الحيوان المقدس واقفين أو راكعين أو منبطحين على الأرض، كما نرى كذلك هؤلاء الكهنة وهم يصبون قربات النبيذ ويحضرون القربات. وكان عليهم بوجه عام أن يقوموا بالخدمات المقدسة اللازمة كما كان عليهم أن يقوموا بمثل هذه الخدمات لتماثيل الآلهة الصغيرة التي كانت توضع في قوارب، وغالبًا ما كان الملك يمثل على لوحات تذكارية مهداة للآلهة بوصفه كاهنًا أمام الحيوان المؤله. وكثيرًا ما نشاهد الحيوان المقدس ممثلًا على لوحة المتوفى حيث نرى الأخير يتعبد إليه، ويقدم له القربات، ويحضر له النبيذ؛ وكذلك يُلْحَظُ أن نماذج الحيوانات المقدسة العديدة التي عُمِلَتْ بأحجام مختلفة وبإتقان فائق كانت توضع مع الحيوان المتوفى بمثابة نذر، وقد بقي لنا بعضها ذُكِرَتْ في قوائم سجلات المعبد كما وُجِدَتْ مع الحيوان المتوفى. ولدينا تماثيل صغيرة للعجل «أبيس» وكذلك وصلت إلينا صور للأسد المقدس. هذا، وقد وُجِدَتْ مع هذه التماثيل لوحات منذورة نُقِشَتْ عليها صلوات وأناشيد للحيوان المؤله.

ويدل ما لدينا من معلومات على أن عددًا عظيمًا من الناس كانوا يتمتعون برؤية الحيوان المقدس القاطن في المعبد دون أي شك، وبخاصة لأن هذه الحيوانات كانت تُعَدُّ آلهة تقدم لها عطايا الوحي الذي كان يوحي به هذا الإله للناس، ومن أجل ذلك جاء فيما دونه الكتاب القدامى ما هو خاص بالعجل «أبيس» والأسد. فكانت الإشارة التي يومئ بها حيوان المعبد بمثابة وحي لا بد أن تُدَوَّنَ وتُتَرْجَمَ،[٤٢] وكانت هذه هي الخاصية التي يمتاز بها حيوان المعبد المقدس، فقد كان له تأثير عظيم عند عظماء القوم ورجال العلم والأمراء لدرجة أنهم كانوا يسعون لزيارته، ويعدون مثل هذه الزيارة شرفًا لهم.

وفي ظل هذه الحقيقة ينبغي علينا أن نعترف بأن باب حيوان المعبد المؤله كان مفتوحًا للأتقياء والمخلصين في عبادته، ومن أجل ذلك كانوا يسعون طلبًا للتقرب إليه وعبادته والتماس العون منه، وعلى ذلك فإن ما قاله «بورفيروس»[٤٣] أن المعابد في مصر كانت مغلقة في وجه عامة الشعب إلا في أيام الأعياد وفي مواقيت الولائم الشعبية؛ قول مبالغ فيه. حقًّا لم يكن المعبد مفتوحًا لكل من هب ودب؛ بل كانت هناك فئات كثيرة مباحٌ لها دخول المعبد مثل أولئك الذين كانوا يسعون للغسل أو الذين يريدون أن يتطهروا بالماء. ومن جهة أخرى كان دخول المعبد يحرم على أولئك الأجانب الذين كانت تحوم حولهم الشبهات، وقد توجد أحيانًا أسباب قوية تحرم الزيارة، يدل على ذلك البلاغ الذي جاء فيه ذكر سرقة تمثال للإله «أنوبيس» المصنوع من الذهب من أحد المعابد.[٤٤] وعلى أية حال يظهر أن موضوع تحريم دخول المعابد على الأجانب كان السبب في خلق الأسطورة القائلة أن المعبد محرم دخوله على عامة الشعب.

خروج الحيوان المقدس من حظيرته في المعبد

تحدثنا الآثار الباقية عن أن حيوان المعبد كان أحيانًا يغادر مقره في المعبد، ويسير في موكب بين كهنته والأتقياء من أتباعه المخلصين. فقد كان الحيوان المقدس الذي يتقمص روح إله المعبد يخرج لزيارة آلهة أخرى مثله في معابدها؛ فمن ذلك الزيارة السنوية

[٤٢] راجع: Urk. d. Kgl. Mus. Zu Berlin II 387, Z. 222.

[٤٣] راجع: Porphyrus IV. 6.

[٤٤] راجع: Hopfner Ibid. p. 17.

التي كانت تقوم بها البقرة «حتحور» صاحبة «دندرة» للإله «حور بحدتي» زوجها وإله «إدفو» الأعظم، وقد تحدثنا عن هذه الزيارة في الجزء السالف.

وفاة الحيوان المقدس

كان حيوان المعبد المقدس يعيش عيشة ناعمة؛ إذ كانت تُبْذَلُ في خدمته كل عناية وصون، فكانت تُقَدَّمُ له أرفع مراسيم الاحترام والإجلال حتى تحضره الوفاة الطبيعية. وقد كان المفروض أن الثور «أبيس» — الذي كان احترامه وتقديسه عظيمًا لدرجة كبيرة جدًّا — لا يتعدى عمره الخامسة والعشرين، ولذلك قيل إن الكهنة كانوا يذبحونه إذا جاوز هذا السن، غير أن البيانات التي لدينا قد أظهرت أن هذا القول مختلق. ومن جهة أخرى نجد على حسب ما أورده «بلوتارخ» من معلومات يُعْتَمَدُ عليها إلى حد ما، أن حيوان المعبد المقدس كان يُذْبَحُ على ما يظهر. فقد جاء في الفصل الثالث والسبعين من كتابه عن «أوزير» و«إزيس» ما يأتي: عندما تسري روح «تيفون» (= أي روح «ست» إله الشر) في هذا الحيوان فإنه يظهر — كما تدل الأسطورة — أن كل طبيعة دنسة حيوانية تؤلف جزءًا من هذه الروح الشريرة، ولكن لأجل تهدئة هذه الحالة وإصلاحها فإن كل حيوان كان يهدأ بالعبادة، ولكن إذا ثار الحيوان بقوة وبصورة مزعجة، وذلك بسبب مرض مهلك أو بسبب مصيبة عامة خارقة لحد المألوف؛ فإنه كان لزامًا على الكهنة أن يقودوا هذا الحيوان المؤله أثناء الليل الحالك الظلمة سرًّا، ويخيفونه أولًا بالتهديد لأجل أن يوقف هذه الكارثة الجماعية، وبعد ذلك ينذرونه ويذبحونه بمثابة عقاب للروح الشريرة التي تسكنه، أو بمثابة تكفير عن شر مستطير. وقد ذكر «مانيتون» أنه في مدينة «الكاب» قد أُحْرِقَ رجال بسبب أنهم كانوا يدعون شياطين، وبعد حرقهم ذُرِيَ الرماد المتخلف من حرقهم في مهب كل الرياح. وعلى أية حال كان يحدث ذلك علنًا في وقت محدد في أيام الكلب (وهو من يوم ٣ يوليو حتى يوم ١١ أغسطس عندما كان يطلع نجم الكلب ويغيب مع الشمس).

ولكن القربات السرية من الحيوان المقدس، وهي التي كان يشرع في عملها في وقت غير محدد قد بقيت خفية بالنسبة للجم الغفير من الناس، اللهم إلا عند دفن «أبيس» فإن

بعضها كان يبين ويلقى به معه في حفرة القبر. وكان القوم يعتقدون أنه بمثل هذا العمل يحيق بالشيطان الضرر، ويذهب عنه سروره؛ غير أن هذا الكلام فيه شك. وقد تحدث عنه الأثري «هوبفنر»[٤٥] وقد ختم كلامه بقوله: إن ذبح الحيوان المتقمص الساكن في المعبد غير ممكن بالمرة. وسنتحدث عن هذا الموضوع فيما بعد عند الكلام على العجل «أبيس».

حزن الشعب على موت حيوان مقدس

وكانت العادة المتبعة عند موت حيوان المعبد الذي يتقمصه الإله الأكبر في نفس المعبد أن يعمَّ الحزن أنحاء المقاطعة. أما عند وفاة العجل «أبيس» أو العجل «منيفيس» فكانت كل البلاد تعلن الحداد عليه مدة سبعين يومًا يُعتنى في خلالها بتحنيطه ودفنه بكل مظاهر التجلة والأبهة والفخار. وعلى أية حال كان يُبْحَثُ في خلال تلك المدة عن خلف له، وفي معظم الأحيان كان يُعْثَرُ على مثيله؛ وعلى ذلك فإنه على أثر دفن الثور المتوفى كان يُقَامُ عيد يُدْعَى عيد «الظهور» أي ظهور الحيوان الجديد الذي كان ينصب في المعبد. وإذا حدث أن العجل الذي يحتوي على كل العلامات اللازمة في مدة السبعين يومًا لم يُعْثَرْ عليه فإن الحزن كان يمتد أجله على الأقل في منطقة المعبد بين الكهنة. وقد وصلت إلينا بعض تقارير عن كيفية إظهار الحزن على الحيوان الراحل، وكان أبرز علامات لذلك هي صوم القوم وحلق شعورهم. وكان من الضروري حفظ جسم حيوان المعبد المقدس؛ وذلك لأن حياة هذا الحيوان في عالم الآخرة تتوقف على بقاء قرينه (كا = الروح) الذي كان لا يمكن أن تبقى إلا إذا كان الجسم سليمًا، ومن ثم كان تحنيط الجسم أمرًا محتمًا. وتفسير ذلك أن المصريين كانوا يعتقدون أنه ما دام الجسم محفوظًا تمامًا فإنه يكون في استطاعة القرين (كا) أن تأخذ من القربان الذي يُقَدَّمُ للمتوفى، وتوصله إلى جسمه أو موميته ما دامت سليمة في القبر. ونفهم من ذلك أن ما كان يُتبَع في تحنيط جسم الإنسان وتقديم القربات له كان يتبع مع الحيوان المقدس.

---

[٤٥] راجع: Hopfner Ibid. p. 18–19.

تحنيط الحيوان المقدس

ويحدثنا المؤرخ «ديدور الصقلي»[٤٦] عن تحنيط الحيوان المقدس فيقول: إن الجسم كان يُحْفَظُ بحقنه بزيت خشب الأرز، وهو نوع من التربنتينا، وبواسطته لا يستخرج الإنسان أمعاء الحيوان. وهذه الطريقة تقابلها الطريقة الثانية للتحنيط التي ذكرها «هردوت»[٤٧] وفيها يقول: وبعد أن يملأوا حقنهم بالزيت المستخرج من خشب الأرز يملئون أحشاء الجثة دون إحداث أي قطع فيها أو استخراج الأمعاء؛ ولكن كانوا يحقنونها في الدبر؛ وبعد أن يمنعوا الحقنة من التسرب كانوا يغمسون الجسم في مادة النطرون لمدة أيام معدودات، وفي اليوم الأخير من هذه المدة المحددة كانوا يتركون الزيت المحقون يخرج من الدبر، وكان له مفعول عظيم لدرجة أنه كان يجعل الأمعاء تطرد إلى الخارج كما يجعل الأحشاء في حالة تحلل.

والنطرون بطبيعته يحلل اللحم، ولا يبقى شيء من الجسم إلا الجلد والعظام. وبعد إتمام ذلك كانوا يعيدون الجثة دون إجراء أية عملية أخرى أبدًا فيها. وهذه الملحوظات كلها صحيحة؛ وذلك لأن زيت خشب الأرز لا يذيب الأحشاء كلية، ولكن يعمل على عدم تعفن الجثة التي كانت كذلك تباد بوساطة النطرون. ويُلْحَظُ أن الصديد الذي كان يخرج من الجثة مدة السبعين يومًا لم يكن هو زيت خشب الأرز؛ بل هو المادة المتحللة من الأحشاء التي كانت قد ذابت هناك، ولم يكن في مقدرة الزيت أن يقذف بها إلى الخارج. وهذه الطريقة الثانية للتحنيط التي ذكرها «هردوت» كان ثمنها على حسب تقدير «ديدور» عشرين مينات (المنات = أربعة جنيهات). وهذا يقابل تكاليف تحنيط جسم آدمي. وتدل الموميات الكثيرة العدد جدًّا التي كُشِفَ عنها من موميات الحيوانات المقدسة من كل صنف من أول العجل «أبيس» حتى فأر البحر؛ على أنها كانت على درجات مختلفة من التحنيط.[٤٨] وقد كان ذلك يتوقف على مكانة الحيوان، وعلى ثراء المعبد الذي يأوي فيه،

---

[٤٦] راجع: Diod., I 83.

[٤٧] راجع: Herod. II, 87.

[٤٨] راجع: Loncts et Gaillards, La faune Momiflée de l’Ancienne Egypte. Lyons (1906).

وكذلك على عظمة هذا المعبد، وعلى مقدار العناية بتحنيطه. ويُلْحَظ أن الموميات التي كانت قد حُفِظَتْ حفظًا ممتازًا، ونخص من بين هذه موميات القطط؛ يمكن الإنسان أن يسلم بأنها كانت ضمن حيوانات المعبد، وهذه كانت أحيانًا أو في غالب الأحيان تُحَنَّطُ تحنيطًا من الدرجة الأولى، وهي التي على حسب تقدير «ديدور» إذا ما قُرِنَتْ بتحنيط الإنسان لا تقل تكاليفها عن تالنتا من الفضة؛ أي حوالي ٢٣٥ جنيهًا.[٤٩]

وكان من المفهوم أحيانًا أن إمكانيات المعبد لم تكن كافية لتغطية مصاريف هذا النوع الباهظ الثمن من التحنيط؛ ومن أجل ذلك كان يضطر رجال الدين إلى البحث عن المال اللازم لتغطية هذه المصاريف من أية جهة كانت. فكانوا يلجئون في ذلك أولًا إلى كرم الأهالي، وقد حدثنا في ذلك المؤرخ «بلوتارخ»[٥٠] فاستمع إلى ما جاء فيه: إن كل سكان مصر جميعًا كانوا يتبرعون لدفن الحيوانات المقدسة بمبالغ محددة باستثناء سكان «طيبة». وعلى الرغم من منطوق عبارة «بلوتارخ» فإن الإنسان لا يمكنه أن يفكر في أنه كانت تُفْرَضُ ضرائب لجمع الأموال اللازمة؛ بل كانت تُعْتَبَرُ بمثابة هبات يدفعها ثراة القوم. وهذا الرأي قد أكده ما جاء في بردية محفوظة بمتحف «جنيفيا» ويرجع تاريخها إلى العهد الروماني في مصر، ويذكر متنها أن جماعة من الكهنة وعظماء القوم في «منف» قاموا بمناسبة موت عجل «أبيس» بتوريد كل ما يلزم لأجل الاحتفال بدفن العجل «أبيس»، وذلك بجمع المال اللازم لهذا الغرض.

ولا نزاع في أن هذه البردية تقدم لنا في الوقت نفسه البرهان على أن مثل هذه الهبات كانت تقدم عينًا، وكذلك تبرهن على أن الكهنة أنفسهم كانوا يشتركون في تقديمها؛ فقد اشتملت هذه الورقة على مستند بعشرة أذرع من الكتان الملكي قُدِّمَتْ لمعبد الإله «سبك».[٥١] هذا، وقد وجدنا ما يماثل ذلك في بردية عُثِرَ عليها في «أم البرجات»، وفحواها أن رئيس الكهنة في معبد «آتوم» بمدينة «هليوبوليس»[٥٢] قد صدق على تسلم عشرين

[٤٩] راجع: Diod., I, 91.

[٥٠] راجع: Plut. Ibid. 21.

[٥١] راجع: W. Otto. Priester und Tempel in hellinist Agypten I, s. 391. Ann. 4.

[٥٢] راجع: Pap. Tebt. II, 313.

ذراعًا من الكتان الجميل لأجل تحنيط ثور «منيفيس»، من فرد يُدْعَى «مارون» Maron بن «باكبكيس» Pakebkis ويُدعى كذلك باسم «سوزيموس» Zosimis. وكان كاهن المعبد الفاخر للآلهة في قرية «تبتونيس» Tebtunis في مقاطعة «أرسنوي». والظاهر أن توريد كتان الموميات كان ميزة اختص بها معبد التمساح؛ وذلك لأن الإله «أوزير» كان ذات يوم قد كفن في لفائف حمراء كان قد صنعها له الإله الذي يتقمص التمساح[٥٣] (= الإله سبك). وكذلك كان الملك في عهد البطالمة يسهم في تجهيز الحيوان المقدس بعد الموت كما يدل على ذلك ما حدثنا به الكتاب القدامى، وكذلك الآثار التي من عهد كل من «بطليموس» الرابع والخامس، وبخاصة ما جاء في نقوش مرسوم «حجر رشيد» الذي تحدثنا عنه من قبل.

وكان يُعَيَّنُ — لتحنيط الحيوان المقدس وتجهيزه للدفن — كهنة خاصون كما جاء ذكر ذلك في بعض الأوراق البردية.[٥٤] وقد جاء ذكر محنطين خاصين بالقردة والقطط وأولاد آوى والبقر والصقور والثعابين وغيرها من الحيوانات المقدسة. وهؤلاء الكهنة كانوا تابعين لجمعيات، وكان لكل جمعية قانونها الخاص، وهؤلاء الكهنة كانوا من الطبقة الدنيا من الكهنة، ويعملون موظفين في جبانة الحيوانات المقدسة، كما كانوا بطبيعة الحال يعملون في جبانة العجل «أبيس» المعروفة باسم السرابيوم.

ومما تجدر ملاحظته هنا أن جبانة الحيوانات المقدسة كانت تتألف من مدافن منفردة يُدْفَنُ في كل الحيوان الرئيسي الذي كان يقدس في المعبد ويسكن فيه. وكانت هذه الجبانة تحتوي على كهوف جماعية تدفن فيها الحيوانات المقدسة التي من نوع الحيوان المقدس الرئيسي. ولا نزاع في أن الحيوان المؤله — الذي كان يعتنى به في كل حالة من حيث التحنيط والتجهيز؛ كان يثوي غالبًا تحت مقصورة صغيرة تقام فوق قبره المحفور في جوف الأرض، وهذه المقصورة كانت مخصصة لعبادته؛ فكانت تزدان بالنذور التي كان يقدمها الصالحون وأهل التقوى، هذا فضلًا عما كان يقدم له من قربات، ويُقام له من صلوات. وأبرز مقاصير من هذا النوع معروفة لنا هي مقاصير العجل «أبيس» في سقارة. وقد تحدثنا عنها في أنحاء مختلفة في هذه الموسوعة منذ بداية إقامتها في هذه البقعة المقدسة.

---

[٥٣] راجع: Brugsch. Died, Georgr. 1175.

[٥٤] راجع: Pap. Tebt. I. 72, Z. 411 vgl. 61 b. Z. 401.

الأشياء التي كانت تُدْفَنُ مع الحيوان المقدس

لما كان حيوان المعبد المقدس يعتبر في نظر المصري القديم — بعد موته — مثل الإله «أوزير»، إذ كان تُقَامُ له شعائر كالتي كانت تقام لأي مصري من علية القوم بعد وفاته؛ فقد كان الأخير بدوره يعتبر «أوزير» في عالم الآخرة، وذلك منذ ظهور الديموقراطية في عالم الآخرة بعد الثورة الاجتماعية التي اندلع لهيبها في العهد المتوسط الأول من تاريخ أرض الكنانة؛ أي بعد سقوط الدولة القديمة. وتدل كل الظواهر على أن العجل «أبيس» كانت تقام له كل المراسيم التي كانت تقام لعظيم من علية القوم؛ فكانت توضع في قبره كل الأدوات التي كانت تلزم له في عالم الآخرة مثل التماثيل المحيبة وغيرها من التمائم، كما كان يُعْمَلُ له حفل فتح الفم. وسنتحدث عن ذلك فيما بعد.

أما الحيوانات التي كانت من نوعه أو بعبارة أخرى من فصيلة الحيوان الإله المقدس في داخل المعبد فقد كانت تُعْمَلُ لها مثل هذه الشعائر، ولكن بدرجة أقل؛ لأنها لم تكن حيوانات تقمصتها آلهة مثل إله المعبد المقدس؛ يُضاف إلى ذلك وقبل كل شيء أن الإله الذي يُعبد في المعبد كان قد تجسد في واحد منها، ومن أجل ذلك كان يُعنى بهذه الحيوانات، كما إنه كان محرمًا ذبحها، ولا تُقدم لحومها قربانًا، ومن أجل ذلك أيضًا كان عقاب من يتعدى على واحد منها هو الموت.

ومن المؤكد أنه فيما يتعلق بالحيوانات التي كانت من نوع حيوان المقاطعة الرئيسي؛ كانت التشديدات للمحافظة عليها كبيرة، غير أنه كان يُكتفى أحيانًا بتوقيع غرامة على من يلحق بها أضرارًا وحسب. وإذا حدث أن ذُبح حيوان من هذه الحيوانات المقدسة بسبب وقوع كارثة عامة أو لأي سبب ديني، فإن ذلك يكون داعيًا لإثارة غضب الحيوان الإله بطبيعة الحال، ومن أجل ذلك كان على المرء أن يسعى لإصلاح مثل هذه الخطيئة أو الإثم، إما بدفن الحيوان المجني عليه بعناية، أو بتقديم ذبيحة بمثابة قربان له (راجع قصة الأخوين في هذا الصدد في كتاب الأدب المصري القديم ص٩١–٩٩). ففي الحالة الأولى كان من المستطاع بوجه خاص فيما يتعلق بالحيوانات التي من النوع الكبير الذي يقدس في المعبد مثل التماسيح أو الثعابين؛ أن يطبق عليها ذلك، فنرى مثلًا في موميات التماسيح التي لا حصر لها أن التي حُنطت منها هي التي كانت قد اصْطِيدَت، غير أن هذا الرأي يعارضه بعض الباحثين. والرأي الذي أجمع عليه الكتاب القدامى هو أنه لم

تحدث أبدًا مطاردة للتماسيح التي من فصيلة التمساح المتقمص، يُضاف إلى ذلك أن لحم هذا الحيوان المقدس كان محرمًا.[٥٥]

وخلافًا لهذه العناية السالفة الذكر فإن الإنسان بوجه عام لم يكن يهتم كثيرًا بهذه الحيوانات المقدسة؛ إذ لم يحسب حساب ما كان يصيبها من أذى على يد الإنسان من أخطار أو من المقاطعات المعادية، أو من الحيوانات الأخرى، أو من العوامل الطبيعية مثل الفيضان أو النار؛ وذلك لأنه كان لزامًا أن تُحْمَى من الأذى، يُضاف إلى ذلك المحافظة عليها في مواسم القحط التي كانت تنتاب البلاد من وقت لآخر. وفي الأحوال المواتية كانت أنواع الحيوانات المقدسة المعتنى بأمرها لا بد أن تتكاثر، وعلى ذلك كانت أرض مصر المنبسطة والقرى وحتى المدن تزخر بأعداد كثيرة منها، وبخاصة القطط والبقر والأغنام والحيوانات البرية والنسور والصقور وأبو منجل ... وغيرها من الحيوانات والطيور. هذا، ولم تكن مصر مغمورة كثيرًا بالحيوانات؛ ويرجع السبب في ذلك إلى الفيضان السنوي الذي كان يقضي على الكثير منها فيطغى عليها. يضاف إلى ذلك العداوة التي كانت بين أنواع الحيوانات، وأخيرًا التناقض الذي كان يُشَاهَد في تقديس الحيوانات في المقاطعات المختلفة.

والعلاقات التي كانت بين الحيوان المؤله والحيوان المقدس يمكن الإنسان أن يتصورها كما يتصور ملكًا على رأس مملكة. فالحيوان الإله هو ملك نوعه؛ إذ كان هو الذي يهتم بحيوانات نوعه ويحميها، وكان هو الذي يأخذ لها بالثأر عند الحاجة، وهذا الانتقام كان هو الذي يأخذه بنفسه وينفذه، أو كان يطلب مساعدة أفراد نوعه للانتقام للحيوان الذي أصابه الضر، وتدل شواهد الأحوال على أن الحيوان المؤله كان يظهر بوصفه ملك نوعه، ويشاهد ذلك في كثير من الأحوال في صورة سلسلة من الحيوانات المقدسة المؤلفة من نفس النوع يسير الواحد منها تلو الآخر. وفي هذه الحالة يلحظ أن أول حيوان في السلسلة هو الذي كان قد تقمصه الإله، أما سائر الحيوانات الأخرى في السلسلة فهي عشيرته التي نبع منها هذا الحيوان المؤله. وتظهر نفس هذه الفكرة عندما نشاهد في معبد صقر مؤله عدة صقور أخرى انتخب من فيها. ففي المعبد — في الواقع — كان يوجد صقر واحد يتقمصه الإله «حور»، وكذلك كانت الحال في معبد فيه الأسد يتقمصه الإله، توجد عدة أسود تأوي فيه.[٥٦]

[٥٥] راجع: Pseudo-Klem. Rom. Recogn. X, 27.

[٥٦] راجع: Alter Orient XIV, I, P. 24.

ويلحظ تفضيل نوع من الحيوان المقدس على الحيوانات العادية التي تقدس أيضًا من فحص جثتها؛ وذلك أن جثث الحيوانات المقدسة يجب ألا تتحلل، ومن ثم يكون مصيرها إلى الفناء؛ بل يجب أن تبقى محفوظة حتى يمكن أن تسكن إليها أرواحها، وبذلك تبعث بعد الموت، ومن أجل ذلك كان لا بد من المحافظة عليها بالتحنيط، وكان الإنسان في مثل هذه الحالة يكتفي بتحنيطها بأبسط الطرق، ولكنه يلحظ أن معظم الموميات التي توجد بكميات كبيرة مدفونة في حفر الكهوف، كان حفظها رديئًا جدًّا لدرجة أنه كان من الصعب أحيانًا تحديد نوعها.

وعلى أية حال كان من واجب رجال المعبد القيام على تحنيط حيوانات النوع الذي منه حيوانهم المعبود بالمعبد، وكان القصد من هذا التحنيط أن تعود إلى سيرتها الأولى في عالم الآخرة.

وقد دلت المشاهدات على أن عدم الاهتمام البالغ بأمر هذه الحيوانات لم يقتصر على التحنيط؛ بل كذلك لوحظ نفس عدم الاهتمام فيما يتعلق بشئون دفنها، فلم يُنْفَقْ على ذلك مال كثير؛ بل كانت تدفن بالجملة في كهوف جماعية، وكثيرًا ما لجأ الإنسان في مثل هذه الحالة اقتصادًا في النفقات كما يقول المؤرخ والأثري «فيدمان»[٥٧] إلى دفنها في كهوف صنعتها الطبيعة في الجبال أو في مقابر كانت في الأصل مقامة لأفراد من الشعب غير أنها عفا عليها الدهر ونُهبت وأصبحت خاوية على عروشها فأفاد منها الكهنة. والواقع أنه في مثل هذه المقابر كان يكدس الكهنة جثث الحيوانات المحنطة بالمئات والآلاف، ومعظم هذه المقابر كان يحتوي كل منها على نوع خاص من الحيوان، والأمثلة على ذلك كثيرة فلدينا كهف الطائر «أبيس» (أبو منجل) الذي كُشِفَ عنه منذ زمن بعيد في «سقارة»، وكذلك كهف التماسيح الهائل الذي كشف عنه في «منفلوط»، ومقبرة القرود التي كشف عنها في «طيبة».

على أنه قد كُشِفَ في أماكن أخرى مدافن حيوانات مقدسة كدست فيها جثث الحيوانات المحنطة دون مراعاة إذا كان كل نوع واحد قد دفن في كهف بعينه أو في جبانة واحدة مخصصة لهذا النوع.

يُضاف إلى هاتين الطبقتين من الحيوانات أي الحيوانات المقدسة للمعبد وهي التي كان يتقمصها إله المعبد الكبير، والحيوانات المقدسة التي من نوعها؛ طبقة ثالثة وهي

---

[٥٧] راجع: Wiedemann Alter Orient XIVI, I, p. 24 f.

الأخيرة كما أكد لنا «فيدمان» ذلك، وقد عزز رأيه ما جاء على لسان بعض الكتاب الإغريق، وكذلك ما جاء على الآثار الباقية نفسها. وقد سمى «سوردي» Sourdille هذه الطبقة من الحيوانات الـ «فتش».[٥٨] ومن بين الحيوانات توجد بعض أمثلة تعتبر بمثابة نوع مقدس. وحيوانات هذا النوع تابعة كذلك لحيوان المعبد المؤله، غير أنها كانت تُرَبَّى في البيوت الخاصة وتقدس عند أصحابها. وهذه العادة كانت منتشرة بوجه خاص بين الطبقة الدنيا من أفراد الشعب؛ وقد أشار إلى ذلك الكتاب الإغريق فيما كتبوه عرضًا. وأهم الحيوانات التي من هذا القبيل القطط وأولاد آوى والصقور والثعابين، ومن جهة أخرى حدثتنا الآثار عن تقديس الطبقة الدنيا من الشعب للقردة وأبو منجل والبجعة والإوز ... وقد حدثنا «سوردي» بوجه خاص عن عبادة البجعة والقطط (راجع Sourdille Ibid. p. 235) كما جاء ذكر ذلك على اللوحتين ١٣٤ و١١٠ المحفوظتين بمتحف «تورين»، وكذلك فيما تعلق بالثعابين التي كانت تقدم لها القربات كما نشاهد ذلك مصورًا على جدران المقابر، غير أن هذه الحيوانات، والحشرات لم تكن تعد من التي يتقمصها إله؛ بل كانت تعتبر حيوانات مقدسة وحسب، ويجوز أن هذه كانت حقيقة لا مراء فيها، وبخاصة عند الطبقة الدنيا من الشعب؛ فمن المحتمل أن الحيوان نفسه كان يمثل الإله ذاته، ولكن لم تكن هذه الفكرة هي السائدة؛ إذ نجد غالبًا على لفافات موميات لحيوانات — مثل التي كانت تحفظ في البيوت — صلوات حيوانات لآلهة، وهذه الآلهة على حسب عبادة الحيوانات الرسمية في المعبد كانت تتجسد في هذا النوع، ومن أجل ذلك يجب على الإنسان ألا ينظر إلى هذه الحيوانات التي كانت تربى في البيوت ويقدسها أصحابها بأنها لا تكون متقمصة إلهًا إلا نادرًا، وكان على الإنسان أن يعول مثل هذه الحيوانات ويقدسها فقط بوصفها أنموذجًا من نوع الإله الذي يسكن في المعبد، وذلك لأجل إرضائه ونيل محبته، وقد انحدرت إلينا عادة تقديس بعض هذه الحيوانات منذ أقدم العهود مثل

[٥٨] لقد اختلفت الآراء في معنى كلمة فتش fetish. وهذه الكلمة كان قد أدخلها البرتغاليون الذين كانوا أول من اتجر مع الإفريقيين على ساحل إفريقيا الاستوائي، وقد رأوا الإفريقيين يلبسون تعاويذ وتمائم، فأطلقوا عليها كلمة feticio ومعناه الشيء الذي صنعته يد الإنسان، وبعد ذلك انتقلت هذه الكلمة إلى الفرنسية والإنجليزية. غير أن هذه الكلمة قد اسْتُعْمِلَتْ بمعاني عدة حتى أصبحت لا تدل على شيء معين بذاته (راجع Geoffry Parrindes, African Traditional Religon, P. 75 ff). حيث تجد بحثًا عن تقلبات معنى هذه الكلمة.

القطة والثعبان وغيرهما، والظاهر أنه في حالة موت صاحب الحيوان كان يقتل الأخير ويحنط ويدفن مع سيده، وقد راجت بسبب ذلك، العقيدة والأمل معًا بأن مومية الحيوان الذي من هذا النوع ستعود للحياة كرة أخرى مثل البشر، وبذلك يمكن أن يكون هذا الحيوان للإنسان في عالم الآخرة كما كان له في عالم الدنيا بوصفه حيوانًا محببًا للإله الذي يعبده، ويتقي نفعه ويخشى ضره، وأمثال هذه الحيوانات كانت تحفظ في أقفاص، ويقدم لها الغذاء والشراب، وقد وجد منها بعض أمثلة قليلة في المقابر، ومما يلفت النظر بوجه خاص في خاتمة هذا الموضوع أن الإنسان كان قد آوى في بيته نوعًا خاصًّا من القردة الهادئة متجنبًا كل الأنواع التي كانت جامحة أو تنذر بالخطر، ومن ثم اختار نوعًا هادئًا وهو المعروف بالقرد الأخضر، ولا تزال هذه العادة متبعة في مصر حتى يومنا هذا.

أما عبادة أهم حيوانات كانت تتقمصها آلهة: فهي الثور «أبيس» والثور «منيفيس» والتيس «منديس»، وهذه يرجع تقديسها وعبادتها إلى أقدم عصور التاريخ — كما سنرى بعد — وقد ظلت عبادة الحيوان منذ ذلك العهد القديم حتى أفول نجم الوثنية، وقد بقيت العبادة تحتل المنزلة الأولى عند الطبقة الدنيا من الشعب المصري، في حين أن الذين كانوا يعبدون الآلهة في المعابد بصورة روحية قد استمروا في عبادتهم هذه بجانب أولئك الذين كانوا يعبدون الحيوان بصورة ساذجة مما جعل الأمر يختلط ويصبح معقدًا، ومن أجل ذلك نلحظ أن الكتابة التي كانت تدون على جدران المعابد لا تحدثنا عن ذلك إلا نادرًا، ويقول «فيدمان» (Ibid. p. 17): وهذه الكتابات تبحث في عقائد الجنب السامي والثري من الأهلين، وفي جانب ذلك نجد أن آراء الطبقة الفقيرة من الشعب لا تكاد تذكر، وهذه كانت الحالة بوجه خاص في خلال العصر الذهبي للدولة القديمة حتى عام ١٠٠٠ق.م ويمكن للإنسان إذا ألقى نظرة إلى الوراء أن يعزي بحق العصر الذهبي لآلهة البلاد العظام، وهم «آمون» و«بتاح» و«منتو»، ففي هذا العهد ظهرت عبادة الحيوان غير أن الأحوال لم تكن مواتية تمامًا لعبادة العجل «أبيس» و«الكبش».

وقد برهنت الحوادث على أن عبادة الكبش الذي كان يتقمصه الإله «آمون» في خطر مداهم؛ إذ في ذلك العهد، ظهر الانقلاب الديني الذي قام به «إخناتون» وهو ذلك الانقلاب الذي ظهرت بوادره منذ عهد «تحتمس الرابع» فقد قضى على كل عبادة أخرى عدا عبادة القوة العظيمة التي كانت تكمن وراء قرص الشمس «آتون» وهو الذي كان يرمز به للمذهب الجديد الذي اعتنقه «إخناتون» (١٣٧٥–١٣٥٨ق.م). وهذا المذهب الديني الجديد قد قضى على عبادة الحيوان وغيرها من العبادات بصورة قاطعة. غير أن الإصلاح

الديني الذي قام به «إخناتون» قد قُضِيَ عليه بعد موته تقريبًا، وعلى أثر ذلك أخذت عبادات القوم القديمة تظهر ثانية وتترعرع، وكذلك أخذت عبادة الحيوان تنبعث من مرقدها، وتنتشر على الأقل بين طبقات الشعب الدنيا، واستمرت تنمو بشدة وقوة.

وفي العام المائة بعد السنة الألف قبل الميلاد أخذ هذا التيار الذي ظهر بين عامة الشعب يزداد ويتقدم في سيره؛ ويرجع السبب في ذلك إلى الأحداث التي كانت تمر بها البلاد في تلك الفترة من تاريخها. ففي الفترة التي تقع تقريبًا ما بين ١٠٠٠ حتى ٥٠٠ق.م وقعت الحروب الطاحنة التي نشبت بين مصر والبلاد الأجنبية التي كانت تطمع في التسلط عليها. ففي تلك الفترة حاربت مصر بلاد «كوش» ومملكة «آشور» ومملكة «بابل»، وهذه الحروب كانت جميعها — بكل أسف — وبالًا على مصر وعلى أهلها؛ ولقد كان من جرَّاء ذلك أن المصريين الذين كانوا يعتقدون في آلهتهم أنهم ناصروهم على الأعداء في كل الميادين التي يخوضون غمارها؛ قد أخذت عقيدتهم فيهم تتزعزع. وقد كان من جراء ذلك أن أصاب أهل مصر الفقر والعوز، ومن ثم أخذوا يظهرون عدم الاهتمام نحو آلهتهم؛ بل على العكس أظهروا البرود التام، وفي الوقت نفسه أخذ أتباع هؤلاء الآلهة يقلون شيئًا فشيئًا، ومن ثم هُجِرَت المعابد، وأخذت تئول إلى الخراب.

وفي هذه الفترة أخذ الأشراف والأثرياء والمتعلمون من الشعب يطلبون الحماية والغوث من الحيوانات المؤلهة التي كان يمجدها الشعب، وهي التي كانت في حوالي العام الألف قبل الميلاد يتضرع إليها الفلاح في حقله والرجل المتوسط الحال في مرضه فساعدته في محنته، وأظهرت عطفها وحدبها عليه. والآن وفي تلك الأيام العصيبة المليئة بالمحن أخذ كبراء القوم وصغارهم على حد سواء في جميع أنحاء البلاد يتضرعون إلى هذه الآلهة؛ لتسبغ على مصر السلام، وتمنحها الخلاص.

وتدل المعلومات التاريخية التي في متناولنا على أن العصر الذهبي لعبادة الحيوان قد وقع في عهد النهضة، وهو الذي يدعى العهد الساوي؛ أي في حوالي عام ٧٥٠ق.م؛ وذلك عندما قامت نهضة في مصر على الأجانب الذين كان لهم تأثير ظاهر في الحقل الديني، وذلك أن الأجانب الذين كانوا ينتمون إلى سلالات متعددة، وهم الذين كانوا قد اقتحموا الديار المصرية وقتئذ، وجلبوا معهم آراءهم الدينية الخاصة بهم، كما جلبوا معهم طرق تعبدهم لتلك الآلهة التي جاءت معهم؛ كانوا في كثير من الأحوال لا يمانعون في محاولة إيجاد نوع من التوحيد بين آلهتهم وبين آلهة المصريين، ومن أجل ذلك نجد أن كثيرًا من الآلهة الإغريقية قد وُحِّدَ بآلهة من المصريين، كما نجد بعض الآلهة الأسيوية قد ارتدى

لباس آلهة مصرية، وأصبح يُعْبَد على الطريقة المصرية، ولكن كان يحمل الاسم الأسيوي أو المصري على حسب الأحوال. وقد شجع الحكام المصريون هذا التوحيد بين الآلهة المصرية والآلهة الأجنبية؛ وذلك تيسيرًا للسياسة التي كانوا ينتهجونها في تلك الفترة من تاريخ أرض الكنانة. ولا غرابة في ذلك؛ فقد كان ملوك البطالمة في تلك الفترة يعملون كل ما في وسعهم للتأليف بين قلوب الشعب وقلوب الجنود المرتزقين الذين كانوا يعملون في جيش البطالمة، وهم الذين بدونهم لم يكن للبطالمة عيش في مصر. هذا فضلًا عن أنهم كانوا في الوقت نفسه يريدون إرضاء المصريين بأية وسيلة؛ لأنهم هم الذين كانوا يفلحون الأرض، ويديرون المصانع، ويقومون بكل الأعمال التي تأتي بالخير الغزير والمال الوفير لملوك البطالمة. ومن أجل ذلك كان أي شقاق بين المصريين وبين الأجانب معناه إفقار أسرة البطالمة. وفي مقابل هذه المحاولات التي كان يقوم بها البطالمة لحسن سير الأمور نجد أن عبادة الحيوان كانت بطبيعة الحال الحركة المعاكسة لذلك؛ وذلك لأنها كانت تناقض أحاسيس أهل «آسيا الصغرى» وقوم الفرس، وكذلك لا تتفق مع عقائد اليونان ولا الديانة اليهودية، ومن ثم كانت عبادة الحيوان هذه عقبة كأداء في وجه أية محاولة للتوحيد بين الأجانب والمصريين من الوجهة الدينية، ومن أجل ذلك بقيت عبادة الحيوان العلامة المميزة لمصر الحقيقية، وقد ظلت تزداد في نموها بوصفها فكرة فلسفية إلى أن تلاشت أمام عبادة الله الواحد الأحد التي أخذت مكانتها في مصر.

وهكذا حدث أن الديانة المصرية القديمة قد قُضِيَ عليها بوصفها العقيدة القديمة لديانة سامية كان لا بد من تلاشيها؛ وفي حين نجد أن الآلهة العظام الذين كانوا يُعْبَدُون في وادي النيل قد هوى الواحد منهم تلو الآخر تدريجًا؛ نجد أن تقديس الحيوان قد ظل باقيًا، ولا أدل على ذلك من أن سلسلة من هذه الحيوانات التي كانت تُحْتَرم بوصفها آلهة لا تزال حتى عهدنا الحاضر يُنْظَر إليها في وادي النيل بعين الرعاية، ويُحافُظ عليها، ويُعْتَنَى بأمرها. فالثعبان في مصر موضع رهبة عامة الناس، وكذلك الثور يُحترَم في بعض الأماكن، وأخيرًا تحتل القطة مكانة سامية في نفوس الكثير من سكان وادي النيل.

موازنة بين عبادة الثورين «أبيس» و«بوخيس»[1] في العصور المتأخرة

تحدثنا في الفصل السابق عن عبادة الحيوانات بصورة مختصرة عامة، ونريد أن نتحدث هنا عن عبادة الثور «بوخيس» الذي ظهرت عبادته على أرجح الأقوال في عهد الملك «نقطانب الثاني»؛ أي في أواخر العهد الفرعوني، وقد ازدادت عبادته جنبًا لجنب مع عبادة الثور «أبيس» والثور «منيفيس» بصورة خاصة، وعلى الرغم من أنه لا تزال بعض الأماكن الخاصة بالثور «بوخيس» لم تُحْفَر بعد، فإن الحفائر التي عُمِلَتْ قد كشفت لنا عن كثير من الحقائق الخاصة بهذا الثور وعبادته التي استمرت إلى ما بعد انتشار المسيحية مدة طويلة.

(١) مقدمة

لقد دلت الكشوف الحديثة في كل أنحاء العالم على أن عبادة الثور أصبحت تُعْتَبَر ظاهرة عادية في كل تاريخ الجنس البشري، وأنها ليست مقتصرة على مصر. والأسباب التي دعت لوجود هذه العبادة ظاهرة واضحة ولا تحتاج إلى التدليل على أية علاقة ثقافية بين قومين من الناس كل منهما يشترك مع الآخر في هذه العبادة. فالإنسان منذ نشأته كان همه الأول هو البحث عما يفيده من نباتات الأرض وحيواناتها؛ ولا نزاع في أن الثور كان يؤدي

---

[1] تحدثنا عن عبادة الثيران باختصار في الجزء السابع من هذه الموسوعة.

وظيفة الخصب في صورة مزدوجة، فقد كان رمزًا للقوة التي تعود على الإنسان البدائي بالخير — ومن ثم كان موضوع مباراة لاقتنائه — وكان كذلك أحد المصادر الرئيسية للإخصاب في زراعة الأرض، فكان بهذا يجمع بين تفوقه على الماشية التي تنتج للإنسان اللحم والألبان والزبد والجلود، وبين أنه كان العامل الأول في حرث الأرض؛ ومن أجل ذلك أصبح يُعْتَبَر رمز الرياسة والملكية، ولا أدل على ذلك من أن العرب كانوا يقولون في لغتهم: ثور القوم سيدهم. كما أن قدماء المصريين منذ أقدم عهودهم كانوا يمثلون ملكهم بالثور، ويرسمونه في صورة هذا الحيوان وهو يهدم قلعة، وعلى ذلك كان عندهم الثور رمز القوة المادية. وفي الأزمان الحديثة نجد في منطقة بحيرة «شاد» أن رؤساء القبائل هناك كانوا يُدْفَنُون مكفنين في جلد ثور.

وأقدم مثال يدل على العناية الدينية بالثيران في أرض الكنانة يرجع إلى مستوى عصر ما قبل الأسرات المبكر؛ فقد وُجِدَتْ أكوام من عظام البقر في مستعمرة «حمامية» التي قامت بأعمال الحفر فيها مس «كتون تومسون» Miss Caton Thompson، وهذه العظام كانت مرتبة ترتيبًا متناسبًا مع وضع رأس الحيوان على قمة كل كومة، وهذا هو نفس ما شوهد في مقابر عجول «أبو-يسن» التي كُشِفَ عنها حوالي عام ١٩٣٨، غير أن الأخيرة ترجع إلى عهد متأخر من تاريخ مصر.

هذا، وقد عثر المستر «برنتون» بالقرب من منطقة «حمامية»؛ أي في الحفائر التي قام بها في «البداري» على دفنة حيوان يحتمل أنه ثور، وقد وُجِدَ ملفوفًا في حصير من الحصر التي صُنِعَت في «البداري» في عهد ما قبل الأسرات، وتمثيل الملك على لوحة «نعرمر» الكبيرة المصنوعة من الإردواز معروف للجميع، وهي تُؤَرَّخُ بالأسرة الأولى. وقد جاء ذكر «أبيس» على حجر «بلرمو» وهذا يوحي بأنه كان يعبد منذ أقدم الأسرات، إن لم يكن قبل ذلك بكثير، ومن المعلوم أنه في كل عصور التاريخ المصري كان «أبيس» من ألمع الآلهة المصرية. وتدل النقوش الهيروغليفية على أن عبادة الثور «أبيس» متصلة بعبادة الإله «رع»، هذا فضلًا عن اتصاله بآلهة «العاصفة»، وذلك أنه في خارج مصر كان الثور يمثل بوجه عام إله السماء! وإله العاصفة. ففي «بابل» من أول عهد الملك «حمورابي» إلى حوالي عام ١٨٠٠ق.م وما بعده، كان الثور يقوم بوظيفة العماد لومضات البرق، وكذلك كان يقوم مقام إله العاصفة نفسه.[٢] أما الإله «بوخيس» فقد أصبح متصلًا بالإله «منتو» إله

[٢] راجع: J.E.A. XIX p. 42 ff.

«أرمنت» وهو إله الحرب، غير أن هذا الاتصال قد جاء في عهد متأخر. وعلى أية حال فإن المجال هنا ليس هو التعليق المستفيض على ماهية عبادة الثور ومعناها الخاص في مصر القديمة؛ بل سنقصر كلامنا هنا عن الثور «بوخيس» الذي كان يتقمصه الإله وموازنته بالعجل «أبيس» أو العجل «منيفيس» وكل منهما كان أقدم منه في العبادة على حسب ما وصلت إليه معلوماتنا حتى الآن. والعجل «أبيس» كان مقر عبادته السرابيوم الذي تحدثنا عنه مليًّا فيما سبق. أما العجل «منيفيس» فكان مقره «هليوبوليس» وأوجه الشبه التي يمكن أن نستخلص منها أشياء كثيرة هي التي بين العجل «منيفيس» والعجل «بوخيس»، وذلك لأن بلدة «أرمنت» كانت تُعد «هليوبوليس» (أون) الوجه القبلي، ومن الممكن أن نصف بصورة أضبط الثور «بوخيس» بأنه الثور الذي يقابل «منيفيس» في الوجه القبلي، وكان الأخير هو الثور الذي يتقمصه الإله «رع» أكثر من «أبيس»، وذلك على الرغم من أن «أبيس» كان كذلك متصلًا بالإله «رع».[٣]

وعلى أية حال فإنه من الصعب القول إذا كان القرص الذي يرتديه الثور «أبيس» على رأسه هو قرص الشمس أو قرص القمر، ومن المحتمل أن علاقة العجل «أبيس» بالقمر كانت أقدم من علاقته بالشمس، وقد يُحبذ هذا الفرض أنه لم يظهر قرص على لوحات العجل «أبيس» حتى ظهور العجل «أبيس الرابع» على حسب ترقيم الأثري «مريت». وهذا العجل يُنْسَبُ إلى الأسرة التاسعة عشرة، ويقوي هذا الفرض كذلك عدم وجود هلال تحته كالذي يظهر دائمًا مع الإله «تحوت»، اللهم إلا إذا كان هذا الهلال قد مثل على الصدر كما اقترح فيما يأتي بعد. ولكن مما يؤسف له جد الأسف أن ما نعرفه عن الثور «منيفيس» قليل جدًّا حتى الآن؛ إذ لم يُحْفَرْ من مقابر هذه الثيران إلا قبران. وكل ما نُشِرَ عنهما ملخص كتبه الأثري «دارسي» (A. S. XVIII, p. 193–217). وهذان القبران كشف عنهما في قرية عرب أبو طويلة أو عزبة عرب الطويلة، وهي تابعة لقرية المطرية التي تبعد حوالي ٦٠٠ مترًا من «كوم الحصن»، وبعبارة أخرى تقع في قلب «هليوبوليس» القديمة. والشيء الذي يلفت النظر هنا هو أن هذين القبرين للثورين «منيفيس» قد وُجِدَا جنبًا لجنب تقريبًا، مما يؤكد على وجه التقريب أن هذه البقعة من «هليوبوليس»[٤] تقابل السرابيوم في «منف». والمقبرة الأولى أُقِيمَتْ في السنة السادسة والعشرين من عهد «رعمسيس الثاني»،

[٣] راجع: Wilcken Urkunden der Ptolemaerzeit, I. p. 14.

[٤] يحتمل جدًّا أنه لو عُمِلَتْ حفائر في هذه المنطقة بالذات لكشف على ما أعتقد عن سرابيوم «منيفيس».

أما الثانية فقد أُقِيمَتْ في عهد الملك «رعمسيس السابع». ومعظم الأشياء التي وجدت في هاتين المقبرتين محفوظة بمتحف القاهرة، ويدل فحصها على أن دفن العجل «منيفيس» لا يختلف كثيرًا من حيث جهازه عن الجهاز الذي كان يوضع مع الثور «أبيس» أو مع أحد رجالات الدولة. ولدينا رسالة عُثِرَ عليها في بلدة «تبتونيس» (P. Tebtunis 13) أرسلها كهنة معبد «تبتونيس» إلى كهنة معبد «رع» و«أتوم-منيفيس» في «هليوبوليس» معترفين فيها بتسلم عشرين ذراعًا من الكتان الجميل، وكان الغرض من إرسالها هو استعمالها في جهاز دفن «منيفيس» ابن البقرة «أوسورتا» Osortha. وتاريخ هذه الرسالة هو عام ٢١٠–٢١١ ميلادية. وتدل أعمال الحفر التي عملت حديثًا على أنه لم يُحْفَرْ أي قبر من قبور الثور «منيفيس» أو الثور «أبيس» في هذا العهد المتأخر من تاريخ أرض الكنانة، ويلفت النظر أن العناية بذكر اسم أم الثور المقدس هنا يمكن قرنه بالعناية التي كانت تُعْطَى لأم ثور «بوخيس» في «أرمنت». هذا، ونلحظ أن أحد الكهنة كان يُدْعَى «بتوسرابيس» Petosorapis بن «بتوسرابيس». وعلى أية حال فإن مجال الموازنة — بين الثورين «بوخيس» و«منيفيس» بطبيعة الحال — ضيقة المجال لعدم وجود مادة كافية حتى الآن.

ومن جهة أخرى نجد أن المجال لوضع الموازنة يكون فسيحًا إذا حولنا أنظارنا شطر «سرابيوم منف» الغني بمقابره ومقاصيره التي ترجع إلى أزمان بعيدة. ومع ذلك فإن المعلومات التي وصلت إلينا من هذا المصدر تُعْتَبَرُ ضئيلة بالنسبة لما كان يُنْتَظَرُ من مثل هذا الموقع الغني.

ويرجع السبب في قلة هذه المادة — على الرغم مما خرج من جوف معبد السرابيوم من آثار كثيرة جدًّا — إلى أنها لم تَلْقَ العناية الكافية للمحافظة عليها عند الكشف عنها في نهاية النصف الأول من القرن التاسع عشر على يد الأثري الكبير «مريت باشا». ولسنا في مجال إلقاء اللوم على هذا العالم؛ إذ لم تكن كل الأحوال للمحافظة على كشوفه مهيأة له، هذا فضلًا عن أن علم الآثار كان لا يزال في طفولته الأولى. ولا ننكر أن ما ضاع أو أُتْلِفَ من آثار «السرابيوم» كان عظيمًا جدًّا. ولقد عمل «مريت باشا» جهد الطاقة لوضع ملحوظات وسجلات لكل الأشياء التي عُثِرَ عليها وحفظها لتوضع في متحف «اللوفر». وقد زاد الطين بلة أن «مريت باشا» قد حضره الموت وهو لا يزال في بداية درس المادة التي عثر عليها في السرابيوم، ومنذ وفاته ظلت هذه الآثار مهملة في متحف «اللوفر» ومرت بها تقلبات عدة محزنة. وعلى ذلك فإن اللوم كل اللوم يقع على عاتق أولئك الذين

أخذوا على عاتقهم رعاية هذه الآثار. فالآثار التي أُودِعَتْ متحف «اللوڤر» قد فقدت الأرقام التي وضعها «مريت» عليها، وبذلك أصبحت العلاقة بين هذه الآثار وبين السجلات التي وضعها «مريت» من العسير تتبعها؛ يضاف إلى ذلك أن الجزء الأكبر من الأشياء الأثرية خلافًا للوحات والمجوهرات ظهر أنه قد فُقِدَ. ومن أجل ذلك نجد أن التعليق والنشر الذي عمل فيما بعد كان بكل أسف قاصرًا كله تقريبًا على الناحية اللغوية، ولسنا في حاجة إلى القول بأن اللوحات تكون فائدتها ضئيلة جدًّا لعمل مقارنة بالمادة التي كُشِفَ عنها في مقابر «بوخيوم» «أرمنت» التي كُشِفَ عنه حديثًا.[٥] ومعظم لوحات السرابيوم كانت من نوع اللوحات المنذورة وكُتِبَتْ بالديموطيقية، يُضاف إلى ذلك أن اللوحات القليلة الرسمية تختلف معظمها عن التي وُجِدَتْ في «البوخيوم»، ولدينا واحد أو اثنان من هذه الاختلافات يستحقان الذكر. فعلى اللوحات القديمة[٦] نشاهد أن «أبيس» لا يلبس قرصًا، وأن أول ما ظهر القرص كان على نقش صغير للثور وُضِعَ على قمة الركن الأيمن من اللوحة وليس على الصورة الرئيسية لـ «أبيس».

وقد ظهر هذا القرص في لوحة «أبيس الرابع» الذي يرجع عهده للأسرة التاسعة عشرة. ويوجد قبالة صورة «أبيس» ومعه القرص بقرة عارية الرأس. وكلا الحيوانين نائم على الأرض، في حين نجد في الرسم الرئيسي أن «أبيس» قد مثل واقفًا. ويظهر للمرة الأولى على لوحة «أبيس» رقم ١٠ من نفس الأسرة القرص على الصورة الرئيسية، ويظهر في هذه اللوحة تطور كبير عن اللوحات التي ترجع إلى باكورة الأسرة الثامنة عشرة؛ ففي اللوحة الأخيرة هذه نجد طائرًا خلف «أبيس» ممسكًا بقرص كما يُشَاهَد ذلك في عدد من لوحات الثور «بوخيس»، غير أن جسم الطائر يتألف هنا من عين مقدسة (وزات).

---

[٥] راجع: Peitschmann on Apis (5), Pauly Wissova.

[٦] راجع اللوحات: Serapeum de Memphis, découvert et décoret par Aug. Mariette, ouvrage dedié à S.A.I. Mgr. le Prince Napoleon, et publié sous les auspices de S.E. M. Achille Fould Ministre d'Etat, Paris 1859.

وهذا الكتاب الأخير يجب ألا يُخْلَطَ بينه وبين كتاب آخر بنفس الاسم ونفس المؤلف، وهو الذي سنشير إليه في كل هذا المقال باسم Le Serapeum de Memphis واسم هذا الكتاب بالكامل هو Le Serapeum de Memphis par Auguste Mariette Pasha publié d'après le manuscrit de l'auteur. Par G. Maspero, Paris 1882.

وعلى الرغم من وجود هذه الصعوبات فإنه مما يجدر ذكره — بأن يمهد هنا لمناقشة النتائج التي حُصِلَ عليها من حفائر «أرمنت» الخاصة بالثور «بوخيس» — أن ندلي بملخص للنتائج التي حصل عليها من السرابيوم، وسنحاول هنا أن نذكر ذلك بصورة مختصرة، وسنشير إلى المسائل الدينية بصورة خاطفة؛ إذ البحث في ذلك يحتاج إلى شرح طويل.

(٢) العلامات المميزة للعجل «أبيس»

لقد تُحدِّث عن العلامات أو المميزات التي لا بد من وجودها في العجل «أبيس» حتى يمكن أن يتقمصه الإله، وقد ذكر هذه العلامات كل من «هردوت»[٧] و«سترابون»[٨] و«ديدور»[٩] و«اليان»[١٠] و«يوزيب»[١١] و«سيرل»[١٢] Cyrill و«بليني»[١٣] وغيرهم. وعلامات «أبيس» معلومة، وأقدم وصف لها ما جاء في «هردوت» فاستمع لما يقول: «إنه أسود اللون، على جبهته نقطة بيضاء مربعة، وعلى ظهره توجد صورة نسر، وشعرات ذيله مزدوجة، ويوجد على لسانه جعل.» وقد وصف السير «ولس بدج» في كتابه المومية (The Mummy p. 366) صورة «أبيس» كالآتي: «في العادة يكون في صورة ثور يحمل قرصًا وصِلًّا بين قرنيه، وقد نُقِشَ على ظهره فوق الكتفين نسر منتشر الجناحين، وعلى الظهر فوق الجزء الخلفي يشاهد جعل مجنح.» هذا، ويُشَاهَدُ على أشكال «أبيس» أحيانًا سرج يشبه شبكة الخرز التي تظهر على بعض لوحات متأخرة للثور «بوخيس»، ومن الجائز كذلك أنه كان يلبس طوقًا؛ غير أن هذا الطوق كان مثل القرص، والصل يُعْتَبَرُ جزءًا من جهازه، ولم يكن المقصود منه تمثيل العلامات المميزة له.

---

[٧] راجع: Herod III. P. ar. 28.

[٨] راجع: Strabo XVII, 807.

[٩] راجع: Diod. I. 85.

[١٠] راجع: Aelian XI, 1c.

[١١] راجع: Eusbuis Praep. Ov. III, 13.

[١٢] راجع: Cyrill. Ibid.

[١٣] راجع: Plunus VIII, 184.

ومما لا نزاع فيه أن الرسم الذي على صور «أبيس» هو الذي بلا شك يقرب من علامات هذا العجل اللازمة لأجل تقرير ألوهيته. وقد أشار إلى ذلك «مريت» في كتابه (سرابيوم «منف»، ص١٢٧) حيث يقدم لنا صورتين؛ إحداهما لثور كما مثل في البرنز، والأخرى كما صور بالألوان. وعندما ناقش «مريت» هذه العلامات الخاصة بالعجل «أبيس» قال مبتدئًا بالصورة الأخيرة؛ أي بالصورة الملونة: «يوجد على جبينه مثلث أبيض (؟)، وعلى صدره يظهر أحد قرني هلال القمر، وكذلك رُسِمَ هلال آخر على جانبه، وأخيرًا يُشَاهَدُ أن الشعر الذي في الذيل مزدوج؛ أي إن شعراته بيضاء أو سوداء على التوالي …»، وبعد ذلك يصف لنا الرسم الذي على التماثيل. ومن المحتمل أن تفسيره لشعرات الذيل بأنها مزدوجة صحيح. والرسم الذي على الجانب يحتمل أنه هلال، وذلك بوصفه تكملة طبيعية للعلامات السوداء التي تمثل النسر، والجعل، والسرج. وإذا كان قد أصاب كبد الحقيقة فيما يخص الهلال الذي على الصدر، فإن ذلك يمكن أن يفسر لنا لماذا لم يوجد هلال تحت القرص الذي على رأس الثور.

وعلى أية حال فإن تقريب هذه العلامات التي توجد على الثور لا يمكن وجودها إلا إذا كانت تُرَبَّى حيوانات بصورة ما لتكون فيها هذه العلامات اللازمة — وهذا ما لم يحدث على وجه التأكيد — ولكن مما لا شك فيه أنها كانت مقبولة في نظر عباد «أبيس»، ومن ثم كانوا لا يدققون في أن تكون العلامات مطابقة للمطلوب بالضبط. ومن الجائز كذلك أن هذه العلامات كانت تلعب فيها يد الكهنة في المناسبات العامة عندما يظهر «أبيس» أمام الشعب.

وقد تحدث إلينا كل من الأثريين «هوبفنر»[١٤] و«شاسينا»[١٥] عن العلاقات بين «أبيس» و«بتاح» و«أوزير» والقمر والنيل. وقد أشار «هوبفنر» إلى ما ذكره الكتاب القدامى، أما «شاسينا» فإنه ناقش بإسهاب الاحتمالات عن موت «أبيس»، ونجد أنه قد وصل إلى النتيجة التالية: وهي أن «أبيس» يؤله بالغرق؛ أي إنه كان يموت غرقًا، وفي ذلك يكون مثله كمثل «أوزير». وهذه العادة كانت شائعة قبل نهاية الأسرة التاسعة عشرة، وقد أكد «شاسينا» أن «أبيس» كان مضطرًّا إلى أن يموت عند بلوغه الثامنة والعشرين من عمره كما فعل الإله «أوزير» الذي كان يتقمصه. وذلك على العكس من رأي الأثري «فرنكفورت»

[١٤] راجع: Hopfner Tierkult Der Alten Agypter, P. 78.

[١٥] راجع: La mise à mort rituuelle d’Apis. Rec. Trav, T, XXXVIII pp. 33–60.

الذي يقول: إن «أبيس» كان نائب الإله «بتاح» على الأرض؛ أي إنه كان يتقمصه، وعلى أية حال فإن «أبيس» على الرغم من أنه كان يمثل «بتاح» كان يصبح «أوزيرًا» بعد موته.

ويفسر لنا الأستاذ «شاسينا» قول المؤرخ[١٦] «بلوتارخ» بأن «أبيس» كان يعيش مدة خمسة وعشرين عامًا، على ضوء ما جاء في بيانات الكتاب الكلاسيين الآخرين بأنه أُغْرِقَ. (ونخص بالذكر منهم «بليني»[١٧] وأميانوس مارسيللينوس[١٨] Ammianus Marcellinus و«سولينوس» Solinus[١٩] وأن ذلك يعني أن «أبيس» لم يكن يُسْمَحُ له أن يعيش أكثر من هذه المدة. ويفسر الفرق بين الثمانية والعشرين سنة التي عاشها «أوزير» والخمس والعشرين سنة التي يعيشها «أبيس» بأن فرض أن العادة بالنسبة لـ «أبيس» كانت قد تغيرت في مصر عندما زارها «بلوتارخ»، وذلك على الرغم من أن قصة «أوزير» التقليدية قد بقيت في صورتها الأصلية، وعلى هذا فإنه بهذا الرأي قد تجنب الصعوبة التي نشأت من وجود ثورين عاش كل منهما حتى السادسة والعشرين من عمره كما ذكر «مريت».

وعلى أية حال فإنه من الصعب قبول النتائج التي استنبطها «شاسينا» لأنها ترتكز على براهين نظرية محضة. وإذا كانت العادة هي إغراق الثيران المقدسة عندما كان الواحد منها يصل الثامنة والعشرين من عمره، فإن هذه كانت عادة لم تُمارَس قط؛ وذلك لأننا لم نعرف عن ثور من ثيران «أبيس» أو «بوخيس» قد بلغ هذا السن؛ بل من الجائز أن أحد الثيران المعمرة قد حيل بينه وبين الوصول إلى أكثر من الثامنة والعشرين من عمره، غير أنه لن تكون هناك نهاية لمثل هذه الإمكانيات، وفضلًا عن ذلك نلحظ أن «شاسينا» قد استند في حجته جزئيًّا — كما حاول في نقاشه — على بعض جمل جاءت في لوحات خاصة بثور أو بقرة يُسْتَخْلَصُ منها أن الحيوان كان قد أُغْرِقَ. وليس لدينا قياس عن مدة حياة الثيران، ولذلك فإنها إذا كانت تغرق في بعض وقت سابق لمدة الثمانية والعشرين عامًا، فإنه يكون من المدهش أن عمر الثور لم يكن قد حُدد. ومن الجائز أنه لأجل إتمام الشعائر كان يهرع بالثور فيغرق عندما تظهر عليه علامة تدل على الموت؛ وهذا كان يعني في الواقع أول مرض للثور. ولكن إذا كانت هذه هي الحالة، فإنه يكون من المدهش

[١٦] راجع: Plutarch De Iside etc. LVI.

[١٧] راجع: Pliny. N.H. VIII, 46.

[١٨] راجع: Ammianus Marcellinus XXII, XIV, 7.

[١٩] راجع: Solinus, 32.

أن نرى أي ثور يعيش حتى السادسة والعشرين من عمره، وفضلًا عن ذلك نجد أن «هوبفنر»[٢٠] عند تحدثه عن الكتاب الكلاسيين في هذا الصدد يعتقد أنه لم يُضَحَّ قط بأي حيوان مقدس؛ وقد اقتبس تعزيزًا لرأيه ما جاء في «ديدور» (Diod., Ibid., I, 84). فقد ذكر لنا الأخير أنه بعد تولي «بطليموس الأول» عرش الملك بمدة قصيرة مات «أبيس» بالشيخوخة في «منف».

(٣) تحريم أكل لحم العجل «أبيس»

والظاهر أن الثور سواء أكان يغرق أم لا في زمن مبكر فإنه ليس لدينا أي برهان يشير إلى أن لحمه كان يؤكل بصورة رسمية على حسب شعائر معلومة مقررة، وهذا ما يمكن تقريره على الأقل في عهد الأسرة التاسعة عشرة. ولا يسعنا هنا إلا أن نقتبس الفقرات الخاصة بهذا الموضوع من كتاب «سرابيوم»[٢١] «منف» الذي وضعه «مريت» عن «أبيس» وعبادته، وذلك لما لها من أهمية بالغة. فقد وصف لنا «مريت» فحص ثلاثة توابيت متتالية؛ الأول كان باسْمَيْ «خع-إم-واس» و«أبيس». والقبر الذي عُثِرَ فيه على هذا التابوت كان سليمًا لم تمتد إليه أيدي اللصوص، ويرجع عهده للأسرة التاسعة عشرة. وبعد فتح هذا القبر أخذ «مريت» يصف محتوياته، وفي أثناء ذلك يقول: «وعندما رُفِعَ ثالث هذه الأغطية المتتالية ظهر أمامي صندوق كبير لمومية وجهها مذهب دون ضل. ويزين صدرها متن قوطع في زاوية مستقيمة بأربعة متون أصغر حجمًا … وهذه المتون الأربعة لا تحتوي إلا على أسماء أربع جنيات الحميم sic المصرية. ونقرأ في أطول هذه المتون ما يأتي: هاك «أوزير-أبيس» هذا الذي يسكن في الـ «إمنتي»[٢٢] الإله العظيم السيد الأبدي المسيطر سرمديًّا.

وعلى ذلك حصلت على تأكيد بأنه أمامي مومية «أبيس»، وعندئذ ضاعفت عنايتي فقد أمسكت بغطاء التابوت من عند القدمين، وآخر أمسك به من عند الرأس ورفعناه. غير أنه لدهشتي العظيمة فطنت أن هذا الجزء الأعلى (يقصد الغطاء) لم يكن نصف

[٢٠] راجع: Hopfner Ibid, p. 842.

[٢١] راجع: Le Serapeum de Memphis pp. 63–64.

[٢٢] إمنتي (= عالم الآخرة).

تابوت، وأن هذا الغطاء كان موضوعًا مباشرة على رقعة القبر. وقد لوحظ فقط أنه لما كان الأثر كبيرًا فإنه قد عمل تحت الخشب، وفي سمكه حفرة يبلغ عمقها حوالي سبعة أصابع، وعرضها يبلغ أكثر من أربعة أقدام بقليل؛ حتى إنه عند رفع الغطاء لم أجد على رقعة القبر الصخرية إلا كومة سوداء قد حافظت على شكل الحفرة التي كانت فيها، وكذلك على أبعادها.

وقد كان أول هم لي هو أن أبحث في هذه الكومة على رأس ثور غير أني لم أجد شيئًا، (وكان الشيء الذي أمامي) هو عبارة عن مادة أسفلتية ذات رائحة قوية جدًّا تتحول إلى رماد لأقل لمسة باليد، وهذه المادة كانت تغشى كمية من العظام الصغيرة كانت قد كُسرَت فعلًا في زمن دفن الثور، وفي وسط هذه العظام التي كانت منتشرة في أنحاء هذه الكومة دون أي نظام وعفو الخاطر، جمعت أولًا: خمسة عشر تمثالًا جنازيًّا؛ كل منها برأس ثور، ونُقِشَ عليها متون باسم «أبيس» المتوفى، وثانيًا: عشرة أشياء مصنوعة من الذهب أو منقوشة باسم «خع-إم-واس» وبأسماء شخصيات أخرى منوعة يشغلون وظائف رفيعة في «منف»، وثالثًا: عدة تماثيل صغيرة مصنوعة من الشيست المائل للخضرة تمثل الأمير نفسه (أي خع-إم-واست)، ورابعًا: تماثيل أخرى صغيرة من نفس المادة تمثل أمراء آخرين من الأسرة المالكة، وخامسًا وأخيرًا: تعاويذ من حجر الكورنالين والكوارتز الأحمر ومن حجر الثعبان محفورة حفرًا دقيقًا. وقد وُجِدَ في الكومة كذلك عدد كبير من صفائح الذهب».

هذا، ونجده ثانية وهو يصف الدفنة الثانية في نفس القبر فيقول:

> وقد مثلت أمام نفس الملحوظات السابقة عندما كشفت النسيج الذي كان يلف الجرم الأسفلتي الذي في الداخل. فلم يكن هناك رأس ثور كما لم تكن هناك عظام كبيرة؛ بل على العكس وجدت كمية أغزر من كسر العظم الصغيرة الحجم. وقد وجدت بدلًا من المجوهرات والتماثيل الصغيرة والتعاويذ التي كانت في التابوت السابق؛ ناووسًا من الذهب مزخرفًا بزينة مجزعة. ويُحْمَلُ تحت الإفريز طغراء «رعمسيس الثاني»، وقد وجد معه ستة تماثيل صغيرة جنازية كل منها برأس ثور.

ووصف «مريت» — الذي وضعنا تحته سطر في أعلى — للجرم الذي ظل على شكله الأصلي بعد رفع الغطاء؛ فيه البرهان الكافي على عدم اتهامه بأنه وجد مومية هشة قد ذهبت هباء عندما كشف الغطاء عنها. وعلى أية حال فإن شكل البقايا التي عُثر عليها

محير، وذلك بسبب أن الرأس لم يكن قد وُجِدَ كاملًا. وإذا كانت هذه حالة قد أكل فيها الحيوان، فإنه كان من المنتظر على الأقل أن الجزء الأعظم من الجمجمة يكون قد بقي سليمًا، كما وجد في دفنة الملك «حور» (حور محب) أحد ملوك الأسرة الثامنة عشرة. والمفهوم أن الضحايا العادية في المعابد المصرية كانت تأكلها الكهنة بطبيعة الحال؛ غير أن ذلك لا يفسر حالة العظام الغريبة التي عثرنا عليها في هاتين الدفنتين.

وليس لدينا إلا فرض واحد لتفسير هذه الظاهرة، وذلك أنه يوجد في متون الأهرام وصف للملك المتوفى نفهم منه أنه يأكل الآلهة في السماء، وإذا كان هذا الفرض صحيحًا فإن «أبيس» كان يأكله الملك؛ وذلك رغبة منه في أن يحصل على قوة الإله وخصبه.

وهاك هذه الأنشودة التي تُعْرَفُ عند علماء الآثار بأنشودة أكل البشر.

وفيما يلي بعض ما جاء في هذه الأنشودة خاصًّا بغذاء الملك:

إنه القابض على عقدة القمة الذي في «كحاو» الذي يحيلهم لأجل «أوناس» (401a).
وإنه الثعبان صاحب الرأس المرفوع الذي يحرسهم (أي الآلهة) لأجل الملك الذي يصدهم لأجله (401b).
وإنه «الذي على صفصافه» والذي يربطهم «لاوناس» (401c).
وإنه «خنسو» الذي يذبح الأسياد (الآلهة)، وذلك بأن يقطع رءوسهم من أجل الملك (402a).
وإنه يأخذ له ما هو في بطونها (الأحشاء) (402b).
وإنه «أوناس» الذي يأكل سحرهم ويبتلع أرواحهم (403c).
والعظماء منهم لأجل وجبته الصباحية (404a).
ومتوسطو الحجم لأجل وجبة المساء (404b).
وصغارهم لأجل وجبة العشاء (404c).
ورجالهم الشيوخ ونساؤهم العجائز لأجل حرق بخوره (على النار) (404d).
وإن العظماء الذين في الجانب الشمالي من السماء هم الذين يوقدون له النار (405a).
للقدور التي تحتويهم مع أفخاذ أسنهم (بمثابة وقود) (405b).
وإنه (الملك) قد هشم العمود الفقري والنخاع الشوكي (409b).
وإنه قد استولى على قلوب الآلهة.
وإنه أكل التاج الأحمر وابتلع التاج الأخضر (410a).
و«أوناس» يطعم رئات الحكماء (410b).

وإنه مرتاح بعيشته على القلوب والسحر (410c).
تأمل أن أرواحهم (أي الآلهة) في جوف الملك ونفوسهم مع الملك.
بمثابة حسائه المصنوع من الآلهة، وقد طُهِيَ للملك من عظامهم.

ويلحظ هنا أن الكثير من هذه الأنشودة — الذي لم نقتبسه — خاص بالقوة والبأس اللذين يكسبهما الملك بقوة السحر المتبادل.

ومن الممكن أن تكسير العظام إلى قطع صغيرة واختفاء بعضها قد حدث، هذا إذا سلمنا أن الملك كان يأكل «أبيس» على الطريقة التي كان الملوك المبكرون يأكلون بها الآلهة. وعلى أية حال ليس لدينا أي دليل من السربيوم يحبذ هذه القضية. وقد قال لنا «مريت» في وصف «أبيس» الذي عاش في عهد الملك «سيتي الأول» ما يأتي:[٢٣]

> وكان للضريح ... بمثابة ملحق، خلية جانبية، وكانت أبعاده هي نفس أبعاد ضريح «حور»، ولم يكن قد مس بعد مثله. ولكني بدلًا من أن أجد فيه مثوى لـ «أبيس»، تعرفت فيه على أربع عشرة آنية كبيرة جدًّا كدست دون نظام ظاهر في وسط الحجرة السفلية (= التي تحت الأرض).
>
> وقد ظننت قبل فتح هذه الأواني أنها تحتوي على الأربعة عشر جزءًا المحفوظة من «أبيس» وهي التي كانت على غرار الأربعة عشر جزءًا التي كان يتألف منها جسم «أوزير» الذي كان قد قطعه «ست» إلى أربع عشرة قطعة. غير أنه عند فحص المواد التي تحتويها هذه الأواني فهمت أن الأربع عشرة آنية الخاصة بـ «سيتي الأول» كانت من صنف الآثار العديدة التي من هذا النوع الذي كان قد وُجِدَ في الأجزاء الأخرى من السرابيوم، وأنها لم تستعمل أبدًا إلا لحفظ الماء المقدس؛ وذلك لأنه وُجِدَ فيها الرفات والعظام المتخلفة من الضحايا المذبوحة.

ويتساءل المرء هل هذا الرفات هو «أفخاذ أسنهم» التي جاء ذكرها في متون الأهرام؟

على أن ما ذكره «هردوت» من أن ثيرانًا من نفس النوع كانت قد دُفِنَتْ مع «أبيس» لا يغير من وجه هذه القضية؛ إذ من الجائز أنه يشير إلى دفن ماشية عادية في الجهة المجاورة لمدفن «أبيس»، وهذا هو ما حدث في خلال العصر المتأخر.

---

[٢٣] راجع: Ibid. p. 137.

ولا بد أن الأواني الكبيرة التي وصفها «مريت» وهي التي كانت في الحجرة إذا ما قرنت بدفنة زمن الملك «حور» (حور محب)؛ كانت تحتوي على «أبيس» نفسه، وأنه من الممكن أن العظام التي تحتويها كانت عظام نفس «أبيس» التي اسْتُعْمِلَتْ بمثابة وقود منفصلة على عظام ثيران أخرى. ويلفت النظر هنا أن الدفنات المبكرة كانت أفقر حالًا. فقبر «حور محب» السليم الذي ذكرناه سابقًا كان يحتوي على أربع أواني أحشاء بالإضافة إلى التابوت الخشبي الذي كان في وسط إطار مستطيل مقام من الحجر الجيري.

ومما يؤسف له أن «مريت» لم يصف لنا بقايا ثيران بعد عهد الأمير «خع-إم-واس». غير أننا نعرف مما جاء في ورقة «أبيس» التي سنتحدث عنها فيما بعد أنه كان هناك نظام تام كامل للتحنيط متبعًا في عهد كل من الملكين «إبريز» و«أماسيس الثاني»، وعلى ذلك قد يكون من المحتمل جدًّا أن هذا العهد هو الذي كان قد بدئ فيه تحنيط العجل «أبيس». وهذا العهد هو الذي أُدْخِلَ فيه استعمال التوابيت الحجرية لدفن «أبيس». والظاهر أن هذا التجديد كان سببه ازدياد العناية بعبادة الحيوان ونموها في تلك الفترة من تاريخ البلاد، أما فقر الدفنات وعدم التحنيط في المراحل الأولى من عبادة «أبيس» فيجب أن يُنْسَبَ إلى تغير الآراء أكثر من نسبته إلى عدم وجود التحنيط في مراحل مبكرة عندما بدأ الدفن في السرابيوم؛ وذلك لأن نظام تحنيط الأجسام البشرية كان متقدمًا في هذا الوقت، ولا بد أنه كانت توجد أموال كثيرة للإنفاق منها للقيام بعمل دفنة جميلة لـ «أبيس» على مستوى عالٍ. أما القول بأنه كان لزامًا على الكهنة عند أول تقمص روح الإله لـ «أبيس» أن يبتلعوا لحمه، ويقطعوا هيكله إلى قطع صغيرة دون سبب، ثم ترتيب هذه القطع في كومة ووضع صندوق فوقها؛ فإن هذا يعتبر عملًا غريبًا عن أي شيء نعرفه عن العادات المصرية، ولهذا فإنه قد يكون من السخف التفكير في مثل هذه النظرية أو الأخذ بها. ولكن مما لا يكاد أن يُسَلَّمَ به في عصر الأسرة الثامنة عشرة السفسطائية أن يحتم على القوم أن يأكلوا رسميًّا الحيوان المتقمص، ويدفنوا بقاياه مع نقوش على شرف الثور. وإذا كان «أبيس» يُعَامَلُ من جانب الكهنة بأنه ضحية عادية — وبذلك يكون لحمه مباحًا لهم، وهذا اقتراح على أحسن الفروض غير مقبول — فإن ما تبقى لا يكاد يدعو إلى أن يُحْتَفَلَ بدفنه احتفالًا رسميًّا.

وعلى أية حال يوجد تفسير يسير مع كل الحقائق، ويمكن تلخيص الدليل على ذلك فيما يأتي:

أولًا: توجد أكوام مؤلفة من عظام الثور يعلوها رأس عُثِرَ عليها في عصر ما قبل الأسرات المبكر، وكذلك وُجِدَ مثال آخر تاريخه غير مؤكد عثر عليه الأستاذ «بيت» في العرابة المدفونة.[٢٤]

ثانيًا: يُلْحَظُ أن أقدم دفنات معروفة لـ «أبيس»، على الرغم من أنها تحتوي على بناء علوي وحجرتين، فإن كلًّا منها كانت تشتمل فقط على أربع أواني أحشاء وتابوت من الخشب وكومة من العظام كالتي تحدثنا عنها.

ثالثًا: أن الصعوبة الكبرى في قبول الرأي القائل بتقمص أي ثور إله قبل الأضرحة المعروفة هو نظام دفن جسم الحيوان في العهد المبكر. وعلى أية حال فإنه لم يكن من المستطاع أن يمر على الإنسان أي ضريح كبير يشبه البوخيوم أو السرابيوم دون أن يلحظ، كما إنه لم يكن من المستطاع عمل سلسلة كبيرة من الدفنات الفردية بالحجم الذي اسْتُعْمِلَ في دفنة ثور.

رابعًا: قد يكون من السهل أن يمر على الإنسان عدد من الدفنات المؤلفة من كومات من عظام ثور دون أن يعلق عليها الإنسان تعليقًا كبيرًا، أو دون تعليق قط في القرن المنصرم عندما كان علم الآثار لا يزال في مهده.

خامسًا: أن البقايا التي وُجِدَتْ في السرابيوم تماثل بقوة ما كان يمكن أن يُنْتَظَرَ من نتائج وليمة إلهية فعلية تشبه تلك الوليمة التي جاء ذكرها في أنشودة «أكل لحم الإنسان» التي تحدثنا عنها فيما سبق. وصفات النهم الإلهي أمر مشترك في معظم الديانات، وهذه المزايا بارزة في بعض فروع الدين المسيحي.

وكل هذه الحقائق تكون متصلة بعضها ببعض إذا سلمنا بالنظرية الآتية: كان «أبيس» يتقمصه إله منذ عهد مبكر جدًّا، ومن المحتمل أن هذا التقمص يرجع إلى عهد ما قبل الأسرات، وكان لحمه يؤكل رسميًّا، ويجوز أنَّ آكله كان هو الملك، وقد استمر ذلك على الأقل حتى الأسرة التاسعة عشرة، ومن الجائز حتى الأسرة السادسة والعشرين. وتدل

[٢٤] راجع: Cemeteries of Abydos Part III, p. 44.

الأحوال على أن دفن «أبيس» في احتفال رسمي على نطاق واسع لم يبتدئ حتى الأسرة الثامنة عشرة، ومنذ هذا التاريخ أخذ دفنه يشبه أكثر فأكثر دفن الإنسان، وذلك بخطوات سريعة. أما تحنيط «أبيس» فلم يُسْتَعْمَلْ إلا فيما بعد، ويحتمل أن ذلك قد حدث في عهد الأسرة السادسة والعشرين، وقد استُعْمِلَ في تحنيطه الطريقة الثانية من طرق التحنيط التي ذكرها لنا «هردوت» (Herod 1, 84)، وكان تحنيط «أبيس» — كما ذكرنا من قبل — يكلف مائة تالنتا وهو مبلغ كبير، في حين أنه على حسب قول «هردوت» كانت هذه الطريقة أرخص من الطريقة التي كانت تستعمل باستخراج الأحشاء. ومن المحتمل أن «هردوت» قد ضلل في هذا الموضوع. ومنذ هذا العهد؛ أي العهد المتأخر وما بعده كان «بوخيس» يموت ميتة طبيعية أو كان يغرق رسميًّا عندما يكون في النزع الأخير، أو كان يغرق فقط بالنيابة.

ويدل ما لدينا من آثار على أن أواني الأحشاء كانت مستعملة في دفن الثور مما يدل على أن أحشاءه كانت تُسْتَخْرَجُ منه بعد موته، غير أنه ليس لدينا دليل على استخراج الأحشاء بعد إدخال عملية التحنيط. ومن المحتمل أن إقامة أضرحة ضخمة تحت الأرض لـ «أبيس» وفتحها للشعب في مناسبات خاصة كان بمثابة جزء من عملية ترويج ديموقراطية لأشياء كثيرة (كانت من قبل قاصرة على الملك وأسرته) كانت تقع حوالي هذا التاريخ. وأحسن مثال على ذلك هو التحنيط على الرغم من أنه قد اسْتُعْمِلَ فيما سبق. وبإنشاء مؤسسة رسمية لدفنات «أبيس» قد سُمِحَ للشعب مباشرة بالخصب المفيد الذي يأخذونه من الثور المؤله بدلًا من تسلمه بطريقة غير مباشرة من الملك.

وليس هناك من الأسباب ما يعارض هذه النظرية إلا الشيء القليل. فقد بُرْهِنَ فيما سبق على أن الدليل الذي اسْتُقِيَ من الكتاب الكلاسيين فيما يتعلق بنظرية أن «أبيس» كان يغرق عند بلوغه سنًّا محددًا؛ كان برهانًا ضعيفًا، وليس لدينا ما يبرهن على صحته من أعمال الحفر. ومن المحتمل أن السائحين الذين ذكروا أن «أبيس» كان يغرق قد قدروا خطأً الخمسة والعشرين سنة لحياة «أبيس»، ومن المحتمل أنها كانت مجرد تقدير لمدة حياته (كما يقدر الإنسان المعتاد بسبعين عامًا) بحقيقة أن بعض الحيوانات المقدسة (ولكن غير مؤلهة) كان معروفًا عنها أنها تُقَدَّمُ ضحايا. ومن المحتمل أن تقليد الضحايا المبكرة كما هو مقترح هنا، بالإضافة إلى تحريم شرب ماء النيل على «أبيس»؛ قد ساعد على تكوين مثل هذه الآراء. ومن المحتمل أن الغرق بالنيابة كما اقْتُرِحَ فيما سبق، أو الغرق

الرسمي للثور عندما يكون في النزع الأخير؛ كان معمولًا به.[٢٥] ومن الجائز أن الغرق كانت الطريقة للقتل في الأزمان المبكرة.

وليس لدينا مصادر تشير إلى الثور العائش في الأزمان التي سبقت وجود السرابيوم، ولكن المصادر التي في متناولنا — باستثناء اللوحات الرسمية — معظمها وصلت إلينا مما دونه لنا الرحالة الأجانب، هذا مع العلم بأنه لم يكن لدينا مصادر في هذا الصدد قبل العهد الإغريقي.

وقد عُثِرَ على دفنة في السرابيوم يقوي ما وجد فيها الفرض الذي فرضناه هنا. وهذا المصدر جدير بأن يُقْتَبَسَ هنا بحذافيره نقلًا عن «مريت»[٢٦] وهاك النص:

> هذه الحفائر (= نسف عقبه بالبارود) كان نتيجتها كشفًا لا زلت أشعر حتى الآن أنه من الصعب علي أن أعطي رأيًا بقيمته. فقد وُجِدَ بالضبط في المكان الذي تداعت فيه قبة المقبرة تابوت من الخشب ومومية بشرية. وكان التابوت غائرًا بعمق في الأرض، وقد وُجِدَ جزؤه العلوي مفتتًا، غير أن المومية وجميع الأشياء التي تتألف منها زينتها الجنازية لم تكن قد مُسَّتْ بعد. والتلف الوحيد الذي كان قد أصابها سببه رطوبة الأرض. وكان يغطي وجه المومية قناع من الذهب، وكان معها عمود صغير من حجر الفلدسبات الأخضر وقرط من اليشب الأحمر، وكانا يتدليان من سلسلة من الذهب المطروق في رقبة المومية. وكذلك وُجِدَتْ سلسلة أخرى من الذهب معلقًا فيها تعويذتان من اليشب، والكل نُقِشَ عليه اسم الأمير «خع-إم-واست» بن «رعمسيس الثاني». ووُجِدَ على صدر المومية جوهرة عجيبة، وهي عبارة عن صقر صِيغَ من الذهب، ورصع بالأحجار الثمينة، أما ذراعاه المنتشرتان فكانتا موضوعتين على الصدر. وكذلك وُجِدَ ثمانية عشر تمثالًا صغيرًا من الخزف المطلي لها رءوس آدمية، ونُقِشَ عليها المتن التالي: «أوزير-أبيس» الإله رب الأبدية. وهذا المتن نُقِشَ حولها.

وبعد ذلك استمر «مريت» يناقش دهشته عندما وجد مومية رجل في مقبرة «أبيس» وقد قدم تفسيرًا لذلك عدة نظريات تفسر سبب دفن رجل في مقبرة «أبيس». وعلى أية حال

---

[٢٥] راجع: Hopfner Ibid. p. 83.

[٢٦] راجع: Mariette Ibid p. 58.

نراه فيما بعد بطبيعة الحال بعد أن فحص المومية (راجع Mariette Ibid., P. 146) يقول: وعلى ذلك فإن المومية الأخرى كان قد مات صاحبها في العام الخامس والخمسين. وهذه الملحوظة لها أهمية إذا كانت المومية التي جُمِعَتْ بقاياها بدلًا من أن تكون مومية «أبيس» كانت مومية «خع-أم-واس» نفسه، وهذا كان أمرًا ممكنًا، وهذه النقطة الجديدة تستحق شرحًا طويلًا. وليتصور الإنسان مومية في هيئة آدمية قد أُتْلِفَ جميع جزئها السفلي من أول الصدر، وكان يغطي وجهها قناع من الذهب السميك محفوظ الآن بمتحف اللوفر، وكانت حول رقبتها سلسلتان كذلك من الذهب، عُلِّقَ في إحداها ثلاث تعاويذ مدلاة. أما من الداخل فإن هذه المومية قد انحسرت عن جرم من الأسفلت المعطر، فاختلط بذلك قطع عظام لا شكل لها، وقد وُجِدَتْ في وسطها جوهرتان أو ثلاث لها حواجز من الذهب، ومطعمة بلويحات من الزجاج. وعند هذه النقطة يقول «مريت» إنه وجد جعرانًا وبعض تماثيل جنازية بهيئات بشرية، وكذلك قطعة أو قطعتين من الآثار، وبعد ذلك يستمر قائلًا: وها هو «أبيس» الذي نتحدث عنه. ويمكن أن يقدر الإنسان مقدار الحيرة التي أوجدنا فيها هذا الكشف، وبخاصة عندما نعلم أن كل الآثار التي وُجِدَت على المومية التي نحن بصددها لا تشمل شيئًا آخر غير لقب «خع-أم-واس» واسمه، وعلى العكس نجد أن جميع ما وجد فيما يحيطها يُذْكَرُ عليه اسم «أوزير-أبيس» ووظائفه العادية. فهل هناك «أبيس»؟ وهل هناك مومية «خع-أم-واس»؟ وعلى الرغم من أنه كان من الضروري فحص عظام هذه المومية ليكون الإنسان على يقين تام إذا كانت عظام ثور أو عظام إنسان؛ فإن المجال لا يسمح للنقاش في هذا الموضوع؛ وذلك لأن دفنة مومية ملكية بأية صورة غير كاملة تُعْتَبَرُ من الأمور التي لا يمكن التفكير فيها. فعدو الإنسان فقط هو الذي يفكر في إتلاف جسمه قبل الدفن، كما إنه لا تُدْفَنُ بقاياه بكل الحقوق التي يتمتع بها «أبيس» عند الدفن، ولا يمكن أن يكون لدينا شك يقبله العقل بأن العظام كانت عظام «أبيس» دفنت لتقلد من وجوه عدة جسم أمير.

يدل على ذلك أنه حتى يومنا هذا نجد عندما يُشْفَى أحد الأقباط من مرض خطير يُذْبَحُ له عجل. وكان على المريض الذي في دور النقاهة أن يخطي جسم الذبيح؛ لأجل أن تترك الروح الشريرة جسمه، وتدخل في دم العجل المذبوح.

والآن يتساءل الإنسان هلا يكون من الممكن أن هذه الدفنة كانت بمثابة دفنة بدلًا لدفنة الأمير «خع-أم-واس»؟ وتفسير ذلك أن الأمير «خع-أم-واس» لما مرض أخذ يبحث لنفسه عن علاج بالالتفات العظيم لـ «أبيس»، وأخيرًا ذُبِحَ «أبيس» وأكله هذا الأمير؛ لينال

بذلك صحة وقوة. وبعد ذلك تُدْفَن بقايا الثور «مع مرض» الأمير (؟). على أنه يكاد يكون من ضروب المستحيل أن يجد الإنسان أي تفسير آخر لهذه الدفنة التي تخطت حد المألوف؛ وتقديم هذا الحل هنا — الذي يتفق مع كل الحقائق — يؤكد نظرية موت «أبيس» كما استعرضناها فعلًا.

وأول دفنة أقيمت في السرابيوم كانت تحتوي على تابوت من الجرانيت يرجع تاريخها إلى الأسرة السادسة والعشرين، وهو التاريخ الذي يشير إليه وصف التحنيط في ورقة «أبيس». وقبل ذلك العهد كانت تُسْتَعْمَلُ توابيت من الخشب فقط لدفن «أبيس». وتحدثنا الآثار أن «بسمتيك الأول» قد ابتدأ سلسلة حجرات جديدة في السرابيوم على نطاق أكبر من أسلافه، وقد تحدثنا عن إصلاحات هذا الملك في السرابيوم والتجديدات التي قام بها هنا في الجزء الثاني عشر من هذه الموسوعة. وكذلك أعطى الملك «نقطانب الثاني» عناية كبيرة لهذه المدافن؛ فبنى معبدًا صغيرًا بجوار مدخل السرابيوم، والحجرات الكبيرة التي أقامها «بسمتيك الأول» ظلت باقية حتى منتصف حكم الملك «إيرجيتيس الثاني». وقد أشار «مريت» في كتاباته إلى مكان في السرابيوم ظل قائمًا حتى عهد الإمبراطور «تيودوسيوس» Theodosius، وفي مكان آخر أشار إلى دفنات للعجل «أبيس» ترجع إلى آخر عهد أباطرة الرومان، غير أنه مما يؤسف له لم نعرف ماذا وجد في هذا العهد المتأخر بسبب مطبوعاته التي لم تكن قد تمت بعدُ عند وفاته.

وجهلنا بالأشياء الذي وجدها «مريت» شيء يؤسف له كثيرًا. فمن بين الأشياء التي أشار إليها في كتابه عن السرابيوم (والتي لم تُذْكَرْ في فهرسه الخطي المحفوظ باللوفر) الكثير الذي كان يُعْتَبَرُ غير جدير بالمحافظة عليه، ومن المحتمل أنه إذا أُعِيدَ فحص أتربة الحفائر التي قام بها في منطقة سقارة، وكذلك لو حُفِرَتِ المقابر التي حفرها من جديد، وبخاصة تلك التي ليست معروضة للجمهور؛ لأتت بنتائج مفيدة لعلم الآثار. ولا أدل على ذلك من الحفائر التي قمت بها في منطقة سقارة وجدت فيها أشياء جديدة لم يكن «مريت» قد كشف عنها، وكذلك وجدت نقوشًا لم يكن قد نقلها (راجع: Excavations at Sakkara, Vol. 2). وفضلًا عن ذلك نجده قد ترك ثلاث دفنات من عهد الرعامسة المتأخر جدًّا (رعمسيس الرابع كما يقول «مريت») لم تنظف تمامًا.

هذا، ولم يظهر أي نشر علمي عن هذه المقابر. ومن المحتمل أن القيام بمثل هذه الحفائر يمكن أن يأتي بمحصول علمي كبير، وبلا شك سيكون لدينا بذلك بيانات أكثر عن «أبيس» وعبادة الثور من التي نشرها «مريت» عن حفائره في سقارة خاصة بالسرابيوم.

وأهم الآثار التي يمكن تتبعها من أعمال الحفر التي قام بها «مريت» اللوحات الرسمية، ومن بينها ثمانية كان قد أُعِيدَ إقامتها، وترجع اثنتان منها إلى عهد البطالمة. يُضاف إلى ذلك حوالي مائة وعشرين لوحة لأفراد. ومعظم هذه اللوحات دُوِّنَ باللغة الديموطيقية. وقد نُشِرَتْ كلها في صورة مجموعة.

ويا حبذا لو جمع علماء الآثار الفرنسيون كل ما لم ينشره «مريت» ونشروه نشرًا علميًّا. وعلى أية حال فإن قائمة الآثار التي كشف عنها «مريت» كثيرة جدًّا لا يمكن نشرها هنا حتى ولو بصورة مختصرة.

ومن المعلوم أن السربيوم قد نمت وتطورت مبانيه على حسب العصور التي مر بها حتى أصبح في العهد البطلمي من أهم المراكز الدينية، فقد وُجِدَ في داخل حرمه مؤسسات صغيرة لعدة آلهة كما ذكرنا ذلك من قبل، وكان فيه مراكز حضانة كان يأوي إليها المرضى من كل فج طالبين البرء من أمراضهم. ومن المحتمل أن مؤسسة السرابيوم كانت قد استمرت حتى عهد الإمبراطور «تيودوسيوس». وقد سجل ثور «أبيس» لعام ٣٦٢ ميلادية، وقد ذكر لنا هذا «إميانوس مارسيللينوس» (راجع: Ammianus Marcellinus XXII, 14, 6) غير أننا لا نعرف إذا كان «مريت» قد كشف دفنات لـ «أبيس» من عهد الرومان. والظاهر أن عدم وجود لوحات رسمية من هذا العهد يجعل من غير المحتمل وجود أي كشف لـ «مريت» في العهد الروماني خاصًّا بالعجل «أبيس».

ومما يُؤْسَفُ له أن «مريت» لم يكن مهتمًّا بدفنات البقرات، وربما كان سبب ذلك هو أن الأشياء التي كانت تُدْفَنُ مع البقرات كانت أقل قيمة من حيث المادة. ولا تُعْرَفُ لوحات لبقرات وُجِدَتْ في السرابيوم. ومن جهة أخرى لم يكن للبقرات لوحات خاصة بها؛ وذلك لأن البقرات كانت تمثل على لوحات الثيران. وكانت في أغلب الأحيان تمثل بجسم إنسان وقرني بقرة. هذا، ولم يذكر «مريت» في سرابيوم «منف» دفنات البقرات إلا مرة واحدة، وكان ذلك عرضًا، ولكنه كان يتحدث بوضوح أكثر في مقالة عن أم «أبيس» (Mémoire sur la Mère d'Apis) فيقول في الصفحة الرابعة عشرة من هذا المقال: لقد وجدت في قبوة بقرات في الشمال من السرابيوم دفنة سليمة لشخص نذكر من بين ألقابه الطنانة الرنانة لقب الكاهن خادم الإله لأم أبيس، هذا بالإضافة إلى لوحة محفوظة الآن بمتحف اللوفر باسم شخص يدعى «وننفر» بن «بتوزريس»، وكان يحمل كذلك لقب الكاهن خادم الإله لأمهات «أبيس». وفي هذا نجد أن الآثار تتفق إذن مع ما ذكره «سترابون» ... إلهتنا لها رأس بقرة، ويدها مسلحة بصولجان عادي الآلهة، كالذي يُرَى على لوحات السرابيوم ... (وهي) أم «أبيس».

ومما يؤسف له أن تقرير «مريت» عن حفر هذا الضريح ليس وافيًا؛ لأنه ليس من المؤكد إذا كان المقصود هنا هو دفنة أم «أبيس» كما يغلب على الظن أو أنها فقط إحدى هذه الجبانات الخاصة لماشية أكثر تواضعًا أُقِيمَتْ حول السرابيوم. أما عن عذرية أم «أبيس» فسنتناول عنها الحديث فيما بعد.

(٤) الثور «بوخيس» والملك «نقطانب الثاني»

لقد اهتم الملك «نقطانب الثاني» (نخت حور-حب) اهتمامًا خاصًّا بسرابيوم «منف»، وفي عهده نجد للمرة الأولى ذكر الثور «بوخيس» ومدفنه المسمى «بوخيوم»، وذلك على الرغم أنه قبل هذا العهد لدينا البرهان على وجود ثور «المدمود» الذي وحد فيما بعد بالثور «بوخيس». فقد ظهر ثور «المدمود» في موكب في عهد الملك «رعمسيس الثالث». غير أن هذا لا يُتَّخَذُ برهانًا قاطعًا على وجود إله متقمص ثورًا في ذلك التاريخ، ولكن ذلك يقدم لنا برهانًا قويًّا على هذا الرأي.

حقًّا كانت توجد عبادة ثور في «المدمود» في عهد الأسرة الثانية عشرة. ويعتقد الأستاذ «فيرمان» أنه قبل عهد الفرعون «نقطانب الثاني» كان يوجد ثور متنقل يزور «أرمنت» و«المدمود» و«طود» و«طيبة»، وقد برهن على ذلك بقوله:[٢٧]

غالبًا ما ذُكِرَ أن «بوخيس» كان هو نفس ثور «منتو»، ومما لا جدال فيه أن الإله «منتو» لم يصل إلى علاقة وثيقة مع عبادة الثور، ولكن سواء أكانت هذه العلاقة أصلية ونظرية في طبيعة «منتو»، فإن هذا موضوع آخر قابل للشك. ويدل ما لدينا من نقوش على أن ألقاب الثور «بوخيس» تؤكد أنها تميل كل الميل لعبادة «رع»،[٢٨] وإن مكانة «منتو» بالنسبة للإله «بوخيس» كانت ثانوية محضة، وعلى ذلك فإن «بوخيس» كان في الأصل من أرومة شمسية، ومن المحتمل أنه لم يكن له علاقة بالإله «منتو». ومن ثم يكون من الأمور الغريبة أن «منتو» كان في بادئ أمره ثورًا مؤلهًا. ولدينا دليل آخر على أن صلة «منتو» بالإله «بوخيس» ليست أصلية فيما نلحظه في لباس الرأس الذي كان يرتديه الإله «منتو»؛ فلباس الرأس الخاص بهذا الإله هو قرص الشمس الذي يعلوه ريش النسر

[٢٧] راجع: The Bucheum, vol. II, pp. 40–50.

[٢٨] راجع: The Bucheum vol I. p. 41.

المستقيم، ونجده كذلك حتى عندما يمثل برأس ثور.[٢٩] والآن نجد أن «بوخيس» عادة كان يرتدي على رأسه قرص الشمس وريش النعام. ويقول «فرمان» إنه لا يُعْرَفُ أي مثل لـ «بوخيس» في صورة بشرية، ولكن كان يُمَثَّلُ برأس ثور، ولا يحمل إلا ريش نعام فقط.[٣٠] على أن هذه النقطة الأخيرة قد لا تكون ذات أهمية، ولكن الفرق بين لباس رأس «منتو» وبين لباس رأس «بوخيس» يمكن أن يشير إلى خلاف في الأصل الذي نبع منه كل منهما. ومسألة التيجان المختلفة من المسائل التي لم تُدْرَسْ بعد درسًا دقيقًا. غير أن الكفة الراجحة في موضوعنا تميل الآن إلى أن التاج المزين بريش نعام من أصل شمالي أي من الوجه البحري.[٣١]

ويتساءل المرء كيف حدث أن عبادة «بوخيس» قد تمركزت في «أرمنت»؟ ولماذا كان «بوخيس» مرتبطًا بالإله «منتو»؟ والبراهين التي في متناولنا للجواب على هذين السؤالين ضئيلة بشدة، ولكن إذا سلمنا على الأقل بالصلات الشمسية لـ «بوخيس» وعلاقته بـ «رع»، فإنه من الممكن تقديم تفسير منطقي لهذين السؤالين؛ فالصلات الشمسية لعبادة الثور قد اعْتُرِفَ بها منذ زمن بعيد (فمثلًا لا بد أن نفسر عبادة «منيفيس» في تل العمارنة (راجع: Davis Rock Tombs of el Amarna, Vol. XXXII, 21) بصلة «رع» بعبادة الثور) ومن المعقول أن نقترح أنه عندما أخذت عبادة الشمس تنتشر فإن حب المصري لنظام الثنائية في الموازنة بين الوجه القبلي والوجه البحري قد تطلبت منه أن يؤسس في الوجه القبلي عبادات ثور مماثلة لتلك العبادات الموجودة فعلًا في الوجه البحري. ويمكن الإنسان أن يخاطر بفكرة في تفسير اختيار «أرمنت» مركزًا و«منتو» إلهًا لعبادة الثور في إقليم «طيبة». ويظهر أن تفسير ذلك يرجع إلى أن «أرمنت» كانت تُعْتَبَرُ بوجه خاص مرتبطة بعبادة الشمس. فقد كان يوجد معبد للإله «أتون» في «أرمنت»، وكان الكاهن الأكبر لـ «أتون» في «أرمنت» يُدْعَى «ور-ماو» (= الرائي الأعظم).[٣٢] ويقول في ذلك «كيس»: بعد كل شيء يظهر لي أن تأثير تعاليم الشمس الهليوبوليتية قد وصلت إلى «طيبة» وبوجه خاص إلى «أرمنت».

---

[٢٩] راجع: B.I.F.A.O. XII., 12 (Tod).

[٣٠] راجع: Champ., not. descr. I. 377.

[٣١] راجع: Blakman in Myth and Ritual (ed. S.H. Hooke), 31.

[٣٢] راجع: Kees AZLIII. 81–3 and p. 83, cf. (Legrain A.S. IV. p. 147, Bec. Trav. XXIII, 62).

ومن جهة أخرى لا يمكن الإنسان أن يتغاضى كلية عن إمكان وجود علاقة بين «بوخيس» و«منتو» وأن هذه العلاقة كانت ترجع إلى بعض رابطة بين الإله «مين» والإله «منتو». غير أن هذه أمور تعوزنا لإثباتها البراهين، ولا بد من تتبعها.

وعبادة «بوخيس» كما نعلم حديثة العهد نسبيًّا؛ إذ إن نفس اسم «بوخيس» لم يكن معروفًا قبل عهد الملك «نقطانب الثاني». ومن الجائز أن ذلك كان نتيجة لعناية «نقطانب الثاني» بالعبادات الوطنية وبعبادة الحيوانات، وكذلك إلى رد الفعل في العهد المتأخر الذي قام به المصريون على الغزو والسيطرة الأجنبية. وقد وجد رد الفعل هذا متنفسًا في بعث جديد يشجعه عناية مبالغ فيها للعبادات المصرية الخاصة، وفوق كل شيء عبادة الحيوان.[٣٣] وقد أشرنا إلى ذلك فيما سبق.

وعلى أية حال يظهر من غير معقول أن عبادة «بوخيس» قد ظهرت إلى حيز الوجود في عهد الملك «نقطانب الثاني»، ولذا فإنه من الصواب أن نقوم ببحث لنعرف من نتائجه إذا كان هناك أي شيء قد وجد؛ ليكون مقدمة لنموذج سابق لصورة «بوخيس» المتطورة فيما بعد من هذا النموذج.

ونقطة البداية عندنا في هذا البحث هو الإله «منتو»، والعلاقة بين «منتو» والثيران ترجع على الأقل إلى عهد الدولة الوسطى. فلدينا في لوحة «نسومنت»[٣٤] Nesumonth الجملة التالية: لقد كنت الوحيد الذي يمكن أن يُسَمَّى ثور «منتو». والواقع أنه قد اقترح أن النعت «الثور الجبار» الذي كان يُنْعَتُ به الفرعون منذ عهد «بطليموس الأول» كان قد تأثر بأهمية «منتو» في إقليم «طيبة» (راجع Sethe, Amun. § 5).

وكان الإله «منتو» يُعْبَدُ في أربع بلدان في مقاطعة «طيبة» وهي: «أرمنت»، و«المدمود» و«طود» و«طيبة». وقد وردت هذه الحقيقة في المتون المصرية. مثال ذلك: أن اسم فلان يبقى مثل أسماء «منتو» الأربعة في مدنه.[٣٥] ونجد نفس الفكرة عند ذكر وجوه الإله الأربعة (Sethe. Ibid. § 6 No. 5)، ويوجد تطور لفكرة الأربعة «منتو» يستحق الذكر. فقد ذكر لنا متن أنها تتحد في واحد (راجع: L.D. Text IV., 7). وأخيرًا ذُكِرَ أن هذه

[٣٣] راجع: Wiedemann Der Alte Orient XIV, 21.

[٣٤] راجع: A.Z, S. L. XXI p. 153.

[٣٥] راجع: Brugsch Dict. Georg. 1058–9, cf, Pap. Cairo 59007, recto 4, 3 Golenischeff, Les Pap. Heratiques (Cairo Catalogue), p. 33 and also pp. 64, 76.

الأشكال الأربعة قد اتحدت في ثور واحد؛ أي إن «منتو» أرمنت ومدمود وطيبة وطود قد توحدت مع «نوت» و«نياو» و«حوح» و«كوك» على التوالي. وهذه الآراء قد وضحت في ألقاب «منتو» التالية:

(١) أربعة الذكور لثامون «الأشمونين» التي أجسامها قد وُحِّدَتْ في ثور (راجع: Ibid. T. 30 b).

(٢) أربعة الذكور للآلهة الأزلية التي اتحدت أجسامها في ثور قرناه حدان (Sethe. Ibid. 16,110 = 117).

(٣) ذكور الثامون الموجودة في «منتو» (= Theb. T. 6 b).

(٤) ذكور الثامنون المتحدة في واحد (= L.D. IV 64 a).

(٥) (الأربعة «منتو») قد اتحدت في تمثال في هيئة «منتو». وأنها تجدد نفسها هنا في المدمود بمثابة أربعة ذكور أمام والدها «تنن». (Chronique d'Egypte No 12 July 1930, 266).

ومما سبق نشاهد أسبابًا قيمة تنسب أن أشكال «منتو» الأربعة المحلية كانت ثيرانًا، وكانت تُعْتَبَرُ أنها تتقمص ثورًا. ولكن مما يؤسف له أن كل المتون التي اقتبسناها من عصر متأخر، وبقي علينا أن نعرف إذا كانت هذه الأفكار أو ما يشابهها موجودة في العصور المبكرة.

ولا بد أن نعترف هنا أن البحث في هذا الموضوع لن يكون كاملًا إلا بعد إتمام حفر منطقة «أرمنت»، ومع ذلك يمكن القول في هذا الصدد:

أولًا: «أرمنت» يتضح من متون العصر المتأخر وكذلك من لوحات «بوخيس» وكذلك لوحات القرابين؛ أن «أرمنت» كانت تُعَدُّ مسكن «بوخيس» مدة حياته، وأن البوخيوم كان مكان دفنه. ومما يؤسف له أنه ليس لدينا الآن أية براهين عن العصور المتأخرة تدل على عبادته في هذا المكان. وليس لدينا إلا متن واحد جاء فيه: «منتو» رب «طيبة»

(الكا) نزيلة «أوني».[٣٦] وعلى أية حال لدينا متن من معبد «منتو» بالكرنك (B. I. F. A. O. XII, 80) يقدم لنا بعض ألقاب هامة للإله «منتو» وهي: «منتو-رع»، رب «طيبة»، (الكا) نزيلة «أونو» («أرمنت»)، وسيد «المدمود» نزيل (= الذي في) «طود». ولا نزاع في أن وجود عبارة (الكا) نزيلة «أونو» (أي الذي في) في زمن كان فيه «بوخيس» كما نعرفه على قيد الحياة؛ يُعْتَبَرُ من الأمور الهامة جدًّا.

ومما يطيب ذكره هنا أنه ليس من الأمور النادرة أن نجد في المتون المصرية التي من العهد الروماني وكذلك من العهد البطلمي كلمة «أونو» قد كُتِبَتْ بدلًا من «أونوشمع». وعلى ذلك فإنه ليس لدينا شك محس في أن الصورة المحلية لثور «منتو» صاحب «أرمنت» كانت «بوخيس» في العهد المتأخر، وأنه على الأقل منذ الأسرة الثامنة عشرة[٣٧] كان يوجد ثور «منتو» في هذه البلدة أي «أونو شمع» (= «أونو» الجنوب؛ أي «هليوبوليس» الجنوب، وبذلك تتألف الثنائية).

ثانيًا: «المدمود» لقد برهنت نتائج الحفائر التي عُمِلَتْ في «المدمود» بصورة قاطعة على وجود ثور تقمصه الإله «منتو» هناك منذ الأسرة الثانية عشرة، ونفس هذه الحقيقة معروفة من كل نقوش العصور التاريخية المصرية التي أتت بعد ذلك حتى العهد الروماني. وأكثر العبارات شيوعًا في هذه المتون العبارة التالية: «منتو» رب «طيبة» الكانزيلة «المدمود»، و«الكا» العظيمة جدًّا المبجلة في المدمود. أو «الكا في المدمود». وأقدم إشارة للثور الذي في «المدمود» جاء ذكرها في عهد «سنوسرت» الثالث.[٣٨]

وفي عهد الأسرة الثالثة عشرة نجد فضلًا عن الأدلة التي نتجت من الحفائر الفرنسية التي قام بها المعهد الفرنسي، وفي ورقة بولاق الخاصة بالحسابات (A. Z. XXIX, 102 ff.) وكذلك فيما كتبه «شارف» (A. Z. LII, 51 ff.) ما قد يلقي بعض الضوء على وجود عبادة الثور في «المدمود» في ذلك العهد.

وفي عهد الملك «تهرقا» سجل العظيم «منتو محات»[٣٩] الأعمال التي أداها في «المدمود»: فيقول: لقد (صنعت) ثور المدمود في هيئته المقدسة وأقمت معبده، وكان

---

[٣٦] عبارة الإله نزيل المكان كذا تدل في اللغة المصرية القديمة على أن الإله المذكور كان ضيفًا في المكان الذي ينزل فيه، ولم يكن الإله الأصلي لهذا المكان. عبارة النزيل بالمصرية هي (حري-إيب).

[٣٧] راجع: Rec. Trav. XIX. 14: Amenhotep II.

[٣٨] راجع: Bisson de Ra Roque and J. J. Clère Medamoud 1928, Irsc. 501, p. 113.

[٣٩] راجع: Wreszinski O.L.Z. XIII. 385 ff. pl. III. 25.

أكثر جمالًا عما كان عليه من قبل.[٤٠] ومما تجدر ملاحظته هنا أنه على حسب هذا المتن لم يكن ثور «المدمود» حيوانًا عائشًا، وأقل ما يُقال أنه مما يصعب تصديقه على ما يظهر أنه إذا كان يوجد ثور يعيش باستمرار في «المدمود» فلا بد أن تكون له صورة كما جرت العادة في معبده.

ويمكن تلخيص صفات ثور «المدمود» فيما يلي:

(١) أنه كان قد اشترك في حروب مع ثيران أخرى في ساحة خاصة.
(٢) أنه كان في قدرته أن يشفي الأمراض، وبخاصة أمراض العين.[٤١]
(٣) وكان له وحي[٤٢] ويذكر «كيس» أن «بوخيس» هو الذي كان له وحي في «المدمود».[٤٣]
(٤) كانت اللفظة الهيروغليفية الدالة على الثور تُكْتَبُ أحيانًا باللون الأزرق. وهذا اللون هو لون السماء، وهذا يدل دون أي شك على أن طبيعة ثور «المدمود» كانت شمسية (راجع: Drioton, 1925, Pt. II, 6, and Inscr. 80 p. 38).

وأخيرًا لا بد من ذكر شيء باختصار عن تمثال «أحمس» بن «سمنتدس» (Cairo 37075, No. 197, of the Kannak Cache). كان «أحمس» كاهنًا (خادم الإله) للملك «نقطانب الثاني»، وألقابه الأخرى هي المحنط والمطهر الإلهي، والذي يدخل في دفنه الثور الذي في «المدمود» (يقصد بوخيس).

ثالثًا: «طيبة» إن الصيغة الدينية التي من طراز: «منتو» ... (الكا) نزيلة «طيبة» يظهر أنها غير معروفة. ولا بد أن يعترف الإنسان أنه ليس لدينا أي برهان قاطع على وجود صورة ثور لـ «منتو» في «طيبة». ومع ذلك لا يكاد الإنسان يشك في أن مثل هذا الثور لا بد كان موجودًا هناك، وأن عدم وجود البراهين على ذلك قد كان محض صدفة، وأنه من الممكن دائمًا أن ثور «منتو» في «طيبة» كان قد طغى عليه في عهد مبكر بعض إله آخر. وقد رأينا أنه كان يوجد ثور أبيض له صلة بالإلهة «مين» في «طيبة» في زمن

[٤٠] راجع: Drioton, Medamoud (1926), pt. Les Inscriptions 10, 11.
[٤١] راجع: Ibid. p. 9.
[٤٢] راجع: Drioton, Medamoud (1925), pt. II, 6, 42–5.
[٤٣] راجع: Kees Kulturegeschecte des Alten Orient, I, Agypten 333.

«رعمسيس الثالث»، وكان بينه وبين «بوخيس» وجه شبه كبير، وقد عده «جوتييه» أنه هو نفس «بوخيس» (راجع Gauthier, Les Fêtes de Dieu Min, P. 83) غير أن في ذلك نوع من المبالغة يجب التحفظ عند الأخذ بها.

رابعًا: «طود» إن وجود ثور مقدس في «طود» أمر معروف تمامًا. وقد نشر الأثري «لجران» المعلومات الدالة على ذلك (راجع: B.I.F.A.O. XII 109 ff). وفي عهد «تحتمس الثالث» يظهر أن المعبد هناك كان يُسَمَّى «حت كا» (قصر الثور).[٤٤] ويوجد نفس الاسم في متن من «أرمنت».[٤٥] ويظهر «منتو» صاحب «طود» نفسه في صورة بشرية برأس ثور.[٤٦] وأخيرًا نجد الثور مصورًا على جدران المعبد (Ibid. p. 109). وقد استخلص الأثري «فرمان» من بعض متون أوردها[٤٧] أن الثور الذي مُثِّلَ على جدران معبد «طود» هو «بوخيس» نفسه على ما يُظَن، ولكنه لم يجزم بذلك.

وعلى أية حال لا بد أن نثبت هنا النتائج الرئيسية التي نستخلصها من هذا البحث بصورة مختصرة:

أولًا: ليست هناك علاقة محددة بين الإله «منتو» وعبادة الثور حتى الأسرة الثانية عشرة.

ثانيًا: أن عبادة ثور «منتو» ترجع بنا إلى عهد الأسرة الثانية عشرة. وفي «أرمنت» و«طود» ترجع إلى الأسرة الثامنة عشرة. ومن المعقول أنه إذا قامت حفائر جديدة فإنها ستظهر أن كل هذه الأشكال المحلية قد نبعت في عهد واحد لا يتعدى الأسرة الثانية عشرة.

ثالثًا: أن أعم صيغة في ألقاب أشكال الثور المحلي للإله «منتو» هي: «منتو» رب كذا و(الكا) نزيل كذا. وهذا يدل — على ما يظهر — على أن الثور لم يكن الإله الرئيسي في أي من هذه الأماكن، ولكنه كان إلهًا ثانويًّا، أو بعبارة أدق: إلهًا زائرًا؛ لأن عبارة «حري-اب» تعني الزائر. والواقع أن ثيران «منتو» في «أرمنت» و«المدمود» و«طيبة»

---

[٤٤] راجع: Legrain Ibid. p. 114.

[٤٥] راجع: L. D. IV, 62 f.

[٤٦] راجع: Legrain Ibid figon p. 120.

[٤٧] راجع: Bucheum II. P. 49.

و«طود» لم تُعْتَبَرْ أبدًا آلهة أصحاب مكانة عظيمة في تلك الأماكن، وأن الثور الوحيد للإله «منتو» الذي له الحق أن يكون الإله الرئيسي للمكان هو «بوخيس» بوصفه سيد «حت اتم» (= البوخيوم). فمثلًا لم يكن «بوخيس» أبدًا سيد «طيبة» أو «أرمنت» وحتى في العهد البطلمي كان ثور «أرمنت» يُدْعَى «نزيل» تلك المدينة.

رابعًا: في عهد الملك «تهرقا» كان معبد «المدمود» يحتوي على تمثال الثور.

خامسًا: يظهر أن «بوخيس» كان حاضرًا (بوصفه زائرًا؟) في «طود» في عهد البطالمة.

سادسًا: كانت أشكال «منتو» الأربعة المحلية تُعْتَبَرُ ثورًا واحدًا.[٤٨] ولا بد أنها كانت تتزاور فيما بينها في فترات محددة، ويحتمل أن ذلك كان مرة في كل شهر. هذا، ونلحظ أن الأستاذ «زيته» قد أشار في العبارة التالية: «أن ذكور الثامون قد اتحدت في ثور»؛[٤٩] (أي وحدت في ثور واحد)، والثور المقصود هنا بلا نزاع هو «بوخيس» وأنه في الحالات الأخرى جميعها التي اقتبسناها فيما سبق كان الثور المقصود هو «بوخيس». وعلى ذلك ينتج أنه حتى في العصور المبكرة لم يكن يوجد ثور حي منفصل في «أرمنت» و«المدمود» و«طود» و«طيبة»، بل كان كل منها متحدًا في ثور واحد، كان يزور كل مدينة من المدن السابقة على التوالي، وكان يُمَثَّلُ في غيابه بتمثاله المقدس.

والمفروض أن ما ذُكِرَ هنا ليس إلا نظرية أقيمت على براهين ليست فوق الشبهات، ولكن يمكن إضافة حقيقة أخرى هنا قد تقوي بعض الشيء هذه النظرية، وذلك أن «دريتون» قد نشر أربعة تماثيل للإله «منتو» (برأس ثور) سمى كل واحد منها باسم واحد من أربعة الأشكال المحلية للإله الذي قيل عنه إنه يسكن في حظيرة ثور «مدمود». فهلا تكون الإشارة هنا لزيارة أربع الصور الخاصة بالإله «منتو» مجتمعة في ثور واحد، لمعبد المدمود؟

وهكذا نحصل على إعادة تأليف تاريخ «بوخيس» فيما يلي: في العهد الذي سبق عهد حكم الفرعون «نقطانب الثاني» كان «بوخيس» يتقمص أربعة أشكال الإله «منتو»، وبهذا الوصف زار المدن الرئيسية للإله «منتو» كلا بدورها. وفي هذا العهد على ما يظهر

[٤٨] راجع: Amun § 178. note 1.

[٤٩] راجع: L. DIV. 64a.

لم يكن قد أُطْلِقَ عليه اسم مميز له. وعلى أية حال نجد أن «نقطانب الثاني» قد أسهم في تطور طبيعة الثور وجعله إلهًا هامًّا مساويًا لكل من «أبيس» و«منيفيس»، ولكن «بوخيس» استمر في زيارته المنظمة لبلاد إقليم «طيبة».

ومهما يكن من أمر فإن هذه النظرية التي وضعها الأستاذ «فيرمان» — على الرغم مما فيها من ثغرات — فإنها تُعْتَبَرُ أحسن ما كُتِبَ عن «بوخيس» إلى أن تظهر متون أخرى تنقض بعض ما جاء فيها أو كله، أو على العكس تثبت صحتها من كل الوجوه.

(٥) الموازنة بين «بوخيس» وبين «أبيس» و«منيفيس»

لا بد أن نفهم أولًا أن النظرية القائلة أن «نقطانب الثاني» قد دفع إلى الأمام من جديد عبادة ثور «المدمود» باسمه الجديد «بوخيس»، وأنه أمده بمدفن جديد أطلق عليه اسم البوخيوم، أو أن نفس الملك قد أدخل فكرة تقمص الإله الثور تقليدًا لكل من الثورين «أبيس» و«منيفيس»؛ هذه النظرية يعتورها الشك والغموض. على أنه لو كانت مسألة التقمص حقيقية فإن «نقطانب» لم يَقُمْ بها إلا ليكسب محبة أهل الجنوب الذين كانوا غرباء بالنسبة له. ومما يلفت النظر هنا أن البيانات التي توضح لنا أوجه الشبه وأوجه الخلاف بين الثور «بوخيس» من جهة وبين كل من الثورين «منيفيس» و«أبيس» من جهة أخرى، دقيقة لدرجة أنه قد أصبح من الصعب استخلاص شيء منها.

وسواء أكان موجودًا ثور يتقمصه إله في «أرمنت» قبل عهد الملك «نقطانب الثاني» أم لا، فإن التغيرات التي أُدْخِلَتْ في عبادته في ذلك الوقت كانت أساسية لدرجة أن أصبح مؤكدًا أن نعتبر حكم هذا الفرعون بداية تاريخ الثور «بوخيس».

بوخيس

كان «بوخيس» يُنْتَخَبُ من بين عجول ذات سن مناسب، على شرط أن يكون به علامات خاصة تميزه عن نوعه. وكان هذا العجل على حسب قول «ماكربيوس»[٥٠] يغير لونه كل ساعة، وذكر لنا هذا المؤلف كذلك أن هذا العجل كان أشعث اللون بشعر ينبت إلى الخارج،

[٥٠] راجع: Nacrobius Saturn 1, 21, 20.

وذلك على عكس كل الحيوانات. وكانت بشرته بيضاء ورأسه أسود. ولسنا في حاجة إلى القول بأن الوصف الأول الذي وصفه به هذا المؤرخ، الثور «بوخيس»، ما هو إلا حديث خرافة نقله عن نسج خيال التراجمة. أما الوصف الآخر فهو بلا شك له بعض العلاقة بالحقائق المعروفة عن هذا الثور. ولكن مما يؤسف له جد الأسف أن علماء الآثار الذين قاموا بالحفائر العلمية في «أرمنت» لم يكن في استطاعتهم الحصول على قطعة من جلد ثور من ثيران «بوخيس»، كما لم يسعدهم الحظ حتى بالعثور على جلد بقرة؛ ويرجع السبب في ذلك إلى رداءة طبيعة التربة التي دُفِنَتْ فيها هذه الثيران، يُضاف إلى ذلك أن تحنيط هذه الثيران لم يكن متقنًا لدرجة كافية. ويقول الدكتور «جاكسون» — في التقرير الذي وضعه عن فحص عظام هذه الحيوانات وأنسجتها وتركيبها — إنه لم يجد شذوذًا في تركيب هياكلها. فقد وُجِدَ أن عظامها تشبه بصورة دقيقة جدًّا عظام ثيران بلاد ما بين النهرين و«آسيا الصغرى» وهي التي تنسب إلى سلالة Bos Brachyceros وهي التي تُمَيَّزُ بقرون قصيرة وظهور محدودبة. والظاهر أنه لم تكن في البلاد المصرية منطقة مخصصة لانتخاب العجل «بوخيس»، فقد وُلِدَ ثوران؛ «بوخيس» في «أرمنت»، كما وُلِدَ الثور الثاني الذي عاش في عهد الإمبراطور «أغسطس»، وكذلك الثور الذي عاش في عهد الإمبراطور «تيبريوس»، وثوران آخران في المدينة الجنوبية (يُحْتَمَلُ أن المقصود هنا مدينة طيبة) واحد منهما في عهد الملك «بطليموس السادس» وواحد في عهد «بطليموس الرابع». ويُلْحَظُ هنا أنه أحيانًا كان يُذْكَر اسم صاحب الأرض الذي وُلِدَ فيها الثور «بوخيس» على اللوحات التذكارية، ومن المحتمل أن مثل هذا الحادث كان لا بد مصدر جزاء من الناحيتين المادية والروحية لصاحبه. وكانت أم هذا الثور تُكرم تكريمًا عظيمًا، كما كانت بلا شك تسكن في حرم المعبد بـ «أرمنت».

العناية بأم الثور بوخيس

كانت العناية بأم «بوخيس» مفهومة بطبيعة الحال، هذا إذا سلمنا بأنها كانت تحتل مركز الأم العذراء، الذي كانت تحتله أم الثور «أبيس»، وقد ناقش «مريت»[٥١] هذا الموضوع بشيء من التفصيل. وقد سلم فيما كتبه بما جاء على لسان الكتاب القدامى في هذا الصدد، واعتبر

[٥١] راجع: Mariette sur La Mère d’Apis p. 20.

أن آراء هؤلاء الكتاب قد حققتها النقوش التي جاءت على اللوحات التي كشف عنها، وكذلك ما جاء على بعض الآثار التي عُثِرَ عليها في السرابيوم. وقد اقتبس من الكتاب القدامى أمثال «هردوت»[٥٢] و«بومبونيوس[٥٣] ميلا»، و«أليان»[٥٤] و«بلوتارخ»[٥٥] وكذلك اقتبس — من لوحة من لوحات السرابيوم التي تصف «أبيس» — العبارة التالية: «ليس لك والد.» وقد أصر «مريت» على أن المقصود من هذه العبارة هو المعنى الجسدي. وفي الصفحة الثالثة والخمسين من نفس الكتاب نجده يصر على أن «أبيس» كان قد وُلِدَ من أمه بوساطة «بتاح» وأنها حملت في «أبيس» الذي تمثل لأمه نارًا سماوية. ومن أجل ذلك كانت تظل أم «أبيس» عذراء طوال مدة حياتها.

هذا، وقد ترجم «جورج رولنسون» الفقرة التي وردت في «هردوت» عن «أبيس» بالصورة الآتية: «والآن فإن أبيس هذا … هو عجل بقرة لم يكن في مقدورها أبدًا فيما بعد أن تحمل.» ويقول المصريون: إن نارًا تأتي من السماء على البقرة، وعلى ذلك تحمل «أبيس» (Herod. III, 28). أما «بلوتارخ» (De Iside etc XLIII) فيقول: «يقولون إن «أبيس» … يُحْمَلُ فيه عندما تسقط نار خالقة بشدة من القمر، وتلمس بقرة تطلب اللقاح.» ولما كانت المعلومات تعوزنا في هذا الصدد عن أبوة «بوخيس»، فإنه من الأفضل أن نسلم أنه كان يشبه في ذلك «أبيس». ولا نزاع في أن هذه الفكرة التي تنطوي على ولادة تدل على الإعجاز توضح الأسباب التي من أجلها اتُّخِذَتِ العناية لتحقيق العلامات التي لا بد أن تظهر على «بوخيس» الذي وُلِدَ حديثًا. فإذا انْتُخِبَ ثور ليتقمصه إله، فعند نزول الروح عند حفل تقديس أو حتى عند تنصيب الثور نفسه، لا يكفي وقتئذ أن يكون ظاهر الثور يحتوي على تشابه معقول في العلامات المطلوبة، ولكن كان من الضروري من حدوث ولادة تدل على الإعجاز وتدل على دقة اختيار الكهنة. ولدينا البرهان على هذه العناية مما جاء في لوحة خاصة بالعجل الثاني الذي عاش في عهد «بطليموس السادس»، وذلك أنه عندما وُلِدَ هذا العجل — كما تحدثنا عن ذلك من قبل — أُخِذَ إلى البلدة مسقط رأسه

---

[٥٢] راجع: Herod., III, 28.

[٥٣] راجع: Pomponius Mela, 1, 9, 58.

[٥٤] راجع: Aelian (Hist. Anim. XI, 10).

[٥٥] راجع: Plutarch. (Iuaest. Conv. VIII, 1, 3–718b).

(أصفون) حيث قابله الكهنة المفتشون الملكيون وأجناد «البيتين العظيمين». ولا نزاع في أن هذه الفئة من العظماء كانوا قد أُرْسِلُوا ليتحققوا من أن هذا العجل هو المطلوب.

ومن المسلم به أن صاحب العجل كان عليه أن يثبت أن «العجلة» التي وضعته لم يقربها فحل.

وكان هناك بعث آخر مماثل ورد ذكره في حالة العجل «أبيس»، وتدل شواهد الأحوال على أنه كان من الممكن أن المفتشين الملكيين كانوا قد عُيِّنُوا بوصفهم شهادًا مستقلين؛ ليمنعوا وقوع غش وتدليس في فحص العجل. والآن يتساءل المرء هل من الممكن أن نفس هؤلاء الرجال قد قاموا بعمل مثل هذا العمل مع كل الحيوانات المقدسة؟ والجواب على ذلك هو أن هذا كان أمرًا محتملًا أكثر من أنهم كانوا يقومون بهذا العمل مع أعمال أخرى كانت تُعْتَبَرُ من واجباتهم.

والظاهر أن طبيعة حفل تنصيب العجل «بوخيس» لم تكن واضحة المعالم بأية حال من الأحوال، غير أنه كان — على أية حال — احتفالًا هامًّا يحضره — كما قيل — الملك، ومن الجائز أن الملك كان يحضره في العهد البطلمي؛ وذلك لأن حفل تنصيب العجل «بوخيس» كان لا يحدث أكثر من مرتين في حياة أي ملك، اللهم إلا إذا كان الملك يحضر أحفال تنصيب كل الحيوانات المقدسة في طول البلاد وعرضها.

هذا، ونعلم أن الثيران «بوخيس» التي نصبت في عهد «نقطانب الثاني» و«بطليموس الرابع»، والثور الأول من عهد «بطليموس الخامس»؛ كان يتم تنصيبها في «أرمنت»، في حين أن أحفال التنصيب الأخرى التي نعلم مكانها كانت قد أُقِيمَتْ في «طيبة». وقد نصت اللوحة الثانية التي من عهد «بطليموس السادس» على أن «طيبة» كانت الموقع الذي جرى فيه تنصيب العجل «بوخيس» منذ الأزل. وتدل الأحوال على أن هذا العصر هو العصر الذي أصبح فيه العجل «بوخيس» مرتبطًا بآلهة «طيبة» الثمانية، وفي تلك المدة حدث تغيير عام في مناقبه. وقد ذُكِرَ في نفس اللوحة السابقة حفل تنصيبين إضافيين تابعين للتفتيش الذي أُشِيرَ إليه فيما سبق، وسنتحدث عنهما فيما بعد هنا.

وكان الثور بعد تنصيبه مباشرة في العادة يُحمل في النهر في قارب مقدس من «طيبة» إلى «أرمنت» وفي صحبته جماعة من علية القوم. وعلى ذلك فإن ثور «بطليموس السابع» نصبه الملك نفسه. ففي رحلته في قارب «آمون» مع قوارب الملك كان كل مواطني «طيبة» و«أرمنت» والكهنة خدام الإله ورؤساء الكهنة في صحبته. وبالمثل نعلم أن الثور الأول من عهد «أغسطس» قد نصبته «كليوباترا» العظيمة ومعها زوجها الطفل

«بطليموس الثاني عشر». «لقد نصبه الملك نفسه في السنة الأولى ١٩ برمهات، وقد ساحت به في النهر الملكة سيدة الأرضين «كليوباترا»، الإلهة التي تحب أولادها في قارب «آمون» مع قوارب الملك، وكان معه كل سكان «طيبة» و«أرمنت» والكهنة.»

وفي معظم هذه المناسبات كان حضور الملك أمرًا مسلمًا به؛ وذلك لأنه قيل إن «بوخيس» قد صاحبه الملك نفسه في عهد «تيبيريوس». ومن الممكن كذلك أن الملك كان يمثله رسميًّا نائب هام يحل محله. ويُفْهَمُ من الخلاف في الصيغة أن «كليوباترا السادسة» قد رافقت الثور بنفسها كما رأى كل من «ينكر» و«تارن» و«فيرمان».

وقد كتب الدكتور «تارن» عن هذا الموضوع في «تاريخ كمبردج القديم».[٥٦]

وقد جاء في لوحة العجل الثاني الذي عاش في عهد «بطليموس السادس» — التي أشرنا إليها فيما سبق — الجملة الآتية: «إن حفل تنصيبه (بوخيس) قد أداه كهنته … وقد حُرِّرَ منشور رسمي في حضرة جلالته.» وبعد ذلك حضر الملك إلى «طيبة» وأُقِيمَ احتفال آخر، وهذا الاحتفال الأخير حدث في السنة الرابعة والعشرين، وكان العجل قد وُلِدَ في السنة التاسعة عشرة. غير أن هاتين الحادثتين هما اللتان يمكن تأريخهما فقط، وعلى ذلك فإنه من غير المستطاع أن نعرف كيف كان تقسيم مدة خمس السنوات التي بين عام ٢٤ و١٩ بالنسبة للأحفال السابقة، وأعني بذلك حفل التفتيش وحفل التنصيب الأول. والظاهر جليًّا أن الملك أو وكيله لم يكن في قدرته الحضور عندما كان الكهنة يريدون تنصيب الثور، ومن أجل ذلك كان يُسْمَحُ لهم — بمرسوم ملكي خاص — إقامة الحفل بأنفسهم. ويُفْهَمُ أنه إذا كان هذا الحفل يُقام بعد التفتيش مباشرة، فإنه لا يكون صحيحًا تمامًا، ومن أجل ذلك كان الثور يظل في «طيبة» إلى أن يصبح الملك خاليًا من الأعمال؛ ليقوم بعمل الحفل السليم. ولكن إذا كان حفلا التنصيب يتبع الواحد منهما الآخر مباشرة، فإنه يُفْهَمُ على ما يظهر أنه قد وقع بعض حادث جعل ظهور الملك شخصيًّا بعد التنصيب الذي قام به الكهنة مباشرة ممكنًا أو ضروريًّا. وفي كلتا الحالتين يُفْهَمُ أن سير الحوادث تقوي الرأي القائل أن الملك كان يحضر التنصيبين شخصيًّا، ولو على الأقل في العهد الأول من عصر البطالمة؛ وذلك لأنه كان من الجائز وجود مضايقة كثيرة فيما يخص إبدال نائب بآخر في مثل هذه الأحفال الخطيرة الشأن.

[٥٦] راجع: Cambridge Ancient History X. 36.

ولدينا حادثان — وُصِفَا على اللوحات الخاصة بالعجل «بوخيس» — لهما أهمية منقطعة النظير؛ الأولى: وقعت في خلال حياة الثور الأول الذي عاش في عهد «بطليموس السادس». فاستمع لما يقول المتن:

> لقد وصل إلى «طيبة» في السنة الثانية في الخامس عشر من شهر بابه. وكان هناك هجوم قامت به ممالك أجنبية عدة على مصر في السنة الثانية عشرة، وقد اندلعت نار فتنة داخلية في مصر. وكان سور «طيبة» العظيم محصنًا بالأجانب. وعلى أثر ذلك جاء مواطنو «أرمنت» إلى «طيبة» القوية البأس، وكانت قلوبهم وقتئذ في خوف أليم من أجل هذا الإله، وأدوا شعائر نقله إلى «أرمنت» في السنة الثانية عشرة … ليته يبقى على عرشه أبديًّا.

والحادثان اللذان أشير إليهما هنا هما غزو الملك «أنتيوكوس الرابع» لمصر في عام ١٦٩ق.م والحرب الداخلية التي قامت بين «بطليموس فيلومتور» وأخيه. أما «الأجانب» فيمكن أن يكونوا جنود الإغريق المرتزقين الذين كان يستخدمهم أحد الفريقين المتحاربين.

وعلى أية حال فإن المناوشات التي قام بها أحد الطرفين لم تكن حامية (هذا إذا كانت قد وقعت أية حرب فعلًا)، أو أن الإله وأتباعه قد سُمِحَ لهم بالمرور بين خطوط القتال. ومما يؤسف له أن الحادث الآخر الذي له أهمية في موضوعنا قد ذُكِرَ على لوحة الإمبراطور «دوميسيان» Domitian التي اشتراها المتحف البريطاني في عام ١٩٠٦. والمتن الذي نُقِشَ على هذه اللوحة لا يمكن قراءته إلا جزئيًّا؛ لما فيه من صعوبات لم يمكن التغلب عليها تمامًا حتى الآن، غير أنه أمكن ترجمتها ترجمة مؤقته، وهي تقدم لنا فكرة هامة؛ إذ نقرأ في نقوشها وصف عيد عظيم، غير أننا لا نعرف في أية مناسبة أُقِيمَ هذا العيد. ويتساءل الإنسان هل كان عيد تنصيب الثور أو عيد مماته؟

ولنستمع لما جاء فيها: «كانت هناك جياد عدة أكثر من الرمل، وجنود أكثر من رمال الشاطئ.» وقد وُصِفَ بعض هؤلاء الذين كانوا يصحبون الثور بأنهم «أونتيو»، ويقترح الأستاذ «فيرمان» أنه من الممكن أن يكون هؤلاء كاهنات موسيقيات. ولدينا في المتون الديموطيقية التي وُجِدَتْ على فخارة (موسيقيو «أمون» الراقصون) وكذلك «الراقص» و«مغنو المعبد»، ومن الجائز أن الإشارة في اللوحة تشير إلى هؤلاء. وكذلك ذُكِرَ على لوحة «دوميشيان» هذه عبادة رأس «بوخيس» الذي يتحلى بالتاج في الريشتين: إن «أرمنت» و«طيبة» الجميلة قد اتحدتا في معاقرة بنت الحان، والصياح قد سُمِعَ في السماء، ثم عاد

إلى مدينة «أرمنت» في فرح لأجل أن يتسلم عرشه في حياة أبديًّا … ومملكته كان خلودها مثل خلود «رع».

وإذا استثنينا ولادة «بوخيس» وتنصيبه وموته فإن الحوادث الأخرى وكذلك الأعمال اليومية الخاصة بحياته لم تُوضَّحْ بعد بصورة جلية في المتون. هذا، وقد برهن «فيرمان» على أن «بوخيس» كان ثورًا مشاءً، أو بعبارة أخرى: كان جوالًا متنقلًا، فقد جمع في شخصه الآلهة الذكور الذين كانوا في عداد ثامون الآلهة. وتفسير ذلك: أن أشكال الإله «منتو» الأربعة كانت موحدة في هذا الثور بمفرده، وعندما كان يزور كل مدينة من المدن الأربع التي ذكرناها فيما سبق فإنه كان يصبح ثور هذه المدينة. وعلى الرغم من ذلك فإن كل ثور كان يحتفظ لنفسه ببعض شخصيته، وكان كل معبد — عدا معبد «أرمنت» على ما يُظن — فيه تمثال ثور، وهذا التمثال كان يمثله دون شك عندما يكون في جولاته في مكان آخر. وقد اقتُرِحَ أنه كان يزور كل بلدة من هذه البلاد الأربع مرة كل شهر، غير أنه على حسب ما جاء في لوحة «بطليموس السادس» التي تحدثنا عنها آنفًا، يظهر أنه قد أمضى عشر سنوات في «طيبة»، يُضَافُ إلى ذلك أنه لم يكن الإله الرئيسي لأية بلدة من هذه المدن الأربع، ولم يُشَرْ إليه أبدًا بأنه رب «طيبة» أو «المدمود» أو حتى «أرمنت» التي كان يُعْبَدُ فيها، ولكن كان يُنْعَتُ فقط بأنه رب بيت «آتوم»، وهو الاسم القديم لمعبد البوخيوم.

ويظهر من البيانات الديموطيقية التي في متناولنا أن دخل معبد «أرمنت» حيث كان يشرف «بوخيس» (يظهر أن الحسابات كانت أكثر مما يحتاج إليه البوخيوم وحده)؛ كانت أكبر من دخل معبد «تبتونيس». فقد كان يوجد في معبده، كما كانت الحال في معبد «سبك» باللاهون في الدولة الوسطى عشرون موظفًا يتقاضون أجورهم بنظام، يُضاف إلى ذلك أناس آخرون كانوا يتسلمون أجورهم من كهنة مختلفين. ونخص بالذكر من بين هؤلاء العلافين، وهم بلا شك أولئك الذين كانوا يوردون الكلأ للثور؛ لأنه الطعام الأساسي لحفظ صحة الحيوان. وقد ذُكِرَتْ مادة ربما كانت جراية الغلة التي كانت تُقَدَّمُ للثور «بوخيس»، غير أن مقدارها كان يكفي غذاء لأي ثور مدة ثمانية أشهر؛ وحتى إذا سلمنا جدلًا أن جراية أم «بوخيس» كانت محسوبة ضمن هذه الكمية، وأن كلًّا من الثور «بوخيس» وأمه كان يأكل فوق طاقته؛ فإن الكمية التي ذُكِرَتْ كانت أكثر مما يجب. ولكن يحتمل أن «بوخيس» هذا كان له أولاد تأكل في حماه. وكذلك كانت هناك كمية كبيرة من النسيج يدفع ثمنها، ومن الممكن أن بعضه كان يُسْتَعْمَلُ في معبد «بوخيس» الحي. هذا، وقد سبق أن ذكرنا الراقص والموسيقيين الراقصين لـ «آمون» ومطربي المعبد.

مركز «بوخيس» بين الآلهة المصريين

لا نزاع في أن الباحث في مسألة مركز «بوخيس» من حيث سلطته الدينية بين الآلهة المصرية يجد نفسه في بحر لجي من الصعوبات؛ وذلك لأنه في الوقت الذي يستخلص منه معظم المعلومات عن هذا الإله، وكل المعلومات عن «بوخيس» بالاسم نجد أن آلهة إقليم «طيبة» قد أصبحت تكاد تكون مختلطة ببعضها بعضًا بدرجة لا يمكن حلها. وليس ذلك بغريب؛ فإن العلاقات المتبادلة بين الآلهة «آمون» و«مين» و«منتو» لم يمكن حتى الآن معرفتها بصورة قاطعة تجعل من السهل فصل الواحد منها عن الآخر، وذلك على الرغم من أن هذه الآلهة معروفة لنا منذ العصور المبكرة من تاريخ مصر. ويرجع السبب في ذلك — في أغلب الأحيان — إلى أن كلًّا من هذه الآلهة قد استولى لنفسه على صفات آلهة أخرى في أحوال سياسية واجتماعية على حسب مركز هذا الإله في نظر الملك الحاكم، وبحسب ما لكهنة هذا الإله من قوة وسلطان في البلاد.

وقد فسر لنا الأستاذ «فيرمان» — عندما تحدث عن ألقاب «بوخيس» — بعض ما وصل إليه في هذا الصدد. فقد برهن على أن «بوخيس» كان الممثل الدنيوي للإله «رع» إله الشمس. على أن صبغة اللون المضبوطة التي يمكن أن نراها من هذا البيان لا تزال يعتورها الشك فيما يتعلق بكل من «بوخيس» و«أبيس». وقد أعطيت تفاسير مختلفة لذلك؛ فقد قيل عنه: إنه الحياة الثانية والمظهر والممثل والمتقمص للإله، وأقدم مناقب «بوخيس» هي صفاته الشمسية ويمكن تأثرها، ويظهر أنها قد سبقت علاقاته بالإله «منتو». ومن الممكن كذلك توحيده بالثور الأبيض، ومن المحتمل أنه يرجع في نسبه إلى الوجه البحري، وقد يكون متناسلًا من الثور الأبيض الذي جاء ذكره على حجر «بلرمو». وتدل الوثائق على أن علاقة «بوخيس» بالإله «مين» كانت أقوى من علاقته بمعظم آلهة التاسوع، ولا غرابة في ذلك، فإن هذا ما كان يُنْتَظَرُ من إله يتصف بالخصب. ويلفت النظر أيضًا أنه في العهود المتأخرة كان قد أصبح مرتبطًا ارتباطًا وثيقًا مع الإله «منتو» رب «أرمنت». وكان في هذا الوقت له عدة علامات متشابكة مع آلهة أخرى؛ فكان يتقمص ثامون الآلهة، كما كان يُدْعَى والدها وجدها.

وأهم ألقاب «بوخيس» هي:

(١) الروح الحية لـ «رع»: با عنخ (ن) رع.
(٢) الحياة المكررة لـ «رع» (على الأرض).

(٣) والذي يكرر حياة كل الآلهة (= وحم عنخ ن نترو).

(٤) والإله العظيم رب بيت «آتوم» (= نترعا-نب. حت أتم)؛ وعبارة «حت-أتم» معناها بيت «آتوم» أي معبد «البوخيوم».

وعندما ننظر في أصول «بوخيس» فلدينا حقيقة واحدة ذات أهمية كُشِفَ عنها في فحص بالٍ لقصص السائح المبكرة لأرمنت فيقول «جرنجر»: (Relation du Voyage fait en Egypte en 1730, Paris 1745, pp. 70–71).

يُرَى بالقرب من (المعبد) حوض جميل أُقِيمَ من أحجار مربعة، طوله ٤٠ قدمًا وعرضه ٣٠ قدمًا، ويُرَى في وسطه عمود لم يَبْقَ قائمًا منه إلا نصفه. ويذكر «أربي» و«منجل» (C.L. Irby & J. Mangles, Travels in Egypt and Nubia. London (1832) p. 136) ما يأتي: «توجد بالقرب من المعبد على الجانب الشرقي بقايا حوض قديم يذكر «دينون» نقلًا عن «أريستديس» أنه في وسطه مقياس نيل، ولكن العمود الذي نُقِشَتْ عليه المقاييس بالتدريج لا يمكن رؤيته الآن …» وبدهي أن بحيرة المعبد تحتوي على مقياس نيل — كالذي وُجِدَ في البحيرة التي في «منف» — متصلة بالمعبد الذي كان يُعْبَدُ فيه «أبيس»، وعلاقة «أبيس» بالنيل معروفة تمامًا، وعلى ذلك فإن مثل هذه العلاقة مع «بوخيس» ليست غير ممكنة. ومن المعلوم أن المعبودين العظيمين للخصب في مصر هما الشمس والنيل، وكل منهما مرتبط بـ «أبيس» وبخاصة النيل، وكانت الشمس مسيطرة مع «بوخيس» كما كانت مسيطرة مع «منيفيس» في «هليوبوليس» وكانت «أرمنت» مركزًا لعبادة الشمس في الأسرة الثامنة عشرة. ويقترح الأستاذ «فيرمان» أنه في الوقت الذي كانت فيه عبادة الشمس الهليوبوليتية قد انتشرت نجد أن المصريين بما فُطِرُوا عليه من ميل شديد لمذهب الثنائية قد أسسوا عبادة ثور الشمال في «أرمنت». ومن الجائز كذلك أن «أرمنت» كانت قد اختِيرَتْ مركزًا لعبادة «آتون»، ويرجع ذلك إلى الصبغة الشمسية لعبادة «بوخيس» وبسبب العبادة المحلية أيضًا.

ذكرنا — فيما سبق — أن الملك كان حاضرًا فعلًا أو بالنيابة أو بالمجاملة عند تنصيب «بوخيس» الذي كان بلا نزاع له مكانة عظيمة جدًّا ذات أهمية بالغة في أنحاء البلاد. ولكن دلت الوثائق على أن دخله قد نقص في منتصف حكم الملك «بطليموس الخامس»، ويؤكد لنا هذا حالة المقابر الخاصة به في تلك الفترة. غير أن ذلك — على ما يظهر — كان نتيجة للضرائب التي كان يفرضها الملك على الأهالي لمساعدته في حروبه الخارجية، ويمكن أن يرجع سبب ذلك أيضًا إلى أن كهنة «بوخيس» الذين أقحموا أنفسهم — بحكم الضرورة

أو عن قصد وتدبير — مع الأسر التي قامت بالثورة في السنين الأولى من حكم هذا العاهل. وحوالي هذا الوقت حدثت سرقة غير أن ما نجم عنها من أضرار أُصْلِحَ فيما بعد. هذا، ونعلم أن «أرمنت» قد حاربت في صف الجانب الخاسر في خلال الاضطرابات التي وقعت بين «بطليموس السابع» و«كليوباترا الثانية»، ويُلْحَظُ أنه بعد انتهاء هذه الاضطرابات مباشرة كانت المقابر التي أُقِيمَتْ في البوخيوم قد بلغت الغاية من فقر الحال بدرجة محسة. وفي عهد الإمبراطور «تيبيريوس» ظهر انتعاش في مباني البوخيوم، وقد ظلت الحال كذلك حتى عهد الإمبراطور «كاراكلا».

وكانت هناك أسرة واحدة من الأسر الشريفة على اتصال دائم مع «بوخيس»، وهذه هي أسرة «كالازيريس» Kalasiris التي ظهر اسمها على اللوحة الرسمية للثور «بوخيس الأول» الذي عاش في عهد الإمبراطور «أغسطس»، وكذلك ظهر اسم هذه الأسرة مع «بوخيس» في مناسبات أخرى. فنعرف أنه في حظيرة «كالازيريس» بن «كالازيريس» وُلِدَ الثور «بوخيس» الثاني الذي عاش في عهد الإمبراطور «أنتونيوس بيوس» Antonius Pius. ويظهر أنه من المستحيل علينا أن نربط الأسرتين الواحدة بالأخرى، غير أنه ليس من المستحيل كذلك وجود علاقة بينهما. على أنه لم يوجد في البوخيوم أي شيء — عُمِلَ على نفس النطاق — يمكن موازنته بالنذور الهائلة التي كانت تُقَدَّمُ عند دفن «أبيس»، ولكن من جهة أخرى نجد دليلًا على تعبد الأهلين وصلواتهم لـ «بوخيس».

فقد عُثِرَ على لوحة لشخص منقوشة بالهيروغليفية، غير أنها لسوء الحظ لم يمكن ترجمتها، كما وُجِدَتْ لوحة من الحجر الرملي دُوِّنَ عليها اسمان بالديموطيقية، وكذلك عُثِرَ على عدد من اللويحات المصنوعة من الحجر الرملي عليها رسومات خاصة، وعدة حصوات نُقِشَ عليها أسماء. وقد عُثِرَ لحسن الحظ — بالإضافة إلى ما سبق — على حصاة من حجر الكوارتز مكسورة نُقِشَتْ عليها أنشودة للثور «بوخيس» دُوِّنَتْ بالديموطيقية (Buch. II, p. 56). ولما كانت هذه الأنشودة عليها مسحة خفيفة من الأسلوب الأدبي، وفي الوقت نفسه تحتوي على مادة هامة بالنسبة للموضوع الذي نفحصه الآن، فقد أوردت ترجمتها هنا بشيء من التصرف:

تعال إلي يا «أوزيس بوخيس»، يا سيدي العظيم!
ليتك تعيش ملايين السنين، وليتك تتمتع بأبدية الشمس.
إني خادمك يا سيدي العظيم.
وإني أناديك بصوت عالٍ ولا أمل النداء.

وإن نداءاتي عديدة ليلًا وجولاتي نهارًا.
إن الهم ثقيل علي.
وإني صغير جدًّا ضدهم جميعًا.
إني أناديك دون أن أمل النداء.
ولا أنصب من نداء الله.
فهل عنده وقت موته عندما لا يصغي؟
إني أناديك وأنت تسمع ما أقول.
وإذا نادينا فإنك تسمع. تعال إلي يا سيدي.
ليتك تعيش ملايين السنين، وليتك تجعل السرور في الأراضي في كل السرمدية.

وعلى الرغم من وجود مثل هذه التضرعات والتمنيات التي يقدمها الأفراد للثور «بوخيس»، فلا بد أن نعترف مع ذلك أن سبب قلتها يرجع على ما يظهر إلى أنه لم يحتل مكانة وثيقة في قلب الرجل العادي في مصر، وإذا كان هذا الدليل قد ظهر مبكرًا عن هذه الفترة، فإن ذلك يُعَدُّ برهانًا على أن «بوخيس» لم يكن الإله المحلي؛ وذلك لأن الآلهة المحليين هم الذين يبقى الناس على الولاء لهم على مر الأزمان، ولكن عندما بدأ يظهر «بوخيس» في الأزمان المتأخرة فإنه يكون من الخطر أن نستنبط أية نتائج. على أنه قد يمكن — إذا قامت حفائر في منطقة معبد «أرمنت» — ظهور آثار تدل على مثل هذا التعبد، أو أن الدفنة الأصلية له إذا عُثِرَ عليها يمكن قرنها بالسرابيوم في هذا الصدد.

وكان الثور «بوخيس» أثناء حياته يلبس تاجًا كالذي كان يلبسه بعد الموت؛ غير أنه كان على ما يحتمل أكبر حجمًا وأمتن صناعة. ويحتمل أن القرص وإطار الريش اللذين كان يلبسهما كانا مصنوعين من ورق من الذهب بدلًا من الخشب المذهب. يُضَافُ إلى ذلك أن التطعيم الذي كان في الريش مصنوعٌ من اللازورد بدلًا من الزجاج. ومن الممكن أن «بوخيس» كان يرتدي شبكة من نسيج ما بقصد إبعاد الذباب عنه، وكانت الأحفال التي تُقَامُ له — كما شاهدنا من الأوصاف التي جاء ذكرها في الأحفال الرسمية التي كانت تقام له أثناء ذهابه من «طيبة» إلى «أرمنت» بعد تنصيبه — غاية في البهجة والعظمة. فقد كان يصحبه الكهنة والموسيقيون وحاشية عظيمة. هذا إلى أن هذه الأحفال كانت مصحوبة بمظاهر الفرح العميم — على الأقل — بصفة رسمية.

والآن يبرز أمامنا سؤال هام عن عزوبية الثور «بوخيس». وليس لدينا برهان مباشر على أن «بوخيس» كانت له أية رفيقة، ولكن تقوم في وجه ذلك معارضة كبيرة لأسباب دينية.

ولدينا الأدلة الغزيرة التي تبرهن على أنه عندما يرى قوم مبدأ الخصب متقمصًا رجلًا — وهو الملك عادة — فإن من المفروض دائمًا أن ينقل هذا الخصب للقوم والأراضي بالاستعمال لا بالحفظ والكبت. ولقد كانت الحال على هذا المنوال لدرجة أنه في كثير من القبائل كان الإنذار بموت الملك وتنصيب آخر مكانه يرجع إلى عدم قدرته على إشباع الغريزة الجنسية عند أزواجه العدة.[٥٧] ويظهر نفس المبدأ في عبادة «أفروديت»، وذلك بممارسة مبدأ الإخصاب لا بكبته.[٥٨] ولا نزاع في أن المصريين كانوا في عهد ظهور سجلات «بوخيس» غاية في السفسطة، غير أنه من المستغرب إذا كان «بوخيس» رمز الخصب أن يكون أعزبًا، وهذه دون أي جدال فكرة بعيدة كل البعد عن الديانة المصرية، وكذلك عن كل الفكر المصري. ولا يغيب عنا هنا في هذا الصدد أن فكرة كون «أبيس» إله يجلب الخصب لم تكن قد ماتت في العصور التاريخية المتأخرة، فقد روى «يوزيب» في هذا الصدد[٥٩] ما يأتي: «إن المصريين كانوا يعبدون كلًّا من العجل «أبيس» والعجل «منيفيس»؛ لأن الثيران قد ساعدت الكاشفين على محصول القمح في زرعهم وفلاحتهم المعتادة.»

وعلى أية حال فإن أول اتجاه يجب أن نولي وجوهنا شطره للحصول على بعض البراهين التي تدل على وجود صاحبة للثور «بوخيس»؛ هو البقرات المقدسات، وبخاصة البقرة «حسات» التي كانت تُعْبَدُ في بلدة «أطفيح» (= أفرو ديتوبوليس)، غير أنه ليس لدينا أي أثر يدل على وجود شيء من هذا، ولذلك فإن مثل هذا الفرض لا يجد ما يبرره. وفي عالم الروحانيات توجد اقتراحات بأن «حتحور» كانت صاحبة «بوخيس»، غير أن ذلك لا يساعدنا في شيء في عالم الماديات.

وأهم سؤال أمامنا — إذا فرضنا أن «بوخيس» كانت له صاحبة — هو التصرف في البقرات والعجول، ودفنات البقرة الوحيدة التي عُثِرَ عليها في جوار البوخيوم هي دفنات أم «بوخيس». وبالقياس مع الملك الذي كان إلهيًّا، فإنه لن يكون وجه اعتراض على زواج «بوخيس» من أمه، غير أنه يحول دون ذلك أنها كانت تُعْتَبَرُ عذراء. ولدينا البرهان القوي من المصادر الكلاسية على أن أم «أبيس» كانت تُعْتَبَرُ عذراء عند ولادة «أبيس» وكذلك فيما بعد، وقد لخص لنا «مريت» هذا الموضوع،[٦٠] فنجد أنه قبل الدليل الذي ذكره المؤلفون

[٥٧] راجع: G. Frazer the Golden Bough. Abdidged Ed. Pp. 246.

[٥٨] راجع: Ibid., pp: 335–341.

[٥٩] راجع: Eusehius Praeparatio Evangelica II,.

[٦٠] راجع: Mémoires sur la Mèrs d’Apis (Paris), 1856.

الكلاسيون. وفي صفحة ٥٣ من هذا المقال نفسه يقول: إن «أبيس» هو صورة «أوزير» نفسه، ولكنه الصورة المكررة لحياة «بتاح» وابن «بتاح» وأن أم «أبيس» حملت من «بتاح» في صورة نار سماوية من السماء. ويناقش «مريت» في الصفحة العاشرة من نفس المقال النظريتين اللتين كان يتمسك بهما في الأزمان الكلاسية عن زواج «أبيس» فيقول: «إن أزواج «أبيس» معروفات لنا.»

ويتحدث «اليان» عن الأماكن التي كانت تُحْفَظُ فيها العجلات المختارة — من بين أجمل ما في مصر — لأجل استعمال «أبيس».[٦١] غير أن هذا البيان — الذي لم يذكره إلا «اليان» من بين الكتاب القدامى — يظهر أنه غير أكيد. ومن جهة أخرى نجد أن «بليني» و«أميان» و«مارسيلان» و«سولين» كانوا على حق أكثر عندما أعلمونا أنه في جميع السنين التي كان يعيشها «أبيس» كان تُقَدَّمُ له بقرة عليها بعض علامات مقدسة خاصة، وأنه كان يُقْضَى على البقرة في نفس اليوم بعد أن ينزو عليها «أبيس».[٦٢] وغرابة هذا الأمر تُعْتَبَرُ بمثابة ضمان لصدق أولئك الذين عرفونا به، وذلك أنه لما كان المؤرخ «اليان» قد انساق بما تقتضيه قصته وهو يفاخر بهجة معبد «أبيس» قد فرض بطبيعة الحال وجود زوجات عدة للإله جديرات به. وعلى العكس نجد أن «بليني» لم ينقل إلينا إلا ذكر عادة أكيدة، وذلك على وجه التأكيد؛ لأن عادة هذا النوع لا تخترع. وعلى أية حال أليست هذه مسألة مذهب؟ فأبيس بوصفه إلهًا ابن نفسه،[٦٣] أليس له الحق في أن ينجب آلهة آخرين؟ وهل يمكنه أن ينجب حيوانات أخرى من نوعه، وهي بوصفها أولاد «أبيس» لا يمكنها أن تكون عجول «أبيس» نفسها، أو بعبارة أخرى تصبح ثيرانًا تتقمص الطوابع الإلهية؟

وبمقدار هذه الاعتبارات التي تجعل ما ذكره «اليان» مستحيلًا، فإنها من جهة أخرى تزيد في قيمة ما ذكره لنا المؤرخون الآخرون، وعلى ذلك فإن «أبيس» كان له زوج، أو بعبارة أصح كانت تقدم له عجلة كل عام، ولكنها بعد أن يأتيها كانت تُذْبَحُ؛ وذلك لأن القانون المصري كان لا يرغب في أن يخلد «أبيس» نفسه.

---

[٦١] راجع: Aelian, Hist. Anim I. XI. 10.

[٦٢] راجع: Pliny, N.H. VIII, 186, Solin 32, 20. Ammiaanus Marcellinus XXII, 14, 7.

[٦٣] كان الإله وكذلك الملك يسمى ثور أمه أي هو الذي يأتيها فتضع، وبذلك كان يسمى ابن نفسه.

أما ما جاء على الآثار في هذا الصدد فليس لدينا أية إشارة عن زوجات «أبيس». حقًّا نجد في الفصل الثامن والأربعين بعد المائة من الشعائر ذكر الثور السري وسبع البقرات صاحباته، وكذلك نجد على مسلة «باربريني» Parberine التي نحتها الإمبراطور «أدريان» لتقام أمام قبر «أنتينوس» Antinous؛ نقشًا — خاصًّا بمصر — جاء فيه: «هذه الثيران الأربعة مع إناثها.»[٦٤] ولكن نجد في الحالة الأولى أن المقصود هناك حيوانات خيالية محضة، وفي الحالة الثانية لا نعرف إذا كان «أبيس» هو أحد الثيران الأربعة المقتبسة في النص، وإذا كان من جهة أخرى — على حسب ما يقتضيه المعنى اللغوي في هذا العصر — تعني كلمة «حمت» بصورة عامة البقرة أكثر من المعنى الدقيق لها وهو «زوجة»، وعلى ذلك فإن سبع بقرات الشعائر لا تبرهن على شيء أكثر من أنها أربع البقرات التي جاءت على مسلة «باربريني»؛ لأن الأولى على وجه التأكيد ليست تلك البقرات التي جعلها عباد «أبيس» تتبع الإله، وأن الأخرى حتى لو فرضنا أنها لم تكن بقرات أمهات، فيمكن كذلك أنها كانت زوجات لثيران لم يكن «أبيس» يعد من بينها، وعلى ذلك يمكننا أن نعتبر أن الآثار قد صمتت على أن «أبيس» أو «بوخيس» كان له رفيقات.

والسبب الذي أعطاه «مريت» عن قبوله رواية الكتاب الكلاسيين باستثناء المؤرخ «اليان» — وذلك بسبب صعوبات ولادة عجول — صحيح، غير أن «مريت» لم يلتفت إلى جبانات البقرات، وعلى ذلك لم يشر إلى أن هذا التفسير يحل كذلك مسألة التصرف في الزوجات. فإذا كان كل من «أبيس» و«بوخيس» لم يكن متزوجًا، ولكن كان يؤتى له من وقت لآخر بعجلة تُذْبَحُ بعد أن يأتيها، فإن هذه العجلة لن تحمل أية قداسة؛ لأن مركزها كان لا يزيد عن كونها حظية، ولذلك فإنه بعد تضحيتها كان من الممكن أن يأكل الكهنة لحمها دون أي اعتراض. وهناك اعتراض واحد على قبول القصة التي رواها المؤلفون الكلاسيون، وهي أن مثل هذا العمل الذي يؤديه الثور، وهو ما يمكن تصديقه، أكثر من أنه يبقى أعزب؛ لا يكاد يتفق مع ما ينتظر من إله خصب. وعلى ذلك فإن قيام الثور في

[٦٤] راجع: G. Zoega, de Usu et orig. Obliscorum, Roma, 1797, L.M. Ungarelle Interpretatio Urbis Roma 1842, Planches.

هذه الحالة بوظيفة فحل يمكن أن يكون نشاطًا محتملًا جدًّا (وتنقلات «بوخيس» تحبذ هذه النظرية)؛ غير أنه إذا لم يكن دليل آخر فلا بد لنا أن نقبل ما رواه الكتاب الكلاسيون عن «أبيس» وتطبيقه على «بوخيس» أيضًا.

النهاية التي كان يلقاها «بوخيس»

أما عن النهاية التي كان يلقاها «بوخيس»، فليس لدينا كذلك أي بيان شافٍ. فلدينا خمسة ثيران، وهي التي عاصرت «بطليموس العاشر»، و«بطليموس الحادي عشر» والأباطرة «أغسطس» (الثور الأول) و«تيبيريوس» و«كمودوس» Commodus، عاش كل منها ثمانية عشرة سنة، وكذلك لدينا ثلاثة ثيران عاش اثنان منها في عهد «بطليموس السادس» وثالثها عاصر الإمبراطور «أغسطس» (الثور الثاني)، وقد عاش كل منها سبع عشرة سنة. وكان متوسط حياة الثور «بوخيس» — باستثناء الثور الثاني الذي عاش في عهد «أنتونيوس بيوس» وقد مات قبل أوانه — عشرين عامًا وثلاثة أشهر وأربعة وعشرين يومًا. وسواء أكان قد وُضِعَ حد مقداره ٢٥ سنة أم ٢٨ سنة لمدة حياة الثور، فإن ذلك لا دخل له هنا؛ لأنه لم يعرف لدينا عجل قد عاش مدة طويلة كهذه. وما يمكن أن نستنبطه بداهة من الأرقام التي أمامنا هو أنه — على الأقل في هذا العصر — كان يترك الثور إلى أن يموت حتف أنفه، ومن الممكن أن العجل كان يُقْتَلُ عندما تظهر عليه علامات المرض أو تبدو عليه أمارات الشيخوخة، وإذا كانت الحالة الأخيرة هي التي قضت بقتله فإن ذلك يرجع إلى أنه لم يَقُمْ بتأدية الوظيفة الجنسية؟

ولا نعرف أبدًا أية حالة قُتِلَ فيها الثور ليحل محله آخر يحمل كل العلامات المطلوبة، كما إنه في كل حالة نجد أن ولادة ثور جديد كانت قد سبقت موت سلفه. ومهما يكن من أمر فإنه من الممكن أن تاريخ ولادة الثور الجديد يكون قد لعب فيها الغش دوره على أيدي الكهنة.

والمعلومات التي لدينا عن موت الثور أغزر بكثير عن التي تحدثنا عن حياته، وأحسن مرشد لدينا عن الأحفال الخاصة بتحنيط الثور، ونقله إلى البوخيوم ما جاء في «ورقة أبيس».[٦٥] ففي هذه الوثيقة نجد وصفًا مختصرًا للأحفال كما نجد وصفًا للتحنيط

[٦٥] راجع: Demat. Pap. Wien No. 27, A.Z. LVI, p. I. Ein Bruchstuck des Bestatungstritual der Apisstture.

الفعلي للعجل «أبيس». وهاك وصف عملية تجهيز المومية: وهي ترجمة مؤقتة نُقِلَتْ عن الترجمة التي وضعها سبيجلبرج:

يجب عليهم أن يتموا عمل محراب آخر، ويجهزوه بالكتان الأحمر. ويجب على كهنة هذا الإله أن يكونوا مجهزين برباط من الكتان الأحمر، ويجب على الكهنة الذين يرتدون كتان «سشد» أن يدخلوا المحراب المجهز بكتاب أحمر، وعليهم أن يدخلوا المحراب المجهز بكتان سشد، وهم مجهزون بالكتان الأحمر.

وبعد ذلك عليهم أن يحملوا سرير الراحة الذي كان تحت الإله. وعليهم أن يقطعوا أنفسهم ويحضروا الـ ... ولا بد أن يؤسسوا ... ويحضروها إلى المكان الذي نُصب فيه محراب الإله. ويجب عليهم أن يعملوا مسافة من مادة (فوق) السقف المصنوع من السرو الذي بجانب باب قصر الملك الذي يؤدي إلى الحظيرة المقابلة للجدار الجنوبي من مكان الثور «أبيس» الواقع في الجدار الشرقي لبيت «قبح» (التبريد)، ويجب عليهم أن يفتحوا الباب الذي في الجدار الشرقي للحظيرة، ويخرجون من هذا الباب كما وجدوه في السنة الرابعة والعشرين من عهد الفرعون «رعمسيس الثاني»، وذلك من الباب المبني بالحجر الموجود في الجدار الغربي للحظيرة، وهو الذي خرج منه (أي الثور) في السنة الثانية عشرة من عهد الفرعون «إبريز».

ويجب عليهم أن يدخلوا للإله من باب الحظيرة في حين تقف الكاهنات خلفه.

ويجب عليهم أن يدونوا نقشًا على الجدار الغربي للحظيرة التي في الممر.

ويجب أن يُقَامَ جوسق في اليوم الأول على شاطئ بحر الملك بعد أن يكون قبره قد جهز بنسيج، وستكون تعاويذه على حسب اللفافة المذكورة أعلاه، ويجب أن يكسوها أولًا بنسيج مقدس طوله ثمانون ذراعًا كما يأتي: عشرون ذراعًا في مكان ... ٦٠ ذراعًا في كل من أركان الجوسق الأربعة. ويجب عليهم أن يدخلوا إلى المكان الغربي أولًا بعد أن يكون قد خرج من المكان الشرقي. وعليهم أن يحضروا الـ ... إلى المقصورة، ويجب عليهم أن يحضروا طرف الحبل بأيديهم إلى التابوت ويجروه إلى الخارج. وعلى الكهنة أن يجروه إلى الداخل، وعلى كل الناس أن يصيحوا صيحة حزن عظيمة، ويبكون على إله البيت العظيم، وعلى الكهنة أن يأخذوا طرف الحبل من يد (الآحاد الكبار لبيت) إله النيل.

ويجب عليهم أن يدخلوا البحيرة مع «إزيس» و«نفتيس» أمامه، وبأيديهم آنيتان من النطرون وعشرة أربطة «منخت» (رباط من النسيج الأبيض) والإله «وبوات» الوجه القبلي و«وبوات» الوجه البحري و«رع» و«تحوت» وسرير «بتاح» تكون أمام هذا الإله. ويجب عليهم أن يجعلوا الإله يرتاح على سرير من الرمل بحيث يكون وجهه نحو الجنوب، ويجب على الكهنة الذين دخلوا المحراب أن يذهبوا إلى البحيرة، ويذهبوا إلى قارب البردي مع المحراب. ويجب عليهم أن يقوموا بعمل مديري الدفة. ويجب عليهم أن يقرأوا تسع إضمامات بردي على المركب، وهي:

(١) تعليمات لرحلة اليوم الأول.
(٢) حماية قارب «نشمت».
(٣) حماية «بوتو».
(٤) تصميم وجهك.
(٥) تأليه «أوزير» المغرق.
(٦) حماية القارب.
(٧) طرد «أبيب» (إله الشر).
(٨) الحظ السعيد.
(٩) فتح الفم.

ويجب عليهم أن يذهبوا إلى الجوسق للإله، ويفتحوا فمه في أماكن الجوسق الأربعة وحدهم تمامًا. ويجب أن يؤدوا له كل الأحفال التي في الشعائر. ويجب عليهم أن يجعلوا الإله يدخل باب مكان التحنيط. ويجب أن يُقاد هذا الإله إلى باب بيت الأفق إلى قاعة مكان التحنيط. والآحاد العظام لبيت إله النيل يجب عليهم أن يلقوا لبنات أمام التابوت لأجل ألا يمكنه الذهاب إلى مكان التحنيط. ويجب على الكهنة المرتلين والكهنة أن يجروه، ويجب على الكاهن المطهر أن يأخذ المحاريب من أيدي الكهنة الذين يحملونها. ويجب عليهم أن يجعلوه يرتاح في السرادق، ويجب على الكاهن المرتل أن يفك مادة التابوت، ويجب على الكاهن المرتل أن يبرز، ويجب عليه أن يغطيه ويزينه، ويجب عليهم أن يؤدوا شعيرة فتح الفم له بجميع ما يلزم لها، وبعد ذلك يجب على كهنة البحيرة

والطريق (؟) والكاهن المرتل أن يجمعوا كل الأشياء التي يحتاجون إليها في حجرة التشريح.

هذا، ولدينا معلومات أخرى معروفة عن التحنيط. ولا نزاع في أن «ورقة أبيس» التي ترجمناها هنا لا تقدم لنا إلا وصفًا غير كامل؛ هذا فضلًا عن أن المتن مليء بالأخطاء، غير أن بعض الأجزاء قد وصفت وصفًا كاملًا. وفي الأماكن التي كان من الممكن أن تعادل البيانات التي جاء فيها بما جاء من نتائج حفائر البوخيوم التي عُمِلَتْ في أرمنت؛ وُجِدَتْ مطابقة كبيرة بين المصدرين.

وطريقة التحنيط التي كانت مستعملة هي الطريقة الثانية التي جاءت في «هردوت». وقد عُثِرَ على مجموعة كاملة من الآلات التي كانت مستعملة في هذه العملية في البوخيوم، وكان الثور يُرْبَطُ بلفائف بدقة وإتقان، وفيما بعد كان يُرْبَطُ في رقعة من الخشب بأربطة ذات دثر مثبتة في الخشب، وكان الرأس يُجبس، ثم يُغَطَّى الجبس بورقة من الذهب. وكان يربط — بين قرني الثور — نسخة طبق الأصل من التاج الذي كان يرتديه الثور في حياته، ومن المحتمل أنه كان بحجم أصغر، وهذه النسخة كانت مصنوعة من الخشب، ومغطاة بورقة من الذهب، في حين أن أزغاب الريش التي كانت في التاج قد صُنِعَتْ من الزجاج الأزرق.

ومن المحتمل أن العينين كانتا تُصْنَعَان — على ما يظن — قبل مرحلة وضع الجبس. ففي بادئ الأمر كانت العينان تُنْحَتَان من الحجر، وتثبتان في مقابض من البرنز، وفيما بعد كانت تُصْنَعُ من زجاج مثبت في مقابض من البرنز، وفي النهاية كانتا تصنعان جميعًا من الزجاج. وأجمل الأمثلة التي عُثِرَ عليها كانت تُصْنَعُ من قطع منفصلة من الزجاج المختلف الألوان، وفي النهاية كانت العين لا تمثل إلا بقطعة من الزجاج الشفيف اللون مع طلاء ذي لون أسود يمثل إنسان العين. ومن المحتمل أنه في حالة الموميات التي ليس لها أعين صناعية كانت العين تُصَوَّرُ بألوان على كتان …

ومن المحتمل أنه في حالة التوابيت التي كانت تتألف من قطعة واحدة من الحجر كانت المومية تُوضَعُ في تابوت قبل أن ينزل الأخير في القبر، غير أنه في أمثلة الدفن التي كانت تحتوي على عدة توابيت حجرية كان العكس هو الذي يحدث. وفي عهد الملك «نقطانب الثاني» كانت الحجرة الجنازية والاستعدادات تُعْمَلُ على نطاق أوسع وأفخم عما كانت عليه فيما بعد. فقد كان لثور «نقطانب الثاني» تابوت من الجرانيت في حجرة مكسوة بالحجر وبجانبها قبوة للقربات، وفيما بعد كانت قبور «بوخيس» تُنْحَتُ في الصخر، وعلى

الرغم من وجود ردهة أمامية، فإنها لم تكن تُسْتَعْمَلُ للقربان؛ بل كانت تحتوي على المنزلق الذي ينحدر منه التابوت الذي كان يجر إلى القبر. وفي العهد الذي جاء مباشرة على أعقاب عهد «نقطانب الثاني» أي في حكم كل من «أخوس» و«أرسس» و«الإسكندر الأكبر» و«الإسكندر الرابع»؛ دُفِنَ ثوران، غير أنهما لم يُدْفَنَا في توابيت. وفيما بعد كانت تُسْتَعْمَلُ التوابيت المصنوعة من حجر واحد، غير أنها كانت من الحجر الرملي. ويُلْحَظُ أنه قد حدث تدهور سريع في النصف الأول من عهد «بطليموس الخامس» في صناعة التوابيت؛ إذ كانت وقتئذ تُنْحَتُ التوابيت من نوع رخيص جدًّا من الحجر. وحوالي منتصف النصف الأول من عهد الإمبراطور «تبيريوس» حدثت نهضة جديدة في العناية بالثور «بوخيس»، فقد كشفت أعمال الحفر عن تابوت منحوت نحتًا جميلًا لـ «بوخيس»، وقد ظلت هذه العناية مرعية حتى عهد الإمبراطور «كاركلا». وبعد هذا العهد انقطع استعمال التوابيت المصنوعة من الحجر. وقد لوحظ أن آخر ثورين دُفِنَا في ممر في البوخيوم، والثور الذي قبل الأخيرين كان قد دُفِنَ في قبوة للدفنة العاشرة، وهي دفنة ثور «نقطانب الثاني».

ويلفت النظر أنه في كل الدفنات عدا دفنة ثور «نقطانب الثاني» كانت القربات والأثاث نادرة. فكان في هذه الدفنة جرة «نمست» منقوشة باسم «بوخيس» لأجل الملك، وقنانية منقوشة من الشبة وإناء «كبح» من الشبة، وتمثال «إبيس» من الخشب المذهب على زحافة، وابن آوى مصنوع من خشب ملون. ومن الممكن أن الأخير كان واقفًا على صندوق، ويشبه أبناء آوى المصنوعة من الفخار في السرابيوم. وفضلًا عن ذلك كان يوجد مع الثور دون شك القربات التي كانت تتألف من مصابيح وبخور ومائدة قربات من الجرانيت، كما كان يوجد بطبيعة الحال اللوحة الرسمية، وكانت كل لوحة توضع مستندة على سدادة قبرها، وترتكز على لوح من الحجر، وكانت توجد واحدة دون شك لكل قبر في البوخيوم، وكان يُدَوَّنُ — على كل لوحة — الحوادث الهامة في حياة الثور؛ أي ولادته وتنصيبه وموته، وفي العادة كان يُذْكَرُ عليها مدة عمره. وكانت هذه الحوادث يعبر عنها باعتقادات ملؤها الإيمان بفخار حياته في عالم الآخرة. وفي غالب الأحيان كان يسجل على هذه اللوحة بعض الحوادث الأخرى التي وقعت في حياته، هذا وقد رتب الأستاذ «فيرمان» لوحات الثور «بوخيس» في خمسة أنواع على حسب صيغها:

الأول: هي لوحات العهد البطلمي المبكر، وتبتدئ من عهد «نقطانب الثاني» حتى «بطليموس الخامس».

والثاني: عهد البطالمة الوسيط، وقد مُثِّلَ في لوحتين من عهد «بطليموس السادس».

الثالث: عهد البطالمة المتأخر من أول «بطليموس السابع» حتى «بطليموس الحادي عشر».

الرابع: عهد الرومان المبكر من أول «أغسطس» حتى عهد «تبيريوس» (وهنا فجوة كبيرة، واللوحات التي جاءت في خلالها يمكن أن تكون تابعة لهذا النوع أو الذي بعده).

والخامس: هو العهد الروماني المتأخر، ويتبدئ من أول «دوميشيان» حتى «ديوكليشيان».

موائد القربان في مدافن «بوخيس»

لم يكن من المستطاع تأريخ موائد قربان «بوخيس» ولا ترتيب أنواعها من النقوش ولا من الرسومات التي جاءت عليها؛ وذلك لأن كاهنًا كان قد وجد اسمه على إحدى موائد القربان هذه، وقد وجد بوصفه مالك ورق مقوى سرق من الجبانة رقم ٤٠٠ على حسب ترقيم «فيرمان»،[٦٦] وهو الآن بالمتحف البريطاني (برقم ٦٩٦٩). وتدل شواهد الأحوال على أن هذه الموائد كانت تستعمل بعد دفن الثور، والبراهين على ذلك نجدها فيما جاء على الاستراكا التي عُثِرَ عليها في هذه الجهة؛ ففي القسم الخاص بالحسابات يوجد مبلغ دُفِعَ لسقاء ماء ملح؛ وكان من المسلم به أنه يُقَدَّمُ هذا الماء الغريب بمثابة شراب للثور المتوفى.

وكذلك وُجِدَتْ كميتان من عطور المر والبخور موردة لمعبد البوخيوم على دفعتين بتاريخ لم يكن من الممكن فيه حدوث دفن ثور. وكان من الممكن أن يُقَرَّبَ المر والبخور في مباخر في المصابيح التي عُمِلَتْ لهذا الغرض، ولكن النطرون والماء الملح كان كل منهما يُصَبُّ على مائدة القربان. أما المصابيح العالية التي عُثِرَ عليها خارج المقابر فمن الجائز أنها كانت للقربات أو لمجرد الإضاءة. ومن الجائز أن ممرات البوخيوم كانت تفتح أبوابها في مناسبات خاصة لعامة الناس كما كانت الحال في السرابيوم، وعندئذ كان يحتاج للمصابيح لإضاءة كل من اللوحة التذكارية والمكان الخاص لتقديم القربات. وكانت توجد كذلك قربات تؤكل، وهذه كانت بعد أن تُقَرَّبَ رسميًّا للثور تصبح ملكًا للكهنة الذين كانوا يأكلونها. وكان جزء من الدخل الكهني يتألف من مثل هذه الهبات.

---

[٦٦] راجع: J.E.A. XVII, pp. 223 ff. p1. XLII ff.

كهنة البوخيوم وعددهم

من الصعب أن يقدر الإنسان عدد موظفي البوخيوم من كهنة وغيرهم. فالحسابات الديموطيقية التي عُثِرَ عليها ذكرت عشرين أو أكثر من الموظفين، ولكن يظهر أن هؤلاء هم موظفو المعبد الذي كان يسكن فيه «بوخيس» لا موظفي البوخيوم. والظاهر أنه لم تكن هناك أبنية فوق البوخيوم كافية لسكنى عشرين موظفًا، ومن جهة أخرى فإن اسم الكاهن الأكبر وهو «بتوسور بوخي» يرجح أن يكون اسم الكاهن الأكبر للبوخيوم أكثر من أن يكون كاهنًا أكبر لأي معبد آخر في «أرمنت». ومن المهم في هذه المناسبة أن نلحظ هنا على حسب ما ذكره المؤرخ «بيفان»[٦٧] أن فردًا يدعى «بتيسيس» Petisis (في عام ٩٩ق.م) كان محنطًا لكل من «أبيس» و«منيفيس». والظاهر أن محنط البوخيوم لم يكن يُسْتَخْدَمُ على ما يظهر لتحنيط أي حيوان آخر، غير أنه مما لا يكاد يُشَكُّ فيه أن المحنطين كانوا يعملون في تحنيط أشخاص عاديين عندما لا يكونون مشتغلين بدفن ثور. وجاء على تذكرة مومية إغريقية[٦٨] النص التالي:

> إلى «هرمونيس» «تا إزيس» Thaisis ابنة «سنتوتيوس» Senthoteutis لتورد بوساطة ابن زوجها (المسمى) «بيكوس» إلى «بسنونريس» Pseneoneris حفار القبر مع إشعار عند البوخيوم لـ «بسنوتريس» حانوتي الحيوان المؤله «بوخيس»، بأنه قد دفع أجر الشحن والضريبة والمصاريف، ٢٦ كيهك.

وعلى أية حال فإن هذا الجسم المقصود هنا كان قد حُنِّطَ، وأنه لم يكن مطلوبًا من أجله غير الخدمات الخاصة بالبوخيوم.

ومن المحتمل أن الكاهن «أحمس» بن «سمنديس» الذي ورد ذكره فيما سبق هو أحد كهنة البوخيوم الأول إن لم يكن أولهم. ولم نجد أية آثار تدل على وجود مكان للكهنة إلا بقايا مبنى عديم الأهمية جدًّا في داخل جدار حرم المعبد، يُضَافُ إلى ذلك أن المباني التي كانت تُقَامُ فوق البوخيوم كانت كذلك لا قيمة لها، والظاهر أن كل الوظائف الكهنية كانت تؤدى في معبد «أرمنت»، وأنه لم يكن في البوخيوم أكثر من الحرس إلا الشيء اليسير.

[٦٧] راجع: E.R. Bevan History of Egypt, The Ptolemaic Dynasty p. 136 n. I.

[٦٨] راجع: The Bucheum vol. II. P. 27.

وتوجد بقايا ما يمكن أن يُطْلَقَ عليه مساكن الكهنة في قرية البقارية الرومانية. وكان الكهنة يُدْفَنُونَ على الأقل في خلال العهد المتأخر من حكم البطالمة في الجبانة رقم ٤٠٠، وتقع في الجنوب الغربي للبوخيوم بالقرب من جدار حرم المعبد، وهذه الجبانة قد نُهِبَتْ نهبًا ذريعًا، ولكن بقي لنا قبر أو قبران لم تمسهما يد اللصوص. ويُرى في متاحف العالم المختلفة توابيت من الورق المقوى في المقابر المنهوبة. وكان الكهنة يُدْفَنُونَ مع أقاربهم في أضرحة أسرية. وكانت تُسْتَعْمَلُ وقتئذ توابيت مصنوعة من الفخار، وكانت تُغَطَّى كل مومية بكرتون ملون. ولم يوجد لقب كاهن «بوخيس» إلا على واحد من هذه الكرتونات، وهو محفوظ بالمتحف البريطاني برقم ٦٩٦٩. أما سائر الكرتونات التي كُشِفَ عنها فكانت إما قد أصابها التلف بصورة بالغة، فلم يكن من المستطاع معرفة صاحبها، أو أن القسم الذي فيه النقش الذي يحتوي على اسم صاحبه وألقابه قد ضاع.

والجزء الخاص بالتابوت رقم ٦٩٦٩ جاء فيه:

> نطق: يا أوزير المحنط لـ «أوزير بوخيس»، و«حب إب رع» المبرأ. أن «أنوبيس» الذي في لفائفه. سيد «تاجسر» (الأرض العالية = الجبانة) يأتي إليك ليمنحك دفنة «طيبة» في غربي «طيبة». والكاهن الذي ذُكِرَ اسمه هنا قد جاء اسمه على مائدة قربان من البقارية. ويمكن تأريخ الورق المقوى الذي يغطي تابوته بحوالي ٦٠ق.م.

ويُلْحَظُ أن البوخيوم في العصر الروماني المتأخر كان في تدهور مستمر يشبه ذلك التدهور الذي كان يحدث في معظم الفنون والعادات المصرية القديمة. وتوجد بعض الأدلة على أنه في هذا التاريخ كانت أم «بوخيس» قد أخذت تحتل مكانة أكثر أهمية بالنسبة لـ «بوخيس» عما كانت عليه من قبل. واللوحة الوحيدة المنقوشة لبقرة يرجع تاريخها للإمبراطور «كوموديوس». وكانت البقرات في خلال كل العصر الروماني تُدْفَنُ في مقابر مبنية بناء حسنًا؛ فكانت قبواتها تُقَامُ بالآجر، غير أن ذلك يمكن أن يكون سببه فقط للفرق بين الصخر عند الموقعين. وأول مقابر أقيمت في البقارية هما دفنتان لبقرتين في قبوتين من اللبنات، وكانت كل منهما تحتوي على تابوت من الحجر الرملي، في حين أن الدفنة الثانية في البوخيوم لم يكن لها تابوت، ويُفَسَّرُ ذلك بأنه إذا كانت أم الثور الذي عاش في عهد «الإسكندر الأكبر» قد ماتت في خلال عهد «نقطانب الثاني»، وأن قبرًا كان قد بُنِيَ وقتئذ لها يشبه القبر الذي كان قد أُقيم لسالفتها.

والدفنات المبكرة في بقارية كانت عمومًا أفقر من التي كانت في البوخيوم، وأم الثور الذي عاش في عهد «نقطانب الثاني» قد أقيم من اللبنات، وعلى ذلك لم يكن لها قبوة من الحجر كالتي كانت لابنها، يُضَافُ إلى ذلك أنه لم يكن لها قبوة للقربات.

والدفنات التي من عهد البطالمة لم يكن فيها توابيت، وكانت الثيران تُدْفَنُ في حجرات منحوتة في الصخر نحتًا رديئًا كما لم تكن منتظمة الشكل. هذا، وقد عُثِرَ على موائد قربان في البقارية، وكذلك عثر على مصابيح تشبه التي وُجِدَتْ في البوخيوم، ولم يُعْثَرْ على لوحات غير اللوحة التي تُنْسَبُ إلى عهد «كومودیوس» وهي التي ذكرناها فيما سبق، وكذلك لوحة محفورة غير أنها ليست منقوشة من عهد «دقلديانوس» عُثِرَ عليها في دفنة منفصلة خارج البقارية. وقد تعرض البوخيوم في خلال كل تاريخه إلى تصدعات في السقف، وفي جدران كل من المقابر والممرات، ولم تنج البقارية من نفس هذه الكوارث، ويرجع السبب في ذلك إلى رداءة الصخر؛ إذ لم يكن في كل من الموقعين صالحًا لمثل هذه الأضرحة؛ وكذلك يرجع السبب جزئيًّا للكهنة الذين لم يتركوا مسافات كبيرة كافية بين المقابر إلا في الدفنات الأولى القليلة العدد. وقد عُمِلَتْ محاولات مختلفة لإصلاح هذه التصدعات في العهد البطلمي غير أنها كانت تعمل دون عناية ودقة.

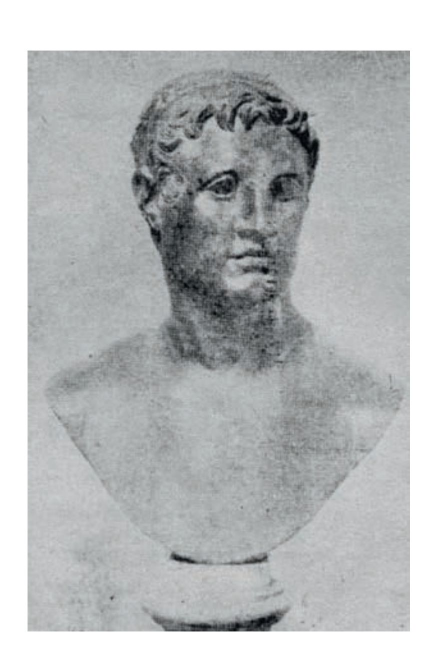
وفي العهد الروماني بُذِلَتْ مجهودات حقيقية لمعالجة هذه التصدعات؛ ففي البوخيوم أُقِيمَتْ جدران قوية من الآجر ودعامات في الممر الجنوبي، وفي مقبرتين كانتا آيلتين للسقوط، وفي البقارية عُمِلَتْ كذلك إصلاحات متقنة؛ فقد أقيمت قبوة من الآجر في طول الممرين الشمالي والجنوبي باستثناء النهاية القصوى.

وعلى أية حال فإن نهاية تاريخ البوخيوم ليس مؤكدًا؛ فالثور الذي كان في عهد «دقلديانوس» دُفِنَ في البوخيوم ومعه لوحة رسمية، وهي أحدث لوحة في الوجود نُقِشَتْ باللغة المصرية القديمة. أما أمه فقد دُفِنَتْ كما وصفنا ذلك من قبل. وتوجد لوحتان أخريان غير منقوشتين حُفِرَ على كل صورة بقرة بوجه كامل، وقد بِيعَتَا على أنهما مستخرجتين من «أرمنت». ومن الممكن تمامًا أنه إذا كان خلف الثور الذي عاش في عهد «دقلديانوس» قد أتلف فإن أمه لا بد كانت قد دُفِنَتْ بالطريقة الصحيحة قبل ذلك الوقت، غير أنه من المدهش تمامًا أن تكون عبادة هذا الثور قد قُضِيَ عليها في تاريخ مبكر كهذا، فالسرابيوم لم يكن قد قُضِيَ عليه حتى عهد «تيودوسيوس» (٣٧٩–٣٩٥ م) Teodosius، والمعتقد بوجه عام هو أن الديانات الوثنية قد عاشت زمنًا أطول في ذلك العهد في الوجه القبلي أكثر مما عاشت في الوجه البحري. ومن جهة أخرى كان للديانة المسيحية مركز هائل في إقليم

«طيبة»، ومن الممكن أن أتباع «بوخيس» قد أصبح عددهم ضئيلًا لدرجة أن عبادته قد تلاشت، وبعبارة أخرى: قد صفى حسابها طوعًا بمقتضى الأحوال. ومهما كانت حقيقة نهاية أمر هذه العبادة، فإن السادس من شهر هتور (٣ نوفمبر) من عام ٢٩٥ بعد الميلاد كان يُعَدُّ آخر قبس للنشاط الديني في البوخيوم، وذلك بعد احتلال دام أكثر من ٦٥٠ عامًا. وعلى الرغم من أن هذا العهد كان قصيرًا إذا ما قرن بتاريخ السرابيوم فإنه يجاري في طوله معظم الكاتدرئيات، وقد كان من الممكن أن يعيش بعد الانحطاط الذي كان يمر به في العهد الروماني المتأخر، كما عاش بعد الانحطاط الذي ألم به في العصر البطلمي المتأخر، ولكن كان هناك عدو أقوى من فساد نفس أعوانه أنفسهم، ومن أجل ذلك نجد أن هذه العبادة قد سقطت مع سائر الديانة الوطنية تحت سلطان انتشار المسيحية، وكان أثر هذا التغير على مدنية المصريين وأخلاقهم عميقًا وباقيًا إلى أن جاء الإسلام، فبدأ صفحة جديدة في حياة مصر قلبت كل الأوضاع في نفوس الشعب من حيث الدين واللغة، ومع ذلك لا تزال آثار العادات المصرية القديمة تلعب دورها في نفوس القوم حتى يومنا هذا على الرغم من محاربتها بكل الوسائل الممكنة؛ مما يدل على أن الشعب كان حريصًا على عاداته وأخلاقه أمام كل التقلبات السياسية والدينية والاجتماعية، والاقتصادية على السواء. والله الموفق لما فيه خير مصر الناهضة لإحياء تراثها المجيد في الشرق أجمع.

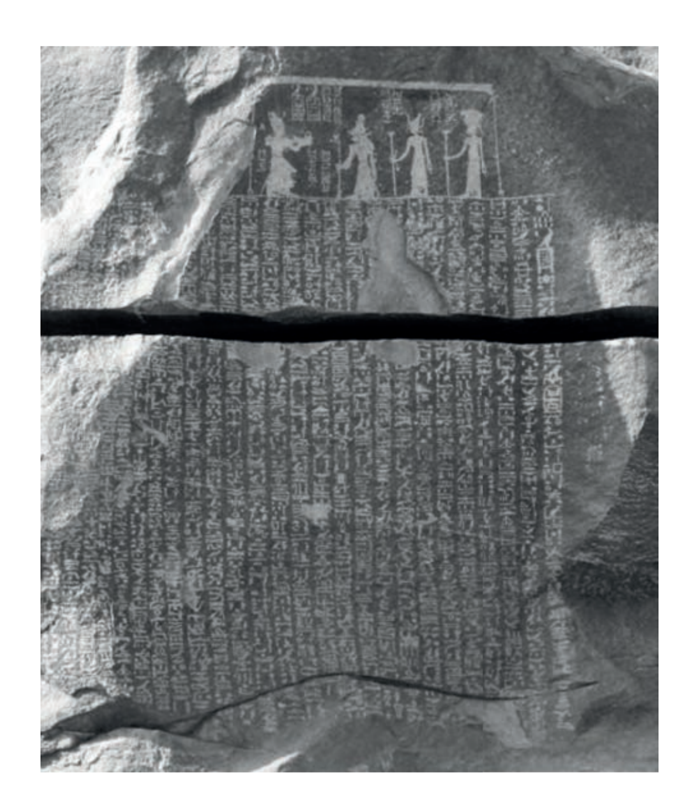
الصور والأشكال

صورة رقم (١)



صورة بطليموس الخامس.

صورة رقم (٢)



لوحة القحط بجزيرة سهيل بمنطقة الشلال من عهد بطليموس الخامس.

صورة رقم (٣)




نقد بطليموس الخامس.




نقد آخر لبطليموس الخامس.




نقد بطليموس السادس.

صورة رقم (٤)

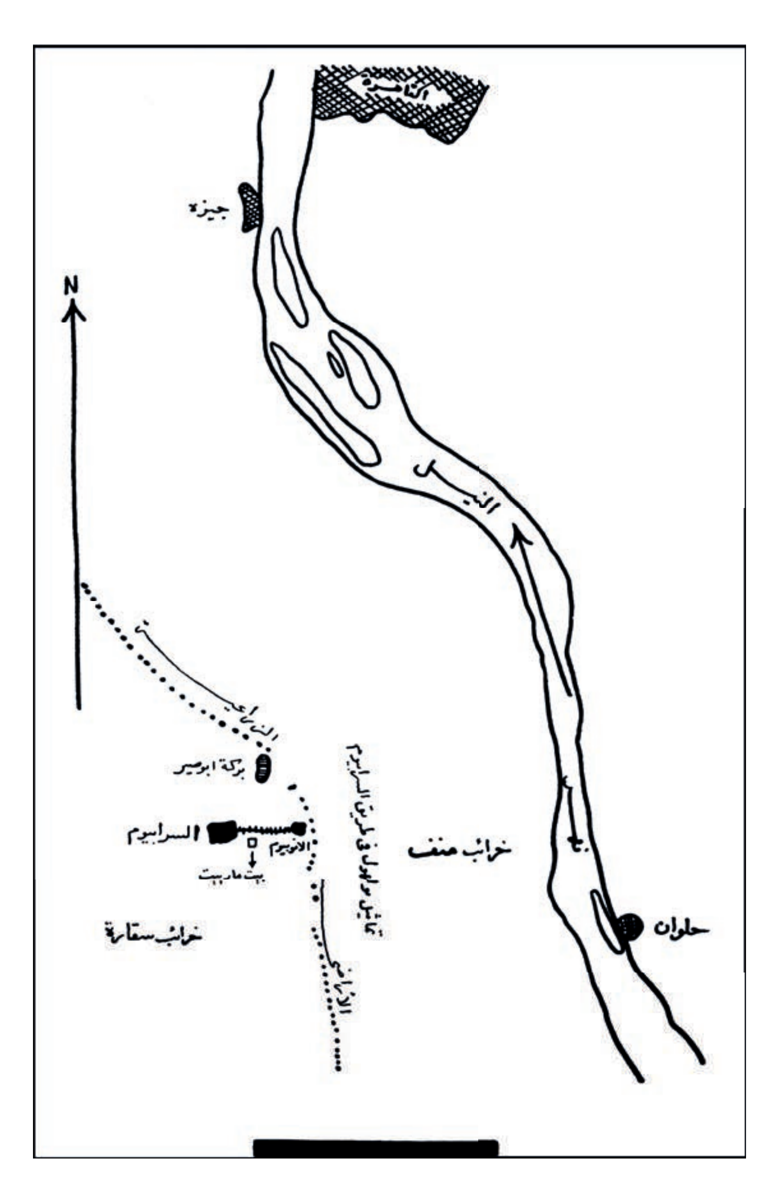


لوحة من البوخيوم بأرمنت من عهد بطليموس السابع.

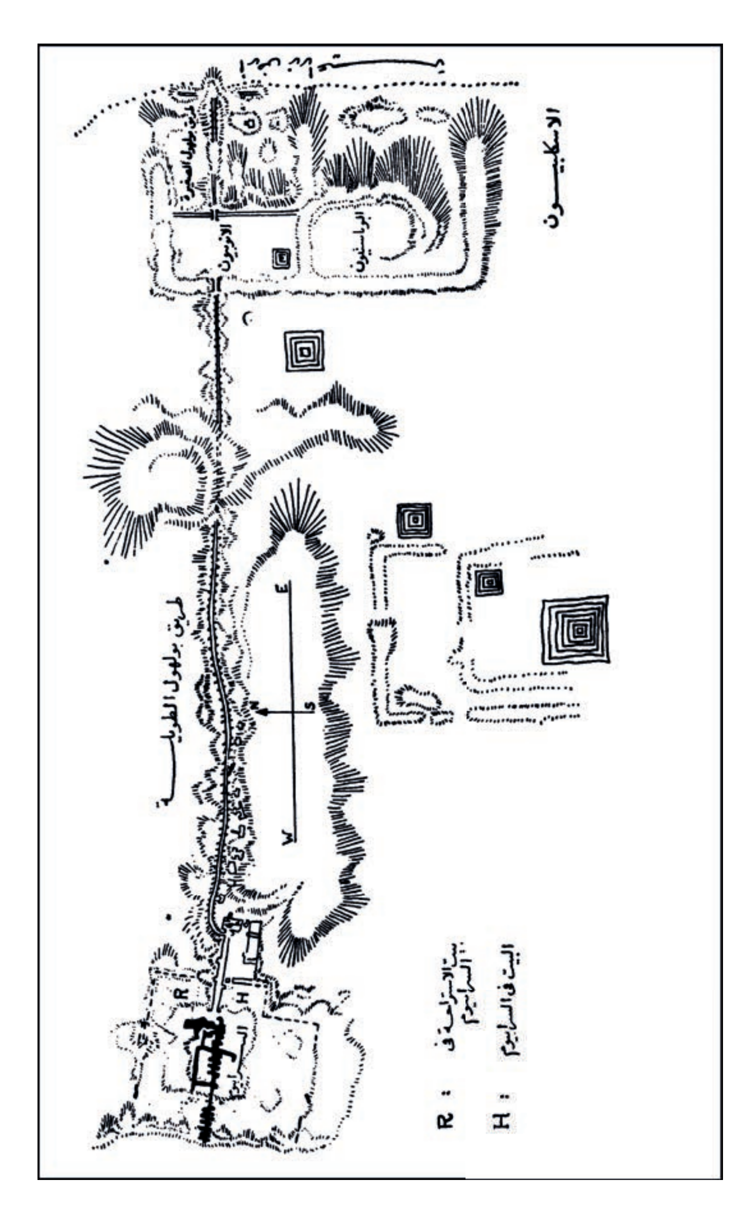
صورة رقم (٥)



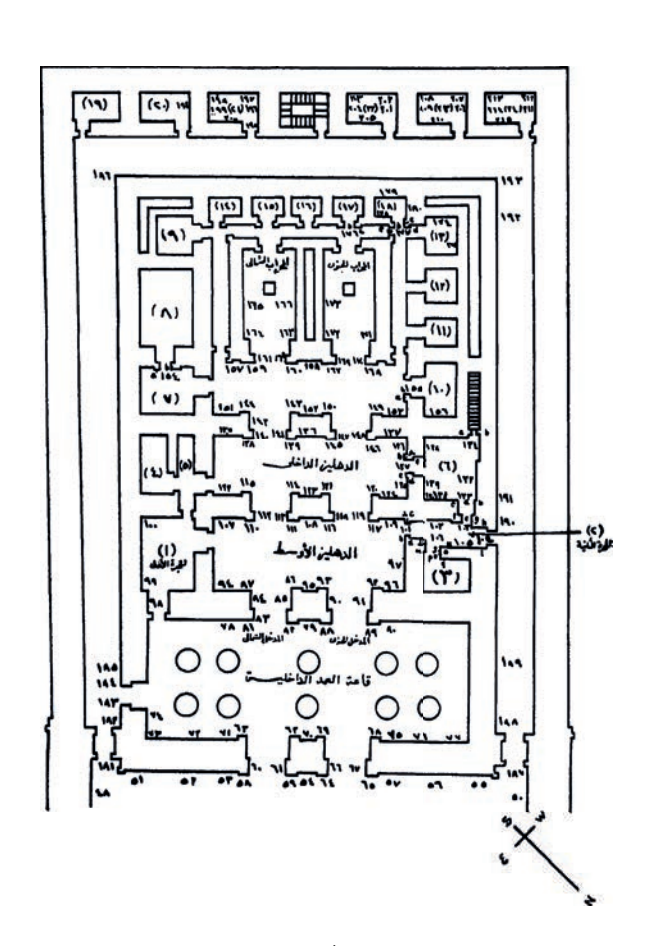
العجل بوخيس.



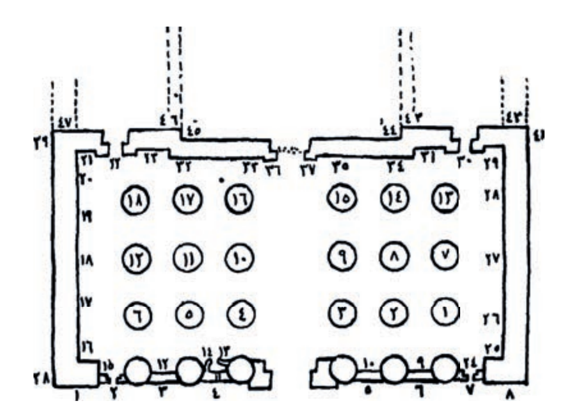
شكل ١: رسم تخطيطي لمدينة منف.



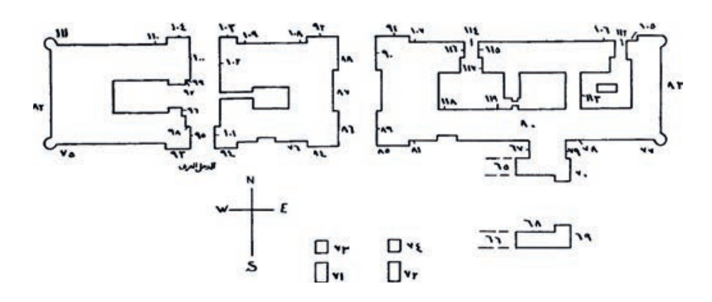
شكل ٢: رسم تخطيطي يوضح الأبنية المجاورة للسرابيوم.



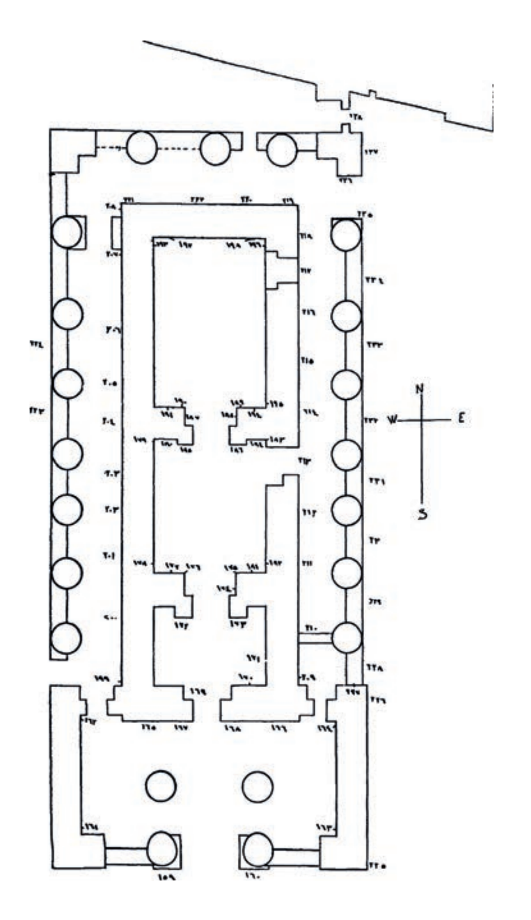
شكل ٣: معبد كوم أمبو (الجزء الشرقي).



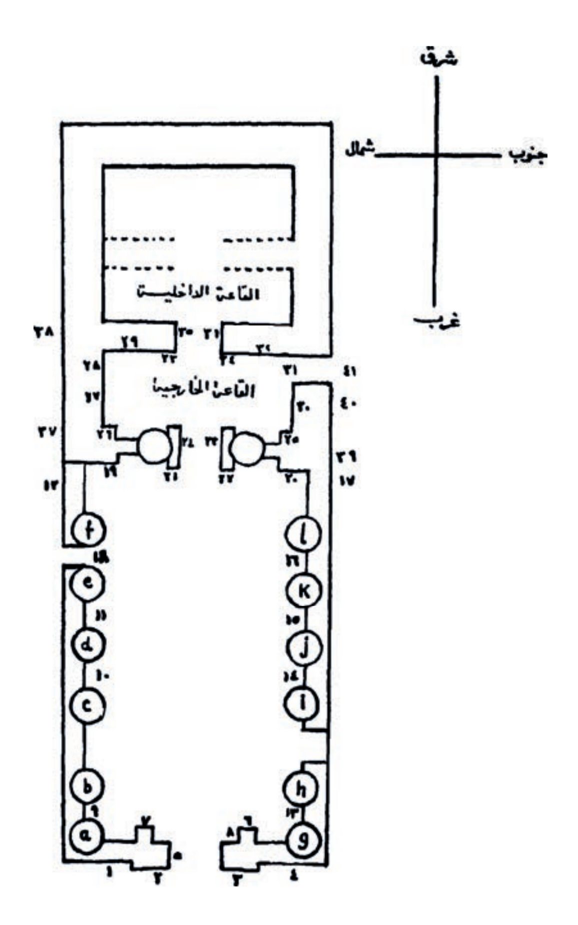
شكل ٤: معبد إسنا.



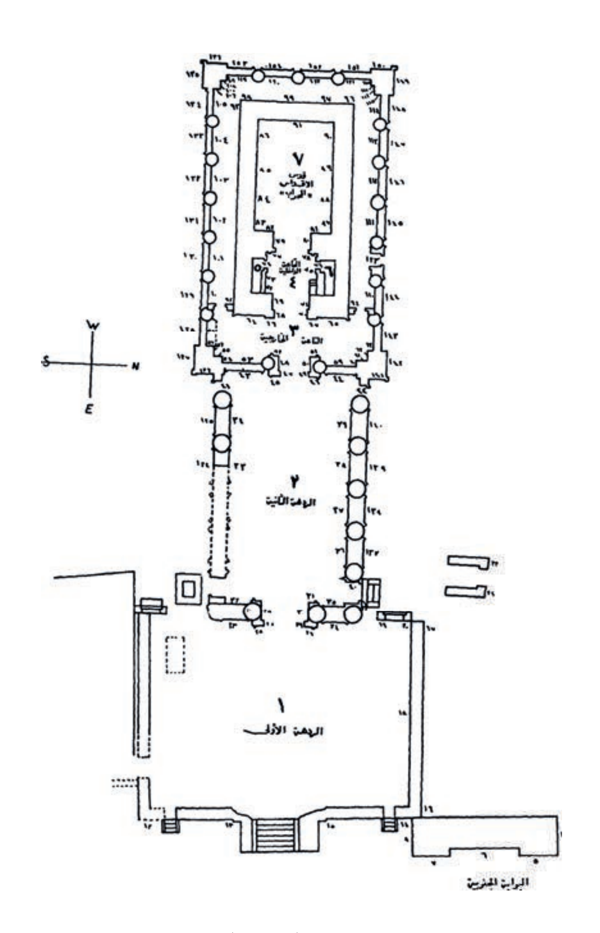
شكل ٥: معبد الفيلة (معبد إزيس — الصرح الأول).



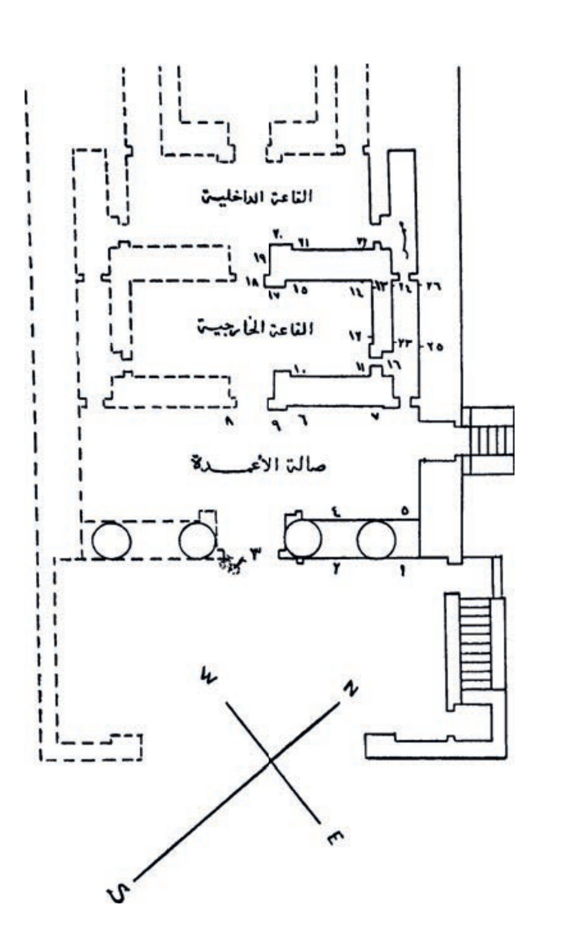
شكل ٦: معبد إزيس بالفيلة (بيت الولادة).



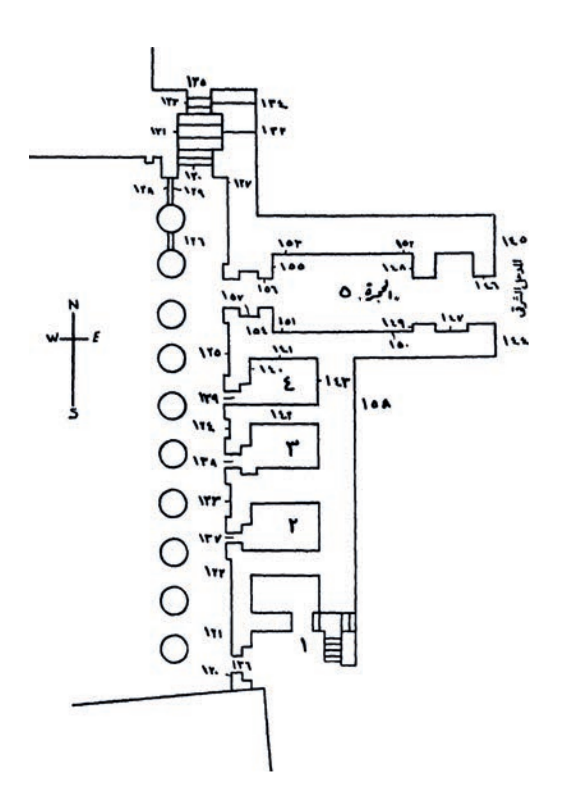
شكل ٧: معبد حتحور بالفيلة.



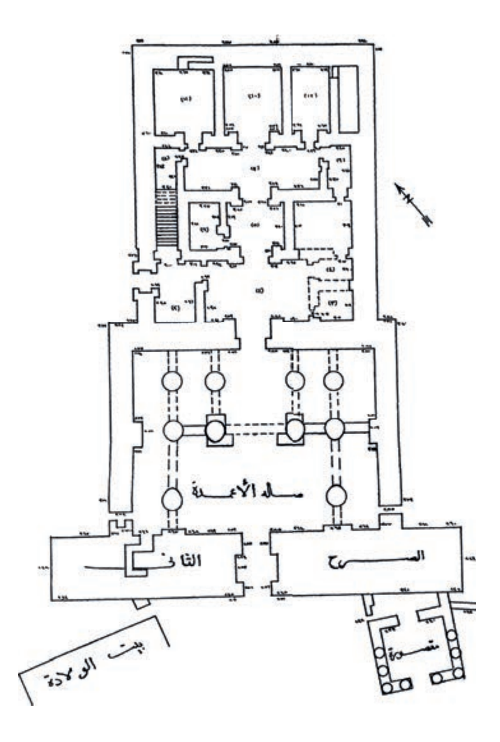
شكل ٨: بيت الولادة (مميزي) بمعبد إدفو.



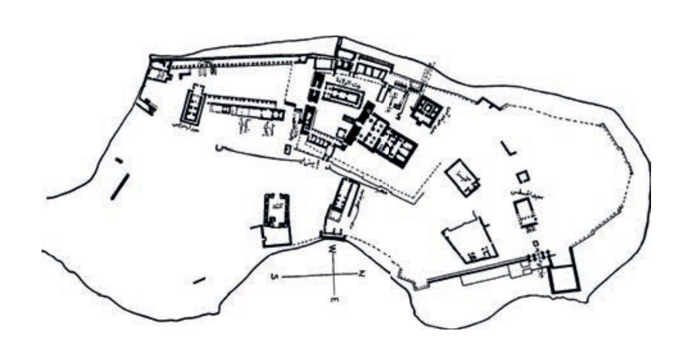
شكل ٩: بيت الولادة (مميزي) بمعبد كوم امبو.



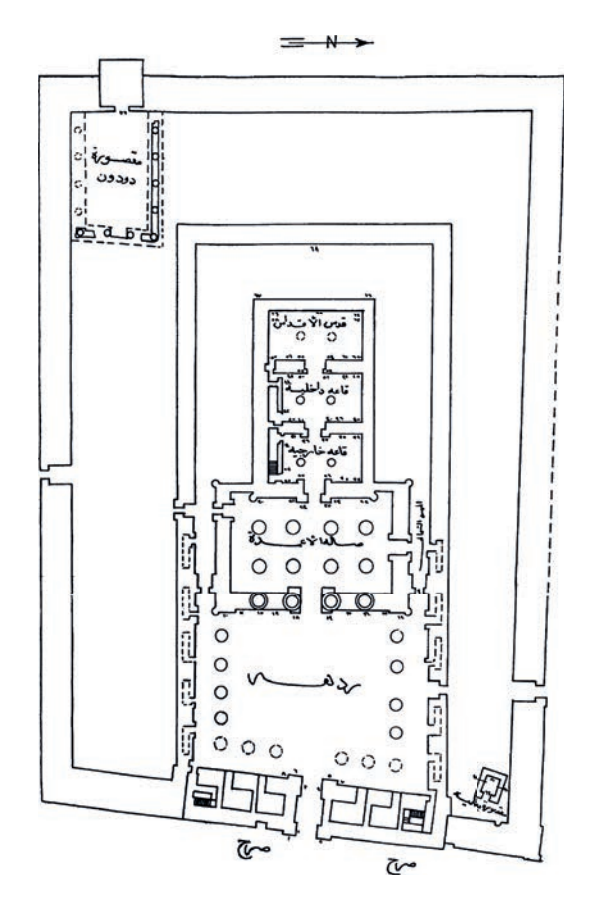
شكل ١٠: بهو الأعمدة الشرقي الثاني لمعبد إزيس بالفيلة.



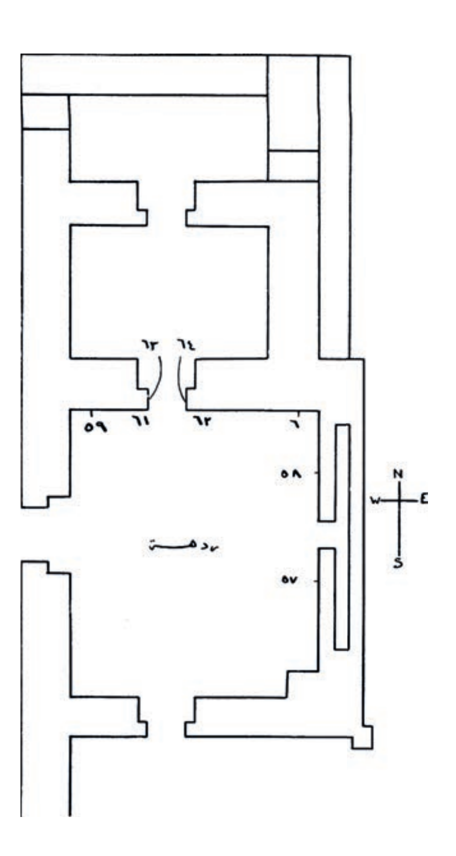
شكل ١١: معبد «إزيس» الرئيسي بالفيلة.



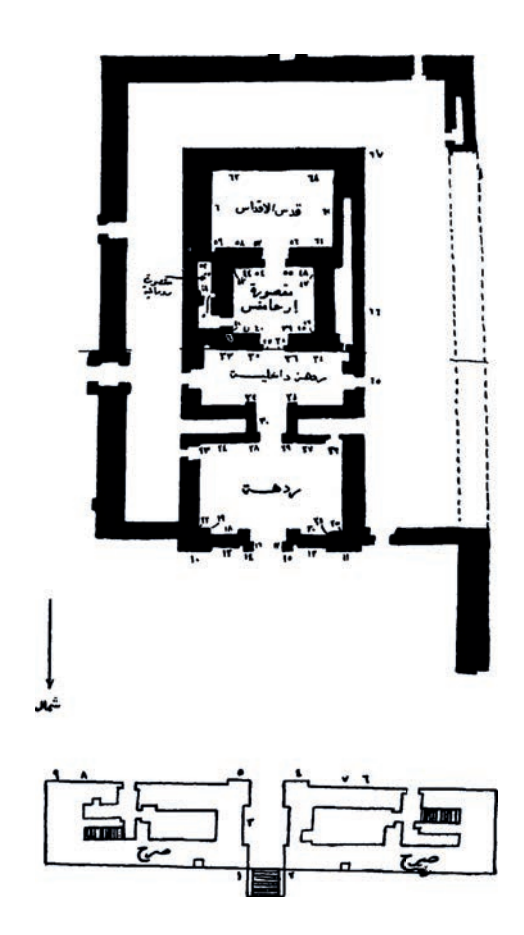
شكل ١٢: معابد جزيرة الفيلة.



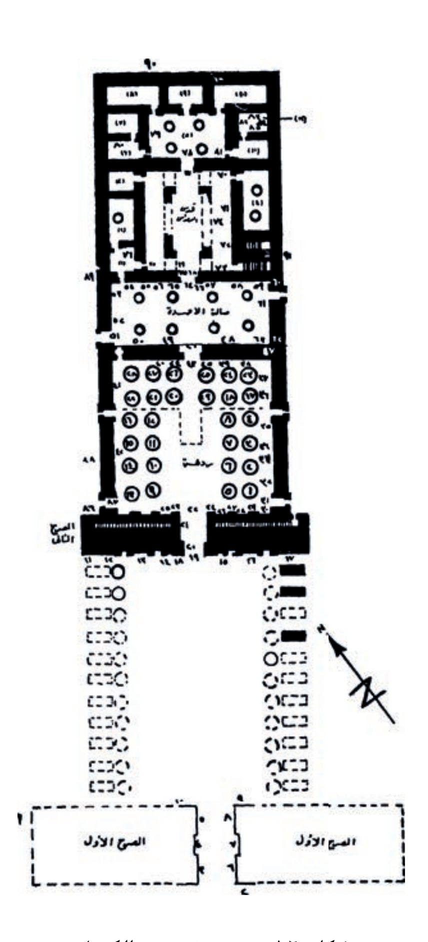
شكل ١٣: معبد كلابشة — (مقصورة دودون).



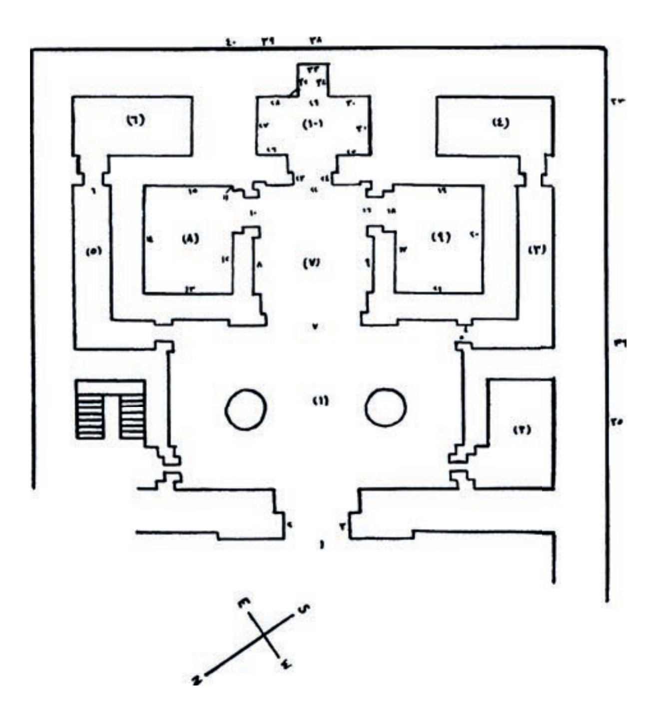
شكل ١٤: معبد أمحوتب بالفيلة.



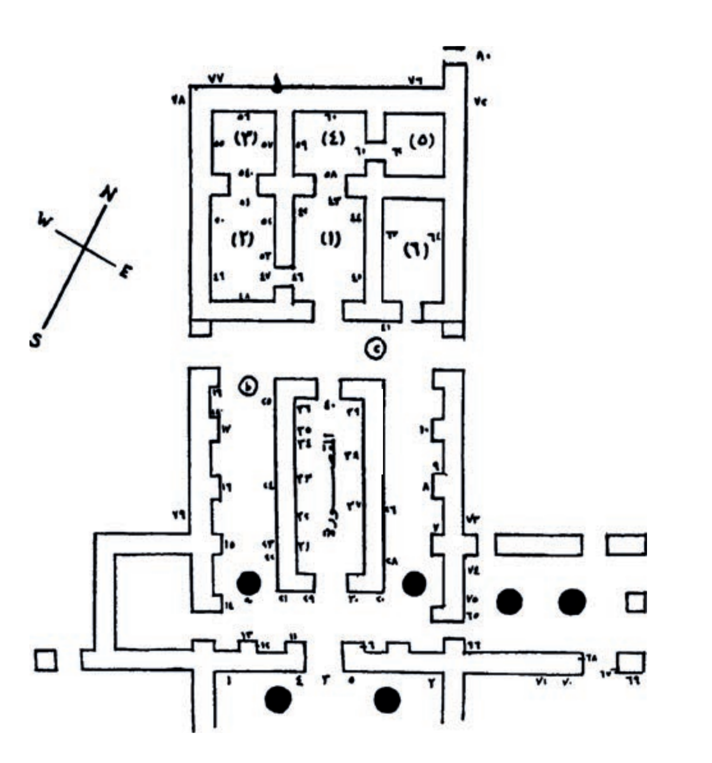
شكل ١٥: معبد تحوت بنوبس بالدكة.



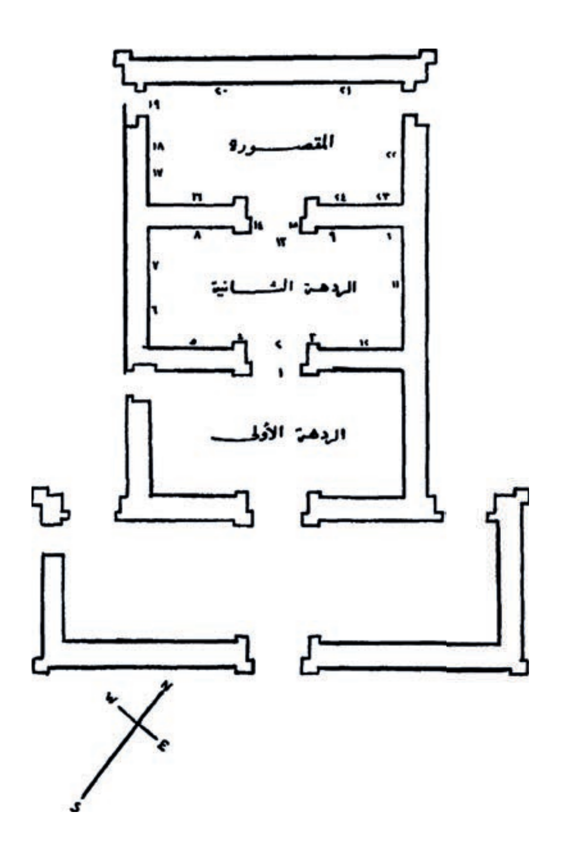
شكل ١٦: معبد خنسو بالكرنك.



شكل ١٧: معبد «إبت».



شكل ١٨: معبد مدينة هابو الصغير.



شكل ١٩: معبد «تحوت» (قصر العجوز).

قائمة المراجع

Alliot, M.: Le Culte d'Horus à Edfu au temps des Ptolémées. Tom. I et II.

Bell, Sir H.I.: Hellenic Culture in Egypt (J.E.A. VIII, 139).

Bell, Sir H.I.: Egypt from Alexander the Great to the Arab Conquest (Oxford, 1948).

Beurlier F.: De divinis quos accepernut Alexder et Successones particula Prima Regimonti 1887.

Bevan, E.: A History of Egypt under the Ptolemaic Dynasty. (London, 1927).

Blackman, A.M.: The Temple of Dendur (Le Caire, 1911).

Blackman, A.M.: Libations to the dead in modern Nubia and Ancient Egypt (J.E.A. III, 1916).

Botti, G.: Testi Demotici, 1941.

Bouche-Leclercq, A.: Histoire des Lagides, 4 vols. (Paris, 1903–07).

Breasted, J.H.: The Dawn of Conscience, New-London 1947.

British Museum: A guide to the Egyptian Galleries (Sculpture) (1909).

Brugsh, H.: Thesaurus inscriptionum. Aegyptiacrum (1884).

Bruyèrc, B.: Rapport sur les fouilles de Deir–el–Medineh (1934–1935). Troisième partie: Le village. Les décharges publiques, etc. (Le Caire, 1939).

Budge: History of Egypt.

Carnarvon and Carter.: Five Years' Exploration at Thebes, (London, 1912).

Carter, H.: Report on the tomb of Amenhotep I (J.E.A. II, 1916).

Carter, H.: A tomb prepared for Queen Hatschepsut (Annales du Serv. XXI, 1917).

Cerny, J.: La constitution d'un avoir conjugal en Egypte (Bul. IFAO, 1937).

Cerny, J.: Late Ramesside Letters (B.A. Bruxelles, 1939).

Cerny, J.: The Temple (t hwt) as an abbreviated name for the temple of Medinet–Habu (J.E.A. XXVI, 1940).

Cerny, J.: The Will of Naunakhte (J.E.A. XXVI, 1945).

Chassinate, E.: Le temple de Denderah I–V.

Chassinate, E.: Le temple d'Edfu Tom, I–XIV.

Chicago In.: Medinet Habu.

Claire Préaux: L'Economie Royale des Lagides (Bruxelles, 1939).

Claire Préaux: Les Egyptiens dans la Civilisation Hellénistique d'Egypte "Chronique 35 (1943) p. 152". (148–160).

Dumas F.: Mittilungen des Deutschen Archaeologischen Instituts Ab–teinlurg.

Dumischen: Altagyptischen Kalendarinschriften.

Dumischen: Baugeschichte des Dendera tempels.

Dows Dunham: Royal cemeteries of Kush I–IV (Boston Mass 1950–1957).

Dictionnaire: de la civilization Egyptienne (1960).

Diodorus of Sicily: edited by T.E. Page, E. Capps, W.H.D. Rouse the Loeb classical Library with an English translation by C.H. Oldfather London, 1933.

Driont E.: Médamoud, 1926.

Edgar: Zenon papyri.

Edgerton, W.F.: A clause in the marriage settlement Ae.Z. 64, 1029.

Edgerton, W.F.: Notes on Egyptian Marriage chiefly in the Ptolemaic period, Chicago, 1931.

Edgerton, W.F.: Report on the Graffiti at Medinet-Habu (A.J.S.S.L.L. 50, 1934).

Erichsen, W.: Demotische Lesestucke (Leipzig, 1937–1939).

Erichsen, W.: Ein demotischer Ehevertrag aus Elephantine, (Berlin, 1939).

Erman-Grapow: Worterbuch der Aegyptischen Sprache (Leipzig, 1927–1931).

Fisher, C.S.: A group of Theban Tombs. Work of the Eckley B. Coxe Jr. Expedition in Egypt University of Pennsylvania Museum Journal (Philadelphia, 1924).

Fritz Hintze: Studien zeir Meroitischen Chronologie und zu Den opertafeln aus Den Pyramiden von Meroe (1959).

Foucart, G.: Etudes Thébaines (Bul. IFAO, 1924, pp. 1–209).

Frankfort: Ancient Egyptian Religion, 1948.

Gardiner, Sir A.H.: The Inscription of Mes (U.G.A.A. IV, 3, 1905).

Gardiner, Sir A.H.: Four Papyri of the XVIIIth Dynasty from Kahun (Aez. XLII, 1956).

Gardiner, A.H. and Sethe, K.: Egyptian Letters to the Dead (London, 1928).

Gardiner, Sir A.H.: A Lawsuit arising from the purchase of two slaves (J.E.A. XXI, 1935).

Gardiner, Sir A.H.: Adoption Extraordinary (J.E.A. XXVI, 1940).

Gardiner, Sir A.H.: Ramesside texts relating to the taxation and transport of corn (J.E.A. XXVII, 1941).

Gardiner, Sir A.H.: Ancient Egyptian Onomastica (Oxford, 1947).

Gauthier et Sottas: un Décret Trilingue en l'honneur de Ptolémé IV.

Gennep V.: L'Etat actuel du Problème Totemaique, Paris 1922.

Glanville, S.R.K.: (editor) Studies Presented to F. LL Griffith, (Oxford, 1932).

Glanville, S. R. K.: (Catalogue of the Demotic Papyri in the British Mu–seum, 1939).

Glanville, SR. K.: (editor) The Legacy of Egypt, Oxford, 1943.

Glanville, S. A. K.: Notes on Demotic Papyrus from Thebes (B.M. 1002). (Essays and Studies presented to Stanley Arthur Cook in COS No. 2.

Goodneough: The Jurisprudence of the Jewish Courts in Egypt. (New Haven, 1929).

Gradenwitz: Eine Erbstreit aus dem Ptolemaischen Aegypten.

Grenfell, B.P, and Hunt, A.S.: The Tebtunit Papyri.

Griffith: The inscription of Sint and Der Refeh.

Griffith, F.L.I.: The Petrie Papyri, Hieratic Papyri from Kahun and Gurab London, 1898).

Griffith, F.L.I.: The Stories of the High Priests of Memphis (Oxford, 1900).

Griffith, F.L.I.: Catalogue of the Demotic Papyri in the ohn Rylands Library (Manchester, 1909).

Griffith, F.L.I.: The Earliest Marriage Contracts (P. S. B. A. XXXI, 1909).

Griffith, F. L. I. and Thompson, Sir H.: The Demotic Magical Papyrus of London and Leiden, London, 1904, (Oxford, 1921).

Griffith, F. L. I.: Catalogue of the Demotic graffiti of the Dodecaschoenus, (Oxford, 1935–1937).

Griffith, F. L. I.: “Marriag”, (Enc. Of Religion and Ethics, Vol. VIII, p. 443).

Griffith, F. L. I.: The Adler Papyri (Oxford, 1939).

Gunn, B.: The Religion of the Poor in Ancient Egypt (J. E. A. III).

Herodotus: Book I–IV with English translation by A.D. Godley (Loeb, Class. Libr).

Holscher, U.: Excavations al Medinet–Habu (C. O. I. C. vols, 5, 7, 10, 15, etc).

Holscher, U.: The Excavations of Medinet–Habu, Ch.Or. Inst. Publ. XXI, 1934.

Hopfner: Tierkult der Alten Aegypten.

Hughes, G. R. and Nims, h. F.: Some observations of the B. M. demotic Theben archive A. J. S. L. LVII, 1940).

Jerome: Select letters.

Johns, C. H. W.: Babylonian and Assyrian Laws, Contracts and Letters, Edinburgh, 1904.

Josephus: 9 vols. Ed. Leob. Instin.

Jouguet: L'Egypte ptolémaique.

Junker, H.: Papyurs Lonsdorfer I, Wien, 1921.

Junker, H.: Der Berecht Strabos uber den heilegen I,mken von Philae in Lecht der Aegyptischen Quéllen W. Z. KM, 26 (1912) 42–46.

Krall, J.: Stud Z. Gesch. d, Alt. Aegypt.

Kees, H.: Apotheosis by drowning (Stud. Present, to Griffith, p. 402) London, 1932.

Kuentz, Ch.: Quelques monuments du Culte de Sobek (Bul. IFAO, 1929).

Lacau, M.: Un graffite Egyptien d'Abydos ecrit en letter Grecque.

Lexa, F.: Grammaire Demotique (Praha 1949).

Leemanys: Aegyptische Mon. (Leyden).

Lepsius, C. R.: Denkmaler aus Aegypten und Aethiopien.

Macadam: The Temples of Kawa I–IV.

Manetho: Transl. by W. G. Waddell (Loeb Class. Libr. 1940).

Mahaffy, J. P.: The Empire of the Ptolemus.

Mariette, A.: Dier-el-Bahri, documents topographiques recueillis dans ce temps, etc. (Leipzig, 1877).

Mariette, A.: Serapeum de Memphis, Paris 1859.

Mariette, A.: Denderah, Tome IIV.

Mattha, G.: Demotic Ostraca, Le Caire, 1945.

Mattha, G.: The Legal Code of Hermopolis (Bul. Inst. d'Egypte, XXIII).

Mizraim, D.: The codification of the Egyptian Laws.

Meyer, P. M.: Das Heerwesen und Romer in Egypten. Leipzig 1900.

Moller, G.: Zwai aegyptische Ehevertrage aus vorsaitischer Zeit, (1918).

Moret, A.: Le ritual du culte divin journalier en Egypte.

Murray, M.: The Cult of the Drowned in Egypt (Aez. 51).

Moregan de: Ombos.

Naville, E.: The Store–city of Pithon.

Niese, B.: Geschichte der Grechischen und Madedonische Stuaten seit der Schlacht bei haeronea Bd. I–II, Gotha, 1893–1899.

Nims, Charles F.: Notes on University of Michigan Demotic papyri from Philadelphia (J. E. A. XXIV), 1938.

Northampton, Spiegelberg and Newberry: Report on some Excavations in the Theban Necropolis (London, 1908).

Peet, T.E.: The Great Tomb robberies of the twentieth Egyptian Dynasty (Oxfored, 1930).

Otto W.: Priester und Tempel in Hellinist Aegypten.

Petrie Sir F.: Memphis.

Petrie, Sir F.: Memphis I (London, 1909).

Petrie, Sir F.: Qurneh (London, 1909).

Pirenne, J.: Histoire des Institutions et du Droit Privé de l'ancienne Egypt, 4 vols, Bruxelles, 1932–1935.

Pirenne, J. and Van de Walle, B.: Documents Juridiques Egyptiens (A. H. D. O. Tome 1, Bruxelles, 1937).

Pirenne, J.: L'Ecrit pour argent et l'écrit de cession dans l'ancien droit égyptien (R. I. D. A. Tome 1er), Bruxelles, 1948.

Plaumann, P.: Die Demotischen und griechishen Eponymendatierungen (Ae. Z. 50) 1912.

Plutarch: 14 vol. Loeb Ed.

Plutarch: Polybius W. R. Patron 6 vols. Loeb Ed.

Plaumann, G.: "Hieris" (Pauly's Real–Encyclopadie der Classischen (Al–tertumswissenschaft).

Porter, B. and Moss R.: Topographical bibliography of Ancient Egyptian hieroglyphic texte, reliefs and paintings, (1927–1951) in 7 vols.

Ranke, H.: Die Aegyptischen Personennamen (Gluckstadt, 1935).

Reich, N. J.: Demotische und Grielechische Texte auf Mumientafeichen (Leipzig, 1908).

Reich, N.J.: Papyri Juristischen Inhalts ni Hieratischer und Demotischer Schift aus dem British Museum (Wien, 1914).

Reich, N. J.: A notary of Ancient Thebes (Mus. Jour. Philadelphia, 1923).

Reich, N. J.: Marriage and Divorce in Ancient Egypt (Mus. Jour. Philade–phia, 1924).

Reich, N. J.: New Documents from the Serapeum of Memphis Miz. I, 1933).

Reich, N. J.: Witness, Contract, Copies (MIZ. III, 31–50), 1936.

Reinach, Th.: Papyrus greces et démotiques (Paris, 1905).

Revillout, E.: Nouvelle Chrestomathie Démotique (Paris, 1878).

Revillout, E.: Données Géographiques et Topographiques sur Thèbes (Rev. Eg. I, 1880).

Revillout, E.: Chrestomathie Demotiques (Paris, 1880).

Revillout, E.: Les obhgations en Droit Egyptien comparé aux autres droits de l'antiquité (Paris, 1886).

Revillout, E.: Mélanges sur la Métrologie, l'économie politique et l'histoire de l'Ancienne Egypte (Paris, 1895).

Revillout, E.: Notice des Papyrus Démotiques Archaiques et autres texts juridiques, etc. (Paris, 1896).

Revillout, E.: Précis du Droit Egyptien comparé aux autres droits de l'antiquité (Paris, 1899–1903).

Revillout, E.: Le procès d'Hermias d'après les documents démotiques et grecs (Paris, 1882–1903).

Revillout, E.: La femme dans l'antiquité (Jour. Asiat., Vol. 7) Paris, 1906.

Revillout, E.: Origines égyptiennes du droit civil romain. (Paris, 1912).

Roeder: Die Aegyptische Gotterwelt.

Roeder: Les Temples emmergés de la Nubie, Daboud bis Bab Kalabsche.

Rostovtzeff: Social and Economic History of the Hellenistic World, 3 vols. (Oxford, 1941).

Rowe, A.: Newly-indentified Monuments in the Egyptian Museum showing the deification of the Dead (Ann. du Serv. XL).

Seidl, E.: Demotische Urkundenlehre nach den fruhptolemaischen Texten (Munch. Beitr. X. Papyrusforschung und Rechtsgeschiste Heft 27, 1937).

Seidl, E.: Die Teilungsschrift (M. D. U. Kairo, Band 8/1939).

Seidl, E.: Ptolemaische Rechtsgeschichte.

Seidl, E.: Das Erloschen der Obligation im Ptolemaischen Recht (Napoli, 1948).

Sethe, K.: Hieroglyphische Urkunden der Griechische—romischen Zeit in urkunden des Aegyptischen Altertums II Leipzig 1904.

Seth, K.: Sarapis.

Sethe, K.: Aegyptische inschrift auf den Kauf eines Hauses aus dem alten Reich (Leipzig, 1911).

Sethe, K. and Partsch, J.: Demotische Urkunden zum Aegyptischen Burgschaftsrechte vorzuglich der Ptolemaerzeit (Leipzig, 1920).

Sethe, K.: Amum und die acht Urgotter von Hermopolis (Berlin, 1929).

Siculus, Diodorus: Loeb Classical Library.

Spiegelberg: Sitzungsberechte der bayerischen Akademie der Wissenschaften, Philospoh. Philog und histor. Klasse 1925. Beitrage zur Erklaung neuen dreisprachigen Priesterdek retes zur Ehren des Ptolemais Philopator.

Spiegelberg, W.: Zwei Beitrage zur Geschichte und Topographie der Thebanischen Necropolis im Neuen Reich (Strassburg, 1898).

Spiegelberg, W.: Aegyptische und Griechische Eigenuamen (Leipzig, 1910).

Spiegelberg, W.: Die Demotischen Papyrus der Strassburger Bibliothek (Strassburg, 1902).

Spiegelberg, W.: Démotischen Papyrus aus den Koniglichen Museen zur Berlin (Leipzig, 1902).

Spiegelberg, W.: Der Papyrus Libbey (Strassburg, 1907).

Spiegelberg, W.: Die Demotischen Papyrus der Musées Royaux du Cinquantenaire (Bruxelles, 1909).

Spiegelberg, W.: Die Demotischen Papyri Hawswaldt … aus Apollinopuolis “Edfu” (Leipzig, 1913).

Spiegelberg, W.: Die Sogennante demotische Chronik (Leipzig, 1914).

Spiegelberg,W.: Demotische papyri (Veroffentlichungen aus den badis- chen Papyrus Sammlungen) Heidelberg, 1923.

Spiegelberg, W.: Demotische Grammatik (Heildelberg, 1925).

Spiegelberg, W.: Die Demotischen Papyri Loeb (Munich, 1931).

Spiegelberg, W.: Die Demotischen Denkmaler (Cairo Cat. Gen). 3 vols., 1904–1908, 1932.

Spiegelberg, W.: La Littérature Démotique (Chronique No. 15, 1933).

Sottas, H.: Papyrus Démotiques de Lille (Paris, 1921).

Strab: Geography 8 vols. Leob. Ed.

Stack, M.L.: Die Dynastie der Ptolemaer 1894.

Tarn, W. W.: Hellenistic Civilization, 3rd ed. (London, 1941).

Taubenschlag, R.: The law of Greco-Roman Egypt in the light of Papyri, Second Ed. (1955).

Thompson, Sir H.: Theban Ostraca, (1913).

Thomposn, Sir H.: Eponymous Priests under the Ptolemies (Studies pre- sented o Griffith), London, 1932.

Thompson, Sir H.: Note on t hyr. t in boundaries of Ptolemaic con- veyances of Land (J. E. A. XXIII).

Taubenschlag, R.: The Law of Greco-Roman Egypt in the Light of the Pa- pyri; Vol. II, Warsaw, 1948. Vol I, (New York, 1944).

Weigall: A Report on the Antiquities of Nubia.

Wilkinson, Sir J. G.: Modern Egypt and Thebes, 2 vols., (London, 1843).

Wilkinson, Sir J. G.: The Manners and Customs of the Ancient Egyptians, 3 vols. (London, 1878).

Winlock, H.E.: Excavations at Thebes (Bul. M. M. A., 1922).

دوريات

Aegyptus: Rivista italiana di egittologia e di papirologia (Milano).

A.S.: Service des Antiquités Annales (Le Caire).

A.J.S.L.L.: American Journal of Semitic Languages and Literatures (Chicago).

A.Z.: Zeitschrift fur aegyptische Sprache und Altertumskunde (Leipzig).

A.H.D.O.: Archives d'Histoire du Droit Oriental (Bruxelles).

Bul. Inst. d'Egypt: Bulletin de l'Institut d'Egypt (Le Caire).

Bul. IFAO: Bulletin Institut Français d'Archéologie Orienale (Le Caire).

C.A.H.: Cambridge Ancient History. Vol. V.

Cat. Gen.: Catalogue Général du Musée du Caire.

C.O.I.C.: Chicago Oriental Institute Communications (Chicago).

Chronique: Chronique d'Egypte (Bruxelles).

Demotica: I and II, (Munchen, (1925–1928).

J.E.A.: Journal of Egyptian Archeology (London).

J.H.S.: Journal of Hellenic Studies (London).

J.N.E.S.: Journal of Near Eastern Studies (Chicago).

MIZ.: MIZRAIM, Journal of papyrology, Egyptology, history of Ancient Laws and their relations to the civilizations of Bible Lands, Edited by Nathaniel Julius Reich, V. (IIIX) 1933–1938 New York.

M.D.I.: Mitteilungen des Deutschen Instituts fur Aegyptische Altertum-skunde, Cairo.

Mus Jour: Museum Journal University of Pennsylvania (Philadelphia).

P. S. B. A.: Proceedings of the Society of Biblical Archaeology (London).

Rec. Trav: Recueil de Travaux relatifs à la philology et à l'archeologie Egyptiennes et Assyriennes (Paris).

Rev. Egypt: Revue Egyptologique (Paris).

T. S. B. A.: Transactions of the Society of Biblical Archaeology (London).


هنداوي